٦١٦١
6161

شرح
ديوان الشريف الرضي

تأليف

محمد محيي الدين عبد الحميد

هدية
سمو الشيخ فالح بن ناصر آل ثاني
إلى
مكتبة مركز الوثائق والدراسات
أبو ظبي

الجزء الأول

جميع حق الطبع محفوظ

الطبعة الأولى

[١٣٦٨هـ — ١٩٤٩م]

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه

هذا شرح طَريف لديوان الشريف الرضى ، يجلّى غامضه ، ويقيد آبده ، ويكشف ما اعتاص منه ، ويضرب الأمثال والشواهد لما انحرف منه عن سَنَن العربية المألوف ونَهْجها المطَّرد فإذا أنت تجده استعمالا سائغا كغيره ولكنه بقى مذخوراً فى صدور الأثبات أو بطون القماطر .

وقد دعانى إلى التوفُّر على هذا الديوان والتأتّى لمعانيه أننى قرأته فطربت ، ثم قرأته فانتشيت ، ثم قرأته فإذا أنا كَلِفٌ به ، وإذا أنا مؤمن أوثق الإيمان بأنه أصدق شعرٍ يمثّل ، بوجهٍ عام ، الروحَ العربية بما اشتملت عليه من اعتدادٍ وإباء وترفُّع عن كل مايُزْرِى بمروءة الرجل الكامل ، ويمثل ، بوجه خاص ، روح أولئك القوم الذين دَرَجُوا من البيوتات الضاربة فى المجد بعرق ، ونظرت فإذا هذا وذاك مما لست تجده ، إلا فى الندرة ، فيما بين أيدى نابتتنا من الشعر العربى .

وشىء آخر قد بعثنى على قراءة شعر الشريف ومصاحبته والتأتّى لاستخراج معانيه ، ولن يكون هذا أقلّ شأنا مما ذكرت ، ذلك أننى وجدت هذا الشعر الفَحْل الجَزْل قد لقى من رجالات الأدب فى كل ما مضى عليه من الزمان نفسَ الذى لقيه صاحبُه فى عصره من عَنَت الدهر وظلم الناس ، فهذا شعر المتنبى يجد له من الشراح والمفسرين والناقدين والذابين مالوشئتَ لكان لك فيه غناء ، وهذا شعر أبى تمام يتوفر عليه كثير من الشارحين والنقاد ، وهذا شعر البحترى يجد مثل ماوجده شعر صاحبيه أوقريبا منه، وغيرهم، ويأتى الناس فى كل عصر فيترسمون

وله من قصيدة فى أبيه ويذكر حجه بالناس :

دعينى أطْلُبِ الدنيا فإنّى أرى المسعودَ من رُزق الطِّلابا

وقال فى الطائع لله أمير المؤمنين من قصيدة :

لِلّهِ ثُمَّ لك المحلُّ الأعْظَمُ وإليك ينتسِبُ العَلاءُ الأقْدَمُ

وقال من قصيدة لما خُلع الطائعُ يذكر فيها أيامه ويرثيها ويتوجَّع مما لحقه ، وذلك فى شعبان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة[1] :

إن كان ذاكَ الطَّوْدُ خَـــرَّ فبَعْدَ ما استَعْلَى طويلا

وله من قصيدة يذكر فيها الحال يوم القبض على الطائع لله ، ويصف خروجه من الدار سليما ، وقد سُلبت ثيابُ أكثر الأشراف والقضاة ، وانتُهبوا ، وامتُحِنوا ، فأخذ هو بالحزم ساعة ، ووقف على الصورة ، وبادر إلى نزول دِجْلَةَ ، وكان أول خارج من الدار ، وتلوَّم من تلوَّم حتى جرى عليه ماجرى ، ويذكر غرضا آخر فى نفسه ، ويشكو الزمان ، ويذمُّ عمل السلطان :

لَوَاعِجُ الشوقِ تُخْطِيهم ونُصْمِينى واللَّوْمُ فى الحب ينهاهُمْ ويُغْرِينى

وقال فى القادر بالله أبى العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر عند استقراره فى دار الخلافة سنة إحدى وثمانين وثلثمائة :

شرَفُ الخلافةِ يابنى العباس اليومَ جدَّده أبو العباس

وله فيه من أخرى يصف فيها جلسة جلسها فأوصِلَ إلى حضرته الحجيجُ وغيرهم ، وحضر الشريفُ ذلك المجلسَ وعليه السَّواد ، وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة :

لمن الخُدُوجُ تهزُّهُنَّ الأيْنُقُ والركب يَطْفُو فى السراب ويغرق

وله من أخرى يذم الزمان ويفتخر :

توقَّعى أن يُقَالَ قد ظَعَنَا ما أنتِ لى منزلا ولا وَطَنَا

وورد عليه أمر أهمه وأقلقه فرأى شيبا فى رأسه وسنُّه ثلاث وعشرون سنة فقال :

عَجِلْتَ يا شيبُ على مَفْرِقى وأىُّ عُذْرٍ لك أن تَعْجَلا

(١) توفى الطائع فى سنة ٣٩٣ وقد وقعت أغلوطة فى أول الشرح يفهم منها أنه مات فى سنة ٣٨١ وصرح بهذا فى ص ٢٨ وليس هذا بشىء فليكن هذا تصحيحا لما وقع هناك

وقال فى الوزير أبى القاسم على بن أحمد يستصوب رأيه فى الاستتار لأمر أوجبه :

تأبى الليالى أن تُديمَا بُؤسًا بخَلْقٍ أو نعيما

وقال :

عَذيرى من العشرين يَغْمِزْنَ صَعْدَتى ومن نُوَبِ الأيام يَقْرَعْنَ مَرْوَتى

وقال يرثى أبا منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزُبان الكاتب الشيرازى :

أى دموعٍ عليك لم تَصِبِ وأىُّ قلب عليك لم يجبِ

ولست أدرى فى شعراء العصر أحسن تصرُّفًا فى المراثى منه . ولما رثى أبا منصور الشيرازى بهذه القصيدة فى سنة ثلاث وثمانين رثى أبا إسحاق الصابى فى سنة أربع وثمانين ، ثم لما حال الحول وتوفى الصاحب فى سنة خمس وثمانين وتعجب الناس من انقراض بُلَغاء العصر الثلاثة على نَسَق فى ثلاث سنين رثاه أيضا بقصيدة أولها :

أكَذَا المنونُ تُقَنْطِرُ الأجْبَالا أكَذَا الزَّمانُ يُضَعْضِعُ الأبطالا

وله من قصيدة رثى بها أبا محمد بن أبى سعيد السيرافى ، وكان من الأعيان الأعلام فى العربية وما يتعلق بها ، وتوفى بعُيَيْد الصاحب :

لم يُنْسِنَا كافى الكُفاة مصابه حتى دهانا فيك خَطْبٌ مُضلِعُ

وقال :

هيهات أصبح سَمْعُه وعيانُه فى التُّرْب قد حجبتهما أقذاؤه

وقال قصيدة رثى بها والدته :

أبكيكِ لو نقَعَ الغليلَ بكائى وأقولُ لو ذهب المقالُ بدائى

وكان عمل قصيدة فى بهاء الدولة وأنفذها إليه ، فنسبه بعضُ الحساد إلى الترفع عن إنشادها فقال:

جنَانى شُجاعٌ إن مَدَحْتُ ، وإنما لسانىَ إن سِيمَ النشيدَ جبَانُ

وورد عليه أمر شغل قلبه فقال :

إن أنْشَبَ الخطبُ فلا رَوْعَةٌ أو عظُمَ الخطْبُ فصَبْرٌ جميل

* * *

٢ — وقال قاضى القضاة أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان فى كتابه « وفيات الأعيان ، وأنباء أبْناء الزمان » :

الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الطاهر ذى المناقب أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد ابن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ! المعروف بالمُوسَوِىّ صاحب ديوان الشعر ، ذكره الثعالبى فى كتاب « اليتيمة » فقال فى ترجمته : ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل ، وهو اليوم أبدع أبنـاء الزمان ، وأنجب سادات العراق ، يتحلى مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف ، بأدب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبيين مَنْ مضى منهم ومن غَبَرَ على كثرة شعرائهم المفلقين ، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وسيشهد بما أخبر به شاهد عدل ، من شعره العالى القِدْح ، الممتنع عن القَدح ، الذى يجمع إلى السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشتمل على معانى يقرب جَنَاها ، ويبعد مَدَاها ، وكان أبوه يتولى قديماً نقابة نقباء الطالبيين ، ويحكم فيهم أجمعين ، والنظر فى المظالم والحج بالناس ، ثم رُدَّت هذه الأعمال كلها إلى ولده الرضى المذكور فى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وأبوه حى .

ومن غرر شعره ما كتبه إلى الإمام القادر بالله أبى العباس أحمد بن المقتدر ، من جملة قصيدة [من الكامل] :

عَطْفاً أميرَ المؤمنين فإننا ... فى دوحة العلياء لا نتفرق

مابيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً ، كلانا فى المعالى مُعْرِق

إلا الخلافة ميزتك ، فإننى ... أناعاطل منها ، وأنت مُطَوَّق

ومن جيد شعره قوله أيضاً [من الكامل] :

رُمْتُ المعالى فامتنعن ، ولم يزل ... أبداً يمانع عاشقاً معشوق

وصبَرْت حتى نلتهن ، ولم أقل ضجراً : دواء الفارِكِ التطليقُ

وله من جملة أبيات [من البسيط] :

يا صاحبيَّ قفا لى واقضيا وَطرا وحَدِّثانى عن نجد بأخبار

هل روضت قاعة الوعساء أم مطرت خميلة الطلح ذات البان والغار

أم هل أبيت ودارٌ دون كاظمة دارى ، وسُمَّار ذاك الحى سُمَّارى

تَضُوعُ أرواح نجد من ثيابهمُ عند القدوم لقرب العهد بالدار

وديوان شعره كبير ، يدخل فى أربع مجلدات ، وهو كثير الوجود فلا حاجة إلى الإكثار من شعره .

وذكر أبو الفتح بن جنى [النحوى] فى بعض مجاميعه أن الشريف الرضى المذكور أُحْضِرَ إلى ابن السيرافى النحوىِّ وهو طفل جدا لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو ، وقعد معه يوما فى حلقته ، فذاكره بشىء من الإعراب على عادة التعليم ، فقال له : إذا قلنا « رأيت عمرو » فما علامة النصب فى عمرو ؟ فقال له الرضى : بُغْضُ على ، فعجب السيرافى والحاضرون من حِدَّة خاطره .

وذكر أنه تلقن القرآن بعد أن دخل فى السن فحفظه فى مدة يسيرة .

وصنف كتابا فى معانى القرآن الكريم ، يتعذر وجود مثله ، دل على توسعه فى علم النحو واللغة ، وصنف كتابا فى « مجازات القرآن » فجاء نادرا فى بابه .

وقد عنى بجمع ديوان الشريف الرضى المذكور جماعة ، وأجود ما جمع الذى جمعه أبو حكيم الخبرى .

ولقد أخبرنى بعض الأفاضل أنه رأى فى مجموع أن بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضى المذكور بسر من رأى ، وهو لا يعرفها ، وقد أخنى عليها الزمان ، وذهبت بَهجتها ، وأخلقت ديباجتها ، وبقايا رسومها تشهد لها بالنَّضَارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجبا من صروف الزمان ، وطوارق الحدثان ، وتمثل بقول الشريف الرضى المذكور [من الكامل] :

ولقد وقفت على ربوعهم وطلولها بيد البِلَى نَهْبُ
فبكيتُ حتى ضج من لَغَبٍ نِضْوِى وجلَّ بعذلىَ الركبُ
وتلفتت عينى ، فمذ خفيت عنى الطلول تلفَّتَ القلبُ

فمر به شخص وسمعه وهو ينشد الأبيات ، فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هى ؟ فقال : لا ، فقال : هذه الدار لصاحب هذه الأبيات الشريف الرضى ، فعجبا من حسن الاتفاق .

ولقد أذكرتنى هذه الواقعة حكاية هى فى معناها ذكرها الحريرى فى كتاب « درة الغواص ، فى أوهام الخواص » وهى على ماروواه أن عبيد بن شَرِيَّة[1] الجرهمى عاش ثلثمائة سنة وأدرك الإسلام فأسلم ودخل على معاوية بن أبى سفيان بالشام وهو خليفة ، فقال له : حدثنى بأعجب مارأيت ، فقال : مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتاً لهم ، فلماانتهيت إليهم اغرورقَتْ عيناى بالدموع فتمثلت بقول الشاعر [من البسط] :

يا قلب إنك من أسماء مغرور فاذكر وهل يَنْفَعَنْكَ اليوم تذكير
قد بُحْتَ بالحب ما تخفيه من أحد حتى جرت لك أطلاقا محاضيرُ
فلست تدرى وما تدرى أعاجلها أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير
فاستَقْدِرِ الله خيرا وارضَيَنَّ به فبينما العسر إذ دارت مياسيرُ
وبينما المرء فى الأحياء مغتبط إذا هو الرَّمْسُ تعفوه الأعاصيرُ
يبكى الغريبُ عليه ليس يعرفه وذو قرابته فى الحى مسرور

قال : فقال لى رجل : أتعرف من يقول هذا الشعر ؟ فقلت : لا ، قال: إن قائله هو الذى دفناه الساعة ، وأنت الغريب الذى تبكى عليه ، ولست تعرفه ، وهذا الذى خرج من قبره أمسُّ الناس رحما به ، وأسرهم بموته ، فقال له معاوية : لقد رأيت عجباً ، فمن الميت ؟ قال : هو عثير ابن لبيد العذرى .

---

(١) الأشهر أن شرية بزنة عطية وهدية ، وضبطه ابن خلكان فى أخريات هذه الترجمة بفتح فسكون ففتح

[ومثل هاتين القصتين ما ذكره الخطيب أبو زكريا التبريزى فى كتاب شرح الحماسة ، وذكره غيره أيضا أن عمرو بن شاس الأسدى الشاعر المشهور كانت له امرأة من قومه ، وابنٌ من أمة سوداء ، يقال له عَرَار ، فكانت تعير به أباه ، وتؤذيه ويؤذيها ، فأنكر عمرو عليها أذاها له وقال [من الطويل] :

أرادت عَرَاراً بالهوان ومن يُرِدْ عَرَارًا لعمرى بالهوان لقد ظلم
وإن عَرَارًا إن يكن غير واضح فإنى أحبُّ الجون ذا المنكب العَمَمْ

وهى عدة أبيات فى الباب الأول من كتاب الحماسة ، والجون : الأسود، والعمم : التام

وكان عَرَار أحد فصحاء العقلاء ، وتوجه من عند المهلب بن أبى صفرة إلى الحجاج بن يوسف الثقفى رسولا فى بعض أمور ، فلما مَثَلَ بين يدى الحجاج لم يعرفه ، وازدراه ، فلما أبان وأعرب ماشاء ، وبلغ الغاية والمراد فى كل ماسئل عنه ، فأنشد الحجاج متمثلا :

أرادت عرارا بالهوان ، ومن يرد عرارا لعمرى بالهوان لقد ظلم

فقال عرار : أنا ـ أيد الله الأمير ! ـ عرار ، فأعجب به ، وبذلك الاتفاق

وشاس : المكان الغليظ ، وعمرو المذكور من أسد بن خزيمة ، وهو مخضرم أدرك الإسلام وهو شيخ كبير .

وعَرَار من قولهم « عارَّ الظليمُ » بتشديد الراء « يعار عرارا » إذا صاح

يقول : أرادت امرأتى إهانة عرار ، ومن طلب ذلك من مثله فقد وضع الشىء فى غير محله ، وهو الظلم .

واجتهد عمرو بن شاس أن يصلح بين امرأته وابنه فلم يمكنه ، فطلقها فندم وقال فى ذلك شعرا تركته لعدم الحاجة وخشية الإطالة] .

رجعنا إلى ذكر الشريف ـ قال الخطيب فى تاريخ بغداد : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب بحضرة أبى الحسين بن محفوظ ـ وكان أوحد الرؤساء ـ يقول : سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون : [إن] الرضى أشعر قريش ، فقال ابن محفوظ : هذا صحيح ،

وقد كان فى قريش من يجيد القول ، إلا أن شعره قليل ، فأما مجيد مكثر فليس إلا [الشريف] الرضى .

وكانت ولادته سنة تسع وخمسين وثلثمائة ، ببغداد

وتوفى بكرة يوم الأحد سادس المحرم ـ وقيل : صفر ـ سنة ست وأربعمائة ، ببغداد، ودفن فى داره بخط مسجد الأنباريين بالكرخ ، وقد خربت الدار ودرس القبر ومضى أخوه المرتضى أبو القاسم [على] إلى مشهد موسى بن جعفر؛ لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودَفْنه ، وصلى عليه الوزير فخر الملك فى الدار مع جماعة كثيرة ، رحمه الله تعالى !

وكانت ولادة والده الطاهر ذى المناقب أبى أحمد الحسين سنة سبع وثلثمائة، وتوفى فى جمادى الأولى سنة أربعمائة ، وقيل : توفى سنة ثلاث وأربعمائة، ببغداد، ودفن فى مقابر قريش بمشهد باب التين ، ورثاه ولده الرضى ، ورثاه أيضاً أبو العلاء المعرى بقصيدته التى أولها [من الكامل] :

أودى فليت الحادثات كَفَافِ مالُ المُسِيفِ وعنبر المُسْتَافِ

وهى طويلة أجاد فيها كل الإجادة

وعَبيد : بفتح العين المهملة ، وكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها دال مهملة .

وشرية : بفتح الشين المعجمة ، وسكون الراء ، وفتح الياء المثناة من تحتها ، وبعدها هاء ساكنة[1]

والجرهمى ـ بضم الجيم ، وسكون الراء ، وضم الهاء ، وبعدها ميم ـ هذه النسبة إلى جرهم ابن قحطان ، وهى قبيلة كبيرة مشهورة باليمن .

وعثير ـ بكسر العين المهملة ، وسكون الثاء المثلثة ، وفتح الياء المثناة من تحتها ، وبعدها

---

(١) هذا أحد ضبطين للعلماء فى هذا الاسم ، والآخر أنه بزنة عطية وهدية .

راء ـ وهو فى الأصل اسم للغبار ، وبه سمى الرجل .

ولبيد : اسم علم مشهور فلا حاجة إلى ضبطه ، وقد تقدم الكلام على العذرى ، والله أعلم

* * *

٣ ـ وقال عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى ، المعروف بابن أبى الحديد ، فى كتاب « شرح نهج البلاغة » :

« القول فى نسب الرضى أبى الحسن ـ رحمه الله ! ـ وذكر طرف من خصائصه ومناقبه »

هو أبو الحسن محمد بن أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى ابن جعفر الصادق ، عليه السلام !

مولدهُ سنة تسع وخمسين وثلثمائة .

كان أبوه النقيب أبو أحمد جليل القدر ، عظيم المنزلة فى دولة بنى العباس ودولة بنى بُوَيْه ، ولُقِّب بالطاهر ذى المناقب ، وخاطبه بهاء الدولة أبو نصر بن بُوَيه بالطاهر الأوحد ، وولى نقابة الطالبيين دفعات ، ومات وهو متقلدها[1] بعد أن حالَفَتْه الأمراضُ وذهب بصره ، وتوفى عن سبع وتسعين سنة ، فإن مولده كان سنة أربع وثلثمائة ، وتوفى فى سنة أربعمائة ، وقد ذكر ابنُه الرضى أبو الحسن كمية عمره فى قصيدته التى رثاه بها ، وأولها :

وسَمَتْكَ جالِيَةُ الربيعِ المرهِمِ ... وسَقَتْكَ ساقيةُ الغَمَامِ المُرْزِمِ

سَبْعٌ وتسعون اهْتَبَلْنَ لَكَ المدَى ... حتى مَضَوْا وَغَبَرْتَ غيْرَ مُذَمَّمِ

لم يَلْحَقُوا فيها بشأوك بَعْدَمَا ... أملُوا فعاقَهُمُ اعتراضُ الأزْلَمِ

إلا بَقَايَا من غُبارك أصبحت ... غُصَصاً وأقْذَاءً لعينٍ أو فَمِ

إن يَتْبَعُوا عَقِبَيْك فى طَلَبِ العُلَا ... فالذِّئْبُ يَعْسِلُ فى طريق الضَّيْغَمِ

ودفن النقيبُ أبو أحمد أولا فى داره ، ثم نُقل منها إلى مشهد الحسين عليه السلام ، وهو الذى كان السفير بين الخلفاء وبين الملوك من بنى بُوَيْه والأمراء من بنى حَمْدان وغيرهم ، وكان

(١) قد رأيت في كلام أبى منصور الثعالبي أن أبا أحمد نزل لابنه أبى الحسن الشريف الرضى عن النقابة وأكثر ما كان يليه وأنه مدح أباه على ذلك .

مُبارك الغرة ، ميمون النقيبة ، مَهيباً ، نبيلا ، ماشرع فى إصلاح أمر فاسد إلا وصلح على يديه ، وانتظم بحسن سِفارته وبركة همته وحسن تدبيره ووساطته ، ولاستعظام عَضُد الدولة أمره وامتلاء صدره وعينه به ـ حين قدم العراق ـ قبض عليه وحمله إلى القلعة بفارس ، فلم يزل بها إلى أن مات عَضُد الدولة فأطلقه شرفُ الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة واستصحبه فى جملته حيث قدم إلى بغداد ، وملك الحضرة ، ولما توفى عضد الدولة كان عمر الرضى أبى الحسن أربع عشرة سنة ، فكتب إلى أبيه وهو معتقل بقلعة شيراز :

أبْلِغَا عنى الحسينَ ألُوكًا ... أنَّ ذا الطودَ بَعْدَ بُعْدِكَ سَاخَا

والشهاب الذى اصطليت لظَاهُ ... عكست ضوءه الخطوبُ فباخا

وأم الرضى أبى الحسن فاطمةُ بنت الحسين بن الحسن الناصر الأصم صاحب الديلم ، وهو أبو محمد الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، عليهم السلام ! شيخ الطالبيين ، وعالمهم ، وزاهدهم ، وأديبهم ، وشاعرهم ، ملك بلاد الديلم والجبل ، ويُلقَّبُ بالناصر للحق ، وجرت له حروب عظيمة مع السامانية ، وتوفى بطبرستان سنة أربع وثلثمائة وسنُّه تسع وسبعون سنة ، وانتصب فى منصبه الحسنُ بن القاسم بن الحسين الحسنى ، ويُلقَّبُ بالداعى إلى الحق ، وهي أمُّ أخيه أبى القاسم على المرتضى أيضا .

وحفظ الرضى ـ رضى الله عنه ! ـ القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة ، فى مدة يسيرة ، وعرف من الفقه والفرائض طرفا قويا ، وكان ـ رضى الله عنه ! ـ أديباً وشاعراً مُفْلِقاً ، فصيح النظم ، ضخم الألفاظ ، قادراً على القريض ، متصرفاً فى فنونه ، إن قصد الرقة فى النسيب أتى بالعجب العُجاب ، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ فى المدح وغيره أتى بما لا يشق فيه غُبَاره ، وإن قصد فى المراثى جاء سابقاً والشعراء منقطع أنفاسُها على أثره ، وكان ـ مع هذا ـ مترسِّلاً ذا كتابة قوية ، وكان عفيفاً ، شريف النفس ، عالى الهمة ، مستلزما بالدين وقوانينه ، ولم يقبل من أحد صلةً ولا جائزة ، حتى إنه ردَّ صلاتِ أبيه ، وناهيك بذلك شرفَ نفس وشدة ظَلَف ، فأما بنو بُوَيْه فإنهم اجتهدوا على قبوله صلاتِهم ، فلم يقبل ، وكان يرضى بالإكرام وصيانة الجانب

وإعزاز الأتباع والأصحاب ، وكان للطائع أكثر ميلا من القادر ، وكان هو أشدَّ حبًّا للقادر وأكثر ولاء للطائع منه للقادر ، وهو القائل للقادر فى قصيدته التى مدحه بها :

عَطْفًا أميرَ المؤمنين فإننا ... فى دَوْحَة العلياء لانتفرقُ
ما بيننا يوم الفَخَار تَفَاوُت ... أبدا ، كلانا فى المعالى مُعْرِق
إلا الخلافة شَرَّفَتْكَ فإننى ... أنا عاطل منها وأنت مُطَوَّق

فيقال : إن القادر قال له : على رغْم أنف الشريف .

وذكر الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى فى التاريخ فى وفاة الشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد ابن محمد الطبرى الفقيه المالكى ، قال : كان شيخَ الشهود المعدَّلين فى بغداد ومتقدِّمهم ، وسمع الحديث الكثير ، وكان كريما مُفَضَّلا على أهل العلم ، قال : وعليه قرأ الشريف الرضى ـ رحمه الله ! ـ القرآن ، وهو شاب حَدَث ، فقال له يوما : أيها الشريف ، أين مُقامُك ؟ قال : فى دار أبى بباب محول ، فقال : مثلُكَ لا يُقيم بدار أبيه ، قد نَحَلْتُكَ دارى بالكَرْخ المعروفة بدار البركة ، فامتنع الرضى من قبولها وقال : لم أقبل من أبى قطُّ شيئا ، فقال : إن حقى عليك أعظمُ من حق أبيك عليك ، لأنى حفظتك كتاب الله تعالى ، فقبلها .

وكان الشريف الرضى ـ لعلو همته ـ تنازعه نفسُه إلى أمور عظيمة يجيش بها خاطره وينظمها فى شعره ، فمن ذلك قوله :

ما أنا للعَلْيَاء إن لم يكن ... من وَلَدِى ما كان من والِدِى
ولا مَشَتْ بى الخيلُ إن لم أَطَأْ ... سريرَ هذا الأصْيَدِ الماجِدِ

ومنها قوله :

لَتَنظُرَنِّى مُشِيحًا فى أوائلها ... يَغيبُ بى النَّقعُ أحيانا ويُبْدِينى
لا تعرفونِى إلا بالطعان وقد ... أضْحَى لِثامِىَ مَعْصُوبًا بِعِرْنِينى

ومنها قوله يعنى نفسه :

فواعجبا مما يظن محمد ... وللظَّنُّ فى بعض المواطن غدَّارُ

يُقَدِّرُ أن الملكَ طَوْعُ يمينِهِ ومن دونِ مايَرْجو المقدِّرُ أقْدارُ

ومنها قوله :

لاهَمَّ قلبي بركوبِ العُلا يَوْمًا ولا بلَّتْ يدى بالسَّماح
إن لم أنَلْهَا باشتراطٍ كما شئتُ على بِيضِ الظُّبا واقتِراح

وفى هذه القصيدة ماهو أخشنُ مسًّا وأعظمُ نِكايةً ، ولكنا عدلنا عنه وتخطيناه كراهية لذكره ، وفى شعره الكثير الواسع من هذا النَّمَط .

وكان أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى الكاتب له صديقا ، وبينهما لحمة الأدب ووشائجُهُ ، وبينهما مراسلات ومكاتباتٌ بالشعر ، فكتب الصابى إلى الرضى فى هذا النَّمَط :

أبا حَسَنٍ ، لى فى الرجال فِراسَةٌ تعَوَّدْتُ منها أن تقول فتصدُقا
وقد خبَّرَتنى عنك أنك ماجد سترقى إلى العلياء أبْعَدَ مُرْتقى
فوَفَّيْتُكَ التعظيمَ قبلَ أوانِه وقلتُ : أطال اللهُ للسَّيِّدِ البْقا
وأضمرتُ منه لفظةً لم أبحْ بها إلى أن أرى إظهارها لىَ مُطلقَا
فإن عشْتُ أو إن مُتُّ فاذكر بشارتى وأوْجِبْ بها حَقًّا عليك مُحَقَّقا
وكن لى فى الأولاد والأهل حافظا إذا ماطمأنَّ الجنبُ فى مَضْجَع النقا

فكتب إليه الرضى جواباً عن ذلك قصيدةً أولها :

سَنَنْتَ لهذا الرُّمْح غَرْبًا مُذَلقا وأجْرَيْتَ فى ذا الهُنْدُوانىِّ رَوْنقا
وسَوَّمْتَ ذَا الطِّرْفِ الْجَوَادَ وإنَّمَا شَرَعْتَ لَهُ نَهجًا فخَبَّ وأعْنَقا

وهى قصيدة طويلة ثابتة فى ديوانه يَعِدُ فيها نفسه ويَعِدُ الصابى أيضاً ببلوغ آماله إن ساعد الدهر وتم المرام ، وهذه الأبيات أنكرها الصابى لما شاعت ، وقال : إنى عملتها فى أبى الحسن على بن عبدالعزيز حاجب النعمان كاتب الطائع ، وما كان الأمر كما ادعاه ، ولكنه خاف على نفسه .

وذكر أبو الحسين الصابى وابنه غرسُ النعمة محمد فى تاريخهما أن القادر بالله عقَد مجلساً أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوى وابنَه أبا القاسم المرتضى وجماعة من القُضَاة والشهود والفقهاء

وأبرز إليهم أبيات الرضى أبى الحسن التى أولها :

ما مُقَامى على الهَوَانِ وعندى ... مِقْوَلٌ صارمٌ وأنفٌ حَمِىٌّ
وإباءٌ محلِّقٌ بى عَنِ الضيـ ... ـمِ كما زاغَ طائرٌ وَحْشِىٌّ
أىُّ عذرٍ لهُ إلى المجد إن ذَ ... لَّ غلامٌ فى غِمْدِهِ المَشْرَفِىُّ
أحمل الضَّيْمَ فى بلاد الأعادى ... وبِمصْرَ الخليفةُ العَلَوِىُّ
مَن أبوه أبى ومولاه مولا ... ىَ إذا ضامَنى البَعِيدُ القَصِىُّ
لَفَّ عِرْقِى بِعِرْقِهِ سَيِّدَا النَّا ... سِ جميعاً محمدٌ وعلىُّ

وقال الحاجب للنقيب أبى أحمد : قل لولدك محمد : أىُّ هوانٍ قد أقام عليه عندنا ؟ وأىُّ ضيم لقى من جهتنا ؟ وأىُّ ذل أصابه فى ملكنا ؟ وما الذى يعمل معه صاحبُ مصر لو مضى إليه ؟ أكان يصنع إليه أكثر من صنيعنا ؟ ألم نولِّه النقابة ؟ ألم نولِّه المظالم ؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أمير الحجيج ؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا؟ ما نظنه كان يكون لو حصل عنده إلا واحدا من أفناء الطالبيين بمصر ؟ فقال النقيب أبو أحمد : أما هذا الشعر فما لم نسمعه منه ولا رأيناه بخطه ، ولا يبعد أن يكون بعضُ أعدائه نَحَله إياه وعزاه إليه ، فقال القادر: إن كان كذلك فلْيُكْتَب الآن محضر يتضمن القَدْحَ فى أنساب وُلاة مصر ، ويكتب محمد خطه فيه ، فكُتب محضر بذلك شهد فيه جميعُ من حضر المجلس منهم النقيبُ أبو أحمد وابنه المرتضى ، وحُمل المحضر إلى الرضى ليكتب خطه فيه ، حمله أبوه وأخوه ، فامتنع من تسطير خطه ، وقال : لا أكتب ، وأخاف دعاة صاحب مصر ، وأنكر الشعر ، وكتب خطه وأقسم فيه أنه ليس بشعره وأنه لا يعرفه ؛ فأجبره أبوه على أن يسطر خطه فى المحضر ، فلم يفعل ، وقال : أخاف دعاة المصريين وغِيلَتهم لى ، فإنهم معروفون بذلك ، فقال أبوه : ياعجبا أتخاف مَنْ بينك وبينه ستمائة فرسخ ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع ؟! وحلف ألا يكلمه ، وكذلك المرتضى أخوه، فعلا ذلك تَقِيَّةً وخوفا من القادر وتسكينا له ، ولما انتهى الأمر إلى القادر سكت على سوء أضمره له ، وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة وولاها محمد بن عمر النهر سابسى .

وقرأت بخط محمد بن إدريس الحلى الفقيه الإمامى قال : حكى أبو حامد أحمد بن محمد الإسفرايينى الفقيه الشافعى قال : كنت يوما عند فخر الملك أبى غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة ، فدخل عليه الرضى أبوالحسن ، فأعظمه وأجلَّه ، ورفع من منزلته، وخلَّى ما كان بيده من القصص والرقاع ، وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف ، ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم فلم يعظمه ذلك التعظيم ، ولا أكرمه ذلك الإكرام ، وتشاغل عنه برقاع يقرأها وتوقيعات يوقع بها ، فجلس قليلا وسأله أمرا ، فقضاه ، ثم انصرف ، قال أبو حامد : فتقدمت إليه وقلت : أصلح الله الوزير ! هذا المرتضى هوالفقيه المتكلم صاحب الفنون ، وهو الأمثل والأفضل منهما ، وإنما أبو الحسن شاعر ، قال : فقال لى : إذا انصرف الناسُ وخلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة ، قال : وكنت مجمعا على الانصراف فجاءنى أمر لم يكن فى الحساب ، فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس إلى أن تقوض الناسُ واحدا فواحدا ، فلما لم يبق إلا غلمانه وحجابه دعا بالطعام ، فلما أكلنا وغسل يديه وانصرف عنه أكثر غلمانه ولم يبق عنده غيرى قال لخادم له : هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام وأمرتك أن تجعلهما فى السفط الفلانى ، فأحضرهما ، فقال : هذا كتاب الرضى ، اتصل بى أنه قد ولد له ولد فأنفذت إليه ألف دينار وقلت : هذه للقابلة ، فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء إلى أخلائهم وذوى مودتهم مثلَ هذا فى مثل هذه الحال ، فردَّها وكتب إلى الكتاب فاقرأه ، قال: فقرأته ، وهو اعتذار عن الرد ، وفى جملته : إننا أهل بيت لايطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وإنما عجائزُنا يتولَّين هذا الأمر من نسائنا ، ولَسْنَ ممن يأخذن أجرة ولايقبلن صلة ، قال : فهذا هذا . وأما المرتضى فإننا كنا قد وزعنا وقسطنا على الأملاك ببادرويا تقسيطا نصرفه فى حفر فُوَّهة النهر المعروف بنهر عيسى ، فأصاب ملكا للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهما ثمنها دينار واحد ، قد كتب إلى منذ أيام فى هذا المعنى هذا الكتاب، فاقرأه ، فقرأته وهو أكثر من مائة سطر يتضمن من الخضوع والخشوع والاستمالة والهز والطلب والسؤال فى إسقاط هذه الدراهم عن أملاكه المشار إليها ما يطول شرحُه ، قال فخر

الملك : فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل ؟ هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد ونفسه هذه النفس أم ذلك الذى لم يشهر إلا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس ؟ فقلت : وفّق الله تعالى سيدنا الوزير فما زال مُوَفَّقاً ، والله ماوضع سيدُنا الوزير الأمر إلا فى موضعه ولا أحلّه إلا فى محله ، وقمت فانصرفت .

وتوفى الرضى ـ رضى الله عنه ! ـ فى المحرم من سنة ست وأربعمائة [1] ، وحضر الوزيرُ فخرُ الملك وجميعُ الأعيان والأشراف والقضاةُ جنازتَه والصلاةَ عليه ، ودُفن فى داره بمسجد الأنباريين بالكرخ ، ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ! ـ لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه ، وصلى عليه فخر الملك أبو غالب ، ومضى بنفسه آخر النهار إلى أخيه المرتضى بالمشهد الشريف الكاظمى ، فألزمه بالعَوْد إلى داره .

ومما رثاه به أخوه المرتضى الأبيات المشهورة التى من جملة مرثيته :

يَالَلرِّجال لفَجْعَةٍ جَذَمَتْ يَدِى ... ووددْتُ لَو ذَهَبَتْ علىَّ بِرَاسِى

ما زلْتُ أصدر وردها حتى أَتَتْ ... فَحَسَوْتُهَا فى بعض ما أنَا حاسِى

ومَطَلْتُهَا زمَناً فلمَّا صَمَّمَتْ ... لم يَثْنِهَا مَطْلِى وطولُ مكاسى

للهِ عُمْرُكَ من قصيرٍ طَاهِرٍ ... ولَرُبَّ عُمْرٍ طَال بالأدْنَاسِ

---

(١) فى الأصل « من سنة أربع وأربعمائة » ولكن غيرناه إلى ماترى ، إذ كان ذلك هوالذى ذكره ابن خلكان ، وقد تتبعنا ابن خلكان فوجدناه يذكر سنة الوفاة ، ثم إن كان فيها خلاف ذكره ، ولم يذكر فى وفاة الرضى غير قول واحد ، فعلمنا أنه لم يختلف فيما ذكره ، ثم إن الذى ذكره ابن خلكان قد ذكره ابن الجوزى فى المنتظم (٧ / ٢٧٩) وأبو المحاسن ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة (٤/ ٢٤٠) وابن الأثير فى الكامل (٩ / ٩٧) وابن كثير فى البداية والنهاية (١٢ / ٣) وأبو الفدا (٢ / ١٥٢)

شرح
ديوان الشريف الرضي

بسم الله الرحمن الرحيم

قافية الهمزة والألف اللينة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — قال يمدح الطائع لله أميرَ المؤمنين[1] [على ما أسْدَاه إليه من الجميل عنـد دخوله عليه[2]] ويُهَنِّئُه بعيد الأضحى من سنة (٣٧٧) سبع وسبعين وثلثمائة [من الطويل] :

١ جزاءُ أمير المؤمنين ثَنَائى ... على نِعَمٍ ما تنقضى وعَطاءِ

٢ أقام اللَّيالى عن بقَايَا فريستى ... ولم يبْقَ منها اليومَ غيرُ ذَماءِ[3]

---

(١) الطائع لله : أمير المؤمنين ، اسمه عبد الكريم ، ويكنى أبا بكر ، وهو ابن المطيع لله ، وأمه أم ولد اسمها عتب ، وقد ولى الخلافة وأبواه على قيد الحياة ، وكانت سنه يوم ولى الخلافة ثمانية وأربعين عاما ـ وقيل : بل كانت سنه خمسين عاما ـ ولا يعرف من قبله رجل ولى الخلافة وأبوه حى سوى الصديق أبى بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والطائع لله هذا ، وكلاهما يكنى بأبى بكر . وكان المطيع لله قد مرض وتعذرت عليه الحركة وثقل لسانه من فالج أصابه فدعاه سبكتكين حاجب معز الدولة إلى خلع نفسه وتسليم الأمر إلى ولده الطائع لله ، ففعل ذلك ، وعقد لابنه الأمر فى يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة ، وكتب بذلك مانصه « هذا ما أشهد على متضمنه أمير المؤمنين عبد الله الفضل المطيع لله ، حين نظر لدينه ورعيته ، وشغل بالعلة الدائمة عما كان يراعيه من الأمور الدينية اللازمة ، وانقطع إفصاحه عن بعض ما يجب لله عز وجل فى ذلك ، فرأى اعتزال ما كان إليه من هذا الأمر وتسليمه إلى ناهض به قائم بحقه ممن يرى له الرأى ، عقده له وأشهد بذلك طوعا فى يوم الأربعاء .. » وفى سنة إحدى وثمانين وثلثمائة قبض بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة على الطائع لله ، وخلعه ، واعتقله ، وحمله إلى دار المملكة وأنفذ إلى القادر الكتاب بخلعه نفسه ، ثم سلم بعد ذلك إلى القادر فأقام عنده إلى أن توفى ليلة عيد الفطر من هذه السنة وقد بلغ ستاً وسبعين سنة ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وأياما ، وصلى عليه القادر ، وحمل إلى الرصافة فدفن بها (انظر المنتظم لابن الجوزى : ٦٦/٧ و ١٥٦ ، وتاريخ ابن الوردى : ٢٩٨/١ و ٣١٠ والكامل لابن الأثير : ٢٢٩/٨ و ٢٩/٩) وللشريف الرضى مرثية فيه تأتى فى حرف اللام .

(٢) مابين الحاصرتين زيادة فى ب .

(٣) الذماء ـ بفتح الذال ، بزنة سحاب ـ بقية الروح ، وفى المثل «أطول ذماء من الضب»

٣ وأدْنى أقاصِى جاههِ لوسائلى ... وشدَّ أواخِى جُوده برَجائى (١)

٤ وعلَّمنى كيف الطلوعُ إلى العُلى ... وكيف نعيمُ المرءِ بعدَ شقاءِ

٥ وكيف أردُّ الدهر عن حَدَثانهِ ... وألقى صدورَ الخيل أىَّ لقاءِ

٦ فمَالِىَ أُغضى عن مطالبَ جمة ... وأعلم أنِّى عُرضةٌ لفَنَاءِ (٢)

٧ وأتركُ سمْرَ الخطِّ ظمْأى خَليَّةً ... وشَرُّ قَناً ما كنَّ غيرَ رِوَاءِ (٣)

٨ إذا ما جَرَرْتُ الرُّمحَ لم يَثْنِنى أبٌ ... يُليح ولا أُمٌّ تَصيح ورائى (٤)

٩ وشيَّعنى قلبٌ إذا ما أمرْتُه ... أطاع بعزمٍ لا يروغُ وراءِ (٥)

ذلك لأنه إذا قتل يبطىء تمام موته كثيراً ، ويقال : نجا فلان بذمائه ، وما بقى إلا ذماء يتردد فى خيال .

(١) الأقاصى : جمع أقصى، وهو الأكثر بعدا ، والجاه : القدر والمنزلة ، وأصله من الوجاهة عند الناس ، والوسائل : جمع وسيلة ، وهى السبب الموصل إلى مأمولك وكل ما تتقرب به إلى غيرك، والأواخى: جمع آخية وهى فى الأصل العروة تربط إلى وتد مدفون وتشد فيها الدابة ، وتطلق على السبب فيقال : لفلان أواخى وأسباب ترعى . ووقع فى ه « وشرد دانى جوده برجاء » .

(٢) أغضى : أتغافل ، وأصل الإغضاء أن تقارب بين جفنيك وتطبقهما حتى لا ترى شيئاً. وجمة : كثيرة « وأعلم » يريد وأنا أعلم ، فالواو للحال ، والمعنى : أى شىء يحملنى على أن أمسك عن كثير من مطالبى وأنا واثق من أن الموت نازل بى لا محالة .

(٣) سمر : جمع أسمر ، والخط : مرفأ للسفن بالبحرين تنسب إليه الرماح ، فيقال : رماح خطية ـ بالوصف ـ ورماح الخط ـ بالإضافة ـ لأن الخط موضع بيع الرماح، لا موضع نباتها ، وأراد بسمر الخط الرماح ، وظمأى : جمع مؤنث الظمآن ، وهو العطشان ، وأراد بظمأ الرماح أنها لا تشرب من دماء الأبطال . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح . ورواء ـ بكسر الراء ـ جمع ريان أو ريا، مثل عطشان وعطشى ، والريان ضد العطشان .

(٤) لم يثننى: لم يردنى عن قصدى ، ويليح : مضارع ألاح فلان من كذا، إذا خافه وحاذر منه ، وأصله الخوف من شىء له بريق ثم استعمل عاماً .

(٥) شيعنى : جرأنى وشجعنى . ولا يروغ : لا يحيد ولا يميل. وراء : الواو عاطفة ، والراء: الرأى ، وهو مقلوب منه .

١٠ أرى الناسَ يَهْوَوْنَ الخلاصَ من الردى وتكملة المخلوق طولُ عناءِ(١)

١١ ويستقبحونَ القتلَ والقتلُ راحةٌ وأتعبُ مَيْتٍ من يموت بداءِ

١٢ فلستُ ابنَ أمِّ الخيل إنْ لم أعُدْ بها عوابسَ تأبى الضَّيْمَ مثل إبائى(٢)

١٣ وأرْجِمَهـا مفجوعة بحُجولها إذَا انتعلَتْ من مأزقٍ بدِماءِ(٣)

١٤ إلى حيٍّ من كانَ الإمامُ عدوَّه وصبَّحه من أمره بقضاءِ

١٥ هو الليثُ لا مُسْتَنهَضٌ عن فريسةٍ ولا راجعٌ عن فرصةٍ لِحَياءِ(٤)

١٦ ولا عزمه فى فعلهِ بمذلَّل ولا مشيهُ فى فَتْكه بِضَراءِ(٥)

١٧ هو النابهُ النيرانِ فى كل ظلمةٍ ومُجْرِى دماءِ الكُومِ كلَّ مَساءِ(٦)

---

(١) يهوون : يحبون ، والردى : الهلاك ، والعناء : المشقة والتعب ، يريد أنه لا منجاة لأحد من أن يكابد متاعب الحياة ويعانى أهوالها .

(٢) ابن أم الخيل : أخاها ، وأراد به الملازم لصهواتها ، الذى لا يفتأ راكبها ، والضيم : الذلة والمهانة .

(٣) فى ه « منجوعة » مكان « مفجوعة » ، والحجول : جمع حجل ـ بكسر فسكون ـ ويطلق على البياض وعلى القيد ، والمأزق : المضيق والموضع الذى يحارب فيه الأبطال ، وجمعه مآزق.

(٤) لا مستنهض عن فريسة : أراد أنه لا يقوى أحد على أن يدفعه عن فريسته ، والفرصة ـ بضم فسكون ـ النهزة ، ويقال : انتهز فلان الفرصة ، إذا اغتنمها . والمعنى : أنه متى أمكنته الفرصة فى عدوه لم يكن ليرجع عن انتهازها لحياء أو نحوه .

(٥) بمذلل : يريد أنه ليس سهلا يمكن رده عنه ، والضراء ـ بالفتح بزنة السحاب ـ المشى فى استخفاء ، وهو أيضا الختل والخديعة . تقول : مشى فلان الضراء ، إذا مشى مستخفيا فى وسط شىء يواريه من شجر ونحوه ، ويقال : فلان يدب لفلان الضراء ، ويمشى له الخمر ، إذا كان يخدعه ويحاول ختله. يريد أنه إذا أراد أن يفتك بعدوّ له لم يستخف ولم يختل وإنما يجبهه بالفتك.

(٦) النابه النيران : الذى نيرانه عظيمة ، أو الذى نيرانه مشرفة عالية ، وكل ذلك كناية عن كرمه . والكوم ـ بضم الكاف ـ جمع كوماء أو أكوم ، والكوماء : الناقة العظيمة السنام .

١٨ ومُعْلى حنينِ القَوْسِ فى كل غارةٍ بسهمِ نِضالٍ أو بسَهمِ غَلاَءِ (١)

١٩ فَخارٌ لَوَ انَّ النَّجمَ أُعْطِىَ مثلهُ ترفَّعَ أن يَأوِى أديمَ سماءِ (٢)

٢٠ ووجهٌ لو أن البدرَ يحملُ شِبهه أضاءَ اللياليَ من سَنًا وسَناءِ (٣)

٢١ مغارسُ طالت فى رُبَا المجدِ والتقَتْ على أنبياءِ الله والخلفـــاءِ (٤)

٢٢ وكم صارخٍ ناداك لَمَّا تَلبَّبَتْ به السُّمرُ فى يومٍ بغيرِ ذُكاءِ (٥)

٢٣ رددتَ عليه النفسَ والشمسَ فانثنى بأنْعَمِ روحٍ فى أعمّ ضِياءِ (٦)

٢٤ وكم صَـدْرِ مَوْتورٍ تطلَّعَ غيظُه وقلَّبَ قولاً عن لسانِ مِراءِ (٧)

---

(١) حنين القوس : صوتها ، وفى ه « فى كل ساعة » مكان « فى كل غارة » ، وسهم غلاء ـ بفتح الغين ـ هو الذى يرتفع فى ذهابه ويجاوز المدى . والمراد أنه بعيد المرمى .

(٢) سقط هذا البيت من ه ، وترفع : وجد نفسه رفيعا ، وأصل الأديم الجلد . والمعنى : لو أن نجم السماء قد أعطى من أسباب الفخار ما قد أعطيه الممدوح لوجـد نفسه أعلى منزلة من أن يسكن السماء ولطلب لنفسه مكانا فوقها .

(٣) وقع فى ه « يحمل مثله » مكان « يحمل شبهه » وهما بمعنى واحد . والسنا ـ بالقصر ـ النور ، والسناء ـ بالمد ـ الرفعة وعلو القدر .

(٤) وقع فى ه « فالتقت » مكان « والتقت » والربا : جمع ربوة ـ بفتح فسكون ، أو بكسر فسكون ، أو بضم فسكون ـ وأصلها ما ارتفع من الأرض ، ومثلها الرابية .

(٥) صارخ : مستغيث ، وتلبيت به : وقعت فى لبته ، واللبة ـ بفتح اللام وتشديد الباء ـ النحر ، ووقع فى ه « تلبست » والسمر : الرماح ، وذكاء ـ بضم الذال ـ الشمس ، وأراد أن الشمس قد حجبها غبار الحرب المتطاير من وقع سنابك الخيل ، وذلك يكون عند اشتداد القتال.

(٦) رددت عليـه النفس : طمأنته وأذهبت خوفه ، ورددت عليه الشمس : أوضحت له السبيل بعد أن فرجت كربته وأزلت أسباب جزعه ، كناية عن ذلك ، وانثنى : رجع .

(٧) الموتور : هو من قتل له قتيل ولم يأخذ بثأره . والمراء ـ بكسر الميم بزنة الكتاب ـ الجدال والملاحة فى الخصومة .

٢٥ يغطّى على أضْغانهِ بنِفاقهِ ... كذِى العَقْرِ غطّى ظهرَه بكِفاءِ (١)

٢٦ كرَرْتَ عليه الحلم حتى قتلْتَه ... بغيرِ طعانٍ فى الوغَى ورِماءِ (٢)

٢٧ إذا حملَ الناسُ اللواءَ علامةً ... كفاكَ مُثارُ النقعِ كلَّ لواءِ (٣)

٢٨ وجيشٍ مُضِرٍّ بالفلاةِ كأنهُ ... رقابُ سُيولٍ أو مُتونُ نِهاءِ (٤)

٢٩ كأنَّ الرُّبا زرَّتْ عليهِ جيوبَها ... وردَّتهُ من بَوْغائها بردِاءِ (٥)

٣٠ وخيلٍ تَغالَى فى السُّروجِ كأنها ... صُدورُ عَوالٍ أو قِداحُ سَراءِ (٦)

---

(١) الأضغان : جمع ضغن ـ بكسر فسكون ـ وهو الحقد ، ويقال : ما زلت بفلان حتى سللت بقية ضغنه ، يراد حتى أذهبت حقده . والنفاق ـ بكسر النون ـ ستر ما يكره الناس وإظهار مايسرهم ، ويقال لمن يظهر الإيمان وهو يسر الكفر : منافق . والعقر ـ بفتح فسكون ـ الجرح . والكفاء ـ بكسر الكاف ـ السترة ، يريد أن الجريح يغطى ظاهر جسده من موضع الجرح بسترة ليخفيه .

(٢) الوغى : الحرب . والرماء ـ بكسر الراء ـ الرمى بالسهام ونحوها ، وفى المثل « قبل الرماء تملأ الكنائن » .

(٣) اللواء ـ بكسر اللام ـ العلم ، وجمعه ألوية وألويات . والنقع ـ بفتح النون ـ الغبار ، ومثاره : ما أثارته سنابك خيل المحاربين .

(٤) النهاء ـ بكسر النون ـ جمع نهى ، والنهى ـ بالفتح ، والكسر لغة أهل نجد ـ هو الغدير أو شبهه .

(٥) البوغاء : ما يثور من الغبار ودقاق التراب ، ومنه قول الشاعر :

لعمرك لولا هاشم ما تعفرت ... ببغدان فى بوغائها القدمان

والبوغاء أيضا : رائحة الطيب .

(٦) تغالى : أصله تتغالى فحذفت إحدى التاءين ، ومعناه تسرع ، تقول : تغالت الدواب ، إذا أسرعت فى السير . والسروج : جمع سرج ، بالفتح ، وأصله رحل البعير ثم غلب استعماله للخيل . والعوالى : جمع عالية ، وهى أعلى القناة أو النصف الذى يلى السنان أو مادخل تحت السنان إلى الثلث . والسراء ـ بفتح السين ـ شجر تتخذ منه القسى ، واحدته سراءة . والقداح : جمع قدح ، وهو السهم قبل أن يراش .

٣١ لها السَّبقُ فى الضمَّاتِ والسبْقُ قصدُها إذا غُطِّيت من نَقْعِها بغِطاءِ (١)

٣٢ وليسَ فتًى مَن يَدَّعى البأسَ وحدَه إذَا لم يعوِّذ بأسَه بسَخاءِ (٢)

٣٣ وما أنت بالمبخوسِ حظًّا من العلى ولا قانعاً من عيشهِ بكُفاءِ (٣)

٣٤ نصيبُك من ذَا العيدِ مثلُك وافرٌ وسعدُك فيه مؤذنٌ ببَقاءِ (٤)

٣٥ ولو كان كلٌّ آخذاً قدرَ نفسهِ لكانت لك الدنيا بغيرِ مِراءِ

---

(١) الضمات : جمع ضمة ، وهى الحلبة فى الرهان ، سميت بذلك لأنها تضم الخيل المندفعة من كل أوب ، ويقال : استبق الفرسان فى الضمة . وفى ب « والسبق وخدها » مكان « والسبق قصدها » والوخد : ضرب من السير . والنقع : الغبار .

(٢) البأس : الشدة فى الحرب . ويعوذ : أصله تعليق العوذة وهى ما يكتب ويعلق على الإنسان لدفع العين ، ويراد منه معنى يحصن ويمكن ، ووقع فى ه «يعود» بدال مهملة ـ محرفا . والسخاء : الكرم والجود .

(٣) المبخوس حظا : من قولهم « لا تبخس أخاك حقه » أى لا تنقصه ، وفى التنزيل : (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) وفيه : (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أى لا يخاف نقصا فى الثواب ولا ظلما . ووقع فى ه « المنحوس » محرفا . وقوله « ولا قانعا » جاء به منصوبا مع كونه معطوفا على «المبخوس» المجرور بالباء الزائدة فى خبر ما ، وهو عطف على الموضع ، وذلك لأن خبر ما منصوب وانجرار لفظه بالباء الزائدة لا يمنع من اعتقاد كونه منصوبا ، وعلى هذا جاء قول الشاعر وهو عقيبة الأسدى يخاطب معاوية بن أبى سفيان :

معاوى إننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

أديروها بنى حرب عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيدا

والكفاء ـ أرجح محامله عندنا أن يكون بضم الكاف جمع كفية ، بالضم ، وهى القوت ، ويكون ممدودا من المقصور . وتقول : قنع فلان بالكفية ، إذا اقتنع بالقوت وأيسر الزاد ، ومنه قول الشاعر وأنشده ثعلب :

ومُخْتبِطٍ لم يَلْقَ من دوننا كُفًى وذاتِ رضيعٍ لم يُنِمْها رضيعُها

(٤) وقع فى ه «نصيبك من ذا العود» محرفا . ويجوز فى «مثلك» الرفع على أن يكون خبرا ويكون «وافر» خبرا ثانيا ، والنصب على أن يكون حالا من الضمير المستتر فى وافر ويكون وافر هو الخبر وحده .

٣٦ وما هـذه الأعيادُ إلا كواكبٌ تَغورُ وتُولينا قليـلَ ثَواءِ(١)
٣٧ فخذ من سرورٍ ما استطعتَ وفُزْ به فللناسِ قسْمًا شـدة ورخاءِ(٢)
٣٨ وبادِرْ إلى اللذات فالدهرُ مُولَعٌ بتقْويضِ عزٍّ واصطلامِ عَلاءِ(٣)
٣٩ أُبُثُّـك من وُدى بغـير تـكلُّفٍ وأُرضيكَ من نصحى بغير رِياءِ
٤٠ وأذْكرُ ما أوْليتنى من صنيعةٍ وأُعطيكَ رهْنَىْ طاعةٍ ووفاءِ(٤)
٤١ أعِنِّى على دهرٍ رمانِى بصَرْفه وردَّ عِنانِى وهْوَ فى الغُلواءِ(٥)
٤٢ وحَلِّأْنِى عمن أعُدَّ بعادَهُ سَقامِى ومَن قُرْبى إليه شِفائِى(٦)

---

(١) تغور : تغرب ، والثواء ـ بفتح الثاء ـ الإقامة ، تقول : ثوى فلان بالمكان يثوى ثواء ، إذا أردت أنه أقام فيه. يريد أن هذه الأعياد تجىء ثم تذهب بعد أن تقيم بيننا زمنا يسيرا.

(٢) القسم ـ بكسر فسكون ـ النصيب، وأصله النصيب من الخير خاصة، والرخاء: لين العيش.

(٣) مولع ـ بفتح اللام ـ مغرم ، وتقويض العز : هدمه ، وأصله تقويض البناء بمعنى نقضه وهدمه ونزع أعواده وأطنابه ، ووقع فى ب « بتنغيص عيش » . والاصطلام : الاستئصال ، تقول : اصطلم الدهر القوم ، إذا أفناهم ولم يبق منهم أحـدا . والعلاء ـ بفتح العين ـ الفرد والرفعة والشرف .

(٤) وقع فى ب « فأصفيك رهنى طاعة ووفاء » ووقع فى ه «وأعطيك رهنى طاعتى ووفاء » وأوليتنى : معناه أعطيتنى . والصنيعة : الإحسان ، وجمعه صنائع ، وفى الحديث « صنائع المعروف تقى مصارع السوء »

(٥) صرف الدهر ـ بفتح الصاد وسكون الراء ـ حدثانه ونوائبه . والغلواء ـ بضم الغين وفتح اللام ـ هو هنا أول الشباب ونشاطه وسرعته ، يقال : فعل فلان ذلك الأمر فى غلواء شبابه.

(٦) حلأنى ـ بالحاء المهملة ـ حبسنى ومنعنى وصدنى ، وأصله قولهم « حلأه عن الماء تحليئاً وتحلئة » إذا طرده ومنعه عن وروده . وفى الحديث « يرد على يوم القيامة رهط فيحلئون عن الحوض » أى يصدون ويمنعون ، وقال امرؤ القيس بن حجر :

* كمشى أتان حلئت عن مناهل *

ووقع فى ب «وخلأنى» بالخاء معجمة ـ ووقع فى ه «وجلأنى» بالجيم ـ وكلاهما تحريف ما أثبتناه.

٤٣ فقدْتُ وفى فقدِ الأحبةِ غُرْبةٌ ... وهِجْرانُ من أحببْتُ أعظم داءِ (١)

٤٤ فلا تَطمعَنْ يا دهرُ فِىَّ فإنَّه ... مَلاذِىَ مما راعنى ووِقَائِى (٢)

٤٥ أرُدُّ به أيْدِى الأعادى وأتَّقِى ... نوافذَ شَتَّى من أذًى وبلاءِ (٣)

٤٦ أَلَذُّ بقلبى من مُنايَ تَقَنُّعى ... وأحسنُ عندى من غِنايَ غَنائِى (٤)

٤٧ ومَن كان ذا نفْسٍ تُطيع قنوعَةٍ ... رَضَى بقليلٍ من كثير ثَرَاءِ (٥)

---

(١) فقدت : أراد فقدت أحبائى ، فحذف المفعول به ، ومن فقد الأحباب وبقى فى زمرة من أعدائه فإنه يعيش عيش الغريب ، ومن كان بين أحبائه وهم لا يبادلونه الود فانه يعيش فى أسوأ حال .

(٢) ملاذى : الذى ألوذ به وألجأ إليه وأعتصم به عند المخافة من حوادث الدهر . وراعنى : أخافنى وأفزعنى . ووقائى ـ بكسر الواو و بفتحها ـ الذى يحفظنى من النوائب ويحول بينها وبين النزول بى .

(٣) أيدى الأعادى : سكن الياء من « أيدى » وحقها الفتح كما هو اللغة الفصحى ، وقد ورد لهذا نظائر فى شعر العرب ، فمن ذلك قول حندج بن حندج المرى :

ما أقْدَرَ الله أن يُدْنِى على شحط ... مَنْ دارُه الحَزْنُ ممن داره صُولُ

ومن ذلك قول عامر بن الطفيل العامرى الجعدى :

فما سَوَّدتنى عامر عن وِرَاثَةٍ ... أبى الله أن أسْمُو بأم ولا أب

ونوافذ : جمع نافذة ، من قولهم « نفذ السهم فى الرمية ، ونفذ منها ، ونفذها » إذا خالط جوفها وخرج طرفه من الشق الآخر ولا يزال سائره فيها . وشتى : كثيرة على ضروب وأنواع .

(٤) وقع فى ه « من منامى » محرفا . وتقنعى : قناعتى واكتفائى بالقليل ، وأصله تصنع القناعة . والغناء ـ بفتح الغين المعجمة ـ الاكتفاء والسلامة .

(٥) رضى : أصله بكسر الضاد وفتح الياء ، فقلب الكسرة فتحة والياء ألفاً ، وهذه لغة طيء ، يقولون : بقى ، وفنى ، ورضى ، وغنى ، بفتح وسط هذه الأفعال ، و بقلب يائهن ألفاً ، قال ابن منظور فى اللسان (ب ق ى) : « وطيء تقول : بقى ، و بقت ، مكان بقى و بقيت ، وكذلك أخواتها من المعتل ، قال البولانى :

٤٨ حَدَوْا بالمطايا يوم جالت غُرُوضُها ... ويوم اتَّقَتْ ركبانها برُغاء(١)

٤٩ تَؤُمُّك لا تلوى على كلِّ رَوْضةٍ ... يصيح بها حَوْذانها وإضاء(٢)

٥٠ ولا تشربُ الأمْواهَ إلا تَعِلَّةً ... إذا عَثرت أخفافهُنَّ بماء(٣)

٥١ لها سائقٌ يطْغَى عليها بسَوْطه ... ويَشْدُو على آثارها بحُدَاء(٤)

نَسْتَوْقِدُ النَّبْلَ بِالحَضِيضِ ونَصْ ... طَادُ نُفُوساً بُنَتْ عَلَى الكَرَمِ

أى بنيت» اهـ كلامه . والبولانى : نسبة إلى بولان ـ بفتح الباء وسكون الواو ـ بطن من طيء . والثراء ـ بفتح الثاء المثلثة ـ الغنى ، وإضافة كثير إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف .

(١) حدوا بالمطايا : ساقوها ، وأصل الحداء ـ بضم الحاء ـ الغناء أمام الإبل لتسير سيراً ليناً ، قال الراجز :

فَغَنِّها وهْيَ لك الفِداء ... إنَّ غناء الإبل الحُدَاء

وجالت: تحركت واضطربت . والغروض: جمع غرض ـ بفتح فسكون ـ وهو لرحل البعير كالحزام لسرج الفرس ، وإنما تجول الغروض وقت الشدة، فذلك كناية عنها . والرغاء ـ بضم الراء ـ صوت ذوات الخف كالإبل ، وفى أمثالهم « كفى برغائها مناديا » يعنون أن رغاء الناقة يقوم مقام النداء فى التعرض للضيافة والقرى .

(٢) تؤمك : تقصدك . وتقول : مر فلان لا يلوى على أحد ، تريد أنه لا يقف ولا ينتظر . والحوذان ـ بفتح الحاء وسكون الواو ـ نبات سهلى طيب الطعم يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء فى أصلها صفرة وورقته مدورة ، والواحدة منه حوذانة . ويصيح : يطول ويرتفع ، تقول: بأرض بنى فلان شجر قد صاح ، تريد أنه قد طال، وتقول : صاح العنقود، إذا استتم خروجه من أكمامه وطال وهو غض . والإضاء ـ بكسر الهمزة ـ الأجمات، والواحدة إضاءة ، وهو عطف على روضة.

(٣) الأمواه : جمع ماء . والتعلة ـ بفتح التاء وكسر العين ـ الشيء يتعلل به عن غيره ويجتزأ به عما عداه ويتشاغل به .

(٤) فى هـ « ولا سائق » محرفا ، وفيها « ويمضى على آثارها » مكان «ويشدو على آثارها» ومعنى « يطغى عليها بسوطه » أنه يجور عليها بالضرب والسوق ، والمراد أنه يسوقها سوقا عنيفا ، ومن عادتهم إذا أرادوا أن يخبروا عن متابعة الإبل السير أن يصفوا سائقها بالعنف وعدم الشفقة عليها ، قال الراجز :

* قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاق حُطَمْ *

٥٢ غُلامٌ كأشْلاء اللِّجام تجيزه ... صدورُ القنا والبيضُ كلَّ فضاء[١]

٥٣ إذا بلَغَتْ ناديكَ نالَ رفاقُها ... عريضَ عَطاءٍ من طويل ثَناء[٢]

٥٤ ومِثْلُك مَن يُعْشَى إلى ضوْءِ ناره ... وَيُلْفَى حباهُ عندَ كلِّ خِباء[٣]

٥٥ وما كلُّ فُعَّال النَّدى بمَشَابِهٍ ... ولا كلُّ طُلَّاب العُلى بسَوَاء[٤]

* * *

(١) الأشلاء : جمع شلو ، بكسر فسكون ، وأشلاء اللجام : سيوره ، وقيل : ما تقادم منها خاصة ، وتشبيه السائق بأشلاء اللجام لدقته وهزاله وخفة لحمه ، قال كثير عزة :

رَأَتْنِي كأشْلاءِ اللجامِ ، وبَعْلُهَا ... مِنَ المَلْءِ أبْزَى عاجِنٌ مُتَمَاطِنُ

وأنشد ابن برى :

رَمَى الإدْلاجُ أيْسَرَ مِرْفَقَيْهَا ... بِأشْعَثَ مِثْلِ أشْلاءِ اللِّجَامِ

وتجيزه الفضاء : معناه تجعله يجوزه ويسلكه دون أن يمنعه مانع . والبيض : السيوف ، واحدها أبيض .

(٢) « من » فى قوله « من طويل ثناء » معناها العوض ، يعنى أنهم يثنون عليه ثناء كثيراً فيأخذون عوض ذلك الثناء العطاء الوافر ، يريد أن الممدوح عظيم الصفات بحيث يجد مادحه مكان القول ذا سعة ، وأنه كريم جواد عظيم العطاء . ونال ـ على هذا ـ بمعنى أخذ .

(٣) « يعشى إلى ضوء ناره » من قولهم « عشا فلان النار ، وعشا إليها » إذا رآها ليلا من بعيد فقصدها مستضيئا يرجو هدى أو قرى . وقالوا « عشا فلان فلانا » إذا قصده ، و « عشا فلان إلى فلان » إذا طلب فضله . ويلفى ـ بالبناء للمجهول ـ يوجد ، وحباه ـ بكسر الحاء مقصوراً من ممدود ـ عطاؤه ، ووقع فى ه « خباه » محرفا ، ووقع فى ب « قراه » والقرى ـ بكسر القاف ـ ما يقدم للضيف من طعام ونحوه ، والخباء ـ بكسر الخاء ـ البيت من وبر أو صوف يكون على عمودين أو ثلاثة ، فإذا زاد على ذلك قيل له بيت ، والمراد أنه يعم الناس بالعطاء فلا يكون بيت إلا وفيه من نواله شيء .

(٤) فعال : جمع فاعل . والندى : الكرم ، ومشابه : جمع شبه على غير قياس ، والشبه ـ بفتحتين أو بكسر فسكون ـ النظير والمثل ، ووقع فى ب « بشبائه » وكأنه جمع شبيه ، وشبيه

٢ — وقال يمدح بهاء الدولة الديلمىّ (١) [ويهنئه (٢) بشهر رمضان سنة (٣٨١) إحدى وثمانين وثلثمائة] (٣) [من الوافر] .

١ بهاء المُلْك من هـذا البهاء ... وضوء المجد من هـذا الضِّياء (٤)

٢ وما يَعْلو على قُلَل المعالى ... أحقُّ من المُعرَّق فى العَلاء (٥)

٣ وما تَعْنُو الرُّعاة لذى حُسام ... إذا ما لم يكن راعى رِعاء (٦)

الشىء : نظيره ومثيله ، ولم أجد فى معاجم اللغة جمع شبيه على شبائه وإن كان القياس لا يأباه . وطلاب : جمع طالب ، وسواء : معناه متساوون .

(١) كلمة « الديلمى » ساقطة من ب .

(٢) هذه الزيادة غير موجودة فى ه .

(٣) بهاء الدولة : أحد بنى بويه ، واسمه فيروز ، وكنيته أبو نصر ، قال عنه ابن الجوزى فى المنتظم (٧/٢٦٤) : «هو الذى قبض على الطائع ، جمع من الأموال مالم يجمعه أحد من بنى بويه ، وكان يبخل بالدرهم الواحد ، ويؤثر المصادرات ، وتوفى بأرجان فى جمادى الآخرة من سنة ثلاث وأربعمائة ، وكانت إمارته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أيام ، وعمره اثنتين وأربعين سنة وستة أشهر (وفى نسخة وتسعة أشهر) وعشرين يوما ، وكان مرضه الصرع ، وحمل إلى الكوفة فدفن بالمشهد » اهـ .

(٤) بهاء الملك : رونقه ورفعة شأنه وسمو قدره ، ووقع فى ه « بهاء المجد » وضوء المجد : ظهوره ووضوح معالمه ، وأصل الضوء والضياء النور ، يريد أن ما يرى فى الملك من جلال وعزة وما يظهر من معالم المجد فهو مستمد من جلال الممدوح وعزته .

(٥) القلل : جمع قلة — بضم القاف — وهى فى الأصل أعلى الجبل وقمته أو أعلى كل شىء ويقال : قلة ، وقنة — بالضم فيهما — وقمة — بالكسر — والمعرق — بتشديد الراء مكسورة — أصله من قولهم « عرق الشجر » بتشديد الراء — إذا امتدت عروقه فى الأرض ، ويقال أيضا : أعرق فلان ، إذا صار عريقا فى الكرم . والعلاء — بالفتح — الرفعة .

(٦) فى ب « ولا تعنو الرعاة » وتعنو : تخضع وتذل وتنقاد . والرعاة : جمع راع ، وأصله الذى يقوم على حفظ الشىء ، ويراد منه الملك لأنه يقوم على حفظ أمته . والحسام : السيف القاطع الذى يحسم الخلاف ، أى يقطعه . يريد أنه لا تنقاد ملوك الأمم لبطل من الأبطال إلا أن يكون ملك ملوك .

٤ وما انتظمَ المالِكَ مِثلُ ماضٍ يتمُّ له القضاءُ على القضاءِ(١)

٥ إذا ابتدر الرِّهانَ مُبادِرُوه تمطَّر دونهُمْ يوم الجِراءِ(٢)

٦ وإن طُلِبَ الندى خَرَجَتْ يداهُ خُرُوجَ الوَدْقِ من خِلَلِ الغَماءِ(٣)

٧ حَذارِ إذا تلفَّع ثوبَ نَقْعٍ حَـــذارِ إذا تعمَّمَ باللِّواءِ(٤)

٨ حَذارِ مِنِ ابنِ غَيْطلَةٍ مُدِلٍّ يسُدُّ مَطالعَ البيدِ القَواءِ(٥)

---

(١) ماض : نافذ ، يصح أن يراد به رجل ماض فيما يريد من أمر لا يتلكأ فيه ولا يتريث ، وأن يراد به السيف النافذ فى ضريبته ، والقضاء الأول بمعنى الحكم ، والقضاء الثانى بمعنى المقادير ، يريد أنه نافذ الأمر لا يتعلل بالمقادير ولا ينتظر وقوع الأحداث فكأن مايجرى بتدبيره وما يوفق إليه من غلبة وقهر لأعدائه جار بحكمه ومضاء رأيه .

(٢) ابتدر : استبق ، وفى شعر الحماسة :

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا

وتمطر ـ بتشديد الطاء المهملة ـ ذهب ، من قولهم « تمطر الرجل فى الأرض » إذا ذهب فيها . والجراء ـ بكسر الجيم وبالراء المهملة ـ مصدر « جارى الرجل أخاه يجاريه مجاراة وجراء » إذا جرى معه وعدا ، ووقع فى ب « يوم الجزاء » بالزاى ـ محرفا . يريد أنه إذا استبق الناس إلى غاية فى المجد ونحوه كان الممدوح وحده هو الذى يذهب نحوها ويصل إليها فى اليوم الذى يتجارون فيه .

(٣) الودق ـ بفتح فسكون ـ المطر . والغماء ـ بكسر الغين ـ السحاب . وأصله قولهم « غمى اليوم ـ بالبناء للمجهول ـ غمى ـ بزنة رضى ـ إذا دام غيمه فلم ير فيه شمس ، وهو ناظر فى هذا التشبيه إلى قوله تعالى : « فترى الودق يخرج من خلاله » وقد يكون الغماء السماء على أنه مستعار من الغماء بمعنى سقف البيت .

(٤) تلفع : أراد لبس ، والنقع : الغبار ، وإنما يلبس ثوبا من تراب إذا اقتحم حومة الحرب فجال فيها وصال ، ووقع فى ه « تدرع ثوب نقع » أى اتخذه درعا أو مدرعة . يقول : احذروه وخافوا سطوته إذا اقتحم نيران الهيجاء فانه حينئذ لا يطاق صولة وبأسا .

(٥) الغيطلة : الحرب ، أو كثرة الأصوات فيها أو غبارها ، وأراد من أنه ابنها أنه ملازم لها لايفارقها . ووقع فى ه «عيطلة» بعين مهملة ـ محرفا ، ومدل : اسم فاعل فعله « أدل فلان » إذا كان واثقا من نفسه ومن عدته . والبيد : جمع بيداء وهى الصحراء الواسعة سميت بذلك

٩ إذا ألْقَى على أهْواتِ ثغرٍ يَدَىْ غضبانَ مَرْهوبِ الرِّواء(١)

١٠ تَمُرُّ قعاقعُ الرَّزَّين منه كمَعْمَعَةِ اللَّهيب من الأَبَاء(٢)

١١ ومِطْراق على اللَّحَظات صِلٍّ مريض النَّاظِرَيْن من الحياء(٣)

١٢ تنكَّسَ كالأَمِيمِ فإن تسامَى مضَى كالسَّهْمِ شذَّ عن الرِّماء(٤)

١٣ وما يُنْجِى اللَّديغَ به تَدَاوٍ وقد أمْسَى بداء أىِّ داء(٥)

لأن سالكها يبيد فيها أى يهلك . ومطالعها : أراد به مسالكها. والقواء ـ بفتح القاف ـ القفر الخالية من الأنيس .

(١) الأهوات : جمع هوتة ـ بفتح الهاء أو ضمها ـ وهى الطريق المنحدر إلى الماء وما انخفض من الأرض ، وقيل لأم هشام البلوية : أين منزلك ؟ فقالت : بهاتا الهوتة ، فقيل : وما الهوتة ؟ قالت : بهاتا الوكرة ، فقيل : وما الوكرة ؟ فقالت : بهاتا الصداد ، فقيل : وما الصداد ؟ فقالت : بهاتا الموردة . قال ابن الاعرابى : وهذا كله الطريق المنحدر إلى الماء . وروى عن عثمان أنه قال : وددت أن بيننا و بين العدو هوتة لايدرك قعرها إلى يوم القيامة، ووقع فى ب «لهوات» ولئن صح فهو على التشبيه. والثغر : موضع المخافة على البلاد من جهة عدوها . والرواء ـ بضم الراء ـ المنظر ، ووقع فى ه « الرداء » محرفا .

(٢) القعاقع : جمع قعقعة ، وهى صوت السلاح ، وأصلها صوت الرعد فى شدة . والمعمعة : صوت الحريق. والأباء ـ بفتح الهمزة ـ القصب، وقد أخذ هذا من قول كعب بن مالك الأنصارى:

من سره ضرب يمعمع بعضه بعضا كمعمعة الأباء المحرق

فليأت مأسدة تسن سيوفها بين المزاد و بين جزع الخندق

(٣) الصل ـ بكسر الصاد ـ الحية ، أو الداهية ، أو السيف القاطع . ووقع فى ه « على اللهوات » مكان «على اللاحظات» واللهوات: جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى الفم.

(٤) الأميم : المأموم ، وهو الذى شج شجة وصلت إلى أم الدماغ، وهذه الشجة تسمى الآمة. والرماء ـ بكسر الراء ـ مصدر رامى الرجل الرجل إذا رمى أحدهما الآخر .

(٥) اللديغ : أصله الذى لدغته الأفعى أو العقرب ، وأراد من يصيبه المكروه من جهة الممدوح الذى عبر عنه بأنه صل . و «أى داء» صفة لداء الذى قبله، ويراد به تعظيم شأن الموصوف وأنه لا يقدر قدره .

١٤ ولا قُضُبُ الرِّجال الصِّيد فضلًا عن الأصواتِ من حَلْيِ النِّساء[١]

١٥ ويومٍ وغًى على الأعداء هَوْلٍ تُمازُ به السَّراع من البِطاء[٢]

١٦ رميتَ فُرُوجه حتى تفرَّى بأيْدى الْجُرْدِ والأسَل الظِماء[٣]

---

(١) القضب ـ بضمتين ـ جمع قضيب ، وهو هنا اللطيف من السيوف ، قال جار الله فى الأساس « وسيف قضيب : دقيق ليس بصفيحة » وهو أيضاً : السيف القطاع مأخوذ من القضب بمعنى القطع ، فعيل بمعنى فاعل ، والصيد ـ بكسر الصاد ـ جمع أصيد ، وهو الرجل الذى يرفع رأسه كبرا ، وهو أيضا الملك لأنه لايلتفت من زهوه يمينا أو شمالا ، وأشار بقوله « فضلا عن الأصوات من حلى النساء » إلى ماحكاه النابغة الذبيانى من عادة العرب فى معالجة اللديغ ، إذ كانوا يلبسونه الحلى ليقعقع فى يديه فيمنعه النوم مخافة أن يسرى سم الأفعى فيه إذا نام ، وذلك قول النابغة :

وعيد أبى قابوس فى غير كنهه أتانى ودونى راكس فالضواجع

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

يسهد من ليل التمام سليمها لحلى النساء فى يديه قعاقع

ومعنى بيت الشريف : إنه لاينجى من يصاب بمكروه من جهة الممدوح سيوف أبطال الرجال ولو كانوا من الملوك ، فضلا عن الأصوات المنبعثة من حلى النساء الذى يلبسه اللديغ . ووقع فى ه « فضلا عن الأموات » .

(٢) الوغى : الحرب . والهول ـ بفتح فسكون ـ أصله مصدر هاله الأمر يهوله بمعنى أفزعه وعظم عليه وخاف ما يهجم عليه منه ، ثم وصف به كما يوصف بالمصدر فى قولهم : رجل عدل ، ورجل رضا ، وما أشبه ذلك . وتمّاز به : أى يظهر الفرق بسببه . والسراع : جمع سريع ، والبطاء : جمع بطىء .

(٣) فروجه : جمع فرج ، وهو الثغر وموضع المخافة ، وقالوا : فلان يسد به الفرج ، وقالوا : الريح تعصف بين فروج الجبال . وتفرى : تشقق ، ووقع فى ه « تقوى » محرفا . والجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير شعر الجلد ، وذلك من الأوصاف المحمودة فى الخيل . والأسل : الرماح ، ويقال : جمع فلان بين اليراع والأسل ، يراد أنه جمع بين القلم والرمح ، والظماء ـ بكسر الظاء ـ العطاش ، وواحد الظماء ظمآن أو ظمأى .

١٧ فَمِنْ غُلْبٍ كأنَّهُمُ أسودٌ على قُبٍّ ضَوَامِرَ كالظِّباءِ[١]

١٨ ومن بيضٍ كأنَّ مجرِّدِيهَا يُمِرُّون الأكُفَّ على الأضاءِ[٢]

١٩ نواحِلَ لم يَدَعْ ضَرْبُ الهوادى بها أبداً مكاناً للجِلاءِ[٣]

---

(١) غلب : جمع أغلب ، وهو الرجل العزيز الممتنع بعزه . والقب : جمع أقب أو قباء ، والأقب من الخيل: الدقيق الخصر الضامر البطن ، وهو من أوصاف الخيل الممدوحة. والضوامر : جمع ضامر ، وهو الذى لحق بطنه بظهره ، وتضمير الخيل : أن تربط ويكثر لها من العلف والماء حتى تسمن ، ثم يقلل ماؤها وعلفها مدة ، ثم تركض فى الميدان حتى تهزل ، ومدة التضمير عند العرب أربعون يوما .

(٢) بيض : جمع أبيض ، وأراد به السيف ، ومجرديها : جمع مجرد ، وهو الذى يخرج السيف من قرابه . والأضاء ـ بفتح الهمزة ـ جمع أضاة ، وهى الغدير ، وأصله مقصور فمده . ومن عادتهم أن يشبهوا رونق السيف بالماء ، ومن ذلك قول أبى الطيب المتنبى يصف سيفا من قصيدة يمدح فيها أبا بكر على بن صالح :

كفِرِنْدِى فِرِنْدُ سيفِى الْجُرَازِ لذة العين عـدَّة للبراز

تحسَبُ المـاء خط فى لهب النا ر أدقَّ الخطوطِ فى الأحراز

وقد أخذ هذا المعنى أبو العلاء المعرى فقال يصف سيفا من قصيدة على مذهب المديح :

مُقيم النصل فى طرفَىْ نقيضٍ يكون تبايُنٌ منـه اشْتِـكَالَا

تبيَّنُ فوقه ضَحْضَاح ماء وتُبصر فيـه للنـار اشتعالا

إذا بصر الأمـيرُ وقد نَضَاه بأعلى الجوِّ ظن عليـه آلَا

ومن ذلك قول محمد بن الحسين :

ماضٍ تَرَى فى مَتْنه ماء بنـار مُخْتلط

ومثله لأبى المعتصم :

كأنه فى طَبْعِهِ واللون ماء ولَظَى

(٣) نواحل : جمع ناحل ، وهو الهزيل الذى تعرق لحمه الضنى . والهوادى : جمع هادية وهى العنق ، والجلاء : الصقل . وصف سيوف الممدوح بأن كثرة ضربها للأعناق قد

٢٠ ومن هاوٍ ترَنَّح فى العوالى وعارٍ قد أقام على العَرَاء[١]

٢١ وآخرَ مال كالنَّشْوان مالَتْ بهامتِه شآبيبُ الطِّلاء[٢]

٢٢ وعُدْتَ وقد خبأْتَ الحربَ عنه إلى سِلْمِ الرَّغائبِ والعَطَاء[٣]

٢٣ فيَوْمٌ للمَكارم والعَطَايا ويومٌ للحَمِيَّةِ والإباء[٤]

أخذ منها حتى لم يبق من معدنها مكان لو أريد صقلها اتسع له . ووصف السيوف بالنحول شائع فى كلامهم ، ومن ذلك قول أبى العلاء المعرى وهو معاصر الشريف :

فإن عَشِقتْ صوارمُك الهَوَادِى فلا عدمت بمَنْ تَهْوَى اتِّصالا

ولولا ما بِسَيْفك من نُحولٍ لقُلْنا أظهرَ الكَمَد انتِحالا

(١) هاو : اسم الفاعل من هوى يهوى - بوزان رمى يرمى - إذا سقط من أعلى إلى أسفل . وترنح : مال كما يميل النشوان . والعوالى : جمع عالية ، وهى أعلى القناة أو النصف الذى يلى السنان ، وأراد بالهاوى الموصوف بما ذكر الرمح . والعارى : اسم الفاعل من العرى وهو المتجرد من اللباس ، ويجوز أن يكون المقصود به السيف المجرد من غمده ، وأن يكون المقصود به الفرس الذى خلع عنه السرج ، ولهم عادة أن يركبوا - عند الروع والفزع - الخيول غير مسرجة ، والأول أشبه .

(٢) النشوان : السكران ، والأنثى نشوى ، والجمع نشاوى . والهامة هنا : الرأس . ووقع فى ه « سالت بهامته » محرفا . والشآبيب : جمع شؤبوب ، وأصله الدفعة من المطر . والطلاء - بكسر الطاء - الخمر .

(٣) الرغائب : جمع رغيبة ، وهى كل ما يرغب فيه ، ويقال : فلان وهوب للرغائب ، أى أنه يعطى نفائس الأموال التى ترغب النفوس فيها، وقال أبو الطيب المتنبى :

فتًى علَّمته نفسُه وجُدودُه قِراعَ العَوَالى وابتذالَ الرغائب

(٤) فى ه « للمكارم والعوالى » وما أثبتناه أنسب ، وهو موافق لما فى ا ، ب . والحمية : الأنفة وذلك لأنها سبب للحماية ، وفى التنزيل : « إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية » ويراد من الحمية النخوة والمروءة والمحافظة على المحارم . والإباء - بكسر الهمزة - أراد به الامتناع بالعز والغلبة عن قبول الضيم .

٢٤ تَقُودُ الخيلَ أرشَقَ مِنْ قَناها شَوَازِبَ كالقِدَاحِ من السَّراءِ(١)

٢٥ بغاراتٍ كوَلْغِ الذئب تَتْرَى على الأعداء بيِّنَةَ العِـــداءِ(٢)

٢٦ عَزَائمُ كالرِّياح مَرَرْنَ رَهْواً على الأقطار من دانٍ وناءِ(٣)

٢٧ وقلبٌ كالشّجاع يَسُورُ عَزْماً ويَجْذب بالعلا جَذْبَ الرِّشَاءِ(٤)

٢٨ وكَفٌّ كالغَمـام يَفِيضُ حتى يَعمَّ الأرضَ من كَلَإٍ وماءِ(٥)

٢٩ ووَجْهٌ ماج ماءُ الحسنِ فيـه ولاحَ عَلَيـه عُنْوان الوضاءِ(٦)

---

(١) فى ه « أشرق من قناها » محرفا عما أثبتناه عن ا ، ب . والشوازب : جمع شازب ، وهو من الخيل اليابس الضامر . والقداح : جمع قدح ـ بالكسر ـ وهو السهم قبل أن يراش . والسراء ـ بفتح السين ـ شجر تتخذ منه القسى .

(٢) الغارات : جمع غارة ، والغارة فى الأصـل اسم للخيل المسرعة ، ثم نقلت اسما للاغارة على الأعداء لأنها إنما تكون على الخيل . وولغ الذئب : شربه بلسانه ، يريد أنها خفية ، وقال الأزدى اللص :

بغَزْوٍ مثلِ وَلْغ الذئب حتَّى يَثُوبَ بصاحبى ثأر مُنِيمُ

(٣) فى ه « عزائم كالرماح » محرفا عما أثبتناه عن ا ، ب . ورهوا : سريعـة متتابعة . ودان : أى قريب . وناء : بعيد ، وأراد أن يعم الأقطار .

(٤) الشجاع : الحية أو الأسد . ويسور : يثب مثل يثور . والرشاء ـ بكسر الراء ـ الحبل يجذب به الدلو .

(٥) أراد من الغمام هنا المطر لأنه يعقبه ، وكذلك يصنع الشعراء ، قال :

فنَوالُ الأمير بَدْرَةُ عينٍ ونوالُ الغمام قطرةُ ماء

والكلأ ـ بفتح الكاف واللام ـ العشب ، وقيل : الكلأ خاص بما لا ساق له من العشب .

(٦) ماج فيه : أراد ملأه . ولاح : ظهر . والوضاء ـ بكسر الواو ـ المغالبة فى الحسن ، وكأنه واضأ ذوى الحسن فوضأهم : أى غالبهم وفاخرهم فى الحسن فغلبهم وظهر عليهم .

٣٠ يُشارك فى السَّنى قمرَ الدَّياجى ... ويفضُلُه بزائدة السَّناءِ (١)

٣١ ومُعْتَلِج الجَلال نزَعْتَ عنه ... على عَجَلٍ رِداء الكِبْرياءِ (٢)

٣٢ فأصبحَ خارجًا من كل عِزٍّ ... خروجَ العُودِ بُزَّ من اللِّحاءِ (٣)

٣٣ وحُزْتَ جِمَامَ نعمته وكانت ... غِمَاراً لا تُكَدَّر بالدِّلاءِ (٤)

٣٤ برأىٍ ثقَّفَ الإقْبالُ منه ... فأقْدَم كالسِّنان إلى اللقاءِ (٥)

٣٥ إذا أشِرَ القريبُ عليك فاقْطَعْ ... بحدِّ السيف قُرْبَى الأقرباءِ (٦)

٣٦ وكُنْ إن عَقَّك القُرَباء ممَّنْ ... يميلُ على الأخُوَّة للإخاءِ (٧)

٣٧ فربَّ أخ خليقٌ بالتَّقالى ... ومُغْتربٍ جديرٌ بالصَّفاءِ (٨)

---

(١) السنى : الضوء ، والدياجى : جمع ديجاة فى التقدير وإن لم تكن مستعملة . وهى هنا حنادس الليل وشدة ظلمه . والسناء ـ ممدودا ـ رفعة القدر وعلو المنزلة.

(٢) معتلج الجلال : أراد به مدعى الجلال ومتكلفه .

(٣) فى ه « فأصبح خاليا » وهو تحريف ما أثبتناه ويؤيده عجز البيت . وبز : قشر وجرد . واللحاء ـ بكسر اللام ـ قشر الشجر ، وفى المثل « لاتدخل بين العصا ولحائها » .

(٤) الجمام ـ بكسر الجيم ـ جمع جم ، وهو الكثير من كل شىء . والغمار ـ بكسر الغين ـ جمع غمر ، وهو الماء الكثير أو معظم البحر ، والدلاء : جمع دلو . أراد أنه سلب عدوه جميع نعمته وكانت كثيرة لا ينقصها الأخذ منها .

(٥) ثقف : هذب. وأراد ههنا معنى المساعدة والمعونة ، والإقبال : إقبال الدهر ومواتاته بما يريد . والمعنى أنه قهر أعداءه برأيه السديد الذى يعاونه إقبال الدهر ، وهيبات لمن جاد رأيه وأقبلت أيامه أن يقهره قاهر .

(٦) أشر أشرا ـ من باب فرح فرحا ـ كفر النعمة و بطرها وجحدها .

(٧) تقول : عق الولد أباه عقوقا ومعقة ، إذا عصاه وترك الشفقة عليه والإحسان إليه واستخف بحقه . وكأنه أراد من الأخوة الاجتماع فى النسب ، ومن الإخاء الصداقة . بدليل مابعده .

(٨) خليق ومثله جدير : معناهما حقيق . والتقالى : البغض ، ومعنى البيت مأخوذ من قولهم: رب أخ لك لم تلده أمك .

٣٨ ولا تُدْنِ الحسودَ فذاك عُرٌّ ... مَضِيضٌ لا يُعالَجُ بالْهِنَاءِ (١)

٣٩ كفاكَ نَوَائبَ الأيَّام كاف ... طريرُ العزمِ مشحوذُ المَضَاءِ (٢)

٤٠ أمينُ الغَيْبِ لا يُوكى حَشاه ... لِآمِنِهِ على الدّاءِ العَيَاءِ (٣)

٤١ إذا عَلِقَتْ يداكَ به حِفَاظًا ... ملأتَ يديكَ من كَنْزِ الْغَنَاءِ (٤)

٤٢ يُعاطيك الصوابَ بلا نِفَاقٍ ... ويَمْحَضُكَ السَّداد بلا رِياء

٤٣ جَرِىءٌ يوم تبعثه لحَرْبٍ ... وقورٌ حين تَبْحَثُه لِرَاء (٥)

٤٤ إذا كان الكفاة لذا عبيداً ... فذا كافى الكُفَاةِ بلا مِرَاء

* * *

٤٥ بَهَاءَ الدَّولةِ المنصورَ إنّى ... دعوْتُك بعد لأْىٍ مِن دُعائى (٦)

٤٦ وكنت أظن أن غِناكَ يَسْرى ... إلىَّ بما تبيَّنَ من غَنَائِى (٧)

٤٧ فَلِمْ أنا كالغريب وراءَ قومٍ ... لو اخْتُبِرُوا لقد كانوا وَرَائِى ؟

٤٨ بعيدٌ عن حِمَاكَ ولى حقوق ... قَوَاضٍ أن يطول به ثَوَائِى (٨)

---

(١) العر ـ بضم العين ـ الجرب . والمضيض ـ بفتح الميم ـ المؤلم الموجع ، والهناء ـ بفتح الهاء بزنة السحاب ـ القطران ، والعرب تداوى الإبل الجربى بالقطران .

(٢) طرير العزم : فتيه ، وأراد شديده وقويه . ومشحوذ المضاء : حديد الإقدام .

(٣) أمين الغيب : مأمون فى غيبته ، وهو من صفات الكافى أيضا . ويوكى : يربط ، وأصله وكاء القربة ، وحشاه : باطنه . والداء العياء : الذى يعجز المعالجين ، والمعنى أنه لا يضمر فى صدره إحنة ولا يبيت شرا ، فظاهره و باطنه سواء .

(٤) الحفاظ : الذب عن المحارم ، وهو مفعول لأجله، وفى ه « كنز العطاء ».

(٥) فى ه « يوم نبعثه لعزم » وفيها « يوم نبحثه لداء » محرفا . والراء : الرأى وانظر ١/٩

(٦) بعد لأى ـ بفتح اللام وسكون الهمزة ـ أى بعد تلبث و إبطاء ومضى مدة .

(٧) فى ه « أن عناى يسرى » محرفا . وتبين : ظهر ، وغنائى ـ بفتح الغين ـ كفايتى .

(٨) الثواء ـ بفتح الثاء ـ الإقامة ، تقول : ثوى بالمكان يثوى ثواء ، تريد أقام به . والمعنى : إن لى حقوقا تقضى أن تطول إقامتى بحماك واستظلالى بذراك فلماذا أكون بعيدا عنه

٤٩ أأبلى ثم يبدو باصطناعى ... كفانى ما تقدّم من بلائى(١)

٥٠ وذبّى عن حِمَى بغداد قِدْمًا ... بفضل العزم والنفس العصاء(٢)

٥١ غداة أظلّت الأقطار منها ... مُضَرِّجَةٌ تنزّلُ بالدّماء(٣)

٥٢ دخان تُلْهِبُ الهبَوَاتُ منه ... مَدَى بين البسيطة والسّماء(٤)

٥٣ صبرتُ النفسَ ثمّ على المَنَايَا ... إلى أقصَى الثّميلة والذّماء(٥)

٥٤ رجاء أنْ تفوزَ قِدَاحُ ظنى ... وتُلْوَى بالنجاح قُوَى رَجائى(٦)

---

(١) أبلى : أراد به أفنى ، وهو مضارع بلى الثوب ونحوه يبلى - بوزن رضى يرضى - ويبدو : معناه يظهر رأى لم يكن ظاهراً من قبل . والبلاء - بفتح الباء ممدودا - الاختبار والتجربة . يقول : أأبقى بعيداً عن حماك حتى أموت وحينئذ يبدو لك رأى لم تكن أسبابه ظاهرة لك بأن تصطنعنى ، وليس يفيد ظهور الرأى يومئذ . ثم قال : كفى مامضى من اختبارى وتجربتى دليلا .

(٢) تقول : ذب فلان عن الحمى ، إذا دافع عنه وقام دونه . والنفس العصاء : الممتنعة على الضيم العصية عن الهون والمذلة .

(٣) وقع هذا البيت فى ه هكذا :

غداة أطلت الأعناق منها ... مضرمة تنزل بالدماء

وهو تحريف فى عدة مواضع . والأقطار : النواحى . وتبزل بالدماء : أى تسيل بها ، ومنه قولهم « تبزل الشراب » أى سال من المبزل . وقد ذكر المؤرخون فتنة وقعت بالعراق بين الديلم سنة ٣٧٥ وكان لبهاء الدولة ضلع فيها (انظر كامل ابن الأثير : ٩/١٥)

(٤) الهبوات : جمع هبوة - بفتح الهاء وسكون الباء - وهى الغبرة ، شبه بها ما انعقد من الدخان ، وتلهب : أى تصيره كاللهب ، والبسيطة : الأرض .

(٥) صبرت النفس : حبستها ، وفى التنزيل : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » . وثم : إشارة إلى المكان بمعنى هناك ، وهى بفتح الثاء . والمنايا : جمع منية ، وهى الموت . والثميلة - بفتح الثاء - أصله البقية من الماء فى الصخرة أو فى الوادى . والذماء - بفتح الذال ، بزنة السحاب - بقية الروح ، وانظر ٢/١

(٦) رجاء : مفعول لأجله عامله صبرت فى البيت السابق . والقداح : جمع قدح - بالكسر -

٥٥ ولى حقٌّ عليك : فذاك جِدِّى قديمٌ فى رِضاك ، وذَا ثَنَائى[١]

٥٦ ومِنْ شِيَمِ الملوكِ على الليالى مُجَازاةُ الولىِّ على الوَلاء[٢]

٥٧ سَيَبْلو منك هذا الصومُ خَرْقاً رحيبَ الباع فَضْفَاض الرِّداء[٣]

٥٨ تصومُ فلا تصوم عَنِ العَطَايا وعن بَذْل الرَّغائب والحِباء[٤]

٥٩ أَلَا فاسعَدْ به وبكلِّ يوم يُفَوِّقه الصباحُ إلى المساءِ[٥]

٦٠ ودُمْ أَبَدَ الزمان فأنت أَوْلَى بنى الدنيا بعارِيةِ البقاءِ

٦١ عَلىَّ الْجَدّ مقتربَ الأمانى عزيزَ الجار مطروق الفِناء[٦]

[وزاد فيها بعد مُدَّة][٧] :

٦٢ أقام يُنَازل الأبطالَ حتَّى تفلَّل كلّ مشهور المَضَاءِ[٨]

وهو هنا قدح الميسر على التشبيه . وتلوى : تعقد ، من قولهم « ألوى الأمير لفلان لواء » أى عقده له .

(١) فى ه « فذاك جدى قديما فى رضاك » والثناء ـ بفتح الثاء ـ المدح .

(٢) الشيم : جمع شيمة ـ بكسر الشين ـ وهى الخلق والسجية . والولى : له قرابة عشرين معنى و يطلق على الصديق وهو أنسب المعانى له هنا .

(٣) يبلو : يختبر و يجرب . والخرق ـ بفتح الخاء وسكون الراء ـ الواسع العطاء . وفضفاض الرداء : واسعه .

(٤) فى ه « فلا تصوم من العطايا ومن بذل الرغائب » محرفا . والحباء ـ بكسر الحاء المهملة ـ العطاء .

(٥) يفوقه : أراد يسلمه ، ووقع فى ه «يفرقه» .

(٦) الجد ـ بالفتح ـ الحظ والبخت ، ومقترب الأمانى : أراد به محققا لك كل ما تتمناه وترجوه ، وهم يستعملون القرب من الشىء بمنزلة الشىء نفسه ، أحيانا . والجار : المستجير بك ، وهذا كناية عن عزه ومنعته ، لأن إذلال الجار إذلال المجير . والفناء ـ بكسر الفاء ـ رحبة الدار ، وأراد بمطروق الفناء كثرة زائريه ، وهى كناية عن دوام مجده و بقاء رفعة منزلته ، أو عن كرمه .

(٧) وقعت هذه الأبيات الثلاثة والبيتان بعدها ، فى ب ، بين البيتين ٤٠ و ٤١ .

(٨) ينازل الأبطال : يحاربهم و يقارعهم . وتفلل : تثلم . والمضاء : النفاد فى الضريبة ،

٦٣ إزاء الحرب يَعْتَنِقُ العَوَالى ... ويَغْتَبِق النجيعَ من الدِّماء(١)

٦٤ إذا ما قيل مَلَّ رأيتَ منه ... نَوازِعَ تَشْرَئِبُّ إلى اللِّقاء(٢)

[ومنها] :

٦٥ فجرَّبْنى تجدْنِى سيفَ عزمٍ ... يُصَمِّمُ غَرْبُه وزنادَ رَاء(٣)

٦٦ وأسمرَ شارعاً فى كل نَحْر ... شروعَ الصِّل فى يَنْبُوعِ ماء(٤)

***

٣ — وقال يفتخر ويشكو الزمان [من الوافر] :

١ أيا لله أىُّ هَوًى أضاءَ ... بريقٌ بالطُّوَيْلِع إذ تَرَاءى(٥)

٢ ألَمَّ بنا كنَبْضِ العِرْق وهْنًا ... فلمَّا جازنا ملأ السماء(٦)

وأراد بكل مشهور المضاء كل سيف بتار .

(١) العوالى : جمع عالية ، وهى أعلى القناة ، ويغتبق : يتخذه غبوقا — بفتح الغين — وهو ما يشرب بالعشى ، والصبوح — بفتح الصاد — ما يشرب أول النهار . والنجيع — بفتح النون — الأسود من الدماء أو دم الجوف خاصة .

(٢) نوازع : جمع نازع ، وأراد الأمر ينزع به أو يجذبه إلى الشىء . وتشرئب : أصله بمعنى تمد عنقها ، والمعنى : إذا ما ظن الناس أنه سئم الحرب رأيته يندفع نحوها كأن شيئاً يجذبه إليها .

(٣) يصمم : ينفذ ، وأصله قولهم « صمم فى السير ، وصمم عليه » إذا مضى فيه غير مكترث بمن يردعه عنه . وغرب السيف — بفتح فسكون — حده . وزناد : بمعنى رأى ، مقلوب عنه .

(٤) أسمر : أراد به الرمح ، وكل هذا على التشبيه . وشارعا : أراد به خائضا . والصل — بكسر الصاد — الحية التى تعجز الراقى فلا تنفع فيها الرقية .

(٥) أضاء : أنار . والطويلع : مكان بعينه . وتراءى : ظهر ، وأصله من قولهم « تراءى فلان لفلان » إذا تصدى له ليراه .

(٦) ألم بنا : عرض لنا ونزل وزارنا ، والإلمام : الزيارة . ونبض العرق : تحركه وضربه ، وتقول : نبض العرق ينبض نبضا ونبضانا . وأراد أنه ألم إلماما خفيا ، والوهن — بفتح الواو

٣ كأنَّ وَميضه أيدِى قُيُونٍ تُعيد على قَوَاضِبها جِلاءَ(١)

٤ طَرِبْتُ إليه حتّى قال صَحْبِى لأمرٍ هاجَ مِنْكَ البرقُ داءَ(٢)

٥ ولم يَكُ قبلها يَقْتاد طَرْفى ولا يَمْضِى بلُبِّى حيث شاء

٦ خليلىَّ أُطلقا رَسَنِى فإنِّى أشَدُّ كما على عَزْمٍ مَضاءَ(٣)

٧ أبتْ لى صَبْوَتى إلا الْتِفاتًا إلى الدِّمَنِ البَوَائدِ وانثناءَ(٤)

٨ فإن تَرَيَا إذا ما سِرْتُ شَخْصى أمامَكُمَا فلى قلبٌ وَرَاءَ(٥)

٩ ورُبَّتَ ساعةٍ حَبَسْت فيها مَطايا القوم أمنعُها النَّجاءَ(٦)

وسكون الهاء ـ الوقت نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، وقال الأصمعى : حين يدبر الليل. وجازنا : فاتنا . يريد أنه حين مر بهم كان خافتا ضعيفا فلما فاتهم ظهر ظهورا شديدا .

(١) القيون : جمع قين ، وهو الحداد . والقواضب : السيوف . والجلاء : صقل السيوف .

(٢) التنوين فى قوله « لأمر » للتعظيم ، وكأنه قال : لأمر عظيم ، وهاج : أثار .

(٣) الهمزة فى « اطلقا » همزة قطع فى الأصل ، ولكنه لما اضطر لإقامة الوزن وصلها . وأصل هذه المادة قولهم « أطلق فلان مواشيه » إذا سرحها وتركها ترعى . والرسن ـ بفتح الراء والسين جميعا ـ الحبل تشد به الدابة ، وقد استعملوا هذه العبارة كناية عن التخلية وترك المرء وشأنه .

(٤) الدمن ـ بكسر الدال وفتح الميم ـ جمع دمنة ، وهى آثار الديار وآثار الناس . والبوائد : جمع بائدة ، وهى اسم الفاعل المؤنث من باد الشىء يبيد ، إذا هلك . والانثناء : الرجوع إلى الشىء . يقول : إن صبوتى لا تمكننى من شىء أفعله إلا التلفت إلى الآثار الباقية من ديار أحبائى التى عفت وأضحت قواء .

(٥) فى ه « إذا مارحت » فى مكان « إذا ماسرت » يقول : إن كنتما ترياني فى طليعة القوم أسير أمامهم فإن قلبى متخلف وراء القوم حيث يقيم حبه .

(٦) أدخل التاء على «رب» لتأنيث لفظها ، ونظيره قول الشاعر :

ورُبَّتَ سائلٍ عنّى حَفِيٍّ أعارَتْ عَيْنُه أمْ لَمْ تَعارَا

وتدخل التاء على « ثم » العاطفة أيضا كما فى قول الآخر :

ولَقَد أمرُّ على اللَّئيم يَسُبُّنى فمضيْتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يَعْنينى

١٠ على طَلَلٍ كتَوْشِيعِ اليَمَانى أمحَّ فخالَطَ البِيدَ القَوَاءُ(١)

١١ قِفارٌ لا تُهاجُ الطيرُ فيها ولا غادٍ يَرُوع بها الظِّباءُ(٢)

١٢ فيَالِى منه يُصْبِينى أنيقًا بساكنه ويُبْكِينى خَلَاءُ(٣)

١٣ أُنَادى الركبَ دُونَكُمُ ثَراه لعلَّ به لِذِى داءٍ دواءُ

١٤ تَسَاقَيْنا التذكُّرَ فانثنينا كأنَّا قد تساقينا الطِّلَاءُ(٤)

١٥ وعُجْنا العِيسَ تُوسِعُنا حنينًا تُغَنِّينا ونوسعها بُكاءُ(٥)

والمطايا : جمع مطية ، وإنما سميت بذلك لأنها تمطو فى سيرها أى تسرع فهى فعيلة بمعنى فاعلة ، ويقال : سميت بذلك لأنك تركب مطاها أى ظهرها . ووقع فى هـ « أمنحها النجاء » محرفا . والنجاء ـ بفتح النون ـ السرعة .

(١) «على طلل» يتعلق بقوله «حبست» فى البيت السابق . والطلل ـ بفتح الطاء واللام ـ ما بقى شاخصا من آثار الديار . واليمانى : أراد به الثوب اليمانى ، واليمن من البلاد المشهورة عند العرب قديما بالنسج . وتوشيع الثوب : إعلامه ، يراد من ذلك تخطيطه ، شبه الباقى من آثار الديار بالخطوط تكون فى الثوب ، وهم يشبهونها بذلك ، وبالكتابة أيضا ، ومن ذلك قول الشاعر :

عرفتُ الديار كرَقْم الدُّوِىّ يُزَبِّره الكاتبُ الْحِمْيَرِىّ

وقول الشريف «أمح» معناه عفا ودرس . والقواء ـ بفتح القاف ـ الخالية .

(٢) القفار ـ بكسر القاف ـ جمع قفر ، وهو الخلاء من الأرض لا ماء به ولا نبات ، وقوله « لا تهاج الطير فيها » يحتمل أن المعنى ليس فيها طير فيهاج ، أو أن طيرها لا يهاج لأنها غير مسكونة . ويروع : يفزع ويخيف .

(٣) « يالى منه » هذه عبارة يقصد بها التعجب . ويصبينى : يبعث الصبابة إلى قلبى ، والصبابة : العشق ، وأنيقا : أراد به جديدا مسكونا ، وهو حال صاحبه فاعل يصبى . « بساكنه » متعلق بيصبى . وخلاء : خاليا .

(٤) التذكر : أراد به استذكار أحوالهم وما كانوا عليه . وانثنينا : ملنا وترنحنا . والطلاء ـ بكسر الطاء ـ الخمر .

(٥) عجنا العيس : عطفناها وأملناها ، والعيس : جمع أعيس أو عيساء ، والأعيس فى

١٦ إلى كم ذا التَّرَدُّدُ فى التَّصابى ... وفجرُ الشيب عندى قد أضاءَ[١]

١٧ فيا مُبْدى العيوبِ سقى سواداً ... يكونُ على مَقَابحها غِطاءَ

١٨ شبابى إنْ تكن أحسنْتَ يومًا ... فقد ظلم المشيبُ وقد أساء

١٩ ويا مُعْطى النَّعيم بلا حسابٍ ... أتانى مَنْ يُقَتِّرُ لى العَطَاءَ[٢]

٢٠ متاعٌ أسْلَفَتْناه الليالى ... وأعجلْنا فأسرعْنا الأداءَ

٢١ تسخَّطْنا القضاءَ ولو عقَلْنا ... فما يُغْنى تسخُّطُنا القضاءَ[٣]

٢٢ سأمْضى للتى لا عَيْبَ فيها ... وإنْ لم أستفد إلا عَنَاءَ

٢٣ وأطلُب غايةً إن طوَّحَتْ بى ... أصابت بى الحِمامَ أو العَلَاءَ[٤]

٢٤ أنا ابْنُ السابقينَ إلى المعالى ... إذَا الأمدُ الطويلُ ثَنَى البِطَاءَ[٥]

٢٥ إذا ركبوا تضايقَتِ الفَيافِى ... وعَطَّل بَعْضُ جمعهمُ الفضاءَ[٦]

فى الأصل : الجمل الكريم، أوالذى يخالط بياضه شقرة ، وأرادأن الجمال تكثر من الحنين عند رؤية هذا الطلل لأن فيه مرابضها الأولى ، ونحن نكثر من البكاء لرؤيه مغانى لهونا ومواطن صبوتنا

(١) أراد بفجر الشيب بياض الشعر . يقول : لا يسوغ لى إظهار الصبابة بعد ما ظهر الشيب برأسى .

(٢) يقتر العطاء : يكون عطاؤه قليلا لبخله ، وأراد بالذى يقتر العطاء الشيب الذى لايسمح بالصبابة .

(٣) فى ه « و إن عجلنا » فى مكان « ولو عقلنا » وجواب لو محذوف : أى لو عقلنا لما تسخطنا القضاء ، ومعنى «تسخطنا القضاء» أظهرنا السخط عليه .

(٤) طوحت بى : رمتنى ، والحمام ـ بكسر الحاء ـ الموت ، يريد أنه إما أن يبلغ من العلاء مايريد و إما أن يموت فى سبيل بلوغ هذه الغاية .

(٥) البطاء ـ بكسر الباء ـ جمع بطىء ، وأراد به الذى لايسير إلى المعالى سير الحريص على بلوغ الغاية ، وفى ب « إذا الأمد البعيد ».

(٦) فى ه « وغصك بعض جمعهم » محرفا . والفيافى : الصحارى . وتعطيل الفضاء معناه أن يصبح غير صالح لسير غيرهم فيه لأنهم قد ملئوه فلم يعد يتسع لأحد ، وهذا كناية عن كثرة عديدهم .

٢٦ نَمانى من أُباة الضَّيم نامٍ ... أفاض علىَّ تلك الكِبْرياء[١]

٢٧ شأونا الناسَ أخلاقًا لِدانًا ... وأيْمانا رِطابًا واعْتِلاء[٢]

٢٨ ونحنُ النازلونَ بكل ثَغْرٍ ... نُريقُ على جوانبِه الدِّماءَ

٢٩ ونحنُ الخائضونَ لكل هَوْلٍ ... إذا دبَّ الجبان به الضَّرَاءُ[٣]

٣٠ ونحنُ اللابسونَ لكل مَجْدٍ ... إذا شئنا ادِّراعًا وارتِداءُ[٤]

٣١ أقَمنا بالتجارب كلَّ أمرٍ ... أبَى إلا اعْوجاجًا والْتِوَاءَ

٣٢ نَجرُّ إلى العُداة سُلاف جيشٍ ... كعَرْض الليلِ يتَّبعُ اللِّواءُ[٥]

٣٣ نُطيل به صَدَى الْجُرْدِ المَذاكى ... إلى أن نُوردَ الأسَلَ الظِّمَاءُ[٦]

---

(١) نمانى : نسبنى ، والأباة ـ بضم الهمزة ـ جمع آب ، وهو اسم الفاعل من الإباء وهو الامتناع ، وأباة الضيم : الذين لايقبلونه لعزهم ورفعة أقدارهم .

(٢) شأونا : غلبنا وسبقنا . واللدان ـ بكسر اللام ـ جمع لدن أو لدنة . وهو الوصف من اللدانة ، وأصل اللدانة اللين ، ويقال : أخلاق لدنة بمعنى رضية سهلة . والأيمان ـ بفتح الهمزة ـ جمع يمين ، واليد اليمين مقابل اليسار ، والرطاب : جمع رطبة ، وأراد بها الندية ، وهذا كناية عن أنهم كرام تبض أيديهم بالعطاء . والاعتلاء : سمو المنزلة ورفعة الشأن .

(٣) دب الضراء ـ بفتح الضاد والراء ـ سار مستخفيا ، وانظر ١/١٦

(٤) أصل الادراع لبس الدرع أو المدرعة ، والدرع من أدوات الحرب ، والمدرعة : جبة من صوف مشقوقة المقدم . وأصل الارتداء لبس الرداء .

(٥) سلاف الجيش ـ بضم السين وفتح اللام مخففة ـ مقدمته . واللواء : العلم ، وتتبعه : تسير خلفه .

(٦) أصل الصدى ـ بفتح الصاد والدال ـ ما تسمعه جوابا لصوتك فى الجبال والأماكن الخالية . والجرد : جمع أجرد ، وهومن الخيل القصير الشعر ، والمذاكى : جمع مذك ، وهو من الخيل الذى تم سنه وكملت قوته ، وفى المثل « جرى المذكيات غلاب » أى أن جريها يجاوز المدى ويغلب جرى غيرها ، والظماء ـ بكسر الظاء ـ جمع ظمأى أو ظمآن ، وهو ضد الريان ، وانظر ٢/١٦

٣٤ إذا عَجَم العِدَى أدمَى وأصمَى ... وطيَّر عن قَضِيبِهِمُ اللِّحاءَ(١)

٣٥ عَجَاجٌ ترجعُ الأرواحُ عنهُ ... فلا هُوجًا يُجيز ولا رُخاءَ(٢)

٣٦ شواهِق من جِبَال النَّقْع نَرْمِى ... بهَا أبداً غدُوًّا أو مَساءَ(٣)

٣٧ وغِرٍّ آكلٍ بالغَيْب لحمِى ... وإنَّ لأكلِهِ داءً عَيَاءَ(٤)

٣٨ يُسيء القولَ إمَّا غِبتُ عنه ... ويُحْسِن لى التجمُّلَ واللِّقاءَ

٣٩ عَبأتُ له وسوف يعُبُّ فيها ... مِنَ الضَّرَّاء آنيةً مِلَاءَ(٥)

٤٠ ومِنَّا كلُّ أغْلَبَ مستميتٍ ... إنَ أنْتَ لَدَدْتَه بالذل قَاءَ(٦)

٤١ إذَا ما ضِيم نَمَّرَ صَفْحَتَيْهِ ... وقام على بَرَاثنه إباءَ(٧)

---

(١) عجم العدى ـ من باب نصر ـ اختبرهم وامتحنهم . وأدمى : أسال الدم . وأصمى : قتل للحظته ، وتقول : أصميت الصيد ، إذا قتلته فى مكانه . واللحاء ـ بكسر اللام ، بزنة الكتاب ـ قشر العصا .

(٢) العجاج ـ بفتح العين ، بزنة السحاب ـ الغبار والدخان . والأرواح : جمع ريح . والهوج : جمع هوجاء ، وهى الريح التى لاتستوى فى هبوبها وتقلع البيوت . والرخاء ـ بضم الراء ، بزنة الغراب ـ اللينة الهبوب .

(٣) شواهق : جمع شاهق ، وهو الشديد الارتفاع . و «جبال النقع» من إضافة المشبه به إلى المشبه ، أى النقع الذى كالجبال فى سموقه وارتفاعه لكثرته الناشئة عن اشتداد ثورته .

(٤) الغر ـ بكسر الغين ـ الشاب الذى لاتجربة عنده . والداء العياء ـ بفتح العين ، بزنة السحاب ـ الذى يعجزك .

(٥) الضراء : الضر ، والآنية : جمع إناء ، مثل أزمنة وأمكنة فى جمع زمان ومكان .

(٦) الأغلب : الشجاع ، وأصله الأسد العظيم العنق . ووقع فى ب « مستحين » من الحين وهو الموت والهلاك ، يعنى أنه طالب للموت والحين فهو يقاتل أشد قتال وأعنفه . ولددته : أصله صببت اللدود فى فمه . واللدود ـ بفتح اللام بزنة صبور ـ مايصب من الدواء فى أحد شقى الفم ، وقد جعل الذل لدودا على سبيل الاستعارة بالكناية . وقاء : أخرج ما فى جوفه ، يريد أنك إن حاولت إذلاله لم يقبل .

(٧) الصفحتان : جانبا الوجه ، ومعنى نمرهما جعلهما يشبهان صفحتى النمر الغاضب المستوثب ،

٤٢ وإنْ نُودِى بِهِ والحلم يَهْفو صَغَى كَرَمًا إلى الداعى وفَاءَ[١]

٤٣ ونأبَى أن يُنال النصفُ منا وأن نعطِى مُقَارِعَنَا السَّواء[٢]

٤٤ ولَوْ كان العِداء يسوغُ فينا لما سُمْنا الْوَرَى إلا العِدَاء[٣]

٤ — وقال يَرْثى الأمير أبا الفتح بن الطائع لله ، ويُعَزِّيه عنه ، وتوفى سنة ست وسبعين وثلثمائة[٤] [من الكامل] :

١ أىُّ العيون تُجانِبُ الأقْذَاءَ أمْ أىُّ قلب يقطَع البُرَحاء[٥]

٢ والموتُ يَقْنِصُ جمعَ كل قبيلة قَنْصَ المُرِيع جَآذِرًا وظباء[٦]

٣ يتناولُ الضَّبَّ الخبيثَ من الكُدَى ويحطُّ من عَلْيائها الشَّغْوَاء[٧]

والبراثن : جمع برثن ، وهو من السباع بمنزلة الأصابع من الإنسان . و إباء : مفعول لأجله .

(١) فاء : رجع . وأراد أنه يجيب داعيه فيعود إلى أصل طبعه من السماحة والكرم .

(٢) النصف ـ بكسر النون ، أو تحرك بالحركات كلها ـ الإنصاف والعدل ، والمقارع : الذى يحاربنا ، ومقارعة الأبطال : حربهم . والسواء ـ بفتح السين ، بزنة السحاب ـ السوية والاستواء .

(٣) العداء ـ بكسر العين ، بزنة الكتاب ـ الاعتداء والعداوة .

(٤) كذا فى ه ، ووقع فى ب « وتوفى سنة ست وتسعين وثلثمائة » وهو خطأ ؛ فإن الطائع ـ وهو يعزيه بهذه القصيدة ـ قد مات فى عام ٣٨١ على ما تقدم ذكره فى مطلع شرح القصيدة الأولى، وذكر فى المنتظم (٧/١٣٧) وفاة عبدالوهاب بن الطائع فى سنة ٣٧٧ سبع وسبعين وثلثمائة.

(٥) الأقذاء : جمع قذى ، وهو كل ما يعيب العين . والبرحاء ـ بضم الباء وفتح الراء ـ شدة الأذى والمشقة . والاستفهام ههنا بمعنى النفى ، يريد أنه ليست هناك عين تخلو من الأقذاء كما أنه ليس هناك قلب يسلم من الأذى والمشقات .

(٦) فى ه « يقبض جمع كل قبيلة قبض » ويقنص ـ من باب ضرب ـ يصيد . والمريع : أراد به الصياد لأنه يخيف الصيد ويبعث إليه الروع والخوف . والجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

(٧) الكدى ـ بضم الكاف ـ جمع كدية ، وهى الصفاة الشديدة العظيمة والأرض الغليظة

٤ تبكى على الدنيا رجالٌ لم تجد ... للعمر من داء المنون شِفاءَ
٥ والدهر مُخْترمٌ تَشُنّ صروفُه ... فى كل يوم غارةً شَعْوَاء
٦ إنا بنو الدنيا تسير ركابُنا ... وتغالط الإدلاجَ والإسْرَاء
٧ وكأنّنا فى العيش نطلب غايةً ... وجميعُنا يَدَعُ السنينَ وَرَاء
٨ أين المَقَاول والعَطَارِفة الأولى ... هجروا الديار وعَطَّلوا الأفْنَاء[1]
٩ فاخلِطْ بصوتك كلّ صوت واسْتَمِع ... هل فى المنازل مَنْ يُجيب دُعاء
١٠ واشمَمْ تُرْبَ الأرض تعلَمْ أنها ... جَرْباء تُحْدث كلّ يوم داء[2]
١١ كم راحلٍ ولَّيْتُ عنه وميّتٍ ... رجَعَتْ يدى من تُرْبه غَبْرَاء[3]
١٢ وكذا مضى قَبْلى القرونُ يكُبُّهُم ... صَرْفُ الزمان تسرُّعًا ونَجاء[4]
١٣ هـذا أميرُ المؤمنين وظله ... يسع الورى ويُجلِّل الأحياء[5]

الصلبة . والضب من بين الحيوان مولع بحفرها ، ولذلك ينسب إليها فيقال « ضب الكدية » بالإضافة ، والشغواء : العقاب ، وهو يسكن الأعالى والقنن ، ويقال « عقاب الجو »

(١) المقاول : جمع مقول - بزنة منبر - وهو فى الأصل اللسان لأنه أداة القول ، ومنه قول حسان :

لِسانى وسَيْفى صارمان كِلاهما ... ويبلغ ما لا يبلغ السيفُ مِقْوَلى

ويطلق المقول والقيل - بفتح فسكون - على من يلى الملك من ملوك حمير لأنه يقول فلا يرد قوله ، وأصل القيل بتشديد الياء مكسورة خففت كما يخفف هين ولين . والغطارفة والغطاريف : جمع غطريف ، وهو السيد العظيم . وتعطيل الأفناء : تخليتها وذلك بألا يجلسوا فيها .

(٢) فى ب « واشمم تراب الأرض - إلخ » وتقول : شم واشتم بمعنى

(٣) فى هـ « صفراء » فى مكان غبراء

(٤) فى هـ « بكيتهم » فى مكان « يكبهم » وهو تحريف . ويكبهم : يصرعهم ويلقيهم على وجوههم . والنجاء : السرعة .

(٥) فى هـ « ويحلل الأحياء » بالحاء المهملة - محرفا ، ويجلل : يغطى ، أو يعم ، تقول « جلل المطر الأرض » إذا أردت معنى أنه عمها وطبقها فلم يدع شيئا منها إلا غطى عليه .

١٤ نظرَتْ إليه من الزمان مُلِمَّةٌ كالليث لا يُغْضى الجفونَ حَياءَ(١)
١٥ وأصابه صَرْفُ الردى بِرَزِيَّةٍ كالرمح أنْهَرَ طعنةً نَجْلاءَ(٢)
١٦ ماذا نؤمل فى اليَرَاع إذا نَشَتْ ريحٌ تدُقُّ الصَّعْدَةَ الصَّماءَ(٣)
١٧ عَصَفَ الردى بمحمَّدٍ ومُذَمَّم فكأنَّما وَجَدَ الرجالَ سَوَاءَ(٤)
١٨ ومُصاب أبلَجَ من ذُؤابة هاشِم ولَجَ القبورَ وأزعَجَ الخُلَفَاءَ(٥)
١٩ وتَرَ الردى مَنْ لو تناول سيفَه يَوْمًا لنال من الردى مَاشَاءَ(٦)
٢٠ غصنٌ طَمُوح عطَّفته منيةٌ للخابطين وطاوَعَ النَّكْباءَ(٧)

---

(١) المشبه بالليث هو الزمان ، يريد أن الزمان لم يخجل من أن ينيخ بكلكله على أمير المؤمنين مع عظيم قدره

(٢) أنهر : وسع . تقول « طعن فلان فلانا طعنة أنهر فتقها » تريد أنه وسع فتقها . والنجلاء : الواسعة

(٣) اليراع : القصب ، أو القصب الذى يزمر به الراعى ، ونشت الريح : عادت مرة بعد مرة . وتدق : تكسر ، والصعدة : القناة المستوية التى لا تحتاج إلى تثقيف . والصماء : التى ليس جوفها خاليا . يريد أنه لا حيلة لأحد فى دفع ملمات الدهر عن الصغار إذا كان الكبار لا يستطيعون أن يدفعوها عن أنفسهم .

(٤) عصف الردى بهم : يريد أطاحهم وأهلكهم . ومحمد : هو المحمود الخلال ، ومذمم : ضده . يقول : إن الموت لا يفرق بين المحمود النافع والمذموم الذى لاغناء عنده ، حتى لكأنه وجد الناس متساوين .

(٥) أبلج : هو فى الأصل المفترق الحاجبين ، ثم أطلقوه على الطلق الوجه الضاحك الأسارير ، ثم أطلقوه على الكريم المشهور . وذؤابة القوم : سادتهم وأشرافهم ، ويقال « فلان ذؤابة قومه ، وناصية عشيرته » .

(٦) وتر : أصاره ذا وتر ، وذلك بأن قتل له قتيلا فهو يطالب بثأره .

(٧) عطفته : ثنته ولينت قناته . والخابط : الذى يشد غصن الشجرة ثم ينفض ورقه . والنكباء : الريح التى انحرفت عن مهاب الرياح ، أو هى الريح تقع بين ريحين ، أو هى التى تقع بين الصبا والشمال .

٢١ يا راحلا وَرَدَ الثَّرى فى ليـلةٍ كاد الظلامُ بها يعود ضِياءَ

٢٢ لما نعاكَ الناعيانِ مشى الْجَوَى بينَ القلوب وضَعْضَعَ الأحشاء

٢٣ واسودَّ شَطْرُ اليوم تَرْجُفُ شمسُه قَلَقًا وجرَّ ضياؤه الظَّلْماء

٢٤ وارتجَّ بعدك كلُّ حىٍّ باكيا فـكأنَّما قَلَبَ الصهيلَ رُغَاء(١)

٢٥ قبرٌ تشبَّثَ بالنسيم ترابُه دون القبور وعقَّلَ الأنْوَاء(٢)

٢٦ تلقاه أبكارُ السحابِ وعُونُها تُلْقى الْحَيَا وتُبَدِّدُ الأنْدَاءَ(٣)

٢٧ متهلِّلُ الجَنَبَاتِ تضحك أرْضُه فـكأنَّ بين فُرُوجه الْجَوْزَاءَ(٤)

٢٨ أوْلى الرجال بِرَىِّ قبرٍ ماجِدٌ غَمَرَ الرجالَ تبرُّعًا وعَطَاءَ(٥)

٢٩ ولوَ انَّ دُفَّاعَ الغمامِ يُطِيعنى لَجَرى على قبر اللئيم غُثَاء(٦)

---

(١) أصل الصهيل أن يخبط البعير بيده ورجله ويعض ولا يرغو بواحدة ، وذلك من عزة نفسه . والرغاء ـ بضم الراء ـ صوت البعير وكل ذى خف ، يريد أن الدهر بقسوته صير الوادع الساكن صارخا باكيا .

(٢) تشبث بالنسيم : تعلق به . والأنواء : جمع نوء ، وأراد به هنا المطر ، وعقله : أراد منعه .

(٣) الأبكار : جمع بكر ، وأصلها المرأة التى لم يمسسها رجل ، وأراد هنا السحابة العزيزة العديمة النظير ، والعون ـ بضم العين ـ فى الأصل النصف من كل شىء ، وأراد السحابة التى لها نظائر فـكأنها جاءت مرة قبل ماتجىء هذه المرة . والحيا : المطر . والأنداء : جمع ندى ، وهو الماء ، وتبديده : تفريقه فى جهات عدة .

(٤) متهلل الجنبات : مشرق الجوانب . وفروجه : أراد بها نواحيه . والجوزاء : برج فى السماء ، وهذا البيت من أوصاف القبر الذى ضم جدث الميت الذى يرثيه . يقول : إن هذا القبر شديد الفرح بحلول هذا الميت فيه .

(٥) « ماجد » خبر المبتدأ الذى هو « أولى الرجال » وغمر الرجال ـ من باب نصر ـ بالغ فى الإحسان إليهم .

(٦) دفاع الغمام ـ بضم الدال وتشديد الفاء ـ العظيم منه ، وأصل الدفاع المتدفق من الموج والسيل . والغثاء ـ بضم الغين ـ الذى لاينتفع به .

٣٠ لازال تَنْطِفُ فوقَهُ قِطَعُ الحيا بمُجَلْجِلٍ يَدَعُ الصخورَ رِواءَ(١)

٣١ وتظنُّ كلَّ غمامةٍ وقفتْ به تبكى عليه تَوَدُّدًا ووَلاءَ(٢)

٣٢ وإذَا الرياحُ تعرَّضت بتُرابه قلنا السماءُ تَنَفَّسُ الصُّعَدَاءَ(٣)

٣٣ إيهًا ! تمطَّرْ نحوَك الداءُ الذى قَرَضَ الرجالَ وفَرَّق القُرَباءَ(٤)

٣٤ إن الرماح رُزِئْنَ منك مُشَيَّعًا غَمْرَ الرداء مهذَّبًا مِعْطاءَ(٥)

٣٥ وطويلَ عظمِ الساعدينْ كأنما رفعَتْ بعمته الجيادُ لِوَاءَ(٦)

---

(١) تنطف : مضارع نطف الماء ـ من باب ضرب ـ إذا سال . والحيا : المطر . والمجلجل : ذو الصوت ، ورواء ـ بكسر الراء ـ جمع ريا أو ريان . يدعو للقبر بدوام السقيا حتى تشبع صخوره ريا .

(٢) فى ه « تودقا وولاء » محرفا ، والتودد : إظهار الوداد والمحبة . والولاء : الموالاة .

(٣) تنفس : أصله تتنفس فحذف إحدى التاءين ، والصعداء ـ بضم الصاد وفتح العين ـ تنفس طويل ينبعث من قرارة الباطن ينشأ عن هم أو تعب عظيم . شبه الصوت الذى يحدثه مر الرياح به .

(٤) تمطر : أسرع ، وأصله قولهم « تمطرت الخيل » إذا جاءت يسبق بعضها بعضا . وقرض الرجال : أراد أفناهم . وفرق القرباء : باعد بينهم ، والقرباء : جمع قريب ، ونظيره كريم وكرماء .

(٥) المشيع ـ بزنة المفعول ـ الشجاع ، كأنما قيل له ذلك لأنه شيع قلبه بما يركب كل هول . وغمر الرداء ـ بفتح الغين ـ كناية عن كثرة معروفه وعطائه وأنه سخى كريم. والمراد أن الرماح أصبن بمن هذه صفته .

(٦) العرب ترى أن طول الرجل دليل على عزته وعظم شأنه ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

تبيَّنَ لى أنَّ القماءَةَ ذِلَّةٌ وأنَّ أعِزَّاءَ الرجالِ طِوالُها

وطول اليد دليل على طول الجسم كله ، وتخصيصها لأنها التى تحمل السلاح . وقد أخذ معنى البيت وتشبيه العمامة باللواء من قول الشاعر :

فجاءت به سبط العظامِ كأنما عِمامَتُه بيْن الرجال لِوَاءُ

٣٦ ولَقِينَ بعدكَ كلَّ صُبْحٍ ضاحكٍ يوماً أَغَمَّ وليلةً لَيْلاءَ[١]

٣٧ أنْعاكَ للخيلِ المُغِيرة شُزَّبا واليومُ يَضْرب بالعَجاج خِباءَ[٢]

٣٨ ولخَوْضِ سَيْفِكَ والفوارسُ تَدَّعى حرباً يجرُّ نداؤها الأسماءَ[٣]

٣٩ وغَيابةٍ فَرَّجتَها ومقامةٍ سدَّدتَ فيها حُجَّةً غَرَّاءَ[٤]

٤٠ وخلطتَ أقوالَ الرجالِ بِمِقْوَلٍ ذَرِبٍ كما خلط الضراب دِماءَ[٥]

٤١ ومَطِيةٍ أنضَيْتَها وكِلاكما تتنازعانِ السَّيْرَ والإنضاءَ[٦]

٤٢ إن البكاء عليك فَرْضٌ واجب والعيشُ لا يُبْكَى عليه رِياءَ

٤٣ بأبيك يطمَحُ نحو كل عظيمة طَرْفٌ تعلَّم بعدك الإغْضاءَ[٧]

وقال أبو نواس :

أشَمَ طويل السَّاعِدَيْنِ كأنَّما يُناطُ نِجادَا سيفِهِ بلواءِ

(١) فى ه « يوما أعم » بالعين مهملة ، وهو تحريف . ويقال : يوم أيوم ، وليل أليل ، وليلة ليلاء ، إذا أرادوا المبالغة فى وصف اليوم أو الليل بشدة ، كأنهم لايجدون ما يصفونه به إلا أن يشتقوا له الوصف من لفظه .

(٢) الشزب : التى ضمرت ، وذلك أقوى لها . والعجاج : التراب ، والخباء : واحد الأخبية وهى البيوت .

(٣) فى ه «يجر نداؤها الأنداء»

(٤) الغيابة : الخفية الغامضة الملتبسة، وأصلها الهبطة من الأرض، والحجة الغراء : الواضحة

(٥) المقول ـ بزنة المنبر ـ اللسان . والذرب ـ بفتح الذال وكسر الراء ـ الحديد الشديد .

(٦) أنضيتها : أتعبتها حتى هزلتها .

(٧) « بأبيك » يعنى بسبب الاتصال بأبيك . والإغضاء : أن تكسر جفنك كأنك لاتريد أن تنظر ، وذلك يكون بسبب الخوف أو الحياء . يريد أنه باتصال أسبابه بأبيه كان طرفه يرنو إلى المعالى وعظائم الأمور ، ولكن موته جعل طرفه يطيل الإغضاء .

٤٤ فاسلَمْ أميرَ المؤمنين ، ولا تزَلْ تُجْرى الجيادَ وتُحْرِزُ الغُلَوَاء[1]

٤٥ وإذَا سلمتَ من النوائب أصبحَتْ تَرْضَى ونَرْضَى أن يكون فِدَاء[2]

٤٦ ولئن تسلَّطتِ المنونُ لقد أتت ماردَّ لَوْمَ اللائمين ثَنَاء

٤٧ وهبَتْ لنا هٰذا الحُسامَ المنتضَى فينا ، وهٰذِى العِزَّةَ القَعْساء[3]

٤٨ نهنهْتَ بادرَةَ الدموعِ تجمُّلًا والعينُ تؤنسُ عَبْرَةً وبُكاء[4]

٤٩ فاستبْقِ دَمْعك فى المصائب واعْلَمَنْ أنَّ الردى لا يُشمِتُ الأعداء

٥٠ وتسلَّ عن سَيْف طبعتَ غِراره وأعرْتَ شَفْرتَه سَنًا ومَضاء[5]

٥١ والصبرُ عن ولدٍ يجىء بمثلِه أولىٰ ، ولكن نَنْدُبُ الآباء

٥٢ فلقَدْ رجعتَ عن المطيع بسَلْوة من بعدماجَرَتِ الدموعُ دِماء

٥٣ والابنُ للأب إن تعرَّضَ حادثٌ أولىٰ الأنام بأن يكون وِقَاء

---

(١) أصل الغلواء ـ بضم الغين وفتح اللام ـ حدة الشباب ونشاطه . وأراد مايكون فى هذا الزمن من إدراك خطيرات الرغائب وما لايوصل إليه إلا بالقوة والفتاء .

(٢) فى ه « أصبحت ترضى وترضى أن تكون فداء » وهو تحريف ما أثبتناه . يقول : إذا سلمت ياأمير المؤمنين من نوائب الدهر وقد عدا الزمان على ابنك فإن هذه النوائب قد رضيت واكتفت بما أخذته، ونحن لسلامتك لنا وبعد الزمان عن شخصك قد رضينا بأن يكون ابنك فداء لك ، واقرأ البيت ٥٣ .

(٣) الحسام المنتضى : السيف المسلول من قرابه . والعزة القعساء : الثابتة . ووقع فى ه « الغرة القعساء » .

(٤) نهنهت : كفكفت وأقللت . وبادرة الدموع : التى تبدر عند الصدمة . ووقع فى ه « باردة الدموع » والتجمل : التصبر والتجلد ، وتؤنس : تحس وتشعر . والعبرة ـ بفتح العين ـ الدمعة .

(٥) غرار السيف ـ بكسر الغين ـ جانبه . وشفرته ـ بفتح الشين وسكون الفاء ـ حده . والسنا ـ بالقصر ـ الضوء والنور ، وهما من لمعان السيف . والمضاء : النفاذ .

٥٤ وإذا ارْتَقَى الآباءُ أمنَعَ نَجْوَةٍ ... فدعِ الرَّدَى يستَنْزِلُ الأبناءَ(١)

٥٥ وَرَدَ الزمانُ به وأوْرَدَه الردى ... بَغْيًا فأحسَنَ مرةً وأساءَ

٥٦ ورَمَى سِنِيه إلى الحِمام كأنَّما ... أُلْقَى بها عن مَنْكِبَيْه رِدَاءَ

٥٧ فلْتَعْلَمِ الأيامُ أنك لم تَزَلْ ... تَفْرِى الخطوبَ وتكشِفُ الغَمَّاءَ(٢)

٥٨ خضعَتْ لك الأعداءُ يوم لَقِيتَها ... جَلْدًا تُجرِّدُ للمصاب عَزَاءَ

٥٩ وتمطَّتِ الزَّفَراتُ حتى قوَّمَتْ ... ضِلَعًا على أضغانها عَوْجاءَ(٣)

٦٠ ومُضاغِنٍ مَلآنَ يكتُمُ غَيْظَهُ ... جَزَعًا كما كتَمَ المَزَادُ الماءَ(٤)

٦١ متحرِّقٍ، فإذا رأتْكَ لِحاظُه ... نَسِيَتْ مجامعُ قلبِهِ الشَّحْنَاءَ(٥)

٦٢ وأما وَجُودِكِ إنه قَسَمٌ لَقَدْ ... غَمَرَ القلوبَ وأنْطَقَ الشُّعراءَ(٦)

---

(١) النجوة ـ بفتح النون وسكون الجيم ـ المرتفع من الأرض ، وكأنما سمى بذلك لأنه موضع النجاء .

(٢) الخطوب : جمع خطب ـ بفتح فسكون ـ وهو الحادث العظيم . وتفريها : أى تنال منها ، وأصله قولهم « فرى الرجل الشيء فريا » إذا شقه وقطعه كما يفرى الذابح أو داج الذبيحة . والغماء : الأمر المنبهم الذى لا يعرف وجه الخلاص منه . وتكشفها : توضحها وتظهر شأنها ثم تفرجها .

(٣) تمطت الزفرات : طالت وامتدت . وقومت : عدلت .

(٤) مضاغن : أراد به حامل الضغن وهو الحقد . وملآن : يريد أن قلبه قد امتلأ من الضغينة . والمزاد : جمع مزادة ، وهى الراوية (القربة) .

(٥) متحرق : أراد أنه عند غيبته عنك يحرق عليك الأرم ويكاد ينشق أديمه من الغيظ ، واللحاظ : جمع لحظ ، وأراد به العين . والشحناء : الضغينة . والمقصود أن الناس جميعا يشاركونه مصابه .

(٦) غمر القلوب : ملأها حزنا وأفعمها أسى . وأنطق الشعراء : لأنهم وجدوا مكان القول ذا سعة : فالمصاب عظيم والخطب فادح ، وأمر ذلك بين لائح ، والميت ذو صفات وخلال كريمة . والمعزى حبيب إلى القلوب ، ومتى اجتمع كل أولئك نطقت الألسنة ، وجرت المراثى جريان الريح الهابة .

٦٣ وأنا الذى واليتُ فيك مَدائحا ... وعَبأتُ للباغى عليك هِجاء(١)

٦٤ ونفضتُ إلّا من هَواك خَواطرى ... نَفْضَ المشمِّرِ بالعَراء وِعاء(٢)

٦٥ فاسْلَمْ ولا زالَ الزمانُ يُعيرنى ... طَمَعًا يُمِدُّ إلى نَدَاك رَجاء(٣)

* * *

٥ — وقال يَرْثى والدتَه فاطمةَ بنتَ الناصر ، وتوفيت فى شهر ذى الحجة من شهور سنة خَمْسٍ وثمانين وثلثمائة .

١ أبكيكِ لو نَفَعَ الغليلَ بُكائى ... وأقولُ لو ذهبَ المقالُ بِدائى(٤)

٢ وأعوذ بالصَّبر الجميـلِ تعزِّيًا ... لو كان بالصبر الجميـل عَزائى(٥)

٣ طَوْرًا تُكاثرنى الدموعُ وتارةً ... آوِى إلى أُكْرُومَتى وحَيائى(٦)

٤ كم عَبْرَةٍ نَهْنَهْتُهَا بأنامِلى ... وسَترتُها متجمِّلًا بردائى

٥ أُبْدِى التجلُّدَ للعَدُوِّ ولَوْ دَرَى ... بتململى لقد اشْتَفَى أعْدائى

٦ ما كنتُ أذخَرُ فى فِدَاكِ رَغيبةً ... لو كان يرجع ميتٌ بِفِدَاء(٧)

---

(١) واليت . تابعت . وعبأت : هيأت وأعددت كما يهيىء ويعد من يجهز الجيوش .

(٢) العراء — بالفتح بزنة السحاب — المكان الذى لاستر فيه .

(٣) وقع فى ه « يمد إلى رجاك نداء » وهو تحريف . والندى : العطاء .

(٤) نقع — من باب قطع — من قولهم « نقع الماء العطش » إذا سكنه وقطعه فروى العطشان . والغليل : حرارة الجوف ، يريد أنه لو كان يعلم أن البكاء يشفى حزنه لدام عليه ، ولو أن الرثاء يذهب بما يجد من ألم لما سكت عنه .

(٥) أعوذ به : ألجأ إليه . والتعزى : تكلف العزاء .

(٦) الأكرومة — بضم الهمزة — فعل الكرم . وآوى إليها : أى أركن إليها وأجعلها لى كالمأوى .

(٧) تقول : ذخرت الشىء أذخره — من باب قطع — إذا خبأته لوقت الحاجة . والرغيبة : الشىء الذى يرغب فيه من مال ونحوه ، يريد أنه لو كان الفداء يرد الميت لكان قد أنفق كل شىء فى فدائها .

٧ لو كان يُدْفع ذا الحِمامُ بقُوَّة ... لتكدَّستْ عُصَبٌ وراء لوائى (١)

٨ بمُدَرَّبين على القِراع تفيَّؤُوا ... ظِلَّ الرماحِ لكل يوم لِقاءِ (٢)

٩ قومٌ إذا مرِهُوا بأغْبابِ السُّرَى ... كَحَلُوا العيونَ بإثمد الظَّلْماء (٣)

١٠ يمشُون فى حِلَقِ الدُّروع كأنهم ... صُمُّ الْجَلامِدِ فى غَدِير الماءِ (٤)

١١ يبْرُوق أدْراعٍ ورَعْدِ صَوارمٍ ... وغمامِ قَسْطَلَةٍ ووَبْلِ دِماءِ (٥)

١٢ فارقْتُ فيكِ تماسُكى وتجمُّلى ... ونسيتُ فيكِ تعَزُّزى وإبائى

١٣ وصنعْتُ ما ثلَم الوقارَ صنيعُه ... ممَّا عرانى من جَوَى البُرَحاءِ (٦)

١٤ كم زَفْرَةٍ ضعُفَتْ فصارت أنَّةً ... تمتُها بتنفُّسِ الصُّعَداءِ (٧)

---

(١) الحمام ـ بكسر الحاء ـ الموت . وتكدست : تجمعت . والعصب : جمع عصبة ، وهى الجماعة من الناس. واللواء ـ بكسر اللام ، بزنة الكتاب ـ العلم والراية .

(٢) المدرب على الشىء : الذى قد عوده . والقراع ـ بكسر القاف ـ المحاربة . وتفيؤوه : استظلوا به ، أراد أنهم لزموا الرماح وجعلوها عدتهم لكل يوم يلقون فيه عدوا .

(٣) مرهوا : من قولهم «مرهت عين فلان» من باب فرح ـ إذا فسدت من ترك الكحل ، أو إذا ابيضت حماليقها . ووقع فى ه « مروا بأغباب » محرفا . وأغباب : جمع غب ـ بكسر الغين ـ وهو عاقبة كل شىء ، والسرى : السير ليلا . يريد إذا تعبت عيونهم فى عواقب السير ليلا لم يداووها بالكحل، وإنما يطيلون السير فى الظلماء ، يعالجون أنفسهم بما كان سببا فى الداء .

(٤) الصم ـ بضم الصاد ـ جمع صماء أو أصم ، وهو الشىء الذى ليس جوفه فارغا . والجلامد: جمع جلمد ، وهو الصخر . شبه هؤلاء الرجال بالصخور فى شدتهم وقوتهم ، وشبه حلق الدروع بماء الغدير .

(٥) الصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع . والقسطلة : غبار الحرب .

(٦) الوقار : الاحتشام . وثلمه : أحدث فيه خللا . والجوى : الحزن . والبرحاء ـ بضم الباء وفتح الراء ـ شدة الأذى . ووقع فى ه « وصنعت ما صنع الوقار صنيعه » محرفا عما أثبتناه .

(٧) الزفرة ـ بفتح فسكون ـ استيعاب النفس من شدة الغم والحزن . والأنة ـ بفتح الهمزة وتشديد النون مفتوحة ـ الآهة أو الصوت الضعيف من الألم ، والصعداء انظر ٤/٣٢ .

١٥ لَهْفَانَ أَنْزُو فى حَبَائِل كُرْبَةٍ ... ملكتْ علىَّ جَلَادتى وغَنَائى[١]

١٦ وجَرَى الزمانُ على عوائِدِ كَيْدِه ... فى قَلْبِ آمالى وعَكْسِ رَجَائِى

١٧ قد كنتُ آمُلُ أن أكونَ لكِ الفِدَا ... مما ألمَّ فكنتِ أنتِ فِدَائى[٢]

١٨ وتفرُّقُ البُعَداء بعدَ مودَّةٍ ... صعبٌ، فكيف تَفَرُّقُ القرباء

١٩ وخلائقُ الدُّنيا خلائقُ مُومِسٍ ... للمنعِ آونةً وللإعطاءِ[٣]

٢٠ طَوْراً تبادِلُكَ الصفاء، وتارةً ... تَلْقَاكَ تُنْكِرُها من البَغْضاء[٤]

٢١ وتداوُلُ الأيام يُبْلِينا كما ... يُبْلِى الرِّشاءَ تطاوُحُ الأرْجَاءِ[٥]

---

(١) اللهفان : المتحسر المكروب . وأنزو : أثب . والحبائل : جمع حبالة ـ بكسر الحاء ـ وأصلها المصيدة . والكربة ـ بضم فسكون ـ الحزن يأخذ بالنفس . والجلادة : التحمل .

(٢) ألم : نزل

(٣) المومس : المرأة الفاجرة . والآونة : جمع أوان ، مثل مكان وأمكنه وزمان وأزمنة ، وأراد للمنع آونة وللإعطاء آونة أخرى . يقول : إن هذه الدنيا لاتدوم على حال ولايستقر أمرها ، بل هى مرة هكذا ومرة هكذا ، وشبهها بالمرأة الفاجرة فى فساد حالها واضطراب شأنها .

(٤) فى هـ ، ب « تباذلك الصفاء » محرفا . وتقول : بادلت فلانا المودة ، إذا كنت تودّه مثل مايودك ، وأصل هذه الماء : قولهم «بادلته بالسلعة » إذا أعطيته مثل ماأخذ منه ، ثم قد تحذف الباء ويوصل الفعل إلى مابعدها .

(٥) تداول الأيام : تصرفها بين الناس مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء ، وفى الكتاب العزيز : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » وأراد هنا تتابع الأيام ومجىء بعضها إثر بعض . ويبلينا : يفنينا . والرشاء ـ بكسر الراء بزنة الكتاب ـ الحبل يستقى به من البئر . والأرجاء : جمع رجا ـ بزنة عصا ـ وهو ناحية البئر وجانبه . وتطاوحها : ترامِيها وتباعدها ، يعنى أن ترامى نواحى البئر يبلى رشاءه لأنه يصطدم بكل ناحية مرة فكذلك تتابع الأيام على الإنسان يبليه لأنه يجد فى كل يوم من المكروه ماينال منه .

٢٢ وكأنَّ طولَ المرءِ رَوْحةُ راكب ... قَضَّى اللُّغوبَ وجَدَّ فى الإسراء[١]

٢٣ أنْضَيْتِ عيشَك عفةً وزَهَادةً ... وطرحْت مُثْقلةً منَ الأعباء[٢]

٢٤ بصيام يوم القَيْظِ تلهب شمسه ... وقيامِ طول الليلة اللَّيْلاءِ[٣]

٢٥ ما كان يومًا بالغَبينِ مَن اشترى ... رَغَدَ الجنان بعيشةٍ خَشْناء[٤]

٢٦ لو كان مِثْلَكِ كلُّ أم بَرَّةٍ ... غَنِيَ البَنُونَ بها عن الآباء

٢٧ كيف السُّلُوُّ وكلُّ موقعِ لحظةٍ ... أثَرٌ لفضلك خالدٌ بإزائى[٥]

٢٨ فَعَلاتُ معروفٍ تُقِرُّ نواظرى ... فتكون أجْلَبَ جالبٍ لبكائى

٢٩ ما مات من نزع البقاء وذكْرُهُ ... فى الصالحات يُعَدُّ فى الأحياء

---

(١) روحة راكب : راحته ، والأصل فيه قولهم « راحت الإبل » إذا أوت إلى مرابضها بعد غروب الشمس . واللغوب ـ بضم اللام ـ مصدر لغب الرجل إذا تعب وأعيا أشد الإعياء ، والإسراء : سير الليل ، يريد أن هذه الدنيا قصيرة الأجل وأنها تشبه الآن اليسير الذى يستريح فيه الراكب بعد ماسار ليله وأعيا ظهره .

(٢) أنضيت : أصل معناه أبليت ، وأراد قضيت حياتك فى العفة والزهادة . والمثقلة : التى أثقلها الإعياء وبهظها احتماله .

(٣) يوم القيظ : اليوم الشديد الحر ، وهو من الأيام الطويلة ، فالصوم فيه مجهدة من طوله وحره ، والليلة الليلاء : الشديدة السواد ، والليل فى الشتاء طويل موحش شديد البرد . أراد أنها كانت تصوم اليوم الشديد الحر وتقوم للعبادة الليل الشديد البرد .

(٤) الغبين : المغبون ، وأصله فى البيع والشراء فمن اشترى سلعة بأكثر من قيمتها أو باعها بأقل فهو الغبين . و « من اشترى » اسم كان . والباء فى «بالغبين» زائدة فى خبرها . ورغد الجنان : نعيم الحياة فيها .

(٥) كل موقع لحظة : أراد فى كل موقع نظرة ، فهو منصوب على الظرفية متعلق بمحذوف خبر مقدم و «أثر» مبتدأ مؤخر .

٣٠ فبأيِّ كفٍّ أستجِنُّ وأتَّقى ... صَرْفَ النوائب أم بأيِّ دعاء ؟(١)

٣١ ومَنِ الممولُ لى إذا ضاقتْ يدى ؟ ... ومَنِ المعلِّل لى من الأدْواءِ ؟(٢)

٣٢ ومَنِ الذى إن ساورَتْنى نكبةٌ ... كان الموقِّىَ لى من الأسْوَاء ؟(٣)

٣٣ أم من يُلِطُّ على ستر دعائه ... حَرَمًا منَ البأساء والضَّرَّاء ؟(٤)

٣٤ رُزْآنِ يزدادانِ طولَ تجدُّدٍ ... أبدَ الزمانِ : فَنَاؤها ، وبَقَائى(٥)

٣٥ شهدَ الخلائقُ إنها لنَجيبة ... بدليل مَنْ ولَدَتْ من النُّجباء

٣٦ فى كل مُظْلِم أزمةٍ أو ضِيقَةٍ ... يبدو لها أثرُ اليدِ البَيْضَاء(٦)

٣٧ ذخَرَتْ لنا الذكرَ الجميلَ إذا انقَضَى ... ما يَدَّخِرُ الآباء للأبْنَاء(٧)

---

(١) أستجن : أستتر ، وأصله من الجنة ـ بضم الجيم ـ وهى السترة وكل شىء وقاك من سلاح وغيره . ووقع فى ه « أستجز » محرفا . والنوائب : جمع نائبة ، وهى النازلة من نوازل الدهر تنوب الإنسان : أى تصيبه .

(٢) الممول لى : الذى يعطينى المال ، وضاقت يدى : كناية عن حاجته إلى المال وافتقاره له.

(٣) ساورتنى نكبة : وثبت علىّ ، والأصل فيه قولهم « ساور فلان فلاناً » إذا أخذ برأسه. والموقى : اسم فاعل فعله وقاه ـ بتضعيف القاف ـ إذا حفظه وكان وقاية له . والأسْواء : جمع سوء ، وهو الشر .

(٤) يلط : مضارع قولهم « ألط فلان على فلان » إذا ستره ، وأراد من الذى يضفى على ستر دعائه . ووقع فى ه «يلظ» بالظاء المعجمة ، وهو تحريف ماأثبتناه.

(٥) الرزء ـ بضم الراء وسكون الزاى ـ المصيبة ، وقيل : الرزء المصيبة العظيمة خاصة . ووقع فى ه «يزدادان طول تجلد» محرفا .

(٦) الأزمة ـ بفتح الهمزة وسكون الزاى ـ الشدة والقحط والسنة الشديدة . والضيقة ـ بكسر الضاد ، وقد تفتح ـ الفقر وسوء الحال . ويبدو : يظهر ، وأراد أنها كثيرة البر بالمحتاجين .

(٧) ذخرت : أبقت . والذكر الجميل : الثناء الحسن على جميل صنعها .

٣٨ قد كنت آمل أن يكون أمامَها ... يَوْمى وتُشْفق أن يكون ورائى

٣٩ كم آمرٍ لى بالتصبر هاجَ لى ... داء وقدَّر أنَّ ذاك دوائى(١)

٤٠ آوِى إلى بَرْد الظلال كأننى ... لتحرُّق آوِى إلى الرَّمْضاء(٢)

٤١ وأهُبُّ من طيب المنامِ تفزُّعاً ... فَزَعَ اللديغ نبَا عنِ الإغفاء(٣)

٤٢ آباؤكِ الغُرُّ الذين تفجَّرَتْ ... بهمُ ينابيعٌ من النَّعماء

٤٣ مِنْ ناصرٍ للحق أو داعٍ إلى ... سُبُل الهدى أو فارج الغَمَّاء(٤)

٤٤ نزلُوا بعُرْعُرة السَّنامِ من العُلى ... وعَلَوْا على الأثباج والأمْطاء(٥)

٤٥ مِن كلِّ مُستبق اليدَيْنِ إلى الندى ... ومسدَّدِ الأقوال والآراء

٤٦ يُرْجَى على النظر الحديد تكرُّمًا ... ويُهاب فى الإطراق والإغضاء(٦)

---

(١) هاج لى داء : أثاره بعد ما كان مكتوما .

(٢) آوى : أركن وأجعله مأوى لى . والرمضاء ـ بفتح فسكون ـ شدة الحر أو الأرض الحارة الحامية من شدة حر الشمس ، وقال الشاعر :

المستجيرُ بعَمْرٍو عند كربته ... كالمستجير من الرَّمْضاء بالنار

(٣) أهب : مضارع « هب الرجل من نومه » إذا استيقظ وانتبه . واللديغ : الذى لدغته الأفعى أو العقرب . والإغفاء : النوم ، ونبا عنه : بعد عنه ، ووقع فى ه « بناغى » محرفا تحريفا شنيعا .

(٤) الغماء ـ بفتح الغين المعجمة ـ الكرب والحزن والداهية ، وفارجها : كاشفها ومزيلها .

(٥) عرعرة الجبل ، وعرعرة الأنف ـ بضم العينين وسكون الراء بينهما ـ أعلى مكان منه ، ويقال : نزل العدو بعرعرة الجبل ونزلنا بحضيضه . والأثباج : جمع ثبج ـ بفتح الثاء والباء ـ وهو هنا وسط كل شىء ، وهو من البعير مابين الكاهل إلى الظهر . والأمطاء : جمع مطا ـ بوزن عصا ـ وهو الظهر ، يريد أنهم لم يكتفوا من منازل المجد والرفعة بأوائلها وأوساطها ، بل بلغوا أعلاها ونزلوا فى أسماها مكانا .

(٦) النظر الحديد : الحاد الشديد . والإطراق : مصدر أطرق الرجل إذا أرخى عينيه ينظر

٤٧ دَرَجوا على أثر القرون وخلَّفوا طُرُقاً مُعَبَّدة من العَلْياء[١]

٤٨ يا قبر أمنحُه الهوَى وأودُّ لو نزفَتْ عليه دموعُ كلِّ سماء

٤٩ لازال مُرْتَجِزُ الرعود مُجَلْجِلٌ هَزِجُ البَوَارق مُجْلِبُ الضَّوْضاء[٢]

٥٠ يَرْغو رُغاءَ العَوْدِ جَعْجَعه السُّرَى وينُوء نَوْءَ المُقْرِب العُشَراء[٣]

٥١ يقتاد مُثْقَلَة الغَمام كأنَّما ينْهَضْنَ بالعقدات والأنْقاء[٤]

٥٢ يهفو بها جنْحَ الدُّجَى ويسوقها سَوْقَ البِطاءِ بعاصف الهَوْجاء[٥]

إلى الأرض ، والإغضاء : مصدر أغضى الرجل إذا أغمض عينيه وقارب بين أجفانهما ، ويكون النظر الحديد عند الغضب ، ويكون الإطراق والإغضاء عند الحياء ونحوه ، يريد أنه عند الغضب لا ييأس الناس من خيره كما أنهم يهابونه ويخافونه فى وقت الحياء .

(١) طرقا معبدة : ممهدة مذللة .

(٢) مرتجز الرعود : المتدارك الصوت المتتابعه . ومجلجل : أراد به الرعد المطبق بالمطر . والهزج ـ بفتح فكسر ـ أراد به الصوت ، والبوارق : جمع بارق ، وهو هنا السحاب ذوالبرق. والضوضاء ـ بفتح فسكون ـ أصلهأصوات الناس فى الحرب ونحوها .

(٣) يرغو : مضارع من الرغاء ـ بضم الراء ـ وهو صوت البعير وكل ذى خف . والعود ـ بفتح العين وسكون الراء ـ وهو المسن من الإبل . وجعجعه : أبركه وأناخه ، وأراد هد من قوته وأضعف من نشاطه . والسرى ـ بضم السين ـ السير ، أو خاص بسير الليل . وينوء : يضعف ويفتر . والمقرب ـ بضم الميم ـ التى قرب وقت ولادتها . والعشراء ـ بضم العين وفتح الشين ـ الناقة الحامل .

(٤) مثقلة الغمام : أراد بها السحابة الممتلئة بالمطر . والعقدات ـ بفتحات ـ جمع عقدة ، وهى ماتعقد من الرمل وتراكم . والأنقاء : جمع نقا ، وهو القطعة من الرمل تنقاد محدودبة .

(٥) يهفو بها : أراد يحركها ويسوقها ، والضمير المستتر فيه يعود إلى مرتجز الرعود فى البيت ٤٩ ، والبطاء ـ بكسر الباء ـ جمع بطىء . والهوجاء : الريح الشديدة الهبوب التى تقتلع البيوت والخيام .

٥٣ يرميكِ بارقُها بأفلاذِ الحَيَا ... ويفُضُّ فيكِ لطائمَ الأنداءِ (١)

٥٤ متحلبًا عذراء كلَّ سحابةٍ ... تَغْذُو الجَميمَ بروضةٍ عذْراءِ (٢)

٥٥ لَوَ ٱؤْمتُ إن لم أسْقِها بِمَدَامِعِي ... ووَكَلْتُ سُقْيَاها إلى الأنواءِ (٣)

٥٦ لَهْفى على القوم الأولى غادرتُهُمْ ... وعليهمُ طَبَقٌ مِنَ البَيْدَاءِ (٤)

٥٧ متوسِّدِينَ على الخدودِ كأنما ... كَرَعوا على ظَمَإٍ من الصَّهباءِ (٥)

٥٨ صُوَرٌ ضَنِنْتُ على العيونِ بلَحْظِها ... أمسيْتُ أوقِرُها من البَوْغاءِ (٦)

٥٩ ونواظرٌ كحَلَ الترابُ جفونَها ... قد كنتُ أحْرُسُها من الأقذاءِ

---

(١) أفلاذ : جمع فلذة ـ بكسر الفاء وسكون اللام ـ وأصلها القطعة من الكبد والذهب واللحم والمال وغير ذلك . والحيا ـ بفتح الحاء ـ المطر . ويفض : يفتح ، واللطائم : جمع لطيمة ، وهى وعاء المسك . والأنداء . جمع ندى ـ بفتح النون ـ وهو هنا المطر ، وأراد أن الرعد يفتح ما أغلق من السحب فتنفجر الأمطار ، فشبه السحاب بنوافج المسك ، وشبه الأمطار بالمسك ، وجملة « يرميك » خبر « زال » فى البيت ٤٩ .

(٢) متحلبا : اسم الفاعل من « تحلب فلان العرق » إذا أساله ، ويقال : تحلب العرق ، إذا سال ، وتحلبت عين فلان بالدمع ، وتحلب فمه : أى سال بالريق . قال :

* ترَى الماءَ من أعطافِهِ يتحلَّبُ *

فهو لازم متعد . والعذراء : فى الأصل المرأة البكر ، وأراد ههنا السحابة التى لا نظير لها . ووقع فى ب «متحلياعذراء» محرفا . والجميم: النبات الذى يغطى وجه الأرض لكثرته . والروضة العذراء : التى لم يرعها أحد .

(٣) لؤمت : كنت لئيما ، ووقع فى ه «للموت» محرفا . والأنواء : جمع نوء ـ بفتح النون ـ وأراد به هنا المطر .

(٤) الطبق ـ بفتح الطاء والباء جميعا ـ وجه الأرض ، أو غطاء كل شىء .

(٥) كرعوا : شربوا ، وهو من بابى علم وقطع . والصهباء : الخمر .

(٦) ضننت : بخلت ، ولحظها : ملاحظتها والنظر إليها . والبوغاء : التربة الرخوة ، يعنى أنه كان يبخل على عيون الناس أن تقع على صورة هذه الفقيدة وهو اليوم يثقلها بإهالة التراب فوقها .

٦٠ قَرُبتْ ضَرائحهم على زُوَّارها ونأوْا على الطُّلاب أىَّ تَناء[1]

٦١ ولَبئس ما تَلقى بعُقْر ديارهم أُذُنُ المُصيخ بهـا وَعَيْنُ الرائى[2]

٦٢ مَعْروفُكِ السَّامى أنيسُكِ كلما وَرَد الظلامُ بوَحْشةِ الغَبْراء[3]

٦٣ وضِياء ما قَدَّمْتِه من صالحٍ لك فى الدجَى بدلٌ من الأضْواء

٦٤ إن الذى أرْضاه فِعْلُكِ لاتزَلْ ترضيكِ رحمتُه صباحَ مساءِ[4]

---

(١) الضرائح : جمع ضريح ، وهو القبر ، والزوار : جمع زائر . ونأوا : بعدوا .

(٢) عقر ديارهم ـ بضم العين وسكون القاف ـ وسطها ، والمصيخ : اسم الفاعل من أصاخ الرجل إذا تسمع ، يعنى أن من تسمع إلى مايجرى فى ديارهم أو نظره لم يسمع غير البكاء ولم ير إلا الوجوه المحزونة .

(٣) السامى : العالى المنزلة عند الله ، ووقع فى ه « معروفك السارى » محرفا . وأنيسك : مؤنسك فى وحدتك . والغبراء : الأرض ، يريد أنها ستجد من الجزاء الأوفى عند الله ما يكون لها أنيسا .

(٤) «لاتزل» جاء بهذا الفعل مجزوما وحقه الرفع، على أن له أحد تخريجين : الأول : أن يكون قد عامل الاسم الموصول معاملة اسم الشرط فجاء بالخبر كما يجىء بجواب الشرط ، ونظيره قول الشاعر وهو من شواهد النحاة:

خالِى لأنْتَ ، ومَنْ جريرٌ خالُه يَنَلِ العَلاءَ ويكرُمِ الأخوالا

والثانى : أن تكون « لا » دعائية جازمة ، وفيه ضعف من جهة أنه جاء بخبر إن جملة طلبية ، ونظيره قول الآخر وهو من شواهد النحاة أيضا :

إنَّ الذين قتلتم أمسِ سيدهم لا تحسبُوا لَيْلَهم عن لَيْلِكم ناما

و « صباح مساء » على إضافة الأول للثانى ، وهو وجه جائز فى العربية ، ويجوز فيه فتحهما معا على أنهما تركبا فصارا كالكلمة الواحدة وبنيا على فتح الجزءين ، ونظيره « بين بين » فى قول عبيد بن الأبرص :

نَحْمِى حَقِيقتنا ، وبَعْ ضُ القومِ يسقُطُ بَيْنَ بَيْنا

٦٥ صلَّى عليكِ وما فقدتِ صِلَاتِه قَبْلَ الرَّدَى وجَزَاكِ خيرَ جزاءِ (١)

٦٦ لو كان يُبْلِغُكِ الصفيحُ رسائلى أو كان يُسْمِعُكِ الترابُ ندائى (٢)

٦٧ لسمعتِ طولَ تأوُّهى وتفجُّعى وعلمتِ حسنَ رِعايتى ووَفائى

٦٨ كانَ ارتكاضِى فى حَشاكِ مسبِّبًا رَكْضَ الغليلِ عليكِ فى أحْشَائى (٣)

***

٦ — وقال يَرْثى بعضَ الناس ، وقيل : إنها فى الطائع لله ، وإنه قد أخفى تَرْجمتها لما [قد] كان يراقبه [من الكامل] :

١ أترى السحابَ إذا سرتْ عُشَراؤه يَمْرى على قبرٍ ببابلَ ماؤُه ؟ (٤)

٢ يا حادِيَيْه قِفَا ببُزْلِ مَطِيَّه فلِى ثَرَى ذا القبرِ كان حُدَاؤه (٥)

٣ يَسْقى هوًى للقلب فيه ومَعْهداً رفَّتْ مَنَابتُه ورَقَّ هواؤه (٦)

---

(١) صلاته : جمع صلة — بكسر الصاد فيهما — وهو العطية ، يريد أنها عاشت فى نعم الله الواسعة وغفر لها بعد موتها .

(٢) الصفيح : جمع صفيحة ، وهى الحجر العريض ، وأراد القبر لأنه ترص فوقه الأحجار.

(٣) ارتكاضى فى حشاك : اضطرابه فى بطنها حين كان جنينا ، أراد أن بنوته لها هى سبب حزنه الشديد عليها .

(٤) أصل العشراء الناقة الحامل ، وأراد ههنا السحابة المثقلة بالماء . ويمرى : مضارع مرت الريح السحاب ، إذا استدرته واستنزلت ماءه . وبابل : اسم مكان .

(٥) الحادى : السائق ، ووقع فى ه « ياحادياه » محرفا . والبزل — بضم فسكون — جمع بازل ، وهو من الإبل الذى تم له ثمان سنين وطعن فى التاسعة . والثرى : التراب . والحداء : سوق الإبل .

(٦) الهوى هنا بمعنى اسم المفعول ، ونظيره قول جعفر بن علبة الحارثى ، وهو من شعراء الحماسة :

هَوَايَ مع الركب اليَمَانِينَ مُصْعِد جَنِيبٌ ، وجُثْمانى بمكة مُوثَقُ

٤ قد كان عاقدَنى الصفاء فلم أزُلْ عنـه ، وما بقى علىَّ صفاؤُه

٥ ولقد حَفِظتُ له فأين حِفاظُه ولقـد وفيتُ له فأين وفاؤه

٦ أوَعَى الدعاء فلم يُجِبه قطيعةً أم ضلَّ عنه من البعاد دُعاؤه

٧ هيهاتَ ! أصبح سمعُه وعِيانُه فى التُّرب قد حَجَبَتْهُما أقذاؤه(١)

٨ يُمسِى ولينُ مِهادِه حَصْباؤُه فيـه ، ومُؤْنِسُ ليلِه ظَلْماؤه(٢)

٩ قد قُلِّبَتْ أعيانُه ، وتنَكَّرَت أعلامُه ، وتـكشَّفت أضواؤه(٣)

١٠ مُغْفٍ وليس للذَّةٍ إغفاؤه مُغْضٍ وليس لفِكْرَةٍ إغضاؤُه(٤)

١١ وَجْهٌ كلَمْعِ البرق غاضَ وَمِيضُه قلبٌ كحدِّ العَضْبِ فُلَّ مَضاؤُه(٥)

١٢ حَـكَم البِلى فيـه فلَوْ يَلقى به أعداءَهُ لرثى له أعـداؤُه(٦)

١٣ إنَّ الذى كان النعيمَ ظلالُه أمسى يُطَنَّبُ بالعَراء خِباؤُه(٧)

ورفت ـ بالفاء ـ اهتزت . تقول : رف النبات ، إذا اهتز واضطربت أغصانه ، ووقع فى هـ ، ب «رقت» بالقاف ، محرفا . ورق هواؤه : طاب .

(١) العيان ـ بكسر العين ـ المعاينة بالنظر . والأقذاء : جمع قذى .

(٢) فى هـ «يمشى» محرفا . والحصباء : صغار الحصى .

(٣) تنكرت : صارت مجهولة ينكرها من رآها .

(٤) مغف : اسم الفاعل من أغفى الرجل إذا نام ، ومغض : اسم الفاعل من أغضى إذا أطبق جفنيه .

(٥) غاض : ذهب ، وأصله قولهم : « غاض الماء » إذا ذهب فى الأرض . والوميض ـ بفتح الواو ـ البريق واللمعان . والعضب ـ بفتح فسكون ـ السيف القاطع . وفل ـ بالبناء للمجهول ـ ثلم وتكسر .

(٦) البلى ـ بكسر الباء ـ الفناء والموت . وفاعل «يلقى» هو ضمير البلى ، والضمير فى «به» وفى «أعداءه» راجعان إلى المرثى . ورثى له أعداؤه : أشفقوا عليه .

(٧) يطنب ـ بالبناء للمجهول ـ يتخذ له الطنب ، وأصله الوتد أو الحبل الطويل يشد به

١٤ قد خَفَّ عن ذاكَ الرِّواقِ حُضوره ... أبداً وعن ذاكَ الحِمَى ضَوْضاؤه[١]

١٥ كانت سوابقُه طِرازَ فِنائِهِ ... يَجْلُو جمال رُوَائِهِنَّ رُوَاؤُه[٢]

١٦ ورماحُه سُفَراؤه ، وسيوفُه ... خُفَراؤه ، وجيادُه نُدَماؤه[٣]

١٧ ما زال يَغْدُو والرِّكاب حُدَاؤه ... بين الصَّوارم والعَجَاجُ رِدَاؤه[٤]

١٨ انظر إلى هـــذا الأنام بعبرة ... لا يعجبَنَّكَ خَلْقُـه وبَهَاؤه

١٩ بيناهُ كالوَرَق النَّضير تَقَصَّفَتْ ... أغصانُه وتَصَلَّبَتْ شَجْراؤُه[٥]

سرادق البيت . والعراء ـ بفتح العين ـ الخلاء . والخباء ـ بكسر الخاء ـ البيت . يريد أن هذا المرثى كان يستظل بوارف النعيم فصارت داره فى العراء وهى القبر .

(١) خف : ارتحل ، وأراد انقطعوا عن المجىء . والرواق ـ بكسر الراء ، وتضم ـ بيت كالفسطاط ، وقيل : هو سقف فى مقدم البيت . والحضور : جمع حاضر . يريد أن الذين كانوا يحضرون مجلسه قد انقطعوا فكأنما رحلوا .

(٢) سوابقه : جمع سابق ، وأراد به الفرس . والطراز ـ بكسر الطاء ، بزنة الكتاب ـ أصله علم الثوب : أى نقشه . والفناء ـ بكسر الفاء ـ الساحة أمام البيت ، أو ما امتد من جوانبه . والرواء ـ بضم الراء ـ حسن المنظر . يريد أن الخيل التى كانت تربط فى الساحة التى أمام داره استعدادا لإجابة الصريخ قد كانت زينة الفناء ، وكان إذا ركبها زاد بهاؤها وجمال منظرها بما تكسبه من جمال فارسها .

(٣) السفراء : جمع سفير ، وهو فى الأصل الذى يمشى فى الصلح بين اثنين . والندماء : جمع نديم ، وهو الذى ينادمك على الشراب . ووقع فى ه « وسيوفه خضراؤه » محرفا .

(٤) الصوارم : السيوف ، واحدها صارم . والعجاج ـ بفتح العين ـ التراب الذى يثور من وقع سنابك الخيل .

(٥) « بيناه » حق الكلام أن يقول « بيناهو » لكنه صنع كما صنع الشاعر فى قوله :

فبَيْنَاهُ يَشْرِى رَحْلَه قال قائلٌ ... لِمَنْ جَمَل رِخو المِلاطِ نجيبُ

والورق النضير : اليانع الجميل . وتقصفت : تكسرت . وتصلبت : أراد جفت . والشجراء : جماعة الشجر .

٢٠ أنَّى تحاماه المنونُ ، وإنَّما ... خُلِقت مَرَاعِىَ لِلرَّدَى خَضْراؤه (١)

٢١ أم كيف تأمُلُ فَلْتَةً أجسادُه ... مِنْ ذا الزمانِ وحَشْوُها أدْوَاؤه (٢)

٢٢ لا تَعْجَبَنَّ فما العجيبُ فَنَاؤه ... بِيَدِ المنونِ، بل العجيبُ بَقَاؤه

٢٣ إنَّا لنَعْجَبُ كيف حُمَّ حِمَامُه ... عن صِحَّةٍ ويغيبُ عنَّا داؤه (٣)

٢٤ مَنْ طاح فى سُبُلِ الردى آباؤه ... فَلَيَسْلُكَنَّ طريقَه أبناؤه

٢٥ ومُؤَمَّرٍ نزَلُوا به فى سُوقَةٍ ... لا شَكْلُه فيهم ولا قرناؤه (٤)

٢٦ قد كان يَفْرَقُ ظِلَّهُ أقرانُه ... ويغُضّ دون جَلَاله أكْفاؤه (٥)

٢٧ ومُحَجَّبٍ ضُرِبَتْ عليهِ مَهَابَةٌ ... يُعْشِى العيونَ بَهَاؤُهُ وضياؤه (٦)

---

(١) أنى : معناه كيف . وتحاماه : أصله تتحاماه فحذف إحدى التاءين ، ومعناه تتحاشاه وتبعد عنه . والمنون : الموت ، سمى بذلك لأنه يقطع ما اتصل من الألفة . والردى : الهلاك . يريد كيف يبعد الموت عنه ولا ينزل به مع أن أسباب الموت متوافرة لديه حتى لكأنه خلق مرعى للموت .

(٢) حشوها : ملء داخلها . والأدواء : جمع داء . وهذا البيت من معنى البيت السابق .

(٣) الحمام ـ بكسر الحاء ـ الموت . وحم ـ بالبناء للمجهول ـ قدر وهيئت أسبابه .

(٤) المؤمر ـ بصيغة المفعول ـ المملك لأن الرعية تؤمره على نفسها . والسوقة ـ بضم السين ـ العامة . والقرناء : جمع قرين ، وقرينك هو صاحبك الذى يساويك فكأنه قرن بك وقرنت به ، وهذا البيت يدل على أن القصيدة فى رثاء الطائع ، ومثله الأبيات ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ .

(٥) يفرق : يخاف ويهاب . والأقران : جمع قرن ـ بكسر فسكون ـ وهو نظيرك فى الشجاعة . ويغض أكفاؤه : أراد يطأطئون رءوسهم ويطبقون أجفانهم . والأكفاء : جمع كفء ـ بضم فسكون ـ وهو الذى يساويك فى الرفعة وعلو المنزلة .

(٦) محجب : ضرب دونه الحجاب ، ووقع فى ه « ضربت عليك مهابة » محرفا . ويعشى العيون ـ بالعين المهملة ـ يصيبها بالعشا ، وهو ضعف البصر ، ووقع فى ه ، ب « يغشى العيون» محرفا .

٢٨ نادَتْهُ من خَلْفِ الحِجاب مَنِيَّةٌ أمَم فكان جوابَها حَوْباؤه(١)

٢٩ شقَّتْ إليه سيوفَه ورماحَه وأُميطَ عنه عَبيدُه وإماؤه(٢)

٣٠ لم يُغْنِهِ مَنْ كان ودَّ لَوَ أنَّهُ قَبْلَ المنون من المنون فِداؤه

٣١ حِرْمٌ عليه الذُّلُّ إلا أنَّهُ أبداً لَيَشْهَدُ بِالجلالِ بِناؤه(٣)

٣٢ متخشِّعٌ بعدَ الأنيسِ جَنابُه مُتَضائل بعد القَطِين فِناؤه(٤)

٣٣ عُرْيانَ تَطْرُد كلّ ريح تُرْبه وتُطيع أوَّل أمْرِها حَصْباؤه

٣٤ ولقد مررْتُ ببَرْزَخٍ فسألْتُهُ أين الأولى ضَمَّتْهُمُ أرجاؤه؟

٣٥ مِثْلُ المِطِيِّ بَوَاركاً أجدائه تَسْفِي على جَنَباتِها بَوْغاؤه(٥)

٣٦ نادَيْتُهُ فخَفَى عليَّ جوابُه بالقَوْل إلا ما زَقَتْ أصداؤه(٦)

---

(١) أمم : أى قريبة ، من قولهم « أخذت هذا الشيء من أمم » أى من قرب . والحوباء - بفتح فسكون - النفس .

(٢) أميط عنه : أبعد ونحى عنه ، والإماء : الجوارى ، واحدتهن أمة .

(٣) حرم - بكسر الحاء وسكون الراء - أى حرام ، مثل حل بمعنى حلال ، والبيت من تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٤) الجناب - بفتح الجيم - الفناء أو ماقرب من محلة القوم. ويقال : فلان رحيب الجناب، وخصيب الجناب . والقطين : السكان ، وأصله قولهم «قطن فلان بالمكان» .

(٥) بواركا : جمع بارك أو باركة ، وتقول : برك البعير ، إذا أناخ . والأجداث : جمع جدث - بفتح الجيم والدال جميعاً - وهو القبر . وتسفى : مضارع سفت الريح التراب تسفيه سفياً - من باب رمى - إذا ذرته أو حملته . والبوغاء : التراب وانظر ٥/٥٨ وقد أسند الفعل إلى التراب والسافى هو الريح فهو مجاز عقلى من إسناد الفعل إلى مفعوله .

(٦) خفى : جاء به على لغة طيء وانظر شرح ١/٤٧ ، وزقت : صاحت . والأصداء : جمع صدى ، وهو ما تسمعه يحكى صوتك فى الكهوف والجبال .

٣٧ مِنْ ناظرٍ مَطْروفةٍ ألحاظُه أو خاطرٍ مَطْلولةٍ سَوْداؤه(١)

٣٨ أو واجدٍ مكظومةٍ زَفَراتُه أو حاقدٍ مَنْسِيّةٍ شَحْناؤه(٢)

٣٩ ومُسَنَّدِينَ على الجُنُوب كأنَّهم شَرْبٌ تَخاذَلُ بالطِّلا أعْضاؤه(٣)

٤٠ تَحْتَ الصَّعِيدِ لغير إشفاقٍ إلى يوم المَعَاد تضمُّهم أحشاؤه(٤)

٤١ أكَلَتْهُمُ الأرضُ التى ولَدتْهُمُ أكل الضَّروس حلَتْ له أكْلاؤه(٥)

٤٢ حَيَّاكَ مُعْتَلِجَ النسيمِ ولا تزَلْ سحراً يُفَاوِح نَوْرَه أصْباؤه(٦)

٤٣ يَمْرِى عليكَ من النُّعَامَى خِلْفَهُ مِنْ عارضٍ مُتَبَزِّلٍ أنْدَاؤه(٧)

---

(١) مطروفة : من قولهم « طرف فلان بصره » إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر ، ومطلولة : من قولهم «طل دم فلان» إذا ذهب هدراً فلم يثأر به. وسوداؤه : حبة قلبه .

(٢) واجد : اسم الفاعل من الوجـد وهو الحزن . ومكظومة : من قولهم « كظم فلان غيظه » إذا حبسه فى نفسه . والزفرات : جمع زفرة ـ بفتح فسكون ـ وهى التنفس الطويل من شدة غم أو حزن .

(٣) الشرب ـ بفتح فسكون ـ جمع شارب . و « تخاذل » أصله تتخاذل فحذفت إحدى التاءين . والطلا ـ بكسر الطاء ـ الخمر ، وأصله المد فقصره للضرورة . وتخاذل الأعضاء : تفترها وعجزها عن الحركة .

(٤) الصعيد ـ بفتح الصاد ـ التراب . والإشفاق : الشفقة والرحمة . ويوم المعاد : اليوم الذى وعد الله بأن يعيد فيه العالم للجزاء . يريد أنهم باقون فى جوف التراب إلى يوم الجزاء .

(٥) الضروس ـ بفتح الضاد ـ الناقة السيئة الخلق تعض حالبها . والأكلاء : جمع كلأ . وهو العشب .

(٦) معتلج النسيم : أصل هذا من قولهم « اعتلج الموج » إذا التطم ، وقالوا « اعتلج الهم فى صدره » وهم يريدون أنه اضطرب . وتفاوح : تغالب فى فوح الرائحة وانتشارها . والنور ـ بفتح النون وسكون الواو ـ الزهر . والأصباء : جمع صبا ، وهى ريح تهب من مطلع الثريا إلى بنات نعش .

(٧) يمرى ، انظر ٦/١ ، والنعامى ـ بضم النون ، بزنة حبارى ـ ريح الجنوب ، سميت

٤٤ فسَقاكَ ما حَمَل الزُّلالَ سِجالُه ... ونَحاكَ ماجَرَّ الزُّحوفَ لِواؤُه (١)

٤٥ لولا اتِّقاءُ الجاهليَّةِ سُقْتُه ... ذَوْداً تَمُورُ على تَرَاكِ دِماؤُه (٢)

٤٦ وأطرْتُ تحتَ السيفِ كلَّ عشيَّةٍ ... عُرْقُوبَ مُعْتَبِطٍ يَطُول رُغاؤُه (٣)

٤٧ لكن سَيَخْلُفُ عقْرها ودِماءَها ... أبَدَ الليالى مَدْمَعِى وبُكاؤُه

٤٨ أقْنِى الحياءَ تجمُّلًا لَوْ أنَّه ... يَبْقى مع الدمع اللَّجوجِ حَياؤُه (٤)

بذلك لأنها أرطب الرياح وأبلها ، وقيل : هى ريح بين الجنوب والصبا . والخلف ـ بكسر الخاء وسكون اللام ـ أصله حلمة ضرع الناقة . والعارض : السحاب المعترض فى الأفق . ومتبزل : سائل . والأنداء : جمع ندى وهو المطر . وقال أبو ذؤيب الهذلى :

مَرَتْه النُّعامى فلم يعترف ... خِلافَ النعامى من الشام ريحا

(١) الزلال ـ بضم الزاى ـ الماء البارد العذب الصافى السائغ السريع المرور فى الحلق . والسجال ـ بكسر السين ـ جمع سجل ، بالفتح ، وهى الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثر ، ولا يقال سجل إذا كانت فارغة ، وإنما يقال دلو ، والزحوف : جمع زحف ـ بفتح فسكون ـ وهو الجيش يزحف إلى العدو ، سمى بالمصدر لأنه لكثرته وثقل حركته كأنه يزحف ، يدعو للميت بالسقيا بأطيب المياه وأسرعها مساغا ، وبأن يكثر زواره .

(٢) الجاهلية : أراد بها أعمال العرب فى جاهليتهم ، كانوا ينحرون على قبور موتاهم الإبل ونحوها . والذود ـ بفتح الذال وسكون الواو ـ من الإبل الثلاثة إلى العشرة ، ومن كلامهم «الذود إلى الذود إبل» أى القليل ينضم إلى القليل يصير كثيرا. وتمور : مضارع قولهم «مار الدم على وجه الأرض» إذا جرى .

(٣) أطر ـ من باب ضرب ـ أى عطف وثنى . والعرقوب من الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها ، وكان من عادة العرب فى الجاهلية أن يعرقبوا الابل : أى يقطعوا عرقوبها . والمعتبط ـ بزنة اسم المفعول ـ من قولهم « اعتبط فلان الذبيحة » إذا نحرها من غير علة وهى سمينة فتية . والرغاء ، انظر ٤/٢٤ .

(٤) أقنى : مضارع قنى الحياء ـ من باب ضرب ـ إذا لزمه . والتجمل : التصبر .

٤٩ وإذا أعاد الحولُ يومَك عادني ... مثلُ السليم يَعُودُه آناؤه[١]

٥٠ داءٌ بقلبي لا يَعُود طبيبُه ... يأساً إليَّ ولا يُصاب دَوَاؤه

٥١ فاذْهَبْ فلا بقي الزمانُ وقد هَوَى ... بك صَرْفُه وقضَى عليك قضاؤه

* * *

٧ — وقال يرثي صديقاً له [من الكامل] :

١ مالي أودِّعُ كلَّ يومٍ ظاعناً ... لو كنتُ آمل للوَدَاعِ لِقاءَ[٢]

٢ وأروحُ أذْكَرَ ما أكُونُ لعَهْدِهِ ... فكأنَّني اسْتَوْدَعْتُهُ الأحشاء[٣]

٣ فرغَتْ يدى منه وقد رَجَعَتْ به ... أيدِي النوائبِ والخطوبِ مِلاءَ[٤]

٤ تشكو القَذَى عيْنِي فيَكْثُرُ شَكْوُها ... حتَّى يكونَ قَذًى بِها أقْذَاءَ[٥]

٥ شَرَقٌ من الحَدَثَانِ لو يُرْمَى به ... ذَا الماءَ مِن ألمٍ أغصَّ الماءَ[٦]

---

(١) السليم : اللديغ ، سموه بذلك تفاؤلا له بالسلامة كما سموا الصحراء مفازة تفاؤلا لسالكها بالفوز .

(٢) الظاعن : المسافر ، هذا أصله وأراد به هنا الميت ، و « لو » ههنا حرف تمن فلا جواب لها أو هى شرطية فجوابها محذوف ، أى لو كنت آمل للوداع لقاء لهان على الأمر ، مثلا .

(٣) «أذكر» ههنا أفعل تفضيل بمعنى أشد تذكراً. والأحشاء : جمع حشا ، وهو ماانضمت عليه الضلوع .

(٤) ملاء — بكسر الميم — جمع ملأى أى ممتلئة .

(٥) القذى : ما يكون فى العين من عمص ونحوه ، والأقذاء : جمعه ، يريد أنه يشكوها فتترادف عليه الهموم ، ووقع فى ه «حتى يكون قذائها» محرفا .

(٦) الشرق — بفتح الشين والراء جميعاً — مصدر «شرق الرجل بريقه أو بغيره من المائعات» من باب فرح — إذا غص به ، و « ذا الماء » أى هذا الماء ، ومن العادة أن من يشرق يفزع إلى الماء ليزيل به شرقه ، فهو يقول : إن هذا الذى أنا فيه لو نزل بما شأنه أن يزيل المتاعب لأورثه

٦ أحْبَابَ الأدْنَيْنَ كم ألْقَى بكم داء يُمِضُّ فلا أداوِى الداء[1]
٧ أحْيَا إخاءَكم المماتُ وغَيْرُكم جَرَّبْتُهُمْ فثَكِلْتُهُمْ أحْياء[2]
٨ إن لا يكُنْ جَسَدى أصِيب فإنَّنى فَرَّقْتُهُ فدَفَنْتُهُ أعضاء

* * *

٨ — وقال فى النسيب [من الخفيف] :

١ حَىَّ بَيْنَ النَّقَا وبين المُصَلَّى وقفاتِ الركائِبِ الأنْضَاءِ[3]
٢ ورَوَاحَ الحجيج ليلةَ جَمْعٍ ولِجَمْعٍ مَجامعُ الأهواءِ[4]
٣ وتذَكَّرْ عنِّى مُنَاخ مَطِيِّى بأعالِى مِنًى ومُرْمَى خِبَائى
٤ وتعمَّدْ ذِكْرِى إذا كنتَ بالخَيْـ ـفِ لِظَبْىٍ من بعض تلك الظِّباء[5]
٥ قُلْ له: هل تَرَاكَ تَذكُرُ ما كا نَ بباب القُبَيْبَةِ الحمراء؟[6]
٦ قال لى صاحبى غَدَاةَ التَّقَيْنا نتشاكى حَرَّ القلوبِ الظِّماء :

أشد المتعب . وقال عدى بن زيد :

لَوْ بغَيْرِ الماء حَلْقِى شرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعْتِصارى

وقال الآخر :

إلى الماء يَسْعَى مَن يَغَصُّ بريقِهِ فقُلْ أين يَسْعَى مَن يغص بماءِ؟

(١) يمض — بضم ياء المضارعة — مضارع أمضه الأمر إذا آلمه وأحرقه .

(٢) ثكلتهم : فقدتهم .

(٣) الركائب : جمع ركوبة ، وهى الدابة . والأنضاء : جمع نضو أو نضوة — بكسر فسكون — والنضو : المهزول من الإبل وغيرها .

(٤) جمع — بفتح فسكون — منى ، وهى قرية فى طريق عرفة ، وأيام جمع : هى الأيام التى يقضيها الحجاج فى منى .

(٥) الخيف : خيف منى ، وهو غرة بيضاء فى الجبل الأسود الذى خلف أبى قبيس .

(٦) القبيبة : تصغير القبة ، ويراد من التصغير التمليح ، وخاصة فى باب النسيب .

٧ كنتَ خَبَّرْتَنِى بأنَّك فى الوَجْـ ... ـدِ عقيدِى وأنَّ داءَكَ دائى (١)

٨ ماترى النَّفْر والتحمُّلَ لِلْبَيْـ ... ـنِ فماذَا انتظارُنَا للبُكاء (٢)

٩ لم يَقُلْها حتى انثنيت لما بى ... أتَلَقَّى دَمْعى بفَضْل رِدائى

* * *

٩ — وقال ، وكتب بها إلى صديق يسأله عن حال نكبة لحقته [من الوافر] :

١ خطوبٌ لا يُقاومها البَقاء ... وأحْوالٌ يدِبُّ لها الضَّراء (٣)

٢ ودهرٌ لايصحُّ به سَقيمٌ ... وكيف يصحُّ والأيامُ داء ؟

٣ وأملاكٌ يَرَوْن الفَتْكَ غُنْما ... وفى الأموال لو قَنَعوا فِداء (٤)

٤ همُ استَوْلَوْا على النُّجَباء منَّا ... كما استولى على العُودِ اللِّحاء (٥)

٥ مُقام لا يُجاذبه رَحيـــلٌ ... وليـلٌ لا يُجاوره ضِياء (٦)

---

(١) يقال : فلان عقيد فلان ، إذا كانت بينهما معاهدة وحلف ، وأراد هنا أنك نظيرى .

(٢) النفر — بفتح النون وسكون الفاء — القوم يتقدمون فى الأمر ، ويوم النفر : اليوم الذى ينفر فيه الناس من منى إلى مكة ، وهو اليوم الثالث من أيام النحر .

(٣) الضراء — بكسر الضاد أو فتحها — مصدر بمعنى الاجتراء ، تقول « ضرى الكلب بالصيد يضرى ضرى » مثل فرح يفرح فرحا — وضراء وضراء ، وذلك إذا لزمه وأولع به واجترأ عليه . هذا أحسن محامل هذه الكلمة عندنا .

(٤) الفتك : مصدر « فتك فلان بفلان » من بابى نصر وضرب — إذا بطش به ، أو قتله على غفلة ، أو انتهز منه فرصة فقتله . والغنم — بضم فسكون — الفوز بلا مشقة ونيل الشىء بغير بدل .

(٥) النجباء : جمع نجيب ، وهو الكريم الحسيب من الإنسان والحيوان . واللحاء — بكسر اللام — قشر الشجر ، انظر ٣/٤٣ .

(٦) المقام — بضم الميم — الإقامة ، والرحيل : الارتحال ، ولا يجاذبه رحيل : أراد بهذه العبارة أنهم ليسوا على نية الرحيل من هذه البلاد ، وأراد بعجز البيت أن الذى هم عليه من

٦ سيُقْطِعك المثقَّفُ ما تمنَّى ويُعْطيك المهنَّدُ ماتشاء(١)

٧ بلَوْنا ما تجيء به اللَّيالى فلا صُبْح يَدوم ولا مَساء(٢)

٨ وأنْضَيْنا المدى طَرَباً وهَمًّا فما بَقِىَ النعيمُ ولا الشَّقاء(٣)

٩ إذا كان الأسى داءً مُقيما ففى حُسْن العَزاء لنا شِفاء

١٠ وما يُنْجِى من الأيَّامِ قول ولا كَدٌّ يطول ولا عَناء(٤)

١١ تَنالُ جميعَ ما تسعى إليه فسيَّانِ السوابِقُ والبِطاء

١٢ وما يُنْجِى من الغمَرَات إلا ضِرَابٌ أو طِعان أو رِماء(٥)

١٣ ورمح تَسْتَطِيل بِهِ المنايا وصَمْصَام تُشافِهُه الدماء(٦)

١٤ وإنى لا أميلُ إلى خَليل سَفِيهِ الرَّأْى شِيمَتُه الرِّياء

الإيذاء والفتك ليس معه شىء من النفع ولا أمل فى انفراجه .

(١) يقطعك : مضارع أقطعه كذا إذا جعله له إقطاعا وكأنه اقتطعه له من شىء ، وأراد بالمثقف الرمح ، كما أنه أراد بالمهند السيف ، و «تمنى» أى تتمنى بريد أن نوال الإنسان مايريد لايكون بغير القوة .

(٢) بلونا : اختبرنا ، وكنى بالصبح عن المسرة وأسباب البشر ، وكنى بالمساء عن كل مكروه يخاف منه .

(٣) أنضينا : هزلنا . والمدى ـ بفتح الميم ـ الغاية التى ينتهى إليها السعى، وأراد أنهم ساروا إلى آخر الشوط . والطرب : خفة تعرض للانسان بسبب فرح أو حزن ، والمراد هنا الأول . والهم : الحزن .

(٤) فى ب « وما ينجى من الأيام فوت » وما أثبتناه أدق ، وهو فى ه

(٥) الغمرات : الشدائد ، واحدها غمرة ، قال الشاعر :

زعم العواذِلُ أنَّنِى فى غَمْرة صَدَقوا ولكن غمرتى لاتنجلى

والضراب ـ بكسر الضاد ـ المضاربة بالسيف ، والطعان يكون بالرمح ، والرماء يكون بالنبل

(٦) تستطيل به : تمتد ويرتفع شأنها بسببه ، والمنايا : جمع منية وهى الموت ، والصمصام : السيف .

١٥ يَسُومُنِيَ الخصامَ وليس طَبْعى ... وما من عادة الخيـلِ الرُّغاء(١)

١٦ أقول لِفِتْيَةٍ زَجَروا المطايا ... وخَفَّ بهم على الإبل النَّجاء(٢)

١٧ على غَوْرَاء تَشْتجر الأداوَى ... بمَرْصَبِها وتَزْدَحِم الدِّلاء(٣)

١٨ رِدُوا واسْتَفْضِلُوا نُطَفاً فَحَسْبى ... من الغُدْرانِ ما وَسِعَ الإناء(٤)

١٩ وبَعْدَكُم أناخ إلى محـل ... يُطَلِّق عنـده الدلوَ الرِّشَاء(٥)

٢٠ تَقَلَّص عن سَوَائمه المَرَاعى ... وتخرز درةَ الضَّرْعِ الرِّعَاء(٦)

٢١ إذا ما الحُرُّ أجْدَب فى زمانٍ ... فعِفَّتُه له زادٌ وماء

٢٢ أرى خَلْقاً سَوَاسيةً ولكن ... لِغَيْرِ العَقْل ماتلدُ النساء

---

(١) يسومنى : يكلفنى ، والرغاء ـ بضم الراء ـ صوت الإبل وكل ذى خف ، ولا يكون للخيل قط، وارجع إلى ٢٤/٤.

(٢) خف بهم : أسرع ، والنجاء ـ بفتح النون ـ أصله الإسراع وكأنه يطلب النجاة .

(٣) الغوراء : البعيدة الغور ، وأراد بها البئر ، وتشتجر : تختلف . والأداوى ـ بفتح الهمزة والواو ـ جمع إداوة ، وهى المطهرة ، والدلاء : جمع دلو .

(٤) ردوا : فعل أمر مسند لضمير الجمع من الورود وهو إتيان الماء . واستفضلوا : اطلبوا أفضل الأشياء . والنطف : جمع نطفة ، وهى هنا الماء الصافى . والغدران : جمع غدير ، وهو مايتركه السيل من الماء .

(٥) الرشاء ـ بكسر الراء ـ الحبل يربط فى الدلو ليستسقى به ، يريد أنه سينزل مكانا لايحتاج فيه إلى الوسائل لقضاء آرابه ، وكنى عن الوسائل بالرشاء ، وعن الآراب بالدلو .

(٦) تقلص : أصله تتقلص فحذف إحدى التاءين ، ومعناه ترتفع . والسوائم : جمع سائمة وهى هنا الدابة مطلقا ، والمراعى : جمع مرعى . وتخرز : تخيط ، والدرة ـ بكسر الدال ـ أصلها اللبن . والضرع ـ بفتح الضاد ـ موضع نزول اللبن . والرعاء : جمع راع . والمقصود من البيت أن أهل هذا المكان الذى سينزله يحمونه ويمنعون مافيه فليس يقدر أحد أن يأخذ منه شيئاً لا تجود به نفوسهم .

٢٣ يُشَبَّه بالفَصِيل الطفلُ منهم فسِيَّانِ العَقِيقَةُ والعِفَاءُ(١)

٢٤ تَصُونُهُمُ الوهاد وأىُّ بيتٍ حَمَى اليربوعَ لَوْلَا النَّافِقَاءُ(٢)

٢٥ همُ يومَ النـدى غَيْمٌ جَهَامٌ وفى اللَّأْوَاءِ ريحٌ جِرْبِيَاءُ(٣)

٢٦ قِرًى لا يَسْتجيرُ به خَميصٌ ونارٌ لا يُحَسُّ بها الصِّلاءُ(٤)

٢٧ وَضيفٌ لا يُخَاطبه أديبٌ وجارٌ لا يلذُّ له الثَّوَاءُ

٢٨ هَوَى بَدْرُ التمامِ، وكلُّ بدرٍ ستَقْذِفه إلى الأرض السَّماءُ

٢٩ وَعِلْمِى أنَّه يَزْداد نُورًا ويَجْذِبُه عن الظُّلَمِ الضِّياءُ

٣٠ أمرُّ بداره فأطِيـلُ شَوْقًا وَيَمْنَعُنى من النظر البُـكاءُ

٣١ تَعَرَّضُ لى فتُنْـكِرها لِحَاظى مُعَطَّلَة كما نُقِضَ الخِباءُ(٥)

٣٢ كأنّى قائفٌ طَلَبَ المَطَايا على جَدَدٍ تُبَعْثِره الظِّبَاءُ(٦)

---

(١) الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه ، وقد يقال على ولد البقر . والعقيقة هنا : شعر الوليد . والعفاء ـ بكسر العين ـ وبر البعير ، ومعنى البيت أنه يرى الناس والسوائم سواء .

(٢) اليربوع : نوع من الفأر طويل الرجلين قصـير اليدين جداً ، وجمعه يرابيع . والنافقاء : إحدى جحرة اليربوع ، ومن عادته أن يتخذ له أجحاراً يكتم بعضها ، وهذا الذى يكتمه هو الذى يسمى النافقاء ، وغرضه من ذلك أنه إذا أتى من جهة جحر آخر كالقاصعاء ضرب برأسه النافقاء فانفرج فتمكن من الهرب وسلم .

(٣) الجهام ـ بفتح الجيم ـ الذى لامطر معه . والجربياء ـ بزنة الكبرياء ـ من رياح الشمال الباردة . واللأواء : الشدة ، يريد أنه لانفع عندهم .

(٤) الخميص : الضامر البطن من الجوع . والصلاء ـ بكسر الصاد بزنة الكتاب ـ الشواء.

(٥) معطلة : أراد خالية ليس بها أنيس يكون زينة لها . ونقض ـ بالبناء للمجهول ـ هدم ، والخباء انظر ١/٥٤ .

(٦) قائف : اسم الفاعل من القيافة وهى تتبع الآثار لمعرفة سير أصحابها . والجدد : المستوى من الأرض . وتبعثره : تفرقه ، وأراد أنها تثيره فيذهب الأثر الذى كان يريد أن يتبعه .

٣٣ دِيار يَنْبُت الإحسانُ فيها ... ونَبْتُ الأرضِ تَنوّمٌ وآءُ(١)

٣٤ وقد كان الزمانُ يَروقُ فيها ... وتَشْرَب حسنَها الحَدَقُ الظِّماءُ(٢)

٣٥ ودارٌ لا يلَذُّ بها مُقيمٌ ... ولا يُغْشَى لساكنها فِناءُ

٣٦ تُخَيَّبُ فى جَوَانبها المَساعِى ... وينقص فى مَوَاطِنها الإباءُ(٣)

٣٧ وما حَبَسَتْكَ مَنْقَصةٌ ولكن ... كريمُ الزاد يُحْرِزُه الوعاءُ(٤)

٣٨ فلا تَحْزَنْ على الأيّام فِينا ... إذا غَدَرَتْ وشيمتُنا الوَفاءُ

٣٩ فإنَّ السَّيف يَحْبسُه نِجَاد ... ويُطْلِقُه على القِمَمِ المَضاءُ(٥)

٤٠ لَئِنْ قطع اللقاءُ غَرَامُ دهرٍ ... لما انقطع التوَدُّد والإخاءُ(٦)

٤١ وما بَعَثَ الزمانَ عليك إلا ... وُفورُ العِرْضِ والنَّفسُ العَصاءُ(٧)

---

(١) التنوم : شجر ، واحدته تنومة . والآء : ثمر شجر ، واحدته آءة .

(٢) يروق : يحسن . والحدق ـ بفتح الحاء والدال جميعاً ـ جمع حدقة ، وهى سواد العين الأعظم .

(٣) المساعى : جمع مسعاة ، وهى السعى فى سبيل المجد ، وقال شاعر الحماسة ، وهو الطرماح ابن حكيم :

أكلُّ فتًى أَلْفَى أباه مقصِّرًا ... مُعادٍ لأهل المكرماتِ الأوائلِ

إذا ذكرتْ مَسْعَاة والده اضطنى ... ولا يَضْطَنى من شَتْمِ أهلِ الفضائلِ

(٤) يحرزه : يكون حرزاً ووقاية له .

(٥) النجاد ـ بكسر النون ، بزنة الكتاب ـ أصله حمائل السيف ، ولو قال «قراب» وهو الغمد لكان أفضل . والقمم : جمع قمة ، وأصلها أعلى الجبل ، وأراد هنا الرءوس ، والمضاء ، انظر ٢/٣٩ .

(٦) الغرام هنا : الشر الدائم أو العذاب .

(٧) وفور العرض : أراد سلامته . والنفس العصاء ، انظر ٢/٥٠ .

٤٢ ولو جاهَرْتَه بالبأس يوماً ... لأبرأ ذلك الجربَ الهِناءُ(١)

٤٣ وكنتَ إذا وعدْتَ على الليالى ... تمطَّرَ فى مَوَاعِدِك الرَّجاءُ(٢)

٤٤ وأعْجَلك الصَّريخُ إلى المعالى ... كما يَسْتَعْجل الإبلَ الحُدَاءُ(٣)

٤٥ وأىُّ فتًى أصاب الدهرُ منَّا ... تُصاب به المروءةُ والوَفاءُ

٤٦ صَقيلُ الطبْعِ رَقْراقُ الحَوَاشى ... كما اصْطَفَقَتْ على الروض الإضاءُ(٤)

٤٧ ينالُ المجدَ وضَّاحُ المُحَيَّا ... طويلُ الباعِ عِمَّتُه لِواءُ(٥)

٤٨ كلامٌ تستجيبُ له المَعَالى ... ووجْهٌ يستبدُّ به الحَياءُ

٤٩ فلا زالَتْ همومُك آمراتٍ ... على الأيَّام يخدُمُها القَضاءُ(٦)

٥٠ تجولُ على ذَوَابِلِكَ المَنَايا ... ويخطِرُ فى مَنَازِلِكَ العَلاءُ(٧)

***

(١) البأس : الشدة ، والهناء : طلاء الإبل الجربى بالقطران ، وانظر ٢/٣٨ وضرب هذا الكلام مثلا .

(٢) تمطر : أسرع .

(٣) الصريخ ههنا : الدعاء ، والحداء ، انظر ١/٤٨ .

(٤) صقيل الطبع : أصل الصقيل السيف المجلو ، ولا يكون عليه حينئذ شىء يكدر جوهره من صدأ وغيره . والطبع : السجية والخلق والشيمة ، وأراد بصقيل الطبع هنا أنه صافى النفس خالص الطوية . والرقراق : أصله كل شىء له بريق وتلألؤ ، والحواشى : الجوانب . واصطفقت : من قولهم « اصطفقت الأشجار » إذا تحركت أغصانها وتهدلت واضطربت . والإضاء : الأجمة من شجر الخلاف الهندى ، وانظر ١/٤٩ .

(٥) عممته لواء ، انظر ٤/٣٥ .

(٦) همومك : جمع هم ، وهو العزم على الشىء ، ويخدمها القضاء : أى تجرى المقادير مسعدة لها .

(٧) الذوابل : جمع ذابل ، وأراد بها الرماح . والعلاء ـ بفتح العين ـ الرفعة وعلو المنزلة .

١٠ — وقال ، وسُئل عن ذلك [من الوافر] :

١ تُعَيِّرُنى فتاةُ الحىِّ أنّى حَظِيتُ من المروءةِ والفَتَاء[1]
٢ وأنّى لا أميلُ إلى جَوادٍ يُعَبِّد حُرّ وجْهى للعَطاء[2]
٣ لَعَمْرُك ما لعَذْرِك فىّ ذنبٌ وليس الذنبُ إلا من وَفَائى[3]
٤ وما جُود الزفير عليك جُوداً ولكن ذاك من لوم العزاء
٥ مُعَاداةَ الرجالِ على اللّيالِى أطِيقُ ، ولا مُدَاراةَ النِّسَاء

* * *

١١ — وقال ، وكتب بها إلى [ذى السعادتين] أبى سعيد [على بن محمد] بن خلف جواباً عن قصيدة أرسلها إليه [من المتقارب] :

١ رَضِينا الظُّبَا من عِنَاق الظِّبَا وضَرْبَ الطُّلَى من وِصَال الطُّلَا[4]

---

(١) حظيت : كانت لى حظوة ، ووقع فى ه « خطيت » محرفا تحريفا شنيعاً .

(٢) فى ه « تعبد حر وجهى » محرفا عما أثبتناه .

(٣) فى ه « لعمرك ما لعذرك — الخ » وهو تحريف يدل على تصويبه عجز البيت .

(٤) الظبا — بضم الظاء — جمع ظبة ، بضم ففتح ، والظبة : حد السيف أو السنان ، وأصلها ظبو فحذفت الواو وعوض عنها التاء ، وتجمع أيضا على ظبات ، ومنه قول شاعر الحماسة :

إذَا الكُماةُ تنحَّوْا أن يُصيبَهمُ حَدُّ الظُّبات وَصَلْناها بأيدينا

وتجمع على أظب ، مثل دلو وأدل . والظبا — بكسر الظاء — جمع ظبية ، وهى الغزالة ، وتستعار للفتاة الشابة ، وأصل الجمع ظباء بالمد فقصره للضرورة . و « من » فى قوله « من عناق الظبا » للعوض . والطلا — بضم الطاء — جمع طلية ، مثل كلية وكلى ومدية ومدى ، والطلية : العنق . والطلا — بفتح الطاء مقصورا — ولد الظبية ، وتشبه به الفتيات الغريرات الجميلات

٢ ولم نَرْضَ بالبأسِ دون السَّماح ولا بالمَحامِدِ دون الْجَدَا(١)

٣ وقُمنا نجرُّ ذيولَ الرَّجا وترعى العيونُ بروقَ المُنَى(٢)

٤ إلى أنْ ظفِرنا بكأسِ النَّجيـ ـعِ فالرُّمْحُ يشرب حتَّى انْتَشَى(٣)

٥ وملْنا على القُورِ من نَقْعِنا بأوْسَعَ منهـا وأعْلَى بِنا(٤)

٦ وللخيـلِ فى أرضنا جَوْلَةٌ تحلَّلَ عنهـا نِطاقُ الثَّرَى(٥)

٧ أثَرْنَا عليها صُـــدورَ الرِّما حِ يَمْرَحُ فِي ظِلِّهنَّ الرَّدى(٦)

---

(١) البأس : الشدة فى الحرب ، والقوة . والسماح ـ بفتح السين ـ الجود والعطاء ، وفى ه « دون الطاح » والمحامد : جمع محمدة ، وهى كل مايحمد الإنسان عليه . والجدا ـ بفتح الجيم مقصوراً ـ العطاء ، وأصله المطر العام ، أو المطر الذى لايعرف أقصاه . والمقصود من شطرى البيت أنهم يأبون إلا أن يجمعوا إلى شجاعتهم وقوة بأسهم البذل والجود .

(٢) نجر ذيول الرجا : أراد رجاء الناس فيهم وتأميلهم إياهم . والمنى ـ بضم الميم ـ جمع منية ، وهى مايتمناه الإنسان . يريد أنهم موضع تأميل الناس ومعقد رجائهم ، وأن فيهم آمال الناس وعندهم رغباتهم .

(٣) النجيع : الدم الذى يضرب لونه إلى السواد ، أو هو دم الجوف خاصة ، والرمح يشرب : يريد من دماء أعدائهم الذين يقتلونهم . وانتشى : سكر .

(٤) القور ـ بضم القاف ـ جمع قارة ، وهى الجبل الصغير المنقطع عن الجبال . والنقع ـ بفتح فسكون ـ الغبار ، وأراد به التراب الذى تثيره سنابك خيلهم ، والباء من « بأوسع » بمعنى فى ، والضمير فى « منها » يعود إلى القور ، و بنا ـ بكسر الباء ـ أصله البناء فقصره ، هذا أحسن مايحمل عليه عندنا ، يريد أنهم مالوا على ما انعقد من الغبار الذى أثارته سنابك الخيل الشبيه بالقور فى أوسع من القور وأعلى بناء منها . وفى ه « وملنا على القود من فقعنا » محرفا.

(٥) جالت الخيل فى الميدان تجول جولانا وجولة : قطعت جوانبه . والثرى ـ بفتح الثاء ـ التراب .

(٦) أثرنا : أهجنا و بعثنا . ويمرح : يشتد نشاطه حتى يجاوز القدر ، أو يتبختر و يختال .

٨ فجاءَتْ تدَفَّقُ فى جَرْيِها ... كما أفرغَتْ فى الحِياضِ الدِّلَا[1]

٩ وليـلٍ مررْنَا بظَلْمائه ... نُضاوِى كَوَاكِبَه بالظُّبا[2]

١٠ إذا مدَّتِ النـارُ باعَ الشُّعاعِ ... مددْنا إليهـا ذِراعَ القِرَى

١١ ويوم تعطَّفُ فيـه الجيادُ ... وتُشْرقُ ألوانُها بالدِّما

١٢ فمـا بَرِحَتْ حَلْبـةُ السابقا ... تِ تُوردُنا عَفَوَاتِ المَدَى[3]

١٣ برَكْـضٍ يُصدِّع صدرَ الوها ... دِ حتَّى تَلينَ قلوبُ الصَّفا[4]

١٤ يلوذ بأبياتِنا الخائفو ... نَ حتَّى طرائدُ وحْشِ الفَلا[5]

والضمير فى «ظلهن» يعود إلى الرماح . والردى : الموت والهلاك .

(١) تدفق : أصله تتدفق فحذف إحدى التاءين ، ومعنى تدفق فى الأصل تنصب مرة واحدة ، والمراد تسرع إسراعا شديداً . والحياض : جمع حوض . والدلا : جمع دلو ، وأصله دلاء فقصره حين احتاج لإقامة الروى .

(٢) نضاوى كواكبه : نغالبها فى الضوء ليظهر أيها أشد ضوءاً وأكثر نوراً ، والظبا ـ بضم الظاء ـ جمع ظبة ، وهى حد السيف .

(٣) الحلبة ـ بفتح الحاء وسكون اللام ـ الدفعة من الخيل فى الرهان خاصة، وخيل تجمع للسباق من كل أوب ولا تخرج من وجه واحد ، والمدى ـ بفتح الميم مقصوراً ـ الغاية التى جعلت للسباق ، وعفوات المدى : أرادبها أنهم يصلون إلى المدى من غير كد ولا مجهدة، كما تقول : أعطيت فلانا عفو المال ، تريد أنك أعطيته من غير مسألة منه .

(٤) الركض : أراد به السير مع ضرب الأرض بأرجلها . ويصدع : يكسر . والوهاد ـ بكسر الواو ـ جمع وهدة ، وهى هنا الأرض ، وأصلها الأرض المنخفضة . والصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الصلد . وفى ب « حتى تلين قلوب الصفا ».

(٥) يلوذ بأبياتنا : يلجأ إليها . والطرائد : جمع طريدة ، وهى كل ماطرده الناس من صيد أو غيره . والفلا : جمع الفلاة ، وهى القفر ، وقيل : الصحراء الواسعة ، وقيل : المفازة التى لا ماء فيها .

١٥ وتُصْغِى لَنا فارِياتُ الخطُوبِ قَواضبَ ما آجنَتْ بالصَّدَا(١)
١٦ يُبَشِّرُها بُعْدُ هِمَّاتِنا بأنَّ الحِمامَ قريبُ الْخُطا(٢)
١٧ وجَوٍّ تقلَّبُ فيه الرِّيا حُ بَيْنَ الْجَنُوبِ وبين الصَّبا
١٨ سَلَلْنَا النَّوَاظِرَ فى عُرْضِهِ فطَوَّلَ من شَأْوِها المنتَضَى(٣)
١٩ تُصافحُ منه لحاظُ العُيُونِ مريضَ النَّسيم أريضَ الرُّبَى(٤)
٢٠ وإنِّى على شَغَفى بالوَقارِ أحِنُّ إلى خَطَرَات الصِّبَا(٥)
٢١ وممَّا يُزَهِّدُنى فى الزَّمان ويَجْذِبُنى عن جميع الْوَرَى
٢٢ أخٌ ثَقَّفَ الوَجدُ أخلاقَه وأشْعَرَ أيَّامَه بالعُلا(٦)

---

(١) فاريات الخطوب : أراد بها السيوف . وذلك لأنها تتخذ وسيلة لقهر العدو واجتلاب الغنائم ، وفاريات فى الأصل جمع فارية اسم الفاعل من فرى الأوداج ونحوها أى قطعها ، ووقع فى ه « بارقات الخطوب » محرفا . وقواضب : قواطع . وآجنت : تغيرت ، يريد أنها ما تغير جوهرها مما علاها من الصدأ . وأصل الصدأ مهموز كالخطأ فسهل الهمزة بقلبها ألفا لانفتاح ماقبلها ، وسهل ذلك الوقف على آخر البيت .

(٢) الحمام ـ بكسر الحاء ـ الموت .

(٣) سللنا النواظر : أراد أرسلناها فى خفية تبحث عن جنى . والشأو ـ بفتح فسكون ـ الغاية .

(٤) الأريض ـ بفتح الهمزة ـ الزكى المعجب للعين . تقول : روض أريض ، وأرض أريضة . والربى ـ بضم الراء مقصورا ـ جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض ، والإضافة فى «أريض الربى» من إضافة الصفة للموصوف .

(٥) شغفى ـ بفتحتين ـ شدة حبى . والوقار : الحشمة . والصبا : زمان الشباب ، وهو وقت الصبوة والسير مع رغبات النفس ، ووقع فى ه «خطوات الصبا» وما أثبتناه أدق .

(٦) ثقف : عدل وقوم ، وأراد هذب ، ووقع فى ه « صفق » والوجد : شدة الحب ، ووقع فى ب « المجد » وأشعر أيامه : علمها وبصرها ، تقول : شعر فلان بكذا ـ من باب نصر ـ شعرا ، وشعرا ـ بكسر الشين وفتحها ـ علم به ، وشعر له : أى أحس به وفطن له وعقله .

٢٣ وأنكحه بهدى الثنا ... وطلقه من قبيح الثنا[1]

٢٤ وقورٌ إذا زعزعته الخصو ... مُ وانفرجت حلبات الحبا[2]

٢٥ إذا هزهز الرمح روّى السنا ... ن واستمطر السيف هام العدى[3]

٢٦ وما هو إلا شهابُ الظلا ... م صافح لحظى بحسن الرؤا[4]

٢٧ يقصُّ ومن غير سهم أصاب ... ويرمى وعن غير قوس رمى[5]

---

(١) أنكحه : زوجه . والهدى ـ بفتح الهاء ، بزنة فعيل ـ العروس . والثنا : المدح ، ووقع فى ب «بهدى السنا» والسنا : الرفعة وعلو المنزلة . وطلقه : خلصه . والنثا ـ بتقديم النون على الثاء ـ ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء . ووقع فى ب « النشا » بالشين المعجمة ، ووقع فى ه « من قبيح الثنا » بتقديم الثاء المثلثة ، وما أثبتناه خير مما فيهما جميعا .

(٢) زعزعته : حركته وأزعجته . وانفرجت : اتسعت . والحبا : جمع حبوة ـ بضم الحاء فيهما ـ وهى أن يجلس الرجل وينصب قدميه ويجمع ظهره وساقيه بثوب أو يلف يديه على ساقيه. وهذه الهيئة من هيئآت الجلوس يجلسها العربى عند الاصطلاء وعند السمر وفى أوقات الهدوء والراحة، وإنما يحلون حبواتهم إذا طرأ لهم مايزعجهم أو يعكر صفوهم ، فقوله «وانفرجت حلقات الحبا» كناية عن طرو مايقلق الخواطر . وفى ب «حلقات الحبا» .

(٣) هزهز الرمح : حركه . وروى السنان : سقاه حتى يروى من دم الأعداء ، ووقع فى ه «ردى السنان» محرفا . واستمطر السيف : طلب منه أن يمطر . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس هنا .

(٤) «هو» أراد به الأخ . والشهاب ـ بكسر الشين، بزنة الكتاب ـ أصله الشعلة من النار الساطعة أوكل مضيء متولد من النار، وقد يطلق على الكوكب ، أوعلى الدرارى من الكواكب لشدة لمعانها . ويقال : فلان شهاب حرب ، إذا كان ماضيا فيها . والروا ـ بضم الراء ـ حسن المنظر ، وأصله ممدود فقصره حين اضطر .

(٥) يقص : أراد يميت ، أو يدنى من الموت . تقول : قص الموت فلانا ـ من باب رد ـ أى دنا منه ، وتقول : ضرب فلان فلانا حتى قصه على الموت ، بمعنى أدناه منه ، وقالوا : قصه ـ من باب نصر أيضا ـ بمعنى قطع أطراف أذنيه ، وليس هذا مقصودا هنا .

٢٨ فَغَيْثٌ يُعانِقُنى فى السَّحاب وبَدْرٌ يُنادِمُنى فى السَّما(١)

٢٩ سَقانى على القُرْبِ كأسَ الإخا ءِ مَطْلُولَةً بِنَسيم الصَّفَا(٢)

٣٠ فَلِلّهِ كأسٌ صرعْتَ الهمومَ بِسَوْرَتِها وعَقَرْتَ الأسَى(٣)

٣١ ومِرْبٌ تُنَفِّرُه بالرِّماح ووَعْد تُعَفِّرُهُ بالعَطا(٤)

٣٢ ومَاءٌ تُصابِحُه بالرِّكاب وجَيْشٌ تُقارِعُه بالقَنَا(٥)

٣٣ ويومٌ تسوِّدُهُ بالعَجاج ونادٍ تُبَيِّضُـــه بالنَّدَا(٦)

---

(١) وقع فى ه « فغيث يعاقبنى فى السحاب» محرفا عما أثبتناه عن ا ، ب .

(٢) مطلولة : المراد أنها ممزوجة ، والأصل فى هذا التعبير قولهم « طلت الأرض » بالبناء للمجهول ، فهى مطلولة ، إذا أصابها الطل وهو المطر الضعيف .

(٣) سورة الشراب ـ بفتح السين وسكون الواو ـ حدته ، وعقرت : نحرت أو جرحت ، والأسى : الحزن ، يعنى أنه بإخاء هذا الصديق تغلب على محن الدهر وصروفه .

(٤) السرب ـ بكسر السين وسكون الراء ـ أصله جماعة الظباء والنساء وغيرهما. وتنفره: تفرقه. وتعفره : يحتمل معنيين، أولهما: أن يكون معناه تصلحه وتلقحه مأخوذا من العفار ـ بفتح العين والفاء جميعا ـ وهو تأبير النخل وتلقيحه وإصلاحه ، والثانى : أن يكون معناه تسقيه بالعطاء مأخوذا من العفر ـ بزنة جمل ـ وهو أول سقية يسقاها الزرع ، ووقع فى ه « تغفره » بالغين المعجمة ـ ووجهه بعيد .

(٥) المراد بالماء هنا القوم النازلون عليه ، فإن العرب كانوا يختارون مساقط الأمطار لنزولهم ، تصابحه : تشن عليه الغارة صباحا ، ووقع فى ب «تصارعه» والركاب : الإبل ، واحدتها راحلة . وتقارعه : تحاربه . والقنا : جمع قناة ، وهى أعلى الرمح . ولم يرد الركاب والقنا خاصة ، ولكنه جعلهما عنوان المعنى ودليله ، وأومأ بهما إليه .

(٦) العجاج : الغبار ، وأراد تثير فيه حربا شعواء . والنادى : مجتمع القوم حيث يسمرون ويتداولون الرأى . والندا ـ بفتح النون ، بزنة العصا ـ الكرم ، وفى البيت من البديع المقابلة بين «تسوده» و «تبيضه» .

٣٤ سناءٌ تبلَّدُ عنـــهُ السَّماءُ ومَجْدٌ مَهاً عن مَداه السُّهَا(١)

* * *

٣٥ بَنِى خلَفٍ ، أنْتُمُ فى الزمان غيوثُ العُطَاء لُيوثُ الوَغَى(٢)

٣٦ بُدورٌ إذا ازدَحَمَتْ فى الظلا مِ شَمَّرَ بُرْدَيْه عنهـا الدُّجَى(٣)

٣٧ حَرِيُّونَ إنْ نُسبوا بالسَّماح جَرِيُّونَ فى كل أمرٍ عَرَا(٤)

٢٨ لَهُمْ كلَّ يومٍ إلى الغادِرِيـ نَ جَمْعٌ تَقَلْقَلَ عنـه الفَضَا(٥)

٣٩ حَلَفْتُ بسابحـــةٍ فى الفِجَا ج تَمْزجُ أخفافَها بالذُّرَى(٦)

---

(١) السناء ـ بالفتح ـ الرفعة وعلو المنزلة ، وتبلد : أصله تتبلد فحذف إحدى التاءين ، والمعنى المقصود منه تتقاصر . وسها : غفل ، ومداه : غايته ونهايته ، والسها ـ بضم السين مقصورا ـ نجم خفى من بنات نعش الصغرى ، وفيه جاء المثل : « أريها السهى وتريني القمر » يضرب للمدهوش الذى يسأل عن شىء فيجيب عن غيره .

(٢) غيوث : جمع غيث ، وهو المطر ، والليوث : جمع ليث ، وهو الأســـد ، والوغى : الحرب .

(٣) شمر برديه : كنى به عن سرعة ارتحاله ، لأن الجاد فى السير الراغب فى السرعة يجمع أطراف ثيابه أو يشمر عن ساقيه ؛ لئلا تعوقه ثيابه عن السير .

(٤) حريون : جمع حرىّ ، ومعناه خليق وجدير ، وجريون : جمع جرىء ، وأصل الجمع جريئون فسهل الهمزة بقلبها ياء ثم أدغم الياءين ، وبين «حريون» و «جريون» جناس التصحيف . وعرا : نزل وعرض .

(٥) تقلقل عنه الفضا : المراد من العبارة أن الفضاء على اتساعه يضيق عن جمعهم ؛ فهى كناية عن كثرة جموعهم . وأصل معنى تقلقل تحرك . تقول : تقلقل الشىء ، تريد أنه تحرك ، وتقول : تقلقل فلان فى البلاد ، إذا تنقل فيها .

(٦) الفجاج ـ بكسر الفاء ـ جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين ، وأراد بالسابحة بين الفجاج الإبل التى تسير سيرا سهلا لايتعب الراكب ، ومنه قول الشاعر :

٤٠ وتَنْهَضُ فى صَهَواتِ الهجيـ ـر بَيْنَ النَّعام وبين المَهَا(١)

٤١ بِخَطْوٍ يمزِّقُ بُرْدَ الصَّعيـدِ وَرَكْضٍ يُلَطِّم وجْهَ المَلَا(٢)

٤٢ هَبَبْنَ ولم تُغْرِهِنَّ الحُدَاة فقامَ الهِبابُ مَقَامَ الحُدَا(٣)

٤٣ تَحُطُّ رحائلَها بالْمَقَامِ وتُلْقِى أَزِمَّتَها بالصَّفَا

٤٤ لقد حَلَّ وُدُّكَ من مُهْجتى بحيثُ يَقيلُ الأَسَى والأُسا(٤)

وتُسْعِدتى فى غَمْرَةٍ بعـد غمرة سَبُوحٌ لها منها عليها شواهدُ

والذرى ـ بضم الذال ـ هو ههنا الدم المصبوب ، وأراد أنها تخوض فى دماء الأعداء ، واقرأ البيت ٤٢ .

(١) تنهض : تقوم ، وصهوات الهجير : أراد به منتصف وقت اشتداد الحر ، وأصل الصهوة مقعد الفارس من الفرس ؛ فاستعاره هنا لما ذكرنا ، ووقع فى ه « صحوات الهجير » والنعام : جمع نعامة ، والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية ، يريد أن هذه الخيل لايعجزها عن السير اشتداد الحر ولايقعد بها وعورة المسالك ، ولكنها تسير فى الحزون سيرا سريعا تسابق فيه الحيوانات التى نشأت فيها وعرفت مع ذلك بالسرعة ، والنعام مضرب المثل فى شدة العدو

(٢) يمزق : يقطع ، والبرد ـ بضم فسكون ـ أصله الثوب . والصعيد : وجه الأرض ، وكنى عن شدة خطوهن بتمزيقه وجه الأرض . والملا ـ بفتح الميم مقصورا ـ الصحراء .

(٣) هببن : سرن سيرا سريعا مثل الريح الهابة ، تقول : هبت الريح ـ من باب نصر ـ هبوبا وهيبيا ، إذا ثارت وهاجت ، ومنه قالوا : هب السائر من الإنسان والحيوان ـ من باب ضرب ـ هبا وهبوبا وهيبيا وهبابا ، إذا نشط وأسرع . ولم تغرهن : لم تحملهن على السرعة . والحداة : جمع حاد ، وأصل الحدا ممدود فقصره ، يريد أن سرعة سيرهن طبيعة فيهن .

(٤) « لقد حل ودك » هـذا هو المحلوف عليه بقوله « حلفت بسابحة ـ إلخ » والأسى ـ بفتح الهمزة ـ الحزن ، تقول : أسى فلان يأسى أسى ـ من باب فرح ـ إذا حزن . والأسا ـ بضم الهمزة ـ جمع أسوة ، وهى القدوة وما يتعزى به الحزين ، وأراد القلب لأنه موضع ذلك ، ومثله قول الشاعر :

الطاعِنِينَ بكلِّ أبْيَضَ مِخْذَمٍ والضَّارِبِينَ بمجامِعِ الأضْغَانِ

٤٥ وحاشاك أن تَسْتَسِرَّ الوِدادَ ... وتُرْمِدَ بالهَجْرِ طَرْفَ الْهَوَى(١)

٤٦ لَمَذْلِ النَّدى إن ثويتَ الثَّوَا ... وفَلِّ العِدى إن سَرَيْتَ السُّرى(٢)

٤٧ رأيتُ عليًّا يردُّ الرَّسيـلَ ... حَسيرَ القَوَائِمِ دامى القَرَا(٣)

٤٨ إذا الرَّكْبُ حطَّ بأبوابه ... تنفَّض عنـه غُبَارَ النَّوَى

٤٩ وإنْ سَلَكَ البَرَّ هَزَّ الرِّعا ... نَ حتى ينفرَّ ذَوْدَ القَطَا(٤)

٥٠ بكلِّ مُعَوَّذَةٍ بالحديـ ... ـدِ إنْ رَوَّعَتْها نِبالُ العِدا(٥)

٥١ سأشْدو بذِكرِكَ ما استعبرَتْ ... مَطِيٌّ يثلِّم فيهـا الْوَجَا(٦)

---

(١) تستسر الوداد : تستره وتبالغ فى إخفائه . وترمد : تصيبه بالرمد ، شبه الهوى والمحبة بإنسان وجعل له لحظا ، ووقع فى هـ « وحاشاك أن تستبين الوداد » . يقول : إنه يستبعد أن يكون المخاطب محبا له ثم يهجره .

(٢) بذل الندى : إعطاء العطايا . وثويت : أقمت . وأصل الثوا ممدود فقصره ، تقول : ثوى فلان يثوى ثواء ، تريد أقام . وفل العدى : تفريق جموعهم . وسريت : سرت ، وأصله خاص بسير الليل .

(٣) الرسيل ـ بفتح الراء ـ هو فى الأصل الفرس الذى يرسل مع آخر فى السباق ، وقد استعملوه فى الموافق لك فى النضال ونحوه . والحسير : الكليل الضعيف ، والقرا ـ بفتح القاف ـ الظهر .

(٤) الرعان : جمع رعن ـ بفتح فسكون ـ وهو أنف يتقدم الجبل ، أو هو الجبل الطويل ، وأصل الذود ـ بفتح الذال وسكون الواو ـ الإبل من الثلاثة إلى العشرة ، وقالوا : الذود إلى الذود إبل ، وأراد منه هنا مطلق الجماعة ، والقطا : طائر فى حجم الحمام .

(٥) معوذة : محصنة ، وأراد بها الكتيبة . وأراد من الحديد الدروع . وروعتها : أفزعتها وأخافتها .

(٦) أصل الشدو التغنى . وما استعبرت مطى : أى ماحنت الإبل ، والوجا : الحفى وهو رقة خف البعير ، ويراد من نحو « ما استعبرت مطى » الدوام ، لأن الإبل لاتترك الحنين ، وانظر إلى قول الأعشى ميمون بن قيس :

ألَسْتَ مُنْتَهِيًا عن نَحْتِ أثْلَتِنا ... ولَسْتَ ضائرَهَا ماأطَّتِ الإبلُ

٥٢ وأُصْفِيكَ ودِّى وبعضُ الرجا ... لِ يَمْزِجُ بالوُدِّ ماءَ القِلَى[1]

٥٣ يخيطُ الضُّلوعَ على إحْنَةٍ ... ويَرْعَى الإخاءَ بعينِ العَمَى[2]

٥٤ ولما ذكرتُكَ حنَّ الفؤا ... دُ واعْتَلَّ فى مُقْلَتَىَّ الكَرَى

٥٥ فلا زلتَ فى رَقَدَاتِ النعيـ ... ـمِ تَهْفُو بلا مُوقظٍ مِنْ أذَى

٥٦ ريَاضٌ تشقُّ عليك النسيمَ ... وليـلٌ يمجُّ عليك الضُّحَى

* * *

١٢ — قال ، وهو فى الحائر [يَرْثى جدَّه سيد الشهداء ، عليـه السلام][3] [ويقال : إنها آخر ماقاله من الشعر ، فلذلك لم توجد فى ديوانه منحولة إليه][4] [من الرمل] :

١ كَرْبَلَا ، لازِلْتِ كَرْباً وبَلَا ! ... مالقِىَ عندَكِ آلُ المُصْطَفَى ؟![5]

٢ كَمْ على تُرْبِكِ لمَّا صُرِعوا ... مِن دَمٍ سَالَ ومِنْ دمعٍ جَرَى؟[6]

---

(١) أصفيك ودى : أمنحك محبتى خالصة لاشائبة فيها . ويمزج : يخلط . والقلى : البغض ، ووقع فى ه « اللقا » .

(٢) الإحنة ـ بكسر الهمزة وسكون الحاء ـ الضغينة والحقد ، و « يخيط الضلوع » كناية عن أنه يستر ذلك ويخفيه .

(٣) مابين الحاصرتين زيادة فى ب .

(٤) هذه الزيادة عن ه ، وقد سقطت من ب .

(٥) كربلاء : هى التى شهدت مصرع سيد الشهداء الحسين بن علىّ بن أبى طالب سبط الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وفيها مشهده . والكرب ـ بفتح فسكون ـ أشد الغم . والبلاء ـ بفتح الباء ـ مايبلى الجسم من الحزن . و « لتى » إما أن يكون قد جاء به على لغة طيء ففتح القاف وقلب الياء ألفا ، وانظر شرح ١/٤٧ ، وإما أن يكون عامله فى الوصل معاملته فى الوقف فحذف فتحة الياء مع بقاء كسر ما قبلها . وآل المصطفى : أهل النبى صلى الله عليه وسلم !

(٦) صرعوا ـ بالبناء للمجهول ـ قتلوا ، وأصل معناه طرحوا على الأرض .

٣ كم حَصَانِ الذَّيْلِ تُرْوِى خَدَّهَا عَبْرَةٌ عندَ قتيلٍ بالظَّمَا(١)

٤ تمسحُ التربَ على إعجالِها عَنْ طُلَى نَحْرٍ رَمِيلٍ بالدِّمَا(٢)

٥ وضُيوفٍ لِفلاةٍ قَفْرَةٍ نزلُوا فيها على غَيْرِ قِرَى(٣)

٦ لم يَذُوقُوا الماءَ حتَّى اجتمعوا بحُدَا السيفِ على وِرْدِ الرَّدَى(٤)

٧ تكسفُ الشمسُ شموساً منهم لاتُدَانيها ضياءً وعُلَا

٨ وتَنُوشُ الوَحْشُ من أجسادهم أرْجُلَ السَّبْقِ وأيْمَانَ النَّدَى(٥)

---

(١) حصان الذيل ـ بفتح الحاء ـ أى عفيفة طاهرة نقية العرض . والعبرة : الدمعة . والظما : العطش ، وأصله مهموز فسهل الهمز بقلبها ألفاً ، وانظر شرح ١١/١٥ ، وأراد بالقتيل عطشا الحسين رضى الله تعالى عنه ! ووقع هذا البيت فى ب هكذا :

كم حَصَانِ الذَّيْلِ يُروى دمعُها خدَّها عندَ قتيل بالظما

(٢) « على » فى قوله « على إعجالها » بمعنى مع ، والإعجال : مصدر أعجل فلان فلانا إذا حمله على السرعة ولم يمكنه من التأنى . والطلى ـ بضم الطاء ـ جمع طلية أو طلاة ـ بضم الطاء أيضاً ـ وهى العنق . ورميل بالدما : ملطخ بها ، وأصل الدماء ممدود فقصره حين اضطر ، وانظر شرح الأبيات ٥ ، ٨ ، ٢٦ ، ١١/٣١ . وانظر شرح الأبيات ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ / ١٢

(٣) أراد بالضيوف هؤلاء القتلى من آل الرسول . والفلاة : الصحراء . والقفرة ـ بفتح فسكون ـ الخالية ، والقرى ـ بكسر القاف مقصوراً ـ مايقدم للضيف .

(٤) أفضل ما يحمل عليه قوله « بحدا السيف » أن أصله الحداء ـ بضم الحاء أو كسرها ممدوداً ، فقصره حين اضطر ـ ومعناه ههنا بسوق السيف ، أى أن أعداءهم ساقوهم بالسيف ، وكتب فى جميع الأصول « بحدى السيف » بالياء ، وليس له وجه فيما نرى لأن المقصور من الممدود يكتب بالألف . والورد ـ بالكسر ـ أصله ورود الماء ، والردى : الهلاك .

(٥) تنوش : تتناول . وأراد بالسبق السبق إلى الإيمان ونصرة الدين . والندى : الكرم . والأيمان : جمع يمين لليد اليمنى ، يعنى أنهم ملقون فى الفلوات للوحوش تأكل أشلاءهم فتأكل الأرجل التى ما مشت إلا للذود عن حياض الدين والسبق فى مضمار المكرمات ، وأيديهم التى ما خلقت إلا للجود والعطاء .

٩ ووجوهٍ كالمَصابيح فَمِنْ قَمَرٍ غاب ومِنْ نَجْمٍ هَوَى (١)

١٠ غَيَّرَتْهُنَّ الليالِي وغَدَا جائِرَ الحكمِ عليهنَّ البِلَى (٢)

* * *

١١ يا رسولَ اللهِ لو عايَنْتَهُمْ وهُمُ مابين قَتْلٍ وسِبَا (٣)

١٢ مِنْ رَميضٍ يُمْنَعُ الظِّلَّ ومن عاطِشٍ يُسْقَى أنابيبَ القَنَا (٤)

١٣ ومَسُوقٍ عاثِرٍ يُسْعَى بِهِ خَلْفَ محمولٍ على غَيْرِ وِطَا (٥)

---

(١) وقع فى ب « ووجوها » وكأن ناشرها ظنه معطوفا على « أرجل السبق » فى البيت قبله ، والشعراء لايقولون إن الوحش أكلت وجه القتيل وإن حصل ، وعندنا أن « وجوه » مجرور بواو رب ، وهو مبتدأ ، وخبره قوله فى البيت التالى « غيرتهن الليالى » .

(٢) البلى ـ بكسر الباء ـ أراد به الموت ، وهو فاعل « غدا » . وأما قوله « جائر الحكم » فهو حال من البلى تقدم عليه .

(٣) سبا ـ بكسر السين ـ أصله سباء فقصره ، ومعناه الأسر ، تقول : سبى عدوه يسبيه سبياً ـ من باب ضرب ـ وسباء .

(٤) رميض : أصابته الرمضاء ، وهى شدة الحر . وعاطش : أراد الذى طرأ له العطش فلذلك لم يقل «عطشان» وكذا كل صفة مشبهة أردت أن تدل بها على أن الوصف حصل لصاحبها بعد أن لم يكن ، فإنك تنقلها إلى صيغة فاعل ، والسر فى هذا أن وضع الصفة المشبهة على أن تدل على لزوم معناها للموصوف بها ، وأن وضع اسم الفاعل على أن يدل على حدوث الوصف للموصوف به بعد أن لم يكن . والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو مابين الكعبين (العقدتين) من الرمح ، والتعبير بقوله « يسقى أنابيب القنا » من باب المشاكلة .

(٥) مسوق : اسم المفعول من ساقه يسوقه سوقا ، والعاثر : أصله الذى يكبو فى سيره ، وأراد به التعس الذى ضاع حظه وذهب أمره ، والوطا ـ بكسر الواو ـ الفراش الممهد ، يريد أن القتلى يحملون على غير مايحمل عليه أمثالهم ، والأحياء يساقون خلف هؤلاء القتلى تنكيلا بهم وإمعاناً فى امتهانهم .

١٤ مُتْعَبٍ يشكو أذَى السَّيْرِ على ... نَقَبِ المَنْسِمِ مَجْزُولِ المَطَا(١)

١٥ لرأتْ عَيْنَاكَ فيهِمْ مَنْظَرًا ... لِلْحَشَا شَجْوًا وللعَيْنِ قَذَى(٢)

١٦ لَيْسَ هٰذا لِرَسُولِ اللهِ يا ... أُمَّةَ الطُّغْيَانِ والغَيِّ جَزَا(٣)

١٧ غارسٌ لم يَألُ فى الغَرْسِ لهم ... فأذاقُوا أهْلَهُ مُرَّ الجَنَى(٤)

١٨ جَزَرُوا جَزْرَ الأَضاحِى نَسْلَهُ ... ثم ساقُوا أهلَه سَوْقَ الإِمَا(٥)

١٩ مُعْجَلاتٍ لايُوَارِينَ ضُحًى ... سُنَنَ الأوجُهِ أو بِيضَ الطُّلَى(٦)

٢٠ هاتِفاتٍ برسـول الله فى ... بُهَرِ السَّعْىِ وعَثَرَاتِ الخُطَا(٧)

---

(١) النقب ـ بفتح فكسر ـ الذى أصابه النقب ـ بفتحتين ـ وهو أن يرق خف البعير فلا يقوى على السير . والمنسم ـ بزنة المجلس ـ الخف . والمجزول: الذى أصابه الجزل ـ بفتحتين ـ وهو أن تحدث دبرة فى غارب البعير ، أو أن يقطع القتب غاربه . والمطا ـ بفتح الميم مقصورا ـ الظهر .

(٢) « لرأت » هو جواب لو فى قوله « يارسول الله لو عاينتهم » والحشا : باطن الإنسان ، والشجو : الحزن . والقذى : كل ما يكون سببا فى وجع العين .

(٣) جزا : هو خبر ليس فى أول البيت ، وأصله ممدود فقصره .

(٤) غارس : أراد به الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأصل الغارس الزارع . ولم يأل : لم يقصر .

(٥) الأضاحى : جمع أضحية ، وهى مايذبح من الأنعام يوم عيد الأضحى . والإما ـ بكسر الهمزة ـ أصله الإماء فقصره ، وهن الجوارى .

(٦) معجلات : محمولات على السرعة ، وسنن الأوجه : معظمها أو وسطها ، والطلى : الأعناق ، يعنى أنهن لما أعجلن لم يتمكن من ستر وجوههن وأعناقهن ، وهما من العورة التى أمر الدين بسترها من النساء الحرائر .

(٧) بهر ـ بضم ففتح ـ جمع بهرة ، وهى انقطاع النفس من الإعياء والكلال ، وبعبارة أخرى هى مايعترى الإنسان عند السعى الشديد والعدو من النهيج وتتابع النفس . وعثرات : جمع عثرة ، وهى الكبوة ، وكان من حق الكلام أن يفتح الثاء فى الجمع ، إلا أنه أبقاها على

٢١ يَوْمَ لا كِسْرُ حجابٍ مانعٌ بذلةَ العينِ ولا ظِلُّ خِبا(١)

٢٢ أدْرَكَ الكفر بِهِمْ ثاراتِهِ وأُدِيلَ الغىُّ منهُمْ فاشْتَفَى(٢)

* * *

٢٣ يا قتيلاً قَوَّضَ الدهرُ بِهِ عُمُدَ الدينِ وأعلامَ الهُدَى(٣)

٢٤ قَتَلوهُ بعدَ علمٍ منهمُ أنَّهُ خامسُ أصْحابِ الْكِسا(٤)

٢٥ وصَريعاً عالَجَ الموتَ بِلا شَدٍّ لَحْيَيْن ولا مَدٍّ رِدا(٥)

٢٦ غَسَلوه بدَمِ الطَّعْنِ ، وما كَفَّنُوه غيرَ بَوْغاءِ الثَّرَى(٦)

سكونها كما فعل عروة بن حزام فى قوله :

وحُمِّلْتُ زَفْرَاتِ الضحى فأطَقْتُها ومالِي بزَفْرَاتِ العَشِيِّ بَدَان

وقال المبرد : إن ماوقع فى بيت عروة أسهل ضرورات الشعر ، ووقع فى هـ « بهرة السعى » .

(١) الكسر ـ بفتح الكاف أو كسرها ـ جانب البيت ، والشقة السفلى من الخباء أو ما تكسر وتثنى على الأرض منها . وبذلة العين ـ بكسر الباء وسكون الذال ـ أراد ابتذال عيون الناس لهن وامتهانها إياهن .

(٢) أديل الغى منهم : كانت للغى الدولة على نسل الرسول ، ووقع فى ب ، هـ « وأزيل الغى منهم » محرفا .

(٣) قوض : هدم . وعمد ـ بضمتين ـ جمع عمود . والأعلام : جمع علم ، وهو الراية .

(٤) أصحاب الكساء : هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة الزهراء ابنته ، وعلىّ ابن أبى طالب ابن عمه وزوج ابنته ، والسبطان الحسيبان النسيبان أبو محمد الحسن بن على ابن أبى طالب وأبو عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب .

(٥) اللحى ـ بفتح اللام وسكون الحاء ـ عظم الحنك الذى عليه الأسنان ، ومن السنة فى حق الميت أن تربط ذقنه بخرقة تمر بأسفل ذقنه إلى أعلى رأسه مخافة أن يفتح فاه عند معالجة الموت فتيبس أعضاؤه وفمه مفتوح .

(٦) أراد بالبوغاء ههنا التربة الرخوة ، وانظر ٥/٥٨

٢٧ مُرْهَقاً يدعُو ولا غَوْثَ له ... بِأبٍ بَرٍّ وجَدٍّ مُصْطَفَى (١)

٢٨ وبأمٍّ رفَعَ اللهُ لها ... عَلَمًا ما بَيْنَ نِسْوَانِ الْوَرَى (٢)

٢٩ أىّ جَدٍّ وأب يدعوهُما ... جَدُّ يا جدُّ أغِثْنِى يا أبَا

٣٠ يا رسولَ اللهِ ، يا فاطمةً ... يا أميرَ المؤمنين المرتَضَى

٣١ كيف لم يَسْتَعْجِلِ اللهُ لهم ... بانْقِلابِ الأرضِ أورَجْمِ السَّمَا؟!

٣٢ لَوْ بِسِبْطَىْ قَيْصَرٍ أوْ هِرْقَلٍ ... فَعَلُوا فِعْلَ يزيدٍ ماعَدَا (٣)

٣٣ كَمْ رِقابٍ من بنى فاطمة ... عُرِقَتْ ما بَيْنَهُمْ عَرْقَ المُدَى (٤)

---

(١) تقول : أرهقت الرجل ، تريد أنك أدركته ، وتقول : أرهقته أن يفعل كذا ، تريد أنك أعجلته عن فعله ، ويحتمل قوله « مرهقاً » أحد هذين المعنيين ، يعنى أنهم أدركوه وقد كاد يفلت ، أو أنهم أعجلوه عن الإعداد .

(٢) نسوان : اسم جمع واحده امرأة ، والكثير نساء . وقد ورد لفظ النسوان فى قول الشاعر :

فَوَاللهِ ما أدْرِى أزِيدَتْ مَلَاحَةً ... وحُسْنًا على النِّسْوَانِ أمْ ليس لى عَقْلُ

(٣) هرقل : المشهور فيه كسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ، ولكن الأسماء الأعجمية يتصرف فيها ، وقال الشاعر :

* دَنَانيرُ شِيفَتْ من هِرَقْلَ بروْسَمِ *

وقال جرير يمدح الوليد بن عبد الملك بن مروان :

وأرْضَ هِرَقْلَ قَدْ قَهَرْتَ ، وداهِراً ... ويَسْمُو لكُمْ من آل كِسْرَى النَّواصفُ

ويزيد : أراد به يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وفى عهده قتل الحسين رضى الله عنه ! . وما عدا : ماجاوز ذلك .

(٤) تقول : عرق فلان العظم ، من باب نصر ، إذا أخذ ما عليه من اللحم كله ، وقالوا : عرقته المدى ، يريدون أنحلته السكاكين ، وقالوا : عرقته الخطوب ، يريدون أنها نالت منه أعظم منال .

٣٤ واختَلاها السيفُ حتى خِلْتَها ... سَلَمَ الأبْرَقِ أو طَلْحَ العَرَا[1]

٣٥ حَمَلوا رأسًا يُصَلُّون على ... جدِّه الأكرم طَوْعًا وإبَا[2]

٣٦ يتهادَى بينهمْ لم يَنْقُضُوا ... عِمَمَ الهامِ ولا حَلُّوا الحُبَا[3]

٣٧ مَيِّتٌ تبكى له فاطمةٌ ... وأبُوها وعلىٌّ ذُو العلا

٣٨ لو رسولُ اللهِ يَحْيَا بَعْدَه ... قَعَدَ اليومَ عليه لِلْعَزَا

٣٩ مَعْشرٌ منهم رسولُ اللهِ والـ ... ـكاشِفُ الكربِ إذا الكربُ عَرَا

٤٠ صِهْرُه الباذِلُ عَنْه نَفْسَه ... وحُسام اللهِ فى يوم الوَغَى

٤١ أوَّلُ الناسِ إلى الدَّاعى الذى ... لم يُقَدِّمْ غيرَه لما دعَا

٤٢ ثم سِبْطاهُ الشَّهيدَانِ : فَذَا ... يَحْتَسِى السُّمَّ ، وهٰذا بالظُّبَا[4]

٤٣ وعلىٌّ وابنُهُ الباقِرُ والـ ... ـصَّادِقُ القَوْلِ ومُوسَى والرِّضَا

---

(١) اختلاها : جزها وقطعها ، وأصل هذا إنما يقال فى جز الرطبة كالحشيش . وخلتها : ظننتها . والسلم ـ بفتح السين واللام جميعا ـ شجر من العضاه يدبغ به ، والأبرق : العام الذى لا مطر فيه ، ومن شأنه أن تجف فيه الأشجار وتسقط أوراقها . والطلح ـ بفتح فسكون ـ شجر عظام من شجر العضاه ترعاه الإبل .

(٢) إبا ـ بكسر الهمزة ـ أصله إباء فقصره ، والمراد أنهم يصلون على جده صلوات الله وسلامه عليه فى كل حال .

(٣) يتهادى : يتمايل ، والعمم : جمع عمة ـ بكسر العين ـ وهى هيئة الاعتمام ، يقال : فلان حسن العمة : أى الاعتمام . والحبا : جمع حبوة ـ بضم الحاء فيهما ـ وانظر ١١/٢٤

(٤) السبطان : الحسن والحسين رضى الله عنهما ، والسبط ـ بكسر فسكون ـ ابن البنت . وبعض المؤرخين يذكر أن الحسن رضى الله عنه مات مسموماً بإيعاز معاوية بن أبى سفيان ، والظبا ـ بضم الظاء ـ جمع ظبة ، وهى حد السيف ، والمراد بهذه العبارة الحسين رضى الله عنه الذى قتل شهيداً .

٤٤ وعليٌّ وأبوه وابنُه والَّذِي ينتظرُ القومُ غَدَا

* * *

٤٥ يا جبالَ المجدِ عِزًّا وعُلًا وبُدورَ الأرض نُوراً وسَنا(١)

٤٦ جعلَ اللهُ الذى نابَكُمُ سببَ الوجدِ طويلًا والبُكا(٢)

٤٧ لا أرى حُزْنَكُم يُنْسَى ، ولا رُزْءَكُم يُسْلَى ، وإنْ طالَ المَدَى(٣)

٤٨ قد مَضَى الدهرُ ونَمْضِي بعدكم لا الجَوَى باخَ ولا الدَّمْعُ رَقَا(٤)

٤٩ أنتمُ الشافُونَ مِن داء العَمَى وغدا الساقُونَ مِن حَوْض الرَّوَى(٥)

٥٠ نزَلَ الدينُ عليكم بَيْتَكم وتخطَّى النـاسَ طُرًّا وطَوَى

---

(١) السنا ـ بفتح السين ـ ههنا النور .

(٢) نابكم : نزل بكم .

(٣) حزنكم : أراد الحزن عليكم . والرزء ـ بضم فسكون ـ المصيبة . والمدى ـ بفتح الميم مقصوراً ـ الزمن .

(٤) الجوى : الحزن . وباخ : برد ، ورقا : أصله رقأ فسهل همزته ، ورقأ الدمع : سكن وانقطع جريانه .

(٥) الشافون من داء العمى : أراد أنتم الذين تهدون الضال ببيان معالم الدين . وقد حذف التنوين من قوله « وغدا الساقون » لإقامة الوزن . والروى ـ بكسر الراء مقصوراً ـ الماء الكثير . ونظير حذفه التنوين قول الشاعر :

كيف نَوْمى على الفِراشِ ولَمَّا تَشْمَلِ الشامَ غارةٌ شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشيخ عن بَنِيهِ ، وتُبْدِى عن خِدَامِ العَقِيلةُ العذراءُ

فقد حذف التنوين من « خدام » لإقامة الوزن ، والخدام ـ بكسر الخاء ـ جمع خدمة ، وهى الخلخال .

٥١ أيْنَ عنكم لمُضِلٍّ طالبٍ ... وضَحَ السُّبْلِ وأقْمَار الدُّجَى؟(١)

٥٢ أيْنَ عنكم للذى يَبْغِى بكم ... ظلّ عَدْنٍ دونها حَرُّ لَظَى(٢)

٥٣ أين عنكم للّذى يرجو بكم ... مَعْ رسولِ الله فَوْزاً ونَجَا

٥٤ يومَ يَغْدُو وجْهُه عَنْ مَعْشَرٍ ... مُعْرِضاً مُمْتَنِعاً عند اللِّقَا

٥٥ شاكياً منهُمْ إلى الله وَهَلْ ... يُفْلِح الجِيلُ الذى مِنْهُمْ شَكَا

٥٦ رَبِّ ما آوَوْا، ولا حَامَوْا، ولا ... نَصَرُوا أهْلى ، ولا أغْنَوْا غَنَا(٣)

٥٧ بَدَّلوا دينى ، ونَالُوا أُسْرَتى ... بالْعَظِيمَاتِ ، ولم يَرْعَوْا ألى(٤)

٥٨ لو وَلِى ما قَدْ وَلُوا مِنْ عِتْرَتِى ... قائمُ الشرْكِ لأبْقَى ورَعَى(٥)

---

(١) وقع هذا البيت فى ب مؤخرا عن البيت الذى يليه هنا ، وأصل الوضح ـ بفتح الواو والضاد جميعا ـ بياض الصبح ، تقول : جئت فى وضح الصبح . والسبل : أصله بضم السين والباء فسكن الباء ههنا ، وهو جمع سبيل وهى الطريق ، ووضح السبل : منصوب على أنه مفعول به لطالب ، وقد حذف المبتدأ فى قوله « أين عنكم » والأصل : أين المعدى عنكم، مثلا.

(٢) عدن : أصلها بمعنى الإقامة ، تقول : عدن بالمكان ، تريد أقام به ، وسميت الجنة ـ وهى دار النعيم التى أعدت للمتقين ـ عدنا لأنها دار الإقامة التى لايتحول عنها ساكنها . ولظى: اسم من أسماء جهنم دار العقاب فى الآخرة .

(٣) آووا : أنزلوا فى ديارهم ، تقول : أويت فلانا وآويته ، إذا أنزلته فى منزلك . وهذا كلام الرسول لربه .

(٤) الإلى ـ بكسر الهمزة أو فتحها مقصوراً ـ النعمة ، وأراد نعمة الرسول عليهم بهدايتهم من الضلالة .

(٥) «ولى» بسكون الياء للوزن، وانظر ١/٤٧ و ١/١٢ وعترة الرجل ـ بكسر العين وسكون التاء ـ ذريته وعقبه ، وقيل : رهطه وعشيرته الأدنون . وأبقى : أراد به لم يبالغ فى النيل منهم . ورعى : أى حفظ عهدى . يريد أنهم صنعوا بذرية الرسول أكثر مما كان يصنعه الكفار لو أنهم كانوا ولاة الأمر .

٥٩ نَقَضُوا عَهْدِى وقد أبْرَمْتُهُ ... وعُرَى الدِّين فما أبْقَوْا عُرَى

٦٠ حُرَمى مُسْتَرْدَفَاتٌ ، وبَنُو ... بِنْتِىَ ٱلْأَدْنَوْنَ ذِبْحٌ لِلْعِدَا(١)

٦١ أتُرَى لستُ لديهم كامرئ ... خَلَفُوه بجَمِيل إذْ مَضَى(٢)

٦٢ رَبِّ إنِّى اليومَ خَصْمٌ لهمُ ... جِئْتُ مظلوماً وذا يَوْمُ القَضَا

* * *

١٣ — وقال [من البسيط] :

١ أشكو إلى الله قَلْباً لا قَرَار له ... قامت قيامَتُه والناسُ أحياءُ(٣)

٢ إن نال منكم وِصالاً زاده سَقَمًا ... كأنَّ كلَّ دواء عنده داءُ(٤)

٣ كأنَّ قلبىَ يومَ البَيْن طارِبِه ... من الرقَاعِ نجيبُ الساق عَدَّاءُ(٥)

* * *

١٤ — وقال [من الطويل] :

١ كريمٌ له يومانِ قَدْ كَفَلَا له ... بنَيْلِ العُلَا من بأسِه وسخائِهِ

٢ فيومُ نِزالٍ مشمسٌ من سُيوفه ... ويومُ نوالٍ ماطرٌ من عَطائِهِ

* * *

---

(١) مستردفات : راكبات خلف ركاب الخيل أو الإبل . وذبح — بكسر فسكون — بمعنى المذبوحين .

(٢) خلفوه : كانوا خلفاء على أهله . تقول : خلف فلان فلانا ، تريد أنه صار خليفة عنه فى أهله .

(٣) لا قرار له : أراد أنه قلق مضطرب لا يستقر .

(٤) السقم — بفتح السين والقاف ، هنا — المرض .

(٥) يوم البين : يوم الفراق . والرقاع — بكسر الراء — جمع رقعة ، وأراد بالرقاع منازله ، من قولهم : هذه أرض مختلفة الرقاع متفاوتة البقاع ، ووقع فى ب « الرفاع » بالفاء وفسر فى هامشها بأنه نوع من السير ، وليس بشىء ، ونجيب الساق : سريع ، وعداء : صيغة المبالغة من العدو ، وهو السير السريع . يريد أن قلبه قد انخلع من ألم الفراق فكأنما طار به من حيث يقيم فرس هذه صفته .

١٥ — وقال [من الكامل] :

١ لو كان قِرْنُكَ من تَعِزُّ بِمَنْعِهِ أو من يُهَابُ تَخَمُّطًا وإباءَ[١]

٢ سالَتْ مخارمُها عليك بأوْجُهٍ مثلِ السُّيوف مهابةً وضِياءَ[٢]

* * *

١٦ — وقال [من المتقارب] :

١ رجعتُ بهنَّ دوامى الصفا ح يُنْزَعُ منهنَّ شَوْكُ القَنَا[٣]

٢ وضمَّخْتُ أعناقَهَا بالدِّما وأوقَرْتُ أكفالَهَا بالدُّمَى[٤]

* * *

---

(١) قرن الرجل — بكسر القاف — الذى يساويه شجاعة . والتخمط : الغضب والتكبر . والإباء : الامتناع .

(٢) المخارم : جمع مخرم — بزنة مجلس — وهو منقطع أنف الجبل ، يقال : طلع فلان مخرم الجبل ، وفلان طلاع المخارم ، والمخارم أيضاً : أفواه الفجاج ، ووقع فى الأصول كلها « سالت محارمها » بالحاء مهملة ، وهو تحريف ما أثبتناه . وقال أبو كبير الهذلى فى وصف تأبط شراً :

وإذا رَمَيْتَ به الفِجاجَ رأيتَهُ يَهْوِى مخارمَها هُوِىَّ الأجدَلِ

(٣) الضمير فى « بهن » يعود إلى الجياد . ودوامى : جمع دام ، وهو الذى لطخ بدمه . والصفاح : جمع صفح ، وهو الجانب ، وكان من حقه أن ينصب « دوامى » بالفتحة ، ولكنه عامله معاملة المرفوع والمخفوض فنصبه بفتحة مقدرة على الياء ، ولذلك نظائر فى شعر العرب ، ومن ذلك قول الشاعر :

يا بارىَ القوس بريا لستَ تُحْسِنه لا تفسِدِ القوسَ ، أعْطِ القوسَ باريها

وقول بشر بن أبى خازم :

كفى بالنأى من أسماءَ كافى وليْسَ لنأيها إذ طال شافى

وكنى بقوله « دوامى الصفاح » وما بعده عن اشتداد الحرب واستعار المعركة .

(٤) ضمخت : لطخت ، ولا يقال إلا فى جانب الطيب ، تقول : ضمخت جسدى بالطيب

١٧ — وقال [من المتقارب] :

١ وَهَلْ أنجدنَّ بعَبْدِيَّةٍ تمدُّ عَلَابِيبَهَا للحُدَا(١)

٢ وأسْمَعُ لَيْلة أورَادِها تَدَاعى الرُّغَاء وزَجْرَ الرِّعَا(٢)

***

١٨ — وقال [من الطويل] :

١ غَدًا يهدم المجد المؤثل ما بَنَى وتَكْسدُ أسْوَاقُ الصَّوارم والقَنَا

٢ مضى المُصْدِر الآراء والمُورِدُ النُّهَى فَمَنْ يَعْدِلُ المِيلاءَ أو يَرْأَبُ الثَّأى(٣)

ـ مخففا من باب نصر ، ومثقلا ـ والدما ـ بكسر الدال ـ جمع دم ، وأصله ممدود فقصره . وأوقرت : أثقلت ، والأكفال : جمع كفل ـ بفتح الكاف والفاء جميعا ـ وهو العجز . والدمى ـ بالضم ـ جمع دمية ، والمراد بها هنا النساء الحسان ، يريد أن أعناق خيلهم قد لطخت بدم الأعداء لكثرة القتلى والتحام الفرسان فى المعركة ، وأنهم سبوا كثيراً من نساء الأعداء وحملوهن مردفات خلفهم .

(١) أنجد : آتى نجداً ، تقول : أنجد وأعرق وأتهم وأشأم وأصحر وأبحر ، إذا أردت أنه أتى نجداً والعراق وتهامة والشأم والصحراء والبحر . والعبدية : الناقة . والعلابيب : أعصاب العنق . والحدا : أصله ممدود فقصره للضرورة ، وهو الغناء للإبل لتسير .

(٢) الرغاء ـ بضم الراء ـ صوت الإبل وكل ذى خف . وتداعيه : تجاوبه وتتاليه ، يعنى أن الناقة أو البعير يرغو فيرغو سائر الإبل كأنه جواب لدعاء الأول . والرعا : جمع راع ، وأصله رعاء فقصره .

(٣) الثأى ـ بالفتح مقصورا ـ أصله الفتق ، وأثر الجرح ، وقال جرير :

هُوَ الرافِدُ الميمونُ والراتِقُ الثَّأى إذَا النَّعْلُ يوماً بالعَشيرة زلَّتِ

ويقال : رأب فلان الثأى ، وفلان يرأب الثأى ، فى معنى أصلح الفاسد ولم الشعث ورتق الفتق وجبر الوهن ، ووقع فى ب ، هـ « يرأب الثنا » وكأن ناشريهما حسبوا أن قافية البيتين مبنية على النون ، على أنه لامعنى لما وقع فيهما .

قافيـــــة الباء

١٩ — قال يمدح الطائع لله ، ويُهنئه بالمهرجان سنة ثمانية وسبعين وثلثمائة ، ويقتضيه وعداً سبق [منه] له [من الخفيف] :

١ لو على قَدْر ما يُحاول قلبي ... طَلَبي لم يَقَرَّ فى الغِمد عَضبي (١)

٢ همةٌ كالسَّماء بُعْداً وكالرِّيـ ... ـحِ هُبوباً فى كلِّ شَرْقٍ وغَرْبِ

٣ ونِزَاعٌ إلى العُلَى يَفْطِمُ العِيـ ... ـسَ عن الوِرْدِ بين ماءٍ وعُشْبِ (٢)

٤ ربَّ بؤسٍ غـــدا علىَّ بنَعْما ... ءَ وبُعْدٍ أفْضَى إلىَّ بقُرْبِ

٥ أتقرَّى هـــذا الأنامَ ويَغْدُو ... عَجَبي منهمُ طريقاً لِعُجْبي (٣)

٦ وإذا قلَّبَ الزمانَ لبيبٌ ... أبصر الجَدَّ حَرْبَ عَقْلٍ ولُبِّ (٤)

٧ أمُقاماً ألَذُّ فى غَـــيْرِ عَلْيا ... ءَ وزادِى مِنْ عِيشتى زادُ ضَبِّ (٥)

---

(١) يقر : يثبت ويسكن . والغمد — بالكسر — جراب السيف . والعضب — بالفتح — السيف . والمعنى أنه لو كان يعمل بقدر ماتنبعث همته العالية إليه لبقى حياته كلها يجالد ويجاهد ، والمراد أنه بعيد الهمة كثير الرغبات .

(٢) نزاع — بكسر النون — مصدر نزع فلان إلى كذا ، بمعنى ذهب إليه ، ومنه قالوا : لفلان نزعة إلى كذا ، والعيس : جمع أعيس أو عيساء ، والأعيس : الجمل الأبيض يخالط بياضه شقرة ، وفطامها : منعها الرعى والماء ، وأصله فطام الصبى عن الرضاع . والورد — بكسر الواو — ورود الماء للشرب ، والعشب — بضم العين — ما ترعاه الماشية .

(٣) أتقرى : أتتبع . والعجب — بفتح العين والجيم جميعا — إنكار الشيء واستطرافه وروعة تأخذ الإنسان عند استعظام شيء . والعجب — بضم العين وسكون الجيم — الزهو والكبر وأن تظن ما عندك خيرا مما عند الناس . والمعنى أنه يتتبع أفراد الناس ويستقرئ صفاتهم وأنه عند ما تتبين له حقائقهم يتملكه العجب من عدم ملاءمة ظواهرهم لمخابرهم ، وحينئذ يجد نفسه حقيقا بأن يمتلئ زهوا وكبرا .

(٤) الجد — بفتح الجيم — البخت والحظ . واللب — بضم اللام — العقل .

(٥) « مقاما » مفعول به تقدم على « ألذ » وتقول : لذ فلان الشيء يلذه — من باب

٨ دُونَ أن أترُكَ السُّيوفَ كَقَتْلا ... هُا رَذَايا من حَرِّ قَرْعٍ وضَرْبِ (١)

٩ ومِنَ العَجْزِ أن دَعاكَ عَزْمٌ ... فرآكَ الحسامُ غيرَ مُلَبِّ (٢)

١٠ وإذا ما الإمامُ هَذَّبَ دُنْيا ... يَ كفانِي وصالَحَ الغِمْدَ غَرْبِي (٣)

١١ يا جميلاً جمالُه ملأ عيني ... وعظيماً إعظامُه ملأ قلبي

١٢ بكَ أبصَرْتُ كيفَ يَصْفو غَدِيري ... مِنْ صُروفِ القَذَى ويأمَنُ سِرْبِي (٤)

١٣ أنْتَ أفسدْتَنِي على كلِّ مأمو ... لٍ وأعْدَيْتَنِي على كل خَطْبِ (٥)

علم ـ إذا وجده لذيذا شهيا ، ووقع فى ه « فى عين علياء » محرفا عما أثبتناه . والضب : حيوان برى يشبه الورل وذنبه كثير العقد ، ولهذا يقال فى المثل « أعقد من ذنب الضب » يقول : أأشتهى المقام فى غير علياء مع أنى لا أحتاج من العيش إلا مقدار مايحتاجه هذا الحيوان الصغير . ينكر أن يرضى مايرضاه صغار النفوس .

(١) رذايا : جمع رذى أو رذية ـ بتشديد الياء ـ وأصل الرذية الناقة التى ضعفت وهزلت ، ووقع فى ب ، ه « رزايا » محرفا .

(٢) « أن » فى قوله « أن دعا بك عزم » مصدرية يقع المصدر المنسبك منها ومن معمولها مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله . وغير ملب : أى غير مستجيب لدعاء العزم .

(٣) الإمام : أراد أمير المؤمنين الذى يمدحه . وهذب دنياى : أراد قوم ما اعوج من طبائعها بعطفه علىّ . والغمد : قراب السيف . والغرب ـ بفتح الغين وسكون الراء ـ هو ههنا حد السيف . يريد أن عطف الإمام عليه حتى يصلح حال الدنيا معه يكفيه عناء الجد والسعى و يصالح السيف غمده فيسكن فيه ولا يفارقه .

(٤) السرب ـ بكسر فسكون ـ ههنا القلب ، و يقال « فلان آمن فى سربه » والمراد أنه آمن فى نفسه وفى عياله وحرمه ، و يقال « فلان واسع السرب » والمراد أنه رضى البال ، والمعنى أنه بسبب الممدوح امتلأت حياته صفاء وأمناً .

(٥) مأمول : مرتجى لمنح الرغائب ، وأفسدتنى عليه : صيرته فى نظرى غير صالح لأن توضع الآمال عنده . وأعديتنى : نصرتنى وقويتنى وصيرتنى ذا شوكة وسلطان . والخطب : كل أمر ذى شأن وخطر ، أو هو المكروه ، يريد أنه انتصر بسببه على كل مكروه .

١٤ فإذا ما أراد قُرْبى مَليكٌ ... قلتُ قُرْبى من الخليفة حَسْبى (١)

١٥ عَزَّ شِعْرى إلا عليك وما زا ... لَ عزيزاً يأبى على كلِّ خَطْبِ (٢)

١٦ أىُّ نَدْب مابين بُرْدَيْك والدهـ ... ـر أجذُّ اليَدَيْنِ من كل نَدْبِ (٣)

١٧ بينَ كَفٍّ تقى المطامِعَ والآ ... مال أو ذابلٍ يُغِير ويَسْبى (٤)

١٨ ماتُبالِى بأىِّ يومَيْك تَغْدُو ... يوم جُودٍ بالمالِ أو يوم حَرْبِ

١٩ كم غَداةٍ صباحُها فى حِدادٍ ... نسجَتْه أيدِى نزائعَ قُبِّ (٥)

---

(١) فى هـ « فإذا ما أراد قلبى مليك » محرفا عما أثبتناه موافقاً لما فى ب ، ويدل لصحته عجز البيت .

(٢) عز شعرى : صار عزيزاً غالياً لايبذل لطالبه ، والخطب : يفسر ههنا بالسبب الداعى إلى الأمر .

(٣) الندب ـ بفتح النون وسكون الدال ـ السريع إلى الفضائل ، وهو أيضاً الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب ، قيل له ذلك لأنه إذا ندب خف لقضاء ما ينـدب إليه . والبرد ـ بالضم ـ الثوب ، ويقال « المجد بين بردى فلان » و « الكرم تحت ردائه » و « الفضل فى ساحته » يكنون بذلك عن أنه متصف بما يذكرون من الصفات ، فكأنه قال هنا « أى ندب أنت » وأجذ اليدين : مقطوعهما ، يريد أن الدهر قد صغرت يداه عن أن يكون فيهما رجل ندب مع أنك ندب عظيم ، ووقع فى ب « أجد اليدين » بالدال مهملة ، وهو تحريف ماأثبتناه ، ووقع فى هـ « أجذ اليدين من كل كرب » .

(٤) تقى المطامع : تحفظها من أن تضيع أو من ألا يقدر على تحقيقها ، والذابل : أراد به الرمح ، ومعنى الذابل فى الأصل الدقيق اللاصق بالليط . ويغير : يشن الغارة على الأعداء حتى يقعوا سبايا ، ووقع فى هـ « بين كف تغنى المطامع » .

(٥) نزائع : جمع نزيعة ، وهى النجيبة التى تجلب إلى غير بلادها وتكون عند غير منتجها . والقب ـ بضم القاف ـ جمع قباء ، وهى من الخيل الدقيقة الحصر الضامرة البطن ، والمذكر أقب ، ووقع فى هـ « أيدى نزائع قلبى » محرفا .

٢٠ تَتَرَاءى السيوفُ فيها وتَخْفَى ... ويُنير الطعانُ فيها ويُخْبِى (١)

٢١ فَرَّجَتْها يَدَاكَ والنَّقْعُ قد سَدَّ ... على العاصفات كلَّ مَهَبِّ (٢)

٢٢ ومُرَبِّى العُلَى إذا بلغ الفا ... يةَ رَبَّاه فى العُلَى ما يُرَبِّى

٢٣ يا أمينَ الإلهِ والنَّبأ الأعْـ ... ـظم وَالعَقْبُ من مَقَاوِلَ غُلْبِ (٣)

٢٤ عادةُ المِهْرَجان عندىَ أن أر ... وى بذِكْرَاكَ فيه قَلْبى ولُبِّى

٢٥ هو عِيدٌ وَلا يمرُّ على وَجْـ ... ـهك يَوْمٌ إلا يَروق ويُصْبِى

٢٦ راحل عنك وَهْو يَرْقب لُقْيا ... كَ إلى الْحَوْل عن عَلاقةِ صَبِّ

٢٧ كيف أنْسَى وقد مَحَضْتُكَ أهوا ... ئى وحَصَّنْتُ عَنْ عـدوِّك حُبِّى (٤)

٢٨ أنتَ أَلْبَسْتَنى العُلا فأطِلْهَا ... أحْسَنُ اللُّبْسِ ما يُجَلِّلُ عَقْبى (٥)

٢٩ إنَّنى عائذ بنُعْمَاكَ أن أُكْـ ... ـبَرَ قَوْلى وأن أُطَوِّلَ عَتْبى

---

(١) ينير : مضارع أنار الثوب إنارة ، إذا جعل له نيرا ، وهو مقابل أسداه ، أى جعل له سدى . ويخبى : مضارع أخبى الخباء إخباء ، إذا عمله ونصبه . يريد أن السيوف فى يوم الحرب تظهر أحياناً وتختفى أحياناً أخرى ، لأنها مرة تكون صاعدة فى الجو ومرة تكون هابطة على هام الأعداء ، وأن الطعان ينسج للأعداء لفائف الموت .

(٢) النقع : الغبار المنعقد فوق رءوس الأبطال من وقع سنابك الخيل . والعاصفات : الرياح الشديدة الهبوب . والمهب ـ بفتح الميم والهاء ـ مكان الهبوب الذى تجىء هى منه .

(٣) العقب ـ بفتح فسكون ـ أى الذرية والولد . والمقاول : جمع مقول ـ بزنة منبر ـ وأصله اللسان ، ثم سمى به الملك لأنه يقول فلا يرد قوله . والغلب ـ بضم فسكون ـ جمع أغلب وأصله الأسد ، ويراد منه الشجاع الذى يغلب كل أحد .

(٤) محضتك أهوائى : بذلتها لك خالصة لا تشوبها شائبة وجعلتها خاضعة لإرادتك . وحصنت قلبى : جعلته فى حصن حصين ووقيته عن عدوك فلا يميل إليه .

(٥) أطلها : اجعلها طويلة ضافية ، ويجلل : يغطى ويستر ، والعقب : أصله بفتح العين وكسر القاف وهو هنا بسكون القاف تخفيفا ، ومعناه مؤخر القدم .

٣٠ بىَ داءٌ شِفاؤه أنت لو تد نو ، وأينَ الطبيبُ للمُسْتَطِبِّ ؟(١)

٣١ كيف أرْضَى ظَمَأً بقَلْبى وطَرْفى يتجلَّى برقَ الرَّباب المُرِبِّ(٢)

٣٢ نظرةٌ منك تُرْسلُ الماءَ فى عُو دى وتُمْطى ظِلِّى وتُنْبت تُرْبى(٣)

٣٣ ما ترجَّيْتُ غيرَ جودك جُوداً أيُرَجَّى القِطارُ من غير سُحْبِ(٤)

٣٤ لا تَدَعْنى بين المطامع والياً س ووِرْدِى مابين مُرٍّ وعَذْبِ

٣٥ وأرِمْ بى عن يَدَيْك إحْدَى الطريقيـ ـن فما الشُّعْرُ جُلُّ مالى وكَسْبى(٥)

٣٦ وإذا حاجةٌ نأتْ عن سُؤالى منك لم تَنْأ عن غِلابى وعَضْبى(٦)

* * *

(١) تدنو : تقرب ، وأراد قربه بعطفه وعطاياه . والمستطب : طالب الدواء .

(٢) طرفى : عينى ولحظى ، ويتجلى : يستطلع ويستكشف . والرباب ـ بفتح الراء ، بزنة السحاب ـ هو السحاب ، والمرب : اسم الفاعل من أرب ـ بتشديد الراء ـ بمعنى أقام .

(٣) تمطى : تمد وتطيل ، تقول : أمطى فلان الشىء ، إذا مده وأطاله . يقول : إن نظرة منك تبعث الحياة فى جسمى وتسبغ النعمة علىّ ، ووقع فى ه « وتمطر ظلى » محرفا .

(٤) القطار ـ بكسر القاف ـ جمع قطر ، وهو المطر ، وقال الشاعر :

أَلَا يا حَبَّذَا نفحاتُ نجدٍ وريَّا رَوْضِهِ بعـد القِطارِ

والسحب : أصله بضم السين والحاء جميعا ، ولكنه سكن الحاء ههنا تخفيفا ، وواحده سحاب . يقول : إننى لا أرتجى سواك ولا أقصد أحداً غيرك لأننى لاأجد مخايل الكرم إلا فيك ، وكما لايرتجى الناس المطر إلا عند مايرون السحب لاينبغى أن يطلب الجود إلاعند من تظهر عليه أمارات الجود .

(٥) جل مالى : معظمه .

(٦) نأت : بعدت ، وغلابى : غلبتى وقهرى ، يقول : إذا عرضت حاجة لى فلم أنلها منك فإنى قادر على أن أنالها بقوتى وبحد سيفى .

٢٠ – وقال يمدح بَهَاء الدَّولة ، ويشكره على تلقيبه بالرضى ذى الحسَبَيْن ، ويذكر أبا العباس الخارجى ، وكتب بها إليه وهو بالبصرة فى [المحرم] سنة ثمانٍ وتسعين(١) وثلاثمائة [من الهزج] :

١ يَدٌ فى قائم العَضْبِ فَما الإنظارُ بِالضَّرْبِ(٢)

---

(١) ذكر أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه المنتظم (٧/ ٢٣٤) فى حوادث سنة ٣٩٧ سبع وتسعين وثلثمائة أنه « فى يوم الاثنين لأربع خلون من جمادى الأولى أظهر ورود الكتاب من حضرة بهاء الدولة بتقليد أبى الحسن محمد بن الحسين بن موسى النقابة والحج وتلقيبه بالرضى ذى الحسبين » كما ذكر عقيب ذلك أنه « فى هذه السنة لقب الشريف أبو القاسم أخو الرضى بالمرتضى ذى المجدين » وأنه فى هذه السنة أيضا « لقب الشريف أبو الحسين الزينبى بالرضا ذى الفخرين » ويذكر ابن الأثير (٩/ ٧١) فى حوادث سنة ست وتسعين وثلثمائة أن «فى هذه السنة قلد الشريف الرضى نقابة الطالبيين بالعراق ولقب بالرضى ذى الحسبين ، ولقب أخوه المرتضى ذا المجدين ، فعل ذلك بهاء الدولة » فهذان رأيان لا يوافق ما هنا واحدا منهما .

(٢) أراد بالعضب السيف القاطع ، وقائمه : مقبضه ، وقد كثر قول الشعراء «قائم السيف» ومن ذلك قول سعد بن ناشب المازنى أحد شعراء الحماسة :

إذا هَمَّ أَلْقَى بين عَيْنَيْه عَزْمه ونَكَّبَ عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر فى رأيه غير نفسه ولم يَرْضَ إلا قائم السيف صاحبا

والإنظار : التأخير ، ينكر تأخير الأمور وقد هيئت أسبابها . وفى صدر هذا البيت القلب ، فقد كان من حق الكلام أن يقول « قائم العضب فى يدى » فقلب العبارة . والقلب مما اختلف فيه علماء البلاغة : فأنكره جماعة منهم ؛ لأنه فى نظرهم عى وعجز عن أن يأتى المتكلم بالعبارة الدالة على مراده ، وأجازه قوم إذا اشتمل على سر من أسرار الكلام ، وقد ورد فى جملة صالحة من كلام العرب ومن بعدهم ، فمن ذلك قول العرب : « عرضت الناقة على الحوض » وإنما الأصل : عرضت الحوض على الناقة ، ومنه قول القطامى يصف ناقته بالسمن :

فلمَّا أنْ جرى سِمَنٌ عليها كما طينت بالفَدَنِ السِّياعا

الفدن – بفتحتين – القصر ، والسياع : ما تطلى به الجدران من طين ونحوه ، والأصل : كما طينت بالسياع الفدن .

٢ وقد أمْكَنَتِ الهامُ ظُبَا المَطْرورة القُضُبِ (١)

٣ وللأرماح بالقـوم حِكاكُ الإبِلِ الجُرْبِ (٢)

٤ يُنَازِعْنَ نزاعَ الذَّوْ دِ يُرْمَيْنَ عَنِ الشُّرْبِ (٣)

* * *

٥ قِوَامَ الدين وَالدُّنْيَا غِيَاثَ الأَزْلِ وَاللَّزْبِ (٤)

٦ لَزِدْتَ الملك أوْضاحاً إلى أوْضَاحِهِ الشُّهْبِ (٥)

٧ وقَرَّرْتَ مَبَانيـه على الذَّابِلِ والعَضْبِ (٦)

٨ وأوضَحْتَ إلى المجـدِ مَنَارَ اللُّقَمِ اللَّجْبِ (٧)

---

(١) الهام : جمع هامة ، وهى هنا الرأس ، والظبا : جمع ظبة ـ بضم الظاء فيهما ـ وهى حد السـيف ، والمطرورة : المحددة ، تقول : طررت السكين وغيرها ـ من باب نصر ـ إذا حددتها ، والقضب : جمع قضيب ، وهو اللطيف من السـيوف ، وهو أيضا السيف القطاع ، فعيل بمعنى فاعل ، وأصل القضب بضم القاف والضاد جميعاً فسكن ضاده للتخفيف .

(٢) الأرماح : جمع رُمح ـ بالضم ـ والحـكاك ـ بكسر الحـاء ـ مصدر حك الشىء بالشىء إذا أمره عليه دلـكا وصكا ، وقالوا : فلان حكاك شر ، وحك شر ـ بكسر الحاء فيهما ـ إذا كان يثيره . والجرب ـ بضم فسكون ـ جمع أجرب ، وهو من به داء الجرب ، ومن عادة الجربى من الإبل أن تحتك كثيراً بجذع أو نحوه تذهب بذلك آكلة الداء ، يريد أن الرماح شديدة الشغف بهؤلاء الناس وأن شوقها إليهم كشوق الإبل الجرب إلى الحـكاك .

(٣) الذود ـ بفتح فسكون ـ من الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة ، و يرمين ـ بالبناء للمجهول ـ يبعدن ويمنعن ، والإبل إذا منعت الشرب نازعت إليـه نزاعا شديدا .

(٤) الأزل ـ بفتح الهمزة وسكون الزاى ـ الضيق ـ واللزب ـ بفتح اللام وسكون الزاى ـ جمع اللزبة ، وهى الشدة والقحط والجدب .

(٥) الأوضاح : جمع وضح ـ بفتح الواو والضاد جميعاً ـ وهو هنا الضياء ، وأصله بياض الصبح ، والشهب : جمع أشهب ، وهو الذى لونه الشهبة وهى بياض يصدعه سواد .

(٦) أراد بالذابل الرمح و بالعضب السيف ، يعنى أنه أقام قواعد الملك على قهر أعدائه .

(٧) المنار : جمع منارة ، وهى العلم يوضع فى الطريق لهداية السالك ، وفى الحديث : « إن

٩ رأينا المُلْكَ من بأسٍ ... لك قَدْ دار على القُطْبِ

١٠ فقل للحائن المغرو ... رِ : مَنْ أغْراكَ بالشَّغْبِ ؟(١)

١١ ومَنْ طَوَّحك اليومَ ... بدارِ الأُسْدِ الغُلْبِ ؟(٢)

١٢ فأقْبَلْتَ بِمِحْفَارٍ ... لك كَيْ تَصْدَعَ بالهَضْبِ(٣)

١٣ وَهَيْهَاتَ لَقَدْ طالَه ... لك الحَيْنُ من النَّقْبِ(٤)

١٤ ضلالًا لك مِنْ غاوٍ ... سَلِيبِ الرأى واللُّبِّ!(٥)

للاسلام منارا كمنار الطريق » واللقم ـ بفتح اللام والقاف جميعا ، وبضم اللام وفتح القاف بزنة صرد ـ معظم الطريق أو وسطه أو الواضح منه ، ويقال : عليك بلقم الطريق فالزمه . واللجب : الكثير الأصوات ، وأصله بفتح اللام وكسر الجيم فسكن الجيم هنا للتخفيف، وكذلك كل ثلاثى مضموم الوسط أو مكسوره يجوز تسكين وسطه تخفيفا .

(١) فى ه « فقل للجائر المغرور » وفى ب « فقل للخائن المغرور » وما أثبتناه خير منهما جميعاً ، والحائن ـ بالحاء المهملة ـ الهالك الذى حان حينه . والشغب ـ بفتح الشين وسكون الغين ، وقد تفتح الغين ، وقيل: لايجوز فتح الغين ـ هو إثارة الشر وتهييجه .

(٢) طوحك : رماك وأنزلك وقذف بك، وتقول : طوح به ، إذا حمله على ركوب المهالك، وطوحته الطوائح ، إذا أردت معنى قذفته القوادف . والأسد ـ بضم الهمزة والسين جميعا هنا ـ جمع أسد . والغلب ـ بضم فسكون ـ جمع أغلب ، وهو الغليظ العنق .

(٣) المحفار ـ بكسر الميم ـ اسم الآلة التى يحفر بها ، وتصدع : تشق أو تكسر ، وأراد هنا تحفر . والهضب ـ بفتح الهاء وسكون الضاد ـ جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض ، وقيل : كل جبل خلق من صخرة واحدة ، والمحفار لاينال من ذلك أبداً .

(٤) هيهات : أراد لقد بعد ما أملته ، وطالعك : أشرف عليك . والحين ـ بفتح فسكون ـ الموت والهلاك . والنقب ـ بفتح النون وسكون القاف ـ الطريق فى الجبل ـ يريد أنه قد أدركته هلكته وهو فى طريقه إلى ما يريد نيله .

(٥) ضلالا : مصدر أريد به الدعاء عليه ، ومثله ينتصب بفعل محذوف وجوبا، وسليب: أى مسلوب ، واللب ـ بضم اللام ـ أى العقل ، يريد لقد ذهب عنك رأيك وغاب عقلك.

١٥ أبى العزُّ لبيتِ الصِّل أن يُطرَق بالضَّبِّ[١]

١٦ وَمَاذا آنسَ الكُرْدَ بمَنْ زَلْزل بالعُرْبِ؟[٢]

* * *

١٧ شِم السَّيْف فقد قُوتِ لَ أعداؤك بالرُّعْبِ[٣]

١٨ ومُذْ أسخطك المَغْرُو رُ مَاقَرَّ على الجَنْبِ[٤]

١٩ بَغَى السِّلْم وقد أشْفى على مَزْلَقَةِ الخَطْبِ[٥]

٢٠ وقَدْ ماطلَهُ الخَوْفُ مِطَالَ المَخْضِ للوَطْبِ[٦]

---

(١) الصل ـ بكسر الصاد ـ الحية الدقيقة الصفراء التى لا تنفع معها رقية ، أو هى حية صفراء تكون فى الرمل إذا رآها الإنسان لم يزل يرتعد حتى يموت . والضب ـ بفتح الضاد ـ دويبة على حد فرخ التمساح الصغير وذنبه كثير العقد كذنب التمساح ، وفيه قالوا : أعقد من ذنب الضب .

(٢) آنس : أعلم أو أخبر ، أو جعل له أنسا ، والكرد : جيل من الناس ، وزلزل بهم : أى أبادهم ، وكأنه قد جعل الأرض تميد بهم وتضطرب كأنما زلزلت .

(٣) شم السيف : أغمده وضعه فى قرابه ، تقول : شام سيفه يشيمه . وقد أخذ معنى هذا البيت من قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « نصرت بالرعب » ، والرعب ـ بضم فسكون ـ شدة الخوف .

(٤) أسخطك : أغضبك وفعل معك ما تسخط منه ، وقر : أراد به استقر ، وأراد أن عدوه منذ فعل ما أغضبه عليه لم يهدأ له بال ، ولم يستقر به قرار ، ولم يغمض له جفن خوفاً من صولته ، وفرقا من بطشه به .

(٥) وقع هذا البيت فى ب عقب البيت الآتى بعده . وبغى : أراد وطلب . والسلم ـ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام ـ الصلح . وأشفى : قرب ودنا . والمزلقة : الموضع الذى تزل فيه الأقدام وتتزلق منه . والخطب ـ بفتح فسكون ـ المصيبة يعظم شأنها والكارثة يفدح ثقلها .

(٦) ماطله : سوفه ولواه ، والمطال ـ بكسر الميم ـ مصدره . والمخض : مصدر مخض اللبن ـ من باب فتح ـ إذا حركه ليستخرج زبده . والوطب : سقاء اللبن .

٢١ وكم سِلْمٍ وإن غرّا ... مِدًا أدمى من الحَرْبِ؟[1]

٢٢ نقلْتَ الطعن فى الجلد ... إلى طَعْنِكَ فى القلْبِ

٢٣ تقوا من رَبْضَةِ الليث ... فقد يَرْبِضُ للوَثْبِ[2]

٢٤ وخافوا نَوْمة الأسيا ... فِ فِى الأغماد وَالقُرْبِ[3]

٢٥ سَتُرْمَوْنَ بها يَقْظَى ... إذا قيل لها هُبِّى

٢٦ قَضَى اللهُ لِراياتِ ... كَ بالإظهار وَالغلبِ

---

(١) أدمى : أفعل تفضيل بمعنى أشد إسالة للدماء ، والمراد أنه أفعل فى الأعداء وأشد تأثيراً عليهم من الحرب لأنهم دانوا له بهذا السلم وذلت رقابهم لأمره .

(٢) تقوا : فعل أمر معناه خافوا واتقوا واجعلوا لأنفسكم وقاية ، وقد اختلف فى هذا الفعل: فقيل هو مقتطع من اتقى بحذف الزوائد ، وقيل : بل هو فعل وضع من أول الأمر على هذا الوجه، تقول : تقى الله يتقيه ـ مثل رمى يرمى ـ وتقول : تق الله ، وقد قال الشاعر وهو عبدالله السلولى:

زيادَتَنَا نعمانُ لا تَقْرَبَنَّها ... تَقِ اللهَ فِينَا والكتابَ الَّذِى تَتْلُو

وقال أوس بن حجر :

تقَاكَ بكَعْبٍ واحدٍ وتلذُّهُ ... يَدَاكَ إذَا ماهُزَّ بالكفِّ يَعْسِلُ

وقال الأسدى :

وَلَا أَتَّقِى الْغَيُورَ إذا رآنِى ... ومِثْلِى لُزَّ بِالْحَمِسِ الرَّبِيسِ

وربضة ـ بفتح الراء وسكون الباء ـ المرة من الربض ، وتقول : ربضت الدابة تربض ـ من باب ضرب ـ ربضا وربوضا ، إذا بركت ، قال الجوهرى : ربوض البقر والغنم والفرس والكلب مثل بروك الإبل وجثوم الطير ، والمرابض للبقر كالمعاطن للابل . والوثب ـ بفتح فسكون ـ مصدر وثب يثب بمعنى قام ونهض وقفز ، يريد أنك إذا رأيت الليث رابضا فلا تظن ربوضه للنوم ، لأنه قد يربض ليستعد للوثبة .

(٣) الأغماد : جمع غمد ـ بكسر فسكون ـ والقرب : جمع قراب ، والغمد والقراب والجفن وعاء السيف ، وأصل القرب بضم القاف والراء جميعا فسكن الراء هنا للتخفيف .

٢٧ وأصْفاكَ بِمُلْكِ الأر ض من شَرْقٍ إلى غَرْبِ
٢٨ وأغْنَى بك من عُدْم وأسْقى بك من جَدْبِ
٢٩ وولّى بأعاديكَ مَعَ الزَّعازِعِ النُّكْبِ (١)
٣٠ على آثارهم حَدْوَ الـ ـقَنَا بالضمَّرِ القُبِّ (٢)

* * *

٣١ رفَعْتَ اليومَ من قَدْرى وأوطَأْتَ العِدَا عَقبى
٣٢ ووَطَّأْتَ لى الرحْلَ على عُرْعُرة الصَّعْبِ (٣)
٣٣ وحَلَّيتَ لى العاط ل بالطَّوْقِ وبالقُلْبِ (٤)
٣٤ ووَسَّعْتَ لى الضِّيقَ إلى المُضْطَرَبِ الرَّحْبِ (٥)

---

(١) الزعازع : جمع زعزع - بفتح الزاءين وسكون العين بينهما - وهى الريح الشديدة الهبوب ، والنكب - بضم فسكون - جمع نكباء ، وهى الريح التى تنحرف عن مهاب الرياح القوم ، وأراد بالزعازع النكب الشدائد التى لايطيقون لها مردا ولا يعرفون مأتاها .

(٢) الضمر : جمع ضامر ، وهو الدقيق القليل اللحم ، والقب - بضم القاف - جمع أقب ، وهو الدقيق الخصر الضامر البطن .

(٣) ووطأت : مهدت وذللت ، والرحل - بفتح فسكون - أصله مركب يوضع على البعير من القتب ، وعرعرة كل شيء - بضم العينين بينهما راء ساكنة - رأسه وأعلاه . والصعب بفتح الصاد وسكون العين - هنا : الأسد ، لشدته وقسوته .

(٤) الطوق - بفتح فسكون - حلى للعنق يحيط به ، والقلب - بضم فسكون - سوار المرأة غير ملوى، وقيل: ما كان مفتولا من طاق واحد، والعاطل: التى لاحلى لها، وضرب هذا الكلام مثلا.

(٥) المضطرب : اسم لمكان الاضطراب ، والمراد هنا المكان الذى يتحرك فيه لعمله ، ومنه قول الشاعر :

لولَا بُنَيَّاتٌ كزُغْبِ الحَصَى
لَكان لى مُضْطَرَبٌ واسِعٌ فى الأرضِ ذاتِ الطولِ والعَرْض

٣٥ وزَاوَجْتَ لى الطَّوْلَ زِواجَ الماءِ للعُشْبِ (١)

٣٦ فكَمْ من نِعْمَةٍ منْك كَعَرْفِ الْمَنْدَلِ الرَّطْبِ (٢)

٣٧ أتَتْنِي سَمْحَة القود ذَلُولًا سَهْلَة الركب

٣٨ مُهَنَّأَةً كما ساغ زُلالُ البارِدِ الْعَذْبِ

٣٩ ولم أظْفَرْ بها منك جذابَ المِلْقِ بالْعَضْبِ (٣)

٤٠ وما إنعامُك الْغَمرُ بزَوَّارٍ على الْغِبِّ (٤)

٤١ سقانى كَرَعَ الجمِّ بلا وَاسِطَةِ القَعْبِ (٥)

٤٢ وأرْضَانى على الأيا م بعدَ اللَّوْم والْعَتْبِ

٤٣ وأعْلَى المدحِ ما أثْنَى به العبدُ على الربِّ (٦)

* * *

(١) زاوجت : أراد ألفت بين أنواعه ، والطول ـ بفتح فسكون ـ الفضل .

(٢) العرف ـ بفتح فسكون ـ طيب الرائحة . والمندل ـ بفتح الميم والدال ـ العود مطلقا، وقيل : المندل أجود أنواع العود .

(٣) يريد أنه لم يحتج إلى تكلف مشقة للوصول إلى نعمة الممدوح ، ولم يأخذها اقتساراً .

(٤) الغمر ـ بفتح فسكون ـ الكثير كأنه يغمر من يأخذه ويغطيه . والغب ـ بكسر الغين ـ مصدر غب فلان عن القوم يغب ـ مثل نصر ينصر ـ إذا أتاهم يوما وترك زيارتهم يوما ، أو إذا زارهم بعد أيام ، أو إذا زارهم كل أسبوع ، ومنه قولهم : « زر غبا تزدد حبا » .

(٥) الكرع ـ بفتح الكاف والراء جميعا ـ أصله ماء السماء . والجم ـ بفتح الجيم ـ الكثير من كل شيء ، والإضافة فى « كرع الجم » من إضافة الموصوف للصفة . والقعب ـ بفتح فسكون ـ القدح .

(٦) فى ب « وأعلى المدح مايثنى » .

٢١ — وقال يمدحه أيضاً ، ويهنئه بمهرجان سنة أربعمائة [من مجزوء الرمل] :

١ حَيِّيَا دونَ الكثيبِ مَرْتَعَ الظبي الرَّبيبِ (١)

٢ واسْألانى عن قريبٍ فى الهوى غَيْرِ قَرِيبِ (٢)

٣ واردٍ ماءَ عيونٍ مُصْطَلٍ نارَ قُلوبِ (٣)

٤ وقفةً بالرَّبْعِ أقْوَى بينَ أعقادِ الكَثيبِ (٤)

٥ وعَفَا اليومَ على كرّ ىْ قِطارٍ وجَنُوبِ (٥)

٦ بسَوَافِي التُّرْبِ البا رِحِ والتُّرْبِ الغَرِيبِ (٦)

٧ والَّذِى بِالرَّبْعِ من بَعْ دِهِمُ بعضُ الَّذِى بى

---

(١) الظبي : أصله ولد الغزال ، وتشبه به النساء ، ومرتعه : المكان الذى يرتع ويلعب فيه . والربيب ـ بفتح الراء ـ أصله الشاة التى تربى فى البيت للبنها .

(٢) وصفه بالقرب لأنه يسكن قلبه فهو دان منه ، أو لأن منازله قريبة من منازله ، ثم وصفه بأنه غير قريب لأنه شديد الجفوة كثير الصدود .

(٣) العيون : جمع عين ، والعين تطلق على عين الماء وعلى عين الإنسان التى يبصر بها ، وعجز البيت يرجح أنه أراد العين الباصرة ، يريد أن هذا الغزال يشرب ماء عينه لأنه يحبه حبا جعله بهذه المنزلة ، أو لأن صدوده يبكيه كثيرا ، ومصطل : اسم الفاعل من مصدر اصطلى النار واصطلى بها ، إذا استدفأ بها .

(٤) أقوى : أقفر وخلا من ساكنيه ، والأعقاد : جمع عقد ، وهو ما تراكم من الرمل وتعقد ، والكثيب ـ بفتح الكاف ـ التل من الرمل .

(٥) عفا : درس وانمحت معالمه . والقطار : جمع قطر ، وهو المطر ، وأراد بالجنوب ريح الجنوب ، وكر القطار والجنوب : تتابعهما على الربع حتى درسا معالمه .

(٦) السوافى : جمع سافية ، وتقول : سفت الريح التراب تسفيه سفياً ، إذا ذرته أو حملته فهى سافية ، وقد جعل الترب سافياً كما جعلت العيشة راضية فى قوله تعالى : (فهو فى عيشة راضية) ، والترب أصله بضم التاء وسكون الراء ، وقد ضم الراء إتباعا لضم التاء .

٨ واحبساَ الركْبَ على حا جَةِ ذِى القَلْبِ الطَّرُوبِ

٩ مُسْتَهَامٍ دَلَّهُ الشو قُ على دارِ الحبيبِ

١٠ مَوْقف مَيَّزَ للرَّكْـ ـب بَرِيًّا من مُرِيبِ(١)

١١ يا غَزَالَ الرملِ، قَلْبى لكَ مُنْقَادُ الْجَنِيبِ

١٢ هَلْ سبيـلٌ لِى إلى را حةِ قَلْبٍ من وجيبِ؟(٢)

١٣ نظرة يَمْلكُها الطَّر ف على عَيْنِ الرقيبِ

١٤ مالقانى من عَدُوّى كلقانى من مشيبى(٣)

١٥ مُوقِدًا ناراً أضاءَت فوقَ فَوْدَىَّ عُيُوبى(٤)

١٦ وبياضٍ هُو عِنْدَ الـ ـبِيض مِنْ شَرِّ الذنوب(٥)

* * *

١٧ يا قوامَ الدين والقَا ئمَ مِن دون الْخُطُوبِ(٦)

---

(١) بريا : هكذا وقع فى جميع الأصول ، وأصله بريئا فقلبت الهمزة ياء ثم أدغمت فى الياء ، والمريب : الذى يبعث الريبة والشك إلى نفس من يراه .

(٢) الوجيب : الخفقان الشديد .

(٣) وقع فى ه « كلقانى من حبيب » ويظهر أن ناشريها اغتروا بذكر العدو فى الشطر الأول ، لكن البيتان بعده يصححان ما أثبتناه موافقا لما فى ا ، ب .

(٤) الفود ـ بفتح فسكون ـ ناحية الرأس ، وأراد أن الشيب اشتعل فى رأسه

(٥) أراد بالبياض الشيب ، والبيض : جمع بيضاء ، وأراد النساء ، ووقع فى ب « هو عند البيض من شر ذنوبى » وما أثبتناه موافقا لما فى ه أدق .

(٦) قوام الشىء ـ بكسر القاف ، بزنة الكتاب ـ نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به ويتم بسببه صلاحه . والخطوب : جمع خطب ، وأراد بقوله « القائم من دون الخطوب » أنه يمنعها أن تقع فهو يقف سدا بينها وبين الرعية أن تنزل بها .

١٨ والَّذِى يدعو النَّدَى منـ ـهُ بداعٍ مُسْتجيبِ (١)

١٩ ومُغَطِّى الذنبِ بالْعَفْـ ـوِ وكَشَّافَ الكُروبِ (٢)

٢٠ بيَدَيْهِ رَكْدَةَ السِّلْـ ـمِ وزِلْزَالُ الحروبِ (٣)

٢١ قُرِعَتْ من عُوده الأعْـ ـدَاءُ بالنَّبْعِ الصَّليبِ (٤)

٢٢ بِمَهيبِ البشر فى المحـ ـفِلِ مَرْجُوٍّ القُطُوبِ (٥)

٢٣ قَائد الخيـل تَسَاقَى بدمِ الطَّعْنِ الصَّبيب (٦)

---

(١) الندى : الجود والكرم . ووقع فى هـ « بواع مستجيب » .

(٢) مغطى الذنب بالعفو : أى يستر جريرة المذنبين بعفوه عنهم فلا يؤاخذهم بما أذنبوا . والكروب : جمع كرب - بفتح فسكون - وهو الحزن والغم يضيق بهما الصدر ، وكشافها : مزيلها .

(٣) الركدة : المرة من الركود ، وتقول : ركد الشىء يركد ركودا - مثل خرج يخرج خروجا - إذا سكن . والزلزال - بكسر أوله - الاضطراب والميدان ، يريد أن بيديه الأمر كله ، فهو الذى إن شاء أثار الحرب فتزلزلت الأرض ومادت ، وإن شاء أعلن السلم فهدأت الدنيا واستقر حالها .

(٤) النبع - بفتح فسكون - شجر تتخذ منه السهام والقسى ، ومنابته قنن الجبال . والصليب : الشديد المتين الذى لاينكسر .

(٥) البشر - بكسر فسكون - طلاقة الوجه وانفراج المحيا ، والقطوب : تعبيس الوجه ، يريد أنه إذا انفرجت أساريره لم يكن ذلك مغريا بالدالة عليه لأنه مع ذلك مهيب مخوف ، وإذا قطب وجهه لم يكن ذلك موئسا من بره لأنه مع ذلك مرجو مأمول .

(٦) تساقى : أصله تتساقى فحذف إحدى التاءين ، ودم الطعن : الدم الذى يخرج من طعن الأعداء ، والصبيب : فعيل بمعنى مفعول من مصدر صب الماء يصبه صبا - من باب نصر - إذا سكبه ، وقد يكون فعيلا بمعنى فاعل من مصدر صب الماء نفسه - من باب نصر أيضا ، وقيل : بل من باب ضرب - إذا انسكب .

٢٤ كل أحْوَى عاقِص بالدَّ ... مِ أطْرَافَ السَّبيبِ (١)

٢٥ مِن رجالٍ أسفَرُوا بالطَّـ ... ـوْل أيامَ الشُّحوبِ (٢)

٢٦ كثروا مَجْداً وطابوا ... من نَجيب ونَجيبِ (٣)

٢٧ وترى الحيَّ سِوَاهم ... مكثراً غير مطيب (٤)

٢٨ رُبَّ غاوٍ طَرَق المجـ ... ـدَ طُروقَ المستريبِ (٥)

٢٩ ثاوَرَ الأمرَ ولم يَعْـ ... ـلَمْ بأسرارِ الغُيُوبِ (٦)

٣٠ ضَلَّةً يَسْلك منها ... لَقَماً غيرَ رَكوبِ (٧)

---

(١) الأحوى : الوصف من الحوة ، وهى السمرة ، والمراد هنا الأسود الشعر . وعاقص الشعر : مضفوره . والسبيب : الخصلة من الشعر .

(٢) أسفروا : من قولهم « أسفر الصبح » إذا أضاء وانتشر نوره ، والطول ـ بفتح فسكون ـ الفضل والسعة ، ومن عادتهم أن يصفوا الكريم بإشراق الوجه و بياضه ونحو ذلك ، وأصل الشحوب تغير الوجه من مرض ونحوه ، وأراد بأيام الشحوب أيام القحط والجدب ، وأيام الجدب مظنة للشح بالمال والحرص عليه ، فإذا جادوا فى هذه الأيام فهم فى غيرها أجود .

(٣) النجيب : الكريم الحسيب من الإنسان وغيره ، ووقع فى ب « من نجيب فنجيب »

(٤) مكثرا : أراد كثير العدد ، ومطيب : اسم فاعل من مصدر « أطاب الرجل للضيف » إذا قدم له طعاما طيبا ، أو « أطاب الرجل » إذا ولد بنين طيبين ، يريد أن عددهم كثير ولكنهم لانفع فيهم .

(٥) غاو : ضال . طرق المجد : سلك سبله . المستريب : المرتاب الذى لا ثقة له فى بلوغ مأموله لعدم تهيؤ نفسه له .

(٦) ثاور الأمر : واثبه ، وأراد أقدم عليه ، ووقع فى ب « ساور الأمر » بالسين ، والمعنى صحيح ، وهو غير مختلف ، يريد أنه أقدم على الأمر متهجما غير عارف بدواعيه ولا عواقبه .

(٧) ضلة : أى ضلالا وعدم خبرة ، ووقع فى الأصول كلها «ظلة» بالظاء ، وترجح عندنا أنه محرف عما أثبتناه ، واللقم : المنهج ومعظم الطريق وسواؤه ، وركوب : فعول بمعنى مفعول ، يريد أنه يسلك مسلكا ليس من شأنه أن يبلغه مقصده بسبب ضلاله وعدم خبرته بما ينبغى أن يسلكه من الطرق.

٣١ أبداً يَدْحُو به الغـــــىُّ إلى الأمرِ المُرِيبِ (١)
٣٢ سار وَالْأُمَّاتُ يُعْدِدْ نَ له شَقَّ الْجُيوبِ (٢)
٣٣ يسلف الدمع يقينا برَدَى اليومِ العَصيبِ
٣٤ شامَها وانْصاعَ محلُو لَ عُرَى القلبِ النخيبِ (٣)
٣٥ مُرْهَقَ الوقْفَةِ لا يغـــــمِزُ ساقاً من لُغُوبِ (٤)
٣٦ طائحا منخرق السّجْـــــلِ إلَى جُولِ القَلِيبِ (٥)

(١) يدحو : يدفع ، وقالوا : دحا المطر الحصى عن وجه الأرض ، إذا دفعه ، ووقع فى ه « يدحو به الأمر » والمريب : الذى يبعث الريبة ويثيرها . تقول : رابه ، وأرابه .

(٢) الأمات : جمع أم . والأكثر فى اللسان العربى أن يقال فى جمع أم للحيوانات : أمات ، وأن يقال فى جمعها للإنسان : أمهات ، وقد يوضع كل منهما موضع الآخر ، ويعددن ـ بضم ياء المضارعة ـ يهيئن ، وكنى بهذه العبارة عن أن عواقب سعيه الهلاك ؛ لأن من عادة النساء حين النياحة على هالك أن يشققن جيوبهن ، وهى عادة جاهلية حظرها الإسلام .

(٣) شامها : نظرها ، وأصله قولهم « شام فلان البرق » إذا نظر إليه ليعرف أين يقع مطره . وانصاع : رجع مسرعا . والقلب النخيب ـ بالخاء المعجمة ـ الفارغ الذى لا قوة فيه ولا جلد ، وقال حسان بن ثابت الأنصارى فى هجاء أبى سفيان :

ألَا أبلغ أبا سُفْيان عنّى فأنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هواءُ

ووقع فى ب ، ه « النجيب » بالجيم ـ وهو تحريف ما أثبتناه ، ويقال « فلان نخيب » إذا كان جبانا ذاهب العقل ، ويقال « قلب نخيب » ، ويقال « نخب فلان » من باب فرح ـ إذا جبن .

(٤) تقول « أرهقت فلانا » إذا أدركته . وغمز الساق : شبيه العرج . واللغوب : الإعياء الشديد ، وأراد بهذا أنه سار مقدما مشتدا فى إقدامه فلم يتمكن من الوصول إلى غرضه ، بل أدركه أعداؤه ، ولم يكن إدراكهم إياه بسبب إعيائه ولا ضعف سيره ، ولكن لشدة من يلاحقه .

(٥) طائحا : هالكا ، ووقع فى ب « طارحا » . والسجل : الدلو العظيمة . والقليب :

٣٧ مزق الجلد يَرَى القَلْـــــب من الجَرْحِ الرَّغيبِ (١)
٣٨ ناجياً مُنْقَلبَ الأبْـــــغثِ من بازٍ طَلُوبِ (٢)
٣٩ يومَ لايثبتُ وجهُ من كُلُوم ونُدُوبِ (٣)
٤٠ نَغَرَتْ قِدْرُ المَنَايَا منْ أُوارٍ ولَهيبِ (٤)
٤١ تقذِفُ الموتَ إذا حَـــــشَّ لظاها بالكُعُوبِ (٥)
٤٢ اخْسَئِي يا نُوبَ الأيَّـــــامِ ما عِشْتِ وخِيبِي (٦)
٤٣ وارْجِعِي ناصلةَ الأظْـــــفارِ بَيْضَاءَ النُّيُوبِ (٧)

البئر ، وجولها ـ بضم الجيم ـ جدارها ، وقال أبو عبيد : الجول كل ناحية من البئر إلى أعلاها من أسفلها وأنشد :

رمانِي بأمرٍ كنتُ منه ووالدى بَرِيًّا ، ومِنْ جُول الطَّوِيِّ رمانى

(١) الجرح الرغيب : الواسع النافذ فى الجوف .

(٢) ناجيا : فارا هاربا ، والمنقلب : مصدر ميمى بمعنى الانقلاب ، وهو منصوب على المصدرية ، والمراد به التشبيه ، يعنى أن نجاءه يشبه انقلاب الأبغث من البازى الذى يطلبه ويريد الانقضاض عليه . والأبغث : طائر من طير الماء . والبازى : أحد الجوارح الكاسرة من الطير ، والطلوب : صيغة مبالغة من الطلب ، ولعل الأصل « ناجيا منفلت الأبغث . . إلخ » .

(٣) الكلوم : جمع كلم ، مثل جرح وجروح وزنا ومعنى . والندوب : جمع ندبة ، وهى أثر الجرح الباقى على الجلد .

(٤) تقول : نغرت القدر ـ من باب ضرب وقطع وعلم ـ إذا غلت . والأوار ـ بضم الهمزة ـ أصله حر النار . ووقع فى ه « فغرت قدر المنايا » محرفا .

(٥) حش : أوقد وألهب . واللظى : النار ، والكعوب : جمع كعب ، وأصله ما بين كل عقدتين من أنابيب القصب . وأراد ههنا أنها تستعر بما يقدم لها من وقود

(٦) اخسئى : ابعدى . تقول : خسأت الكلب أخسؤه فخسأ ، تريد أنك طردته فانطرد .

(٧) ناصلة الأظفار : تحتمل معنيين أولهما أن يكون مأخوذاً من قولهم « نصل حافر الدابة

٤٤ عجباً ! كيف تَطَاوَلْـــــتِ إلى اللَّيْثِ المَهِيبِ

٤٥ وإلى طَوْدٍ من العِزَّ ـةِ مزلاق الجَنُوبِ (١)

٤٦ ظهر صَعْبٍ يَقِصُ الرَّا ـكِبَ من قَبْلِ الرُّكوبِ (٢)

٤٧ كم لَبِسْتُ الطَّوْلَ مِنكُم بدَلَ البُرْدِ القَشِيبِ (٣)

٤٨ نِعَمٌ كالمُزْنِ أيْقَظْـــــنَ ثَرَى الرَّوْضِ الغَرِيبِ (٤)

٤٩ نافِحـاتٌ بنَسِيم سافياتٌ بذَنُوبِ (٥)

٥٠ كلَّ يَوْمٍ أنا مِنْهـا بيْنَ دَاعٍ ومُجِيبِ (٦)

* * *

وغيره » من باب نصر ، إذا خرج من موضعه ، ويكون ذلك كناية عن ضعف قوتها لأن الظفر من السبع ونحوه تكون به الصولة . وثانيهما أن يكون من قولهم «نصلت الحية واللسعة» من باب نصر أيضا ـ إذا ذهب سمها وزال أثرها . والنيوب : جمع ناب ، و بياضها كناية عن أنها لم تلطخ بدم فريسة .

(١) الطود ـ بفتح فسكون ـ أصله الجبل ، ومزلاق الجنوب : يعنى أن جوانبه كلها صعبة المرتقى تنزلق عنها الأقدام ، ووقع فى ه « مزلاق الجيوب » محرفا .

(٢) الصعب : ضد الذلول ، وهو من المطايا ما لايمكن من ركوبه . ويقص الراكب : يدقه ويكسره .

(٣) الطول ـ بفتح فسكون ـ الفضل والسعة . والبرد القشيب : الأبيض النظيف .

(٤) المزن ـ بضم فسكون ـ المطر ، و «أيقظن» معناه أنه هيج القوة النامية فى الأرض ، ووقع فى ب « أنقطن » ووقع فى ه « أيقضن » والثرى : التراب .

(٥) نافحات : جمع نافحة ، وهو اسم الفاعل من « نفح الطيب » إذا انتشرت رائحته وفاحت ، و « نفح النسيم » هب . والذنوب ـ بفتح الذال ـ الدلو .

(٦) داع : أراد طالب ، ومجيب : أراد آخذ .

٥١ انجُ من رَوْعات أيّا ... مٍ وَغاراتِ خُطوبِ (١)

٥٢ باقياً ما اخْتَلَفَ النَّوْ ... رُ عَلَى الْغُصْنِ الرَّطيبِ (٢)

٥٣ هزة الريح سَليما ... من وُصُوم وعُيُوبِ (٣)

٥٤ لا لَقاكَ الْخَطْبُ إلّا ... رَامياً غيرَ مُصيبِ

٥٥ كلَّما أفْنَيْتَ عَقْباً ... جَادَ دَهْرٌ بعَقيبِ (٤)

٥٦ مِهْرَجانٌ عادَ إلما ... مَ مُحِبٌّ بحَبيبِ (٥)

٥٧ وافِداً جاء من الإقْـ ... ـبالِ فى زَوْرٍ غَريبِ (٦)

٥٨ إنَّ رَيْبَ الدهر أمْسَى ... لكَ مأمُونَ الْمَغيبِ

٥٩ هَلْ لداءٍ بَيْنَ جِسْمٍ ... وفُؤادٍ مِنْ طَبيبِ

٦٠ هُوَ فى الأجسام مِنكم ... وَهْوَ مِنَّا فى القُلوبِ

٦١ يا طُلُوعَ البدْرِ لانا ... لَكَ محذورُ الغُروبِ

***

(١) روعات أيام : أراد مايجرى فيها من الأكدار التى تسبب الخوف ، ووقع فى ه «وغارات ذنوب» وليس بشىء .

(٢) «ما» فى قوله «ما اختلف النور» هى المصدرية الظرفية ، والنور ـ بفتح النون وسكون الواو ـ الزهر ، يريد الدعاء له بالسلامة أبد الدهر .

(٣) سليما : حال من الضمير المستتر فى «انج» أو «باقياً» ، والوصوم : جمع وصم ، وهو العيب والعار .

(٤) العقب ـ بفتح فسكون ـ والعقيب أيضاً : أصلهما الذى يأتى بعد ، وأراد منهما هنا الجيل من الناس ، أو الزمن الذى يعيش فيه الجيل ، ووقع فى ه «جاء زهر بعقيبى» محرفا .

(٥) أصل الإلمام الزيارة ، وانتصب «إلمام» على المصدرية لبيان النوع .

(٦) الإقبال : أراد به الحظ والسعد . والزور ـ بفتح فسكون ـ الضيف الزائر .

٢٢ — وقال يمدح الوزير أبا نصرٍ[١] سابورَ بن أردشير ، وقد قَدِم مع شرف الدولة إلى بغداد فى سنة ست وسبعين وثلثمائة [من البسيط] :

١ مايَصْنَعُ السَّيرُ فى الْجُرْدِ السَّرَاحِيبِ إنْ كانَ وعدُ الأمانى غيرَ مَكْذوبِ[٢]

٢ لله أمْرٌ منَ الأيَّامِ أطْلُبُهُ هَيْهَاتَ أَطْلُبُ أمْراً غيرَ مطْلُوبِ

٣ لا تَصْحَبِ الدهرَ إلّا غيرَ مُنْتَظِرٍ فَالْهَمُّ يَطْرُدُهُ قَرْعُ الظَّنَابِيبِ[٣]

---

(١) وزر سابور بن أردشير لأبى نصر بهاء الدولة بن عضد الدوله ثلاث مرات ، وكان كاتباً سديداً ، وابتاع داراً فى سنة إحدى وثمانين وثلثمائة وحمل إليها كتب العلم من كل فن ، وسماها « دار العلم » قالوا : وكان فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد ، ووقف عليها الوقوف ، وبقيت سبعين سنة ، ثم أحرقت عند مجىء طغرلبك فى سنة خمسين وأربعمائة ، ووزر أيضا لشرف الدولة ابن عضد الدولة . قالوا : وكان عفيفاً عن الأموال ، كثير الخير ، سليم الباطن ، وكان إذا سمع الأذان ترك ما يكون فيه من عمل وقام إلى الصلاة ولم يعبأ بشىء ، إلا أنه كان يكثر الولاية والعزل ، وتوفى فى بغداد سنة ست عشرة وأربعمائة وقد قارب السبعين . قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٤١٦ من الهجرة : « وفيها توفى سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة ، وكان كاتباً سديداً ، وعمل دار الكتب ببغداد سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ، وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد ، وبقيت إلى أن احترقت عند مجىء طغرلبك إلى بغداد سنة خمسين وأربعمائة » اهـ كلامه ، ثم انظر (ابن الأثير ٩/١٣١ والمنتظم لابن الجوزى ٨/٢٢) .

(٢) الجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر . والسراحيب : جمع سرحوب - بزنة عصفور - وهو الطويل .

(٣) الظنابيب : جمع ظنبوب - بزنة عصفور - وأصله حرف الساق من قدم ، وقيل : هو حرف عظم الساق . وقالوا : قرع فلان ظنابيب الأمر ، إذا أرادوا أنه قد ذلل منه عسيره وسهل صعبه ، وقالوا : قرع فلان لهذا الأمر ظنابيبه ، إذا قصدوا أنه تهيأ له وجد فيه ولم يفتر عزمه عنه . وقال سلامة بن جندل :

كنَّا إذا ما أتَانَا صارخٌ فَزِعٌ كانَ الصُّرَاخَ لَهُ قرعُ الظَّنَابيب

٤ واقْذِفْ بنفسكَ فى شَعْوَاءَ خَابِطَةٍ ... كالسَّيْلِ يَعْصِفُ بالصَّوَّانِ واللُّوبِ (١)

٥ إنْ حنَّتِ النِّيبُ شوقاً وهْىَ واقفةٌ ... فإنَّ عزمىَ مُشْتَاقٌ إلى النِّيبِ (٢)

٦ أو صارتِ البِيضُ فى الأغماد آجِنَةً ... فإنَّمَا الضربُ ماءٌ غيرُ مَشْرُوبِ (٣)

٧ متى أرانِى ودِرْعى غيرُ مُحْقَبَةٍ ... أُجُرُّ رُمْحِى وسَيْفى غيرُ مَقْرُوبِ (٤)

٨ أيْدٍ تجاذبُ دُنْيَا لا بقاءَ لها ... خِباؤُهَا بَيْنَ تَقْوِيضٍ وتَطْنِيبِ (٥)

٩ قد كنتُ غِرًّا وكان الدهر يُسْمِحُ لى ... إنَّ الرقيبَ على دُنْيَاىَ تَجْرِبِى (٦)

---

(١) الشعواء : أراد بها الغارة المتفرقة ، والخابطة : التى تسير على غير قصد كأنه خبط عشواء . والصوان ـ بفتح الصاد وتشديد الواو ـ جمع صوانة ، وهى حجر شديد يقدح به . واللوب : الإبل العطاش البعيدة عن الماء .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة ، سميت بذلك لطول نابها ، وفى أمثال العرب : « لا أفعل ذلك ماحنت النيب » يريدون لا أفعله أصلا لأن النيب لاتترك الحنين .

(٣) البيض : جمع أبيض ، وهو هنا السيف . والأغماد : جمع غمد ، وهو قراب السيف ، وآجنة : متغيرة ، وأصله أن يقال فى الماء ، تقول : أجن الماء ـ من بابى ضرب ونصر ـ أجنا وأجونا ، إذا تغير طعمه ولونه .

(٤) محقبة ـ بزنة اسم المفعول ـ موضوعة فى الحقيبة وهى فى الأصل خريطة يجعلها المسافر فى الرحل يضع فيها الزاد ونحوه ، وقال نصيب :

فَعَاجُوا فأثْنَوْا بالَّذى أنت أهْلُه ... ولَوْ سكَتُوا أثْنَتْ عليْكَ الحقائبُ

وأراد هنا الوعاء الذى يحفظ فيه الدرع . ومقروب : موضوع فى القراب وهو جفن السيف ، يقول : متى يرى نفسه عاملا مجاهداً محاربا فلا درعه محفوظ ولا سيفه مغمد .

(٥) الخباء ـ بكسر الخاء ـ البيت ، وتقويض : هدم ، وتطنيب : بناء .

(٦) الغر ـ بكسر الغين ـ أصله الشاب الذى لاتجربة له . ويسمح لى ـ بضم ياء المضارعة ـ يذل لى وينقاد ويلين بعد شماس ، من قولهم « أسمحت قرونته » إذا ذلت وانقادت ، وقولهم « أسمحت الدابة » إذا لانت بعد ما كانت صعبة . يقول : لقد كنت شابا غرير السن ومع ذلك لم يكن الدهر يصعب علىّ ، لأننى مع شبابى ومىعتى كنت ذا تجربة وخبرة .

١٠ وعدتَ يا دَهْرُ شيئاً بتُّ أرْقُبُه ... وما أرَى منْكَ إلّا وَعْدَ عُرْقُوبِ (١)

١١ وحاجةً أنْقَضَاهَا وتَمْطُلُنى ... كأنَّهَا حاجَةٌ فى نَفْسِ يَعْقُوبِ (٢)

١٢ لأبْعَثَنَّ على البَيْدَاءِ راحِلَةً ... والليـــلُ بالرِّيحِ خَفَّاقُ الجلابيبِ (٣)

١٣ ما كنتُ أرْغَبُ عن هَوْجَاءَ تَقْذِفُ بى ... هامَ المَرَوْرَى وأعْنَاقَ الشَّنَاخِيبِ (٤)

١٤ فى فِتْيَةٍ هَجَرُوا الأوطانَ واصْطَنَعُوا ... أيْدِى المطايا بإدْلاجٍ وتَأْوِيبِ (٥)

---

(١) أرقبه : أنتظره وأتوقع حصوله . وعرقوب : رجل من العرب يضرب مثلا فى خلف الوعد ، وفيه يقول الشاعر :

وعَدْتَ وكانَ الخلفُ منك سجيةً ... مواعيدَ عُرْقُوب أخاه بيترب

وقال كعب بن زهير :

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً ... وما مواعيـدُها إلا الأباطيلُ

(٢) أنقضاها : أطلب قضاءها ، وتمطلنى : تسوفنى ، وأخذ عجز البيت من قوله تعالى فى سورة يوسف : (إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها ، وإنه لذو علم لما علمناه) .

(٣) « لأبعثن » وقع فى ب « لأتعبن » من الإتعاب . والجلابيب : جمع جلباب ، وأصله القميص ، وخفاقها : مضطربها .

(٤) الهوجاء : الناقة السريعة حتى كأن بها هوجا ، ولا يقال جمل أهوج ، والمرورى - بزنة سفرجل - جمع مروراة ، وهى الأرض لا شىء فيها . والشناخيب : جمع شـنخوب - بزنة عصفور - أو شنخاب - بزنة قرطاس - وهو أعلى الجبل ، وقد جعل للمرورى هاما وللشناخيب أعناقا .

(٥) فتية : جمع فتى ، والمطايا : جمع مطية ، وهى الدابة ، سميت بذلك لأنه يركب مطاها أى ظهرها ، أو لأنها تمطو فى سيرها أى تسرع . والإدلاج : سير أول الليل ، وربما استعمل فى سير آخر الليل ، ومنه قوله :

* اصبر على السير والإدلاج فى السحر *

والتأويب : سير جميع النهار ، ووقع فى ه « وتأبيب » والتأبيب : الصياح ، ولا يلتئم مع سابقه.

١٥ مِن كل أشْعثَ مُلْتاثِ اللِّثام ، له لحظٌ تكرِّرُه أجفان مَدْؤبِ (١)

١٦ يوسِّدُ الرحْلَ خدًّا ماتوسِّده قبلَ المطالبِ غيرُ الحسن والطِّيبِ (٢)

١٧ إليكَ طارَتْ بنا نُجْبٌ مدفَّعَةٌ تحتَ السِّياط رَميضاتُ العَراقيبِ (٣)

١٨ ورَدْنَ منك سحاباً غيرَ مُنْتَقِلٍ عن البلاد وبَدْراً غيرَ محجوبِ

١٩ ما زِلْتَ ترغبُ فى مجدٍ تُشيِّدُه عَفْواً وغيرُكَ فى كَدٍّ وتعذيبِ (٤)

٢٠ حتى بلغْتَ من العَلْياء منزلةً تُفْدَى الأعاجمُ فيها بالأعاريبِ (٥)

---

(١) أشعث : متلبد الشعر أو منتشره لقلة تعهده بالدهن ونحوه ، وملتاث اللثام : أصله من قولهم « لاث فلان العمامة على رأسه يلوثها » إذا لفها وعصبها ، وكان من عادة شجعان العرب أن يتلثموا إذا كان للناس عليهم ترات مخافة أن يؤخذوا غيلة بما عليهم من ثارات ، واللحظ : النظر ، ومدءوب : معود ، مأخوذ من الدأب - بفتح فسكون - بمعنى العادة ، ومنه قول امرئ القيس بن حجر :

كدَأْبِكَ من أمِّ الحويرث قبلها وجارتها أمِّ الرباب بمأسل

ولكنى لم أجد هذا اللفظ مستعملا بهذه الصيغة فيما بين يدى من معاجم اللغة .

(٢) يوسد الرحل خدا : يتخذ رحل ناقته وسادة لخده ، يريد أنه على سفر دائماً وأنه مخشوشن فى سبيل مايبغيه من مطالب المجد مع أنه ربيب نعمة ووليد بلهنية .

(٣) النجب : جمع نجيب ، وأصله بضم النون والجيم فأسكن الجيم هنا تخفيفاً ، والنجيب : الحسيب من الناس والحيوان ، ومدفعة : مسوقة بالعنف ، والمراد أن راكبها لا يشفق عليها لكرم أصلها وقوة احتمالها . ورميضات : محترقات من الرمضاء وهى شدة الحر ، والعراقيب : جمع عرقوب ، وهو من الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها .

(٤) عفوا : سهلا بغير جهد ولا مشقة ولا مسألة . والكد : التعب ، يريد أنه يصل إلى بغيته بغير تعب ولا كد لأنه أهل لما يرجو ، وأن غيره يكد نفسه ويجهدها ليبلغ ما ليس ببالغ .

(٥) الأعاجم : جمع أعجمى ، والعرب يطلقون هذا الاسم على كل من ليس بعربى .

٢١ إنِّى رأيتُكَ ممَّن لا يخادِعُه ... حثُّ الزجاجةِ بالغِيـدِ الرَّعابيبِ (١)

٢٢ ولا تَحُلُّ يدُ الأقداحِ حُبْوَتَه ... إذَا احْتَبَى بين مَطْعونٍ ومَضْرُوبِ (٢)

٢٣ يُهابُ سيفُكَ مصقولاً ومُخْتَضِبًا ... وأهْيَبُ الشَّعر شيبٌ غـيرُ مَخْضُوبِ

٢٤ يأوِى حُسامُك إن صاحَ الضِّرَابُ به ... إلى لِواءٍ مِن العَلْياء مَنْصوبِ

٢٥ ويَرْتمى بك والأرماحُ والغَةَ ... طِماحُ كل أسيلِ الْخَدِّ يَعْبُوبِ (٣)

٢٦ لم يَسْلُ هِمَّـكَ من مالٍ تُفَرِّقُه ... إلا تَعَشُّقَ أطراف الْأَنابيبِ (٤)

٢٧ إذا مَنَحْتَ العوالِى كفَّ مُسْتَلِب ... أقْطَعْتَ بَذْلَ العَطايا كفَّ مَسْلوبِ (٥)

والأعاريب : جمع أعراب ، وهو جمع عرب ، وقد وقع ذلك فى قول أبى الطيب أحمد ابن الحسين المتنبى :

مَن الجآذرُ فى زِىِّ الأعاريبِ ... حُمْرُ الحلى والمطايا والجلابيب

(١) حث الزجاجة : أراد به إدارة كؤوس الشراب . والرعابيب : جمع رعبوبة ، وهى المرأة الممتلئة البيضاء .

(٢) الحبوة ـ بضم فسكون أوفتح فسكون ـ هى جلسة مخصوصة ، وهى: أن يجمع الرجل بين ظهره وركبتيه بذراعيه أو بثوبه أو بحمالة سيفه أو نحو ذلك ، وهى جلسة مشهورة عند العرب لأنهم كانوا يجلسون فى البادية وليس لهم جدران يستندون إليها . وقالوا « عقد فلان حبوته » إذا قعد ، و « حل حبوته » إذا قام ، ومنه قولهم « بنو فلان إذا عقدوا الحبا أطلقوا الحبا» أى إذا جلسوا مجالسهم منحوا العطايا الجزيلة . وكنى بقوله « لاتحل يد الأقداح حبوته » عن أنه لاتفعل فيه الخمر فيمرح ويطرب .

(٣) والغة : شاربة دم القتـلى . والطماح ـ بكسر الطاء ـ الجماح ، وأسـيل الخد : طويله ومسترسله ، واليعبوب ـ بفتح فسكون ـ الفرس السريع الجرى السهل فى عدوه .

(٤) همك : أراد به عزمك ، وأراد بأطراف الأنابيب الرماح ، يعنى أن الممدوح يقضى دهره بين الجود والشجاعة فهو إما باذل لعطاياه وإما متعشق آلات القتال .

(٥) منحت : أعطيت ، والعوالى : جمع عالية ، وأراد الرمح من باب إطلاق اسم الجزء

٢٨ لا يركبُ الذئبُ إلا كلَّ مُعْضِلة ... كأنَّ ظَهْرَ الهُوَيْنَا غيرُ مركوبِ (١)

٢٩ ولا يَرَى الغَدْرَ أهْلًا أن يُلِمَّ به ... وإنَّمَا الغَدْرُ مأخوذٌ عَنِ الذِّيبِ (٢)

٣٠ ما نال مَدْحى أبو نَصْرٍ بنائلِه ... ولا بِسُلْطَانِ ترغيبٍ وترهيبِ (٣)

٣١ إلّا بِشِيمَةِ بَسَّامٍ وتكْرِمَةٍ ... غرَّاء تَعْدِلُ عِنْدى كلَّ مَوْهوبِ (٤)

٣٢ أنْتَ المُعِينُ على أمرٍ نُصاوِلُه ... وحاجةٍ شافَهَتْنَا بالأعاجيبِ (٥)

٣٣ ومثلُ سَمْعِك يَدْعوه إلى كَرَمٍ ... قولٌ تُشَيِّعُه أنفاسُ مَكْرُوبِ

٣٤ سَبَى فِناؤُكَ آمالًا لِطِينَتِها ... سَبْيَ الأَزِمَّةِ أعْنَاقَ المَصَاعِيبِ (٦)

على كله ، ومستلب : آخذ ، وأقطعت : جعلت إقطاعا ، ومسلوب : مأخوذ منه . يريد أنه يعطى الرماح يده التى تعودت استلاب أرواح الأعداء ، ويعطى البذل والنوال يده التى تعودت أن يكون ما فيها نهبا مقسما بين أوليائه وأنصاره .

(١) الندب ـ بفتح فسكون ـ السريع فى قضاء مايريد ، وكأنه سمى بذلك لأن الناس يندبونه أى يدعونه لقضاء حوائجهم ، والمعضلة ـ بزنة اسم الفاعل ـ التى تشق على قاصدها ، يريد أن مثل الممدوح لايتجه همه إلا لما يشق بلوغه لثقته من نفسه أنه بالغ مايريد .

(٢) يلم به : يعرج عليه ، والذئب من الحيوانات يضرب به المثل فى الغدر ، وقد وقع فى ه « ولايرى الغدر إلا أن يلم به » وليس بجيد ، ووقع فيها « مأخوذ من الذيب » .

(٣) نائله : عطائه ، والسلطان : القدرة والغلبة ، والترغيب : إثارة الرغبة ، والترهيب : إثارة الرهبة والخوف .

(٤) الشيمة : الطبيعة والسجية . وبسام : مشرق الوجه ، ووقع فى ه « تعدل عنه كل مرهوب » وما أثبتناه موافق لما فى ا ، ب .

(٥) نصاوله : أصل معناه نوائبه ، والأعاجيب : جمع أعجوبة ـ بضم الهمزة ـ وهو ما يتعجب منه لغرابته ، يريد أنهم كلما أرادوا أن يبلغوا مأملا كان الممدوح هو المعين لهم على بلوغه .

(٦) سبى : أراد اقتاد وأخضع ، والأزمة : جمع زمام ، وهو ما تقاد به الدابة ،

٣٥ ياخَيْرَ مَن قالَ، بَلِّغْ خَيْرَ مُسْتَمِعٍ ... عَنِّى وحَسْبُكَ من وَصْفٍ وتَلْقِيبِ

٣٦ لولاكَ يا مَلِكَ الأَمْلاكِ سالَ بِنا ... مِنَ النوائبِ عَرَّاضُ الشَّآبِيبِ(١)

٣٧ زَجَرْتَ عَنَّا الليالى وَهْىَ رابِضَةٌ ... تَقْرُو بأَنْيابِهَا عَقْرَ المَخَالِيبِ(٢)

٣٨ أَرْعَيْتَنَا الكَلأَ المَطْوِرَ نَنْشِطُهُ ... نَشْطَ الخَمَائِلِ بعدَ المَرْبَعِ المُوبِى(٣)

٣٩ فكُنْتَ كالغَيْثِ مسَّ المَحْلَ رِيقَتُهُ ... فهذَّبَ الأَرضَ منه أىُّ تَهْذِيبِ(٤)

٤٠ هٰذا أَتَى قائلاً والصِّدْقُ يَنْصُرُه ... أَقالَ عنق وكان السيفُ يُغْرِى بى(٥)

٤١ صَدَّقْتَ ظنَّ العُلَا فيهِ وحاسِدُهُ ... يُعْطِى الحقائقَ أَطْرَافَ الأَكاذِيبِ

٤٢ تَرَكْتُهُ زاهداً فى العَيْشِ مُنْقَطِعاً ... عَنِ القَرائنِ منَّا والأَصاحِيبِ(٦)

والمصاعيب : جمع مصعب ، وهو الفحل الكريم الذى لم يمسسه حبل ولم يركبه أحد ، ووقع فى ه « الأصاعيب » وكان حقه أن يقول « المصاعب » وانظر شرح البيت ٣٧ .

(١) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر ، يقول : لولا وجود الممدوح لاجتاحتهم شدائد الدهر ، وضرب الشآبيب مثلا .

(٢) زجرت : أبعدت ، وأراد بالليالى حوادث الدهر ، ورابضة . جاثمة تستعد للوثب ، وتقرو : تقصد ، والعقر ـ بالفتح ـ الجرح ، والمخاليب : جمع مخلب ، وهو الظفر ، وكان من حقه أن يقول « المخالب » ولكنه أشبع كسرة اللام فتولدت ياء كما فعل فى « المصاعيب ٣٤ » .

(٣) أرعيتنا : مكنتنا من الرعى ، وننشطه : نأخذه بسرعة لسهولة أمره ويسر مأخذه ، والخمائل : جمع خميلة ، وهى الأرض المنبسطة الميسرة للانبات ، والمربع : المكان الذى يقام فيه زمن الربيع ، والموبى : المهلك ، وأصله الموبئ فسهل الهمز بقلبها ياء لأن انكسار ما قبلها مع الوقف عليها يصيرها ساكنة مكسوراً ما قبلها .

(٤) المحل : الجدب والقحط ، وريق المطر ـ بفتح الراء وتشديد الياء ـ أوله ، وهذب : أصلح ، ووقع فى ه « مس المحل ريقته » .

(٥) وقع فى ه « وكان الصبر يغرى بى » .

(٦) القرائن : جمع قرينة ، وتطلق على الزوجة . والأصاحيب : جمع أصحاب الذى هو جمع صحب الذى هو جمع صاحب .

٤٣ وكان بالحَرْبِ يَلْقَى مَن يُنَافِره ... فصار يَلْقَى الأعادِى بالْمَحَارِيبِ (١)

٤٤ ماقلتَ ما كان صَرْفُ الدَّهْرِ أدَّبه ... بلى قديمًا وهٰذا فَضْلُ تأديب

٤٥ الحمدُ لله لا أشْكو إلى أحَدٍ ... قلَّ الوفاءُ من الشُّبَّانِ والشِّيب (٢)

٤٦ هَيَّأْتَ مجدَكَ تَسْتَوْفِى الزمانَ به ... عَزْمًا حُسَامًا ورَأْيًا غَيْرَ مَغْلُوبِ (٣)

٤٧ ولا صَبَرْتَ على ذُلٍّ ومَنْقَصَةٍ ... ولا حَذِرْتَ على عَذْلٍ وتأنيب (٤)

٤٨ خَطَبْتَ شِعْرِى إلى قلبٍ يَضَنُّ بِهِ ... إلَّا عليكَ فَبَاشِرْ غَيْرَ مخطوب

٤٩ شَبَّبْتُ بالعِز إذ كان المَدِيح له ... فما أصولُ بمَدْحى دُونَ تَشْبيبى (٥)

٥٠ لا عُلِّقَ الموتُ نَفْسًا أنت صاحِبُها ... إنَّ الحِمامَ مُحِبٌّ غَيْرُ مَحْبُوبِ

* * *

---

(١) ينافره : من المنافرة ، وهى المحاكمة إلى حكم من حكام العرب على أن يذكر كل واحد من المتنافرين مآثره ومآثر قومه ليحكم لأحدهما بأنه أعظم مجداً وأعز نفراً ، والمحاريب : جمع محراب ، وهو المكان المعد فى المسجد لإمام الصلاة ، يريد أنه آمنه من خوف ومكن له .

(٢) الشيب : جمع أشيب ، وهو الذى تقدمت به السن حتى ابيض شعر رأسه .

(٣) هيأت : أعددت ، وتستوفى الزمان به : تقضى الزمان كله بهذا المجد ، والعزم الحسام : القاطع فى مشكلات الأمور .

(٤) المستعمل فى الكلام أن يقال : حذرت الأمر الفلانى ، فتعدى الفعل إليه بنفسه .

(٥) أصل التشبيب : أن تذكر ما فعل بك الشوق إلى الحسان ، وكانت عادة الشعراء أن يبدأوا قصائدهم بالغزل والتشبيب ، فهو يقول : إننى استبدلت ما جرت عادة الشعراء به من ذكر الحسان والصبابة بهن بذكر عزك ومجدك فشببت به .

٢٣ – وقال يمدح الوزير أبا منصور بن صالح ، ويذكر هزيمة باذ الكردى الخارجى بالجزيرة والموصل[١] [من الطويل] :

١ أشوقاً وما زالَتْ لهنَّ قِبابُ ... وذكْرَ تَصابٍ والمشيبُ نِقابُ[٢]

٢ وغيرُ التَّصابى للكبير تَعِلَّةٌ ... وغيرُ الغوانى للبَياضِ صِحابُ[٣]

٣ وما كلُّ أيام المشيب مَريرةٌ ... ولا كلُّ أيامِ الشَّبابِ عِذابُ

٤ أُؤَمِّلُ مالا يبلغُ العمرُ بعضَه ... كأنَّ الذى بعدَ المشيبِ شبابُ[٤]

٥ وطُعْمٌ لبازى الشَّيْبِ لابدَّ مُهْجتى ... أسَفَّ على رأسى ، وطار غُرابُ[٥]

٦ لداتُكَ إمَّا شِبْتَ واتَّبعوا الردى ... جميعا ، وإمَّا أن رَدِيتَ وشابوا[٦]

---

(١) كان مقتل باذ الكردى فى سنة ثمانين وثلثمائة ، وكان قد طمع فى بلاد الموصل لما ملكها أبو طاهر والحسين ابنا حمدان ، وجمع الأكراد لذلك وأكثر من تأليبهم . وقد ذكر ابن الأثير مقتله فى حوادث سنة ثمانين وثلثمائة (٩/٢٦) .

(٢) قباب : أراد بها المنازل ، والتصابى : إظهار الصبابة ، والنقاب : أصله ماتغطى به المرأة وجهها . يقول : أتشتاق أحبابك وما زالت مساكنهم قائمة ؟ وتذكر الصبابة بالغوانى والشوق إلى مغازلتهن وهذا الشيب قد ظهر برأسك فكان خليقا أن يكون مانعا لك .

(٣) التعلة : كل ماتتعلل به عن الشىء ، وأراد بالبياض الشيب ، يقول : إن غير الصبابة هو ماينبغى أن يعلل الكبير به نفسه ، وإن غير الغوانى من النساء هن اللاتى يكن صحابا لمن شاب شعره .

(٤) يقول : إن آماله عظيمة وإنها لتحتاج فى تحقيقها إلى زمن طويل ، ولا يكون عمرى كله كافياً لتحقيق بعضها ، ولكنى مع ذلك لا أتركها كأنى أعتقد أن بعد هذا الشيب شباب جديد .

(٥) « مهجتى » مبتدأ خبره قوله « طعم لبازى الشيب » وأسف : نزل ، وأراد بالغراب سواد شعره ، يعنى أنه لما وقع بازى الشيب طار غراب الشباب .

(٦) اللدات : جمع لدة ، بكسر اللام فيهما ، ولدة المرء : تربه الذى يساوى سنه سنه ، والردى : الهلاك والموت . ورديت : هلكت .

٧ بكاء على الدُّنيا وليس غَضارَةٌ ... وماضٍ من الدنيا وليْسَ مَآبُ(١)

٨ إذا شئتَ قبَّلْتُ الزَّمانَ وصافحت ... لِحاظِي أُموراً كلهنَّ عُجابُ

٩ ضلالًا لقَلْبي ما يُجِنُّ من الهوى ... ومن عجب الأيامِ كيف يُصابُ(٢)

١٠ يُعَذِّل أحيانا ويُعْذِرُ مثلَها ... ويُسْتَحْسَنُ البادى به ويُعابُ

١١ وإنَّ أفَظَّ المالكين خَرِيدَةٌ ... وإنَّ أضَنَّ الباذِلينَ كَعابُ(٣)

١٢ ولمَّا أبَى الأظْعَانُ إلَّا فراقَنا ... وللْبَيْنِ وعْدٌ ليس فيه كِذَابُ(٤)

١٣ رجَعْتُ ودَمْعي جازعٌ من تجلُّدِي ... يَرومُ نزولًا للْجَوَى فَيهَابُ(٥)

١٤ وأثقَلُ محمولٍ على العين دَمْعُها ... إذا بانَ أحبابٌ وعزَّ إيابُ(٦)

١٥ فمَنْ كان هٰذا الوجْدُ يَعْمُرُ قلبَه ... فقَلبيَ مِن داءِ الغرام خَرَابُ

---

(١) ارتفع « بكاء » على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وكأنه قال : شأنى بكاء على الدنيا . والغضارة : النعمة وسعة العيش ، يعنى أيكون شأنى البكاء على الدنيا مع أننى لست واجدا فيها من سعة العيش و بحبوحته مايجعلنى أرغب فيها . والمآب : المرجع والمعاد ، يريد أن مايمضى من الدنيا لايعود .

(٢) ضلالا : منصوب على المصدرية بفعل محذوف وجوبا ، وهذا المصدر دال على الدعاء . ويجن : يخفى ويستر .

(٣) الخريدة : الفتاة البكر التى لم يمسسها بشر ، والكعاب ـ بفتح الكاف ـ بزنة السحاب ـ التى كعب ثدياها واكتنزا .

(٤) الأظعان : جمع ظعن ـ بضم الظاء والعين جميعا ـ الذى هو جمع ظعينة ، والظعينة : الهودج تركب فيه النساء ، سواء أكانت فيه امرأة أم لم تكن . والكذاب ـ بكسر الكاف بزنة الكتاب ـ الكذب .

(٥) جازع : أراد به معنى خائف ، والتجلد : التصبر وتكلف الاحتمال ، ويروم : يطلب . والجوى : حرقة الحب .

(٦) بان : فارق ، والإياب : الرجوع ، وعزته : انقطاع الأمل فى حصوله .

١٦ ومَنْ لعبت بيضُ الثُّغورِ بعَقْله فعندِى أحَرُّ البارِدِينَ رُضابُ(١)

١٧ يَعِفُّ عن الفحشا ذَيْلى كأنَّمَا عليه نِطاقٌ دُونَها وحِجابُ

١٨ إذا لَمْ أنَلْ من بَلْدة ما أرِيدُه فما سَرَّنى أن البلاد رِحابُ(٢)

١٩ وهَلْ نافعى أنْ يكْثُرَ الماء فى الدُّنَا ولمّا يُجِرْنى - إنْ ظَمِئْتُ - شَرابُ(٣)

٢٠ ولى ساعةٌ فى كل أرضٍ كأنما على الجوِّ منها والعيونِ ضَبابُ

٢١ بعيدة أُولَى النَّقْعِ من أخْرَياتِه وللطَّعْنِ فيها جيئَةٌ وذَهابُ(٤)

٢٢ وما بَيْنَ خَيْلى والمطالِبِ حائلٌ ولا دُونَ عَزْمى للظَّلامِ حِجابُ(٥)

---

(١) الرضاب - بضم الراء بزنة الغراب - الريق ، والعشاق يصفون رضاب أحبائهم بالبرودة يقصدون أنه يطفىء لواعجهم ، فلماذا ذكر هنا أن الرضاب أحر البارديين دل على أنه ليس عاشقا ، فهذه العبارة كناية عن هذا المعنى .

(٢) الرحاب : جمع رحبة ، وهى الأرض الواسعة التى يحلها الناس وتصلح للاستنبات ، وهذا البيت من قول أبى فراس الحمدانى :

مُعلَّلتى بالوصل والموتُ دُونَه إذا مُتُّ ظمآنا فلا نزل القَطْرُ

وفى ضد هذا المعنى يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى معاصر الشريف :

فلا هَطَلَتْ علىّ ولا بأرْضى سحائبُ ليس تنتظمُ البِلَادَا

(٣) الدنا : جمع الدنيا ، وهذا الجمع أحد ما أخذه النقاد على أبى الطيب المتنبى فى مثل قوله :

أعزّ مكانٍ فى الدُّنَا سَرْجُ سابح وخيرُ جليسٍ فى الزمانِ كتابُ

ومعنى هذا البيت من قول الشريف متصل بمعنى البيت قبله .

(٤) النقع - بفتح فسكون - التراب تثيره سنابك الخيل فى الحرب ، وأراد أن وقت المعركة يطول فكنى عن ذلك بقوله : « بعيدة أولى النقع من أخرياته » والجيئة - بكسر الجيم - اسم بمعنى المجىء ، يقال : « بطؤت جيئة فلان » أى مجيئه .

(٥) يريد أنه لا يعوقه شىء عن إدراك بغيته ونيل مايريد .

٢٣ جِيادٌ إلى غَزْوِ القَبائل تُمْتَطَى وأرضٌ إلى نَيْلِ العَلاء تُجَابُ(١)

٢٤ وأبْلَجَ وَطَّاء على خَدِّ لَيْـلِه كما فارق النصلَ المضيءَ قُرَابُ(٢)

٢٥ يَعافُ طَعامًا ما جَناه حُسامُه وخَيْرٌ من الطُّعْمِ الذليلِ تُرَابُ(٣)

٢٦ وكيفَ يَخافُ الذلَّ مَن كان دارَهُ ظَلامُ اللَّيالِي والرماحُ جَنَابُ(٤)

---

(١) جياد : جمع جواد ، وهو الفرس ، وتمتطى : يركب مطاها أى ظهرها ، وتجاب : تقطع بالسير فيها ، تقول : جبت الفلاة أجوبها جوبا وتجوابا

(٢) الأبلج : أراد به الأبيض المشرق الوجه ، أو المفترق الحاجبين ، ويطلق أيضا على ذى الكرم والمعروف . وطاء على خدليله : يريد أنه يسير سيرا حثيثاً فى الليل غير هياب ولا وجل ، وقوله « كما فارق النصل المضيء قراب » فيه قلب ، فإن النصل هو الذى يفارق قرابه ، لكن لما كان الفراق لايكون إلا بين اثنين صح أن ينسب إلى أيهما . وأراد بالنصل المضيء السيف وبالقراب جفنه .

(٣) يعاف طعاما : يكرهه ويعف عنه ، و«ما» فى قوله «ماجناه حسامه» نافية ، والجملة صفة لطعام ، والحسام : السيف القاطع ، والطعم ـ بضم فسكون ـ الطعام . يقول : إنه لايقبل أن يتناول طعاما لم يجنه بيده ، يريد أنه لايكون عالة على غيره ، وقد بين علة ذلك فى الشطر الثانى بأنه يرى أن استفاف التراب خير من تناول الطعام الذى يكسبه ذلة ومهانة ، وقد أخذ معنى هذا البيت من قول الشنفرى :

أُدِيمُ مِطالَ الجوع حتّى أُمِيتَهُ وأصرفُ عنه الذكر صَفْحًا فأذهَلُ

وأسْتَفُّ تُرْبَ الأرض كى لايرى له عليَّ من الطَّوْل امرؤ متطوِّلُ

(٤) الجناب ـ بفتح الجيم ، بزنة السحاب ـ فناء الدار ، ويقال فى المدح : فلان رحيب الجناب ، يعنون أن فناء داره رحيب لكثرة من يفد عليه ، يقول : إنه لاينبغى لامرىء قد اتخذ ظلام الليل مأواه ، وسنان رمحه كاسباله ، أن يخاف الذل ، وجعل ظلام الليل داره والرماح فناءه على التشبيه .

٢٧ وما يَبْلُغ الأعداء مِنِّى بِفَتْكَةٍ ... ودُونِى فِناءُ للأَمِيرِ وبَابُ (١)

٢٨ تَسَاقَطُ أَطْرَافُ الأَسِنَّةِ دُونَه ... وتَنْبُو ولو أنَّ النجومَ حِرَابُ (٢)

٢٩ لبستُ به ثَوْباً من العِزِّ يُتَّقَى ... طعانٌ من البَلْوَى بِهِ وضِرَابُ (٣)

٣٠ دعوتُ فَلَبَّانِى ولو كُنْتُ داعيًا ... سِواهُ مَضَى قولٌ وعَىَّ جَوَابُ (٤)

٣١ وإنَّ العَطَايَا من يَمِينِ محمدٍ ... لأَمطَرُ من قَطْرٍ مَرَاه سحابُ (٥)

٣٢ لحاظٌ كما شقَّ العجاجَ مهنَّدٌ ... ووَجْه كما جَلَّى الظلامَ شِهَابُ (٦)

٣٣ بِلا شافعٍ يُعْطِى الَّذِى أنْتَ طالِبٌ ... وبَعضُ مواعيدِ الرجالِ سَرَابُ (٧)

---

(١) الفناء ـ بكسر الفاء، بزنة الكتاب ـ الساحة أمام البيت، أو جوانب البيت، يقول: لن يدرك أعدائى منى مأربا وقد اعتصمت بساحة الأمير ولجأت إلى بابه.

(٢) تساقط: أصله تتساقط فحذف إحدى التاءين، ودونه: أراد قريبا منه. وتنبو: أصل معناه تكل وتضعف، وأراد أنها لاتصيب المرمى ولاتصل إلى الغرض.

(٣) جملة «يتقى طعان» صفة ثانية لقوله «ثوبا» والصفة الأولى هى قوله «من العز»

(٤) لبانى: أجاب دعائى، وعى جواب: المراد به أنه عجز عن أن يغيث من لجأ إليه

(٥) القطر ـ بفتح فسكون ـ المطر، ومراه: أصل هذا الفعل قولهم «مرى الناقة يمريها مريا» مثل رمى يرمى رميا ـ إذا مسح ضرعها لتدر اللبن، ومنه قالوا «مرت الريح السحاب ومرى السحاب المطر» إذا استدرته: أى طلبت نزوله.

(٦) العجاج ـ بفتح العين ـ التراب الذى يثور من الأرض، والمهند: السيف، وقد شبه لحظه بالسيف. والشهاب: الجذوة من النار، وقد شبه وجه الممدوح بالشهاب فى الإضاءة، وهو مثل قول عبد الله بن قيس الرقيات:

إنما مُصْعَبٌ شهاب من اللـ ... ـه تجلَّت لنوره الظلماء

(٧) «بلا شافع» يتعلق بقوله «يعطى» والشافع: الذى تتوسل به إلى عظيم ليقضى حاجتك منه، والسراب ـ بفتح السين، بزنة السحاب ـ ماتراه نصف النهار كأنه ماء وليس بماء، ويضرب به المثل فى الطمع فى غير مطمع، يقول: إن الممدوح يجيبك إلى سؤالك ويقضى لك مأمولك من غير أن يحوجك إلى أن تمت له بالوسطاء، فى حين أن مواعيد غيره لايرتجى لها نفاذ

٣٤ فتًى تَقْلَقُ الأعداءُ منه كأنَّه ... لَظَى ناجرٍ والخالِعُونَ ضِبابُ(١)

٣٥ إذا شاء نابَ القولُ عن فَعَلاتِهِ ... وقام مَقامَ العَضْبِ منهُ كِتابُ(٢)

٣٦ يعظِّم أحياناً وليس تَجَبُّراً ... ويَنْظُرُ غَضْباناً وليْسَ سِبابُ(٣)

٣٧ بَغِيضٌ إلى قلبي سِوَاهُ وإن غَدَتْ ... له أنْعُمٌ تَتْرَى عليَّ رِغابُ(٤)

٣٨ وعِبءٌ على عينَيَّ رؤيةُ غيرِهِ ... ولو كان لى فيه مُنًى وطِلابُ(٥)

---

(١) اللظى ـ بفتح اللام مقصورا ـ شدة الحر ، وناجر : شهر من شهور القيظ تشتد فيه الحرارة ، والخالعون : جمع خالع ، وأراد به العادى بشره على الناس لأنه خلع عن نفسه ربقة الطاعة ، والضباب : جمع ضب ، وهى دويبة تشبه الورل ، والضب من الحيوانات التى لاترد الماء وقد جاء فى كلام لهم « لا أفعل هذا الأمر حتى يرد الضب الماء » يعنون أنه لا يفعله أبدا ، وإذا أرادوا أن يصفوا شدة الحر قالوا: هذا حر يذيب دماغ الضب

(٢) يريد أن له أتباعا كثيرين يأتمرون بأمره ، وأن منهم القريب ومنهم النائى ، وأنهم قادرون على إنفاذ رغباته ، فلو أراد أن يهلك عدوا أمر بعض هؤلاء الدانين منه أو كتب إلى بعض البعيدين عنه ، فلا يتخلف أحد عما يريد .

(٣) التجبر : التكبر ، والسباب ـ بكسر السين ، بزنة الكتاب ـ السب والشتم ، وخبر « ليس » فى الموضعين محذوف

(٤) « بغيض » خبر مقدم ، و «سواه» مبتدأ مؤخر ، والأنعم : جمع نعمة ، و « تترى» معناه متواترة متوالية ، وليست هذه الكلمة فعلا مضارعا كما قد يسبق إلى الوهم ، وكما فسرت فى هامش ب ، وإنما هى اسم على زنة فعلى ـ بفتح الفاء ـ وأصل تائها الأولى واو ، ومن استعمالها قوله تعالى : (ثم أرسلنا رسلنا تترى) والرغاب ـ بكسر الراء ـ جمع رغيبة ، وهى الأمر الذى يرغب فيه ، ويجمع أيضا على رغائب

(٥) العبء ـ بكسر فسكون ـ الحمل الثقيل ، والمنى : جمع منية ـ بضم الميم فيهما ـ وهى الأمر تتمناه وتطلب حصوله ، والطلاب ـ بكسر الطاء ـ مصدر طالبه ، تقول : طالب فلان فلانا بحق له عليه ، إذا طلبه منه

٣٩ فداؤُكَ قومٌ أنت عالٍ عليهمُ شِدَادٌ على بَذْلِ النوالِ صِعَابُ(١)

٤٠ فلا جُودَ إلا أن تُمِلَّ مطامِعٌ ولا عَفْوَ إلا أن يطولَ عِقَابُ(٢)

٤١ إذا بادَرُوا مجداً برزْتَ وبَلَّدُوا وإن طالَعُوا عِزًّا شهدْتَ وغَابُوا(٣)

٤٢ وِقَاؤُكَ مِنْ ذَمِّ العِدَا خِلْفُ نائلٍ يَدِرُّ ولم تُرْبَطْ عليهِ عِصابُ(٤)

٤٣ وما كلُّ مَنْ يَعْلو كقَدْرِكَ قَدْرُه ولا كلُّ سامٍ فى السَّماءِ عُقَابُ(٥)

---

(١) وقع هذا البيت فى ب بعد البيت الذى يليه . وشداد ـ بكسر الشين ـ جمع شديد ، وصعاب : جمع صعب ، يريد أنهم لا يجودون بما يؤمل منهم فى يسر وسهولة كما يفعل الممدوح ، وقد أوضح هذا المعنى فى البيت بعده

(٢) تمل مطامع : أراد أن هؤلاء القوم لايجودون إلا بعد أن ترفع إليهم الآمال مرة بعد مرة حتى يسأم المؤمل وحتى يضيقوا هم ذرعا بإلحافه ، ويطول عقاب : يريد أنهم لايعفون عن المسىء إلا من بعد أن ينالوه بشديد العقاب

(٣) بادروا مجدا: غالبوا غيرهم فى البدار إلى المجد، وبرزت : ظهرت ، وبلدوا : أى لم يتجهوا إليه وضعفوا عن بلوغ الغاية ، ومنه قول الشاعر :

* تداركَهُ أعراقُ سوءٍ فبلَّدَا *

وشهدت : حضرت ، وغابوا : أراد تخلفوا عن الحضور . يريد أن هؤلاء القوم لايمكن أن يباروا الممدوح فى خصلة من خصال المجد

(٤) الوقاء ـ بكسر الواو ـ ماتتقى به الشىء تخافه ، والخلف ـ بكسر الخاء وسكون اللام ـ هو للناقة بمنزلة الثدى للمرأة والضرع للشاة ، ويدر : مضارع « درت الناقة » إذا نزل لبنها والعصاب ـ بكسر العين ـ حبل تعصب به أخلاف الناقة ليتجمع لبنها ، ومن كلامهم «مثلى لايدر بالعصاب » أى أنا لا أعطى بالقهر والغلبة ، أو بالحيلة والخديعة ، يريد أن الممدوح يعطى العطاء الجزيل سجية وطبعا لاتكلفا أو قهرا

(٥) العقاب ـ بضم العين، بزنة الغراب ـ طائر من الجوارح ، والعرب تسميه « سيد الطيور » وتسمى النسر « عريف الطير »

٤٤ وما الملكُ المنصورُ إلاَّ ضُبَارِمٌ ... له منكَ ظُفْرٌ فى الزَّمَانِ ونَابُ (١)

٤٥ بِعَزْمِك يَمْضِى عَزْمُه فى عَدُوِّه ... مَضاءَ طَرِيرٍ أيدَتْهُ كِعَابُ (٢)

٤٦ تَلافَيْتَ أسرابَ الرعيَّةِ بعد ما ... توقَّدَ أضغانٌ لها وضِبَابُ (٣)

٤٧ ولما طَغَى باذٌ وأضْرَمَ نارَهُ ... على الْغَدْرِ إن الغادِرِينَ ذِئَابُ (٤)

٤٨ بعثْتَ له حَتْفاً بغـــير طَلِيعَةٍ ... تَخُبُّ به قُبُّ البطونِ عِرَابُ (٥)

٤٩ نزائعُ يَعْجُمْنَ الشَّكِيمَ وقد جَرَى ... على كل فَيْفَاءَ دمٌ ولُعَابُ (٦)

---

(١) الضبارم ـ بضم الضاد ـ الأسد إذا كان مجتمع الخلق موثقه ، ويقال « ضبارمة » أيضا . ولما شبهه بالأسد جعل له ظفرا ونابا كما للمشبه به .

(٢) الطرير : المحدد ، ويقال : سنان طرير ، وسنان مطرور ، يقصدون أنه محدد ، ووقع فى ه « ويمضى طرير أيدته كعاب » وهو تحريف ما أثبتناه ، وأيدته : قوته ، والكعاب: جمع كعب ، وهو العقدة من عقد الرمح .

(٣) تلافيت : يريد أنه تدارك أمرهم قبل أن يستشرى شرهم ، والأسراب: جمع سرب ، وأراد به هنا الجماعة من الناس ، وتوقد : اشتعل والتهب ، والأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد والضباب : جمع ضب ، وهو الغيظ والحفيظة .

(٤) « باذ » هو باذ الكردى الذى ألمعنا إلى شأنه فى مستهل شرح هذه القصيدة ، ويقع فى جميع أصول الديوان « باد » بالدال المهملة ، وطغيانه : تجاوزه قدره ، وجواب « لما » فى البيت التالى ، والذئاب : جمع ذئب ، وهو مضرب المثل فى الغدر .

(٥) الحتف ـ بفتح الحاء وسكون التاء ـ الموت والهلاك ، وتخب : تسير سيرا سريعا ، والقب : جمع قباء أو أقب ، والأقب : الضامر البطن ، والعراب ـ بكسر العين ، بزنة الكتاب ـ العربية الخالصة التى لم تصبها هجنة ، وأراد الخيل ، ومن صفاتها المحمودة عندهم أن تكون ضامرة وأن تكون عربية خالصة لأن ذلك أشد لقدرتها على السير .

(٦) النزائع : جمع نزيعة ، وهى النجيبة التى تجلب إلى غير بلادها وغير منتجها . ويعجمن: مضارع عجم الشىء عجما ـ من باب نصر ـ إذا عضه أو لاكه فى فمه ، والشكيم : جمع شكيمة ،

٥٠ خواطِرُ بالأيْدِى لواعِبُ بالخُطى ... وللطَّعْنِ فى لَبَّاتِهِنَّ لِعابُ (١)

٥١ فولّى وولَّيْتَ الجيادَ طِلابَه ... وسالَتْ مُرُوجٌ بالقنا وشِعابُ (٢)

٥٢ ولا أرضَ إلا وهْىَ تحثُو تُرابَها ... عليهِ وتَرْمِيهِ رُبًا وعِقابُ (٣)

٥٣ تغامَسَ فى بَحْرِ الحديدِ وخَلْفَه ... لماءِ المنايا زَخْرَةٌ وعُبابُ (٤)

٥٤ وقد كان أبْدَى توبةً لو قبِلْتَها ... ولو نَفَعَ الجانِى عليْكَ مَتابُ (٥)

وهى الحديدة التى توضع فى فم الفرس ، والفيفاء: الصحراء لاماء فيها ، واللعاب ـ بضم اللام ، بزنة الغراب ـ ماء الفم ، وهو الريق .

(١) خواطر : جمع خاطر ، وهو اسم الفاعل من مصدر خطر فى مشيه يخطر ـ من باب ضرب ـ خطرانا وخطيرا ، إذا رفع يديه ووضعهما ، وهى أشبه بالتبختر ، واللواعب: جمع لاعب والخطى ـ بضم الخاء ـ جمع خطوة ، واللبات : جمع لبة ، وهى النحر والعنق ، واللعاب ـ بكسر أوله ـ الملاعبة .

(٢) ولى : تقهقر وانهزم ، ووليت الجياد طلابه : جعلت ذلك من شأنها ، والمروج : جمع مرج ـ بفتح فسكون ـ وهى الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب ، والشعاب ـ بكسر الشين ـ جمع شعب ، بالكسر ، وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء من بطن الأرض .

(٣) حثا التراب عليه يحثوه : رماه فى وجهه ، والربا : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض ، والعقاب ـ بكسر العين ـ جمع عقبة ـ بفتحات ـ وهى الطريق فى أعلى الجبل .

(٤) تغامس : أراد انغمس ، و بحر الحديد : أراد به آلات الحرب من الدرع والمغفر ونحوهما وزخرة ـ بفتح الزاى وسكون الخاء ـ أصله من قولهم « زخر البحر يزخر ـ من باب قطع ـ زخرا وزخورا » إذا طما وتملأ . وقولهم : زخر الوادى ، إذا مد جدا وارتفع ، وقالوا من ذلك : زخر القوم ، إذا جاشوا لنفير أوحرب . والعباب ـ بضم العين ، بزنة غراب ـ معظم السيل وارتفاعه وكثرة أمواجه واصطخابها .

(٥) أبدى : أظهر ، و « لو » فى الموضعين للتمنى ، أو هى شرطية وجوابها محذوف ، والتقدير : لو قبلتها لانقاد لك ، ولو نفع الجانى متاب لنفعته توبته ، أو نحو ذلك ، والمتاب : مصدر ميمى بمعنى التوبة .

٥٥ كأنّى بركبٍ حابسٍ هو منهمُ ... أقامُوا بأرضٍ والجُذُوعُ ركابُ(١)

٥٦ عَوَارِىَ إلا من دَمٍ فتأتْ بهِ ... معاصمُ فى أسرِ الرَّدَى ورِقابُ(٢)

٥٧ يُعَرِّدُ عَنْهُم كلُّ حىٍّ كأنّهم ... جمالٌ مُطَلَّاتُ الجلودِ جِرَابُ(٣)

٥٨ ولله عارٍ فى بَنَانِكَ مَتْنُهُ ... يشبّ ومن لَوْنِ المِدادِ خِضَابُ(٤)

٥٩ أمينٌ على سِرٍّ وليسَ حَفيظَةٌ ... وماضٍ على قَرْنٍ وليْسَ ذُبَابُ(٥)

٦٠ وما مَسَّهُ مجدٌ بَلَى إنّ راحَةً ... لها نَسَبٌ فى الماجدِينِ قُرَابُ

٦١ وإنّى لأرْجُو منْكَ حالًا عظيمةً ... وأمراً أُرَجّى عندَهُ وأُهَابُ(٦)

---

(١) الركب ـ بفتح فسكون ـ فى الأصل ركاب الإبل خاصة ، وقد يراد منه الركاب مطلقا ، وحابس : غير سائر ، والجذوع : جمع جذع ـ بكسر فسكون ـ وهو ساق النخلة ، وأراد أنهم يصلبون على الجذع ؛ فصير الجذوع ركابا لهم .

(٢) عوارى : جمع عار ، وهو العريان الذى لايستر جسده شىء ، وفتأت : أراد سالت ودمت ، والأصل فيه قولهم : فتأ اللبن ، إذا أغلى فارتفع زبده ، ووقع فى الأصول « فتأت به » بالتاء المثناة ، وما أظنه إلا تحريفا عما أثبتناه ، والمعاصم : جمع معصم ، وأسر الردى : قيد الهلاك ، والرقاب : جمع رقبة ، يريد أن أجسادهم عارية لا يغطيها إلا الدم الذى ينهمر و يسيل من رقابهم ومعاصمهم .

(٣) يعرد : يميل و ينحرف ، ومطلات الجلود : مطلياتها بالقطران ونحوه ، وقالوا : طـله بالدهن ـ من باب نصر ـ إذا طلاه به ، ولم أجد فى المعاجم « أطـله بالدهن » بالهمز مضعف اللام ـ والجراب : جمع جربان . يقول : إن جميع الناس يميـلون عنهم و يفرون منهم كأنهم إبل جربى قد طليت جلودها بالقطران .

(٤) عار : غير كاس ، وأراد به السيف ، وأراد بالبنان الـكف كله ، ووقع فى ه « عاد فى ثيابك مسه * يشيب » وذلك كله تحريف شنيع .

(٥) الحفيظة ـ بفتح الحاء ـ الحقد . والقرن ـ بفتح فسكون ـ مكافئك ولدتك .

(٦) يريد أنه يأمل من الممدوح أن يجعله فى حال تصيره موضعا لرجاء الناس إياه وخوفهم منه

٦٢ لعلّ زَمَانِي يَنْثَنِى لى بعَطْفَةٍ وترْضَى مُلِمَّاتٌ عَلَىَّ غِضَابُ(١)

٦٣ وما أنا ممَّن يجعلُ الشعرَ سُلَّمًا إلى الأمرِ إنْ أغْنَى غَنَاهُ خِطَابُ(٢)

٦٤ وليسَ مديحٌ ماقَدَرْتُ فإن يكُنْ مَدِيحٌ على رَغْمِى فليْسَ ثَوَابُ(٣)

٦٥ أبَىٰ لى علىٌّ والنَّبىُّ وفاطِمٌ جدودِىَ أنْ يلوى بِعِرْضِىَ عَابُ(٤)

---

(١) وقع فى ه « فعل زمانا ينثنى » ووقع فيها عجز البيت * وترضى على ملمات غضاب * ولا يصح عليه وزن البيت ، وينثنى : يرجع ، والملمات : جمع ملمة وهى فى الأصل اسم الفاعل المؤنث من قولهم « ألم بنا فلان » أى نزل ، ثم سموا بها النازلة من نوازل الدهر ، وغضاب : جمع غضبى ، و « على » يتعلق بغضاب ، وهو الظاهر ، ويجوز أن يتعلق بترضى ، وهو بعيد ، من جهة أن أصل رضى أن يتعدى بعن كما فى قوله تعالى : (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقوله : (لقد رضى الله عن المؤمنين) وقول الشاعر :

إذا رضِيَتْ عنى كرامُ عشيرتى فلا زال غَضْبَانًا علىَّ لئامُها

ولكنهم قد يعاملون الشىء معاملة ضده ، فيعدونه تعدية هذا الضد ، فقد يعاملون « رضى » معاملة « سخط » أو « غضب » وعلى هذا جاء قول القحيف العقيلى :

إذا رضيت عَلَىَّ بنو عُقَيْل لعمرُ اللهِ أعجبنى رضاها

(٢) أغنى غناه : سد مسده وقام مقامه ، يقول : إنه لايتكلف قول الشعر فى موضع يكفى فيه مطلق الكلام .

(٣) فى ه « وليس مديح إن قدرت » وفيها « على رغم » و « ما » فى قوله « ماقدرت » مصدرية ظرفية ، يريد لا أمدح أحدا مادمت قادرا على ذلك ، فإن ألجأتنى ظروف إلى مدح أحد فإنى لا أمدحه رغبة فى الثواب .

(٤) أراد بعلى أبا الحسنين أمير المؤمنين وابن عم رسول رب العالمين على بن أبى طالب ، وأراد بفاطم سيدة النساء فاطمة الزهراء بنت سيد الأنبياء . ويلوى : هو من قولهم « ألوى برأسه » إذا أماله وحركه ، والعاب : العيب ، مثل الذام والذيم ، وقالوا : بينهما قاب قوسين ، وقيب قوسين .

٦٦ فلا تُغْضِ عن يَوْمِ العَدُوِّ ولَيْلِهِ ... وثَمَّ طُلُوعٌ بالأذَى وغِيَابُ (١)

٦٧ فَقَدْ يحملُ الباغى على الموت نَفْسَه ... إذا صَفِرَتْ مما أرادَ وِطَابُ (٢)

٦٨ وخُذْ ماصَفَا مِن كل دَهْرٍ فإنَّما ... غضَارَتُهُ غُنْمٌ لَنَا ونِهَابُ (٣)

٦٩ وعِشْ طالعًا فى العز كُلَّ ثَنِيَّةٍ ... عليكَ خِيامٌ للعُلَى وقِبَابُ (٤)

***

---

(١) لا تغض : هو من قولهم « أغضى فلان على كذا » إذا لم يلق له بالا ، وكأنه أغمض عينيه عن أن تراه . وثم : معناه هناك .

(٢) فى ه « فلا يحمل الباغى » وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ب . والباغى : أراد به الظالم المجاوز للحد ، وصفرت : خلت ، والوطاب: جمع وطب ، وأصله قعب اللبن ، وقالوا : صفرت وطابه ، وهم يريدون أنه لاشىء عنده ، يقول : إن الظالم قد يلقى بنفسه فى مواقع الهلكة و يوردها موارد الموت إذا وَجد أنه قد فقد الأمل فى بلوغ مايريد .

(٣) الغضارة ـ بفتح الغين ، بزنة السحابة ـ السعة والنعمة والخصب وطيب العيش ، والغنم ـ بضم فسكون ـ الغنيمة ، ونهاب ـ بكسر النون ـ جمع نهب ـ بفتحها ـ وهو الغلبة على المال ، والمال المنهوب الذى قهر عليه مالكه .

(٤) الثنية ـ بفتح الثاء ـ هى طريق العقبة ، ويقال « فلان طلاع الثنايا » إذا كان ركابا للمشاق ، ومنه قول الشاعر وتمثل به الحجاج عند قدومه الكوفة :

أنا ابن جَلَا وطلاَّعُ الثَّنايا ... متى أَضَعِ العِمامةَ تعرفونى

والقباب : جمع قبة ، وقوله : « عليك خيام للعلى وقباب » كناية عن ثبوت صفات المعالى له ، ونظيره قول الشاعر :

إن السَّماحة والمروءة والنَّدى ... فى قُبَّةٍ ضُرِبت على ابن الحشرج

٢٤ — وقال يمدح [الموفَّق] أبا على [إسمعيل] ، وزيرَ بهاء الدولة ، ويعاتبه ، وكان بينهما عقد المصاهرة على بنت الوزير ، ثم انفسخ لأسباب قُدِّرت ، وكتب بها إليـــه وهو بفارس [من الطويل] :

١ أمانىُّ نفسٍ ما تُناخ ركابُهَا ... وغَيْبَةُ حظٍّ لا يُرَجَّى إيابُهَا(١)

٢ ووَفْدُ همُومٍ ما أقمتُ بِبَلْدَةٍ ... وهُنَّ مَعِى إلا وَضَاقَتْ رِحَابُهَا(٢)

٣ وآمالُ دهْرٍ إن حَسِبْتُ نَجَاحَهَا ... تَرَاجَعَ منقوضًا علىَّ حِسَابُهَا(٣)

٤ أهُمُّ وتُثْنَى بالْمَقَادِيرِ هِمَّتى ... ولا يَنْتَهِى دَابُ اللَّيَالِى ودَابُهَا(٤)

٥ فيا مُهْجَةً يفنى غليلًا ذَمَاؤُهَا ... ويالمةً يَمْضِى ضياعًا شَبَابُهَا(٥)

---

(١) الأمانى : جمع أمنية ، وهى ما يتمناه الإنسان ، وتناخ : مضـارع مجهول ، وتقول: أناخ الجمل ، تريد أنه برك ، والحظ : البخت والجـد ، والإياب : الرجوع ، وكنى بقوله : « ما تناخ ركابها » وبقوله « لايرجى إيابها » عن كون ماذكره من الأمانى والحظ لايوصل إليه

(٢) أصـل الوفد القوم يفدون على الملك ، وأراد هنا الهموم والبـلايا التى تطرقه وتنزل به الوقت بعد الوقت ، والواو فى قوله « إلا وضاقت رحابها » واو الحال ، واقتران جملة الحال بالواو إذا كانت فعلية فعلها ماض واقع بعد إلاضعيف فى العربية ، وإن كان قد ورد منه نحو قول الشاعر :

نِعْمَ امرأً هرمٌ لم تَعْرُ نائبة ... إلا وكان لمُرْتَاع بها وَزَرا

والرحاب : جمع رحبة ـ بالتحريك ـ وهى الأرض الواسعة التى تنبت نباتا طيبا ويحلها الناس، ويقال الرحبة أيضا على الساحة الواسعة التى أمام البيوت ، ورحبة المسجد : صحنه

(٣) حسبت : ظننت ، أو قـدرت ، يريد أنه يأمل من دهره آمالا يقدر أنها ستنجح وأنه سيدركها ، فما هو إلا أن يراها وقد خاب فيها الظن وانحلت معاقد الآمال .

(٤) أهم : أقصد إلى الأمر وأعزم على فعله ، وتثنى : ترد ، وهو فعل مضارع مبنى للمجهول، تقول : ثناه عن الأمر يثنيه ، إذا رده عنه ولفته عن فعله ، وداب الليالى . شأنها معـه من رده عما يريد ، والضمير فى « دابها » إلى الهمة .

(٥) الغليل : العطش ، أو شدته ، أو حرارة الجوف . والذماء ـ بفتح الذال بزنة السحاب ـ

٦ وعِنْدِى إلى العلياء طُرْقٌ كَثِيرةٌ ... لو انْجَابَ من هٰذِى الخُطوب ضَبَابُها(١)

٧ عِنادٌ من الأيَّام عَكْسُ مَطالِبى ... إذا كان يُوطِينى النجاحَ اقْتِرَابُهَا(٢)

٨ وحَظِّىَ منها صَابُهَا دون شُهْدِها ... فلو كان عندى شُهْدُهَا ثم صَابُهَا(٣)

٩ تَميلُ بأطْمَاعِ الرجالِ بُرُوقُهَا ... وتُوكَى عَلَى غِشِّ الأنامِ عِيَابُهَا(٤)

١٠ ولكنها الدُّنْيَا التى لا مَجِيئُهَا ... عَلَى المرء مأمونا فيُخْشَى ذَهَابُهَا

١١ تَفُوه إلَيْنَا بالخُطُوبِ فِجَاجُهَا ... وتَجْرِى علينا بالرزَايَا شِعَابُهَا(٥)

بقية الروح . واللمة ـ بكسر أوله ـ الشعر الذى يقرب من المنكب . يقول : إن حياته تتقضى من غير جدوى .

(١) انجاب : انكشف ، والضباب ـ بفتح الضاد ـ ندى كالغبار يغشى الأرض بالغدوات ، وقيل : هو سحاب يغشى الأرض كالدخان ، وضرب الضباب وانجيابه مثلا

(٢) « يوطينى » أصله « يوطئنى » بالهمز فسهل الهمز بقلبها ياء من جنس حركة ماقبلها و يوطينى النجاح : معناه الحرفى يجعلنى أطؤه بقدمى ، وأراد أنه يمهده له و يذلل له سبله .

(٣) الصاب : شجر له عصارة مرة المذاق كريهة الطعم ، والشهد ـ بضم الشين ، أو فتحها ـ العسل ، و « لو » ههنا للتمنى فلا جواب لها . يقول : إنه منى من دهره بالآلام ، و إنه لايلقى غير المكروه ، و يتمنى لو أنه ذاق حلاوة الحياة ثم نزلت به بعد ذلك المنغصات ، وضرب الصاب والشهد مثلا .

(٤) « توكى » أصله من قولهم : أوكيت القربة ، وأوكيت على القربة ، إذا شددتها بالوكاء وقد ورد فى الحديث « أوكوا الأسقية » أى شدوا على رءوسها بالوكاء لئلا يسقط فيها شىء أو يدخلها حيوان . والعياب : جمع عيبة ، وهى مايجعل فيه الثياب ، و يقال العيبة على موضع سر الرجل ، وقد ضرب ذلك مثلا .

(٥) تفوه : تنطق ، تقول : فاه الرجل بكذا يفوه ، إذا أخرجه من فيه وتكلم به . والفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين ، والرزايا : جمع رزية ، وهى المصيبة . والشعاب : جمع شعب ـ بالكسر ـ وهو مسيل الماء فى بطن الأرض .

١٢ ألا أبلغا عنّى الموفّقَ قولةً وظنّى أن الطّولَ منه جوابُها(١)

١٣ أترْضَى بأن أرمى إليكَ بهمّتى فأحْجبَ عن لُقْيا عُلًا أنت بابُها

١٤ وأظما إلى دَرِّ الأمانى فتَنْثنى بأخْلافِها عنّى ومنْكَ مَصابُها(٢)

١٥ وليس من الإنصاف أن حلّقتْ بكم قوادمُ عِزٍّ طاحَ فى الجوّ قابُها(٣)

١٦ وأصبحْتُ محْصُوصَ الجناحِ مُهضَّما عَلَىَّ غَوَاشِى ذِلّةٍ وثِيابُها(٤)

١٧ تُعِدُّ الأعادى لى مَرَامى قِذافِها وتَنْبحُنى أنّى مررتُ كِلابُها(٥)

---

(١) الألف فى « أبلغا » يحتمل أن تكون ألف الاثنين ، ويكون قد جرى على عادتهم فى جعل الرفقة ثلاثة فإذا تكلم أحدهم كان المخاطب اثنين ، ويحتمل أن تكون نون التوكيد قد انقلبت ألفا إجراء للوصل مجرى الوقف . والطول - بفتح الطاء ، وسكون الواو - الفضل والسعة والعطاء والقدرة ، ويقال « فلان ذو طول فى ماله » يريدون أنه ذو غنى وسعة وأنه عظيم العطاء والفضل .

(٢) « أظما » أصله « أظمأ » بالهمز فقلبها ألفا لانفتاح ما قبلها ، وليس ذلك بفصيح فى مثل هذا الموضع ، ودر الأمانى : أراد به قضاء مآربه ، وأصل الدر - بفتح الدال - اللبن ، ووقع فى ه « دار الأمانى » محرفا . وتنثنى : ترجع وتعود . والأخلاف : جمع خلف - بكسر الخاء وسكون اللام - وهى حلمة ضرع الناقة . ومصابها - بفتح الميم - انصبابها وانهمارها . تقول : صاب المطر ونحوه يصوب - من باب نصر - صوبا ومصابا ، إذا انصب ونزل ، وقالوا : صابت السماء الأرض ، أى جادتها بالمطر .

(٣) حلقت - بتشديد اللام - ارتفعت فى الجو ، والقوادم : أربع ريشات فى مقدم جناح الطائر ، واحدتها قادمة ، وطاح : هلك وأصابه الردى ، والقاب : الفرخ .

(٤) محصوص الجناح : من قولهم « حص فلان شعره » من باب نصر - إذا حلقه وأزاله وفى الحديث « فجاءت سنة حصت كل شىء » أى أذهبته ، مهضم - بتشديد الضاد مفتوحة - منقوص الحق مهضوم الجانب غير مرعى الحرمة ، والغواشى : جمع غاشية ، وهى فى الأصل اسم الفاعل المؤنث من غشيه يغشاه غشيا وغشاية ، إذا غطاه وستره .

(٥) تعد : تهيئ ، والمرامى : جمع مرمى ، والقذاف - بكسر القاف ، بزنة الكتاب - اسم

١٨ مُقَامِىَ فى أَسْرِ الخطوب تُهَزِّلِى ... قَوَاضِبُهَا مُطْرُورَةً وحِرَابُهَا(١)

١٩ لَقَدْ كُنْتُ أرجو أنْ تكونَ ذَرَائِعِى ... إلَى غيركم حَيْثُ العُلَى واكْتِسَابُهَا(٢)

٢٠ فَهٰذِى المَعَالِى الآنَ طَوْعِى لأمْرِكم ... وفِى يدِكم أرْسَانُهَا وَرِقَابُهَا(٣)

٢١ إذا لم أَرِدْ فى عزكم طَلَبَ العُلَى ... ففى عِزِّ مَنْ يُجْدِى على طِلَابُهَا(٤)

٢٢ فلولاكُمُ ما كنتُ إلا بِبَاحَةٍ ... من العِزِّ مضروباً عَلَى قِبَابُهَا(٥)

٢٣ أجوبُ بِلَادَ الله أو أبلُغُ الَّتى ... يَسوءُ الأعادِى أن يَعِبَّ عُبَابُهَا(٦)

٢٤ وكان مُقامِى إن أقمتُ بمنزلٍ ... مُقَامَ الضَّوارِى الغُلْبِ يحْذَرُ غَابُهَا(٧)

لما تقبض بيدك مما يملأ الكف فترمى به . وقيل : هو ما أطقت حمله بيدك ورميته . وقيل : هو القذاف بالضم بزنة الغراب .

(١) مقامى — بضم الميم الأولى — إقامتى ، والقواضب: جمع قاضب ، وهو السيف القاطع ، ومطرورة : محددة .

(٢) الذرائع : جمع ذريعة — بفتح الذال — وهى الوسيلة إلى الشىء .

(٣) الأرسان : جمع رسن — بفتح الراء والسين جميعا — وهو الحبل وما كان من زمام على أنف الدابة ، وضرب ذلك مثلا .

(٤) أرد : مضارع ماضيه ورد ، ويجدى : ينفع ويفيد ، والطلاب — بكسر الطاء — بمعنى الطلب .

(٥) الباحة : الساحة ، وهو فضاء بين دور الحى لابناء فيه ، والقباب : جمع قبة ، والقبة إنما تضرب على الأمراء والرؤساء .

(٦) أجوب بلاد الله : أقطعها سفرا ، وقوله « أن يعب عبابها » كناية عن الكثرة ، وأصل العباب — بضم العين ، بزنة الغراب — معظم السيل وارتفاعه وكثرته، وقالوا لمن مر فى كلامه فأكثر « عب عبابه »

(٧) الضوارى : جمع ضار ، وأراد به الأسد ، والغلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ العنق ويحذر — بالبناء للمجهول — يتقى ويخاف ويخشى ، والغاب: جمع غابة ، وهى الأجمة،

٢٥ وإنّى لتَرّاكُ المَطَالِب إنْ نأى ... بِهَا قَدَرٌ أو لُطَّ دونِى حِجَابُهَا(١)

٢٦ وأعزلُ مِن دون الّتى لا أنالُهَا ... نَوَازِعَ نَفْسِى أو تَذِلّ صِعَابُهَا(٢)

٢٧ وأقْرَبُ ما بَيْنِى وبَيْنَكَ حُرْمَةٌ ... تُدَانِى نفوسٌ وُدُّهَا وَحِبَابُهَا(٣)

٢٨ ومابَعْدَ ذَا من آصِرَاتٍ إذا انتهت ... يَكُونُ إلى آل النّبىّ انْتِسَابُهَا(٤)

٢٩ شَوَاجِرُ أرحامٍ إذا ما وَصَلْتَهَا ... فعِنْدَ أمير المؤمنين ثَوَابُهَا(٥)

٣٠ وهَلْ تُطْلَبُ العلياءُ إلّا لأن يُرَى ... ولىٌّ يرجّيها وضِدٌّ يَهَابُهَا(٦)

---

(١) المطالب: جمع مطلب ، وأراد به الشىء الذى تتوجه النفس إلى طلبه ، وأصله مصدر ميمى ، ونأى بها قدر : أبعدها عنى لقيامه حائلا بينى و بين دركها . ولط ـ بالبناء للمجهول ـ أرخى ، تقول : لط فلان الستر ـ من باب ضرب ـ إذا أرخاه ، وكل شىء سترته فقد لططته .

(٢) أعزل : أنحى وأبعد ، تقول : عزلت كذا عن كذا ، إذا نحيته عنه وأبعدت ما بينهما . والنوازع : جمع نازعة ، وأصلها اسم الفاعل المؤنث من قولهم « نزعت نفسه إلى الشىء » إذا اشتاقته ورغبت فيه ، وتذل : تنقاد وتلين وتسهل .

(٣) الحباب ـ بكسر الحاء ـ الحب والمودة ، وقال الشاعر ، وهو أبو عطاء السندى مولى بنى أسد :

فوالله ما أدرى ، وإنّى لصادقٌ ... أداءٌ عَرَانى من حِبابِكِ أم سِحْرُ

وضبطه الجوهرى بضم الحاء ، وذكر ابن برى أن كسر الحاء هو المشهور .

(٤) وقع هذا البيت فى ب بعد البيت الذى يليه هنا ، والآصرات : جمع آصرة ، وهى كل ما عطفك على الرجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف ، ويقال « ماتأصرنى على فلان آصرة » أى ماتعطفنى عليه قرابة ولا منة ، ووقع فى ه « آمرات » محرفا .

(٥) شواجر أرحام : أراد به الأرحام المتنازعة المتفرقة ، وكل شىء اجتمع ثم فرق بينه شىء فافترق يقال له « شجر » بالبناء للمجهول .

(٦) ولى : أراد به الموالى والمناصر ، و يرجيها : يرجو أن يناله خيرها ، و يهابها : يخافها . يقول : إن الناس لايتوجهون إلى طلب العلياء ولا يحرصون على بلوغها إلا لما يقدرونه من أن ترفع إليهم آمال أنصارهم ، وأن يبعثوا الرهبة والخوف فى قلوب أضدادهم وأعدائهم .

٣١ فجرِّدْ لأمرى عزْمَةً منك صَدْقَةً كمطرورةِ الغَرْبَيْنِ يمضى ذُبَابُها(١)

٣٢ ولا تتركَنِّى قاعداً أرقُبُ المُنى وأرْعَى بُروقا لا يجود سَحَابُهَا

٣٣ بكفَّيْكَ عَقْدُ المكرماتِ وحَلُّهَا وعندك إشْرَاقُ العُلَى وغِيابُهَا

٣٤ وغَيْرُكَ يَقْرِى النازِلِينَ بِبَابِهِ عِدَاتٍ كأرضِ القاعِ يَجْرِى سَرَابُها(٢)

٣٥ وعندِى لك الغُرُّ التى لانظامُها يَهِى أبداً ، ولا يَبُوخُ شِهابُهَا(٣)

٣٦ وعندىَ للأعداء فيكَ أوابدٌ لُعَابُ الأفاعى القاتلاتِ لُعَابُهَا(٤)

* * *

(١) صدقة : شديدة صادقة فى توجهها إلى ماتتوجه إليه . والمطرورة : المحددة ، وغرب السيف ـ بفتح الغين وسكون الراء ـ حده . و يمضى : ينفذ ، وذباب السيف : طرفه الذى يضرب به .

(٢) يقرى النازلين : يقدم لهم كما يقدم المضيف لضيفه . والعدات : جمع عدة ، وهى الوعد، وأرض القاع : أرض سهلة مطمئنة قدانفرجت عنها الجبال والآكام . والسراب ـ بفتح السين ـ وهو ما تظنه نصف النهار ماء وليس بماء .

(٣) أراد بالغر القصائد البديعة ، و يهى : يضعف و ينفرط عقده ، ولا يبوخ : لايبرد ، وشهابها : نارها .

(٤) الأوابد : جمع آبدة وأصلها الداهية ، وأوابد الكلام : غرائبه ، وأوابد الشعر : ما لايشاكله شعر لجودته .

٢٥ — وقال يذكر المودة التى كانت بينه وبين الوزير أبى على الحسن بن حَمْد بن أبى الزمان[١] فى [طريق] مكة ، ويصف ما لقياه فى ذهابهما [وعَوْدهما] وعدولهما إلى البحر ، وكان دليلهم يسمى كعبا من بنى عامر ، وقال هذه القصيدة وهو بطريق نجد ، فى شهر صفر من سنة أربعة وتسعين وثلثمائة ، وألحقت بالمدح [وإن لم تكن فيه بالصريح] لحسنها وفصاحتها وكونها فى ذكر وزير [وفيها أبيات تمتزج بالمدح] :

١ تَرَى نُوَبَ الأيام تُرْجى صِعَابها ... وتُسْأَلُ عَنْ ذِى لمَّةٍ ما أشَابها[٢]

٢ وهَلْ سَبَبٌ للشَّيْبِ من بَعْدِ هَذِهِ ... فَدَابَكَ يا لَوْنَ الشَّبَابِ ودَابها[٣]

٣ شربنا من الأيامِ كأْسًا مَرِيرَةً ... تُدَار بأَيدٍ لا نَرُدُّ شَرابها

٤ نُعاتِبُها والذَّنْبُ مِنْها سَجِيَّةٌ ... وَمَنْ عَاتَبَ الْخَرْقاءَ مَلَّ عِتابها[٤]

٥ وقالوا سِهَامُ الدهرِ خاطٍ وَصَائِبٌ ... فكَيْفَ لقينَا يَا لَقَوْمٍ صِيابها[٥]

---

(١) فى ه « الحسين بن أحمد بن أبى الريان » وانظر البيت ٨ من هذه القصيدة .

(٢) ترجى : تؤخر ، وأصله « ترجىء » بالهمز فقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها ، وفى القرآن الكريم (ترجى من تشاء منهن) ، واللمة ـ بكسر اللام وتشديد الميم ـ الشعر الذى يجاوز شحمه الأذن ، وأشابها : صير شعرها أبيض ، وفى ه « ترضى صعابها » محرفا .

(٣) دابك : عادتك وشأنك ، وأصله « دأبك » بالهمز ساكنة فقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها ، ولون الشباب : السواد .

(٤) سجية . طبيعة ، والخرقاء : الحمقاء ، ومل عتابها : سئمه وكرهه لكثرته مع قلة جدواه

(٥) « خاط » لايصيب مرماه ، وأصله « خاطىء » بالهمزة فقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها ، ثم عامله معاملة قاض ، والهمزة إذا انقلبت حرف علة يجوز فى حرف العلة الذى انقلبت إليه أن يعامل معاملة حرف العلة الأصلى . والصائب : الذى يصيب هدفه ، والصياب : جمع صائب وقال أبو ذؤيب الهذلى:

إذَا نَهَضَتْ فيه تصعَّدَ نَفْرُها ... كعَنْزِ الفَلَاةِ مُسْتَدِرٌّ صِيابُها

قال فى اللسان « أراد جمع صائب ، كصاحب وصحاب ، وأعل العين فى الجمع كما أعلها فى الواحد كصائم وصيام وقائم وقيام ، هذا إن كان صياب من الواو من الصواب فى الرمى ، وإن كان من صاب السهم الهدف يصيبه فالياء فيه أصل » ا ه

٦ أبَتْ لِقْحَةُ الدنيا دُرُورًا لعاصِبٍ ... ويَحْلُبُهَا مَنْ لا يُعانِي عِصابَهَا(١)

٧ وَقَدْ يُلقحُ النعماءَ قومٌ أعِزَّةٌ ... ويَنْتِجُ قومٌ عاجِزُونَ سِقابَهَا(٢)

٨ وكُنْتُ إذا ضاقَتْ مناديحُ خُطَّةٍ ... دعوْتُ ابنَ حَمْدٍ دعوةً فأجابَهَا(٣)

٩ أخٌ لِيَ إن أعْيَتْ علىَّ مَطالِبِي ... رَمَى لِيَ أغراضَ المُنى فأصابَهَا(٤)

١٠ إذَا اسْتَبْهَمَتْ عمياءُ لا يُهْتَدَى لَهَا ... قَرَعْتُ بِهِ دونَ الأخِلاَّءِ بابَهَا(٥)

١١ به خَفَّ عنِّى ثِقْلُ فادِحَةِ النَّوَى ... وحَبَّبَ عندى نأيَهَا وَاغْتِرَابَهَا(٦)

---

(١) اللقحة ـ بكسر اللام وسكون القاف ـ الناقة ذات اللبن ، والدرور: مصدر در اللبن يدر إذا نزل ، والعاصب : الذى يشد على الناقة لتدر ، و بعانى : يتكلف، يقول : إن من عادة الدنيا أن تجىء سهلة طيعة منقادة لمن لايتجشم أهوالها ، وأن تأبى على من يعنى نفسه ويجشمها المشقات فى سبيل الحصول على متاعها .

(٢) يلقح: مضارع « ألقح الناقة » إذا أحبلها ، والأعزة : جمع عزيز ، و ينتج ـ بفتح حرف المضارعة ـ مضارع « نتج الناقة » إذا أولدها ـ والسقاب : جمع سقب وهو ولد الناقة حيث يولد ، وقال الراجز وهو من شواهد النحاة :

أكلَّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَه ... يُلْقِحُه قَوْمٌ وتَنْتِجُونَهُ

ووقع فى ب « و يخسر قوم عاجزون سقابها » محرفا .

(٣) مناديح : جمع مندوحة ، وهى السعة الكثرة ، والخطة : الأمر ، ووقع فى ه « منافع خطة »

(٤) أعيت على مطالبى : صعبت أوأعجزت قاصدها ، والأغراض: جمع غرض ـ بفتح الغين والراء جميعا ـ وهو الهدف الذى يرمى إليه .

(٥) استبهمت : انبهم أمرها وخفى وجهها . وقرعت بابها : أصل معناه طرقته ، وأراد هنا معنى فتحت ، ووقع فى ب « إذا استبهمت علياء » .

(٦) الفادحة : أصله اسم الفاعل المؤنث من مصدر « فدحنى الأمر » إذا بهظنى حمله وثقل على ، ثم سميت به النازلة من نوازل الدهر لاتقوى على احتمالها ، والنوى : البعد .

١٢ ثمانُونَ من لَيْلِ التَّمامِ نَجُوبُهَا ... رفيقَيْنِ تَكْسُونَا الدَّياجِى ثِيابَهَا(١)

١٣ نَؤُمُّ بكَعْبِ العامِرِىِّ نُجومَهَا ... إذا ما نَظَرْناهَا انْتَظَرْنَا غِيابَهَا(٢)

١٤ نُقَوِّمُ أيدِى اليَعْمَلاتِ وراءَهُ ... ونَعْدِلُ منها ـ أينَ أومَا ـ رِقابَهَا(٣)

١٥ كأنَّا أنابِيبُ القَنَاةِ يَؤُمُّها ... سنانٌ مَضَى قُدْمًا فأمْضَى كِعابَهَا(٤)

١٦ كذِئْبِ الغَضَا أبْصرْتَهُ عندَ مَطْمَعٍ ... إذا هَبَطَ البَيْدَاءَ شَمَّ تُرَابَهَا(٥)

---

(١) « نجوبها » أراد نجوب فيها البلاد ، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل إلى المجرور توسعا، يريد أنه قطع مع الممدوح ثمانين ليلة يسافران من مكان إلى مكان ، والدياجى : حنادس الليل وظلماؤه ، وهو فى التقدير جمع ديجاة .

(٢) نؤم : نقصد ، وكعب العامرى : هو دليلهم ، وكان من حق الكلام أن ينون كعبا ، إلا أنه منع تنوينه حين اضطر لإقامة الوزن ، وله نظائر فى شعر العرب المحتج بكلامهم.

(٣) نقوم : نعدل ، واليعملات : جمع يعملة ، وهى الناقة النجيبة ، وكأنما سميت بذلك لكثرة عملها ، وكان من حق الكلام أن ينصب « أيدى » بالفتحة الظاهرة ، ولكنه عامله معاملة المرفوع والمجرور فقدر الفتحة على الياء كما تقدر الضمة والكسرة ، ومع ضعف ذلك فقد وردت له نظائر فى كلام العرب ، من ذلك قول الشاعر :

يا بارِىَ القوسِ بَرْيًا لَيْسَ يُحْسِنُه ... لاتفسِدِ القوسَ أعطِ القوسَ بارِيهَا

و « أوما » أشار ، وأصله « أومأ » بالهمز فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ماقبلها ، وأراد بهذا الكلام أنهما كانا يتبعان سيره .

(٤) الأنابيب : جمع أنبوب ، وهو مابين الكعبين من القصب والرمح ، والقناة ههنا : الرمح ، والسنان ـ بكسر السين ـ نصل الرمح ، ويؤمها هنا بمعنى يكون لها بمنزلة الإمام المقتدى به ، ومضى قدما ـ بضم القاف ـ أى لايلوى ولا يتباطأ .

(٥) الغضا ـ بفتح أوله بزنة الفتى ـ اسم مكان معين ، وضرب من الشجر شديد اللهب ، وأراد تشبيه كعب العامرى دليلهم بالذئب ، ومن عادة الدليل أن يستاف التراب ويشمه ليعرف أهو على قصد أم أنه ضل السبيل ، والبيداء : الصحراء ، سميت بذلك لأن سالكها يبيد فيها : أى يهلك .

١٧ بعَيْنِ ابنِ لَيْلٍ لاتداوى من القَذَى ... يَرِيبُ أقاصى رَكْبِهِ ما أرابَهَا(١)

١٨ تراه قَبُوعًا بين شَرْخَىْ رِحَالِهِ ... كَمذْرُوبةٍ ضمُّوا عليها نِصابَهَا(٢)

١٩ فمِنْ حِلَّةٍ نَجْتابُهَا وقَبِيلةٍ ... نَمُرُّ بِها مُسْتَنْبِحِينَ كِلابَهَا(٣)

٢٠ ومِنْ بارقٍ نَهْفُو إليه ونَفْحَةٍ ... تُذكِّرُنَا أيَّامها وشَبابَهَا(٤)

٢١ ولَهْفى على عَهْدِ الشَّباب ولِمَّةٍ ... أطَرْتُ غداةَ الْخَيْفِ عنّى غُرَابَهَا(٥)

٢٢ ومِن دار أحْبَابٍ نَبَلُّ طُلولَهَا ... بماءِ الأماقِى أو نُحَيِّى جَنابَهَا(٦)

٢٣ ومن رُفْقَةٍ نَجْدِيَّةٍ بَدَوِيَّةٍ ... تُقَارِضُنَا أشْجانَها واكْتِئابَهَا(٧)

٢٤ ونُذكِرُهَا الأشْوَاق حَتَّى نُحِنَّها ... وتُعْدِى بأطراف الْحَنِينِ رِكابَهَا(٨)

---

(١) ابن ليل : أى أنه مثابر على السير فى الليل مرتكب للمخاطر ، ووقع فى ب ، ه « بعين ابن ليلى » وقوله « لاتداوى من القذى » يريد به أن عينه قوية البصر فليست فى حاجة إلى الدواء لأنها لاتقذى .

(٢) قبوعا : أى مدخلا رأسه فى قميصه ، وشرخا الرحل : طرفاه ، أى آخرته وقادمته ، ومن كناياتهم قولهم « لايزال فلان بين شرخى رحله » يريدون أنه مسفار ، والمذروبة : السيف المسموم ، والنصاب ـ بكسر النون بزنة الكتاب ـ مقبضه .

(٣) الحلة ـ بكسر الحاء ـ جماعة البيوت ، أو مائة بيت ، ونجتابها : نخترقها .

(٤) البارق : السحاب ذو البرق ، ونهفو إليه : أصل معناه نسرع إليه ، وأراد أن نفوسهم تتطلع إلى ما يكون وراءه من المطر ، والنفحة ـ بفتح النون وسكون الفاء ـ الدفعة من الريح .

(٥) الغراب : طائر أسود اللون معروف ، وأراد به ههنا سواد شعره ، وكنى باطارة الغراب عن ذهاب شعر الشباب .

(٦) الأماق : جمع موق وهو طرف العين مما يلى الأنف ، وأراد بماء الأماق الدموع ، والطلول : جمع طلل ، وهو مابقى شاخصا من آثار الديار ، والجناب ـ بفتح الجيم ـ الفناء .

(٧) تقارضنا : وقع فى ب « تفاوضنا » والأشجان : جمع شجن ، وهو الحزن .

(٨) نذكرها الأشواق : نبعث فى أنفسها ذكرياتها .

٢٥ إذا ما تَحَدَّى الشوقُ يومًا قلوبَنَا ... عَرَضْنَا له أنفاسَنا والتِهابَهَا

٢٦ ومِلْنَا على الأكْوَارِ طَرْبَى كأنَّنَا ... رأينا العراق أو نَزَلْنَا قِبابَهَا(١)

٢٧ نُشَاقُ إلى أوطانِنَا وتَعُوقُنَا ... زيادَاتُ سَيْرٍ ما حَسِبْنَا حِسابَهَا(٢)

٢٨ وكَمْ ليلةٍ بِتْنَا نُكابِدُ طولَهَا ... ونَمْزِقُ حَصْبَاهَا إذَا الغَمْرُ هابَهَا(٣)

٢٩ وقد نَصلَتْ أنضاؤُنَا من ظَلَامِهَا ... نُصولَ بنانِ الْخَوْدِ تَنْضُو خِضَابَهَا(٤)

٣٠ وهاجرَةٍ تُلْقِي شَرَارَ وَقُودها ... على الرَّكْبِ أنْعَلْنَا المِطِيَّ ظِرَابَهَا(٥)

---

(١) الأكوار : جمع كور ، وهو رحل الناقة بأداته ، و « طربى » أراد جمع طرب ـ بفتح فكسر ـ ولم أعثر بهذا الجمع فيما بين يدى من مراجع اللغة ، ووقع فى ب « كأنما رأينا العراق » .

(٢) نشاق ـ بالبناء للمجهول ـ أصله شاقه يشوقه شوقا ـ من باب نصر ـ إذا أثار الشوق فى نفسه ، وتعوقنا : تمنعنا وتكون عائقا لنا عن بلوغ مانحب .

(٣) فى ب « نكابد هولها » ونكابد : من المكابدة وهى المقاساة وتحمل المشاق . ونمزق حصباءها : أى نفرق حصاها تفريقا شديداً وذلك بشدة سير إبلنا ، وأصل ذلك قولهم « مزق الطائر ذرقه » إذا فرقه و بذرقه ، والغمر ـ بتثليث الغين ـ الجاهل الذى لاتجربة له ، وهابها : خافها ، يقول : لقد تكبدنا المشاق فى ليال كثيرة قضيناها سائرين أحث السير وأشده ، وإن من لاتجربة له مثل تجربتنا ليأخذه هول هذه الليالى فلا يجرؤ على السير فيها .

(٤) نصلت : خرجت ، والأنضاء : جمع نضو ـ بكسر فسكون ـ وهو المهزول من الإبل ، والخود ـ بفتح فسكون ـ الشابة الحسنة الخلق ، وتنضو خضابها : أى تذهب لونه وتخلعه عنها

(٥) الهاجرة : شدة الحر ، والشرار ـ بفتح الشين بزنة السحاب ـ مايتطاير من اللهب ، والظراب ـ بكسر الظاء ـ الحجارة الثابتة ، واحدها ظرب ـ بفتح الظاء وكسر الراء ـ يقول : إنا إذا اشتد الحر حتى رمى بشرره على الركب لم تهيب السير ، ولم نبال بلفح الحر ، وتكبدنا الأهوال فأخذنا طريقنا مسافرين ، وكنى عن السير بأنهم جعلوا الحجارة كالنعال لمطيهم . يصف شدة مايلاقونه فى سفرهم .

٣١ إذا ما طَلَتْنَا بعـد ظَمْءٍ بمائِها ... وعجَّ الظَّوَامِي أوردَتْنا سَرَابَهَا(١)

٣٢ تمنى الرِّفاقُ الوِرْدَ والرِّيقُ ناضِبٌ ... فلا رِيقَ إلا الشَّمسُ تُلْقِي لُعَابَهَا(٢)

٣٣ إلى أن وقَفْنَا المَوْقِفَيْنِ وشَافَهَتْ ... بنا مكةٌ أعلامَهَا وهِضابَهَا(٣)

٣٤ وبِتْنَا بِجَمْعٍ والمطِيُّ مَوَاقف ... نؤمِّلُ أن نَلْقى مِنًى وحِصابَهَا(٤)

٣٥ وطُفْنَا بعادِيِّ البناءِ مُحَجَّبٍ ... نَرَى عنـــده أعمالَنَا وثَوَابَهَا(٥)

---

(١) ماطلتنا : أراد سوفت ولم تف لنا بما كان يرجى منها ، والظمء ـ بكسر الظاء وسكون الميم ـ الاسم من ظمىء بمعنى عطش ، أو اشتد عطشه . وعج : صاح ورفع صوته ، والظوامى : أراد بها النوق الظماء واحدها ظامئة ، وأصـل الظوامى ظوامىء فسهل الهمز بقلبها ياء لـكسر ماقبلها ، والسراب ـ بفتح السين ـ ماتراه فى الصحارى كأنه ماء وليس به .

(٢) الورد ـ بكسر الواو وسكون الراء ـ ورود الماء . وناضب : غائر ، وأراد جفاف ماء الفم ، وكنى به عن شدة العطش ، ولعاب الشمس : ماتراه كأنه ينحدر من السماء إذا قام قائم الظهيرة .

(٣) وقفنا الموقفين : أراد الوقوف بعرفة والوقوف بمنى ، ووقع فى ه « وقفنا المأزمين » وهو بلفظ التثنية اسم لما بين المشعر وعرفة ، والأعلام : جمع علم ـ بفتحتين ـ وهو الجبل ، والهضاب : جمع هضبة ـ بفتح فسكون ـ وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض .

(٤) جمع ـ بفتح الجيم وسكون الميم ـ علم للمزدلفة ، وهى ضاحية من ضواحى مكة . قال الزجاج « وازدلفه : أدناه إلى هلكة ، ومزدلفة والمزدلفة : موضع بمكة ، قيل : سميت بذلك لاقتراب الناس إلى منى بعد الافاضة من عرفات » اه . والمطى : جمع مطية ، وأراد بها دوابهم ، وأراد بقوله « والمطى مواقف » أنهم لم يتركوا ظهور مطيهم ، بل قضوا الوقوف بالمشعر الحرام عليها . ومنى ـ بكسر الميم ـ الموضع الذى ينحر فيه الهدى والأضاحى بمكة . والحصاب : جمع حصباء وهى الحصى ، وفى منى من شعائر الحج رمى الجمار .

(٥) الطواف بالبيت الحرام من أعمال الحج . وعادى البناء : قديمه ، كأنه منسوب إلى عاد وأراد بعادى البناء الـكعبة . ومحجب ـ على زنة اسم المفعول ـ قد حجب بالأستار .

٣٦ وزُرْنَا رسولَ اللهِ ثُمَّةَ بعدَه قُبورَ رجالٍ ما سَلَوْنَا مُصابَها(١)

٣٧ وجُزْنَا بسيفِ البَحْرِ والبحرُ زاخرٌ بلُجَّتِهِ حتى وطِئْنَا عُبابَها(٢)

٣٨ خطوبٌ تُحِلّ الشيبَ فى كل لِمَّةٍ ويُنْسينَ أيام الصِّبَا ولِعَابَها(٣)

٣٩ عسى اللهُ أنْ يأوِى لشُعْثٍ تَنَاهَبُوا هِبابَ المَطَايَا نَصَّهَا وانْجِذَابَها(٤)

٤٠ وجاسُوا بأيديها على علل السُّرَى حِرَارَ أماعِيزِ الطَّرِيق ولَابَها(٥)

---

(١) ماسلونا مصابها : أراد مانسينا ماوقع عليها من المصائب ، وأراد بهؤلاء الرجال آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) سيف البحر ـ بكسر السين ـ ساحله وشاطئه ، واللجة ـ بضم اللام ـ معظم الماء ، والعباب ـ بضم العين ـ الموج .

(٣) خطوب : جمع خطب ، وأراد به النازلة والكارثة من كوارث الدهر . وتحل الشيب : تنزله ، والأصل فى هذه الكناية قوله تعالى : (يوما يجعل الولدان شيبا) والغرض وصفه بشدة الهول ، ووقع فى ب « خطوب يعنّ الشيب » واللمة ـ بكسر اللام ـ الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن . واللعاب ـ بكسر أوله ـ مصدر لاعبه بمعنى لعب معه .

(٤) شعث : جمع أشعث ، وهو المغبر الرأس المتلبد الشعر . وتناهبوا : أصله بمعنى تباروا فى النهب ، وهباب المطايا ـ بكسر الهاء ـ نشاطها وإسراعها ، وهو أحد مصادر هب ، تقول : هب الإنسان والسائر من الدواب يهب ـ من باب ضرب ـ هبا وهبوبا وهبيبا وهبابا ، تريد أنه نشط وأسرع . والنص: مصدر نص الرجل ناقته ـ من باب نصر ـ إذا استحثها واستقصى آخر ماعندها من السير .

(٥) جاسوا : طافوا وداروا ، وقوله « بأيديها » أراد بقوائم المطايا ، و « حرار » مفعول جاسوا ، والحرار ـ بكسر الحاء ـ جمع حرة ، وهى أرض ذات حجارة سود نخرة . والأماعيز : جمع أمعز ، وهو المكان الصلب الكثير الحصى ، وقال الشنفرى :

إذَا الأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لاقَى مَناسِمِى تَطايَرَ منه قادِحٌ ومُفَلَّلُ

وكان من حقه أن يقول « أماعز » إلا أنه أشبع كسرة العين فتولدت ياء ، ولهذا نظائر فى

٤١ فيرمى بها بَغْدَاد كل مكبر إذا ما رأى جُدْرانها وقِبابَهَا(١)

٤٢ فكم دَعْوَةٍ أرسَلْتُها عند كربةٍ إليه فكانَ الصنعُ منه جَوَابَهَا(٢)

* * *

٢٦ — وقال يمدح أباه ، ويهنئه بقدومه من فارس بعد خلاصه من القلعة ، وذلك سنة ست وسبعين وثلثمائة [من المتقارب] :

١ طلوعٌ هَدَاه إلينا المَغِيبُ ويومٌ تمزَّقُ عَنْهُ الخُطُوبُ(٣)

٢ لقيتُك فى صَدْره شاحباً ومِنْ حِلْية العربىِّ الشّحُوبُ(٤)

٣ إليه تمجُّ النفوسَ الصُّدورُ وفيه تُهَنِّى العيونَ القلوبُ(٥)

كلام العرب، فقد جمعوا درهما على دراهيم وأصله دراهم، وجمعوا صيرفا على صيارِيف وأصله صيارف ، وقال شاعرهم :

تَنْفى يَدَاهَا الْحَصَى فِى كل هَاجِرَةٍ نَفْىَ الدَّراهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ

واللاب : اسم جنس جمعى واحده لابة ، وهى بمعنى الحرة .

(١) المكبر : الذى يقول « الله أكبر » وكان من عادتهم إذا مافتحوا حصنا أو مدينة كبروا . والجدران : جمع جدار ، وهو الحائط ، والقباب : جمع قبة .

(٢) الكربة ـ بضم الكاف وسكون الراء ـ الحزن يأخذ النفس . ووقع فى ب « فكان الطول منه جوابها » والطول ـ بفتح الطاء وسكون الواو ـ التفضل .

(٣) تمزق : أصله تتمزق ـ بتاءين فى أوله ـ فحذف إحدى التاءين للتخفيف ، يريد أن هذا اليوم من أيام السعد وأنه لاينزل بساحتهم فيه خطب إلا تجلى عنهم وفرقته سعودهم .

(٤) شاحبا : متغير الوجه يرى عليه أثر السفر ، والعرب يتمدحون بذلك ، يرون أن من علامة صلابة العود متابعة الأسفار ولزوم عصا التسيار فى طلب المجد ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

أخو سَفرٍ جَوَّابُ أرضٍ تقاذفَتْ بِهِ فَلَوَاتٌ فَهْوَ أشْعَثُ أغْبَرُ

(٥) تهنى : أصله تهنىء ـ بالهمز فى آخره ـ فسهل الهمزة بقلبها ياء لانكسار ماقبلها .

٤ تَغَرَّبْتَ مُسْتَأْنِسًا بِالبِعا ... دوَاللَّيْثُ فى كل أرضٍ غَرِيبُ (١)

٥ وأحْرَزْتَ صَدْرَكَ للنَّائباتِ ... وِلِلدَّاءِ يومًا يُرادُ الطَّبِيبُ (٢)

٦ لَحَا اللهُ دهرًا أرانا الدِّيا ... رَ يَنْدُبُ فيها البعيدَ القريبُ (٣)

٧ وَمَا كان مَوْتًا ولٰكِنَّه ... فراقٌ تُشَقّ عَلَيْهِ الْجُيُوبُ (٤)

٨ لَئِنْ كنتَ لم تَسْتَرِبْ بالزَّمانِ ... فَقَدْ كان مِنْ فِعْله ما يَرِيبُ (٥)

٩ رَمَى بكَ والأمْرُ ذَاوِى النَّبَاتِ ... فآلَ وغُصْنُ المعالى رَطِيبُ (٦)

١٠ ولمَّا جَذَبْتَ زِمامَ الزمان ... أطاعَ ولٰكِنْ عَصاكَ الحبيبُ (٧)

---

(١) فى ب ✲ تعزيت مستأنسا البعاد ✲ وما أثبتناه أوفق لعجز البيت ، وتغربت : تكلفت الاغتراب عن موطنك .

(٢) فى ب ✲ وأحرزت صبرك للنائبات ✲ ولكل من العبارتين وجه ، فان قلت « أحرزت صدرك للنائبات » فمعناه جعلت صدرك حرزا لها وحصنا تلجأ إليه ، وإن قلت « وأحرزت صبرك للنائبات » فالمراد به أنك ادخرت صبرك لتلقى به النائبات لقاء من لايجزع لها ولايخشى نزولها ، والمقصود على كل حال أنه شديد الاحتمال لنوازل الدهر جرىء على لقاء خطوبه .

(٣) لحا الله دهراً : أراد قبحه ولعنه ، وينديه : يبكيه ويأسى على موته ، يريد أن الأقرباء قد قطعوا حبل ودادهم فصار الذين يبكونه ويتألمون لألمه من الأباعد عنه .

(٤) فى ه « ولا كان موتا » وهو خطأ صوابه ما أثبتناه موافقا لما فى ب ، وفى ه أيضا « فراق تشق عليها الجيوب » وهو خطأ أيضا . ومن عادة الجاهلية أن يشق الناس جيوبهم عند نزول المصيبة بهم .

(٥) لم تسترب بالزمان : لم يخطر لك الشك فى أمره ، ويريب : يوقع فى الريب وهو الشك وفى الحديث « دع مايريبك إلى مالا يريبك » .

(٦) ذاو : اسم فاعل فعله ذوى - من باب ضرب - وتقول : ذوى النبات يذوى ، إذا جف وذبل .

(٧) الزمام - بكسر الزاى - المقود الذى تقاد به الدابة ، وكنى بجذبه زمام الزمان عن قهره إياه واستعلائه عليه ، وكنى بطاعة الزمان له عن انقياده لأمره وخضوعه لسلطانه .

١١ ولَمَّا اسْتَطَال عليكَ البعادُ وذلَّلَ فيكَ المطىَّ اللُّغوبُ(١)
١٢ رَجَوْتَ الإيابَ على أنَّهُ كفيلُ طلوعِ البدُور الغُروبُ(٢)
١٣ رحَلْتَ وفى كلِّ جَفْنٍ دَمٌ عليكَ وفى كل قلبٍ وَجيبُ(٣)
١٤ ولَا نُطْقَ إلّا وَمِنْ دُونِه عزاءٌ نَفُورٌ ودمعٌ رَبيبُ(٤)
١٥ وأنْتَ تُعلّلنَا بالإيا بِ والصَّبْرُ مُرْتَحِلٌ لَا يؤُوبُ
١٦ وسَرَّ العِدَى فيك نَقْصُ العقولِ وأعْـلَمَ أن لا يُسَرُّ اللَّبيبُ(٥)
١٧ أمَا عَلِمِ الحاسِدُ المستغِرُّ أنَّ الزمانَ عليـه رَقيبُ(٦)
١٨ قَدِمْتَ قدومَ رِقَاقِ السّحا بِ تَنْحَطُّ والرَّبْعُ رَبْعٌ جَدِيبُ(٧)

---

(١) استطال ههنا بمعنى طال وامتد زمنه ، وذلل : أخضع ، واللغوب : الإعياء والتعب والـكلال ، أو هو الإعياء الشديد خاصة .

(٢) الإياب : الرجوع والعودة إلى الوطن ، يريد أن البدور يعقب غيابها طلوع ، فايابك كان أمرا لامندوحة عنه، ووقع فى ب « رجوت البعاد » ولا يتفق مع باقى البيت .

(٣) « فى كل جفن دم » يريد أن أحباءك قد بكون حين ارتحلت عنهم حتى تقرحت أجفانهم ، ووجيب القلب ـ بفتح الواو ـ خفقانه .

(٤) فى ب « عزاء يغور » أى يغيب ، وما ههنا أحسن ، وهو موافق لما فى ه ، ونفور ـ بفتح النون بزنة صبور ـ أى شارد جاد فى الذهاب والبعد ، والربيب ـ بفتح الراء ـ الملازم المقيم الذى لايظعن ولا يفارق .

(٥) يريد أن العدى إنما سرهم رحيلك لنقص عقولهم وعدم تقديرهم لما فى مقامك من نفع ، وأنا أعتقد أنه لم يسر عاقل بارتحالك عنا .

(٦) أرد بالمستغر المغرور .

(٧) تنحط : تنزل من عال ، ووقع فى ب « قدوم رقاق السحاب تخط » وهو تحريف ماأثبتناه موافقا لما فى ه ، والربع : المنزل ، وجديب : أصابه الجدب والقحط ، يريد أنه للناس بمنزلة الغيث للأرض المجدبة .

١٩ وما ضَحِكَ الدهرُ إلاَّ إليـ ... ـكَ مُذْبَانَ فِي حَاجِبَيْهِ القُطوبُ(١)

٢٠ حلفْتُ بمـا ضُمِّنَتْهُ الْحَجُونُ ... وما ضمَّ ذاكَ المقامُ الرَّحِيبُ(٢)

٢١ لقد سَرَّكَ الدهرُ فى الغادِرِين ... بعُذْرٍ تَضَاءَلُ فيـه الذُّنوبُ(٣)

٢٢ وأجْلَى رُجوعُكَ عن حَاسِدَيْـ ... ـكَ هٰذَا قَتِيلٌ وهٰذَا سَلِيبُ(٤)

---

(١) فى ب « فما ضحك الدهر إلا إليك » وبان : ظهر ، والقطوب ـ بضم القاف ـ أن تزوى مابين عينيك ، ونقول : قطب بين عينيه ، وقطب مابين عينيه ـ من باب نصر ـ إذا كلح وزوى مابين عينيه .

(٢) الحجون ـ بفتح الحاء بزنة صبور ـ موضع بمكة ، وقيل : جبل بمكة ، وقال الأعشى ميمون بن قيس :

فما أنت من أهل الْحَجُونِ ولا الصَّفا ... ولا لَكَ حقُّ الشرْب فى ماء زَمْزَمِ

وقال عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمى يتأسف على البيت ، وقيل : القائل هو الحارث الجرهمى :

كأنْ لم يكن بين الْحَجونِ إلى الصَّفا ... أنيسٌ ، ولم يَسْمُرْ بمـكة سامر

بلى ، نحن كنَّا أهلها فأبادنا ... صروفُ الليـــالى والْجُدودُ العواثر

والرحيب فى كلام الشريف : الواسع ، يحلف ببيت الله الحرام .

(٣) فى ه « بقدر تضاءل فيه الذنوب » وهو تحريف ماأثبتناه موافقا لما فى ب . وتضاءل : أصله تتضاءل فحذف إحدى التاءين ، ومعناه تصغر وتهون ، يريد لقد اعتذر لك الدهر بأن أعلى شأنك ورفع قدرك فوق أقدار الناس فكان هذا العذر مما تصغر عنده الذنوب التى أسلفها إليك ويهون أمرها .

(٤) أجلى رجوعك عن حاسديك : انكشف عنهم فظهروا وبان حالهم ، ويقال للقوم إذا كانوا مقبلين على شىء محدقين به ثم انكشفوا عنه : قد أفرجوا عنه ، وأجلوا عنه . والسليب ـ بفتح السين بزنة قتيل ـ الذى أخذ سلبه وهو متاعه .

٢٣ تَحَرَّقُ منكَ قلوبُ العدا ... ةِ غَيْظاً وأنتَ ضَحوكٌ قَطُوبُ(١)

٢٤ وأجهلُ ذَا الناسِ مُسْتَنْهِضٌ ... دعاءً إلَى سَمْعِ مَنْ لا يُجِيبُ(٢)

٢٥ زَعانفُ يَسْتَصْرِخُونَ العُلَى ... وما اسْتَلَبَ العزَّ إلا نَجِيبُ(٣)

٢٦ وطال مُقَامُكَ فى منزلٍ ... تطلَّعُ من جانبيه الحُرُوبُ

٢٧ بضَرْبٍ كما اشْتَرَطَتْهُ السيوفُ ... وَطَعْنٍ كما اقْتَرَحَتْهُ الكُعُوبُ(٤)

٢٨ ونُجْلٍ تَغَلْغَلَ فيها الطِّعا ... نُ وانْشَقَّ عَنْهَا النَّجِيعُ الصَّبِيبُ(٥)

---

(١) تحرق : أصله تتحرق فحذف إحدى التاءين . والقطوب ههنا : الأسد ، وإنما قيل له ذلك لعبوسته .

(٢) استعمال كلمة « ذا » الإشارية فى الشعر مما عابه القاضى الجرجانى فى « الوساطة بين المتنبى وخصومه » وأبومنصور الثعالبى فى ترجمة المتنبى من « يتيمةالدهر » وانظر معذلك شرح البيت (٤ - ٢٧) .

(٣) الزعانف : جمع زعنفة ، - بكسر الزاى والنون وسكون العين بينهما - وهى فى الأصل الأديم (الجلد) كاليدين والرجلين ، وأسفل الثوب المتخرق ، ثم قيل للرذل الدنى من الناس زعنفة لقلة غنائه . ووقع فى ه « يصطرخون العلى » وهو بمعنى ماأثبتناه موافقا لما فى ب .

(٤) الكعوب: جمع كعب ، وهو العقدة من عقد الرمح ، وأراد هنا الرماح ، سماها كعوبا من باب تسمية الشىء باسم جزئه .

(٥) نجل - بضم النون وسكون الجيم - جمع نجلاء ، وأراد الطعنة النجلاء : أى الواسعة الجرح، وذلك كناية عن شدة الطعن وقوة الطاعن ، وتغلغل : أسرع ، أو دخل بجهد وتعب ، وتقول « تغاغل فى الشىء » إذا دخل فيه وكان دخوله مصحوبا بتعب وشدة ، ولا يقال ذلك والمذهب سهل ، والنجيع : دم الجوف خاصة ، والصبيب : السائل المنهمر ، وفى وصف طعنة شديدة يقول شاعر الحماسة قيس بن الخطيم :

طعنتُ ابنَ عبد القيس طعنَةَ ثائرٍ ... لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ أضاءها

ملكْتُ بها كفِّى فأنْهَرْتُ فَتْقَها ... يَرَى قائمٌ من دونها ما وراءها

٢٩ وصُحْبَةِ كُلِّ غلامٍ علي ... ه مِنْ سِمَةِ العزِّ حُسْنٌ وطِيبُ

٣٠ إذا خَضَبَ الرمح أدْمَى بِهِ ... كأنَّ السِّنانَ بَنانٌ خَضِيبُ[1]

٣١ وقَطْعِكَ كلَّ بعيدِ النِّياطِ ... كأنَّ الجوادَ بِهِ مُسْتريبُ[2]

٣٢ وأرْضاً إذا ما اجْتَلاهَا الهَجِيـ ... ـر طَلَّقَهَا مِن يَدَيْهِ الضَّريبُ[3]

٣٣ وما زالَ منكَ على النَّائباتِ ... مَقَامٌ عظيمٌ ويومٌ عَصِيبُ[4]

٣٤ فيومٌ حُسامُكَ فيه الْخَضيبُ ... ويومٌ لِسانُكَ فيـه الْخَطيبُ[5]

٣٥ طلبْتَ لنفسِكَ فاطْلُبْ لنا ... مِن العِزِّ ، إنَّ المحامى طَلُوبُ

٣٦ وإنْ كنْتَ تأنَفُ من حُبِّه ... فإنَّ العَلاء إلَيْنَا حَبِيبُ

٣٧ وما نَحْنُ أنْتَ ، وكلٌّ إلى ... دُعاءِ العُلى طَرِبٌ مُسْتَجِيبُ

٣٨ ونحنُ قَسَامٌ إلينـا الشباب ... وأنت قَسَام إليك المَشِيبُ[6]

---

(١) فى ه « إذا خضب الرمح أوما به » وهو محرف عما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(٢) « كل بعيد النياط » أراد الصحراء البعيدة الأطراف ، أى الواسعة الشديدة الاتساع ، فكأنها نيطت بمفازة أخرى فلا يكاد السالك فيها يقطعها و يأتى على آخرها ، وقال الزمخشرى فى أساس البلاغة « مفازة بعيدة النياط : أى الحد والمتعلق » والجواد : الفرس ، ومستريب : أخذ منه الريب والشك فى قدرته على اجتيازه .

(٣) الهجير : وقت الهاجرة ، وهو نصف النهار فى القيظ خاصة . والضريب ـ بفتح الضاد ـ الثلج والجليد والصقيع .

(٤) يوم عصيب : شديد .

(٥) الحسام ـ بضم الحاء ـ السيف القاطع ، وخضيب : أراد أنه ملطخ بالدماء من كثرة ضربه الأعداء . يريد أن له يومين : يوما تظهر فيه شجاعته بتخضيب سيفه بدم الأعداء ، و يوما تظهر فيه بلاغته .

(٦) فى ه « ونحن فسام » وفيها « وأنت فسام » بالفاء فى الموضعين ، وأثبتنا مافى ب ، والقسام ـ بالقاف مفتوحة ـ الحسن ، وتقول : قسم الغلام قسامة ـ من باب كرم ـ إذا كان

٣٩ على أنَّه أنت عينُ الزمانِ وعَيشٌ بلا ناظِرٍ لا يَطِيبُ(١)

٤٠ ولولاكَ ما لَذَّ طَعْمُ الفخارِ ولا راق بُرْدُ العَلاء القَشِيبُ(٢)

٤١ أترْضَى لِمَجْدِكَ أن لا يَكُونَ لَنَا مِن عَطاءِ المَعَالِي نَصِيبُ

٤٢ فلا يُقْعِدَنَّكَ كيدُ الحسو دِ وَانهَضْ فكلُّ مَرَامٍ قَرِيبُ

٤٣ وحُثَّ الطِّلاب فإنَّا نَجُدّ وأمْضِ الأمُورَ فإنا نَتُوبُ(٣)

٤٤ وَلِمْ لا يُضِيفُ العُلَا مَنْ له غَديرٌ مَعِين ومَرْعًى خَصِيبُ(٤)

٤٥ لحيَّاكَ منِّيَ عِنْـدَ اللِّقَا ءِ خَلْقٌ عَجيبٌ وخُلْقٌ أَديبُ

٤٦ وخَلَّفْتَنى غَرْسَ مُسْتَثْمِرٍ فَطَالَ وأَوْرَقَ ذاكَ القَضِيبُ(٥)

حسنا جميلا ، وسموا الشمس وقت ذرور قرنها قساما ـ بفتح القاف أيضا ـ وهى حينئذ أحسن ماتكون منظراً .

(١) الضمير فى « على أنه » ضمير الشأن وهو اسم أن ، وجملة « أنت عين الزمان » خبرها

(٢) فى ه « ولولاك ماالتذ طعم الفخار » وما أثبتناه موافقا لما فى ب أرق وأجمل. والقشيب: الجديد .

(٣) حث : أصله من قولهم « حثه على الأمر » من باب نصر ـ إذا حضه عليه ، وأراد هنا معنى أسرع به . والطلاب ـ بكسر الطاء ـ المطالبة بالحق . ونجد : مضارع جد فى الأمر ـ من باب نصر ـ إذا اجتهد فيه . وأمض الأمور : يريد أنفذها ولا تؤخرها . ونتوب : أراد نتوب عما كنا عليه من التقصير والأخذ بأسباب الدعة والتهاون .

(٤) « يضيف العلى » أراد أنه ينزلها بساحتها . والغدير : أصله القطعة من الماء يغادرها السيل والمعين ـ بفتح الميم ـ أراد العذب الصافى ، والمرعى : المكان الذى ترعى فيه الدواب ، والخصيب: النامى . وكنى بذلك عن تهيؤ أسباب المجد له وتوافرها لديه .

(٥) خلفتنى : تركتنى وغادرتنى ، والغرس ـ بفتح الغين وسكون الراء ـ النبات الذى نغرسه فى الأرض لينبت ، وأورق : صار ذا ورق ، والقضيب : العود ، يريد أنه تركه صغيرا فشب واكتمل ونما كما ينمو النبات وتزكو أغصانه .

٤٧ ذَخَرْتُ لك الغُرَرَ السائرا ... تِ يُعَبِّرُ عَنْهَا الفؤادُ الكَئِيبُ (١)

٤٨ تَصونُ مَنَاقِبَكَ الشاردا ... تِ أنْ تتخطَّى إليها العُيُوبُ (٢)

٤٩ إذا نَثَرَتْهَا شِفاهُ الرُّوا ... ةِ راقَكَ منها النِّظامُ العَجيبُ

٥٠ وَإِنِّى لأرجوكَ فى النائباتِ ... إذَا جاءَنِى الأمَلُ المستثيبُ (٣)

***

٢٧ – وقال يمدح أباه أيضاً ، ويهنئه بعيد الفطر من سنة سبع وسبعين وثلثمائة [من الطويل] :

١ لُغَامُ المطايا من رُضَابكِ أعْذَبُ ... ونَبْتُ الفَيافِى مِنْكِ أشْهَى وأطْيَبُ (٤)

---

(١) الغرر – بضم الغين وفتح الراء – جمع غرة ، وهى بياض فى جبهة الفرس قدر الدرهم ، وهو مما يتمدح به ، وغرة كل شىء : أوله ومعظمه ، والسائرات : التى تسير فى الناس ويتناقلونها ، وأراد بالغرر السائرات ههنا قصائده وأشعاره التى يقولها فيتناقلها الرواة ويتناشدونها لجودتها ، ووقع فى ه « يفتر عنها الفؤاد الكئيب » فى مكان « يعبر عنها الفؤاد الكئيب » . يريد أنه احتفظ بجيد شعره الذى يصدر عن قلب ملىء بالألم والحسرة ليذيع به محاسنه .

(٢) تصون : تحفظ ، والمناقب : جمع منقبة ، بفتح الميم والقاف بينهما نون ساكنة ، وهى المفخرة والفعل الكريم وكل ماعرف للانسان من خصال الخير وجميل الأخلاق ، وضدها المثلبة ، والشاردات : تحتمل معنيين أحدهما أن يكون مراده النافرات من الناس التى تأبى أن تحل بينهم لما جبلوا عليه من شر وفساد خيم ، يريد أن أشعاره تضمنت ذكر محاسنه وفصلتها تفصيلا يمنع قالة السوء أن يتقولوا عليها بماليس منها ، والثانى أن يكون أراد أنها مما يعز وجوده لكونها فى غاية السمو .

(٣) وقع فى ه « إذا جاء فى الأمل » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب . والمستثيب : الذى يطلب الثواب والجزاء . تقول : استثاب فلان فلانا ، تريد أنه طلب منه أن يثيبه .

(٤) اللغام – بضم اللام بزنة الغراب – مايخرج من أفواه الإبل مثل الزبد ، وتقول : لغم البعير يلغم لغما – بوزان قطع يقطع قطعا – إذا رمى بلغامه . والمطايا : جمع مطية ، وهى الدابة والرضاب – بضم الراء – ماء فم الإنسان (الريق) وقد اشتهر فى لسان الشعراء إطلاق الرضاب

٢ وما لِيَ عند البِيضِ يا قَلْبُ حاجةٌ وعندَ القَنَا والخيلِ واللَّيْلِ مَطْلَبُ (١)

٣ أُحَبُّ خَلِيلِيَّ الصَّفِيَّيْنِ صارمٌ وأَطْيَبُ دارَيَّ الخِباءُ المطَنَّبُ (٢)

٤ ذَلِيلٌ لريبِ الدَّهْرِ مَنْ كان حاضراً وحَرْبٌ لِذِي الأيام مَنْ يَتَغَرَّبُ (٣)

على ريق المحبوب . يريد أنه رجل جد كثير الأسفار ، حتى إنه ليرى لغام الإبل التى يسافر عليها فى مقاصده أعذب من ريق الحبيب ، ويرى أن اجتناء نبت الصحارى أشهى إلى قلبه من اجتناء القبل من خدود الملاح .

(١) البيض : جمع بيضاء ، وأراد الحسان من النساء ، والقنا : جمع قناة ، وأراد بها هنا الرمح يريد ولى عند القنا والخيل والليل مطلب ، وهذا البيت متصل بسبب من قول المتنبى :

الخيل واللَّيْلُ والبَيْدَاءُ تعرفنى والسَّيفُ والرُّمحُ والقِرْطَاسُ والقلم

(٢) خليل صفى : يصفو لك فى وده ولا يشوبه بقطيعة ، والصارم : السيف القاطع ، والخباء - بكسر الخاء - الخيمة ، وهى مسكن المسافرين فى الصحراء ، والمطنب : المشدود بالأطناب ، والأطناب : جمع طنب - بضم الطاء والنون جميعا - وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت ، أو الوتد .

(٣) ريب الدهر : صرفه ونوازله ، وأراد بقوله « من كان حاضراً » الذى تستهويه الإقامة فى الحضر ولا يقدم على قطع الفيافى ، وقابله بقوله « من يتغرب » يريد أن من أولع بالمقام فانه يذل ويخضع لما يجرى عليه من محن وبلاء ، وأن من وطن نفسه على احتمال مكاره الاغتراب فانه يقسر الأيام على أن تكون طوع قياده . هذا ، وقد عاب القاضى الجرجانى فى الوساطة وأبو منصور الثعالبى فى ترجمة المتنبى من اليتيمة ، على أبى الطيب استعماله لكلمة « ذا » الإشارية فى الشعر ، قال القاضى « وهى ضعيفة فى صنعة الشعر ، دالة على التكلف » وضربا لذلك الأمثلة من شعر المتنبى مثل قوله فى مطلع قصيدة يمدح فيها كافورا الإخشيدى :

أغالبُ فيك الشوقَ والشَّوْقُ أغلبُ وأعجبُ من ذا الهجرِ والوصل أعجبُ

و « ذى » فى قول الشريف « وحرب لذى الأيام » من هذه البابة ، ونظيره أيضا قوله (٢٤ - ٢٦) .

وأجْهَلُ ذَا الناسِ مستنهضٌ دعاءً إلى سمع مَنْ لا يُجيبُ

٥ ولي من ظهور الشَّدْقَمِيَّاتِ مَقْعَدٌ وفَوْقَ مُتُونِ اللَّاحِقِيَّاتِ مَرْكَبُ (١)

٦ لِثامي غُبَارُ الْخَيْلِ في كل غارةٍ وثَوْبي العَوَالي والحديدُ المذَرَّبُ (٢)

٧ أساكِتُ بعضَ الناسِ والقولُ نافع وأُغْمِدُ عَنْ أشياء والضَّرْبُ أنجَبُ

٨ وأطْمَعُني في العِزِّ أنِّي مُغامِر جَرِيءٌ على الأعداء والقَلْبُ قُلَّبُ (٣)

---

(١) الشدقميات : جمع شدقمية ، وهى المنسوبة إلى شدقم ـ بزنة جعفر ـ وهو فحل معروف من فحول إبل العرب ، قال الجوهرى : « شدقم فحل كان للنعمان بن المنذر ينسب إليه الشدقميات من الإبل » والعرب عندما تريد أن تصف الناقة بالصبر على السير واحتمال المتاعب تنسبها إلى شدقم ، ومن ذلك قول الكميت الأسدى :

غُرَيْرِيَّةُ الأنساب أو شَدْقَمِيَّةٌ يصِلْنَ إلى البِيرِ الفدافِدِ فَدْفَدَا

واللاحقيات : المنسوبة إلى لاحق ، وهو اسم فرس معروف من خيل العرب ، وقال الجوهرى فى الصحاح : « لاحق اسم فرس كان لمعاوية بن أبى سفيان » والظاهر أن الذى كان لمعاوية غير المعروف بين العرب بهذا الاسم ، ولعله من ذريته ، فان النابغة الذبيانى يقول :

فِيهِمْ بناتُ الأعوجيِّ ولاحقٍ وُرْقاً مراكِلُها من المِضْمار

يريد الشريف أنه ملازم لركوب الإبل واقتعاد غوارب الخيل ، يكنى بذلك عن كثرة أسفاره

(٢) اللثام ـ بكسر اللام ـ مايضعه الفارس فوق وجهه يستتر به مخافة أن يراه ذو ثأر فيغتاله ، وغبار الخيل: ماتثيره بسنابكها من التراب ، والغارة : الاسم من الإغارة على العدو ، والعوالى : جمع عالية ، وهى أعلى الرمح ، والمذرب : المحدد أو المسموم ، يريد أنه إذا تلثم الفرسان بما يسترهم عن أعدائهم فانه إنما يجعل لثامه ذلك الغبار الذى تثيره الخيل بحوافرها فى وقت إغارته على العدو وأن لباسه إنما هو دروع الحديد والرماح والسيوف التى ينقف بها هام الأعداء ، يصف نفسه بالفروسية والشجاعة .

(٣) مغامر : يلقى بنفسه فى المضايق ثقة بأن شجاعته تخلصه منها . وقلب ـ بزنة سكر ـ بصير بعواقب الأمور وتقلبها .

٩ وعندِىَ مِمَّا خَوَّل اللهُ سابحٌ وأَسْمَرُ عَسَّالُ الأنابيب مقْضَبُ(١)

١٠ وَلَيْسَ الغنى فى الْخَلْقِ إلاغَنيمةٌ نُحامِى عليها ، والْمَعَالِى تَغَلَّبُ(٢)

١١ إذا قلّ مالِى قلّ صَحْبِى وإنْ نَمَا فلى مِنْ جميع الناس أَهْلٌ ومَرْحَبُ

١٢ غِنَى المرءِ عزٌّ ، والفقيرُ كأنَّه لَدَى الناسِ مَهْنُوءُ الملاطَيْنِ أجْرَبُ(٣)

---

(١) خول الله : منح وأعطى . والسابح : الفرس الذى لايتعب راكبه لأنه يمشى على الأرض كأنما يسبح فى الماء ، وأراد بالأسمر العسال الرمح ، وعسلانه : اضطرابه واهتزازه ، وأصل هذه المادة من قولهم « عسل الذئب » إذا اضطرب فى عدوه وهز رأسه من مضائه ، وقال الشاعر يصف رمحا :

لَدْنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُه فيهِ كما عسلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ

يريد أن هذا الرمح يهتز فى يد صاحبه ويضطرب كما يضطرب الثعلب فى الطريق . والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو مابين كل كعبين من الرمح ، ومقضب ـ بزنة منبر ـ هو القاطع ، وأصله أن يقال فى وصف السيف ، ووقع فى ب * وأسمر عسال وأبيض مقضب *

(٢) وقع فى ه «إلاعفيفة» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب . يريد أن الغنى لايجىء الانسان وهو قابع فى كسر بيته ، وإنما يكسبه بجده ، ويأخذه من الدهر كما يأخذ المحارب غنائم الحرب من أعدائه ، والمعالى لاتجيئك عفواً ولكنك تكسبها بالتغلب .

(٣) مهنوء : اسم المفعول من قولهم « هنأ الرجل بعيره » من باب ضرب ونصر وقطع ـ إذا طلاه بالهناء ـ بكسر الهاء ـ وهو القطران ، ومن عادة العرب أن تطلى البعير الأجرب بالقطران ، والملاط ـ بكسر الميم بزنة الكتاب ـ جانب سنام البعير . والابل المطلية بالقطران مما يتحاماه أصحاب الابل لئلا تعدى إبلهم ، وقد كنى الشريف بقوله « كأنه إلى الناس مهنوء الملاطين أجرب » عن أن الناس يبتعدون عنه ويتحامونه ، وقد أخذ هذا من قول النابغة الذبيانى فى اعتذاراته إلى النعمان بن المنذر :

فلا تتركَنِّى بالوَعيد كأنَّنى إلى الناسِ مَطلِىٌّ به القارُ أجربُ

١٣ تطالِبُنى نَفْسِى بكلِّ عظيمةٍ ... أرى دونها جارى دمٍ يَتَصَبَّبُ (١)

١٤ ويأمرنى الذُّلاَّنُ أن لا أُطيعَها ... وأعْلَمُ من طُرْقِ العُلى أين أذْهَبُ (٢)

١٥ إذا كان حُبُّ المرءِ للشَّىْءِ ضَيْعَةً ... فأضْيَعُ شىء ما يَقُول المُؤَنِّبُ (٣)

١٦ أنا السَّيْفُ إلا أنَّنى فى مَعَاشر ... أرى كلَّ سيفٍ فيهمُ لا يُجَرَّبُ

١٧ ولا عِلْمَ لى بالغَيْبِ إلاَّ طَلِيعَةٌ ... منَ الحزمِ لا يَخْفى عليها المغيَّبُ (٤)

١٨ أُجَرِّبُ مَنْ أهواه قبْلَ فِرَاقِه ... فيَصْدُقُ منه الغَدْرُ والوُدُّ يَكْذِبُ

١٩ تَغَيَّرُ لِى أخلاقُ مَنْ كنت أصْطَفى ... وتَغْدِرُنِى أيامُ مَن كنت أصْحَبُ (٥)

٢٠ فلو لَوَّحَتْ لى بالبُروقِ سَحابةٌ ... لأغْضَيْتُ عِلماً أنَّ ما بان خُلَّبُ (٦)

---

(١) « جارى دم » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أى الدم الجارى ، وقد عامل فى هذه العبارة المنقوص فى حالة النصب كما يعامل فى حالتى الرفع والجر ، فنصبه بفتحة مقدرة على الياء ، وقد مر لذلك نظائر نبهنا إليها ، ويتصبب : يسيل .

(٢) الذلان ـ بضم الذال وتشديد اللام مفتوحة ـ الوصف من الذل ، مثل الذليل ، تقول: ذل فلان يذل ـ من باب ضرب ـ فهو ذليل وذلان ، إذا هان ، ضد عز فهو عزيز .

(٣) ضيعة ـ بفتح فسكون ـ أحد مصادر ضاع مثل ضياع . والمؤنب : اسم الفاعل من التأنيب ، وهو اللوم والتعنيف والتبكيت ، يريد أن المحب للشىء الشديد الولوع به لا يتأثر بلوم اللائمين.

(٤) أصل الطليعة مقدمة الجيش ومن يبعث أمامه ليستكشف العدو ويتعرف أخباره ، وأراد هنا بوادر حزمه وأخذه فى أوائل الأمور بما دلت عليه الخبرة والتجربة فتحسن العواقب وتقع النتائج على وفق ماظن فيكون كمن يعرف الغيب .

(٥) فى هـ « وتعذرنى أيام من كنت أصحب » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(٦) وقع فى هـ « فلو وجهت لى بالبروق » ولوحت : أصله قولهم « لوح فلان بثوبه لفلان » إذا رفع الثوب وحركه ليلوح ويظهر للناظر إليه ، وأراد هنا معنى أشارت لى ، والخلب ـ بزنة سكر ـ البرق الذى لا يتبعه مطر ، فهو مطمع مخلف .

٢١ إذا شِئْتُ فارقْتُ الحبيبَ وبَيْنَنَا ... من الشوق ما يُمْلِي عليَّ وأكْتُبُ (١)

٢٢ وليس نَسيبي أنَّ فى القلب لَوْعَةً ... ولكنّنى أبْكى زمانِي وأنْدُبُ (٢)

٢٣ ومَا نَافِعِى عندَ البعيدِ تَقَرُّبِى ... ولا ضائرِى عندَ القَرِيبِ التجنُّبُ (٣)

٢٤ قَرِيبُ الفتى دُونَ الأنامِ صَدِيقُه ... ولَيْسَ قريباً منه مَنْ لا يقرّبُ

٢٥ وما فى نِجَادِ السَّيْفِ زَيْنٌ لحامِلٍ ... ولا الزَّيْنُ إلا للفتى يومَ يَضْرِبُ (٤)

٢٦ أَخُو الْحَرْبِ مَنْ للسيفِ فيه عَلَامَةٌ ... وللطَّعْنِ فى جَنْبَيْهِ طرقٌ ومَلْعَبُ (٥)

٢٧ وحَسْبُ غلامٍ شاهِدًا بشَجَاعةٍ ... تَغِيظُ العِدى أنَّ القَنَا منه تُخْضَبُ (٦)

---

(١) أخذ عجز هذا البيت من قول أبى الطيب المتنبى :

وأخلاقُ كافورٍ إذا شئتُ مدحه ... وإن لم أشأ تُملى علىَّ وأكتب

وقد أخذه أيضاً الصاحب بن عباد فقال :

وما هٰذِهِ إلا وَليدةُ ليلةٍ ... يَغُور لها شِعْرُ الوليد وينضب

على أنها إملاء مَجْدِكَ ليس لى ... سوى أنَّهُ يُمْلى علىَّ وأكتب

(٢) النسيب : التشبيب بالنساء وذكر الشوق إليهن ، واللوعة : حرقة القلب من ألم الحب . يقول : إن ماأقوله من النسيب ليس صادراً عن لوعة القلب واهتياج الصبابة إلى الغوانى ، ولكنه بكاء من فعل الزمان .

(٣) ضائرى : اسم الفاعل فعله « ضاره يضيره » وهو فى المعنى مثل ضره يضره .

(٤) نجاد السيف ـ بكسر النون، بزنة الكتاب ـ حمائله ، يريد أنه لاعبرة بحسن المظهر ، وإنما المدار على المخبر :

تَرَى الرجُلَ النَّحِيفَ فتزدريه ... وفى أثوابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ

ويُعجبُكَ الطَّرِيرُ فتَبْتَلِيه ... فيُخْلِفُ ظنَّكَ الرجلُ الطَّرِيرُ

(٥) أخو الحرب : أى الملازم لها الخبير بها الجرىء على اقتحامها ، ووقع فى ه « للطعن فى جنبيه طرف » محرفا عما أثبتناه .

(٦) القنا : جمع قناة ، وأراد منها هنا الرمح ، وتخضب : تلطخ بالدم .

٢٨ إلى غايةٍ يَجْرى الأنامُ مِنَ الرَّدَى فماشٍ بَطىءٌ مَشْيُه ومُقَرَّبُ(١)

٢٩ يَغُرُّ الفتَى ماطال مِنْ حَبْلِ عُمْرِهِ وتُرْخِي المنايا بُرْهَةً ثم تَجْذِبُ(٢)

٣٠ يقولُون عَنْقَا مُغْرِبٌ مُسْتَحيلة ألاَ كُلُّ حىٍّ مات عَنْقَاءُ مُغْرِبُ(٣)

٣١ يطولُ عَناءُ العيس مادمْتُ فوقَهَا ومادامَ لِي رأىٌ وعَزْمٌ ومَذْهَبُ(٤)

٣٢ وهَوَّنَ عندى ما بِقَلْبى من الصَّدَى ظِماءٌ تُجَافى مَوْرِدَ الماءِ لُغَّبُ(٥)

---

(١) الردى : الموت ، يريد أن الناس جميعا يسيرون نحو الموت لأنه واقع لامحالة بكل أحد إلا أن من الناس من يسير إلى الموت بخطى سريعة ومنهم من يدلف إليه بخطى بطاء ، ووقع فى ب

* إلى غاية تجرى الأنام لنحوها *

(٢) وقع فى ه « يعز الفتى » محرفا عما أثبتناه ، وترخى: أصله من إرخاء الحبل إذا كنت تمسك أحد طرفيه ويمسك طرفه الآخر ممسك آخر ، وجذبه : شده . يريد أن المنايا ترخى الحبل للانسان برهة من الزمان فيأخذه الغرور ويحسب أنه منسوء له فى الأجل ، وما هو إلا أن تجذب المنية ما أرخته فاذا هو هالك .

(٣) يقول العرب : عنقاء مغرب ، وعنقاء مغربة ـ على الوصف فيهما ـ ويقولون أيضا : عنقاء مغرب ـ على الإضافة ـ وقد اختلف العلماء فى تفسيره ، فقال قوم : العنقاء طائر عظيم يبعد فى طيرانه ، وقال أبومالك : العنقاء المغرب رأس الأكمة فى أعلى الجبل الطويل ، وقال قوم : هو من الألفاظ الدالة على غير معنى ، وهذا هو الذى يشير إليه الشريف ، وقد قال أحد الشعراء فى ذلك أيضا :

أيقنْتُ أن المستحيل ثلاثة الغولُ والعَنْقَاءُ والخلُّ الْوَفِى

(٤) العيس : جمع أعيس أو عيساء ، والمراد الإبل ، وعناؤها : شقاؤها مما يكلفها طول السير .

(٥) الصدى : العطش ، أو شدته ، وظماء ـ بكسر الظاء ، وقد تضم ـ جمع ظمآن ، وتجافى مورد الماء : أراد تبتعد عن مشرب الماء ، ولغب ـ بضم اللام وفتح الغين مشددة ـ جمع لاغب وهو المتعب المعيى أشد الإعياء ، والظاهر أنه أراد بالظماء اللغب جماعة آل البيت رضوان الله عليهم، فقد اشتهر أن الحسين بن على رضى الله عنهما مات وهو ظمآن متعب .

٣٣ فما أنا بالوانى إذا كنتُ صادِيًا ... ولا الماء يُعْطينى قُوًى يومَ أَشْرَبُ[١]

٣٤ وما الوِرْدُ بعد الوِرْدِ بَلًّا لغُلَّتى ... وإنْ بلَّ ظمْءَ الداعِرِيَّاتِ مَشْرَبُ[٢]

٣٥ وَمَالِى إلى غير الحُسَيْنِ وَسيلةٌ ... وفى جُودِه دُونَ الرغائبِ أَرْغَبُ

٣٦ جَرىءٌ عَلَى الأمرِ الَّذِى لايَرومُهُ ... مِن القومِ إلا حازمُ الرأى أغْلَبُ

٣٧ ألا إنَّ فحلاً ساعدَتْهُ نَجيبةٌ ... فجاء بنَجْلٍ كالحسين لُمنْجِبُ[٣]

٣٨ وإنَّ مَحلاً حلَّ فيه لَوَاسعٌ ... وإنَّ زماناً عاش فيه لطَيِّبُ[٤]

٣٩ لَكَ اللهُ مِن مُغْضٍ على جُرْمِ جارِمٍ ... ولو شاء مَا استَوْلى على الذنبِ مُذْنِبُ[٥]

٤٠ وفى كلِّ يومٍ أنت طالبُ غارةٍ ... تجرِّرُ أذيالَ العَوَالى وتَسْحَبُ

٤١ تَنامُ على أمرٍ وهَمُّكَ ساهرٌ ... وتَنْزِلُ عن أمرٍ وعَزْمُكَ يَرْكَبُ

٤٢ تحقَّقَتِ الأحيـــاءُ أنَّكَ فَخْرُهَا ... وأغضَتْ عَلَى علمٍ نِزَارٌ ويَعْرُبُ[٦]

---

(١) الوانى : الضعيف المقصر الفاتر العزم ، يريد أن شرب الماء لايعطيه قوة، والانصراف عنه لايضعف عزمه .

(٢) الورد ـ بكسر الواو وسكون الراء ـ وورود الماء ، والغلة ـ بضم الغين ـ العطش ، أو شدته ، أو حرارته . والداعريات : جمع داعرية ، وهى المنسوبة إلى داعر ، وهو فحل منجب تنسب إليه الداعرية من الإبل .

(٣) وقع فى ه « ألا أى فحل » ووقوع اللام فى الخبر فى قوله « لمنجب » يؤيد ماأثبتناه موافقا لما فى ب .والفحل : أراد به الوالد ، والنجيبة : المرأة التى تلد النجباء ، وقالت قتيلة أخت النضر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

أمحمدٌ ولدتكَ خيرُ نجيبةٍ ... فى قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ

(٤) وقع فى ه « فان محلا » .

(٥) تقول : أغضى فلان عن الأمر الفلانى ، تريد أنه لم تلتفت إليه ولم يلق إليه بالا ، ووقع فى ه « على حزم حازم » محرفا عما أثبتناه عن ب .

(٦) وقع فى ه « وأغضبت فى علم » محرفا ، ونزار : هو ابن معد بن عدنان ، وأراد به العرب العدنانية، ويعرب : هو ابن قحطان ، وأراد العرب القحطانية ، ولا يخرج عربى عن أن

٤٣ إذا شِئْتَ أحْياناً شَفاكَ من العِدَى ... سِنَانٌ بَصيرٌ بالطعان وَمَضْرِبُ

٤٤ وخَيْلٌ لها فى كل شرقٍ ومغربٍ ... عقيرٌ مُدَمًّى أو طَعِينٌ مُخَضَّبُ (١)

٤٥ إذا طَلَعَتْ نَجْداً أضاءَتْ وُجوهُها ... وقُدَّامَها من سابق النَّقْع غَيْهَبُ (٢)

٤٦ يصيحُ القَنَا فى كل حَيٍّ تَرومُهُ ... ويُرْدِى بك الأعداءَ يومٌ عَصَبْصَبُ (٣)

٤٧ أَلا ربَّ حالٍ ساعَدَتْكَ وفتكةٍ ... رَدَدْتَ بها قَرْنَ الرَّدَى وهو أَعْضَبُ (٤)

٤٨ رَمَيْتَ بها قَلْبَ العدُوِّ بخيْفةٍ ... وَوَلَّيْتَ والْمَغْرُورُ يَلْهُو ويَلْعَبُ

٤٩ كما خَرَقَ الرامى بسَهْمٍ رَمِيَّـهُ ... وأعْرَضَ علماً أنه سوفَ يَعْطَبُ (٥)

٥٠ عَدُوَّانِ أما واحـدٌ فَمُكَاشِفٌ ... جَرِىءٌ وأمَّا آخَرٌ فمُؤَلِّبُ (٦)

٥١ يُمَسِّحُ خِلْفَ الشَّرِّ ذَاكَ بِخِفْيَةٍ ... وهذا طويلُ الباعِ يَمْرِى فيَحْلُبُ (٧)

يكون عدنانيا أو قحطانيا ، فقد أراد أن جميع العرب قد أقرت بأنه فخر الأحياء جميعا .

(١) أراد بالعقير المقتول ، ومدمى : قد أسيل دمه ، أو لطخ بدمه ، ومخضب : ملطخ باللدم .

(٢) النجد ـ بفتح فسكون ـ ما ارتفع من الأرض . والنقع ـ بفتح فسكون ـ الغبار ، ووقع فى ه « الفقع » محرفا ، ووقع فى ب « من سائق النقع » محرفا أيضا

(٣) يصيح القنا : أراد تشتجر الرماح فيسمع لها صوت ، وترومه : تقصده ، ويوم عصبصب : شديد .

(٤) قرن أعضب : مكسور ، والقرن سلاح بعض الحيوان ، فاذا انكسر فقد ضاعت قوته ، فهذه كناية عن أنه رد الردى منهزما قد فقد سلاحه الذى يسطو به .

(٥) رميه : الذى رماه ، فهو فعيل بمعنى مفعول ، ويعطب : يهلك .

(٦) مكاشف : أراد أنه يظهر عداوته ويجاهر بما فى نفسه ، ومؤلب : اسم فاعل فعله ألب تأليبا ، وتقول : ألب فلان بين القوم ، تريد أنه أفسد بينهم وحرض بعضهم على بعض .

(٧) الخلف ـ بكسر الخاء وسكون اللام ـ حلمة ضرع الناقة ، وقد جعل للشر خلفا وجعل عدوه يمسح ذلك الخلف ، مجازا . وتقول : مرى فلان الناقة يمريها مريا ـ من باب ضرب ـ تريد أنه مسح ضرعها لتدر ، ويحلب : يخرج ما فى ضرعها من اللبن . ووقع فى ب « يمسح خلف الشر ذاك بخيفة »

٥٢ يَرومونَ غيًّا والعوائقُ دونَهُمْ ... وَيَرْمُونَ بغْيًا والمقاديرُ تَحْجُبُ

٥٣ سمائِكَ طَلَّاعًا إلى العمر مَشْرِقٌ ... وأدْبَرَ بالباغى إلى الموتِ مَغْرِبُ

٥٤ فذَاكَ كما شاء الفُسوقُ مُبَغَّضٌ ... وأنْتَ كما شاء العَفافُ مُحَبَّبُ

٥٥ أهَنِّيكَ بالعيدِ الجَديدِ تَعِلَّةً ... وغيرُكَ بالأعيادِ واللَّهْوِ يعْجَبُ (١)

٥٦ فلا زالَ ممدودًا عليكَ ظِلالُهُ ... ولا زِلْتَ فى نعْمائِهِ تَتَقَلَّبُ

٥٧ ولا ظَفِرَ الباغى عليكَ بفُرْصَةٍ ... ولا طَلَبَ الأعداءما كُنْتَ تَطْلُبُ

٥٨ غَمامُكَ فَيَّاضٌ وريحُكَ غَضَّةٌ ... ووَادِيكَ مَلْآنُ وَفَاعُكَ مُعْشِبُ (٢)

٥٩ إذا قيلَ فيكَ الشعرُ جَوَّدَ مادحٌ ... وأكْثَرَ وَصَّافٌ وأعرقَ مُطْنِبُ (٣)

٦٠ وَغيرُكَ لا أطْرِيهِ إلاّ تكلُّفًا ... وَغيرُ حَنينى عند غيْرِكَ مُصْحِبُ (٤)

٦١ بَغيضٌ إلى الأيَّام أنَّكَ لى حِمًى ... وغَيْظُ بنى الأيام أنَّكَ لى أبُ

٦٢ أبَعْدَ النبيِّ والوَصِيِّ تروقُنى ... مَنَاسِبُ مَنْ يُعْزَى لمجْدٍ ويُنْسَبُ (٥)

---

(١) وقع فى ه « وغيرك بالأعياد واللهو يلعب » وأثبتنا ما فى ب .

(٢) ورد عجز هذا البيت فى ب ☆ وحوضك ملآن وروضك معشب ☆ وأراد بقوله « غمامك فياض » أن سحابه ملىء بالمطر ، والقاع : الأصل فيه الأرض السهلة المطمئنة التى انفرجت عنها الجبال والآكام ، ومعشب : اسم فاعل فعله أعشبت الأرض أى أنبتت العشب ، وهذه العبارات كلها كنايات عن سبوغ النعم على الممدوح ووفورها لديه .

(٣) أعرق : صار عريقا فى قول الشعر أى أصيلا فيه ، والمطنب : اسم فاعل من الإطناب ، وهو الاتساع فى العبارة والإكثار من القول .

(٤) لا أطريه : لا أمدحه ولا أثنى عليه . والمصحب ـ بكسر الحاء المهملة ـ هو المستقيم الذاهب الذى لا يتلبث ولا يتمهل ، يعنى أنه يلقى غير الممدوح بغير الحنين من غير أناة ولا تريث .

(٥) الوصى : أراد به أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وأراد بالمناسب القرابة ، ويعزى ـ بالبناء للمجهول ـ ينسب .

٦٣ يُقِرُّ بفَضْلِى كلُّ بادٍ وحاضِرٍ ... ويَحْسُدُنِى هٰذَا العظيمُ المحجَّبُ (١)

٦٤ ومَنْ لى بأنْ يشتاق ما أنا قائلٌ ... ويَسْمَعَ منى ما يَرُوقُ ويُعْجِبُ

٦٥ ولولا جـزَاءُ الشِّعْرِ ممَّنْ يُرِيدُهُ ... وَجَدْتُ كثيراً مَنْ أغنَّى وَيَطْرَبُ (٢)

٦٦ ألاَ إنَّ راعِى الذَّوْدِ يُعْنَى بذَوْدِهِ ... حِفاظاً وراعِى الناسِ حَيْرَانُ مُغْرِبُ (٣)

٦٧ أُحِبُّـكُمُ مادمْتُ أُعْزَى إِلَيْـكُمُ ... ومادامَ لِى فيكُمْ مَرَادٌ وَمَطْلَبُ (٤)

٦٨ وإنى عَلَى الرَّبْعِ الَّذِى لايضمكُمْ ... على كُلِّ حالٍ نازحُ الودِّ أجْنَبُ (٥)

٦٩ فلا تَتْرُكَنِّى عاطِلاً مِنْ مُرُوَّةٍ ... ولا قانعاً بالدُّونِ أَرْضَى وأغْضَبُ (٦)

---

(١) باد : ساكن البيداء وهى الصحراء ، وحاضر : ساكن الحاضرة ، وهى المدن ، وأراد أن جميع الناس يعترفون له بالفضل ، إذ لا يكون أحد إلا وهو يسكن أحد هذين ، وأراد بالعظيم المحجب الخليفة أمير المؤمنين ، لأنه محجوب عن عيون العامة .

(٢) يطرب : يأخذه الطرب ، وهو شبه نشوة تعترى الإنسان عند حصول مايسره ، يريد لولا أن الشعراء اعتادوا أن يقولوا الشعر لينالوا عليه الجزاء ممن يمدحونه ، وأن إبائى يمنعنى أن أسلك مسلكهم ، لوجدت كثيراً من الناس أغنى لهم بشعرى فيطربون له .

(٣) الذود : جماعة الإبل من الثلاثة إلى العشرة ، وفى كلامهم « الذود إلى الذود إبل » ، ويعنى - بالبناء المجهول - يهتم ، وحفاظا - بكسر الحاء - محافظة عليها ، وراعى الناس : أميرهم ، وحيران : حائر ، وأحسن مايفسر به قوله « مغرب » أنه اسم فاعل من قولهم « أغرب فلان فرسه » إذا أجراه جريا متتابعا إلى أن يموت ، يريد أن راعى الناس يشق عليهم ولا يبالى مانزل بهم.

(٤) أعزى - بالبناء للمجهول - أنسب ، ومراد - بفتح الميم - اسم المكان من راد الكلأ يروده إذا طلبه وبحث عنه .

(٥) الربع - بفتح فسكون - أصله المنزل الذى ينزل فيه الناس زمن الربيع ، وأراد هنا المنزل مطلقا ، ولا يضمكم : لا يحتويكم ، ونازح الود : بعيده ، والأجنب : الغريب مثل الأجنبى .

(٦) العاطل : أصله المرأة التى لاحلى لها ، وأراد خاليا ، والمروءة - بوزن السهولة - آداب نفسية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات ، ووقع فى جميع

٧٠ فـا أنَا بالوَانِى إذا مادَعوتَنِى ... ولامَوْقِفِى عما شهدْتَ مُغَيَّبُ (١)

٧١ أمَالِى قَرَارٌ فى نعيم ولَذَّةٍ ... فإنِّىَ فِى الضَّرَّاء أطْفُو وأرْسُبُ (٢)

٧٢ أريدُ مِنَ اللهِ القضاءَ بحالـــة ... تقرُّ بها عينٌ وقلبٌ مُعَذَّبُ

٧٣ وأسْأَلُ أنْ يُعْطِيكَ فى العُمْرِ فُسْحَةً ... لِعِلْمِىَ أنَّ العمرَ يُعْطَى ويُوهَبُ (٣)

* * *

٢٨ – وقال يمدحه أيضاً ويهنئه بعيد الفطر من سنة ثمان وسبعين وثلثمائة [من الكامل]

١ مَثْوَايَ إما صَهْوَةٌ أو غَارِبُ ... ومُنَاىَ إمَّا راعِفٌ أو قَاضِبُ (٤)

الأصول « مروّة » بتشديد الواو من غير همزة، ووجهه أنه سهل الهمز بقبلها واوا ثم أدغم إحدى الواوين فى الأخرى ، والقانع ههنا : الراضى ، والدون : أدنى الأشياء وأسفلها .

(١) الوانى : الضعيف الهمة الفاتر العزم ، ومغيب – بتشديد الياء مفتوحة – اسم المفعول فعله غيب فلان كذا إذا لم يحضره . يريد أنه سريع الاستجابة إذا مادعاه، وأنه يحضر كل مشاهده.

(٢) قرار – بفتح القاف، بزنة سحاب – أراد المستقر ، وأطفو : أصل معناه أعلو على وجه الماء ، وأرسب – من مثال خرج يخرج خروجا – أصل معناه أثقل وأنزل فى جوف الماء ، وأراد هنا أنه كثير المشاركة فى الضراء يتقلب فيها معهم .

(٣) وقع فى ه « فعلمى أن العمر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب ، وفسحة – بضم فسكون – أصلها السعة والفرجة بين الدور ونحوها ، وأراد امتداد العمر وأن ينسأ له الله فى حياته .

(٤) المثوى – بفتح الميم والواو بينهما ثاء ساكنة – اسم مكان من قولهم « ثوى فلان بالمكان يثوى » إذا نزل به وأقام فيه، والصهوة – بفتح فسكون – مقعد الفارس من الفرس، والغارب: الكاهل . والراعف – بالراء والعين المهملتين – يحتمل أن يكون اسم فاعل من قولهم « رعف الفرس الخيل » من باب نصر وقطع – إذا سبقها وتقدم عليها ، وعلى هذا يكون مراده بالراعف فرسا سباقا ، ولكنه يكون مكرراً مع قوله « مثواى إما صهوة » ويحتمل أن يكون قد أراد بالراعف الرمح سمى بذلك لأنه يقدم للطعن أو لأن الدم يسيل منه، من قولهم «رعف الدم» من

٢ فى كل يوْمٍ تَنْتَضِينى عَزْمَةٌ ... وَتَمُدُّ أعْنَاقَ الرِّجَاءِ مَآرِبُ(١)

٣ قلبٌ يُصَادِقُنى الطِّلابَ جراءةً ... ومِنَ القلوب مُصَادق ومُوارِبُ(٢)

٤ ما مَذْهَبِى إلَّا التَقَحُّمُ بالْقَنَا ... بين الضُّلوعِ، وللرِّجال مَذَاهِبُ(٣)

٥ وعَلَىَّ فى هذا المقالِ غضاضةٌ ... إنْ لم يُسَاعِدْنى القضاءُ الغالِبُ(٤)

٦ مالِى أخوَّفُ بالرَّدَى فأخَافَهُ ... هيهاتَ لِى فى الْخَلْقِ بعدُ عَجَائِبُ

٧ والعزمُ يطرَحُنى بكلِّ مَفَازةٍ ... مُتَشَابِهٌ فيها زُبًى وغَوَارِبُ(٥)

٨ أُعْطى الهَجيرَ مُرادَهُ مِنْ صَفْحَتِى ... ويكُدُّ سَمْعِى بالصَّرِيرِ جَنَادِبُ(٦)

٩ إمَّا أقيمُ صدورَ مَجْدِى بالْقَنَا ... وَيَقَرُّ عَضْبِى أو تَقومَ نَوَادِبُ(٧)

باب علم ـ إذا سال ، وهذا المعنى أوجه ، ووقع فى ب « زاغف » وأراه محرفا ، والقاضب : السيف القاطع .

(١) وقع فى ه « وتمد أعناق الرجال » محرفا ، وتنتضينى : أصله قولهم « انتضى فلان سيفه » إذا استله من غمده ، وأراد تحفزنى إلى العمل .

(٢) يصادقنى : أراد أنه يصدقه فى عزماته ولا يدعوه إلى الجبن ، والموارب : المخاتل المخادع .

(٣) التقحم : أصل هذه الكلمة قولهم « تقحم الفرس النهر » إذا دخل فيه .

(٤) الغضاضة ـ بفتح الغين ـ الذلة والمنقصة .

(٥) المفازة : الصحراء ، سموها بذلك تفاؤلا لسالكها بالفوز والنجاة من المخاوف ، والزبى جمع زبية ـ بضم الزاى فيهما ـ وهى الرابية التى لا يعلوها الماء ، والغوارب : جمع غارب ، وأصله الكاهل ، وأراد هنا أعالى الآكام ، ووقع فى ه « متشابه فيها ربى ومغارب » .

(٦) الهجير ـ بفتح الهاء ، بزنة أمير ـ الوقت فى نصف النهار زمن القيظ خاصة ، والصفحة ـ بفتح فسكون ـ الجنب ، وصفحة الوجه : عرضه ، وتكد : تتعب ، مضارع كده ـ من باب نصر ـ إذا أعياه وأجهده وأتعبه . والجنادب : جمع جندب ، وهو ضرب من الجراد ، وصريره : صوته .

(٧) أقيم : أعدل وأقوم ، ويقر : يستقر ، العضب : السيف القاطع ، والنوادب : جمع نادبة ، وهى التى تبكى الميت وتذكر حسن فعاله ، ووقع فى ه « إما أقيم صدور مجدى بالعلا » محرفا .

١٠ متلفتاً وذُرَى الرِّمالِ كأنَّها ... دُونَ النواظر عارضٌ مُتراكبُ (١)

١١ أصبَابةً من بَعْدِ ما ذَهَبَ الْهَوَى ... طَلَقًا ، وأعْوَزَ مايُرَامُ الذَّاهِبُ (٢)

١٢ وَعَلَىَّ تَضْمِيرُ الجِيادِ لغَارةٍ ... فيها خَضِيبٌ بالدِّماء وخاضِبُ (٣)

١٣ أرِضًا وذُؤْبَانُ الخُطوبِ تنوُشُنِى ... والعَزْمُ مَاضٍ والرِّماحُ سَوَالِبُ (٤)

---

(١) وقع فى ب « متأنقا وذرى الرمال ـ إلخ » والمتأنق : الذى يتخير أنق المواضع وأحسنها. والذرى ـ بضم الذال ـ جمع ذروة ، وهى أعلى الشىء ، والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ، وهو أيضا الجبل، ويبعد أن يكون مقصوداً هنا ، والمتراكب : المتراكم الذى بعضه فوق بعض ، ووقع فى ه « عارض يتراكب » .

(٢) الصبابة : العشق وميل النفس مع الفتوة ، وطلقا ـ بفتح الطاء وسكون اللام ـ أى غير مقيد ، يريد أنه ذهب ذهابا لايعود بعده ، والمراد من الهوى أسبابه من الشباب وفراغ البال ووقع فى ه « من بعد ماذهب القوى » محرفا ، ويرام ـ بالبناء للمجهول ـ يطلب ويقصد ، وأعوز : أفعل تفضيل، ومعناه أبعد الأشياء منالا إذا طلبته هو الذى ذهب عنك .

(٣) « تضمير الجياد » الجياد : جمع جواد ، وهو الفرس ، وأصل التضمير أن تربطها وتكثر ماءها وعلفها حتى تسمن، ثم تقلل ماءها وعلفها مدة، ثم تركضها فى الميدان حتى تهزل ، ومدة التضمير عند العرب أربعون يوما ، وأراد منه ههنا إعداداها وتهيئتها ، والغارة : الاسم من الاغارة على العدو ، وخضيب : أصله الملون بلون الخضاب وهو الحناء ونحوه ، فعيل بمعنى مفعول ، وخضاب الخيل بالدم أن يسيل دم راكبها عليها ، وخاضب : أراد أن راكب بعض الخيل يسيل دم قرنه ، والمعنى أن عليه إعداد الخيل وتهيئتها للاغارة على الأعداء فى معركة يفوز فيها قوم ـ وهو يعنى الفريق الذى يكون فيه ـ وينهزم فريق آخرهم أعداؤه.

(٤) الاستفهام فى قوله « أرضا » بمعنى النفى ، يريد أنه لايرضى على هذه الحال . وذؤبان : جمع ذئب ، والخطوب : جمع خطب ، وهو النازلة العظيمة والشأن الفظيع ، وتنوشنى : تطلبنى لتقع على ، أو تنالنى ، وفى ه « والعز مأمن » وليس بشىء ، وصوابه عن ا ، ب. وسوالب : جمع سالب ، وهو اسم الفاعل من سلبت فلانا ماله ونحوه ، إذا أخذته منه قهرا وغلبة ، وفسره فى هامش ب بالطويل ، وهو بعيد ، لأن الذى بمعنى الطويل سلب بزنة كتف ، وسوالب لاتكون جمعا لسلب ، وإسناد السلب إلى الرماح لكونها السبب فيه .

١٤ أنا أكلة المُغتاب إنْ لَمْ أجْنِها ... شَعْوَاء يَحْضُرها العُقَاب الغَائِبُ (١)

١٥ وكأنّما فيها الرماحُ أراقِمٌ ... وكأنّما فيها القِسِيُّ عَقَارِبُ (٢)

١٦ قد عَزَّ مَنْ ضَنَّتْ يَدَاه بوَجْهِهِ ... إنَّ الذليلَ من الرجال الطَّالِبُ (٣)

١٧ إنْ كانَ فَقْرٌ فالقريب مُباعِدٌ ... أوْ كان مالٌ فالبعيدُ مُقارِبُ

١٨ وأرى الغِنَى مُطاعنًا بثَرَائِه ... أعْدَاءَهُ ، والمالُ قِرْنٌ غالبُ (٤)

١٩ يشكو تَبَذُّلِيَ الصِّحابُ ، وعاذِرٌ ... أنْ ينبذ الماءَ المرنَّقَ شَارِبُ (٥)

٢٠ مِنْ أجْلِ هٰذا الناسِ أبْعَدْتُ الهَوَى ... ورَضيتُ أن أبْقَى ومالِي صاحبُ (٦)

---

(١) « أنا أكلة المغتاب » المغتاب : هو الذى يتكلم بالغيبة فيذكر الناس بما يكرهون من صفات الشر ، وقد جعل القرآن الكريم المغتاب كمن يأكل لحم الناس أمواتا فى قوله جل شأنه (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) وهذا التعبير فى كلام الشريف مأخوذ من ذلك ، يريد أن يقول : عرضت نفسى لذم الذامين واغتياب المغتابين إن لم أفعل كذا وكذا ، والضمير فى قوله « إن لم أجنها » يعود إلى الغارة . والشعواء: المتفرقة ، يريد أنها واسعة النطاق ، والعقاب : طائر من جوارح الطيور من شأنه أن يأكل جثث القتلى ، وكنى بحضور العقاب الغائب هذه الغارة عن كثرة القتلى فيها .

(٢) الأراقم : جمع أرقم ، وهو أخبث الحيات وأشدها طلبا للناس .

(٣) ضنت : بخلت ، يريد لم تمتد يده إلى نوال الناس حرصا على ماء وجهه .

(٤) الثراء ـ بفتح الثاء ـ كثرة المال حتى يكون مثل الثرى ـ أى التراب ـ كثرة ، وقرن الرجل ـ بكسر القاف ـ كفؤه الذى يساويه فى الشجاعة .

(٥) تبذل الرجل : عمل عمل نفسه بنفسه ، وترك التصاون ، ووقع فى ه « وغادر » محرفا والماء المرنق ـ بفتح الراء وتشديد النون مفتوحة ـ المكدر المشوب بالأقذاء ، يقول : إن أصحابى يشكون منى ترك التصاون ، وأنى أعمل بنفسى ما أحتاجه من الأعمال ، وأعيش عيشة الزهد والكفاف ، وقد كان ميسورا لى أن أعيش عيشة الترف والثراء ، ولكن منعنى ذلك أننى لا أحب أن أنال رغد العيش بذل النفس .

(٦) « هذا الناس » أشار باسم الإشارة الموضوع للمفرد المذكر إلى الناس مع أنه جمع فى

٢١ وَأَىُ اللَّيَالِى إِن غَدَرْنَ فَإِنَّهُ ... ماسَنَّ أحبابٌ لنا وحَبَائِبُ (١)

٢٢ الذَّنْبُ لى إِنِّى جَزِعْتُ وعَنْوَنَتْ ... عَنِّى دموعُ العينِ وَهْىَ سواكِبُ (٢)

٢٣ دُنْيَا تَضُرُّ ولا تَسُرُّ وذَا الْوَرَى ... كُلٌّ يُجَاذِبُهَا وكلٌّ عاتِبُ (٣)

٢٤ تُلْقِى لَنَا طَرَفًا فإِنْ هِىَ أَعْرَضَتْ ... نَزَعَتْ ولو أن الجِبالَ جَوَاذِبُ (٤)

٢٥ هَيهاتَ يا دُنْيَا وبَرْقُكِ صادِقٌ ... أرجو فكيفَ إِذَا وبَرْقُكِ كاذِبُ (٥)

المعنى، كما فعل لبيد بن ربيعة العامرى فى قوله :

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحياة وطُولِهَا ... وسُؤَالِ هَذَا الناسِ كَيْفَ لَبِيدُ

وقوله « أبعدت الهوى » أراد به أنه جعل مقاصده بعيدة عن مستوى آمال نظرائه، أو أنه لم يجعل حبه لواحد من الناس لأنهم لا يلائمونه ولا تتفق نوازعهم مع نوازعه .

(١) الوأى ـ بفتح الواو وسكون الهمزة ـ الوعد ، وفى ألغاز النحاة :

إِنَّ هِنْدُ المليحةُ الحسناء ... وَأَىَ مَنْ أَضْمَرَتْ لِخِلٍّ وَفَاءَ

والأحباب : جمع حب ـ بكسر الحاء ـ والحبائب : جمع حبيب ، وهما بمعنى ، مثل الحدن والحدين والإلف والأليف والمثل والمثيل والشبه والشبيه .

(٢) جزعت : أظهرت الحزن ، وعنونت : مأخوذ من العنوان ، وهذا مأخوذ من قول العباس بن الأحنف :

لَا جَزَى اللهُ دَمْعَ عَيْنِىَ خيراً ... وجَزَى اللهُ كلَّ خيرٍ لسانى

كنتُ مثْلَ الكتابِ أَخْفَاهُ طىٌّ ... فاسْتَدَلّوا عليه بالعُنْوَانِ

والسواكب: جمع ساكبة ، وتقول : سكبت العين الدمع ، إذا صبته .

(٣) اقرأ ما كتبناه على استعمال « ذا » فى شرح بيت سابق.

(٤) تلقى لنا طرفا : أراد بهذه العبارة أن الدنيا تعطينا طرفا من متاعها لنغتر بها، ونزعت: كفت وأقلعت ، ووقع فى ه « ولو أن الجبال قواضب » وأثبتنا مافى ا ، ب . وجواذب : جمع جاذب ، وتقول : جذبت الشىء جذبا ـ من باب ضرب ـ إذا مددته .

(٥) البرق الصادق : الذى يتبعه المطر ، والبرق الكاذب : الذى لا يأتى عقيبه مطر ، ويكنون بالبرق الصادق عن المواعيد التى يوفى أصحابها ، وبالبرق الكاذب عن المواعيد التى لا وفاء لها ،

٢٦ وَالناسُ إمَّا قانعٌ أو طالبٌ ... لا يَنْتَهِى أو رَاغِبٌ أو راهِبُ(١)

٢٧ وإذا نَعِمْتَ فكلُّ شىءٍ مُمْكِنٌ ... وإذا شَقِيتَ فكلُّ شىءٍ عازِبُ(٢)

١٨ قد قلتُ للباغِى علىَّ ودُونَهُ ... مِنْ فَضْلِ أحلامى ذُرًى وذوائِبُ(٣)

٢٩ احْذَرْ مُبَاغَضَةَ الرجال فإنَّها ... تُدْمى وتقدر أن يَقُولَ العائِبُ(٤)

٣٠ البِيدَ يَا أيْدِى المطىِّ فإننِى ... لِلضَّيْمِ إن أُسْرَى إلىَّ مُجانِبُ(٥)

٣١ ومَجَاهِلُ الفَلَوَاتِ أطيبُ منزلٍ ... عِنْدِى وأَوْفَى الواعِدِينَ نَجَائِبُ(٦)

يقول : لو أنى كنت أعلم أن إقبال الدنيا بوجهها على سيكون حقا فتتبعه الهناءة ورغد المعيشة لما اغتررت بها ، فكيف وأنا أعلم أنه إقبال سيكون من بعده التجهم وانتكاث الحال ؟

(١) الراهب : اسم الفاعل من الرهبة ، وهى الخوف . تقول : رهب الرجل يرهب ـ من باب علم ـ رهبة ، إذا خاف .

(٢) كل شىء ممكن : سهل ميسر ، وكل شىء عازب : بعيد ، أراد أنه غير ممكن ولا ميسر .

(٣) الأحلام : جمع حلم ـ بكسر فسكون ـ وهو العقل والأناة ، والذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى الشىء ، والذوائب : جمع ذؤابة ، وهى أعلى الشىء أيضا .

(٤) مباغضة الرجال : مغالبتهم فى البغض ، وتدمى : تسيل الدم ، وتقدر : تهيء ، وتقول : قدر الشىء يقدره ـ من باب ضرب ـ قدارة ، إذا هيأه ووقته ، يقول : إننى قلت لمن يظهر لى الكراهية والبغضاء فى حين أن حلمى وأناتى يحوطانه : لاتغالب الرجال فى البغضاء ، لأنك لاتحتمل بغضاء الرجال من قبل أن عواقبها وخيمة وأنها تهيء لمن يريد أن يعيب الفرصة لأن يقول مايشاء .

(٥) « البيد » جمع بيداء ، وهى الصحراء ، سميت بذلك لأن سالكها يبيد فيها ، أى يهلك ، وهو منصوب على الإغراء ، بفعل محذوف ، أى الزمى البيد ، أو اسلكى البيد ، أو نحو ذلك . والمطى : جمع مطية ، وهى ماتمتطيه فى أسفارك من ناقة وغيرها . والضيم ـ بفتح فسكون ـ الذل والرضا بالقهر والغلبة ، وأسرى إلى : أراد سار نحوى ، ومجانب : مباعد .

(٦) المجاهل : جمع مجهل ، وهو فى الأصل موضع الجهالة ، وأراد الموضع الذى يضل سالكه لخلوه من العلامات الذى يهتدى بها ، والفلوات : جمع فلاة ، وأوفى الواعدين : أى أكثرهم وفاء ،

٣٢ وَإِذا بَلَغْنَ بِى الحسينَ فإنه حَقٌّ لهنَّ على المطالب وَاجِبُ (١)

٣٣ فِى بَلدةٍ فيها العيونُ حوافِلٌ والرَّوْضُ غَضّ والرياحُ لَوَاعِبُ (٢)

٣٤ عَجَبٌ مِنَ الأيام رُؤْيَةُ مثلِهِ نجمَ الْعُلى إذ كُلُّ نَجْمٍ غارِبُ (٣)

٣٥ أَوْرَدْنَه أطرافَ كلِّ فضيلةٍ شِيَمٌ تساندُهَا عُلًا وَمَنَاقِبُ (٤)

والنجائب : جمع نجيبة ، وهى الناقة السريعة السير ، ووقع فى ه « وأوفى الواعدين الجانب » محرفا ، وأصل هذا المعنى مما ينسب إلى عنترة بن شداد العبسى :

لا تَسْقِنِى ماءَ الحياةِ بِذِلَّةٍ بَلْ فاسْقِنِى بِالْعِزِّ كأسَ الحنْظَلِ

ماءُ الحيـاةِ بذِلَّةٍ كَجَهَنَّمٍ وَجَهَنَّمٌ بِالْعِزِّ أَطيَبُ مَنْزِلِ

(١) الضمير فى « بلغن » يعود إلى النجائب فى البيت السابق ، وأحسن مايحمل عليه الضمير فى قوله « فإنه » أن يكون ضمير الشأن ، ويكون قوله « حق » مبتدأ ، وقوله « لهن » خبره ، وقوله «واجب» صفة لحق ، يقول : إذا بلغ المطى بى الحسين فإن لهن حقا واجبا، وهذا الحق الذى وجب لهن عليه هو أن يحرم ركوبها على نفسه وعلى غيره ، وهو مأخوذ من قول الحسن بن هانى أبى نواس :

وإذَا الْمطِىُّ بِنَا بَلَغْنَ محمداً فظُهُورُهنَّ عَلَى الرجال حرامُ

وبيت أبى نواس أحسن سبكا وأظهر معنى ، ووقع فى ب « فإنه حق لهن على المطايا واجب » وليس بشىء ، وما أثبتناه عن ه .

(٢) العيون : جمع عين ، وأراد بها هنا ينبوع الماء ، وحوافل : جمع حافلة ، والمراد الملأى بالماء ، وغض ـ بفتح الغين ـ الطرى ، وأراد أن النبت ريان بالماء مزدهر ، ولواعب : جمع لاعبة وأراد أن الرياح تلعب بغصون الأشجار .

(٣) يقول : كيف سمح هذا الدهر ـ وهو الضنين البخيل ـ بأن تظهر فضائل الحسين فى حين أن كل ذوى الفضل قد غابت شموسهم وأفلت نجومهم ؟

(٤) الأطراف : جمع طرف ـ بفتح الطاء والراء جميعا ـ وهى الناحية ، أو نهاية الشىء . والشيم : جمع شيمة ـ بكسر الشين فى المفرد والجمع جميعا ـ وهى الخصلة والطبيعة والخلق والعادة.

٣٦ وَلَهُ إذا خَبُثَت أُصُولُ عُدَاتِهِ ... فِي تُرْبَةِ العَلْيَاءِ عِرْقٌ ضَارِبُ(١)

٣٧ مُتَفَيِّءُ الآرَاءِ فِي ظُلَلِ القنا ... تَجْرِي إليه من العُلَاءِ مَذَانِبُ(٢)

٣٨ أَنْتَ المُنَوَّهُ فِي المحافِلِ باسمه ... وإذا حَضَرْتَ فكلُّ لُؤْمٍ غائبُ(٣)

وتساندها : تكون لها سنادا ، أراد تقويها وتؤيدها . والعلى ـ بضم العين ـ جمع عليا ، وأراد الرفعة والشرف . والمناقب : جمع منقبة ، وهى المفخرة ، والفعل الكريم ، وضده المثلبة ، ومناقب الإنسان : كل ماعرف به من الخصال والأخلاق الجميلة . و « شيم » فاعل أورد ، وقد وصل الفعل بنون النسوة مع أنه مسند إلى فاعل ظاهر ، وهى لغة جماعة من العرب ، وقد جاء عليها قول الشاعر :

رأيْنَ الغَوَانِي الشَّيْبَ لاحَ بناظِرِي ... فأعْرَضْنَ عَنِّي بالخدودِ النواضِرِ

وقد استعمله كثير من الشعراء المحدثين من قبل الشريف الرضى ومن بعده ، فمن ذلك قول أبى فراس الحمدانى :

نَتَجَ الرَّبِيعُ مَحَاسِنًا ... أَلْقَحْنَهَا غُرُّ السَّحَائِبْ

(١) عداة : جمع عدو ، وهو بضم أوله ، فإن كسرت أوله حذفت التاء من آخره فقلت « عدى » ومعنى قوله « خبثت أصول عداته » كانت أوائلهم ممن لايشرف المنتسب إليهم ، وقوله « عرق ضارب » أراد به أصولا طيبة الأرومة كريمة المحتد ، وأصله العرق الضارب من الشجرة تبعد جذورها فى الأرض ، وذلك أقوى لها . يقول : إذا كان آباء أعدائه وأصولهم ممن لايشرف أحد بالانتماء إليهم فإن أصول الحسين من أبعد الناس غوراً فى المكارم وأثبتهم قدما فى المناقب .

(٢) تقول : تفيأ فلان الشجرة ، وتفيأ فى الشجرة ، إذا دخل فى أفيائها ، والأفياء : جمع فىء ، وهو الظل ، والظلل ـ بضم ففتح ـ جمع ظلة ، وهى كل ما أظلك من شجرة ونحوها ، ووقع فى هـ « ظلل العلى » . ومذانب : جمع مذنب ، وهو مسيل الماء إلى الأرض ، ووقع فى هـ « مذاهب » .

(٣) تقول : نوه فلان بفلان ، إذا رفع ذكره وطير به وقواه ، وتقول : نوه فلان باسم فلان ، إذا دعاه برفع صوت ، والمحافل : جمع محفل ـ بفتح الميم وكسر الفاء ـ وهو المكان الذى يحتفل فيه القوم : أى يجتمعون ، والأصل فى هذه الكلمة قولهم « حفل » بفتح الحاء وسكون الفاء ـ للقوم المجتمعين ، وأراد بقوله « فكل لؤم غائب » كل ذوى اللؤم ، يعنى أنه لايحضر مجلسه إلا كرام الناس وخيارهم .

٣٩ لك من حياض المجد زُرْقُ جمامها ... فلما تنازعك الورود غرائبُ (١)

٤٠ ويروم شأوك من غبارك دونه ... يوم الجزاء غياطلٌ وغياهبُ (٢)

٤١ نفحات كفك للولى غنائم ... تهمى وهن على العدو نوائبُ (٣)

٤٢ فشمائلٌ فيها الندى وضرائبٌ ... وكتائبٌ فيها الردى ومقانبُ (٤)

---

(١) زرق - بضم فسكون - جمع أزرق ، ويراد به الماء الصافى الذى لاترنيق فيه ، والجمام بكسر الجيم - جمع جمة ، وهى معظم الماء ، وإضافة « زرق » إلى « جمام المجد » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وأصل هذه الكلمة من قول زهير بن أبى سلمى المزنى :

فلمَّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقًا جِمَامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِىَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ

والغرائب : جمع غريب أو غريبة ، وكان من حق الكلام أن يقول « فلم ينازعك الورود غرائب » لأن « ما » الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر حذفت ألفها . لكنه أبقى الألف وقد يستشهد له بقول

عَلَى مَا قامَ يَشْتِمُنِى لئيمٌ ... كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فى رَمادِ

وورود الماء : الذهاب إليه للاستقاء . وجعله مثلا . يقول : إذا كانت مناقبك قد جعلت لك أفضل منازل المجد فلأى شىء ينازعك ورود ساحات المجد الغريبون عنه .

(٢) يروم : يطلب . وشأوك - بفتح الشين وسكون الهمزة - الأمد والغاية . ويقال : فلان لايشق له غبار ، يريدون أنه لايلحقه لاحق . وأصله أن الفارس إذا ركض فرسه ثار الغبار ، فإذا كان الغبار الذى وراءه لايشق فمعناه أنه لايتمكن أحد من أن يكون قريبا منه . والغياطل : جمع غيطلة ، وهى من الليل التجاج سواده . والغياهب : جمع غيهب ، ومعناه الظلمة .

(٣) نفحات كفك : أراد بها عطاياه ومواهبه . والولى : الصديق الموالى . وتهمى : مضارع همى المطر يهمى - مثل رمى يرمى - إذا سال لايثنيه شىء .

(٤) شمائل : جمع شمال . بمعنى الخلق والسجية ، ومنه قول الشاعر :

ألَمْ تَعْلَمَا أن الملامَةَ نَفْعُها ... قَليلٌ ، وما لَوْمِى أخى مِن شِمَالِيا

والندى : الجود والكرم ، والضرائب : جمع ضريبة ، وهى بمعنى الشمال ، تقول : هذه ضريبة فلان التى جبل عليها ، تريد أنها طبيعته وسجيته ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الفرقة من الجيش ، والردى : الهلاك ، والمقانب : جمع مقنب ، وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة ، ويراد به الفرسان

٤٣ ولقدْ وقفتَ على الأعادِى وَقْفَةً ... فِيها لمن أبقى المَنُونُ تَجَارِبُ (١)

٤٤ تَحْتَ العَجَاجِ وَللدُّرُوعِ قَعَاقِعٌ ... ضَرْبًا وغِرْبانُ الرِّماحِ نَوَاعِبُ (٢)

٤٥ ومُطاعِنٍ وَلَّى بِها وكأنَّه ... مِمَّا يَجُرُّ من العَوَامل حَاطِبُ (٣)

٤٦ مِنْ كل نَافِذَةِ المَغَارِ كأنَّها ... فى قَلْبِ حامِلِها فَمٌ مُتَثَاوِبُ (٤)

٤٧ ومُزَمْجِرٍ قَطَعَ العَجَاجَ أمامَه ... لِلْهَامِ مِنْهُ عَمَائِمٌ وذَوَائِبُ (٥)

٤٨ يَرْمِى الوحوشَ على الوحوشِ زِهَاؤُهُ ... والأكمُ فِيهِ مَعَ الجِيادِ لَوَاعِبُ (٦)

٤٩ تَهْدِى أوائلُه الأواخِرَ كُلَّمَا ... طَلَعَ الجَنِيبُ طَغَى عليه الجانِبُ (٧)

---

(١) المنون : الموت ، والتجارب : جمع تجربة ـ بكسر الراء فيهما ، لأنه مصد جرب مثل قدم تقدمة وهيأ تهيئة ـ وحذف العائد على الموصول من جملة الصلة ، والأصل « فيها لمن أبقاه المنون تجارب » وحذف مثل هذا العائد كثير وارد فى فصيح الكلام

(٢) العجاج ـ بفتح العين ـ التراب الذى تثيره الخيل بحوافرها ، والقعاقع : جمع قعقعة ، وهى الصوت ، وأصل القعاقع تتابع أصوات الرعد فى شدة ، وإضافة الغربان إلى الرماح من إضافة المشبه به إلى المشبه ، ونواعب : جمع ناعب ، اسم فاعل من النعيب وهو صوت الغراب ، والغراب عند العرب نذير الشؤم والبين ، ووقع فى ه « وغربان الرماح نوادب » .

(٣) العوامل : جمع عامل ، وهو فى الأصل صدر الرمح ، وأراد منه ههنا الرمح ، والحاطب : الذى يجمع الحطب ، شبه المطاعن الذى يجر الرماح التى يطعن بها بالحاطب لإفادة كثرة مايجره منها .

(٤) المغار : المدخل ، وهو اسم مكان فعله غار ، وتقول : غار السهم فى الرمية يغور غوراً وغؤوراً ، إذا دخل

(٥) أصل الزمجرة زئير الأسد ، والعجاج : الغبار الثائر من احتكاك الأقدام بالأرض ، والهام : جمع هامة ، وهى ههنا الرأس ، وأراد بالمزمجر هنا الجيش لأن له صوتا شديداً وجلبة ، وقصد أن ماثار من الغبار بسبب سير هذا الجيش قد غطى الرءوس ، كنى بذلك عن كثرة عدد الجيش وشدة سيره .

(٦) زهاؤه : كثرة عدده .

(٧) الجنيب : أراد به الذى ينقاد ، فعيل بمعنى مفعول ، وفعله جنبه بمعنى قاده إلى جنبه ، والجانب : اسم فاعل من هذا ، أى القائد إلى جنبه .

٥٠ شَدٌّ كَمَعْمَعَةِ الْحَرِيقِ وَكَبَّةٌ ... كاللَّيْلِ أَنْجُمُهَا قَنًا وقَوَاضِبُ(١)

٥١ وَالنَّقْعُ قد كَتَمَ الربا فكأنَّه ... سَيْلٌ تَحَدَّرَ والجِيادُ قَوَارِبُ(٢)

٥٢ ولرُبَّ لَيْلٍ قد طَوَيْتُ رِداءَهُ ... وعَلَى الأكامِ من الظلامِ جَلَابِبُ

٥٣ ليلٌ تَرَامَى بالعَبيرِ نسيمُه ... والتربُ تَحْفِزُهُ صَبًا وجَنَائِبُ(٣)

٥٤ ورَكِبْتُ أعجازَ النجومِ وفتيَةٌ ... مثلُ النجومِ طَوَالِعٌ وغَوَارِبُ

٥٥ غُلْبٌ كأنهمُ الصُّقورُ جوانحاً ... وكأنَّ أكنافَ الجِيادِ مَرَاقِبُ(٤)

٥٦ خُضْنَا الظلامَ وكلُّنا بجَنَابِهِ ... ماضٍ على عَجَلٍ وليسَ كواكِبُ(٥)

---

(١) أراد بالشد ضرب الفوارس بعضهم بعضا ، ومعمعة الحريق : صوت اشتعال النار فى القصب ونحوه ، وهذا التشبيه مأخوذ من قول الأنصارى :

مَنْ مَسَّهُ ضَرْبٌ يُرَعْبِلُ بَعْضُهُ ... بَعْضاً كَمَعْمَعَةِ الأُبَاءِ المُحْرَقِ

والكبة ـ بفتح الكاف وتشديد الباء ـ الحملة فى الحرب ، والدفعة فى القتال ، والقنا : جمع قناة ، وأرادمنها هاهنا الرمح ، والقواضب : جمع قاضب ، وهو السيف القاطع .

(٢) النقع : الغبار ، وكتم الربا : سترها وغطاها لشدته وتكاثفه وارتفاعه ، والجياد : الخيل ، وقوارب : جمع قارب ، وهو طالب الماء ليلا ، ولايقال لمن يطلب الماء نهاراً قارب ، والقارب أيضا : السفينة الصغيرة تكون مع أصحاب السفن الكبيرة يستخفونها لقضاء العاجل من حاجاتهم .

(٣) تحفزه : تدفعه ، وأراد تثيره ، والصبا : ريح معروفة ، والجنائب : جمع جنوب ، وهى ريح تقابل الصبا ، ووقع فى ه « والترب تحقره صبا ونجائب » محرفا .

(٤) غلب : جمع أغلب ، وهو فى الأصل الأسد . والصقور : جمع صقر . وهو من الكواسر ، والأكناف . جمع كنف ـ بفتح الكاف والنون جميعا ـ وهو الناحية ، والمراقب : جمع مرقب وهو المكان العالى الذى تشرف منه لترى مايدور فى مكان أسفل منه ، ووقع فى ه « مراكب » محرفا . . .

(٥) هذا البيت مقدم فى ب عماقبله ، وفيها «وكلنا بجنانه» .

٥٧ وإذا قلوبٌ لم تكن كعيونِنا ... لم يُغْنِنا أن النجومَ ثواقِبُ(١)

٥٨ وأذلَّ من قبرِ الخمولِ نشرْتَه ... فغدا يُناهِبُكَ العُلَى ويُجاذِبُ(٢)

٥٩ أوسعْتَهُ كرَماً فأوغرَ صدرَهُ ... إنَّ الأقاربَ بعدَها لعقاربُ(٣)

٦٠ جُودٌ ضعيفٌ أن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ ... لمؤمِّلٍ وأذًى ألدُّ مُشاغِبُ(٤)

---

(١) يريد أنه إذا لم تكن لهم قلوب ترى مثل ماتراه عيونهم لم ينفعهم سطوع أنوار الكواكب ، والثواقب : جمع ثاقب ، وهو المضيء .

(٢) الواو فى قوله « وأذل » واورب ، ومابعدها فى الأصل صفة لموصوف محذوف ، ونشر الشيء : ضد طواه ، تقول : كان هذا الثوب مطويا فنشرته ، ويناهبك العلا : يغالبك فى انتهابها والاستيلاء عليها ، ووقع فى « يناهبك العدى » محرفا. يقول : رب رجل ذليل كان مطوى الذكر فبعثته وكنت أنت السبب فى نشره لم يحفظ لك هذه اليد ولم يشكر هذا الصنيع ، بل انقلب يريد أن يأخذ بعض حقك .

(٣) أوغر صدره : ملأه غيظا وحقداً ، وأصل هذه العبارة من قولهم : وغرت الهاجرة تغر ـ مثل وعد يعد ـ إذا التهبت واشتد حرها، وقالوا : وغرت الشمس تغر ـ إذا اشتد وقعها ، فلما كان المغيظ يتقد صدره ويلتهب قالوا : وغر صدر فلان ، إذا تغيظ ، وفى قوله « فأوغر » ضمير مستتر يعود إلى المصدر المفهوم من « أوسعته كرما » نظير قول الشاعر :

إذا زُجِرَ السَّفيهُ جَرَى إليْهِ ... وخالَفَ والسَّفيهُ إلى خِلافِ

المعنى إذا زجر السفيه جرى إلى السفه ، وقد يكون الضمير فى « فأوغر » عائداً إلى الكرم وقوله « إن الأقارب .. إلخ » نظيره قول ابن العميد :

آخِرِ الرجالَ من الأبا ... عِدِ ، والأقارِبَ لا تقارِبْ

إنَّ الاقارِبَ كالعَقا ... رِب ، بَلْ أضرُّ من العَقارِبْ

(٤) تلم ملمة : تنزل نازلة ، والمؤمل : الراجى للخير ، والألد : الشديد الخصومة ، والمشاغب : المهيج للشر ، يقول : إن الممدوح يرى ـ من سماحة نفسه وكرم طبعه ـ ألا يصحب نواله بشيء من الأذى ، وأنه إذا نال راجيه شيء من الأذى كان الجود ضعيفا لا قدر له.

٦١ وَلَقَدْ مَلَأْتَ عَلَى عَدُوِّكَ جِلْدَهُ ... حَتَّى طَمَى جَزَعٌ وضَاقَ مَذَاهِبُ (١)

٦٢ أُمْنِيلَ طالبِ نائلٍ مِنْ جُودِهِ ... كَمَنَالِ صَدْرِ العَضْبِ يومَ يُضَارِبُ (٢)

٦٣ بالعَقْلِ تبلغ ما تَعَذَّر بالقَنَا ... وظُبَى القَوَاضِبِ، والعقولُ مَوَاهِبُ (٣)

٦٤ اليومُ مِن فِتْيَانِ دَهْرِكَ فَارْعَهُ ... وجَمِيعُ أيام الزمان أشَائِبُ (٤)

٦٥ والعيدُ داعيةُ السُّرورِ وَلَيْتَهُ ... أبداً على بعض الرجال مَصَائِبُ

٦٦ فَهُنَّ طَمَّاحَ العَلَاءِ وَلَا تَزَلْ ... فى غَمْرِ جُودِكَ لِلرِّجَالِ رَغَائِبُ (٥)

٦٧ خَيْرٌ من المال الَّذِى يُعْطِيكَهُ ... وأحَدُّ من غَرْبِ الْحُسَامِ الضَّارِبُ (٦)

* * *

(١) ملأت على عدوك جلده : كناية عن أنه أورثه من الهيبة والخوف ما لا قبل له باحتماله، وطمى جزع : علا وزاد ، وضاق مذاهب : سدت فى وجهه طرق التخلص من هذا الخوف

(٢) منيل : معطى ، والنائل : العطاء ، والعضب : السيف القاطع ، يريد أنه جواد شجاع ، فهو يعطى طالب معروفه من غير تقتير ولا من حتى لاتكون به حاجة إلى المزيد ، كما أنه يروى صدر سيفه فى يوم الضراب من دم الأقران .

(٣) القنا : جمع قناة ، والظبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف ، والقواضب : السيوف ، يريد أنه يصل بحسن تدبيره ورجاحة عقله مايستحيل على الشدة والحروب أن تصل إليه ، ووقع فى ه « بالعقل تغلب » ووقع فيها أيضا « والعقول مذاهب » وكلاهما تحريف ماأثبتناه .

(٤) وقع فى ب « اليوم من فتيات دهرك » وما أثبتناه أتم لمقابلة « أشايب » فى آخر البيت فان الأشايب جمع أشيب ، ويقال : رجل أشيب ، فاذا أريد وصف المرأة بالشيب قيل : امرأة شمطاء .

(٥) غمر جودك : واسع عطائك وسابغ نوالك ، والرغائب : جمع رغيبة ، وهى الأمر المرغوب فيه ، ويقال : فلان وهاب للرغائب ، أى أنه يعطى نفائس الأموال التى يرغب فيها الطالبون ، وفى كلام أبى الطيب المتنبى :

فَتًى عَلَّمَتْهُ نفسُه وجُدُودُهُ ... قِرَاعَ العَوَالِى وابتذالَ الرغائِبِ

(٦) غرب الحسام : حد السيف القاطع .

٢٩ — وقال يمدحه ، ويهنئه بعيد الفطر من سنة ثمانين وثلثمائة ، ويذكر حسن تلافيه للفتنة الحادثة بين السُّنَّة والشيعة [من الطويل] :

١ ألا حَيِّهَا رَبَّ الْعُلَى من غَوَارِبٍ تَعَرَّقَنِي بَيْنُ الْمُنَا وَالْمَطَالِبِ (١)
٢ وَمَالِي وَلِلْآمَالِ مِنْ دُونِهَا الْقَنَا تُهَزُّ وسُوَرَاتُ النَّوَى والنَّوَائِبِ (٢)
٣ سئمتُ زَمَانا تنتحينى صُرُوفُه وُثُوبَ الأفاعِي أو دبيبَ العَقَارِبِ (٣)

---

(١) غوارب : جمع غارب ، وهو ما بين سنام البعير وعنقه ، أو هو الكاهل ، وقد أراد بالتى طلب تحيتها النوق التى حملته إلى الممدوح ، وتعرقنى : نال منى وأجهدنى ، وأصل هذه الكلمة قولهم: تعرق فلان العظم ، إذا نهش ما عليه من اللحم بأسنانه ، وقالوا : تعرقت بنى فلان السنون ، يريدون أصابهم الجدب وأخذ منهم القحط ، والبين ـ بفتح فسكون ـ البعد والفراق ، و بين المنا والمطالب : مفارقة الأهل والألاف لقصد الحصول على مناه ومطالبه ، من إضافة الشىء إلى سببه الحامل عليه ، ووقع فى ب « بين العلا والمطالب » وما أثبتناه موافقا لما فى ه أرق وأظرف .

(٢) سورات : جمع سورة ـ بفتح فسكون ـ وهى الشدة والسطوة ، والنوى : الفراق والبعد وسورات النوى : ما يكون من آلام الفراق ومصاعب الاغتراب ، والنوائب : جمع نائبة ، و بين كلمتى النوى والنوائب جناس مذيل مثل الذى فى قول تماضر بنت الشريد الخنساء :

إنَّ البكاء هو الشفا ء مِنَ الْجَوَى بين الجوانِحْ

ووقع الجناس المذيل بين الكلمتين بذاتهما فى قول النابغة الذبيانى من كلمة :

لها نارُ جنٍّ بعدَ إنسٍ تحوَّلوا وزال بهم صَرْفُ النَّوَى والنَّوَائِب

ووقع عجز بيت الشريف فى ه « بهن وسودات النوى » محرفا فى غير موضع .

(٣) سئمت : مللت وكرهت ، تنتحينى : تقصدنى وتتجه نحوى ، صروفه : جمع صرف ـ بفتح فسكون ـ وصروف الزمان : حوادثه ، والأفاعى : جمع أفعى ، وهى الحية ، وقوله «وثوب الأفاعى » منصوب على أنه مفعول مطلق القصد منه التشبيه ، وناصبه قوله « تنتحينى » . والمراد تقصدنى حوادث الزمان ونوازله قصدا مشابها لوثوب الأفاعى تارة ومشابها لدبيب العقارب تارة أخرى ، وأراد من التشبيه بوثوب الأفاعى أنها تأتيه مجاهرة وفى العلانية ، ومن التشبيه بدبيب العقارب أنها تأتيه فى استتار وتخف .

٤ مُقَامُ الْفَتَى عَجْزٌ على مايَضِيمُه ... وذُلُّ الجرىءِ القلبِ إِحْدَى الْعَجَائِبِ

٥ سَأَرْكَبُهَا بَزْلاء إِمَّا لِمادِحٍ ... يُعَدِّد أفعالِي وإما لِنَادِب(١)

٦ إذا قَلَّ عَزْمُ المرءِ قلَّ انْتِصَارُهُ ... وأَقْلَعَ عنه الضيمُ دامِى الْمَخَالِبِ(٢)

٧ وضَاقَتْ إِلَى مايَشْتَهِى طُرُقُ نَفْسِهِ ... ونَالَ قليلا مَعْ كَثِير الْمَعَايِبِ

٨ وَمَا بَلَغَ الْمَرْمَى البعيدَ سِوَى امرىءٍ ... يَرُوح ويَغْدو عُرْضَةً للجَوَاذِب

٩ وما جَرَّ ذُلاً مثلُ نفسٍ جَزُوعَةٍ ... ولا عَاقَ عَزْمًا مثلُ خَوْفِ الْعَوَاقِبِ

١٠ ألا لَيْتَ شِعْرِى هل تُسَالِمُنى النَّوَى ... وتَخْبُو هُمُومِى من قِرَاعِ الْمَصَائِبِ(٣)

١١ إلى كَمْ أذودُ العينَ أن يَسْتَفِزَّهَا ... وَمِيضُ الأمانى والظنونِ الكَوَاذِبِ(٤)

---

(١) البزلاء، فى الأصل: الداهية العظيمة، وقالوا: فلان نهاض بزلاء، وهم يريدون أنه صاحب همة تنهض بعظائم الأمور، وقالوا: هذه خطة بزلاء، يريدون أنها تفصل بين الحق والباطل، ومعنى قوله « سأركبها بزلاء » أنه سيحدث أحداثا عظاما لايعرف مدى عواقبها. والنادب: الذى يعدد مآثر الميت، يريد أنه سيأتى مااعتزمه غير مبال بالعواقب لأنه إما أن يفوز بغرضه فيجد الماد حين الذى يطرون أفعاله، وإما أن يموت فى سبيل مايريد فيندبه من يقدر قدر الاقدام على المكاره.

(٢) هكذا ورد هذا البيت فى جميع نسخ الديوان، وفى معناه شىء من القلق، ولو كان عجزه « وأقلع عنه العزدامى المخالب » لاستقام، لأن غرضه أن يتمدح بالعزم وما يورثه صاحبه من عزة، فكيف يقول لمن كان قليل العزم: إن الضيم يقلع عنه ويفارقه، وفى قوله « دامى المخالب » معاملة المنقوص المنصوب معاملة المرفوع، وله نظائر فى شعر العرب، والفصيح نصبه بالفتحة الظاهرة على الياء.

(٣) النوى: الفراق والابتعاد عن الأهل والألاف، وتخبو: تسكن، وأصله قولهم: خبت النار تخبو، إذا سكن لهيبها وباخ شواظها، وقراع المصائب: مغالبتها، وأصله قراع الأبطال بعضهم بعضا فى حومة الحرب.

(٤) أذود العين: أمنعها وأدفعها، ويستفزها: يستخفها ويستهويها، ووميض الأمانى: بريقها ولمعانها، والكواذب: جمع كاذب.

١٢ حُسِدْت على أنى قَنِعْتُ فكَيْفَ بى ... إذَا مَارَمَى عَزْمِى مَجَالَ الكواكِبِ (١)

١٣ وما زال للإنسانِ حاسدُ نِعْمَةٍ ... عَلَى ظاهرٍ منها قليلٍ وغائبِ

١٤ وأبقَتْ لِىَ الأيامُ حَزْمًا وفِطْنَةً ... ووَقَّرْنَ جأشى بالأمورِ الغرَائبِ (٢)

١٥ تَوَزَّعَ لَحْمِى فى عَوَاجِمَ جَمَّةٍ ... وبَانَ على جَنْبَىَّ وَسْمُ التَّجَارِبِ (٣)

١٦ وأرْضٍ بها بِعْتُ الصَّبَابَةَ والصِّبَا ... وناهَضَ قلبى الهمُّ مِنْ كل جانبِ (٤)

١٧ وزَوْرٍ مِن الأضغانِ نَحْوِى كأنَّمَا ... يُلاقيهمُ شخصِى لقاءَ المُحَارِبِ (٥)

---

(١) قنعت : رضيت بالكفاف ، ومجال الكواكب : المكان الذى تجول وتسير فيه . يقول : لقد حسدنى الناس على القناعة والرضا بالقليل مع أن ذلك لايرزأهم شيئا ولا يضرهم ، فكيف يكون حالهم إذا رأونى أصل بحديد عزمى إلى مسابح الكواكب ، يريد أسمى منازل العلا .

(٢) وقرن : هدأن وسكنّ ، ووقع فى ه « ووفرن جأشى » بالفاء محرفا ، والجأش ـ بفتح فسكون ـ رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ، وهو أيضا نفس الإنسان .

(٣) عواجم : جمع عاجمة ، وأراد بالعواجم الأسنان ، والأصل أن الإنسان يأخذ عوداً فيريد أن يختبر صلابته فيعضه بسنه ، وقوله « توزع لحمى فى عواجم جمة » يحتمل ثلاثة معان : أولها وأقربها أن يكون أراد بهذا أن كثيراً من الناس قد جربوه فوجدوه متين العود صلب المكسر ، وثانيها : أن يكون أراد أنه كريم جواد وأنه يوزع زاده على كثير من الناس ، ونظير هذا قول الشاعر :

أوزِّعُ جِسْمِى فى جُسُومٍ كثيرةٍ ... وأحْسُو قَرَاحَ الماءِ والماءُ باردُ

والثالث : أن يكون أراد أن منزلته الرفيعة ، ومكانته السامية تدعو كثيراً من الناس إلى أن يغتابوه ويأكلوا لحمه ، وبان : ظهر ، والوسم ـ بفتح الواو وسكون السين ـ العلامة ، والتجارب : جمع تجربة ، وهى مصدر جرب الأمور أى اختبرها وعرف مصادرها ومواردها .

(٤) الصبابة : الشوق والحنين إلى الألاف ، والصبا : الميل مع نزوات النفس ورغائبها ، وناهض : قاوم .

(٥) زور ـ بفتح فسكون ـ جمع زائر مثل سفر وشرب وتجر ، وأكثر النحويين ينكرون

١٨ أناسِيهِمُ بغْضاءُهُمْ غَيْرَ غافلٍ ... وأسألُهمْ مَعْرُوفَهُمْ غَيْرَ راغِبِ (١)

١٩ وَإنى لأطْويهِمْ عَلَى عُظْمِ دائِهِمْ ... وَأَقْعُدُ مِنْهُمْ بَيْنَ رَامٍ وَجالِبِ (٢)

٢٠ ألا رُبَّ مجدٍ قد طَرَحْتَ قَذَاتَه ... وَكانَ عَلَى الأيامِ جَمَّ الشَّوائِبِ (٣)

٢١ وَسِرٍّ كتمتُ النَّاسَ حَتَّى كَتَمْتُهُ ... ضُلُوعِى ولم أُطلِعْ عَلَيْهِ مَآرِبى (٤)

٢٢ وأغْيَدَ مَحْسودٍ على نُورِ وَجْهِه ... هَجَرْتُ سِوَى لحظِ البَعِيدِ المجانِبِ (٥)

أنه جمع ، ويرون أنه اسم جمع أو مصدر أطلق على الجمع ، والاضغان : جمع ضغن ـ بكسر الضاد وسكون الغين ـ وهو الحقد ، وأراد ذوى الاضغان الذين يحملون له الحقد .

(١) أناسيهم : أراد أنه يغالبهم فى نسيان ماعندهم من البغضاء له ، فهم يتجاهلون أحقادهم طلبا لما عنده ، وهو يستر كل مايعرفه عنهم ، وقوله « غير غافل » أراد به أنه مع ستره بغضاءهم وعفوه عنهم ـ حذر متيقظ ، وقوله « وأسألهم معروفهم غير راغب » أراد به تأكيد ستره وعفوه حتى إنه ليتقدم إليهم بالرغائب من غير أن يكون راغبا فيما عندهم ليؤكد لهم هذا المعنى .

(٢) أطويهم : أجلس عندهم وآتيهم ، والجالب : المهدد بالشر ، تقول : جلب فلان فلانا ـ من باب نصر وضرب ـ إذا هدده بالشر ، يريد أنه يجالس هؤلاء القوم الذين يحملون له الحقد والضغينة ، وأنه يقعد بينهم وهم بين رجل يرميه بالشر فعلا وآخر يتوعده بالشر ويهدده به .

(٣) فى ب « ألا رب مجد قد ضرحت قذاته » ومعنى ضرحت دفعت ونحيت ، ومعناه قريب من « طرحت » الذى أثبتناه موافقا لما فى ه ، والقذاة : أصله مايكون فى العين من عمص ونحوه وقالت الخنساء :

أهاجَ قَذَاةَ عَيْنِى الِادِّكارُ ... هُدُوًّا فالدموعُ لها قرارُ

وجم : أى كثير ، والشوائب : جمع شائبة ، وهى القذر والدنس والعيب والهول ، وكل ما يخالط شيئاً من غير جنسه .

(٤) المآرب : جمع مأرب ، وهو حاجة الإنسان .

(٥) الأغيد : الوسنان المائل العنق اللين الأعطاف ، والفتاة غيداء ، وذلك مستحب فيهما ، ولحظ البعيد المجانب : نظر من لايرغب فى القرب ، ويقصد أنه يأبى نعيم هذه الحياة وإن كانت تحوطه أسباب الفتنة .

٢٣ وغَيْداءَ قِيدَتْ لِلْعِناقِ مَلَكْتُها ... فنَزَّهْتُ عَنْهَا بعد وَجْدٍ تَرَائِبِي (١)

٢٤ وما عِفَّةُ الإنسانِ إلا غَباوَةٌ ... إذَا لم يُكافِحْ داءَ وَجْدٍ مُغالِبِ

٢٥ وعَزْمٍ كأطْرَافِ الأَسِنَّةِ فِي الْحَشَا ... طَعَنْتُ بِهِ كَيْدَ الْعدُوِّ الْمُحَارِبِ

٢٦ وَضَيْمٍ كَمَا مَضَّ الجراحُ نَجَوْتُهُ ... إلَى الْمَنْظَرِ الأَعْلَى نَجَاءَ الرَّكائِبِ (٢)

٢٧ وخُطَّةِ خَسْفٍ فُتُّها غَيْرَ لاحِقٍ ... بِيَ الْعَارُ إلا ما نَفَضْتُ ذَوَائِبِي (٣)

٢٨ على هِمَمٍ أيدى المنونِ سِيَاطُهَا ... تَسُوقُ بها الآمالَ سَوْقَ النجائِبِ (٤)

٢٩ إلى قائمٍ بِالْمَجْدِ يَحْمِي فُرُوجَهُ ... وَيَطْعَنُ عَنْهُ بالْقَنَا وَالرَّغائِبِ (٥)

---

(١) التراثب : عظام الصدر ، واحدها تريبة ، يريد أنه نزه نفسه عن عناقها وضمها إلى صدره مع مايحمله قلبه من الوجد بها ، ووقع فى ه « فنزهت بعد طول وجد تراثبى » .

(٢) وقع فى ه « وضيم كما مر الجراح » وتقول : مض الجرح فلانا ، إذا آلمه وأوجعه ، ويقال « أمضه » بزيادة الهمزة أيضا . وأراد بقوله « نجوته » كشفته وأزلته ، والأصل فى هذه الكلمة قولهم « نجا فلان الجلد عن الشاة ونحوها » إذا كشطه وسلخه ، وأراد بقوله « نجاء الركائب » أن ذلك قد حدث منه سريعا مثل ما تنجو المطية براكبها : أى تسرع به لتخلصه من مخافة ، ووقع فى ب « إلى المظهر الأعلى » .

(٣) خطة خسف : أراد حالة تجر إليه نقيصة وأمرا من شأنه أن يجلب ضيما ويكسب عارا ، وفتها : جاوزتها ولم أقع فيها ، ووقع فى ه « خطبها غير لاحق » وأحسب أن أصلها « خضتها غير لاحق ـ إلخ » والذوائب : جمع ذؤابة ، وهى الشعر فى أعلى الناصية ، ووقع فى ه « نقضت ذوائبى » .

(٤) السياط : جمع سوط ، ونظيره حوض وحياض وثوب وثياب ـ والسوط : أصله ماتساق به الدابة ، والنجائب : جمع نجيبة ، وهى الناقة السريعة .

(٥) قائم بالمجد : قوام عليه حافظ له ، والفروج : جمع فرج ، وهو ههنا الموضع الذى تخاف أن يأتيك الشر من جهته ، والقنا : جمع قناة ، والرغائب : جمع رغيبة ، وأراد بها العطاء الكثير ، يريد أنه قوام على المجد لايرضى أن يمسه مكروه ، وأنه يدفع عنه بالقتال أحيانا ويبذل فى سبيله العطايا أحيانا أخرى .

٣٠ مُقيمٍ بِطيبِ الذِّكْرِ فى كلِّ بَلْدَةٍ ... وقد عَوَّدَ الأكوارَ جَبَّ الغَوَارب (١)

٣١ فتًى صَحِبَ البأْسُ النَّدَى فِى بَنَانِه ... بفَيْضِ العَطَايا والدِّماءِ السَّوَارِب (٢)

٣٢ لأمْجَدِ فَرْعٍ فِى عَرَانِينِ هاشمٍ ... وأنجَبِ عُودٍ من لُؤَىِّ بنِ غالبِ (٣)

٣٣ لَهُمْ سُرَّةُ المجـــدِ التليدِ وسِرُّهُ ... ومَحْضُ المَعَالِى فيهمُ وَالمَنَاقِبِ (٤)

٣٤ يَبِيتُونَ أغمادُ السيوفِ نُحورُهم ... ويَغْدُونَ جُرَّارَ الرِّماحِ السَّوَالِبِ (٥)

---

(١) أراد بطيب الذكر حديث الناس الحسن عنه ، والأكوار : جمع كور ، وهو الرحل الذى يوضع على الناقة أو البعير ليركب الراكب عليه ، والجب ـ بفتح الجيم وتشديد الباء ـ القطع ، والغوارب : جمع غارب ، وهو ما بين سنام البعير وعنقه ، يريد أنه قد عود الناس أن يرتحلوا إليه من مسافات بعيدة لأنه لا يخيب رجاءهم ، فالناس يرتحلون نجائبهم فيكون للرحل أثر فى غواربها .

(٢) البأس : الشدة ، والندى : الجود والكرم ، والبنان : أصابع اليدين ، والسوارب : جمع سارب ، وهو السائل ، يريد أنه شجاع وكريم ، فهو يعطى من ينفع معه العطاء ، ويقتل من لا يصلح معه إلا القتل .

(٣) عرانين : جمع عرنين ، وهو فى الأصل الأنف ، وأطلقوا على السيد الشريف المحتد عرنينا لأن الأنف عندهم موضع من المواضع التى تظهر فيها العزة ، ويقولون : فلان أنف الكرم وفلان عرنين السيادة ، وهاشم : الجد الثانى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى ينسب إليه قوم الرسول وأبناؤهم ، ولؤى بن غالب : الجد الثامن للرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

(٤) سرة المجد ـ بضم السين وتشديد الراء ـ أفضل مواضعه وأكرمها ، والتليد : القديم الموروث عن الآباء ، ويقابله الطريف وهو الحديث الذى تصنعه لنفسك ، وسره : لبابه ، ومحض المعالى : خالصها الذى لا تشوبه شائبة ، والمناقب : المفاخر ، واحدها منقبة ، بفتح الميم والقاف .

(٥) الأغماد : جمع غمد ، وهو جفن السيف وقرابه ، والنحور : جمع نحر ، وهو العنق ، سمى بذلك لأنه الموضع الذى ينحر منه : أى يذبح ، وجملة « أغماد السيوف نحورهم » فى موضع نصب على الحال ، ولم يرد أنهم يبيتون منهزمين أو قد نال منهم العدو أو ما أشبه ذلك من المعانى ،

٣٥ تَرَقَّوْا عليها كلَّ مجد ونَكَّسُوا بأطرافِهَا عن عاقِدَاتِ السَّبَائِبِ (١)

٣٦ وخَطْبٍ على الزَّوْرَاءِ أَلْقَى جِرَانَه مَدِيدَ النَّوَاحِي مُدْلِهِمَّ الجَوَانِبِ (٢)

ولكنه أراد أنهم يبيتون فى حرب مع العدو مقبلين عليه غير فارّين منه، ولامنهزمين أمامه، ولاهاربين من لقائه ، ونظيره قول الآخر :

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاَّ فِى نحورهمُ كالنَّوْمِ لَيْسَ لهُ مَأْوَى سِوَى المُقَلِ

ويغدون : أراد يكونون فى وقت الغداة ، وأراد بجرار الرماح أن أداتهم من الرماح ، والسوالب: جمع سالب ، وهو اسم الفاعل من سلب العدو ـ من باب نصر ـ إذا أخذ ماعليه من ثياب وآلة حرب، يصفهم بالشجاعة والإقدام على قتال الأعداء، وأنهم لايولون عدوهم الأدبار ، وبأنهم يسلبون أعداءهم ويغلبونهم على متاعهم .

(١) الضمير فى « عليها » يعود إلى الرماح ، يريد أنهم بلغوا ذروة المجد وتسنموا غواربه بأرماحهم ، ووقع عجز هذا البيت فى ه « بأطرافها عن قاعدات السبائب » ووقع فى ب « بأطرافها عن عاقدات السباسب » وفى كل منهما تحريف فى ناحية ، والسبائب : جمع سبيبة ، بفتح السين ـ وهى الخصلة من الشعر ، وتقول : امرأة طويلة السبائب، تريد أنها طويلة ذوائب الشعر ، وأحسن مايحمل عليه عجز البيت من المعنى أنه أراد أنهم لايأخذون النساء فى غلبتهم أعداءهم ولا ينالون منهن .

(٢) الخطب ـ بفتح فسكون ـ الأمر العظيم الجليل الخطر ، والزوراء ـ بفتح فسكون ـ قال الأزهرى : الزوراء مدينة ببغداد فى الجانب الشرقى ، وقال غيره : الزوراء مدينة أبى جعفر المنصور ، وهى فى الجانب الغربى ، وهو أصح مما ذهب إليه الأزهرى باجماع أهل السير ، وكثير من المتأدبين يطلق اسم الزوراء على بغداد ، وفى كلام الشريف مايدل على أنه أراد ذلك (البيت ٤٠) والجران ـ بكسر الجيم ، بزنة الكتاب ـ أصله مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره ، ويقولون: ألقى البعير جرانه ، يريدون أنه برك ، وإذا أرادوا الكناية عن ثبات أمر من الأمور واستقراره قالوا: ألقى هذا الأمر جرانه ، والمديد : الممتد الطويل ، والنواحى : جمع ناحية ، والمدلهم : المظلم ، يقول: رب أمر شديد عظيم الخطر بالغ الأرقد استقر فى بغداد وقد اندلع شرره فى نواحيها وأظلم على الناس وجه الخلاص منه لتفاقم شره واستفحال خطره .

٣٧ وأضرمها حمراء ينزو شرارها ... إلى جنبات الجو نزو الجنادب (١)

٣٨ سللت عليه الحزم حتى جلوته ... كما انجاب غيم العارض المتراكب (٢)

٣٩ وقد علم الأعداء أنك تحته ... غلبت وما كان القضاء بغالب

٤٠ وأقشعت عن بغداد يوما دويه ... إلى الآن باق في الصبا والجنائب (٣)

٤١ ولولاك على بالجماجم سورها ... وخندق فيها بالدماء الذوائب (٤)

---

(١) أضرمها : أشعل لهبها ، وأصله الضرمة ، وهى - بفتح الضاد والراء جميعا - النار ، وينزو : يثب ويسور ، والجنادب : جمع جندب ، وهو ضرب من الجراد ونوع منه .

(٢) الحزم : ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة ، وقد شبهه بالسيف ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله « سللت » وأصل السل إخراج السيف من قرابه ، ولا يكون إلا عند إرادة الضرب به ، وجلوته : كشفته وفرجت كربه ، وانجاب : ذهب وانقشع ، والعارض: أصله السحاب يعترض فى الأفق فيظلم الجو منه ، والمتراكب : الكثيف الذى ركب بعضه بعضا ، يريد أن الممدوح جلا بحزمه وضبطه الأمور وأخذه فيها بما توجبه الحكمة هذا الخطب الذى نزل بالزوراء وكشف ظلماءه فتقشع كما يتقشع السحاب الكثيف .

(٣) تقول : قشعت الريح السحاب ، إذا كشفته ، هذا أصله ، ومنه قالوا : قشع النور الظلام يقشعه - من باب قطع - إذا كشفه ، وقالوا : قشع فلان القوم ، إذا فرقهم ، وقالوا : أقشع القوم - لازما - بمعنى تفرقوا ، وقالوا : أقشع فلان القوم فأقشعوا ، يريدون أنه فرقهم فتفرقوا ، وهذا من نوادر اللغة ، لأن صيغة أفعل ليست من صيغ المطاوعة . والدوى - بفتح الدال وكسر الواو - الصوت الشديد ، والخفيف والهدير ، وقال أبو الطيب المتنبي :

وتركك في الدنيا دويا كأنما ... تداول سمع المرء أنمله العشر

والصبا - بفتح الصاد - ريح تجيء من ناحية مطلع الثريا ، والجنائب : جمع جنوب - بفتح الجيم - وهى ريح تقابل ريح الصبا ، وأراد أن آثار هذا الحادث لا تزال مذكورة فى كل مكان.

(٤) الجماجم : جمع جمجمة - بضم الجيمين بينهما ميم ساكنة - وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ ، وعلى : فعل ماض مبنى للمجهول ، وكان من حقه أن يبنيه على الفتح لأن الفتحة

٤٢ وكَمْ لَكَ مِن يَوْمٍ تركت به الظُّبَا ... مَضَارِبُها مَشْغُولَةٌ بالضَّرَائِبِ (١)

٤٣ سَوَابِقُهُ ما بين كَابٍ وناهِضٍ ... وأقرانُهُ مابين هَاوٍ ووَاثِبِ (٢)

٤٤ وقُدْتَ إليه الخيلَ يَسْبُبْنَ بالقنا ... ويُسْفِينَ بَوْغاءَ الْمَلَا وَالسَّبَاسِبِ (٣)

تظهر على الياء، لكنه عاملها كما تعامل الألف ، وقد يكون قلب الكسرة التى قبل الياء فتحة فانقلبت الياء ألفا كما هى لغة طيء وقد ذكرناها فى شرح (٤٧ - ١) يريد أنه لولا الممدوح لكثرت القتلى وطاحت الرءوس حتى يكون منها سور عال للمدينة ، وخندق - بالبناء للمجهول أيضا - صنع خندق، وهو بزنة جعفر : حفير حول أسوار المدن ، وجمعه خنادق ، وهو فارسى معرب . والذوائب: جمع ذائب ، وأراد به الجارى .

(١) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ، والمضارب : جمع مضرب ، وهو مكان الضرب، والضرائب : جمع ضريبة ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة من الضرب ، وليست تاؤها للتأنيث ولكنها للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما فى النطيحة وأكيلة السبع ، وذلك لأن فعيلا بمعنى مفعول كقتيل وجريح مما يستوى فيه المذكر والمؤنث ، يريد أن أطراف السيوف مشغولة بمن تقع عليه ، وفسر فى هامش ب الضريبة بالكثير الضرب ، وهو عجيب .

(٢) السوابق : جمع سابق ، وأراد بالسوابق الخيل ، وكاب : اسم فاعل من كبايكبو إذا انكب على وجهه ، والضمير المجرور محلا بالإضافة فى قوله « سوابقه » يعود إلى اليوم ، و إضافة السوابق إلى اليوم على معنى فى ، والناهض : القائم ، وأراد بالخيل الكابية خيل أعدائه ، و بالخيل الناهضة خيل الممدوح وأنصاره ، والأقران : جمع قرن ، وأراد بهم المتحاربين ، والهاوى : اسم فاعل فعله هوى يهوى - بوزان رمى يرمى - إذا خر من أعلى إلى أسفل ، وواثب : اسم فاعل فعله وثب يثب إذا نهض وقام أو طفر وقفز ، يصف هذا اليوم بالشدة وعظم الهول ، وأن الخيل فيه كانت منقسمة إلى قسمين: فقسم ناهض يكر فى معمعة القتال وذلك خيل الممدوح وأعوانه ، وقسم يتعثر ويسقط براكبه وهذا خيل أعدائه، والمقاتلة أنفسهم كانوا فريقين: ففريق قائم يقاتل ويقهر الأعداء وينتصر عليهم وذلك هو فريق الممدوح ، وفريق آخر يخر صريعا فى ميدان القتال ، وهذا فريق أعداء الممدوح .

(٣) يسبين بالقنا : يطعن بها ويعقرن ، والمفعول محذوف ، وتقول : سب فلان الفرس -

٤٥ ثِقالًا بأعْباءِ العَوالِي كأنَّما يَطَأْنَ الرُّبَى وَطْءَ الإماءِ الحَواطِبِ (١)

٤٦ مُعاوِدَةً عَضَّ الشَّكيمِ بمصها رَشاشَ الحَوانِي بالنِّبالِ الصَّوائِبِ (٢)

٤٧ وقَدْ شَمَّرَ التحجيلُ عن رُكَباتِها وَحَجَّلَها خَوْضًا نجيعُ المَقانِبِ (٣)

من باب نصر ـ إذا عقره وطعنه فى سبته ـ وهى ظهره ـ ونسب الفعل إلى الخيل وإن كان الطاعن راكبه تجوزا ، ووقع فى عامة أصول الديوان « ويسبين بوغاء الملا والسباسب » ولا معنى له ، وأكبر الظن أنه محرف عما أثبتناه ، ويسفين : مضارع «أسفى التراب» إذا أثاره وهيجه ، أو نقله ، والبوغاء ـ بفتح الباء وسكون الواو ـ مايثور من الغبار ودقاق التراب ، والملا ـ بفتح الميم ، بزنة العصا ـ الصحراء ، والسباسب : جمع سبسب ـ بزنة جعفر ـ الأرض المستوية البعيدة .

(١) الأعباء : جمع عبء ـ بكسر فسكون ـ وهو الثقل ، والعوالى : جمع عالية وهى أعلى القناة ، والربى : جمع ربوة ، وهى المكان المرتفع ، والإماء : جمع أمة ، وهى المرأة المملوكة ، والحواطب : جمع حاطبة ، وهى التى تحمل الحطب بعد أن جمعته ، يقول : إن الخيل تسير مثقلة بما تحمل من أعباء أدوات القتال .

(٢) معاودة : اسم فاعل من المعاودة ، وهى انتياب الشىء والعود إليه مرة بعد مرة ، والشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام ، ومنه قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ابن مروان .

عَوَّدْتُهُ فيما أزورُ حَبائِبى إهْمالَهُ ، وكذاكَ كلُّ مُخاطِرِ

وإذَا احْتَبَى قَرَبُوسَهُ بِعِنانِهِ عَلَكَ الشكيمَ إلى انصرافِ الزائرِ

والمص : الشرب الرفيق ، والرشاش ـ بفتح الراء ، بزنة السحاب ـ ماترشش من الدم والدمع ونحوهما ، ويقولون « من لم يدخل الشر أصابه من رشاشه » والحوانى جمع حان ، وهو أطول الأضلاع كلهن ، وهما اثنان فى كل جانب ، والنبال : جمع نبل ، أو نبلة ـ بفتح فسكون فيهما ـ والنبال : السهام العربية ، والصوائب : جمع صائب ، وقالوا « مع الصوائب سهم خاطىء » . يريد أن هذه الخيل قد تعودت أن تعض حدائد لجمها بسبب امتصاص رشاش الدم المنبعث من جوانب خيل الأعداء بما يقذفه ركاب هذه الخيل من النبال الصائبة على أعدائهم .

(٣) التحجيل : بياض فى قوائم الفرس ، ووقع فى ب « وقد شمر التحجيل عن جنباتها »

٤٨ فَقَصَّرْتَ فيهِ كلَّ سَمْرَاءَ لَدْنَةٍ ... وَأَنْحَلْتَ فيهِ كلَّ أَبْيَضَ قَاضِبِ (١)

٤٩ وأَصْدَرْتَ عنه الجيشَ مِن بَعْدِ هَبْوَةٍ ... توصِّلُ أعناقَ القَنَا وَالقَوَاضِبِ (٢)

٥٠ وأَرْعَنَ دَمَّاغِ الرُّبَى فى مَجَرِّهِ ... يُطَبِّقُ عَرْضَ البِيدِ ذاتِ المَنَاكِبِ (٣)

٥١ سَرَيْتَ بِهِ حتى تقلَّصَ نَقْعُهُ ... عَنِ الفَجْرِ طَلَّاعًا جِبالَ الغَيَاهِبِ (٤)

وما أثبتناه موافق لما فى ه ، وهو أحسن ، وركبات ـ بضم الراء وفتح الكاف ـ جمع ركبة ، بضم فسكون ، والنجيع ـ بفتح النون ـ ما كان لونه إلى السواد من الدم ، والمقانب : جمع مقنب ـ بزنة منبر ـ وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة ، يقول: إن هذه الخيل محجلة بأصل خلقتها، وذلك من علامة العتق والفراهة ، ولكنها أيضا قد حجلت بدماء الأعداء الذى نريقه فتخوض هذه الخيل فيه .

(١) أراد بكل سمراء لدنة الرماح ، واللدنة ـ بفتح فسكون ـ الوصف من اللدونة وهى اللين ، وتقصيرها لأنها تتكسر من كثرة مايعمل بها، والأبيض القاضب : السيف القاطع، وإنحاله شبيه بتكسير السهام والرماح ، ووقع فى ه « فقهقرت فيه كل سمراء لدنة » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(٢) أصدرت : أراد أعدت ، والهبوة ـ بفتح فسكون ـ دقاق التراب المرتفع فى الجو كالدخان ، وكنى بها عن احتدام المعركة وشدة ماحدث من القتال .

(٣) الأرعن : أراد به هنا الجيش الكثير العدد ، على تشبيهه بالجبل ذى الرعان الطوال ، ويقال « لقى القوم القوم بأرعن » إذا قابلوهم بجيش مضطرب لكثرته ، وأصل الدمغ شج الرأس إلى أن تبلغ الشجة الدماغ ، والربى : الأماكن المرتفعة ، ومجره : مسيره ، وأراد أن الجيش لكثرته وقوة عتاده يزلزل الروابى فيسويها بالمنبسط من الأرض ، ويطبق : يغطى ، والبيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء ، والمناكب : النواحى ، ومنه قوله تعالى : (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) وتغطية الجيش عرض البيد ذات النواحى الكثيرة كناية عن كثرته .

(٤) سريت به : سرت به ليلا ، وتقلص : ارتفع ، والنقع ـ بفتح فسكون ـ الغبار . والغياهب : جمع غيهب ، وهو السواد الشديد والظلمة .

٥٢ وفي كلِّ يَوْمٍ أَنْتَ بالعَزْمِ رَاكِبٌ ... قَرَادِيدَ أَمْرٍ لا تَذِلُّ لِرَاكِبِ (١)

٥٣ وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ تَخَمَّطَ بازِلٌ ... سَرَتْ فيهِ أَعْرَاقُ القُرُومِ المَصَاعِبِ (٢)

٥٤ تَدَارَكْتَ أَطْنَابَ الخِلافَةِ بعد ما ... دَنَا الضَّيْمُ حتى مَسَّها بالرَّوَاجِبِ (٣)

٥٥ وَما زِلْتَ تَرْمِي قلبَ كلِّ مُجاذِبٍ ... تُجَاذِبُهَا حتى قلوبَ الأَقارِبِ

٥٦ هَنِيئًا لكَ العيـــدُ الجديدُ فإنَّه ... يَسُلُّ لك الإقبالُ عَضْبَ المَضَارِبِ

٥٧ وعِزُّكَ باقٍ لا يُزَلْزَلُ طَوْدُهُ ... وكلُّ المعالي بين ماضٍ وآئِبِ (٤)

---

(١) القراديد : جمع قردود ـ بزنة عصفور ـ وهو فى الأصل ما ارتفع وغلظ من الأرض ومثله القردد ـ بزنة جعفر ـ ولا تذل : لاتخضع ولا تلين ، و يريد أن الممدوح يأتى الصعاب من الأمور و يتجشم منها مالا قبل لأحد بأن يتجشمه .

(٢) تقول : تخمط الفحل ، إذا هـدر ، وتقول : تخمط ناب البعير ، إذا طلع ، وقال أوس بن حجر :

إذا مُقْرِمٌ منَّا ذَرَى حدَّ نَابِهِ ... تَخَمَّطَ منَّا نَابُ آخر مُقْرِمِ

يريد إذا ذهب مناسيد قام سيد آخر ، والبازل من الإبل : البعير الذى انشق نابه بدخوله فى السنة التاسعة ، والقروم : جمع قرم ، وهو ـ بفتح فسكون ـ الفحل من الإبل لايحمل عليه ويترك للفحلة ، و يطلق على السيد الكريم ، والمصاعب : جمع مصعب ـ بزنة مكرم ـ وهو مثل القرم ، والمعنى أنه ليس مستغربا أن يكون مثلك فى المنزلة العليا من السيادة لأنه يجرى فى عروقك دم قوم سادة أنجاب .

(٣) الأطناب : جمع طنب ـ بضم الطاء والنون جميعا ـ وهو فى الأصل الحبل الذى تشد به الخيمة ، ودنا : قرب ، والرواجب : جمع راجبة ، وهى مفاصل أصول الأصابع . يقول : إن الممدوح وقف دون مانزل بالخلافة من محن : يذودها عنها ، و يعمل على تخليصها منها ، وقد كاد الضيم يأتى عليها و ينال منها .

(٤) الطود ـ بفتح الطاء وسكون الواو ـ أصله الجبل العالى ، يقول : إن عز الممدوح باق لايصيبه وهن ولا تعتريه آفة ، فى حين أن عز غيره من الناس يتحول ويذهب .

٥٨ وما راقَتِ الأعيادُ إلاَّ بغُرَّةٍ تَبَلَّجُ عَنْ نُورٍ من المجدِ ثاقِبِ (١)

٥٩ وكَيْفَ يَسُرُّ الفطرُ مَنْ عاشَ دَهْرَهُ بعُنْوانِ معروقِ الجناجِنِ شاحِبِ (٢)

٦٠ إذا ما امْرُؤٌ لم يكسُهُ الشيبُ عفَّةً فما الشيبُ إلا سُبَّةٌ للأشايبِ (٣)

٦١ أنا القائلُ المَرْمُوقُ من كل ناظِرٍ إذا صَلْصَلَتْ للسامعينَ غرائبي (٤)

---

(١) راقت : صفت وخلصت من الأكدار ، والغرة ـ بضم الغين ـ أصلها بياض فى جبهة الفرس ، وهى من ممادح الخيل عند العرب ، ويقال للرجل الكريم العظيم : أغر ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أنا قائد الغر المحجلين يوم القيامة » وتبلج : أصله تتبلج ، فحذف إحدى التاءين تخفيفا ، ومعناه هنا تنكشف أو تضىء ، والنور الثاقب : المضىء النافذ فيما يقع عليه .

(٢) معروق : اسم مفعول فعله « عرق فلان العظم » من باب نصر ـ إذا أخذ ماعليه من اللحم ، والجناجن : عظام الصدر ، والشاحب : المتغير اللون من هزال أو جوع أو سفر ، يقول : إن دأب الممدوح وعادته الصوم والاشتغال بعظائم الأمور ، فهو شاحب اللون ناحل الجسم هزيل اللحم من أجل ذلك ، وليس يسره ذهاب شهر الصوم وإقبال أيام الفطر ، لأن هذا إنما يسر من يستطيب المآكل وتشتاق نفسه ملاذ الحياة ، ووقع فى ب « معروف الجناجن » محرفا .

(٣) الأشايب : جمع أشيب ، وهو الذى وخطه الشيب ، ووقع فى ه ، ب « الأشائب » بالهمزة وليس بجيد عربية ، لأن حرف العلة يقلب همزة فى الجمع إذا كان حرف مد زائد فى المفرد ، والياء فى الأشيب ليست حرف مد ، كما أنها ليست حرفا زائدا .

(٤) المرموق من كل ناظر : يريد أن عيون الناس تلتفت إليه وتتوجه نحوه ، وصلصلت : صوتت ، والأصل فيه صلصلة الجرس ، والغرائب : جمع غريبة ، وأراد بها الأشعار الغريبة المعانى البديعة التراكيب ، وقال الأعشى :

وقَصِيدَةٍ تأتى الملوكَ غريبَةٍ قد قلتُها ليُقَالَ مَنْ ذا قالها

يقول : إنه متى بدأ فى إنشاد أشعاره الغريبة اتجهت نحوه أنظار السامعين ، إعجابا بما يسمعونه ، وارتقابا لاستماع مليح الكلام وبديعه .

٦٢ وما صُنْتُ شِعْرِى عنك زُهْدًا، وإنما هُوَ الدَّرُّ لا يُمْرَى بغَيْرِ الْحَوَالِبِ (١)

٦٣ ولِى منْ قَرِيضِى مُنْبِهٌ لضميرِهِ ولـكننى آبَى دَنِىَّ الْمَكَاسِبِ (٢)

٦٤ وما كلّ شُغْلِى بالْمَقَالِ أرُوضُه ولا أنا بالقوَّالِ ضَرْبَةَ لازِبِ (٣)

* * *

٣٠ — وقال يمدحه أيضاً ويهنئه بعيد الأضحى من هذه السنة [من الوافر] :

١ أرَابَكِ مِنْ مَشِيبِى ما أرابَا وما هٰـذَا البياضُ علىَّ عابَا (٤)

---

(١) صنت : حفظت. وتقول : مرى الناقة يمريها مريا — مثل رمى يرمى رميا — إذا مسح ضرعها لتدر . والحوالب : جمع حالبة ، وهى التى تستخرج اللبن من الضرع . يقول : إننى لم أعمد لحفظ شعرى أن يقال فيك زهادة فى مديحك ، ولـكن عوائق الدهر وعاداته هى التى تسببت فى ذلك ، ووقع فى ه « هو الدهر لايمرى بغير الحوالب » .

(٢) القريض : الشعر ، ومنبه : اسم فاعل فعله أنبه ، وتقول : أنبـه فلان فلانا ، إذا أيقظه واسترعى انتباهه ، ووقع فى ه « منية » محرفا ، وآبى : فعل مضارع مبدوء بهمزة المضارعة التى للمتكلم وماضيه أبى ، فلما اجتمعت همزتان فى أول الكلمة وثانيتهما ساكنة قلبت الثانية ألفا لانفتاح الأولى ، كما تقول : أنا آتى الأمر الفلانى ، وأنا آمر فلانا بكذا ، وأنا آخذ كذا ، ونحو ذلك ، ودنى المناسب : وضيعها وسافلها الذى لايليق بكبار النفوس .

(٣) تقول : راض فلان الفرس يروضه ، إذا أردت أنه أسلس قياده ويسر ركوبه وذلله وطوعه بعد جماح ونفار ، هذا أصل هذه الـكلمة ، وتقول : فلان يروض القول ، إذا كان يتخير مواضعه ويسر صعبه ، والقوال : أصله صيغة المبالغة من القول ، والمراد منه هنا القائل ، وتقول : صار هذا الأمر ضربة لازب ، تريد أنه صار لازما ثابتا ، وتقول : ماهذا الأمر بضربة لازب ، تريد أنه ليس بلازم ولا بواجب ، قال النابغة الذبيانى :

فَلَا يحسبُونَ الخير لا شرَّ بَعْدَهُ ولا يحسَبُونَ الشرَّ ضربَةَ لازِبِ

(٤) رابك : أورثك الريب وهو الشك ، وتقول : هذا الأمر يريبنى ، وفى الحديث « دع مايريبك إلى مالا يريبك » وتقول : أرابنى هذا الأمر ، والثانية فى صدر البيت من المزيد بالهمزة

٢ لئن أبغضتِ مِنّى شيبَ رأسى فإنّى مُبْغِضٌ منكِ الشَّبابا

٣ يَذُمُّ البِيضُ من جَزَعٍ مَشِيبى ودَلُّ البِيضِ أولُ ما أشابا(١)

٤ وكانَتْ سَكْرَةٌ فصحَوْتُ منها وأنْجَبَ مَنْ أبَى ذاكَ الشرابا(٢)

٥ يميلُ بِيَ الْهَوَى طرباً وَأنْأَى ويَجْذِبُنى الصِّبَا غَزَلًا وآبَى(٣)

٦ وَيَمْنَعُنى الْعَفَافُ كأنَّ بَيْنى وبينَ مآرِبى مِنْهُ هِضَابَا

٧ نَصَلْتُ عَنِ الصِّبَا ومُصَاحِبِيهِ وَأبْدَلَنى الزمانُ بِهِمْ صِحَابَا(٤)

٨ ولماجَدَّ جِدُّ الْبَيْنِ فِينَا وهَبْتُ له الظَّعَائِنَ والْقِبَابَا(٥)

بغير شك ، والأولى يجوز أن تكون من الثلاثى والهمزة للاستفهام، ويجوز أن تكون من المزيد بالهمزة ، والمشيب : الشيب ، و « ما » نافية تعمل عمل ليس كما هى لغة أهل الحجاز ، وعليها جاء قول الله تعالى : (ماهذا بشراً) والعاب : العيب

(١) البيض : جمع بيضاء ، وأراد النساء الحسان البيض الوجوه . والدل ـ بفتح الدال وتشديد اللام ـ الدلال ، وأن تظهر المرأة الخلاف وليس بها خلاف ، يقول : لقد ذم الحسان شيبى وجزعن من نزوله برأسى ، ولو علمن أن دلالهن هو الذى أشاب رأسى لما ذممنه، لأنه من صنيعهن ووقع فى ه « ودل الشيب أول ماأشابا » محرفا تحريفا قبيحا .

(٢) أراد بالسكرة ما كان فيه من دواعى الصبا والميل إلى أسباب الفتوة ، وأنجب : صار نجيبا .

(٣) الطرب : خفة تعترى الإنسان من فرح أو حزن ، ووقع فى ه « يميانى الهوى طربا » وأنأى : أبتعد عنه ، والغزل : محادثة النساء والميل إليهن ، وآبى : أمتنع .

(٤) نصلت عن الصبا : خرجت عن دواعيه وخلفتها وراء ظهرى ، وأصل هذه الكلمة قولهم « نصلت الخيل عن الغبار » إذا خرجت منه ، وقالوا « نصل فلان من الطريق » إذا خرج. يقول : تركت دواعى الصبا وأصدقاء الصبا الذين يميلون إلى أهوائه، وتبدلت بهم رفقاء آخرين.

(٥) الظعائن : جمع ظعينة ، وهى الهودج ، أو المرأة مادامت فيه ، ولا يقال لها ظعينة وهى خارجه ، والقباب : جمع قبة ، وهى مايضرب من الخيام على الملوك والرؤساء .

٩ وما رَوَّعْتُ من جَزَعٍ جَنانا ولا رَوَّيْتُ من دَمْعٍ جَنابا(١)

١٠ دَعِينى أطْلُبُ الدُّنْيا فإنِّى أرى المَسْعُودَ من رُزِقَ الطِّلابا(٢)

١١ ومَنْ أبْقَى لِآجِلِهِ حَدِيثاً ومَنْ عانَى لِعاجِلِهِ اكْتِسابا(٣)

١٢ وما المَغْبُونُ إلا مَنْ دَهَتْهُ ولا مَجْداً ولا جِدَةً أصابا(٤)

١٣ فلا واللهِ أتْرُكُها خَلِيًّا وَلَمَّا أجْنُبِ الأسْدَ الغِضابا(٥)

١٤ وأرْكَبُها مُحَصَّنَةً شَبُوباً تُمانِعُ غيرَ فارِسِها الرِّكابا(٦)

---

(١) روعت : أخفت ، والجزع : ضعف قوة الإنسان عن احتمال مانزل به ، والجنان ـ بفتح الجيم ، بزنة السحاب ـ القلب ، ورويت : سقيت ، والجناب : الناحية ، يقول : لم يأخذنى الجزع على فراق الحبائب ولم ينهمر دمع عينى فيسقى مواطن الوداع ومعاهد الآرام ، ووقع فى ه :

* ولا رويت من دمعى جنابا *

وأثبتنا مافى ب .

(٢) دعينى : اتركينى ، والمسعود : كثير البخت والحظ ، والطلاب ـ بكسر أوله ـ الطلب .

(٣) عاجله : أراد به الحياة الدنيا ، وحديثا : أراد به ذكرا بين الناس ، وخير عبارة فى هذا المعنى قوله تعالى : (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) وأراد بآجله الآخرة دار الثواب . يقول: إن المسعود هو الذى يعمل للحياة الدنيا على أن يكتسب فيها ماتدعو الحاجة إلى اكتسابه ، ومن عمل للحياة الأخرى على أن يترك له ذكرا حسنا بين الناس .

(٤) المغبون: الذى أصيب بالغبن وهو نقص الحظ ، والجدة ـ بكسر الجيم ـ اليسار والسعة والقدرة والغنى .

(٥) أصل الكلام : فوالله لاأتركها خليا ، فقدم حرف النفى ، والضمير فى « أتركها » عائد إلى الدنيا ، وخليا فعيل بمعنى مفعول ، أى لاأتركها مخلاة كالمرأة التى طلقها زوجها ، أو يكون قصد « فلا والله لاأتركها خليا » فحذف حرف النفى ، وحذف حرف النفى مقيس إذا كان بعد القسم وكان حرف النفى «لا» خاصة وكان المنفى فعلا مضارعا ، وكل هذا متحقق ههنا . وأجنب : أصله أن يقود الفارس فرسا بجانب فرسه التى يركبها ، وأراد هنا معنى أقود، من غير قيد .

(٦) الضمير فى « أركبها » يعود إلى الخيل التى فهمت من قوله «ولما أجنب الأسد الغضابا»

١٥ إذَا نَهْنَهْتُهَا أرِنَتْ جِمَاحاً إلى أملى تُجَاذِبُنى جِذَابَا(١)

١٦ فإمَّا أمْلأُ الدُّنْيَا عَـلَاء وإمَّا أمْلأُ الدنيـا مُصَابَا(٢)

١٧ سَجِيَّةُ مَنْ رَعَى الأيَّامَ حَتَّى أشابَ جَمَاجِماً منها وشَابَا(٣)

١٨ وَهَلْ تُشْوَى حقائقُ ألْمَعِيٍّ إذَا ماظَنَّ أغْرَضَ أو أصابَا(٤)

ومحصنة : معناه أنها ممنعة ، وشبوبا : يجوز أن تقرأ بضم الشين على أنه مصدر شب الفرس ـ من بابى نصر وضرب ـ يشب شبوبا وشبيبا ، إذا رفع يديه ، أو نشط ، أو خرق . و بنصب هذا المصدر على أنه مفعول لأجله ، و يجوز أن تقرأ بفتح الشين على أنه وصف ، فانه يقال « فرس شبوب » إذا كانت رجلاه تجوز مواضع يديه .

(١) نهنهتها : كففتها وزجرتها ، وأرنت ـ بكسر الراء ـ نشطت ، والجماح ـ بكسر الجيم ـ مثل الإباء وزنا ومعنى ، وهو الحران والاستعصاء وعسر المقادة .

(٢) يقول : لابد من أحد أمرين أولهما أن أملأ سمع الدنيا باحاديث مجدى ورفعة شأنى وثانيهما أن أملأ الدنيا بالفواجع والمصائب .

(٣) السجية : الخليقة والخصلة ، أشاب جماجما : كنى بهذا عن أنه ينزل الروع والفزع بقلوب الناس فتشيب نواصيهم من هول مايجدون منه ، وشاب : ابيضت رأسه هو أيضا لكثرة مالاق من عنت الأيام .

(٤) تشوى : مضارع مبنى للمجهول من الإشواء ، وهو أن يرمى الرامى فلا يصيب مقتلا و إنما يصيب الشوى ـ بفتح الشين، بزنة الفتى ـ وهو الأطراف ، والألمعى : فسره الأصمعى بأن أنشد قول أوس :

الألمعىُّ الذى يظن بك الـــظنَّ كأنْ قد رأى وقد سمعا

وأغرض : وردت فى أصول الديوان كلها بالغين معجمة على أنها بمعنى أصاب الغرض ، فيلزم أن تكون « أو » بمعنى الواو ، ولو كانت « أعرض » بالعين مهملة لبقيت « أو » على أصل معناها ويكون المراد أنه إذا التفت إلى شىء مجرد التفات قدر نتائجه فإما أن يعرض عنه إذا كان قد رأى أن إدراكه غير ميسور أوغير مفيد ، و إما أن يدركه و يصيبه من فور التفاته إليه .

١٩ ولم أرَ كالمآرِبِ رَامِيَاتٍ بِنَا الدُّنْيَا بِعَادًا واقْتِرَابَا(١)
٢٠ تُخَوِّضُنَا البِحَارَ مُزَمْجِرَاتٍ وتَسْلُكُنَا المَضَايِقَ وَالْعِقَابَا(٢)
٢١ وأعْظَمُ مِنْ عُبابِ البحرِ حِرْصٌ على الأرْزَاقِ أرْكَبَنَا العُبَابَا(٣)
٢٢ وغُلْبٍ كالقَوَاضِبِ من قُرَيْشٍ يُرَوُّونَ القواضبَ والكِعَابَا(٤)
٢٣ فما وَلَدَ الأجَارِبُ من تميم نظيرَهُمُ ولا الشُّعْرُ الرِّقَابَا(٥)

---

(١) المآرب : جمع مأرب ، وهى الحاجة يقصدها الإنسان .

(٢) تخوضنا البحار : تكلفنا خوضها ، ومزمجرات : أراد مصطخبات يضطرب آذيها ويهدر الموج فيها ، فعبر عن صوت الموج بالزمجرة ، وأصلها صوت الأسد ، وتسلكنا المضايق : تجشمنا سلوكها ، والمضايق : جمع مضيق ، وهو المكان الضيق ، والعقاب : جمع عقبة ، وهى مرتقى فى الجبل صعب صعوده .

(٣) عباب البحر ـ بضم العين ـ كثرة أمواجه .

(٤) غلب : جمع أغلب ، وهو الأسد ، وأراد به قوما أبطالا ، على التشبيه ، والقواضب : جمع قاضب وهو فى الأصل السيف القاطع ، وأراد به الرجل النافذ فى الأمور ، ويروون القواضب والكعابا : يسقونها من دماء الأعداء .

(٥) الأجارب : حى من بنى سعد ، والأجربان أيضا : بطنان من العرب ، والاجربان : بنو عبس وذبيان ، وفيهما يقول العباس بن مرداس السلمى :

إنى إخال رسولَ اللهِ صَبَّحَكُمْ جَيْشًا له فى فضاء الأرض أركانُ
فيهم أخوكُمْ سُلَيْمٌ لَيْسَ تارِكَكُمْ والمسلمونَ عبادُ اللهِ غَسَّانُ
وفى عِضادَتِهِ اليمنى بنو أسَدٍ والأجْرَبَانِ بنو عَبْسٍ وذُبْيَانُ

والشعر : جمع أشعر ، وهو الغزير الشعر ، وأراد بالشعر الرقاب فزارة ، وفيهم يقول الشاعر :

فَمَا قَوْمِى بِثَعْلَبَةَ بن بكر ولا بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرقابا

والعرب تجعل من سمات الكريم أن ينحسر شعره عن قفاه وعن وجهه ، ويسمون من ينزل شعره على أحدهما « أغم » ويقول الشاعر :

٢٤ وإنَّ المَجْدَ قَدْ عَلِمتْ مَعَدّ ... ودَارَ العزِّ والنسبَ القُرَابَا(١)

٢٥ لِأطْوَلِهِمْ إذا ركبُوا رِمَاحاً ... وأعْلاهُمْ إذَا نَزَلُوا قِبَابَا(٢)

٢٦ وأغْزَرِهِمْ إذا سُئِلُوا عَطاءً ... وأوحَاهُمْ إذَا غَضِبُوا ضِرَابَا(٣)

٢٧ بَنِى عَمِّ النَّبِىِّ وَأقْرَبِيهِ ... وَأَلْصَقِهِمْ بِهِ عِرْقاً لُبَابَا(٤)

٢٨ عُلاَ بِيَدِ الْحُسَيْنِ ذُؤَابَتَاهَا ... وفَرْعَاهَا اللذَا كَثُرَا وَطَابَا(٥)

ولا تنكحى إنْ فَرَّق الدهْرُ بَيْنَنَا ... أغمَّ القَفَا والوجْهِ لَيْسَ بأنْزَعَا

فنبزهم فزارة بالشعر الرقاب ليس على المدح كما ظن ناشر ب .

(١) النسب القراب ـ بضم القاف ، بزنة الغراب ـ القريب الدانى .

(٢) أراد من طول الرمح حال الركوب أنه ينال من خصمه ولاينال خصمه منه ، ولايلزم أن يكون الرمح طويلا على الحقيقة ، وفى ذلك يقول الشاعر :

إذَا قَصُرَتْ أرْمَاحُنَا كانَ طُولُها ... خُطَانَا إلى أعدائِنَا فَنُضَارِبُ

وأراد بأعلاهم قبابا أعظمهم شرفا وأعلاهم سيادة ، فكنى بهذه العبارة عن ذلك .

(٣) أغزرهم : أكثرهم ، وأوحاهم : أسرعهم ، والضراب ـ بكسر الضاد ـ المضاربة والمجالدة بالسيوف .

(٤) عرقا لبابا ـ بضم اللام ، بزنة غراب ـ أى خالصا لايخالطه شىء من الهجنة .

(٥) الذؤابة : أعلى الشىء ، واللذا : هو تثنية الذى ، والكثير فى الاستعمال العربى أن يقول «اللذان» بالنون كما قال الله تعالى : (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما) وقد حذف النون هنا تخفيفا وهو مع قلته وارد فى شعر العرب المحتج به ، فمن ذلك قول الأخطل التغلبى :

أبَنِى كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّىَّ اللَّذَا ... قَتَلَا المُلُوكَ وَفَكَّكَا الأغْلاَلاَ

ومن ذلك قول الآخر فى تثنية التى :

هُمَا اللَّتَا لَوْ وَلَدَتْ تَمِيمُ ... لَقِيلَ فخرٌ لهمُ صَمِيمُ

والسر فى ذلك أن العرب استطالوا ثلاثة أشياء وهى الموصول وصلته والعائد من الصلة إليه ، ثم هى لا تؤدى إلا مايؤديه اسم مفرد ، فلايتم كلام مفيد باجتماع الثلاثة ، بل لا بد من أن ينضم

١٩ وكانَتْ لا تُجَارُ مِنَ الأعادِي فَسَانَدَ غَرْبُهُ ذاكَ النِّصَابا(١)

٣٠ وَحَصَّنَهَا فليس يَنَالَ منها ذَنُوباً مَنْ يَهُمُّ ولا ذِنابا(٢)

٣١ هُمَامٌ ما يزالُ بكلِّ أرضٍ يُبَرْقِعُ تُرْبَهَا الْخَيْلَ الْعِرَابَا(٣)

إليها شيء حتى يتم الكلام ، فلما رأوا ثلاثة أشياء تقوم مقام شيء واحد استطالوها فتصرفوا فيها بالحذف ، فأحيانا يحذفون من الموصول بعض حروفه ، وأحيانا يحذفون الصلة ، وأحيانا يحذفون العائد ، وإنما ذكرت هذا هنا لئلا تأخذ الشريف بألسنة اللوم وتظن أنه جانب النهج القويم فى اللغة ، ولنا بحث طويل الذيل فى هذا الموضوع فى شرحنا على شرح الأشمونى .

(١) الضمير المستتر فى قوله « وكانت » يعود إلى العلا فى البيت السابق ، وقوله «لاتجار من الأعادى » يريد به أن الأعداء كانوا يطمعون فيها، ويحاولون اغتصابها من أهلها ، وسانده : أى عاضده وكان له عونا . والغرب ـ بفتح فسكون ـ الحدة والنشاط ، ويقولون : كففت من حدته ونشاطه . ويقولون : إنى أخاف عليك غرب الشباب ، يريدون أخاف عليك حدة الشباب ونشاطه لأنهما يؤديان إلى النزق . والنصاب ـ بكسر النون ، بزنة الكتاب ـ أصله مقبض السكين وهو أصله الذى ركب فيه . يقول : لقد كانت هذه مطمعا للأعداء يحاولون أن يأخذوها لأنفسهم ، ولكن الحسين كان هو الذائد عنها الذى لم يمكن الأعداء منها . وضرب الغرب والنصاب مثلا لاجتماع وسائل الانتصار على الأعداء فيه .

(٢) حصنها : أراد مكن لها وجعلها بحيث تستعصى على من يريدها . والذنوب ـ بفتح الذال بزنة الرسول ـ الدلو التى لها ذنب أو الدلو التى فيها ماء دون الملء ، والذناب : يجوز أن يقرأ بكسر الذال على أنه جمع ذنوب . والمعنى على هذا أن هذه المعالى بعد أن مكن لها الحسين أصبحت عسيرة المنال لايمكن لمن يهم بالنيل منها أن يدرك من بغيته قليلا أو كثيراً . ويجوز أن يقرأ بضم الذال على أنه « ذنابى » بزنة حبارى ، والذنابى : ذنب الطائر ، أو على أنه ذناب ـ بزنة غراب ـ اسم جمع واحده ذنابة وهى الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها ، وكل ذلك ليس على حقيقته والمراد ـ على الوجهين الثانى والثالث ـ أنه لاينال منها القليل فضلا عن الكثير .

(٣) البرقع ـ بزنة هدهد ـ ماتستر المرأة به وجهها . وتقول «برقعت المرأة» تريد ألبستها البرقع وتقول «تبرقعت المرأة» تريد أنها لبست البرقع . والخيل العراب ـ بكسر العين ـ الكرام الأصول

٣٢ نَزَائِعُ كالسِّهَامِ كُسِينَ نَحْضاً خفيفاً لا اللُّؤَامَ ولا اللغابا(١)

٣٣ مُحَبَّسَةٌ على الأهوال تَلْقَى بِهَا العِقْبَانَ رَافِعَةَ الذُّنابَى(٢)

السالمة من الهجنة ، وهى خلاف البراذين والبخاتى ، و « الخيل العراب » مفعول أول لقوله يبرقع و « تربها » مفعول ثان على التوسع ، يريد أنه شجاع مايزال يثير الغارات على الأعداء فيركب الخيل العراب ويسير بها إليهم سيراً شديداً فيثير الغبار حتى يغطى به وجه هذه الخيل .

(١) نزائع : جمع نزيعة ، وهى النجيبة التى تجلب إلى غير بلادها وغير ناتجها ، وهو من أوصاف الخيل العراب ، وقد استتبع به وصفه بأنه غلب عليها أصحابها ، ولم ينتجها عنده ، وشبهها بالسهام فى النحول وفى السرعة ، وهو تشبيه كثير الورود على ألسنة الشعراء ، فمن ذلك قول البحترى فى صفة نوق :

يَتَرَقْرَقْنَ كالسَّرَابِ وقد خُضْـ ـنَ غِمَارًا من السراب الجارى
كالقِسِيِّ المعطَّفَاتِ بل الأسْـ ـهُمِ مَبْرِيَّةً بل الأوتار

ومن ذلك قول الشريف الرضى نفسه :

هُنَّ القِسِيُّ مِنَ النُّحُول فإن سَمَا خَطْبٌ فهنَّ من النَّجاءِ الأسهمُ

وقال ابن خفاجه الأندلسى :

وقِدْمًا بَرَتْ منها قسِيًّا يَدُ السُّرَى وفَوَّقَ منْهَا فوقَهَا المجدُ أسْهُما

وقد أخذ ابن قلاقس معنى الشريف الرضى وبعض ألفاظه فقال :

خُوصٌ كأمثالِ القسِيِّ نواحِلاً وإذا سما خطبٌ فهُنَّ سِهَامُ

والنحض ـ بفتح فسكون ـ المكتنز من اللحم كلحم الفخذ ، ووقع فى ه « كسين لحظا » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب . واللؤام ـ بزنة الغراب ـ مصدر لأم السهم ـ من باب فتح ـ إذا قواه وألصق عليه ريشا ، ويقال للسهم الذى التأم ريشه : لؤام ، أيضا ، واللغاب ـ بضم أوله بزنة الغراب ـ السهم الفاسد الذى لم يحسن بريه وعمله ، وذلك إذا لم يلتئم ريشه ويصطحب .

(٢) محبسة على الأهوال : يريد حبسها وجعلها قصراً على اقتحام غمرات الأهوال ، والعقبان جمع عقاب ، وهو من كواسر الطيور ، وهو أيضا الراية ، ولقاء العقبان بهذه الخيول يحتمل معنيين : أحدهما : أن يكون قد أراد أنها تطير بهم كأنها عقاب ، يريد سرعة سيرها ، وثانيهما : أن

٣٤ توقّرُهَا فَتَحْسَبُهَا أسوداً وتُطْلِقها فتحسبها ذِئابَا(١)

٣٥ وأعطتْهُ الرءوسَ مُسَوَّمَاتٍ يَدُقُّ بها الجنادِلَ والظِّرَابا(٢)

٣٦ إذَا قَطَعَتْ بِهِ شَأْوًا بَلَاهَا بأبْعَدَ غايةً وَأمدَّ قَابَا(٣)

٣٧ تجاوَزُهُ المقاولُ وَهْوَ باقٍ يَبُذُّ رِقابَ غُلْبِهِمُ غِلَابَا(٤)

يكون قدأرادأنهم يلقون بها الجيوش المقاتلة، فعبرعن الجيش بالعقاب الذى هو الراية لأنه علم له . والذنابى ـ بضم الذال ـ ذنب الطائر أو ذنب الفرس ، والأول أكثر فى الاستعمال ، ورفع الفرس ذنبه علامة على المرح والنشاط .

(١) توقرها : تهدئها وتسكن جأشها ، يريد أن هذه الخيل حين تهدأ وتسكن تشبه الأسد الرابض ، وحين تنطلق فى سيرها تشبه الذئاب فى سرعة سيرها .

(٢) أعطته الرءوس: كناية عن كونها تسلم مقادتها إليه وتخضع لإرادته . ومسومات : ذوات علامة ، تقول : سومت البعير والفرس ، إذاجعلت له علامة ، والمسومة : المرسلة أيضا ، وفى الكتاب العزيز (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) والجنادل : جمع جندل ، وهو الحجر ، والظراب : جمع ظرب ـ بزنة كتف ـ وهو مانتأ من الحجارة وحد طرفه ، أو هو الجبل المنبسط .

(٣) الشأو ـ بفتح فسكون ـ الغاية . وبلاها : اختبرها ، والقاب : المقدار ، وتقول : بينى وبين فلان قاب قوس ، تريد أن المسافة التى بينكما مقدار القوس ، وفى الكتاب الكريم (فكان قاب قوسين أو أدنى) يريد أن هذه الخيل قد دربت على إدراك مايريد راكبها من الغايات وأنه دائم الابتلاء لها كلما أدرك عليها غاية أقحمها فى طلب غاية أبعد منها .

(٤) تجاوزه : أصله تتجاوزه ، فحذف إحدى التاءين تخفيفا ، والمقاول : جمع قيل ، على غير قياس ، أو جمع مقول ، والقيل فى الأصل: من يلى فى المرتبة الملك من ملوك اليمن ، قيل له ذلك لأنه يقول فيستمع لقوله ، ومعنى تتجاوزه المقاول أنهم لايجرءون على التعرض له أو الوقوف فى وجهه . ويبذ: مضارع بذ فلان فلانا ، إذا غلبه وقهره ، والغلب ـ بضم فسكون ـ جمع أغلب وهى فى الأصل الأسد ، ثم يطلق على الرجل الشجاع تشبيها به، ومن عادة العرب أن يصفوا أعداءهم

٣٨ كنَصْلِ السَّيْف تَسْلَمُ شَفْرَتاه ... ويُخْلِق كلَّ أيامٍ قُرَابَا(١)

٣٩ إذا اشتَجَرَ القَنَا فَصَلَ الهَوَادِى ... وإن قَرَّ الوغَى فَصَلَ الخِطابَا(٢)

٤٠ بَلَا وبَلَتْ يَدَاهُ من الأعادى ... أراقِمَ نُزَّعًا وقَنًا صِلَابَا(٣)

٤١ فَقَوَّمَ بالأذى منها صِعَادًا ... وذَلَّلَ بالرُّقَى مِنْهَا صِعَابَا(٤)

بالشجاعة والمهارة فى الحرب ونحو ذلك ، لأنهم إذا غلبوهم وهم على هذه الصفات كان ذلك أدل على قدرتهم . والغلاب ـ بكسر الغين ـ كالمغالبة : مصدر غالبت فلانا ، إذا ساميته ليعرف أيكم أقدر على الغلب .

(١) نصل السيف : حديدته التى يضرب بها ، وشفرته : حده ، والقراب ـ بزنة غراب ـ جفنه الذى يوضع فيه .

(٢) اشتجر القنا : اختلفت ، والمراد إذا قامت الحرب وتطاعن الفوارس بالقنا . والهوادى : جمع هادية ، وهى العنق ، وفصلها : قطعها فانفصلت عن جسم صاحبها . والوغى ههنا : الحرب ، وقر الوغى : أى سكن ثائر الحرب ، وفصل الخطاب : أراد أنه يكون فصيحا لبقا بتصريف الأمور . والمعنى : أنه شجاع فى وقت الحرب ، بليغ فى وقت السلم . ووقع فى ه « وإن فتر الهوى » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(٣) بلا : اختبر وجرب . والأراقم : جمع أرقم ، وهو أخبث الحيات ، ونزع ـ بضم النون وتشديد الزاى مفتوحة ـ جمع نازع ، وتقول : نزع إلى الشىء ، إذا ذهب إليه ، وأراد أنها تنزع إلى الشر وتميل إليه ، فحذف المتعلق ، وقنا صلابا : أى شديدة ، شبه أعداءه بالأراقم وبالقنا .

(٤) صعاد ـ بكسر الصاد ـ جمع صعدة ، بالفتح ، وهى القناة المستوية تنبت كذلك فلا تحتاج إلى تثقيف . وذلل : أخضع . والرقى : جمع رقية ـ بزنة مدية ـ وهى العوذة ، وقوله « فقوم بالأذى .. إلخ » يرجع إلى تشبيه أعدائه بالقنا الصلاب ، وقوله « وذلل بالرقى .. إلخ » يرجع إلى تشبيههم بالأراقم ، ومن كلام العرب : هذه حية لا تنفع فيها الرقى ، يريدون أنها خبيثة شديدة الخبث وأن سمها وحىّ . وفى كلام النابغة الذبيانى :

فبتُّ كأنِّى سَاوَرَتْنِى ضَئِيلَةٌ ... من الرُّقْشِ فى أنيابها السمُّ نَاقِعُ

تَنَاذَرَهَا الرَّاقُونَ مِن سُوءِ سُمِّهَا ... تطلّقهُ طَوْرًا وطورًا تُرَاجِعُ

٤٢ وغادر كل أرقم ذي طلوع ... على الأعداء يدرع الترابا(١)

٤٣ حذار بني الضغائن من جريء ... إذا ما الريب بادهه أرابا(٢)

٤٤ يغض على لواحظ أفعوان ... فإن سيم الأذى طلب الوثابا(٣)

٤٥ وإن وراء ذاك الحلم صولا ... وإن لتلكم البقيا عقابا(٤)

يريد النابغة أنذر الراقون بعضهم بعضا بأن هذه الرقشاء لا تفيد فيها الرقى ، وأراد الشريف أن الممدوح ماهر طب بمعرفة مايصلح لتذليل أعدائه ، فهو يستعمل مع جماعة منهم الشدة والقسوة لعلمه أن هذه وسيلة إصلاحهم ، ويستعمل مع جماعة آخرين الدهاء والحيلة لإدراكه أن هذه سبيل الخلاص منهم .

(١) غادر : ترك ، وتقول : طلع فلان على كذا ، تريد أنه علمه ، فمعنى قوله « ذى طلوع على الأعداء » أنه عالم بشأنهم خبير بما ينال منهم ، وأصل معنى «ويدرع التراب » يتخذه له درعا والمعنى أن الممدوح ترك كل خبيث داهية عالم بأسرار أعدائه ذليلا ، أو أنه قتله .

(٢) حذار : اسم فعل أمر معناه احذروا . والضغائن : جمع ضغينة ، وهى الحقد، وجرىء : شجاع . وبادهه : استقبله من غير استعداد منه له . وفى بعض النسخ « بادره » أى جاءه مبادراً مسرعا ، وأرابا : الأحسن عندنا أن يحمل على أنه أراد به أزال الريب وكشفه ، فالهمزة لمعنى السلب كما فى قولك «أعجمت الكتاب » ومعناه أنك أزلت مافيه من العجمة بنقط حروفه التى تحتاج إلى النقط ، مثلا .

(٣) يغض : يغلق جفنه ، واللواحظ : جمع لحظ على غير قياس ، والأفعوان : مذكر الأفعى، وهى أخبث الحيات . وسيم : كلف ، تقول : سام فلان فلانا خطة سوء يسومه، إذا كلفه إياها . والوثاب ـ بكسر الواو ـ مصدر واثبه كالمواثبة : أى ساوره .

(٤) صولا : مصدر صال على قرنه يصول ، وذلك إذا سطا عليه وقهره حتى يذل له . والبقيا ـ بضم الباء وسكون القاف ـ الاسم من الإبقاء ، وتقول : أبقى فلان على فلان ، إذا لم يبادره بالعقوبة مع استحقاقه لها . وقال الشاعر :

فما بقيا علىّ تركتمانى ... ولكن خفتما صرد النبال

٤٦ ولَوْ أنَّ الضَّراغمَ نَابَذَتْهُ تَوَلَّجَ خَلْفَهَا أجَمًا وغَابَا(١)

٤٧ رَمَاكُم بالضَّوامِرِ مُقْرَبَاتٍ يُزَاوِلْنَ المحانِيَ والشِّعَابَا(٢)

٤٨ ويُعْجِلْنَ الصَّريخ وهُنَّ زَوْرٌ إلى الأعْدَاءِ يُرْسِلْنَ اللُّعَابَا(٣)

٤٩ فأرْعَى من جَمَاجِمِكُمْ جَمِيمًا وأمْطَرَ مِنْ دمائكمُ سَحَابَا(٤)

٥٠ لك الهممُ التى عَرَفَ الأعادِى تُشِبُّ بِكُلِّ مُظْلِمَةٍ شِهَابَا(٥)

يريد الشريف أن وراء حلم الممدوح وغضه النظر عما يأتيه أعداؤه بطشا يسطو به عليهم حتى يخضعهم ، وإن بعد إبقائه عليهم لعقوبة يوقعها بهم .

(١) الضراغم : جمع ضرغام وهو الأسد ، ونابذته : خالفته وفارقته عن قلى وكراهية ، أو كاشفته وجاهرته بعداوتها له ، وتولج : دخل ، والأجم : اسم جمع واحده أجمة ، وهى اسم للشجر الكثير الملتف . والغاب : اسم جمع واحده غابة ، وهى مساكن الوحوش .

(٢) الضوامر: جمع ضامر، وأرادبها الخيول . ومقربات ـ بفتح الراء ، على زنة اسم المفعول ـ هى التى يدنيها صاحبها ويقربها ويكرمها لعتقها وأصالتها ، ويزاولن : مضارع زاول فلان كذا أى عالجه ، والمحانى : معاطف الأودية ، والشعاب : جمع شعب ، وهو الطريق فى الجبل خاصة. يقول: إن الممدوح رمى أعداءه بجيش لجب يركب الخيل الضامرة العزيزة الكريمة على أصحابها لنجابتها وعتقها الخبيرة بمعاطف الأودية القادرة على اختراق الأوعاث لكثرة ماعالجت ذلك .

(٣) الصريخ : إجابة الداعى، وقال سلامه بن جندل:

إنَّا إذَا ما أتانا صَارِخٌ فَزِعٌ كانَ الصَّريخَ له قَرْعُ الظَّنَابِيبِ

واللعاب ـ بضم اللام ، بزنة الغراب ـ ماء الفم .

(٤) الجماجم : جمع جمجمة ، وأراد بها الرأس ، والجميم ـ بفتح الجيم ـ النبت الذى طال بعض الطول ولم يتم نموه ، وكنى بذلك عن كثرة ماأوقع فى أعدائه من القتل ، وماأسال من الدماء

(٥) الهمم : جمع همة ـ بكسر الهاء ـ وأراد العزم على الأمر ، وحذف العائد على الموصول فى قوله « التى عرف الأعادى » وأصل الكلام : التى عرفها الأعادى ، وتشب : توقد ، والشهاب ـ بكسر الشين ـ الشعلة الساطعة من النار ، أو كل مضىء متولد من النار ، وأراد بالمظلمة النائبة

٥١ إذَا خَفَقَتْ رياحُ العَزْمِ فيها تبلَّجَ غارضٌ منها فَصَابَا(١)

٥٢ ومُشْرعَةِ الأسِنَّةِ ذَاتِ جَرْسٍ يقود عُقَابُ رَايَتِهَا العُقَابَا(٢)

٥٣ تخوضُ الليلَ يلمعُ جانِباهَا كأنَّ الصُّبْحَ قد حَدَرَ النِّقَابَا(٣)

٥٤ لها فى فرْجَةِ الفَجْرِ اختلاطٌ يَرُدُّ الصُّبْحَ من رَهَجٍ غُرَابَا(٤)

التى يظلم وجه الرأى فى الخلاص منها ، وكنى بهذه العبارة عن أن همه لايقف فى سبيلها شىء ، وأنه يعرف وجه الخلاص كلما حزب أمر .

(١) خفقت الريح ـ من باب ضرب ـ اضطربت ، وقال الشاعر :

* كأنَّ هُوِيَّها خَفَقَانُ رِيحِ *

وتبلج : أشرق وأنار ، تقول : بلج الصبح يبلج بلوجا ـ مثل قعد يقعد قعوداً ـ وتبلج ، وانبلج ، وابتلج ، كله بمعنى . والعارض : أصله السحاب المعترض فى الأفق . وصاب : من قولهم « صاب المطر يصوب صوبا ومصابا » إذا نزل منهمراً .

(٢) مشرعة الأسنة : رافعة الرماح ، وأراد كتيبة من كتائب الحرب سائرة إلى أعدائها رافعة أسنة رماحها ، والجرس ـ بفتح فسكون ـ الصوت ، ويراد بوصف الجيش بذلك أن عدده كثير ، أو أن عتاده كثير فيضرب بعضه بعضا فيسمع لذلك صوت ، وعقاب رايتها : أى العلم الذى يتخذه الجيش لنفسه ، والعقاب الثانى : طائر من الكواسر ، وكنى بقيادة العلم لهذا الكاسر عن أن الطير تعودت منه أن يهزم أعداءه ويقتل منهم العدد العديد ، فتنال حظها من أشلائهم ، فكلما خرج محاربا سارت معه تنتظر رزقها ، وأصل هذا المعنى قول النابغة :

إذَا مَا غَزَا بالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُ عَصَائِبُ طيرٍ تَهْتَدِى بعَصَائِبِ

(٣) تخوض الليل : أراد تسير فى الليل ، ووقع فى ه «تخوض الخيل» محرفا ، وحدر : حط ، وأصله خاص بالانصباب من علو إلى أسفل ، والنقاب ـ بكسر النون ، بزنة الكتاب ـ ماتغطى به المرأة وجهها ، يريد أن لمعان الأسنة والسيوف يضىء جوانب الكتيبة فى الليل حتى لكأن النهار قد انبثق ضوؤه .

(٤) الضمير فى «لها» يعود إلى الكتيبة التى عبر عنها بمشرعة الأسنة فى البيت ٥٢ ، وفرجة

٥٥ وتغدو كالكواكب لامعات تمزّقُ من عَجَاجَتِها الحِجَابَا(١)

٥٦ يُصَافحها شُعَاعُ الشَّمْسِ حَتَّى كأنَّ على الظُّبا ذَهَبًا مُذَابَا(٢)

٥٧ صَدَمْتَ بها العدُوَّ وأنتَ تَدْعُو نَزَالِ فأيَّ داعيـــةٍ أجَابَا(٣)

٥٨ وقَوَّضْتَ الخيامَ تذُبُّ عَنْهَا أسُودُ وَغًى وأصْفَرْتَ الوطَابَا(٤)

الفجر : وقت انفراج نوره ، واختلاط : أراد به حركة الجيش ، والرهج : الغبار ، ويرد ههنا بمعنى يصير ، مثله فى قول شاعر الحماسة :

رَمَى الحدثان نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارٍ سَمَدْنَ له سُمُودَا

فردَّ شُعُورَهُنَّ السودَ بيضاً ورَدَّ وُجُوهَهُنَّ البيضَ سُودَا

والغراب : معروف بالسواد الحالك ، ووقع فى ب « يرد الصبح من رهج غيابا » يريد أن الاختلاط والحركة يثيران الغبار ، و يغطيان ضوء الفجر فيصير الجو مظلما .

(١) شبه أطراف الأسنة اللامعة والسيوف التى يحملها الفرسان ، بكواكب تمزق أحشاء الظلام ، والعجاجة : الغبار .

(٢) شبه فى هذا البيت شعاع الشمس الساقط على ظبات السيوف بالذهب المذاب ، ووجه الشبه اصفرار اللون

(٣) نزال : اسم فعل بمعنى انزلوا ، وقد استعمل زهير بن أبى سلمى المزنى هذه الكلمة مثل هذا الاستعمال تماما ، وذلك فى قوله :

ولأنْتَ أشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إذْ دُعِيَتْ نَزَالِ وَلَجَّ فِى الذُّعْرِ

ووقع فى ه « وأنت تدعو تراك » محرفا ، والداعية ، هنا : صريخ الخيل فى الحرب .

(٤) قوضت الخيام : نزعت أوتادها وقطعت أطنابها وهدمت بناءها ، وتذب عنها : تدافع ، وشبه أعداءه بالأسود لما قدمنا فى شرح البيت ٣٧ ، وأصفرت الوطاب : عبارة تستعملها العرب فى معنى الهلاك . يقولون : صفر وطاب فلان ، وصفر إناؤه ، يريدون أنه هلك ومات ، و يقولون أصفر فلان إناء فلان ، وأصفر وطابه ، يريدون أنه أهلكه ، يقول : إن الممدوح لقى أعداءه بهذا الجيش الموصوف بما ذكر من الصفات فهدم مساكنهم وقوضها وأهلكهم وأبادهم .

٥٩ رَأينا الطائِعَ الميمونَ بَدْءًا ... يَسُلُّك فى النَّوائب وَاعْتِقَابَا(١)

٦٠ ولمَّا جَرَّبَ البِيضَ الْمَوَاضِى ... رآك من الظُّبا أمْضَى ذُبَابَا(٢)

٦١ فألْحَمَكَ العِدَى حَتَّى تَهَاوَوْا ... ولا دِمَنًا يُحِسُّ ولا ضِبَابَا(٣)

٦٢ هَنَاكَ قُدومُ أعْياد طِرَاقٍ ... تَصُوبُ العِزَّ ما وَجَدَتْ مَصَابَا(٤)

---

(١) الطائع : أمير المؤمنين ، سبقت كلمة عنه فى مطلع الكلمة الأولى ، والميمون : المبارك، وبدءا : أول الأمر ، واعتقابا : ما كان عقب مرة سابقة ، ويسلك : مضارع سلّ السيف بمعنى أخرجه من غمده ، شبهه بالسيف يسل عند إرادة التخلص من عدو ، يريد أن أمير المؤمنين الطائع يعتمد عليه كلما نزلت نازلة يحتاج معها إلى المعونة ،

(٢) البيض : جمع أبيض ، وأرادبها السيوف ، والمواضى : جمع ماض، وهوالنافذفى ضريبته وجربها : أرادأنه أخرجهامن أغمادها واختبرها، و إنماتخرج عند احتدام لظى الحرب، والظبا : جمع ظبة، وهى حد السيف، والذباب ـ بضم الذال ـ طرف السيف الذى يضرب به ، وقد ضرب به مثلا ، يقول: لما احتدمت لظى الحرب ، وجرب المقاتلة سيوفهم ؛ رأى أمير المؤمنين أنك أنفذفى المشاكل من حد السيف ، وفى ب « ولما جرت البيض المواضى »

(٣) ألحمك العدى : أصل معناه أطعمك لحومهم ، وأراد أمكنك منهم ، وتهاووا : هووا وسقطوا كأنما وقعوا فى الهاوية ، والدمن : جمع دمنة وهى الحقد ، والضباب : جمع ضب، وهو الضغن ، يقول : أمكنك أمير المؤمنين من أعدائه ، فقمت بما ارتجاه منك ، وأديت ماأملهفيك، فما زلت بالأعداء حتى قطعت دابرهم ، وأتيت عليهم ، فمابقى من تحس منه حقداً ، أو تشعر من تلقائه بضغينة .

(٤) طراق : يأتى بعضها فى إثر بعض ، وقالوا : أطرقت الإبل ، يريدون ذهب بعضها فى إثر بعض، وتصوب: تمطر، وتقول : صاب المطر يصوب صوبا ، إذا نزل، و«ما» فى قوله «ماوجدت» ظرفية ، والمصاب : مكان نزول المطر ، يريد أنها تجىء بالعز متى وجدت مكانا صالحا له ، ووقع فى هـ « سناك قدوم أعياد طراق » وأحسبه محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب .

٦٣ وأيام تَجُوزُ عليكَ بِيض ... وقَدْ قَرَعَتْ مِن الإقْبَالِ بَابَا(١)

٦٤ فكم يَوْمٍ كيَوْمِكَ قُدْتَ فِيهِ ... عَلَى الغُرِّ المقانبَ وَالرِّكَابَا(٢)

٦٥ إلى البَلَدِ الأمينِ مُقَوَّمات ... تُمَاطِلُهَا التعجُّلَ وَالإيَابَا(٣)

٦٦ بحَيْثُ تفرِّغُ الكُومُ المَطَايَا ... حَقَائبَهَا وتَحْتَقِبُ الثَّوَابَا(٤)

٦٧ مَعَالِم إن أجالَ الطَّرْفَ فِيها ... مُصِرٌّ القَوْمِ أقْلَعَ أو أنابا(٥)

---

(١) تجوز عليك : تمر عليك، والإقبال : يراد به السعد والبخت والحظ ، وقرعت بابه : أصل معناه الدق عليه ونقره، ويقال : من قرع الباب ولج ولج ، وقال الشاعر :

أخْلِقْ بِذِى الصَّبْرِ أن يَحْظَى بحاجَتِهِ ... ومُدْمِنِ القرع للأبواب أن يَلِجَا

(٢) المقانب : جمع مقنب ـ بزنة منبر ـ وهو الجماعة من الخيل مابين الثلاثين والأربعين ، والركاب : جماعة الإبل خاصة .

(٣) البلد الأمين : أراد به مكة المكرمة موضع بيت الله الحرام، وقد سميت بذلك فى القرآن الكريم، وذلك فى قول الله تعالى : (والتين ، والزيتون ، وهذا البلد الأمين) والإياب : الرجوع إلى موطنها ، وتماطلها التعجل والإياب : تسوف عليها فيهما .

(٤) الكوم : جمع كوماء أو أكوم ، والكوماء : الناقة الضخمة السنام ، والحقائب : جمع حقيبة ، وهى مايجعل فيه المسافر زاده ومتاعه ، وقال نصيب يمدح عبد العزيز بن مروان :

فعَاجُوا فأثْنَوْا بالذِى أنت أهْلُه ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ

وقال الآخر :

يَمُرُّونَ بالدَّهْنَا خِفَافًا عِيابُهُمْ ... ويَرْجِعْنَ مِنْ دَارِينَ بُجْرَ الحَقائب

وتحتقب : أصله تملأ حقيبتها ، وأراد هنا معنى تحمل الثواب .

(٥) أجال الطرف : حرك نظره وأداره ، والمصر : اسم فاعل فعله أصر فلان على الذنب ، إذا اعتقده ولم يرغب فى تركه ، وأقلع : كف وازدجر ، وأناب : رجع ، يريد أن هذه المشاهد التى فى بلد الله الحرام لو أدار نظره فيها من كان ديدنه الذنوب وارتكاب الآثام لكان ذلك كافياً فى أن يكف عنها ويرجع إلى حظيرة الطاعة .

٦٨ ففُزْتَ بها ثمانيَ مُعْلَماتٍ نَصَرْتَ بها النبوَّةَ والكِتَابا(١)

٦٩ بعَثْتُ لكَ الثَّنَاءَ على صَنِيعٍ إذَا ماهِبْتَ دَعْوَتَهُ أهَابا(٢)

٧٠ رَغَائِبَ قَدْ قَطَعْنَ حَنِينَ عِيسٍ فلَا نأياً أرِيغُ وَلَا اغْتِرَابا(٣)

٧١ وَقَبْلَ اليَوْمِ ما أغمدْنَ عَنِّى مِنَ الأيام نائبَةً ونَابا

* * *

٣١ — وقال يمدح خاله أبا الحسين أحمد بن الحسين الناصر ، ويهنئه بمولودة [جاءته] ، ويعاتبه [من البسيط] :

١ لكلِّ مجتهدٍ حَظٌّ من الطَّلَبِ فاسْبِقْ بعَزْمِكَ سَيْرَ الأنجُمِ الشُّهُبِ(٤)

٢ وَأرْقَ المَعَالِيَ الَّتِى أوْفَى أبوكَ بِهَا فكم تَنَاوَلَهَا قَوْمٌ بغَيْرِ أبِ(٥)

٣ ولا تَجُزْ بصُروفِ الدَّهْرِ فى عُصَبٍ من القَرَائِنِ غَيْرِ السُّمْرِ والقُضُبِ(٦)

---

(١) ثمانى معلمات : يريد أنه حج بيت الله ثمان مرات .

(٢) هبت : خفت ، وأهاب : دعا ، تقول : أهاب فلان بفلان ، تريد أنه دعاه .

(٣) رغائب : جمع رغيبة ، وهى مايرغب فيه ، والعيس : جمع أعيس أو عيساء ، وهى الكريمة من النوق ، أو هى البيضاء التى يخالط بياضها شقرة ، والنأى : البعد ، وأريغ : أريد

(٤) الشهب : جمع شهاب ـ بزنة كتاب وكتب ـ والشهاب : مايرى كأنه كوكب انقض، ويطلق أيضا على الدرارى من الكواكب لشدة لمعانها .

(٥) أوفى أبوك بها : أراد أنه التزم استكمالها وأوفى بما التزمه ؛ فكأنما كانت نذراً نذره على نفسه .

(٦) العصب : جمع عصبة ، وهى من الرجال مابين العشرة إلى الأربعين ، والقرائن : جمع قرين ، وقرين الإنسان : من يساويه شجاعة وإقداما ، وقد يطلق على صاحبه ، والسمر : جمع أسمر ، وأرادبه الرمح ، والقضب ـ بضمتين ـ جمع قضيب، وهوههنا السيف ، يقول : لاتقابل صروف الدهر وحوادثه بجماعة من الأصدقاء غير رمحك وسيفك فإنهما خير عون لك على ماتريد بلوغه من غايات المجد ومراتبه .

٤ نَدْعُوكَ فِي سَنَةٍ شَابَتْ ذَوَائِبُهَا حتى تُفَرِّجَها مُسْوَدَّةُ القَصَبِ (١)

٥ ولم تَزَلْ خُدُعَاتُ الدهر تَطْرُقُهَا حَتَّى تَعَانَقَ عُودُ النَّبْعِ والغَرَبِ (٢)

٦ أَتَيْتَ تحتلِبُ الأيَّامَ أَشْطُرَهَا فكُلُّ حادِثَةٍ مَنْزُوحَةُ الحَلَبِ (٣)

---

(١) شابت ذوائبها : هذه كناية عن أنها سنة جدب وقحط ، وأصله أن الشتاء عندهم زمن القحط ، وهم يقولون : شابت رءوس الإكام ، ورأيت الجبال شيبا ، يريدون بذلك بياض الصقيع والثاج ، وتفرجها : تزيل كربها وتذهب ضائقتها . ومسودة : تحتمل معنيين ، الأول أن يكون معناها مباركة ، وذلك من قولهم : رمى فلان بسهمه الأسود ، يريدون المبارك المدمى ، وعلى هذا جاء قول راشد :

قالت أُمَامَةُ لما جئتُ زائِرَهَا هلاَّ رَمَيْتَ ببَعْضِ الأسْهُمِ السُّودِ

والمعنى الثانى أن يكون أراد التى تسبق غيرها وتخلفه وراءها ، من قولهم : سادت ناقة فلان المطايا ، إذا خلفتهن وراءها ، ومن ذلك قول زهير بن مسعود :

تَسُودُ مَطَايَا القَوْمِ ليلةَ خِمْسِهَا إذا ما المطايا فى النَّجَاءِ تَبارتِ

وأراد على كل حال بمسودة القصب سنة رخاء وسعة . يقول : إنا ندعوك ونلجأ إليك فى السنة المجدبة حتى تأتى علينا سنة أخرى يكثر فيها الخير وتتسع الحال .

(٢) خدعات الدهر : جمع خدعة ـ بالضم ـ وهى مايخدع به ، وقالوا : سنة خداعة ، يريدون أنها قليلة الريع لانماء فيها ، وفى الحديث : « تكون قبل الساعة سنون خداعة » وتطرقها : تنزل بها ، والنبع ـ بفتح فسكون ـ شجر شديد ينبت فى قلل الجبال وتصنع منه السهام والقسى ، والغرب ـ بفتح الغين والراء جميعا ـ شجر لين ، يريد أنه لم يبق فرق بين هذين النوعين لأن اللين منهما قد يبس وجف من قلة الأمطار ، والأمطار عند العرب من أسباب السعة واليسر ؛ لأن حياتهم مرتبطة بها ، وقد وقع فى ه « ولم تزل خدعات الدل »

(٣) تحتلب : مثل تحلب فى المعنى ، والعرب تقول « حلب فلان الدهر أشطره » يريدون أنه عرف خيره وشره ، ومرمنهما عليه ماجرب معه ألوان الحياة ، وأصله من أشطر الناقة وهى أخلافها والحلب ـ بفتح الحاء واللام جميعا ـ اللبن ، مثل الحليب ، ومن أمثالهم « هذا حلب لك شطره »

٧ لولا وَقَارُكَ فى نَصْلٍ سَطَوْتَ به ... فاضَتْ مَضَارِبُه من خِفَّةِ الطَّرَبِ (١)

٨ وحُسْنُ رأيِكَ فى الأرماحِ يُنْهِضُهَا ... إلى الطِّعَانِ ولَوْلا ذاكَ لم تَثِبِ (٢)

٩ كُنْ كيف شِئْتَ فإنَّ المجدَ محتمِلٌ ... عنك المغافر فى بَدْءٍ وفى عَقِبِ

١٠ مازال بِشْرُكَ فى الأزمانِ يُؤْنِسُها ... حتى أضَاءَتْ سُرورًا أوجُهُ الحِقَبِ (٣)

١١ يَفْدِيكَ كُلُّ بخيلٍ مات خَاطِرُهُ ... فإن حَضَرْتَ عَدَدْنَاهُ من الغَيَبِ (٤)

١٢ إذَا المطامِعُ حَامَتْ حَوْلَ مَوْعِدِهِ ... أنَّتْ إليه أنِينَ المُدْنَفِ الوَصِبِ (٥)

يضرب فى العمل تكون فيه منفعة للقائل والمقول له . يقول : إنك قد جئت ولك من تجربتك وخبرتك ماأمكنك من صد حوادث الدهر عنا ورد شرورها ونوائبها .

(١) الوقار : الرزانة والثبات ، والنصل ـ بفتح فسكون ـ أراد به السيف ، من باب إطلاق اسم الجزء على كله ، وسطوت به : وثبت به على عدوك وبطشت ، والمضارب . جمع مضرب ، وهو مكان الضرب ، يقول : لولا أن سيفك قد اكتسب منك الثبات والرزانة لكنا قد رأيناه يثب على الأعداء من طربه بلقاء نواصيهم وخفته إلى جز هاماتهم .

(٢) الأرماح : جمع رمح ، وهو من آلات القتال ، وينهضها : يبعثها ويثيرها ، والطعان : مطاعنة الأعداء .

(٣) البشر ـ بكسر فسكون ـ طلاقة الوجه ، يؤنسها : يزيل وحشتها ويجلب لها الأنس ، والحقب ـ بكسر الحاء وفتح القاف ـ جمع حقبة ، وهى السنة ، أو هى مدة من الدهر ليس لها قدر معلوم .

(٤) يفديك : يكون فداءلك ، وقد وقع فى ب «فإن خطرت عددناه من الغيب» وما أثبتناه موافقا لما فى ه أتم مقابلة ، فإن الغياب يقابله الحضور ، وخطرت : معناه سرت سير المعجب بنفسه ، والغيب ـ بفتح الغين والياء جميعا ـ جمع غائب ، وهو اسم فاعل فعله غاب يغيب ، بمعنى بعد .

(٥) المطامع : جمع مطمع ، وهو مصدر ميمى بمعنى الطمع ، وأرادمنه مايطمع فيه ، وحامت : دارت ، وفى الحديث « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه » ووقع فى ه « إذا المطامع حالت حول موعده » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب ، والموعد : الوعد ، والمدنف ـ بفتح النون ،

١٣ وعُصْبَةٍ جاذَبُوكَ العِزَّ فانْقَبَضَتْ ... أكُفُّهُمْ عن دِرَاكِ المَجْدِ بالطلب (١)

١٤ شَابَهْتَهُمْ مَنْظَرًا وفُقْتَهُمْ خَبَرًا ... إنَّ الرُّدَيْنِيَّ مَعْدُودٌ مِنَ القَصَبِ (٢)

١٥ هَابُوا ابْتِسَامَكَ فِي دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... وَلَيْسَ يُوصَفُ ثَغْرُ اللَّيْثِ بالشَّنَبِ (٣)

١٦ سَجِيَّةٌ لَكَ فَاتَتْ كُلَّ مَنْزِلَةٍ ... وضَعْضَعَتْ جَنَبَاتِ الحادِثِ الأَشِبِ (٤)

بزنة اسم المفعول ـ الذى ثقل مرضه ، والوصب ـ بفتح الواو وكسر الصاد ـ الوصف من الوصب ـ بفتح الواو والصاد جميعا ـ وهو المرض ، وقال ذو الرمة :

* أنَّ المريضُ إلى عُوَّادِهِ الوَصِبُ *

(١) العصبة : الجماعة من الرجال ، وجاذبوك العز : غالبوك فى جذبه ليتبين أيكم أقدر على أخذه ، وانقبضت أكفهم : كناية عن عجزهم وضعف قدرتهم ، ودراك ـ بكسر الدال ـ المتابعة ، يقول : كثير من الناس ظنوا فى أنفسهم أنهم قادرون على أن يبلغوا من المجد والعز مبلغك ، فحاولوا أن يغالبوك فى الحصول عليه ، ولكنهم عجزوا عن متابعة الطلب وارتدوا .

(٢) الردينى : الرمح ، منسوب إلى ردينة ـ بضم الراء ، بزنة التصغير ـ وهى امرأة كانت تقوم الرماح ، وقال الشاعر :

كَهَزِّ الرُّدَيْنِيِّ تحتَ العَجَاجِ ... جَرَى فى الأنابيب ثمَّ اضْطَرَبْ

والقصب ـ بفتح القاف والصاد جميعا ـ كل نبات يكون ساقه أنابيب وكعوبا . يقول : إنك قد أشبهت هؤلاء الناس الذين حاولوا أن يبلغوا مبلغك فى المنظر ، ولكنك فقتهم وجاوزتهم فى المخبر ، ولاعبرة بالتشابه فى المنظر لأن الرمح فى منظره كالقصبة وشتان مابينهما ، وقد وقع فى الأصول كلها « أو فتهم خبرا » ولكنا نرى أن المكان للواو ، لأن الغرض أنه اجتمع الأمران : المشابهة فى المنظر ، والاختلاف فى المخبر ، وإن كانت « أو » تأتى بمعنى الواو ، فإنا لانرى التمسك بمثل هذه التمحلات .

(٣) هابوا : خافوا ، والدهياء : الداهية العظيمة ، ومظلمة : يعنى أنه لايظهر وجه الخلاص منها ، والشنب ـ بفتح الشين والنون جميعا ـ رقة فى الفم مع صفاء أسنانه وبرده ، وقال ذو الرمة :

لمِيَاءُ فى شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسٌ ... وفى اللِّثَاتِ وفِي أنْيَابِهَا شَنَبُ

(٤) السجية : الطبيعة والخليقة ، وفاتت كل منزلة : جاوزتها ولم تقف عندها ، وضعضعت :

١٧ نَسِيمُها من طِباعِ الرَّوْضِ مُسْتَرَقٌ ... وطِيبُ لَذَّاتِها من شِيمةِ الضَّرَبِ (١)

١٨ تَلْقَى الخَمِيسَ إذا اسْوَدَّتْ جَوانِبُه ... بالْمُسْتَنِيرِينَ مِنْ رأْيٍ وَذِي شُطَبِ (٢)

١٩ ونَثْرَةٍ فَوْقَها صَبْرٌ تُظاهِرُه ... أَرَدُّ مِنْها لأَذْرابِ القَنَا السُّلُبِ (٣)

أضعفت أو أخضعت وذللت . والحادث الأشب ـ بفتح الهمزة وكسر الشين ـ المختلط ، وقالوا : أشبت القوم ـ من باب ضرب ـ إذا خلطت بينهم ، وقالوا : تأشب القوم، واثتشبوا ، إذا اختلطوا. ومنه قالوا للأخلاط من الناس : أشابة ـ بضم الهمزة ـ وجمعه أشائب ، وقال النابغة الذبيانى :

وثِقْتُ لهُ بالنَّصْرِ إذ قيل قَدْ غَزَتْ ... قبائلُ من غسَّانَ غَيْرُ أشَائِبِ

وأراد من اختلاط الحادث كثرة ما استتبعه من وجوه الشر . يقول : إن هذه الطبيعة التى عهدناها فيك لفوق كل منزلة وأكبر من كل ماتسمو إليه نفس ، وإنها قد تغلبت على الأحداث التى يصعب التغلب عليها لكثرة ماتجره من وجوه الشر .

(١) الضمير فى قوله « نسيمها » يعود إلى السجية فى البيت السابق ، والنسيم : ابتداء كل ريح قبل أن تقوى ، أو هى كل ريح لاتحرك شجرا ولا تعفى أثراً ، ومسترق ـ بفتح الراء ـ مأخوذ ، والضرب ـ بفتح الضاد والراء جميعا هنا ـ العسل ، ووقع فى ب « وطيب لذتهـا » بالإفراد . يقول : إن نسيم هذه السجية قد تعطر بحسن أخلاقهـا كما تتعطر الأرواح إذا مرت بأفانين الزهر ، وإن اللذة التى يشعر بها معاشروك لتشبه اللذة التى يشعر بها من يتناول العسل ، يريد أنه سمح الخلق طيب الشيم . وقد اشتهر تشبيه الأخلاق الطيبة بقطع الرياض كسين زهرا وبالنسيم البليل ، وقالوا فى ضد ذلك : هو ثقيل الظل ، وهو بارد النسيم .

(٢) الخميس : الجيش ، سموه بذلك لأنهم يقسمونه إلى خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة ، واسودت جوانبه : كناية عن كثافة عدده ، وذو الشطب ـ بضم الشين وفتح الطاء ـ السيف ، والشطب فى الأصل : جمع شطبة ـ بوزان ظلمة أو همزة ـ وهى طريقة السيف فى متنه ، وقالوا من ذلك : سيف مشطب ، يريدون أنه ذو طرائق .

(٣) النثرة ـ بفتح النون وسكون الثاء ـ الدرع السلسة الملبس ، وقالوا : أخذ درعا فنثرها على نفسه ، يريدون صبها على بدنه لسلاستها وسهولة ملبسها ، وقوله « فوقها صبر تظاهره » يريد أن لابسها ذوصبر على لقاء الأقران لأنه متمرس بالحرب عالم بشؤونها كثير التقحم لها . والأذراب:

٢٠ لَوْ لم يُعَوِّضْكَ هَجْرُ العيش صالحةً ... ما كنتَ تخرُجُ عَنْ أثوابِهِ القُشُبِ (١)

٢١ يَا ابْنَ الذينَ إذَا عَدُّوا فَضَائِلَهُمْ ... عَدَّ النَّدَى ضَرْبُهُمْ فى هَامَةِ النَّشَبِ (٢)

هى الجروح التى لاتقبل الدواء ، واحدها ذرب ـ بفتح الذال وكسر الراء ـ وقالوا : ذرب الجرح ـ من باب فرح ـ إذا لم يقبل الدواء ، وقالوا أيضا : ذربت معدة فلان ، إذا فسدت . وفى الحديث « إن فى ألبان الإبل وأبوالها شفاء من الذرب » . والسلب ـ بضم السين واللام جميعا ـ جمع سليب ، وهى هنا فعيل بمعنى فاعل : أى التى تسلب حياة من تتوجه إليه ، أو التى تأخذ سلبه ، وفسرها فى هامش ب بالطويل ، وهو فاسد ، لأن القنا جمع والسلب بمعنى الطويل مفرد بزنة كتف ، يقال : رجل سلب الطعن ، وثور سلب الطعن بالقرن ، أى خفيفه ، ووقع ذلك فى قول أبى تمام :

أمانيا سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هاجِسِها ... ظُبا السيوفِ وأطرافُ القَنَا السُّلُبِ

وفسرت هذه الكلمة فى مطبوعة بيروت من ديوان أبى تمام بمثل ما فسرت فى حواشى ب من ديوان الشريف . ووقع فى ه « أرق منها لأذراب القنا » محرفا . وصف أن الممدوح يلبس درعا وأنه ـ مع ذلك ـ ذو صبر على اقتحام الحرب ، وأن صبره أشد ردا لقنا العدو من درعه .

(١) القشب ـ بضم القاف والشين جميعا ـ جمع قشيب ، بوزان سرير وسرر ، ويقال : ثوب قشيب ، وثياب قشب ، يراد أنها جديدة ، ويطلق على الخلق الرث البالى أيضا ، فهو من الأضداد ، والمراد هنا المعنى الأول ، وما ذكره فى هامش ب من تفسير القشب بالخلق غير صحيح . يريد أن الله قد مكن له من أسباب الحياة وأنعم عليه برفاهة العيش ، ولكنه هجر ذلك كله طمعا فيما هو أعظم منالا وأكثر عائدة ، ولولا أنه على يقين من حسن العوض لما فارقه .

(٢) الندى : الجود والكرم . والهامة : الرأس . والنشب ـ بفتح النون والشين جميعا ـ المال الأصيل من الناطق والصامت ، ومن كلامهم « لبنى فلان نسب ، ومالهم نشب ، إن هم إلا خشب » . يريد إذا أرادوا أن يحصوا فضائل آباء الممدوح ذكر الجود والكرم من مادحهم وأنهم يهلكون أموالهم ويبذرونها فى وجوه الخير ، واستعار ضربهم فى هامة النشب لتبديد الأموال وإنفاقها فيما يكسب حسن الأحدوثة ، وفيه تشبيه المال بعدو يحبون قتله .

٢٢ بألسُنٍ رَاضَةٍ للقَوْلِ لو نُضِيَتْ ... نابَتْ عَنِ السُّمْرِ فى الأبْدَانِ والحُجُبِ (١)

٢٣ لا يستشيرُونَ إلاَّ كلَّ مُنْصَلِتٍ ... حَامِى الحقيقةِ طَلاَّعٍ على النُّوَبِ (٢)

٢٤ ذى عَزْمَةٍ إنْ دَعَاها الرَّوْعُ مُنْتَصِرًا ... تَلَفَّتَتْ عَنْ غِرارِ الصَّارِمِ الخَشِبِ (٣)

٢٥ يَقْرُونَ حَتَّى لَوَ انَّ الضَّيْفَ فَاتَهُمُ ... حَثُّوا إلَيْهِ صُدورَ الأيْنُقِ النُّجُبِ (٤)

---

(١) ألسن : جمع لسان ، وهو آلة النطق فى الإنسان ، وراضة : جمع رائض ، مثل باعة فى جمع بائع وشاكة فى جمع شائك ، والرائض : اسم الفاعل من رياضة القول : أى تذليله وتيسيره . وتقول : راض فلان القول يروضه ، تريد أنه ألان جامحه ويسر مستصعبه وذلل أبيه . وقالوا : راض الشاعر القوافى الصعبة فارتاضت له ، ونضيت ـ بالبناء للمجهول ـ أصله فى السيف ، تقول: نضا فلان سيفه ينضوه ، وانتضاه ينتضيه ، إذا جرده من غمده واستله ، وكثيرا مايشبهون اللسان بالسيف ، ومنه قول حسان :

لِسَانِى وسَيْفِى صَارِمَانِ كلاهما ... ويَبْلُغ ما لا يبلغ السيفُ مِذْوَدِى

والسمر : جمع أسمر ، وهو الرمح ، والحجب ـ بضم الحاء والجيم جميعا ـ جمع حجاب ، وهو كل ما استترت به، يريد أن ألسنهم تفعل فعل الرماح وتؤدى مؤداها .

(٢) منصلت : يحتمل وجهين ، أولهما: أن يكون أراد به السيف الصقيل النافذ فى ضريبته ، والثانى أن يكون أراد به الرجل الماضى فى كل مايريد السريع إلى إجابة الصريخ المتشمر فى مايعزم عليه ، وعندنا أن الثانى أوفق بما يليه من الصفات . والحقيقة : كل مايحق لك أن تحميه وتدفع عنه ، ووقع فى ب « طلاع على النقب » وهو الطريق فى الجبل ، كقولهم : فلان طلاع أنجد ، يريدون أنه يرتكب العظائم ويتجشم الأهوال ويستسهل الوعر .

(٣) الروع : الفزع والخوف . والصارم : السيف القاطع ، وغراره ـ بكسر الغين ، بزنة كتاب ـ حده ، والخشب ـ بفتح الخاء وكسر الشين ـ أراد به الصقيل من السيوف ، والمستعمل فى هذا المعنى « خشيب » بالياء ، ولم أعثر فيما بين يدى من أمهات اللغة على هذه الصيغة بهذا المعنى ، والموجود فى كتب اللغة أنه يقال : خشب فلان السيف ـ من باب ضرب ـ إذا صقله وشحذه وطبعه ، والوصف المحفوظ عنهم من هذا الفعل خشيب .

(٤) يقرون : مضارع من القرى ـ بكسر القاف ، بزنة الرضا ـ وهو مايقدم للضيف من

٢٦ أو أعْوَزَ الْحَطْبُ فى لَيْلٍ بيوتَهُم ... مَدُّوا يَدَ النارِ فى الأعْمادِ والطُّنُبِ (١)

٢٧ لو أنَّ بأسَهُمُ جَارَى الزمانُ إذاً ... لَارْتَدَّ عَنْ شَأوِهِ مُسْتَرْخِيَ اللَّبَبِ (٢)

ألطاف . وحث المطى يحثها ـ من مثال رد يرد ـ إذا حملها على سرعة السير ، والأينق : جمع ناقة ، وأصله أنيق ، فأخر النون عن موضعها ، والنجب ـ بضم النون والجيم جميعا ـ جمع نجيبة وهى السريعة السير ، وأصل هذا البيت من قول عمرو بن الأهتم :

ونُكْرِمُ ضَيْفَنَا مَا دَام فينا ... ونُتْبِعُه الكرامَةَ حَيْثُ مَالَا

وهو نوع من البديع يسمى الإغراق .

(١) أعوز : أحوج ، ووقع فى جميع الأصول « الحطب » بالحاء معجمة ، وهو الأمر ذو الشأن العظيم ، وأحسبه محرفا عن « الحطب » بالحاء مهملة ، وتقول : حطب فلان ، تريد أنه جمع الحطب ، ونقول : حطب فلان رفقاءه ، إذا أردت أنه أطعمهم ، وقال الشماخ ابن ضرار الغطفانى :

خَبٌّ جَرُوز ، وإذا جاعَ بكى ... لا حَطَبَ القومَ ولا القومَ سَقَى

والأعماد : جمع عمد ، وهو ماتقام عليه البيوت ، والطنب ـ بضم الطاء والنون جميعا ـ الحبل الذى تشد به الخيمة . يريد أنهم إذا لم يجدوا حطبا يوقدونه لنيران القرى ألهبوا النار فى عمد بيوتهم وطنبها ، وفى ذلك من المبالغة فى وصفهم بالكرم وأنه لايردهم عنه شىء ماليس يخفى . أو يكون أراد أنهم إذا لم يجدوا حطبا يوقدونه لقرى ضيفانهم مدوا أيديهم إلى عمد دور أعدائهم وأطنابها فاقتسروها منهم لقوتهم وقهرهم ثم أشعلوا فيها النار .

(٢) بأسهم : شدتهم . جارى الزمان : غالبه فى الجرى ليرى أيهم أشد سبقا . والشأو ـ بفتح الشين وسكون الهمزة ـ الغاية التى يجرى إليها المتسابقون . واللبب ـ بفتح اللام والباء الأولى ـ جلدة أو حبل يشد فى صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل أو السرج أو البرذعة ، وإذا استرخى اللبب لم يؤمن على الرحل أن يستأخر فيقع ، ولا يؤمن على راكب الدابة ، ويضربون استرخاء اللبب مثلا للشدة التى تذهل الراكب ، كما يقولون « جاوز الحزام الطبيين » . يقول : إن بأس هؤلاء القوم لشديد ، حتى إنهم لو أرادوا أن يجاروا الزمان الذى يخافه الناس جميعا لأذعن الزمان لهم ، واعترف بأن بأسه دون بأسهم ، وأسلم المقادة ، واعترف بالقصور .

٢٨ إنْ أوْرَدُوا الماء لم تَنْهَلْ جِيادُهُم حتَّى تُعَلَّ بِرَقْراقِ الدَّمِ السَّرِبِ (١)

٢٩ قادُوا السَّوابقَ مُحْفاة مقودة كأنَّها بَحَثَتْ عَنْ مُضْمَرِ الأُرُبِ (٢)

٣٠ أعْطَافُهَا بالقَنَا الخَطِّيِّ مُثْقَلَة تَكاد تَعْصِفُ بالسَّاحَاتِ والرَّحَبِ (٣)

---

(١) « أوردوا الماء » حذف من هذه العبارة المفعول الأول ، وأصل الكلام : إن أوردوا خيلهم الماء ، وتنهل : مضارع نهل فلان الماء ـ من باب طرب ـ إذا شرب أول مرة ، وتعل : مضارع مبنى للمجهول ماضيه عل الماء إذا شربه المرة الثانية ، والرقراق ـ بفتح الراءين وسكون القاف بينهما ـ أصله الماء الرقيق فى الوادى والبحر ، والسرب ـ بفتح السين وكسر الراء ـ السائل. يقول : إن هؤلاء القوم ليقهرون أعداءهم ويغلبونهم على ماعسى أن يكون بأيديهم ، حتى إنهم لو أرادوا أن يوردوا خيلهم الماء لتشرب لم تشرب خيلهم من الماء أول مرة حتى تكون قد رويت من دماء أعدائهم الذين قصدوا غلبتهم .

(٢) السوابق : جمع سابق ، وأراد بها الخيول ، ومحفاة : اسم المفعول من قولك : أحفيت فرسى ، إذا أجهدته حتى أصبته بالحفا ، والحفا ـ بزنة العصا ـ رقة الحافر ، وهو أيضا رقة القدم والخف . والترب ـ بضم التاء والراء هنا ـ لغة فى الترب ـ بزنة القفل ـ وهو التراب ، وإضافة مضمر إليه من إضافة الصفة للموصوف ، والتراب المضمر : أى المختفى المستور ، أكد إحفاء الخيل بأن جعل له سببا يشبه بحثها بحوافرها لتثير ماستتر من التراب .

(٣) الأعطاف : جمع عطف ـ بكسر فسكون ـ وهو الجانب . والقنا : جمع قناة ، وأراد به هنا الرماح ، والخطى : المنسوب إلى الخط ، وهو مرفأ بالبحرين تجلب إليه الرماح للبيع . وتعصف : معناه هنا تبيد وتهلك ، من قولهم : عصف الدهر ببنى فلان ، إذا أهلكهم ، وعصفت بهم الحرب ، إذا أبادتهم ، وقال عدى بن زيد العبادى :

ثُمَّ أضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ وكذاك الدَّهْرُ حَالٌ بَعْدَ حَالْ

وقال الأعشى ميمون بن قيس :

فِى فَيْلَقٍ شَهْبَاء مَلْمُومَةٍ تَعْصِفُ بالدارِعِ والْحَاسِرِ

والساحات : جمع ساحة ، وهى الفضاء بين الدور لابناء فيه ولا سقف . والرحب : جمع رحبة ـ بفتح الراء والحاء فيهما ـ والرحبة : الأرض الواسعة المنبات المحلال ، أى التى يكثر فيها النبت ويحلها

٣١ مَا انفَكَّ يَطْعن فى أعقابِ حافلةٍ ... بذَابِلٍ من دَمِ الأقْرَانِ مُخْتَضِبِ (١)

٣٢ إذا امْتَرَى عَلَقَ الأوداجِ عاملُه ... أعْشَى العَوَالِى فلم تَنْظُرْ إلى سَلَبِ (٢)

٣٣ ولا يَزَالُ يُجَلِّى نَقْعَ قَسْطَلِه ... بِمُحْرِجِ الغَرْبِ مِلْآنٍ من الغَضَبِ (٣)

٣٤ إذا انْتَضَاه ليومِ الرَّوْعِ تَحْسَبه ... يَسْتَلّ من غِمْدِهِ خَيْطاً من اللَّهَبِ (٤)

الناس لحصبها . يقول : إن هذه الخيول السوابق قد حملت الكثير من الرماح حتى لقد أثقلها ذلك ، وإنها لتكاد تبيد أهل الساحات والرحب الذين تمر بهم.

(١) الحافلة : الناقة الكثيرة اللبن ، وهى أكرم النوق على أصحابها ، والذابل : أراد به الرمح ، ومختضب بدم الأقران : كأنما جعل دم نظرائه من الشجعان خضاباله . ووقع فى ه « فى أثياب حافلة » محرفا ، يريد أن الممدوح يسير وراء أعدائه المنهزمين لاليغنم أسلابهم ، ولكن ليفسد عليهم كرائم أموالهم ، فهو لايزال يطعن برمحه فى أعقاب نوقهم الغزيرة اللبن ، بعد أن تخضب هذا الرمح بدم فرسانهم ومقاتلتهم .

(٢) امترى : استخرج ، والعلق ـ بفتح العين واللام جميعا ـ الدم . والأوداج : جمع ودج ـ بفتح الواو والدال جميعا ـ وهو الوريد ، وهما ودجان ، والعامل : صدر الرمح . والعوالى : جمع عالية ، وهى أعلى الرمح ، ويقال : ماعالية الرمح كسافلته ، وأعشاها : أصل معناه أصابها بالعشا ، وهو ضعف البصر ، وأراد منعها . والسلب ـ بفتح السين واللام جميعا ـ مايكون مع القتيل من ثياب وأداة حرب . يريد أنه يفتك بالأقران ولا يلتفت إلى أسلابهم ، وهو من قول أبى تمام :

إن الأسُودَ أسُودَ الغابِ هِمَّتُهَا ... يومَ الكريهة فى المسلوب لا السَّلَبِ

(٣) يجلى : يكشف. والنقع : الغبار ، وفى التنزيل : (فأثرن به نقعا) والقسطل : غبار الحرب خاصة . والغرب : حد السيف ، وإحراجه : إلجاؤه إلى الفتك بالأعداء والتضييق عليه حتى يفعل ، تقول : أحرجنى فلان ، أى ألجأنى واضطرنى ، ووقع فى ه « بمحزج العضب » وهو السيف القاطع . يقول : إنه مايزال يكشف الغماء بحد سيفه الذى ضيق عليه ولم يمكنه من شىء إلا الضرب فى الأعداء .

(٤) انتضاه : استله وأخرجه من غمده ، ويوم الروع : اليوم الذى يفزع فيه ، ووقع فى ب « يستل من غمده خيطا من الذهب » وليس فى قوة ماهنا ، وانظر مع ذلك ٣٠/٥٦ .

٣٥ وَإن أشَاحَ بهِ سَالَ الحِمَامُ لَهُ ... فى مَضْرِبَيْهِ فلم يُرْقَأْ ولم يُصَبِ (١)

٣٦ جَذْلَان يركَعُ إن مال الضِّرابُ به ... مُطَرَّبًا فى قِبابِ البِيضِ وَالْيَلَبِ (٢)

٣٧ يا أيها النَّدْبُ إنَّ السَّعْدَ مُتَّضِحٌ ... بِطَلْقَةِ الوَجْهِ جَلَّتْ سُدْفَةَ الرِّيَبِ (٣)

٣٨ مَوْلُودة سَقَطَتْ عن حجْرِ والدةٍ ... جاءت بهاملءِ حجْرِ المجْدِ والْحَسَبِ (٤)

٣٩ لما ظَمِئْتَ إليها قَبْلَ رؤيتها ... أعطيت لَذَّةَ ماء الوِرْدِ بالقَرَبِ (٥)

---

(١) يقال : أشاح فلان على حاجته ، وأشاح فى أمره ، إذا جد وجهد ، ويقال : شايح الرجل ، إذا قاتل . ويقال : رجل مشايح ومشيح وشيح - بكسر الشين فى الأخيرة - إذا كان جادا حذراً . والحمام - بكسر الحاء - الموت ، وأراد بسيلانه كثرته ، ومضرب السيف : المكان الذى يضرب به منه . ويرقأ : يسكن وتنقطع مادته ، وتقول : رقأ الدمع ، ورقأ الدم أيضا ، وتقول : أرقأت دم فلان ، تريد أنك حقنته وأنقذته من القتل وقد كان حل به ، وقال قيس بن عاصم لولده « لاتسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم ومهر الكريمة » يريد أن منها تدفع الديات فتحقن الدماء ومنها تدفع مهور الكرائم من النساء . ويريد الشريف أن الممدوح إذا جد بسيفه سالت على مضاربه دماء الأعداء فلم يستطع أحد أن يحقنها كما لم يستطع أحد أن يصيب منها غرضا .

(٢) جذلان : وصف من الجذل وهو الفرح . والبيض : جمع أبيض ، وهو السيف ، واليلب - بفتح الياء واللام - الدروع من جلد .

(٣) الندب - بفتح النون وسكون الدال المهملة - هو الخفيف فى قضاء الحوائج ، ورجل طلق الوجه - بفتح الطاء وسكون اللام ، وتضم الطاء ، وتكسر - إذا كان باش الوجه منطلق الأسارير ، وامرأة طلقة الوجه . وجلت : كشفت ، والسدفة - بضم السين - اختلاط الضوء والظلمة معا ، والريب : جمع ريبة - بكسر الراء فيهما - وهى الشك ، ووقع فى ه « سدفة الترب » محرفا .

(٤) جعل المجد والحسب الرفيع حاضنا لها على التشبيه ، وجعل هذه المولودة فى حجرهما ، وجعلها ملء هذا الحجر كأنه لايتسع لغيرها .

(٥) ظمئت إليها : أصل معناه عطشت ، وأراد تشوقت إليها . والقرب - بفتح القاف والراء جميعا - أن تسير ليلك لترد الماء فى غدك ، ومنه قول أبى الطيب المتنبى : =

٤٠ باشِرْ بطَلْعَتِهَا العَلْيَاءَ مُقْتَبِلًا ... فإنَّهَا دُرَّةٌ فى حِلْيَةِ النَّسَبِ (١)

٤١ وَاسْعَدْ بها واشكُرِ الأقدارَ أنْ حَمَلَتْ ... إليكَ قُرَّةَ عَيْنِ العُجْمِ والعَرَبِ (٢)

٤٢ وحُثَّ خَيْلَ كُؤوسِ العزِّ جامحةً ... إلى السرورِ بخيلِ اللَّهْوِ واللَّعِبِ

٤٣ وَانثر على الشَّرْبِ سِمْطًا مِن فَوَاقِعِهَا ... وَابْنِ الغَمَامِ مُسَمًّى بابْنَةِ العِنَبِ (٣)

٤٤ وَاصْدِمْ بكأسِكَ صَدْرَ الدَّهْرِ معتقلا ... بصَارِمِ اللَّهْوِ يَجْلُو قَسْطَلَ الكُرَبِ (٤)

ما كانَ أقْصَرَ وقْتًا كانَ بَيْنَهُمَا ... كأنَّهُ الوقتُ بين الوِرْدِ والقَرَبِ

والقرب أيضاً : البئر القريبة الماء ، وهو أيضا طلب الماء ، وقيل : القرب ألا يكون بينك وبين الماء إلا ليلة واحدة ، وقيل : إذا كان بينك وبين الماء يومان فأول يوم تطلبه فيه يسمى القرب ، واليوم الثانى يسمى الطلق - بفتح الطاء واللام - ووقع فى ه « لذة ماء الورد فى القرب » .

(١) اقتبل الرجل الأمر ، واستقبله : استأنفه ، وكأنه يدعو له بأن يستأنف حياة جديدة كلها ثلج صدر وطمأنينة بال .

(٢) « أن » ههنا مصدرية مفتوحة الهمزة ، ولام التعليل قبلها مقدرة . والعجم - بضم فسكون - يطلقه العرب على كل من عداهم من الأمم .

(٣) الشرب - بفتح فسكون - جمع شارب ، مثل صحب فى جمع صاحب . والسمط - بكسر السين وسكون الميم - أصله الخيط ينظم فيه اللؤلؤ ، ولا يقال سمط مالم يكن فيه خرز ، فاذا خلا منه فهو سلك ، ويطلق السمط أيضا على قلادة أطول من المخنقة . وفواقع الخمر : النفاخات التى تعلوها إذا امتزجت بالماء ، وقد شبهها أبو نواس بصغار الدر ، وذلك فى قوله :

كأنَّ صُغْرَى وكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا ... حَصْبَاءُ دُرٍّ على أرضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وابن الغمام : الماء ، لأن الغمام يصاحب المطر ، وابنة العنب : الخمر ، وقد سماها أبو نواس بذلك فى جملة من شعره منه قوله :

عدِّ عن رسمٍ وعن كثبِ ... وألهُ عنه بابنـــة العنب

(٤) معتقلا : اسم الفاعل من قولهم « اعتقل فلان رمحه » إذا وضعه بين ركابه وسافر ،

٤٥ كأسٌ إذا خُضِبَتْ بالماء لِمَّتُهَا ... شَابَتْ وإنْ زلَّ عَنْهَا الماء لَمْ تَشِبِ (١)

٤٦ نَفْسى تَقِيكَ فكَمْ وَقَيْتَنى بيَدٍ ... وَقَدْ أَلَظَّ بىَ الرَّامُونَ عَنْ كَثَبِ (٢)

٤٧ إذا اتَّقَيْتُ بك الأعْدَاء رَامِيَةً ... فَوَاجِبٌ أن أُوَقِّيكَ النَّوَائِبَ بى (٣)

٤٨ أبا الْحُسَيْنِ أعِرْ شِعْرِى إصاخَةَ مَنْ ... يُرْوِى مَسَامِعَه مِنْ مُسْمِعٍ عَجَبِ (٤)

هذا أصله ، وقد يقال « اعتقل رمحه » بمعنى حمله ، و إضافة الصارم إلى اللهو فى قوله « بصارم اللهو » من إضافة المشبه به للمشبه ، و يجلو : يكشف . والقسطل : الغبار ، والكرب ـ بضم الكاف وفتح الراء ـ جمع كربة ، وهى الغم يأخذ بالنفس .

(١) خضبت : أراد شيبت وخلطت . وأصل اللمة الشعر الذى يجاور شحمه الأذن ، وأراد هنا أعلى الكأس ، وشابت : أصله من الشيب الذى هو بياض الشعر ، وأراد هنا أن الخمر إذا خلطت بالماء ابيض لونها .

(٢) تقيك : تدفع عنك السوء . وألظ : من قولهم « ألظ فلان بالشىء » إذا لازمه ولم يفارقه ، وقالوا أيضا « ألظ فلان بفلان » بمعنى لزمه . و « عن كثب » أى عن قرب ، وهو بفتح الكاف والثاء جميعا . ووقع فى ه « من كثب » .

(٣) « رامية » حالٌ من الأعداء ، وجمع التكسير الذى مفرده مذكر يجوز أن يعود إليه الضمير مؤنثا وأن يؤنث فعله ، وفى الكتاب الكريم (قالت الأعراب) وقوله « أن أوقيك » هو بإسكان الياء . وكان مقتضى الفصيح أن تظهر الفتحة على الياء ، لكنه عامل اليائى فى حالة النصب معاملته فى حالة الرفع فقدر الفتحة على الياء كما يقدر الفتحة والضمة على ذى الألف ولهذا نظائر فى شعر العرب المحتج به ، منها قول الشاعر :

فما سَوَّدتنى عامِرٌ عن وِرَاثَةٍ ... أبَى اللهُ أنْ أسْمُو بأمٍّ وَلَا أبِ

ومنها قول الآخر :

ما أقْدَرَ اللهَ أنْ يُدْنِى عَلَى شَحَطٍ ... مَنْ دَارُهُ الحزنُ مِمَّنْ دَارُهُ صُولُ

(٤) أعر : أمر من الإعارة ، وأصلها من تعاور الشىء أى تداوله مرة هنا ومرة ههنا ، وخصت بما تعطيه غيرك لينتفع به ثم يرده إليك ، وتقول : أعارنى فلان الشىء يعيرنى إعارة . والاسم منه العارة ،

٤٩ إذا مَدَحْتُك لم أمْنُنْ عَلَيْك بِهِ فالمدْحُ باسْمِكَ والْمَعْنَى بهِ نَسَبِي (١)

* * *

٣٢ — وقال يمدح أبا سعيد (٢) بن خلف ، ويهنئه بالمِهْرَجانِ [من الوافر] :

١ أَلَانَ جَوَانبي غَمْزُ الخُطُوبِ وأعْجَلَنِي الزمانُ إلى الْمَشِيبِ (٣)

٢ وكم يَبْقَى على عَجْمِ اللَّيَالى وقَرْعِ الدَّهْرِ خائرة الكُعُوبِ (٤)

مثل أجاب يجيب إجابة وأطاع يطيع إطاعة . والاسم الجابة والطاعة . والإصاخة : الاستماع . وهو مصدر أصاخ يصيخ ، إذا استمع له وأصغى .

(١) لم أمن : لم أر هذا المدح كثيرا وإن ملأت به الدنيا . يقول : لاأستكثر مدحى إياك لأنى منتسب إليك فمهما أقل فيك فإنى إنما أمدح نفسى، وفى هذا الكلام مافيه . ولهذا يروى أن خاله أبا الحسين عتب عليه من أجل هذا البيت ، فاعتذر إليه ، وأعلن أنه ماقصد ولاعنى إلا مشاركته فى النسب بقصيدة رائية مطلعها قوله :

لَكَ السوابقُ والأوضاح والغُرَرُ وناظر ما انطوى عن لحظِهِ أَثَرُ

وستأتى فى موضعها .

(٢) هو ذو السعادتين أبو سعيد على بن محمد بن خلف ، وارجع إلى افتتاح القصيدة (رقم ١١ فى ص ٦٠ من هذا الجزء) .

(٣) ألان جوانبى : كنى به عن سهولة مقادته ويسر التأثير عليه ، ويقال : فلان لين الجانب، إذا كان سهلا لاعسر فيه . والغمز — بفتح فسكون — النخس ، والخطوب : جمع خطب ، وهو النازلة من نوازل الدهر ، يريد أنه كان صلب المكسر عسر المقادة فما زالت الخطوب ونوائب الدهر تعرض له وتنتابه حتى سهلت مقادته ونهنهت من صلابته ، وفى خطبة الحجاج مقدمه الكوفة « ولا يغمز جانبى كتغماز التين » ومعنى قوله « وأعجلنى الزمان إلى المشيب » أن حوادث الدهر التى نزلت به بادرته بالشيب وأسرعت به إلى الهرم .

(٤) أصل العجم — بفتح العين وسكون الجيم — أن تقصد العود بأسنانك لتعرف صلابته ، ويقال : عجم فلان عود فلان ، إذا جر به واختبره ، وفى خطبة الحجاج مقدمه الكوفة « وإن أمير المؤمنين قد نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسراً فرماكم بى »

٣ نَبَا ظَهْرُ الزَّمَانِ وكُنْتُ مِنْهُ عَلَى جَنْبَىْ مُوَقَّعَةٍ رَكُوبِ (١)

٤ وقالوا الشَّيْبُ زار فقُلْتُ أهلاً بنَوْرِ ذَوَائِبِ الغُصْنِ الرَّطِيبِ (٢)

٥ ولم أكُ قَبْلَ وَسْمِكَ لى مُحِبًّا فَيُبْعِدَنى بَيَاضُكَ مِنْ حَبِيبِ (٣)

٦ ولا سَتَرَ الشَّبَابُ عَلَىَّ عَيْبًا فأجْزَعَ أنْ يَنِمَّ عَلَى عُيُوبى (٤)

واختبار الليالى إنما هو مجيئها بالنوائب وترادفها بالرزايا . وقرع الدهر قريب من ذلك والخائرة: الضعيفة ، تقول : خارت قوى فلان ، تريد أنها ضعفت ، والكعوب : جمع كعب ، وهو العقدة من عقد الرمح ، ووقع فى ب « جائرة الكعوب » بالجيم مكان الخاء .

(١) نبا : أصل معناه بعد وتجافى ولم يستقم مكانه ، وشبه الزمان بفرس أو جمل كان يركبه وكان ظهره ممهدا له ، فصار جافيا غير مطمئن فعسر عليه ركوبه ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الظهر ، على سبيل الاستعارة بالكناية . والموقعة ـ بفتح القاف مشددة ـ هى الناقة الخفيفة الوطء اللينة السير ، وهى محببة إلى الراكب لأنها لاتتعبه . والركوب ـ بفتح الراء ـ مايركب من الإبل .

(٢) النور ـ بفتح النون وسكون الواو ـ الزهر ، والذوائب : جمع ذؤابة ، وهى أعلى الشىء .

(٣) الوسم ـ بفتح الواو وسكون السين ـ مصدر وسمه يسمه ، مثل وصفه يصفه ووعده يعده ، إذا جعل له علامة ، والخطاب للشيب . يقول : لم أكن قبل أن تنزل بى وتكون علامة لرأسى محباً فأخاف من نزولك بى أن تنفر منى الحسان وتنأى عنى الغانيات .

(٤) أجزع : أخاف أشد الخوف ، وينم على عيوبى : يفضحها ويكشفها للناس ، والضمير المستتر فى قوله « ينم » يعود إلى الشيب . والمعنى إنى لم أكن ذا عيوب كانت قوة الشباب وفتاء السن تخفيها وتسترها عن الناس فأخاف من حلول الشيب أن يفتضح أمرى وينكشف منه ما كان خافيا ، ووقع فى ب « ولا ستر الزمان على عيبا » وأرى ما أثبتناه موافقا لما فى ه أدق .

٧ ولم أذْمُمْ طلوعَكَ لى لشىْءٍ سِوَى قُرْبِ الطلوعِ إلى شَعُوبِ (١)

٨ وَأعظم ما أُلاقى أنَّ دَهْرِى يَعُدُّ محاسِنِى لِىَ مِنْ ذُنوبى (٢)

٩ أقولُ إذا امتلأتُ أسًى لنَفْسِى أيا نَفْسُ اصْبِرِى أبدا وطيبى (٣)

١٠ دعى خوْضَ الظلامِ بكلِّ أرْضٍ وإعْمالَ النجيبةِ والنَّجيبِ (٤)

١١ وجَرَّ ضَوَامِرِ الأحْشاءِ نَهْوى كَمَا تَهْوِى الدِّلاءُ إلى القَلِيبِ (٥)

١٢ مُتَرَفَّةً إلى الغاياتِ حَتَّى تَرَنَّحَ فِى الشَّكِيمِ منَ اللُّغُوبِ (٦)

---

(١) شعوب : علم على المنية أى الموت ، وهو مؤنث بغير علامة التأنيث ، ولهذا يمنع من الصرف .

(٢) لمح فى هذا البيت قول البحترى :

إذا محاسِنِىَ اللَّاتى أُدِلُّ بِها كانَتْ ذُنُوباً فَقُلْ لى كيف أعْتَذِرُ

(٣) الأسى : الحزن ، وفعله أسى يأسى كفرح يفرح . وطيبى : أراد قرى واسكنى إلى ما أنت فيه .

(٤) دعى : اتركى ، وخوض الظلام : أراد السير فيه ، والنجيبة : الناقة السريعة ، والنجيب : الجمل السريع ، وإعمالهما : حملهما على السير .

(٥) ضوامر : جمع ضامر ، وهو الهزيل النحيل ، وأراد بضوامر الأحشاء التى ضمرت بطونها ، والدلاء : جمع دلو ، والقليب : البئر ، وأراد تشبيه هويها فى سيرها بهوى الدلو حين ترمى به فى البئر ، يريد أنها سريعة لايعوقها شىء ، وفى ب «تجرى كما تجرى الدلاء إلى القليب»

(٦) الغايات : جمع غاية ، وهى ماجعلته نهاية لعمل من أعمالك ، ومعنى قوله « مترفة إلى الغايات » أنها تركت تصنع ما تشاء ولم يصدها صاد عن مقصدها ، لتصل إلى الغايات التى يريدها راكبوها ، و « ترنح » أصله تترنح ، فحذف إحدى التاءين تخفيفا ، وتقول : ترنح السكران ، تريد أنه تمايل . والشكيم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس . واللغوب : أشد الإعياء . يقول : إننا نترك أفراسنا تسير فى مقصدنا لا نصدها ولا نثنيها حتى تتمايل كما يتمايل الثمل من شدة الإعياء والجهد .

١٣ فَلَيْسَ الحظُّ للبطَلِ المُحَامِي وَلا الإقْبَالُ للرَّجُلِ المَهِيبِ (١)

١٤ ونَيْلُ الرزْقِ يُؤْخَذ من بَعِيدٍ كَنَيْلِ الرِّزْقِ يُؤْخَذ مِنْ قَرِيبِ

١٥ وغايَةُ رَاكِبِي خُطَطِ المَعَالِي كَغَايَةِ مَنْ أقامَ عن الركوبِ (٢)

١٦ أليْسَ الدَّهْرُ يَجْمَعُنَا جَمِيعًا عَلَى مَرْعًى من الحدثان مُوبِى (٣)

١٧ كِلَانا تَضْرب الأيامُ فيـــهِ بجُرْحٍ من نَوَائبها رَغِيبِ (٤)

١٨ أرَى بُرْدَ العَفافِ أغَضَّ حُسْنًا عَلَى رَجُلٍ مِنَ البُرْدِ القَشِيبِ (٥)

---

(١) المحامى : الذى يدافع عن أحساب قومه ، وقال شاعر الحماسة :

إنَّى لَمِنْ معشَرٍ أفْنَى أوائلَهُمْ قيل الكماةِ ألا أيْنَ المحامُونا

والإقبال : يريد به العز والسعد ، والمهيب : اسم المفعول من الهيبة وهى الإكبار والإجلال.

(٢) خطط : جمع خطة ، وهى الطريقة ، وقال الشاعر :

هُما خُطَّتَا إما إسَارٌ ومِنَّةٌ وإما دَمٌ ، والْقَتْلُ بِالْحُرِّ أجْدَرُ

وخطط المعالى : سبلها الموصلة إليهـا ، و « أقام عن الركوب » قعد عن العمل لإدراك المجد ، ووقع فى ه « أقام على الركوب » محرفا .

(٣) موبى : أصله « موبىء » بالهمزة آخره ، فخفف الهمزة بقلبها ياء لأن قبلها كسرة ، وتقول : وبئت الأرض توبأ ـ من باب علم يعلم ـ ووبؤت توبؤ ـ من باب كرم يكرم ـ إذا كثر فيها الوباء ، وتقول : أوبأت الأرض ، مثل وبئت ، لازما أيضا .

(٤) جرح رغيب ـ بفتح الراء ـ واسع ، وقالوا : رجل رغيب ، إذا كان واسع الجوف أكولا . وقالوا : واد رغيب ، إذا كان كثير الأخذ للماء ، وقالوا : حوض رغيب ، وسقاء رغيب ، كل هذا بمعنى السعة. والجرح الرغيب صعب الالتئام بعيد الاندمال فهذا المعنى هو المقصود، ووقع فى ه « بجرح من نوائبها غريب » .

(٥) البرد ـ بضم فسكون ـ الثوب. وأغض : أفعل تفضيل من الغضاضة ، وهى النضارة ، وتقول : غض النبات ـ من باب علم ـ فهو غض، تريد نضر فهو ناضر . والبرد القشيب: الثوب الجديد . يقول : لأن يلبس الرجل ثوب العفاف خير له من أن يلبس ثوبا جديدا ، ووقع فى ه « أغض غصنا » .

١٩ عَلَيَّ سَدَادُ نَبْلِي يَوْمَ أَرْمِي ... وَرَبُّ النَّبْلِ أَعْلَمُ بِالْمُصِيبِ (١)

٢٠ وَلِي حَثُّ الرِّكَابِ وَشَدُّ رَحْلِي ... وَمَا لِي عِلْمُ غَامِضَةِ الغُيُوبِ (٢)

٢١ وَمَا يُغْنِي مُضِيُّكَ فِي صُعُودٍ ... إِذَا مَا كَانَ جَدُّكَ فِي صُبُوبِ (٣)

٢٢ تَطَأْطَأَتِ الذَّوَائِبُ لِلذُّنَابَى ... وَأَسْجَدَتِ الْمَوَارِنَ لِلْحُجُوبِ (٤)

---

(١) سداد نبلي : أراد حسن تسديدها إلى الغرض حتى تصيبه ، ووقع فى ه « ورب النبل أعظم بالمصيب » وهو تحريف ما أثبتناه .

(٢) حث الركاب : بعثها على السير ، و إثارة ما عندها من جهد. وشد الرحل: إحكام ربطه لئلا ينقطع حزامه ، مثلا ، فيتعرض الراكب للخطر ، وكنى بحث الركاب وشد الرحل عن أخذ الأهبة والاستعداد لملاقاة المخاطر والعمل على إدراك الغرض . وغامضة الغيوب:ماخفى عن العاملين من عواقب أعمالهم ، ووقع فى ه « غامضة القلوب » محرفا . يقول : ليس على شىء إلا أن آخذ الأهبة وأستعد أكمل الاستعداد وأهيىء الأسباب التى توصل عادة إلى المطلوب ، ولكننى لا أعلم خوافى المقادير ، وفى معناه قول البديع :

وعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْـــــسَ عَلَيَّ إِدْرَاكُ النجاحْ

(٣) «صعود» يحتمل أن يكون بفتح الصاد وأن يكون بضمها ، فإن كان بالفتح فهو اسم بمعنى المرتفع من الأرض ، و إن كان بضمها فهو مصدر بمعنى الارتفاع . تقول : صعد فلان ذروة الجبل يصعد ـ مثل تعب يتعب ـ صعودا ، إذا ارتفع إليه ، ومنه قالوا : أصعد فلان ، إذا ارتقى شرفا ، أو إذا سافر من بلد سفلى إلى بلد عليا . و«صبوب» يجوز أن يكون بضم الصاد ، جمع صبب ـ بفتح الصاد والباء جميعا ـ وهو المنحدر من الأرض ، ويجمع أيضا على أصباب ، وقال رؤبة بن العجاج:

* بَلْ بَلَدٍ ذِي صُعُدٍ وأَصْبَابْ *

ويقال للمنحدر من الأرض « صبوب » بفتح الصاد بزنة رسول ، ويجمع على صبب بضمتين ، فيجوز أن يكون ما فى بيت الشريف بفتح الصاد مفردا بهذا المعنى . والجد ـ بفتح الجيم ـ البخت والحظ . يقول : ماينفع الاجتهاد والدأب والعمل إذا كان الحظ غير موات ولا مسعف .

(٤) « تطأطأت » تقول : طأطأ فلان رأسه ، إذا خفضه . والذوائب : جمع ذؤابة ، وهى

٢٣ وخَرْقٍ كالسَّماء خَرَجْتُ مِنْهُ بِجَرْىِ أَقَبَّ يَرْكَع فى السُّهُوبِ (١)

٢٤ يَجُرُّ عِنانَهُ فِى كلِّ يَوْمٍ إلى الأعداءِ معقودَ السَّبِيبِ (٢)

أعلى الشىء ، ويكنى بها عن الأشراف والسادة كما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

إنَّ الذَّوائِبَ مِنْ فِهْرٍ وإخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً للناسِ تُتَّبَعُ

والذنابى ـ بضم الذال ـ الذنب . ويكنى به عن السفلة والتابعين ، ومنه قول الشاعر :

بأىِّ بَلَاءٍ يا نُمَيْرُ بْنَ عَامِرٍ وأنْتُمْ ذُنَابَى لا يَدَبْنِ ولَا صَدْرُ

والموارن : جمع مارن ، وهو الأنف ، أو مالان منه ، ويقال للسيد : هو أنف القبيلة ، وقال الحطيئة :

قَوْمٌ هُمُ الأنْفُ والأذنابُ غَيْرُهُمُ ومَنْ يُسَوِّى بأنفِ النَّاقةِ الذَّنَبَا

وقال بشار بن برد يفتخر :

أَلَا أيُّهَا السَّائِلى جَاهِلاً لِيَعْرِفَنى أنا أنْفُ الكَرَمْ

والعجوب : جمع عجب ـ بفتح فسكون ـ وهو أصل الذنب عند رأس العصص ، ومنه سموا آخر كل شىء عجبا وسموا آخر الكثيب المستدق عجبا أيضا. يقول : إن الأيام قد ألجأت السادة أن يخضعوا للتبع ، ووقع فى ه « وأسجدت الموازم للعجوب » محرفا .

(١) خرق ـ بفتح الخاء وسكون الراء المهملة ـ الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح، وخرجت منه : أراد أنه سلكه واجتازه غير هياب ولا وجل ثم خرج منه . وأقب : أراد به فرسا ضامر البطن . و« يركع » من قولهم : لغبت الإبل حتى ركعت ، وهن رواكع ، إذا طأطأت رءوسها وكبت على وجوهها ، ومنه قول الشاعر :

وأفْلَتَ حاجِبٌ فَوْتَ العَوَالِى على شَقَّاءَ تَرْكَعُ فِى الظِّرَابِ

والسهوب : جمع سهب ـ بفتح السين وسكون الهاء ـ وهو المستوى البعيد الأطراف من الأرض ومنه قالوا « بئر سهبة » إذا كانت بعيدة العمق .

(٢) عنان الفرس ـ بكسر العين ، بزنة كتاب ـ مايقاد به ، ومعنى « يجر عنانه » أنه قد أرخى له العنان لأنه فى غير حاجة إلى قيادة راكبه له لأنه مما مرن على السير إلى الأعداء عرف

٢٥ وَخُوص قَدْ سَرَيْتُ بِهِنَّ حَتَّى تَقَوَّضَتِ النجومُ إِلَى الْمَغِيبِ (١)

٢٦ وَجُرْدٍ قَدْ دَفَعْتُ بِهِنَّ حَتَّى وَطِئْنَ عَلَى الْجَمَاجِمِ وَالتَّرِيبِ (٢)

مايراد منه . والسبيب ـ بفتح السين ـ شعر الذنب ، أو شعر الناصية، أو شعر العرف، وقال سهم ابن حنظلة :

اعْصِ الْعَوَاذِلَ،وَارْمِ اللَّيْلَ عَنْ عُرُضٍ بِذِي سَبِيبٍ يُقَاسِي لَيْلَهُ خَبَبَا

وفى الأساس : يقال : فرس ضافى السبيب ، وقد عقدوا سبائب خيلهم ، وجاءت الخيل معقدات السبائب .

(١) خوص : جمع أخوص، وهو وصف من الخوص ـ بفتح الخاء والواوجميعا ـ وهو غؤور العين مع صغرها ، وتقول : عين خوصاء ، وفيها خوص ، والمراد هنا إبل خوص العيون. وسريت بهن : سرت ليلا . وتقوضت النجوم : تفرق مجتمعها مائلا إلى الغروب . وظنى أنه مصحف عن « تخاوصت النجوم » فإنه قد جاء فى الأساس « ومن المجاز : تخاوصت النجوم، إذا صغت للغروب قال ذو الرمة :

وَلَا تَحْسَبِى شَجِّى بِكِ الْبِيدَ كُلَّمَا تَخَاوَصَ فِى الْغَوْرِ النجومُ الطوامِسُ

والمغيب : مصدر ميمى بمعنى الغياب ، ووقع فى ب « تقوضت النجوم إلى الغيوب » وهى صحيحة. والغيوب : أحد مصادر غاب . تقول : غاب يغيب ـ من باب ضرب ـ غيبا وغيبة وغيابا وغيوبا ومغيبا .

(٢) جرد ـ بضم فسكون ـ جمع أجرد ، وهو من الخيل القصير الشعر ، تقول :فرس أجرد وخيل جرد . وقالوا : مكان أجرد ، وأرض جرداء ، إذا كانت منجردة عن النبات . وقالوا : رجل أجرد ، إذا كان لا شعر على جسده . ودفعت بهن : أراد أنه دفعهن على اقتحام الحرب وألجأهن إلى اصطلاء لظاها . والجماجم : جمع جمجمة ، وهى عظم الرأس ، وكما يطلق لفظ الرأس على رئيس القوم فيقال : فلان رأس بنى فلان ، يطلق لفظ الجمجمة عليه ، ولفظ الهامة أيضا . والتريب : واحد الترائب ، مثل التريبة . والترائب : عظام الصدر ، أو هى أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته ، أو هو موضع القلادة من الصدر ، وهذا الأخير أشهر ماذكره أهل اللغة

٢٧ وَيَوْمٍ تُرْعَدُ الربلاتُ مِنْهُ كَمَا قَطَعَ الرُّبَى عَسَلَانُ ذِيبِ (١)

٢٨ هَتَكْتُ فُرُوجَهُ بالرُّمْحِ لَمَّا دَعَوْا بِاسْمِي وَيَالَكَ مِنْ مُجِيبِ (٢)

وقال امرؤ القيس بن حجر الكندى :

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غيرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ

وقال الشاعر فى المفرد :

ومن ذَهَبٍ يَلُوحُ عَلَى تَرِيبٍ كَلَوْنِ الْعَاجِ لَيْسَ لَهُ غُضُونُ

وقال ابن فارس فى المجمل : التريب الصدر . يقول : إنى أركب الخيل الجرد فأدفعها إلى اقتحام حومات الوغى ، وما أزال أطاعن الأعداء وأنال منهم حتى أوطىء خيلى جماجمهم وصدورهم ، أو حتى أوطىء الخيل سادة الأعداء وقادتهم .

(١) ترعد ـ بالبناء للمجهول ـ تضطرب وترتعش . وتقول للخائف الفزع : أرعدت فرائص فلان ـ بالبناء للمجهول ـ تريد أنه ارتعش واضطربت أعضاؤه من الخوف ونحوه ، والربلات : جمع ربلة ، وهى باطن الفخذ ، وقال الشاعر :

كأنَّ مَجامِعَ الرَّبلاتِ مِنْها فِئَامٌ ينظرون إلى فِئَامِ

والربى : جمع ربوة ، وهى بتثليث الراء ما ارتفع وعلا من الأرض . والعسلان ـ بفتحات ـ مصدر عسل الذئب والثعلب ونحوهما ، إذا اضطرب فى مشيه ، وقال الشاعر يصف رمحا :

لَدُنْ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُه فيه كَما عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ

يريد أن هذا الرمح يضطرب فى كف صاحبه كما يضطرب الثعلب فى الطريق إذا سار فيه . وتقول : هذا رمح عسال ، وهذه رماح عواسل ، وذئاب عواسل . وتقول : بنو فلان يوفقون إلى العسالة ، كما يطرد النحل إلى العسالة ، تريد أن بنى فلان يسرعون إلى الرماح كما يتسابق النحل إلى خلية العسل . وصف الشريف اليوم بأنه كثير المخاوف شديد الأزمات حتى إن الناس لتضطرب ربلاتهم فيه من شدة الخوف ، وشبه اضطراب ربلاتهم بعسلان الذئب وهو اضطرابه فى مشيه ، وفى معناه قولهم : اصطكت ركبتا فلان ، وفلان لا تحمله قدماه ، كناية عن شدة الخوف والفزع .

(٢) هتكت فروجه : أراد بهذا أنه كشف مافيه من كرب وجلى ما اشتمل عليه من ظلمة

٢٩ وَعِنْدَ تَعَانُقِ الأقرانِ يُبْلَى قِرَاعُ النَّبْعِ بالنَّبْعِ الصَّلِيبِ(١)

٣٠ إِخَاؤُك يا علىُّ أساغَ رِيقِى وَوُدُّك يا علىُّ جَلاَ كُروبى(٢)

وأصل الفروج جمع فرج - بفتح فسكون - وهو كل فرجة بين شيئين . ومنه قالوا : الريح تعصف بين فروج الجبال ، والكرم فى أثناء حلة فلان و بين فروج درعه ، وخضت إلى فلان فروج الظلام ، وقال الشاعر :

كأنَّ هَزِيزَ الرِّيحِ بَيْنَ فُروجه أحاديثُ جِنٍّ زُرْنَ جِنًّا بِجَيْهَمَا

وجيهم : اسم مكان بناحية الغور تنسب إليه الجن ، وقال الفرزدق همام بن غالب :

نَخُوضُ فُروجَه حَتَّى أتَيْنا على بُعْدِ المناخِ مِنَ المَزَارِ

أراد أنه يخوض فروج الظلام .

و « لما » فى قول الشريف « لما دعوا باسمى » ظرفية بمعنى حين . يريد أن الناس حين اشتد بهم الكرب لم يجدوا من ينادونه ليخلصهم منه غيره . وهذا المعنى يلحظ قول الحماسى :

إنِّى لَمِنْ مَعْشَرٍ أفْنَى أوائلَهُمْ قيلُ الكُمَاةِ ألا أين المحامونا

(١) تعانق الأقران : يريد التحامهم فى المعركة . والأقران : جمع قرن ، وهو الشبيه المماثل فى الشجاعة . ويبلى - بالبناء للمجهول - يختبر ، والنبع - بفتح فسكون - شجر تتخذ منه القسى والسهام ، ومنابته فى قلل الجبال . والصليب : الشديد . يريد أن جودة النبع إنما تعرف بالتجربة والاختبار ، وأن ذلك إنما يكون إذا التحم الأبطال فى حومة الوغى .

(٢) أساغ ريق : سهل مروره فى حلق ، وقالوا منه : ساغ له الطعام والشراب ، وأساغه الله تعالى ، وقالوا : هذا ماء سائغ ، وسيغ - بتشديد الياء مكسورة - وقال الشاعر :

فَسَاغَ لِىَ الشَّرَابُ وكُنتُ قَبْلًا أكادُ أغَصُّ بِالْمَاء الفُراتِ

وقال عويف القوافى فى ضد ذلك :

فَسَوْفَ أجْزِيكَ بِشُرْبٍ شُرْبا لَا سَيِّغًا وَلَا هَنِيًّا عَذْبا

وهم يكنون بمساغ الريق عن هناءة العيش وطيب الحياة . وجلا : كشف وأزال . والكروب : جمع كرب ، وهو الهم يأخذ بالنفس ويعز تفريجه .

٣١ فيَا عَوْنى إذا عَدَتِ اللَّيالِى علىَّ ويا مِجَنِّى فى حُرُوبى(١)
٣٢ عجبتُ منَ الأنامِ وأنْتَ مِنْهُم ومثلُكَ فى الأنام من العَجيبِ(٢)
٣٣ عَلَوْتَ عليهمُ فى كل أمرٍ بطُولِ الباعِ والصَّدْرِ الرَّحيبِ(٣)
٣٤ وفُتَّهُمُ مَرَاحا فى سُفورٍ بلا نَزَقٍ وَجِدًّا فى قُطُوبِ(٤)

---

(١) عون ـ بفتح العين وسكون الواو ـ معين ، يقولون : فلان عون لفلان ، وقالوا : الصوم عون على العفة . وعدت الليالى تعدو عدوا: أى جاوزت المألوف ، ويذكر ذلك حين تسوء حالها ، ونسبة الأحداث إلى الليالى من نسبة الشىء إلى زمان وقوعه ، وذلك كثير فى كلام العرب. وأصل المجن الترس لأن الفارس يستتر به ، ويقال « فلان مجن فلان » إذا كان يتقى به الأحداث ويستتر به من الأسواء ، وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

فَكانَ مِجَنِّى دُونَ مَن كُنتُ أتَّقى ثلاثُ شُخُوص كاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

(٢) الواو فى قوله « وأنت منهم » واو الحال . وإنما عجب من الأنام فى حال أنه منهم لتفاوت مابينه وبين الأنام فى صفات الرجولة من كرم وشجاعة ونحوهما ، ولذلك قال بعد ذلك « ومثلك فى الأنام من العجيب » لأن الأصل أن يكون الجنس كله واحدا .

(٣) علوت عليهم : أراد أنه فاقهم وسما بصفاته عليهم فلم يصل إليه أحد ، وأصل الباع مابين أطراف أصابع يدك اليمنى وأطراف أصابع يدك اليسرى إذا مددت يديك جميعا وجعلتهما فى مساواة صدرك ، ويكنون بطول الباع عن السبق والقدمة فى المكارم ، وقالوا : لفلان سابقة وباع ، وقال العجاج :

* إذا الكِرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ بَدَرْ *

وقالوا من ذلك : تبوع فلان للمكارم ، يريدون أنه مد باعه ، وقال الطرماح بن حكيم :

يَمَانِيٌّ تَبَوَّعُ لِلْمَسَاعِى يَدَاهُ ، وكُلُّ ذِى حَسَبٍ يَمَانِ

والصدر الرحيب : الواسع ، وهو كناية عن احتماله الأعباء من غير أن يشكو جهدا ، وقد وقع فى هـ « والقلب الرحيب » محرفا .

(٤) فتهم : جاوزتهم وسبقتهم . والمراح : النشاط . والسفور : الإضاءة والإشراق . والنزق ـ

٣٥ خِطابٌ مثلُ ماءِ الْمُزْنِ تُبْرى مَوَاقِعُهُ العليلَ من الْقُلُوبِ (١)

٣٦ وألْفَاظٌ كَمَا لعبتْ شَمَالٌ مَلَاعِبَهَا على الرَّوْضِ الْخَصِيبِ (٢)

٣٧ وعَزْمٌ إنْ مَضَيْتَ به جَرِيًّا هوى مَطَرُ الْقَنَا بدَمٍ صَبيبِ (٣)

٣٨ وحِلْمٌ إن عَطَفْتَ به مُعيدًا أطَارَ قَوَادِمَ اليومِ الْعَصِيبِ (٤)

٣٩ بطَرْفٍ لا يخفِّضُ من خُضُوعٍ وقَلْبٍ لا يُتَعْتِعُ من وَجِيبِ (٥)

بفتح كل من النون والزاى ـ الطيش والخفة عند الغضب . والجد ـ بكسر الجيم ـ ضد الهزل ، والقطوب : مصدر قطب فلان مابين عينيه ـ بتخفيف الطاء ـ إذا زوى مابين عينيه وكشر ، وتقول أيضا « قطب » بتشديد الطاء ، وقالوا : رأيت فلانا قاطبـــا ، ومقطبا ، وهم يريدون أنه غضبان .

(١) «ماء المزن» أراد ماء المطر ، وتبرى : أصله تبرىء ـ بالهمز ـ فسهل الهمزة بقلبها ياء لانكسار ماقبلها ، يريد أن كلامه يستل مافى القلوب من علل وضغن .

(٢) وقع هذا البيت فى ب بعد البيت ٣٨ الذى أوله « وحلم » وموقعه هنا أشد تلاؤما بما قبله . والشمال : أراد به ريح الشمال .

(٣) العزم : قصد الأمر مع النية على ألا يرجع عنه . وجريا : أصله جريئا ـ بالهمز ـ فقلب الهمزة ياء ثم أدغم الياء فى الياء ، وهو وصف من الجراءة ، وإضافة « مطر » إلى « القنا » من إضافة المشبه به إلى المشبه : أى القنا الذى يشبه المطر فى كثرته وتدافعـــه . والدم الصبيب : السائل المنصب .

(٤) القوادم : جمع قادمة ، والقوادم : عشر ريشات فى مقدم جناح الطائر ، وبهن يكون طيرانه ، وعلى هذا يكون قد شبه اليوم بطائر ، وكنى بإطارة قوادمه عن إضعاف منته وقهره . وقد يكون القوادم ههنا جمع قادم ، وهى من الإنسان رأسه ، وعلى هذا يكون قد شبه اليوم بإنسان . والعصيب : الشديد .

(٥) طرف ـ بفتح فسكون ـ هو طرف العين ، ولا يخفض : لاينظر إلى أسفل ، هذا أصله وإنما يخفض المرء طرفه من حياء أوخوف أو ذلة أوانكسار لمن يكون فى حضرته إذا كان أعلى منه

٤٠ تَهَنَّ بِمِهْرَجَانِكَ وَاعْلُ فِيهِ ... إِلَى الْعَلْيَاءِ أَعْنَاقَ الْخُطُوبِ(١)

٤١ وَعِشْ صَافِي الْغَدِيرِ مِنَ الرَّزَايَا ... بِهِ خَالِي الْأَدِيمِ مِنَ النُّدُوبِ(٢)

٤٢ لَعَلِّي أَنْ أَهُزَّكَ فِي مَرَامٍ ... فَأَبْلُوَ مِنْكَ مُنْدَلِقَ الْغُرُوبِ(٣)

٤٣ وَحَاجٍ فِي الضَّمِيرِ مُعَضَّلَاتٍ ... سَأُسْلِمُهَا إِلَى عَزْمٍ طَلُوبِ(٤)

منزلة . وأصل يتعتع بمعنى يقاد بعنف وشدة . والوجيب : خفقان القلب واضطرابه ، وذلك يكون من خوف أو نحوه . يريد أنه لايذل لأحد لأنه لايرى منزلة أحد فوق منزلته ، ولا يخاف أحدا لأنه لايرى أحدا أشد شجاعة وجراءة منه .

(١) اعل : أمر ماضيه علا يعلو ، ومعناه ارتفع يرتفع ، والعلياء ـ بفتح العين وسكون اللام ـ مؤنث الأعلى ، يريد المرتبة العلياء أو الدرجة العلياء . والأعناق : جمع عنق ، والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر ذو الشأن ، وأراد بأعناق الخطوب كبارها وأعاليها . وهذا كما تقول : فلان يصل إلى المجد على أطراف الأسنة ، وفلان يخوض إلى الرفعة أحشاء المكاره ، تريد أنه يتقحم إلى مايريد أوعر المسالك ويتجشم أصعب الأهوال والمخاطر .

(٢) الغدير : القطعة من الماء يتركها السيل ، وصفاؤه : نقاء مائه من الأقذار ، وكنى بذلك عن أنه لاتنزل به منغصات من أحداث الدهر و بلاياه ، كما يقولون : صفت لفلان لياليه ، والأديم : الجلد ، والندوب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح على الجلد ، وكنى به أيضا عما ذكرنا . وفى قوله « صافى الغدير » وقوله « خالى الأديم » قد عامل المنقوص فى حال النصب كما يعامله فى حال الرفع والخفض فقدر الفتحة على الياء كما يقدر الضمة والكسرة ، وانظر ٣١/٤٧ ، ١/٤٥ .

(٣) تقول : هززت فلانا ، تريد أنك طلبت معروفه ، وفلان يهتز للندى والكرم . والمرام : مصدر ميمى فعله رام يروم ـ مثل قال يقول ـ أى قصد يقصد . وأبلو : مضاع بلاه إذا اختبره وجربه . والمندلق : المندفع . والغروب : جمع غرب ـ بفتح فسكون ـ وهو الدلو العظيمة . وفى الحديث « فاستحالت غرباً » .

(٤) حاج : اسم جنس جمعى واحده حاجة ، وهى مايحتاج إليه الانسان ويطلبه . تقول : خذ حاجتك من الطعام ، وفى نفسى حاجات ، و إن كانت فى نفسك حاجة فاقضها . و « معضلات » بكسر الضاد ـ من قولهم : عضل المكان ، إذا ضاق ، وعضلت الأرض بأهلها ، إذا غصت بهم

٤٤ لأقضِيَنَّ أو أقضِيَ بِهِمِّي غَرِيبَ الوَجْهِ فِي بَلَدٍ غَرِيبِ (١)

٤٥ مُنَازِعَةً إلى العَلْيَاءِ حَتَّى أَزُرَّ عَلَى ذَوَائِبِهَا جُيُوبِي (٢)

٤٦ فإمَّا نَيْلُ جانبها وَإِمَّا لِقَاءُ مُسَنَّدِينَ على الجُنُوبِ (٣)

* * *

٣٣ — وقال يهنىء بعضَ أصدقائه من الرؤساء بقدومه من سفر ، وأظن أنه يهنىء بها أخاه المرتضى (٤) [من المتقارب] :

١ وَفَى ذَا السُّرورُ بتلْكَ الكُرَبْ وهٰذَا المقامُ بذَاكَ التَّعَبْ (٥)

لكثرتهم . و « عضلت المرأة بولدها » إذا عسر عليها ولادها ، يريد أن له فى نفسه حاجات يعسر قضاؤها . وأسلمها إليه : أجعل أمرها له . والعزم الطلوب : الهمة التى لاتفتر ولا تمل .

(١) أقضيهن : أنال ماأريد منهن ، وأقضى : أموت . والهم : الكرب . والوجه فى قوله « غريب الوجه » معناه القصد الذى يتوجه إليه الإنسان ، ومنه قول عبدالله بن الزبعرى :

إنَّ لِلْخَيْرِ وللشَّرِّ مَدًى وكِلَا ذَلِكَ وَجْهٌ وقَبَلْ

يريد أنه يموت غريب المقصد لأنه ليس فى الناس من تسمو نفسه إلى مطلبه .

(٢) الذوائب : جمع ذؤابة ، وهى أعلى الشىء ، وأراد بذوائب العلياء أعلى درجاتها وأسمى منازلها ، والجيوب : جمع جيب ، وأصله طوق القميص ونحوه . وكنى بزر جيوبه على ذوائب العلياء عن احتيازها ، كما يقولون : المجد بين برديه ، والكرم فى منزله ، والشجاعة حشو ثيابه ، والسؤدد ملء إهابه .

(٣) نيل جانبها : الوصول إليها و بلوغها . ومسندين على الجنوب : أراد الموتى . يعنى أنه إما أن يبلغ مايريد من تسنم ذرى العلياء ، وإما أن يموت فى سبيل ذلك ، ووقع فى ه « لقاء مستدير على الجنوب » محرفا . والجنوب : جمع جنب ، وهو شق الإنسان من إحدى ناحيتيه اليمين أو اليسار .

(٤) فى البيت ٢٠ سيكنيه « أباقاسم » وهى كنية أخيه المرتضى .

(٥) « وفى السرور بتلك الكرب » يريد أنه كان وفاء لها ، من قولهم « هذا الشىء يفى بهذا الشىء » يعنون أنه يوازيه و يكون كفاء له ولا يقصر عنه . والمقام : الموضع الذى تقوم

٢ قَدِمْتَ فأطْرَقَ صَرْفُ الزَّمانِ عَنَاء وأغْضَتْ عُيونُ النُّوَبْ(١)

٣ ومِثْلُكَ مَن قَذَفَتْهُ الخطو بُ فِي صَدْرِ كل خَمِيسٍ لَجِبْ(٢)

٤ قَرِيبُ المرادِ بعيدُ المَرَام عَظِيمُ العَلاءِ جَلِيلُ الحسب(٣)

فيه . يقول : إن مانالنا من سرور بمنزلتك التى بلغنها يفى بما تكبدناه من مشاق وأهوال فى سبيل الوصول إليها .

(١) أصل أطرق بمعنى خفض رأسه وطأمن منه ، وذلك إنما يكون عند الاستكانة والذلة ، وقال الشاعر :

فأطْرَقَ إطْرَاقَ الشجاع ولو يَرَى مَسَاغاً لِنابَيْه الشجاعُ لصَمَّما

وصرف الزمان : حوادثه وطوارقه . والعناء ـ بفتح العين ـ الجهد والمشقة والتعب . والنوب ـ بضم النون وفتح الواو ـ جمع نوبة ـ بضم النون ـ وهى النازلة والمصيبة ، مأخوذ من مصدر قولهم « نابه الأمر ينوبه ، وانتابه ينتابه » أى نزل به . وإغضاء العيون : إطباقها وتقريب مابين جفنيها حتى لايرى صاحبها شيئا . وكنى بإطراق صرف الزمان و بإغضاء عيون النوب عن ذلتهما وتخاذلهما وأنهما ضعفا عن منازلته .

(٢) « مثلك من قذفته الخطوب » أراد أنه الذى لاترى الخطوب من ترمى به فى المآزق سواه ، فهو مثل قول العرب « مثلك لايبخل » وهم يريدون به أنه لايبخل فالعبارة كناية عن وصف المخاطب بما وصف به المثل ، لأن المماثلة فى الصفات هى التى اقتضت الوصف ، و إذا وصف من هو على غراره ومتصف بأقرب صفاته فهو بالوصف أولى وأحرى . والخميس : الجيش ، سموه بذلك لأنهم يقسمونه إلى خمسة أقسام : مقدمة ، وميمنة ، وميسرة ، وقلب ، وساقة : أى مؤخرة . واللجب ـ بفتح اللام وكسر الجيم ـ الوصف من اللجب ـ بفتح اللام والجيم ـ وهو الصياح والجلبة والأصل فى هذا قولهم : لجب البحر لجبا ـ من باب فرح فرحا ـ إذا هاج واضطرب موجه .

(٣) المراد ـ بفتح الميم ـ اسم المكان من راد يرود ، وتقول : رادفلان رودانا ـ بفتحات ـ إذا جاء وذهب ، وتقول : راد النعم فى المرعى ريادا ، إذا تردد ، وهى فى مرادها ، ومنه الرائد الذى يختبر مواطن الكلأ . والمرام ـ بفتح الميم أيضا ـ المطلب . وجليل ههنا بمعنى عظيم .

٥ ومَنْ قَلْقَلَ البَيْنُ أطْنَابَه ... وَنَالَ أقاصى المُنَا بالطَّلَبْ(١)

٦ غَدَتْ تَشْتَكِيكَ كؤسُ المُدَام ... ويُثْنِى عليكَ القَنَا والقُضُبْ(٢)

٧ وكُنَّا نُصَانِعُ فيكَ الهُمُومَ ... فصِرْنَا نُصَانِع فيكَ الطَّرَبْ(٣)

٨ وكَيْفَ يُهَنِّيكَ لفظُ امرىء ... يُهَنَّى بقُرْبكَ أعْلَى الرُّتَبْ(٤)

٩ وكنَّا بذكْرِكَ نَشْفِى الغليلَ ... وما بَيْنَنَا أمَدٌ مُنْشَعِبْ(٥)

---

(١) قلقل : حرك ، ويقال : تقلقل فلان فى البلاد ، بمعنى طالت أسفاره . والبين ـ بفتح الباء وسكون الياء ـ هو البعد ، وأراد به الأسفار ، والأطناب : جمع طنب ، بزنة عنق ، وأصله الحبل الذى تشد به الخيمة ، والمعنى أن الاغتراب عن الأهل فى طلب المجد يزعزع قراره وينفى استقراره ، ووقع فى ه « ومن قلقل البين أوطانه » وليس ببعيد عما أثبتناه موافقا لما فى ب ، والأقاصى : جمع الأقصى ، ومعناه الأبعد ، والمنى : جمع منية ـ بضم الميم فيهما ، وهى مايتمناه الإنسان ، وقوله « بالطلب » المراد به السعى ، وأتى به للاحتراس عن أن يظن أن آماله تأتيه عفوا وأنه يدرك رغباته بالجد والبخت .

(٢) « تشتكيك كؤوس المدام » الكؤوس : جمع كأس ، وهو الإناء يشرب فيه مادام فيه الشراب ، فإن كان خالياً من الشراب فهو زجاجة أو إناء أو قدح ، وقيل : قد يقال له كأس أيضا . والمدام : الخمر ، وكنى بشكوى كؤوس المدام عن أنه لايقربها . ويثنى عليك : يمدحك ، والقنا : جمع قناة ، والقضب ـ بضمتين ـ جمع قضيب ، ويراد منه السيف ، والكناية بإثناء القنا والسيوف عليه عن كونه ملازما لها قائما بحقها . يريد أنه رب حرب وضرب ، وليس خدن ولهو وخلاعة .

(٣) نصانع : نداري ونداهن .

(٤) يستبعد أن يكون ما ينظمه من عبارات التهنئة كافيا فى تهنئته ، لأنه هو الذى يهنأ بقربه إليه .

(٥) الغليل فى الأصل : حرارة الجوف من عطش أو داء ونحوهما ، ويقولون « فلان جسده عليل ، وفى كبده غليل » . والأمد ـ بفتح الهمزة والميم جميعا ـ الغاية والمنتهى ، والمنشعب : المتفرق والبعيد ، وأصله قولهم « جمع الله شعبهم ، ولم شعثهم » وقالوا « التأم شعب بنى فلان »

١٠ إذَا ما الْفَتَى وَصَلَ الزائِرِيـــــنَ أثْنَوْا عليه نأى أوْ قَرُبْ(١)

١١ إلى أنْ تَهَلَّلَ وجْهُ الزمانِ وَمَنْ بانَ مثلُكَ عَنْـهُ شَحَبْ(٢)

١٢ رأيْنَا بوَجْهِكَ نُورَ الْيَقِيـــــنِ حَتَّى خَلَعْنَا ظَلامَ الرِّيَبْ(٣)

ويطلق الشعب أيضا على المجتمع ، فهو من الأضداد ، وقد قالوا « شت شعب بنى فلان » يريدون تفرق مجتمعهم ، وقال الطرماح بن حكيم :

شَتَّ شَعْبُ الْقَوْمِ بَعْدَ التِّئَامْ وَشَجاكَ الْيَوْمَ رَبْعُ الْمُقَامْ

يقول : إنهم كانوا ـ وهو بعيد عنهم ـ يتسامرون بذكره فتشتفى حرق أكبادهم ، ويروى بذلك ظمؤهم ، فقد كان ذلك سلواهم على بعده ونأيه .

(١) تقول : وصل فلان فلانا يصله صلة ـ بوزان وعده يعده عدة ـ إذا أعطاه فأحسن عطيته. وأثنوا عليه : مدحوه وذكروه بالخير . ونأى : بعد ، وضده قرب . يقول : إذا كان من خلق الإنسان أن يحسن إلى زائريه ويجمل إليهم فإن ألسنتهم ترطب بالثناء عليـه وتذكره بالخير فى كل حال ، سواء أكان مقيما بينهم أم كان بعيداً عنهم ، وقد وقع هذا البيت فى ب قبل البيتين ٨و٩ وقد أثبتناه فى هذا الموضع وفاقا لما فى ه ، ولعل ذكره هنا أكثر التئاما .

(٢) تهلل وجه فلان : أى أشرق وجهه وانبسطت أساريره وبش فى وجوه الذين معـه ، ومن عادة العرب أن يصفوا الـكريم بأنه طلق الوجه متهلل بالعطاء ، وانظر إلى قول الشاعر :

تَرَاهُ إذا ما جِئْتَه مُتَهَلِّلا كأنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِى أنْتَ سَائِلُهْ

وهنا أراد الشريف بتهلل وجه الزمان أنه جاد لهم بمـا كانوا يأملون فأدناه إليهم وقرب مزاره منهم . وبان : بعد ، وشحب : تغير ، تقول : شحب وجه فلان يشحب شحوبا ، إذا تغير من جهد أو ضعف أو نحوهما .

(٣) خلعنا : أراد به نفينا عن أنفسنا ، والريب ـ بكسر الراء وفتح الياء ـ جمع ريبـة ، وهى كل ما يورث عندك شـكا ، وإضافة ظلام إليه من إضافة المشبه به إلى المشبه ، ولمـا جعل اليقين كالنور ناسبه أن يجعل الشك كالظلام ، وقال الشاعر :

وكأنَّ النجومَ بين دُجَاهُ سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُنَّ ابتداعُ

فعكس التشبيه .

١٣ وما زلْتَ تمسَحُ خدَّ الصباحِ وترْحَمُ قلْبَ الظلامِ الأشِبْ(١)

١٤ بمطْرُورةِ الصدْرِ خفَّاقةٍ تطيرُ مجاذِيفُها كالعذَبْ(٢)

١٥ تُعانِقُكَ الريحُ فى صدْرِها ويشْتاقُكَ الماءُ حتى يثِبْ(٣)

---

(١) تقول : مسحت وجه فلان ، تريد أنك أمررت يدك عليه ، وتقول : مسح فلان على رأس اليتيم ، تريد أنه أمر يده على رأسه ، شفقة ورحمة ، وقد جعل الصباح كالإنسان وجعل له خداً ، والأشب ـ بفتح الهمزة وكسر الشين ـ المختلط ، وأصله من قولهم « أشب الشجر أشبا فهو أشب » مثل فرح فرحا فهو فرح ، إذا التف ، وهم يصفون الليل والظلام بالاختلاط ، ومنه قول الراجز :

حَتَّى إذَا جَنَّ الظلامُ واخْتَلَطْ جَاءوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قط

ومرادهم من اختلاط الليل أن الأشياء تختلط على الناس فيه فلا يميزون بعضها من بعض ، ووقع فى سائر الأصول « وترحم قلب الظلام » بالراء المهملة فى « ترحم » وهى بسبب من قوله « تمسح خد الصباح » وإذا صحت هذه العبارة كان مراده منها أنه يسير فى الليل سيرا هينا أو أنه لايسير فيه بتة، ولو كانت «تزحم» بالزاى لكان المعنى أنه يسير فى الليل أعنف السير وأشده ، ولكن فيه ـ مع ذلك ـ ناحية ضعف ، لأن الذى يسير أشد السير ليلا إنما يكون أحد رجلين : فإما هارب يخاف أن يدرك فهو يختفى نهارا ويسير ليلا ، وإما مريب .

(٢) مطرورة الصدر : محددته ، وخفاقة : كثيرة التحرك والاضطراب ، وأراد سفينة تمخر عباب البحر ، والمجاذيف : جمع مجذاف ، وهو ماتسير به السفينة ، وأصله قولهم « جذف الطائر » إذا أسرع ، وقالوا « جذفت المرأة » من باب ضرب ـ إذا قصرت فى خطوها . والعذب ـ بفتح العين المهملة والذال جميعا ـ اسم جنس جمعى واحده عذبة ، وهى الخرقة التى تصنع لواء ، واللواء : العلم ، ومنه قولهم « خفقت على رأس فلان العذب » .

(٣) أراد أن يعلل شدة هبوب الريح وتطاير الماء فى حال سير هذه السفينة فى لجة الماء فذكر أن الريح تريد عناق راكب السفينة وأن الماء شديد الشوق إليه ، فأما الريح فإنها القضاء هذه الرغبة تهب على صدر السفينة ، وأما الماء فإن الشوق يبعثه على أن يطفر على السفينة .

١٦ تَمُرُّ بِشَخْصِكَ مَرَّ الْجِيَادِ وتَسْرِى بِرَحْلِكَ سَيْرَ النُّجُبْ (١)

١٧ إذا اطَّرَدَتْ بك خِلْتَ القصو رَ تُرْعَدُ بالبُعْدِ أو تَحْتَجِبْ (٢)

١٨ يُسَرُّ بِهـا عاشِقٌ لايلذ بالنأيِ أو نازحٌ يَقْتَرِبْ (٣)

١٩ وقد بَلَّغَتْكَ الَّذِى رُمْتَه وحَقُّ المبلِّغِ أن يُصْطَحَبْ (٤)

---

(١) الجياد : الخيل ، وتسرى : تسير ، أو هو خاص بسير الليل ، والرحل : أراد به ههنا الأداة والمتاع ، والنجب ـ بضم النون والجيم جميعا ـ جمع نجيبة ، وهى الناقة السريعة السير . يريد أن هذه السفينة تسير بشخص الممدوح كما تسير الجياد، وتسير بمتاعه وأداته كما تسير النوق النجيبة ، والمراد أنها مأمونة العاقبة ، وخص سير الجواد بشخصه لأنه فارس فهو قد ألف سير الخيل ، وجعل سيرها بالعتاد سير النوق لأن العادة عند العرب أن يجعلوا عليها متاعهم .

(٢) اطردت بك : يريد دام مسيرها واشتد ، وخلت : ظننت ، وترعد ـ بالبناء للمجهول ـ تتحرك ، وهذا كناية عن شدة سير السفينة ، وكل راكب فى مركب شديد السير كالقطار يخيل إليه أن الثوابت تتحرك حركة شديدة ، و « أو » فى قوله « أو تحتجب » بمعنى إلى . يقول : إذا اشتد سير هذه السفينةِ بك حسبت القصور ـ وهى ثابتة فى أماكنها ـ تبتعد عن أماكنها وتتحرك، وما تزال تحسبها كذلك إلى أن تحتجب عن عينك فلم تعد تراها .

(٣) النأى : البعد عن الأهل والخلان ، والنازح : البعيـد . يقول : إن الذى يسر بهذه السفينة أحد رجلين : إما عاشق لا يجد لذة فى بعده عن أحبائه ، فهى تدنيه منهم ، وإما بعيد مغترب عن أهله فهو يجعلها وسيلة قربه إليهم ، وفى ذلك أيضا وصف لها بالسرعة ، فما من عاشق تمتنع عليه اللذة فى البعد عن أحبابه ثم يرضى أن يسير إليهم على مركب بطىء ، ومامن مغترب عن أهله يجذبه الشوق إليهم ثم هو يرى أن يتخذ فى سيره إليهم مركبا بطيئا، ووقع فى ه « يسير بها » محرفا

(٤) بلغتك : أوصلتك ، ورمته : طلبته ، وحق المبلغ أن يصطحب : يريد أنه لا يجمل أن يجازيها على حسن صنيعها بإبلاغه مايريد أن يهجرها ، وأخذ هذا المعنى مما قيل عن الشماخ حين قال لناقته :

٢٠ أبا قاسمٍ كانَ هٰـذا البِعَادُ إلَى طُرُقِ القُرْبِ أفْوَى سَبَبْ(١)

٢١ فما كُنْتَ أولَ بدرٍ أتَىٰ ولا كنتَ أول نجمٍ غَرَبْ(٢)

٢٢ ألا إنَّنى حَسْرَةُ الحاسدين وما حَسْرَةُ العُجْمِ إلا العَرَبْ(٣)

إذَا بَلَّغَتنى وَبَلَّغْتِ رَحْلى عَرَابَةَ فاشرَقِى بِدَمِ الْوَتِين

فقد قال الأدباء : إنه جازاها أسوأ المجازاة وكافأها أقبح المكافأة ، وكان من حقها عليه أن يقول كما قال الحاذق أبو نواس الحسن بن هانى فى مدحة من مدحه للأمين :

وَإذَا الْمَطِىُّ بِنَا بَلَغْنَ محمداً فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجالِ حَرامُ

وقد جعل الشريف مجازاتها أن يصطحبها ، وتلك خير من مكافأة أبى نواس .

(١) « أبو قاسم » هى كنية أخيه الشريف المرتضى ، فهو أبو القاسم على بن أبى أحمد الحسين الملقب بالطاهر ، توفى أبو القاسم فى عام ست وثلاثين وأربعمائة ، ووقع فى ه « كان هذا البعاد إلى طرق القلب » محرفا ، وهذا البيت مأخوذ مما ينسب إلى العباس بن الأحنف الشاعر الغزل :

سأطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عنكُمْ لتَقْرُبُوا وتَسكُبُ عَيْنَاىَ الدُّمُوعَ لتَجْمُدَا

وأصل هذا المعنى قول عروة بن الورد المعروف بعروة الصعاليك :

تَقُولُ سُلَيْمَىٰ لَوْ أقَمْتَ بأرْضِنا وَلَمْ تَدْرِ أنِّى لِلْمُقَامِ أطَوَّفُ

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى هذا المعنى :

أآلِفَةَ النَّجِيبِ كَمِ افْتِراقٍ أظَلَّ فَكانَ دَاعِيَةَ اجتماعِ

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الأوْبَاتِ إلاَّ لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ الْوَدَاعِ

(٢) يريد أنه ليس الممدوح أول بدر طلع بعد احتجاب ، ولا هو أول نجم غاب عن الأنظار بعد الإشراق ، والبيت ـ فيما نرى ـ قبيح أن يقال فى تهنئة ، وهو بالرثاء أشبه .

(٣) الحسرة ـ بفتح الحاء وسكون السين ـ أشد الندامة والتلهف على الفائت ، والحاسد: الذى يتمنى زوال نعمة غيره عنه من ضغن قلبه واحتراق كبده أن يرى أحداً فى نعمة من الله وفضل ، والعجم ـ بضم العين وسكون الجيم ، هنا ـ يطلقه العرب على كل من كان من غيرهم ،

٢٣ فلا لَبِسُوا غَيْرَ هٰـذا الشِّعارِ ولا رُزِقُوا غَيْرَ هٰـذا اللَّقَبْ (١)

٢٤ مَنَحْتُكَ من مَنْطِقٍ تُحْفَةً رأيت بها نُهْزَةً تُسْتَلَبْ (٢)

٢٥ تُصَفِّقُها بالنشيدِ الرُّوَاةُ كما صَفَّقَ الماءُ بِنْتَ العِنَبْ (٣)

ويقال بفتح العين والجيم جميعا ، كما يقال عرب وعرب بالوزنين جميعا . يقول : إنه لفضله ونعمة الله عليه مصدر حسرة فى قلوب حساده أن يروه متحليا بما سلبهم الله منعا فيما حرمهم إياه ،وقوله « وما حسرة العجم إلا العرب » يبين ما كان يزخر به عصرهم من اضطغان قلوب الأعاجم على العرب وهم أصل الدولة ورءوسها .

(١) أصل الشعار ـ بكسر الشين ، بزنة الكتاب ـ مايلى الجسد من الثياب ، ويطلق الشعار أيضا على العلامة التى يتخذها الجيش فى الحرب ، ولا تتفق إرادة هذا المعنى هنا لقوله «فما لبسوا» وأراد بالشعار الذى لبسوه الحسرة التى انضمت عليها قلوبهم ، وجعله شعارا لهم وألبسهم إياه لأنه محيط بهم إحاطة الشعار بالجسد ، واللقب : أصله كل ما أشعر برفعة المسمى به أو ضعته ، وأراد باللقب الذى لقب به كل واحد « الحاسد » الذى لقبهم به فى البيت السابق .

(٢) أصل التحفة ـ بضم فسكون ـ الهدية والبر واللطف ، وجمعها تحف ـ بضم ففتح ـ وتقول « أتحفته » تريد أنك أهديته ، وأراد بالتحفة التى من منطقه هـذه القصيدة . والنهزة ـ بضم النون وسكون الهاء ـ الفرصة ، ويقال : هذه نهزة فاختلسها ، ويقال أيضا : انتهز فقد أعرض لك ، وناهزت فلانا الفرص، وتناهزناها . وتستلب ـ بالبناء للمجهول ـ تختلس . ووقع فى ب « رأيت بها فرصة تستلب » .

(٣) يقال « صفق فلان الشراب » إذا حوّله ممزوجا من إناء إلى إناء ليصفو ، ويقال « صفق فلان إبله » إذا حولها من مرعى إلى مرعى، وأراد الشريف بقوله « يصفقها » يرددها، أو يخلطها ، وقد ورد تعدية هذا الفعل إلى المفعول الثانى بالباء فى قول حسان بن ثابت الأنصارى فى أبناء جفنة :

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عليهمُ بَرَدَى تُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

وبنت العنب : كنية الخمر ، لأن أصلها من عصيره .

٢٦ وأنتَ تُساهِمُنى فِى العُلَا ٭ فَخْراً وتَشْرَكُنى فِى النَّسَبْ(١)

* * *

٣٤ — وقال يشكر حمزة بن إبراهيم على قضاء حاجة له [من البسيط] :

١ لأشْكُرنَّكَ مَا ناحَتْ مُطَوَّقَةٌ ٭ وَإنْ عَجَزْتُ عَنِ الحقِّ الذى وَجَبَا(٢)

٢ فَمَا الْتَفَتُّ إلى نَعْمَاءَ سَابِغَةٍ ٭ إلا رأيتُكَ فِيهَا الأصْلَ وَالسَّبَبَا(٣)

٣ أخْدَمْتَنى نُوَبَ الأيامِ طائِعَةً ٭ وكانَ كُلُّ الرِّضا أنْ آمَنَ النُّوَبَا(٤)

٤ فَمَا أخافُ يَدًا للدَّهْرِ جارِحَةً ٭ إذا بَقِيتَ ، ولا ألْقَى لَهَا السَّبَبَا(٥)

---

(١) تساهمنى : تقاسمنى ، وقال الشاعر :

تَسَاهَمَ ثَوْبَاهَا ، فَفِى الدِّرْعِ رَأْدَةٌ ٭ وَفِى الْمِرْطِ لَفَّاوَانِ رِدْفُهُمَا عَبْلُ

وتشركنى : مضارع شركه — من باب علم — إذا كان شريكا له فى شىء ، وتقول : شركته ، وشاركته ، واشتركنا ، وتشاركنا . يريد أن نسبهما واحد ، وأن حظهما من المجد والعلاء متساو .

(٢) مطوقة : هى الحمامة ذات الطوق ، والحمام معروف بالنوح والبكاء حتى سموا الحمائم « بنات الهديل » والهديل : الصوت؛ لأنهن لايتركنه ، و « ما » فى قوله « ماناحت مطوقة » مصدرية ظرفية ، يعنى أنه يشكره مدة نوح الحمام ، والمراد أنه يشكره أبد الدهر ، كقولك « لأشكرنك ما أن فى السماء نجما ، وما أن أحدا مكانه » .

(٣) التفت : أراد به تنبهت ، والنعماء السابغة : الضافية الواسعة التى تعم وتشمل ، يريد أنه ماتنبه إلى نعمة عامة شاملة وتذكر منشأها إلا وجد الممدوح سببها .

(٤) أخدمتنى : جعلتها تخدمنى ، ونوب الأيام : جمع نوبة ، وهى النازلة والبلية والمصيبة ، ومعنى أنها تخدمه أنها تنزل بأعدائه وحاسديه فتكون عوناً له عليهم . يقول : لم أكن أتمنى شيئا أجل من أن تبعد عنى نوب الزمان وأحداثه ، فلما وصلتنى لم تكتف بأن تجنبنيها ، بل جعلتها بعض خدمى فصارت تخدمنى طيعة .

(٥) وقع فى ب « ولا لقيت يداً للدهر جارحة » وما أثبتناه موافقا لما فى ه أحسن . يقول :

٥ وَقَدْ أَقَمْتَ عِمادَ البيتِ راسخَةً على القَوَاعِدِ فَامْدُدْ بَعْدَهَا الطُّنُبا(١)

***

٣٥ — قال يفتخر ، ويمدح أهل البيت عليهم السلام [من الطويل] :

١ لِغَيْرِ العُلَى مِنِّى القِلَى والتَّجَنُّبُ ولولا العُلَى ما كنتُ فى الحبِّ أرْغَبُ(٢)

٢ إذَا اللهُ لَمْ يُعْذِرْكَ فيما تَرُومُهُ فَمَا النَّاسُ إلا عَاذِلٌ ومُؤَنِّبُ(٣)

٣ مَلَكْتُ بِحِلْمِى فُرْصَةً ما اسْتَرَقَّهَا من الدَّهْرِ مَفْتُولُ الذِّرَاعَيْنِ أغْلَبُ(٤)

إذا بقيت فإنى لا أخاف أن تمتد لى يد الدهر بعدوان ، ولن ألقى سبباً من أسباب امتداد يد الدهر إلى .

(١) بيوت العرب فى معيشتهم البدوية هى الخيام ، والخيمة تقوم على عماد هو الذى يكون فى وسطها ، ثم تدق أوتاد تشد إليها الخيمة بحبال ، فإن نقص شىء من ذلك لم يتم بناء البيت ، قال شاعرهم :

والبَيْتُ لا يُبْتَنى إلاَّ لَهُ عَمَدٌ ولا عِمادَ إذَا لَمْ تَرْسُ أوْتَادُ

والطنب : الحبال .

(٢) القلى — بكسر القاف — البغض والكراهية . والتجنب : التباعد وكأنما يعطيها جنبه فلا يقبل عليها . يقول : أنا أكره غير المعالى وأتباعد عما سواها ، ولولا المعالى ما كنت أعرف الحب ولا أرغب فيه ، فإنى إنما عرفت الحب ورغبته من أجل المعالى كيما أعطيها كل حبى ورغبتى .

(٣) « لم يعذرك » لم يجعلك صاحب عذر ، تقول « أعذر الله إليك » ، وترومه : تطلبه . والعاذل : اللائم فى تسخط ، والمؤنب : الموبخ ، ويروى فى غير أصول الديوان « إذا الله لم ينصرك » .

(٤) استرقها : أراد ملكها بأن تهيأت له . ومفتول الذراعين : كناية عن القوى الشديد المستطيع أن يغلب الأقران ويبتز الأسلاب ، وأصل الأعلب الأسد ، ثم يطلق على الرجل الشجاع تشبيها به .

٤ فإنْ تَكُ سِنِّى ماتَطاوَلَ باعُهَا ... فلِى مِنْ وَرَاءِ المجْدِ قَلْبٌ مُدَرَّبُ(١)

٥ فحسبىَ أنِّى فى الأعادِى مُبَغَّضٌ ... وَأَنِّى إلى غُرِّ المَعَالِى مُحَبَّبُ(٢)

٦ وللحِلمِ أوقاتٌ وللجَهْلِ مثلُهَا ... ولـكنَّ أوْقاتِى إلى الحلمِ أقْرَبُ(٣)

٧ يَصُولُ علىَّ الجاهِلُونَ وأعْتَلِى ... ويُعْجِمُ فىَّ القائِلُونَ وأعْرِبُ(٤)

---

(١) فى ه « قلب مذرب » بالذال معجمة ، ويقال « هذا سيف مذرب » بتشديد الراء مفتوحة ـ أى محدد ، فإن أخذت من هـذه العبارة كان المعنى لى قلب حديد جرىء ، وفى ب « مدرب » بالدال مهملة ، وهى أقرب ، قالوا : دربت البازى على الصيد ـ بتخفيف الراء وتشديدها ـ وهو مدرب : معود . وقالوا : درب فلان بالأمر دربة ، وتدرب ، وهو درب بالأمر : عالم .

(٢) غر : جمع أغر ، أو جمع غراء ، ويراد منها الخصلة العظيمة المشتهر أمرها .

(٣) فى ه « ولـكن أيامى إلى الحرب أقرب » وما أثبتناه موافقا لما فى ب هو المحفوظ . وصدر البيت من قول النابغة الجعدى :

وَلَا خَيْرَ فِى حِلْمٍ إذَا لَمْ تَـكُنْ لهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أنْ يُـكَدَّرَا

وَلَا خَيْرَ فِى جَهْلٍ إذا لَمْ يَكُنْ لهُ ... حَكِيمٌ إذَا ما أوْرَدَ الأمْرَ أصْدَرَا

(٤) تقول : صال فلان على قرنه ، تريد أنه حمل عليه ، وقال عمرو بن كلثوم :

وصَالُوا صَوْلَهُمْ فِيمَنْ يَلِيهِمْ ... وصُلْنَا صَوْلَنَا فِيمَنْ يَلِينَا

وأراد بالجاهلين السفهاء العيابين الذين لاحلوم لهم ، و « أعتلى » معناه هنا أترفع عن إجابتهم وأربأ بنفسى عن مجاراتهم فيما يأخذون فيه . ويعجم : معناه يبهم ولا يفصح عما يريد من المعنى ، وأعرب : معناه أبين المعنى وأوضحه وأجليه ، يقول : إن الجهال العيابين ليحملون على بسبابهم ولـكنى أحلم عنهم ولا أجيبهم ترفعا بنفسى عن مجاراتهم ، وإن منهم من يبهم القول ولا يبين مراده منه لعلمه أنه لو أفصح بأنه يعنينى لما وجد لمقاله سميعا ، فإذا أردت أن أقول لم أجمجم ولم أبهم لأننى لاأقول فيهم إلا الحق .

٨ يَرَوْنَ احتِمَالِي غُصَّةً وبَزِيدُهم ... لواعِجَ ضِغْنٍ أنَّنى لست أغْضَبُ (١)

٩ وأعْرِضُ عن كأسِ النَّدِيمِ كأنَّهَا ... وَمِيضُ غَمامٍ غائِرُ المُزْنِ خُلَّبُ (٢)

١٠ وَقُورٌ فَلا الألْحَانُ تأسِرُ عَزْمَتى ... وَلَا تَمْكُرُ الصَّهْبَاءُ حِينَ أشْرَبُ (٣)

١١ ولا أعْرِفُ الفَحْشَاءَ إلاَّ بِوَصْفِهَا ... ولا أنْطِقُ العَوْرَاءَ والقَلْبُ مُغْضَبُ (٤)

١٢ تَحَلَّمُ عَنْ كَرِّ القَوَارِضِ شِيمَتى ... كأنَّ مُعِيدَ المَدْحِ بِالذَّمِّ مُطْنِبُ (٥)

---

(١) احتمالى : أراد به صبره على مايجيئه منهم ، والغصة ـ بضم الغين ـ أصله مايعترض فى الحلق من عظم ونحوه فيورث الشرق ، واللواعج : جمع لاعج ، وهو المؤلم الوجع ، والضغن ـ بكسر الضاد وسكون الغين ـ الحقد .

(٢) أعرض : أصد وأجانب . والوميض ـ بفتح الواو ـ اللمعان . والمزن ـ بضم الميم وسكون الزاى ـ السحاب مطلقا ، أو الأبيض منه خاصة ، والخلب ـ بضم الخاء وتشديد اللام مفتوحة ، بزنة سكر ـ الذى لامطر معه . ويضرب البرق الخلب مثلا فى العدة التى لاوفاء لها ، قال الشاعر :

لايكُنْ بَرْقُكَ بَرْقاً خُلَّباً ... إنَّ خَيْرَ البَرْقِ مَا الغَيْثُ مَعَه

(٣) وقور ـ بفتح الواو ـ هو الوصف من الوقار ، وهو الرزانة ، وأراد بالألحان الغناء ، والصهباء ـ بفتح فسكون ـ الخمر ، يريد أنه شديد الرزانة قوى الثبات ، فإذا سمع الغناء لم يستخفه ، وإذا شرب لم تزلزل الخمر ثباته ، ووقع فى ه « ولا تمكن الصهباء » محرفا .

(٤) العوراء : الكلمة القبيحة ، وقال حاتم الطائى :

وأغْفِرُ عَوْرَاءَ الكَرِيمِ ادِّخَارَهُ ... وأُعْرِضُ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكَرُّمَا

(٥) تحلم : أصله تتحلم فحذف إحدى التاءين ، ومعناه تتكلف الحلم ، وقال الشاعر :

تَحَلَّمْ عَنِ الأدْنَيْنَ واسْتَبْقِ وُدَّهُمْ ... وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا

والقوارض : مأخوذ من التقريض بمعنى التقريظ ، يقال : فلان يقرض صاحبه ، إذا كان يمدحه ، والشيمة : الطبيعة ، والمطنب : اسم الفاعل من « أطنب فلان » إذا أسهب فى القول .

١٣ لِسَانِي حَصَاةٌ يُقْرَعُ الجهلَ بالحِجَى إِذَا نَالَ مِنِّى الْعَاضِهُ الْمُتَوَثِّبُ(١)

١٤ ولَسْتُ بِرَاضٍ انْ تَمَسَّ عَزَائِمِى فُضَالَاتِ مايُعْطى الزمانُ وَيَسْلُبُ(٢)

يقول: لايستهوينى المدح ولا يؤثر فى تكراره والإسهاب فيه ، وإننى لأستمع إلى المادحين فأحسبهم هاجين، ووقع فى ه « كأن معيد الذم بالمدح مطنب » وهو يؤدى معنى حسنا ، على أن يكون صدر البيت « تحلم عن كر القوارص شيمتى » والقوارص ـ بالصاد المهملة ـ جمع قارصة ، وهى الكلمة المؤذية ، وقال الشاعر :

قوارِصُ تأتينى ويحتقرونها وقد يملأ القطرُ الإناءَ فيفعمُ

والمعنى ـ على هذا ـ إننى لأتحلم عن الذين يؤذوننى بما يقولونه فى من قوارص الكلم ، ولا أدع لهذا الكلام مجالا من نفسى، وكأننى حين أسمعه أسمع مديحا ، وهو بسبب مما قبله من الأبيات ، وعليه يصير البيت :

تحلُّمُ عن كرِّ القَوَارصِ شيمَتى كأنَّ مُعِيدَ الذَّمِّ بالمدحِ مُطْنِبُ

(١) الحصاة : الرزانة والوقار ، قالوا : ليس لفلان حصاة ، يريدون ليس له رزانة ، وقال طرفة بن العبد البكرى :

وإنَّ لسَانَ الْمَرْءِ مالَمْ تكُنْ لَهُ حَصَاةٌ على عَوْرَاتِهِ لَدَليلُ

وقالوا : فلان ذو حصاة ، يريدون أنه وقور ، وقول الشريف « لسانى حصاة » يحتمل هذا المعنى ، وأنه أراد أن لسانه لايسرع إلى رد الجهل بجهل مثله . ويحتمل أنه أراد بالحصاة واحدة الحصى ، على التشبيه ، ويقرع : يصك . والجهل : النزق والطيش . والحجا : العقل . والعاضه : اسم الفاعل من عضهه عضيهة إذا رماه بالبهتان وافترى عليه ، وقال الشاعر :

أعُوذُ بربِّى من النَّافِثا تِ فى عُقَدِ الْعاضِهِ الْمُعْضِهِ

والعاضه أيضا : الحية التى إذا نهشت قتلت من ساعتها ، ووقع فى ب و ه « العاضة » بالتاء، وفسره فى هامش ب بما لا يقضى العجب منه . والمتوثب : الذى يتكلف الوثوب ليستولى ظلما على حق غيره .

(٢) العزائم : جمع عزيمة ، وهى القصد إلى الشىء مع عقد النية على إدراكه . والفضالات : جمع فضالة ، وهى كالفضلة بقية الشىء وما يفضل منه .

١٥ غَرَائِبُ آدابٍ حَبَانِي بِحِفْظِهَا زَمَانِي وصَرْفُ الدَّهْرِ نِعْمَ المُؤَدِّبُ(١)

١٦ تَرِيشُنَا الأَيَّامُ ثُمَّ تَهِيضُنَا أَلَا نِعْمَ ذَا البَادِي وَبِئْسَ المُعَقِّبُ(٢)

١٧ نَهَيْتُكَ عَنْ طَبْعِ اللئامِ فإنَّنِي أَرَى البخل يؤتَى وَالمكارم تُطْلَبُ(٣)

١٨ تَعَلَّمْ فَإِنَّ الجودَ فِي الناس فِطْنَةٌ تَنَاقَلَهَا الأَحرارُ والطَّبْعُ أَغْلَبُ(٤)

١٩ تُضَافِرُنِي فيكَ الصَّوارِمُ وَالقَنَا ويَصْحَبُنِي مِنْكَ العُذَيْقُ المرجَّبُ(٥)

---

(١) الغرائب : جمع غريبة ، والمراد بها هنا النادرة التى لامثال لها . وحبانى : منحنى وجعلها حباء لى : أى عطية . وصرف الدهر : حوادثه .

(٢) تريشنا الأيام : تصلح أحوالنا وتقيم أمورنا ، وأصله من قولهم « راش فلان سهمه » إذا ألزق عليه الريش ليقوى ، وقال الشاعر :

فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طالَما قَدْ بَرَيْتَنِي وخَيْرُ المَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي

وتهيضنا : تكسرنا بعد ماجبرتنا ، تقول « هاض فلان العظم » إذا كسره بعد جبر . والبادى : أصله البادىء ـ بالهمز ـ فقلب الهمزة ياء لانكسار ماقبلها . والمعقب : الذى يأتى بعقيب البادىء

(٣) وقع فى الأصول « أرى البخل يأتى والمكارم تطلب » وأكبر ظننا أنه قرىء خطأ وأن الأصل « يؤتى » بالبناء للمجهول . يريد أن اللئام يأتون البخل ، ويطلبون إلى الناس أن يمدحوهم ويثنوا عليهم ، يعنى أن فى قرارة أنفسهم طبع البخل وإن تظاهروا بغيره وتصنعوا سواه .

(٤) « تعلم » ههنا بمعنى اعلم ، ومثله قول الشاعر :

فقلتُ تعلَّمْ أنَّ للصَّيْدِ غِرَّةً وَإِلاَّ تُضَيِّعْهَا فإنَّكَ قاتِلُه

(٥) تضافرنى : تعاونى ، تقول « تضافر القوم على كذا » تريد أنهم تعاونوا عليه ، والصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع . والقنا : جمع قناة ، وأراد بها الرماح . والعذيق ـ بضم العين وفتح الذال ـ تصغير عذق ـ بفتح فسكون ـ وهى النخلة بحملها . والمرجب : اسم المفعول من الترجيب وهو أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها لئلا تنكسر أغصانها ، وربما بنى لها جدار تعتمد عليه خوفا عليها . وأصل هذه العبارة من قول الحباب بن المنذر « أنا عذيقها المرجب ، وجذيلها المحكك » وأراد الشريف أنه يصحبه عند الشدة عشيرة تعضده .

٢٠ نَصَحْتُ وبَعْضُ النُّصْحِ لِلقومِ هُجْنَةٌ ... وبَعْضُ التَّناجي بالعِتابِ تَعَنُّبُ (١)

٢١ فإن أنْتَ لم تُعْطِ النصيحةَ حَقَّها ... فَرُبَّ جَمُوحٍ كَلَّ عَنْهُ المؤَنِّبُ (٢)

٢٢ سَقَى اللهُ أرْضاً جاوَزَ القَطْرُ رَوْضَها ... إذِ المُزْنُ تَسْقِي والأباطِحُ تَشْرَبُ (٣)

٢٣ ذَكَرْتُ بها عَهْدَ الشباب فَحَسْرَةً ... أفَدْتُ وقَدْ فاتَ الذي كنتُ أطْلُبُ (٤)

---

(١) الهجنة ـ بضم الهاء وسكون الجيم ـ أصلها أن يكون إنسان مولداً من أب كريم وأم ليست كذلك ، فإذا كانت الأم كريمة والأب ليس كذلك كان هذا إقرافا ، ويقال : ولد هجين، وولد مقرف . وقالت هند :

فإنْ نتجَتْ حُرًّا كريماً فبالْحَرَى ... وإنْ يَكُ إقْرافٌ فَمِنْ قِبَلِ الفَحْلِ

وأراد الشريف بالهجنة هنا العيب الذى لا يرتضيه الناس . والتناجى : المسارّة ، وفى الحديث « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه » والتعتب : أصله تكلف العتاب ، وهو مخاطبة الإدلال .

(٢) وقع فى ه « فرب جموح قل عنه المؤنب » والجموح ـ بفتح الجيم ـ الوصف من الجماح، وأصله أن يغلب الفرس فارسه ، ويقال : جمح الفرس جموحا وجماحا ، وهو فرس جموح ، ويقال : جمحت المرأة من زوجها ، إذا خرجت من بيته إلى أهلها . ويقال : جمح الرجل ، إذا ركب هواه وأسلم نفسه لرغبتها فلا يمكن رده . وكلّ : تعب وأعيا . والمؤنب : اسم الفاعل من التأنيب ، وهو التوبيخ .

(٣) القطر ـ بفتح فسكون ـ المطر . والروض : ما كان من بقل وعشب ، واحدته روضة والمزن: السحاب، أو الأبيض منه خاصة ، والأباطح : جمع أبطح ، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى ، ويجمع أيضا على بطاح . والبطحاء مثل الأبطح ، ومنه بطحاء مكة ، وبطائح النبط فيما بين العراقيين .

(٤) وقع فى ه « ذكرت بها عصر الشباب » وعصر الشباب ، وعهده : زمانه . والحسرة : اللهف على الماضى والأسى له ، وانتصاب حسرة على أنه مفعول أفدت .

٢٤ ويُعْجِبُنى منك النَّسِيمُ إذا هَفَا ... ألا كُلُّ ما سَرَّى عن القلبِ مُعْجِبُ (١)

٢٥ سَكَنْتُكَ وَالْأَيَّامُ بِيضٌ كأنَّها ... مِنَ الطِّيبِ فى أثوابِنَا تَتَقَلَّبُ (٢)

٢٦ وفى الوَطَنِ المألوفِ للنفس لَذَّةٌ ... وإنْ لَمْ يُنِلْنَا العِزَّ إلاَّ التَّقَلُّبُ (٣)

٢٧ وبَرْقٍ رَقِيقِ الطُّرَّتَيْنِ لَحَظْتُهُ ... إذِ الجو خَوَّارُ المَصَابِيحِ أكْهَبُ (٤)

---

(١) وقع هذا البيت فى ب عقب البيت الذى بعده هنا . والنسيم : الهواء ، أو اللين منه خاصة ، أو الريح الطيبة . وهفا : أصله من قولهم « هفا الطائر بجناحيه » إذا خفق بهما وطار ، وقالوا « هفا الشىء فى الهواء » إذا ذهب كالصوفة ونحوها . وسرى عن القلب ـ بتشديد الراء ـ أذهب عنه الحزن والهم ، وأصل هذه المادة قولهم « سرا فلان ثوبه يسروه سروا » إذا ألقاه عنه ، وقال إبراهيم بن هرمة :

سَرَا ثَوْبَهُ عَنْكَ الصِّبا الْمُتَخايِلُ ... وآذَنَ بالْبَيْنِ الْخَلِيطُ الْمُزايِلُ

وقالوا « سروت عنى درعى » وقالوا « انسرى الهم عنى » يريدون انكشف . ومعجب : مونق وهو اسم فاعل من قولهم « أعجبنى هذا الشىء » أى أثار عجبى لحسنه .

(٢) « سكنتك » فسره فى هامش ب بقوله « أى سكنت إليك واستأنست بك » وكأنه حسب الخطاب لمن قيلت فيه القصيدة ، وعندنا أنه يخاطب بذلك وبما قبله وطنه الذى دعا له بالسقيا فى قوله « سقى الله أرضا جاوز القطر روضها » ، وفى الأبيات الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، وهو مما يزيد الكلام حسنا . وقوله « والأيام بيض » كناية عما كان يغمرهم من السرور .

(٣) هذا البيت مما يؤكد أن الخطاب للأرض التى دعا لها بالسقيا ، والتقلب : أراد به التنقل فى البلاد . يقول : إن الوطن الذى ألفه الإنسان ونعم بالعيش فيه ومس جلده ترابه لحبيب إلى قلبه ، وإن كان لا ينال العز ولا يبلغ الآمال إلا بالتقلب فى البلاد .

(٤) « رقيق الطرتين » أى الجانبين ، وقالوا : نشأت طرة من الغيم ، ونشأت منه طريرة ـ بفتح الطاء فى الثانية ـ أى طريقة منه . وقوله « لحظته » معناه نظرت إليه ، وخوار : صيغة المبالغة من الخور ـ بفتح الخاء والواو ـ وهو الضعف ، والمصابيح : أراد بها هنا النجوم ،

٢٨ فَمَرَّ كما مَرَّتْ ذَوَائِبُ عُشْوَةٍ تُساق بأطْرَافِ الرماحِ وتجنَبُ(١)

٢٩ نَظَرْتُ، وألحاظُ النجومِ كَلِيلَةٌ وهَيْهاتَ، دُونَ البَرْقِ شَأْوٌ مُغَرَّبُ(٢)

٣٠ فَمَا الليلُ إلا فَحْمَةٌ مُسْتَشَفَّةٌ وَمَا البَرْقُ إلا جَمْرَةٌ تتلَهَّبُ(٣)

٣١ أمِنْ بَعْدِ مَا أجْلَلْتُها وَرَقَ الدُّجَى سِرَاعًا وأغْصَانُ الأزِمَّةِ تُجْذَبُ(٤)

وقد شبه امرؤ القيس بن حجر النجوم بمصابيح الرهبان ، وذلك فى قوله :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنَّها مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ

والأكهب : الوصف من الكهبة ، وهى الغبرة المشربة سوادا . يقول : إنه نظر إلى البرق فى ليلة ضعفت نجومها واشتد ظلامها . وقد وقع فى الأصول « إذا الجو خوار المصابيح أكهب » والمقام لإذ ، ووقع فى ه وحدها « إذا الجو خوراء المصابيح » محرفا .

(١) الذوائب : جمع ذؤابة ، وذؤابة كل شىء : أعلاه . والعشوة ـ بضم العين وسكون الشين ، وتكسر العين أيضا ـ هى الشعلة من النار ترى ليلا من بعيد فتقصد ، وأراد هنا النار مطلقا ، ووقع فى ب « تقاد بأطراف الرماح » .

(٢) ألحاظ : جمع لحظ ، وأصله باطن العين ، وكليلة : ضعيفة ، وأراد أن ضوء النجوم ضعيف ، وهيهات : اسم فعل معناه بعد ، و « دون » ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و « شأو مغرب » مبتدأ مؤخر . والشأو : الغاية ، والمغرب : أراد به البعيد . يقول : إنه نظر إلى البرق الذى لمع فى حال أن ضوء النجوم كان ضعيفا ، ثم استبعد الوصول إلى المكان الذى يلمع البرق منه ، ورأى أن دونهما شقة بعيدة . وكأنما لحظ فى ذلك المعنى قول امرىء القيس بن حجر الكندى :

تنوَّرْتُها مِنْ أذْرِعاتٍ وأهْلُها بِيَثْرِبَ ، أدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِ

(٣) مستشفة : اسم مفعول من قولهم « استشف الرجل الثوب » إذا نشره وفتشه يبحث عن عيب إن كان فيه . والجمرة : القطعة من النار ، يقول : ليس الليل إلا فحمة قد انتشر ظلامها وعم كل شىء ، وليس البرق إلا قطعة صغيرة من اللهب .

(٤) الضمير فى « أجللتها » يعود إلى الدواب ، وإن لم يجر لها ذكر ، لانفهامها من الكلام ، وأجللتها : غطيتها ، وألبستها ، أو جعلته لها كالجلال ، والدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة ،

٣٢ وعُدْنَا بِهَا مَمْغُوطَةً بِنُسُوعِهَا كَمَا صَافَحَ الأَرْضَ السَّرَاءُ المُعَبَّبُ(١)

٣٣ كأنَّ تَرَاجِيعَ الْحُدَاةِ وَرَاءَهَا صَفِيرٌ تَعَاطَاهُ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ(٢)

٣٤ تَهُرُّ ظُنُونِي فِي المَآرِبِ إِرْبَةٌ وَيَجْنُبُ عَزْمِي فِي المَطَالِبِ مَطْلَبُ(٣)

شبهها بشجرة وجعل لها ورقا ، ثم ذكر أنه كسا رواحله هذا الورق . والأزمة : جمع زمام ، وهو ماتقاد به الدابة . يقول : أشوقا بعد أن أعملنا المطى فى غسق الليل وكبدناها مشاق الرحلة ووعثاء السفر ؟

(١) تقول « مغط فلان الشيء يمغطه مغطا » من باب قطع ـ إذا مده يستطيله ، و بعض أهل اللغة يخصه بمد الشيء اللين كالمصران ، وتقول أيضا « مغط الرامى فى قوسه » إذا أغرق فى نزع الوتر ومده ليبعد السهم ، وقالوا : شدمامغط فى قوسه. والنسوع : جمع نسع ، وهو ـ بكسر فسكون ـ سير أو حبل من أدم يكون عريضا تشد به الرحال ، والسراء ـ بفتح السين ، بزنة السحاب ـ شجر تتخذ منه القسى ، واحدته سراءة ، و « المعبب » الطويل ، وقد حكى صاحب اللسان « عب النبت : طال » ولم أعثر على عبب ، ووقع فى ه « كما صافح الأرض السراء المعقب » و يقال : عقب العرفج ، إذا اصفرت ثمرته وحان يبسه .

(٢) تراجيع : جمع ترجيع ، وهو مصدر رجع ـ بتشديد الجيم ـ أى ردد كلامه . والحداة جمع حاد ، وهو اسم الفاعل من حدا إبله وحدا بها ، إذا غنى لها لتسير . واليراع : القصب ، قيل له ذلك لخلو جوفه . والمثقب : الذى له ثقوب ، وأراد باليراع المثقب الزمارة ، بفتح الزاى ، والعامة تضمها خطأ . وقد أخذ كلمة اليراع المثقب شاعر مصر محمود سامى البارودى فقال :

سوَايَ بتَحْنانِ الأَغاريدِ يَطْرَبُ وغيْرِيَ باللَّذَّاتِ يَلْهُو ويُعْجَبُ

وَمَا أنا مِمَّنْ تأسرُ الخمرُ لُبَّهُ وَيَمْلِكُ سَمْعَيْهِ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ

(٣) وقع هـذا البيت فى ب بعد البيت ٣٩ الآتى . وتهر : مضارع هر فلان الشيء هرا وهريرا ـ من باب نصر وضرب ـ إذا كرهه واجتنبه ، والمآرب : جمع مأرب أو مأربة ، وهى الحاجة . والإربة ـ بكسر الهمزة وسكون الراء ـ مثل المأرب ، أو هى الحيلة والدهاء ، ويجنب : مضارع جنب فلان الشيء ـ من باب نصر ـ إذا نحاه وأبعده عن نفسه ، ومنه قول الله تعالى

٣٥ وَرَدْنا بها ماءَ الظلامِ سَوَاغِبًا ... وللَّيْلِ جَوٌّ بالدَّرَارِيِّ مُعْشِبُ (١)

٣٦ تنفر ذَوْدَ الطَّيْرِ عَنْ وُكُرَاتِها ... وَكُلٌّ إذَا لَاقَيْنَهُ مُتَغَرِّبُ (٢)

٣٧ وَتَلْتَذُ رَشْفَ الماءِ رَنْقًا كأنه ... مَعَ العِزِّ ثَغْرٌ بارِدُ الظَّلْمِ أشْنَبُ (٣)

على لسان إبراهيم عليه السلام (واجنبنى و بنى أن نعبد الأصنام) أى باعدنى وإياهم عن عبادتها. يقول : إن مأربا واحدا ملك على نفسى واستولى على أفكارى حتى كره إلى الظن فى كل مأرب عداه ، وإن مطلبا واحدا بعث عزمى على إبعاد كل مطلب أن يكون مما تتجه نفسى إليه .

(١) وقع فى ب « وردن بها » وما أثبتناه موافقا لما فى ه هو الصواب ، والضمير فى « بها » عائد إلى الرواحل ، و « ماء الظلام » ليس بشىء ، ونظيره « ماء الملام » فى قول أبى تمام :

لا تَسْقِنى مَاءَ المَلامِ فإنَّنى ... صَبٌّ قَدِ اسْتَعْذَبْتُ ماءَ بكائى

وسواغب : جمع ساغبة ، وهى اسم فاعل من السغب ـ بفتح السين والغين ـ وهو الجوع ، أو بشرط أن يكون معه عطش وتعب ، وقوله « جو معشب بالدرارى » ليس بشىء ، واستعارته غثة.

(٢) تنفر : تبعد وتطرد ، وأصل معناه الحرفى تجعله نافرا . وأصل الذود أن يقال لما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل ، وقالوا « الذود إلى الذود إبل » واستعمله هنا فى جماعة الطير ، ولو قال « تنفر سرب الطير » لكان أحسن. ووكرات الطير: أعشاشه ، وهو جمع وكر ـ بضم الواو وفتح الكاف ـ الذى هو جمع وكرة ـ بضم فسكون ـ والطير تأوى إلى أعشاشها ليلا ، وأراد الكناية عن سير هذه الرواحل ليلا وأن لها هديرا يزعج الطير فيترك أوكاره ، فعبر عن هذا المعنى بأنها تنفر ذود الطير عن وكراتها .

(٣) وقع فى أصول الديوان « تلتذ » بتاء المضارعة ، ونحسب أنه « نلتذ » بالنون. ورشف الماء : مصه بالشفتين ، و باب فعله نصر وضرب ، وحكى ابن برى أنه أتى أيضا من باب علم . والرنق ـ بفتح الراء وسكون النون ، وقد تكسر النون ، وقد تفتح ـ الكدر . والظلم ـ بفتح الظاء وسكون اللام ـ ماء الفم ، والأشنب : الوصف من الشنب ـ بفتح الشين والنون جميعا ـ وهو رقة و برد وعذوبة فى الأسنان ، وقيل : نقط بيض فيها ، وهو مما يستحسن فى الفم .

٣٨ أذَعْنَا لَهُ سِرَّ الْكَرَى من عُيُونِنَا ... وسِرُّ العُلَى بَيْنَ الجَوَانِحِ يحجَبُ (١)

٣٩ حَرَامٌ على المجدِ ابْتِسَامِى لقُرْبِهِ ... وَمَا هَزَّنِى فيـــهِ المناءُ المقطَّبُ

٤٠ ودَهْماء مِنْ لَيْلِ التِّمَامِ قَطَعْتُهَا ... أُغَنِّى حُدَاءَ وَالْمَرَاسِيلُ تَطْرَبُ (٢)

٤١ ولَوْ شِئْتُ غَنَّتْنِى الْحَمَامُ عَشِيَّةً ... ولَكِنَّنِى مِنْ ماءِ عَيْنِىَ أَشْرَبُ

٤٢ أَقُولُ إذا خاضَ السَّمِيرَانِ فى الدُّجَى ... أحادِيثَ تَبْدُو طالِعَاتٍ وتَغْرُبُ

٤٣ ألا غَنِّيَانِى بالحـديثِ فإنَّنى ... رأيْتُ أَلَذَّ القَوْلِ ما كانَ يُطْرِبُ

٤٤ غِنَاءً إذا خاضَ الْمَسَامِـعَ لَمْ يكن ... أمِينًا على جِلْبَابِهِ الْمُتَجَلْبِبُ (٣)

---

(١) يريد أنه نفى عن عينيه النوم وطرده ، فعبر عن ذلك بإذاعة سر الكرى، وهو النوم، وإنما دعاه إلى ذلك سر مكتتم بين جوانحه وهو سيره فى طلب المجد .

(٢) دهماء : صفة لموصوف محذوف ، والأصل : وليلة دهماء ، والدهماء : التى لونها الدهمة ، والدهمة ـ بضم الدال وسكون الهاء ـ السواد ، وليل التمام ـ بكسر التاء ـ أطول ليلة فى السنة ، قال امرؤ القيس بن حجر :

فبِتُّ أُكابِدُ لَيْلَ التِّما ... مِ والْقَلْبُ من خشْيَةٍ مُقْشَعِرّ

وقال النابغة الذبيانى :

يُسَهَّدُ مِنْ لَيْلِ التمامِ لَديغُها ... لحُلْىِ النساء فى يَدَيْهِ قَعاقِعُ

والحداء ـ بضم الحاء ـ الغناء للإبل ، والمراسيل : جمع مرسال ، وهى الناقة السهلة السير .

(٣) خاض المسامع : أراد وصل إلى الآذان ، والجلباب ـ بكسر الجيم أوله ـ الملحفة، وجمعه جلابيب ، وقالت امرأة من هذيل ترثى قتيلا :

تَمْشِى النُّسُورُ إلَيْهِ وَهْىَ لاهِيَةٌ ... مَشْىَ العَذَارَى عَلَيْهِنَّ الجلابيبُ

وتقول « تجلبب فلان » تريد أنه لبس الجلباب ، ووقع فى هـ « المتجلب » بباء واحدة ، وصوابه ما أثبتناه موافقا لما فى ب ـ يقول : إنه إذا طلب من رفقته أن يغنوه بأحاديثهم غنوه غناء مق طرق آذان سامعيه انتشوا وخرجوا عن وقارهم ولم يكن المتجلبب منهم أمينا على جلبابه فربما مزقه من شدة الطرب .

٤٥ ونَشْوَانَ من خَمْرِ النُّعاسِ ذَعَرْتُهُ وطَيْفُ الكَرَى فِي الْعَيْنِ يَطْفُو ويَرْسُبُ(١)

٤٦ لهُ مُقْلَةٌ يَسْتَنْزِلُ النَّوْمَ جَفْنُهَا إليه كما اسْتَرْخَى على النَّجْمِ هَيْدَبُ(٢)

٤٧ سلَكْتُ فِجَاجَ الأرضِ غُفْلًا ومُعْلَمًا تَجُدُّ بها أيْدِي المَطَايَا وتَلْعَبُ(٣)

٤٨ وما شَهْوَتِي لَوْمُ الرفيقِ، وإنَّمَا كما يَلْتَقِى فى السَّيْرِ ظِلْفٌ ومِخْلَبُ(٤)

---

(١) النشوان ـ بفتح النون وسكون الشين ـ السكران ، من النشوة ـ بفتح فسكون ، وحكى فيه يونس كسر النون أيضا . والنعاس ـ بضم النون ـ النوم ، وذعرته : أخفته ، ويطفو : يعلو ، ويرسب : يسفل ، يريد أن النوم كان لا يزال يعبث بجفونه حين أخافه .

(٢) المقلة ـ بضم الميم وسكون القاف ـ شحمة العين التى تجمع السواد والبياض ، ومنه قالوا « مقلته » أى نظرت إليه بمقلتى ، وقالوا أيضا « مامقلته عينى منذ اليوم» يريدون مانظرت إليه . والهيدب ـ بزنة جعفر ـ السحاب المتدلى الذى يدنو من الأرض، وقيل : هو ماتراه كأنه خيوط عند انصباب المطر ، قال أوس بن حجر :

دَانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ يكادُ يُمْسِكُه مَنْ قَامَ بالرَّاحِ

(٣) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين ، وهو أوسع من الشعب . وغفلا ـ بضم الغين وسكون الفاء ـ ما لا علامة فيه يهتدى بها السالك من الطرق ونحوها ، والمعلم ـ بضم الميم وسكون العين وفتح اللام ـ ذو العلامات ، يريد أنه قطع شتى الطرق من غير تمييز بين ماله علامات منها يهتدى بها السائرون وما لا علامة له ، وبين قوله « تجد » و « تلعب » مقابلة ، والمطايا : جمع مطية ، وهى الدابة .

(٤) يريد أنه يسلك هذه الفجاج الوعرة لايبغى أن يظهر قدرته على السير ويلوم رفيقه على عجزه وعدم مسايرته . والظلف ـ بكسر الظاء وسكون اللام ـ للبقرة والشاة والظبى وشبهها بمنزلة القدم للإنسان ، وقيل : كالظفر للانسان وكالحافر للفرس وكالخف للبعير . والمخلب ـ بزنة المنبر ـ ظفر كل سبع من الماشى والطائر ، سمى بذلك لأن صاحبه يميل به الشىء ويخلبه إلى نفسه ، وجمع المخلب مخالب .

٤٩ عجبتُ لِغَيْرِى كَيْفَ سايرَ نَجْمَها ... وَسَيْرِىَ فيها، يابْنَةَ القَوْمِ، أعْجَبُ(١)

٥٠ أسِيرُ ومَرْجى بالنِّجَادِ مُقَلَّدٌ ... وأثْوِى وَبَيْتى بالعَوَالِى مُطَنَّبُ(٢)

٥١ وَمَصْقُولَةِ الأعْطافِ فى جَنَبَاتِها ... مَرَاحٌ لأطْرَافِ الرماحِ ومَلْعَبُ(٣)

٥٢ تجرُّ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ عَجاجَةً ... يُطارِدُها قَرْنٌ منَ الشمسِ أعْضَبُ(٤)

---

(١) وقع فى ه « وسيرى فيه يابنة القوم أعجب » وما أثبتناه موافقا لما فى ب أدق ، والضمير فى « فيها » راجع إلى فجاج الأرض فى البيت ٤٧ .

(٢) السرج ـ بفتح السين وسكون الراء ـ أصله الرحل ، وغلب استعماله للخيل ، والنجاد ـ بكسر النون ـ حمائل السيف ، يريد أنه يسير متأهبا للقتال دائما وقد عقد حمائل سيفه فى سرج فرسه . وأثوى : أقيم ، أو أطيل الإقامة ، والعوالى : أراد بها الرماح ، ومطنب ـ بزنة اسم المفعول ـ فعله قولهم « طنب فلان بيته » إذا شده بالأطناب : جمع طنب ـ بزنة عنق ـ وهو حبل يشد به سرادق البيت ، أو هو الوتد الذى يشد إليه الحبل ، والأخير أليق بجعل الرماح أطنابه ، وهو إنما يريد أنه فى حال إقامته الطويلة لا يغفل التهيؤ للنزال .

(٣) مصقولة : مجلوة ، تقول: صقل فلان سيفه ومرآته وثوبه ونحوها ، إذا جلاه وكشف صدأه ، وأراد بمصقولة الأعطاف خيلا زاهية الألوان ، والأعطاف : جمع عطف ـ بكسر العين وسكون الطاء ـ وهو الجانب . ووقع فى ه « فى وجناتها » وما أثبتناه موافقا لما فى ب أدق . والمراح ـ بفتح الميم أوله ـ أصله الموضع يروح منه القوم ، وأراد أن رماحهم قد علقت فى جنبات هذه الخيل فهى تهتز من سيرها متقدمة متأخرة ، ووقع فى ب « لأطراف العوالى » .

(٤) وقع فى ه « تجر على عين الطريق عجاجة » وما أثبتناه موافقا لما فى ب أصح . ومتن الطريق : ظهره ، والعجاجة ـ بفتح أوله ، بزنة السحابة ـ الغبار الذى تثيره الخيل بحوافرها ، وفى ب « يطارحها » مكان « يطاردها » ولكل منهما وجه ، والقرن الأعضب : المكسور ، وقرن الشمس : أول شعاعها ، وقيل : أول ما يبدو منها عند طلوعها ، ولما عبر عن شعاع الشمس بالقرن وصفه بالأعضب .

٥٣ نَهَارٌ بِلَأْلَاءِ السُّيُوفِ مُفَضَّضٌ وَجَوٌّ بِحُمْرَاءِ الْأَنَابِيبِ مُذْهَبُ (١)

٥٤ تَرَى الْيَوْمَ مُحْمَرَّ الْخَوَافِي كَأَنَّمَا عَلَى الْجَوِّ غَرْبٌ مِنْ دَمٍ يَتَصَبَّبُ (٢)

٥٥ صَدَمْنَا بِهَا الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ بِأَرْوَاقِهِ جَوْنُ الْمِلَاطَيْنِ أَخْطَبُ (٣)

٥٦ أَخَذْنَا عَلَيْهِمْ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا وَرَاعِي نُجُومِ اللَّيْلِ حَيْرَانُ مُغْرِبُ (٤)

---

(١) اللألاء : اللمعان ، ووقع فى ه « بلألاء أنيس » ومفضض : أراد أنه أبيض كلون الفضة، والأنابيب : جمع أنبوبة ـ بضم الهمزة أوله ـ وهى مابين كل كعبين من الرمح ، ويستعار لكل أجوف مستدير كالقصب ، وجعل الرمح حمراء الأنابيب لما جرى عليها من دماء الأقران ، ومذهب : كلون الذهب .

(٢) الخوافى : ريشات فى جناح الطائر إذا ضم جناحه خفيت ، والغرب ـ بفتح فسكون ـ الدلو العظيمة ، ويتصبب : يسيل ويجرى .

(٣) وقع فى ه «والجو ضارب بأوراقه» محرفا ، والأرواق : جمع روق ـ بفتح الراء وسكون الواو ـ وأصله الخيمة ، تقول « نزل فلان بأرض كذا وضرب فيها روقه » تريد نصب خيمته ، وفى الحديث « حين ضرب الشيطان روقه وشد أطنابه » وكنى بضرب الليل أرواقه عن أنه مد ظلمته ونشرها ، والجون ـ بفتح الجيم وسكون الواو ـ هو هنا الأسود، ويطلق أيضا على الأبيض فهو ضد . والملاط ـ بكسر الميم أوله ، بزنة الكتاب ـ الجنب ، وقال الشاعر :

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبُ

يصف رجلا شرد بعيره منه فأيس من العثور عليه فهمّ أن يبيع رحله فجاءه رجل به. والأخطب فى كلام الشريف : الذى لونه الخطبة ـ بضم الخاء وسكون الطاء ـ وهى غبرة ترهقها خضرة ، ويقال : هى لون كدر مشرب حمرة فى صفرة .

(٤) الصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع ، وحذف مفعول « أخذنا » وهو يريده ، وتقدير الكلام : أخذنا عليهم آفاق الأرض ، أو نحو ذلك ، يريد أنه ضيق عليهم سبل الهرب ، وقد لحظ فى هذا البيت قول الشاعر :

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

٥٧ فلو كان أمْراً ثابتاً عَقَلوا له ... ولٰكِنَّهُ الأمْرُ الذى لا يُجَرَّبُ(١)

٥٨ يُرَاعونَ إسْفارَ الصَّباحِ ، وإنَّما ... وَراء لِثَامِ اللَّيلِ يَوْمٌ عَصَبْصَبُ(٢)

٥٩ وكلٌّ ثقيلِ الصَّدْرِ مِنْ جَلَبِ القَنَا ... خَفِيفِ الشَّوَى والموتُ عَجْلَانُ مُقْرِبُ(٣)

و « مغرب » يجوز أن يكون بزنة اسم الفاعل ومعناه حينئذ آت بغريب الأمور ، ويجوز أن يكون بزنة اسم المفعول من قولهم « أغرب المريض » مبنيا للمجهول ـ إذا اشتد وجعه ، يصف مايلاقيه الذى يراعى نجوم الليل من الحيرة وشديد الألم ، يريد أن الليل طويل على أعدائهم لما يلقونه من الجهد .

(١) « عقلوا له » فكروا فيه بعقولهم ودبروا وجه الخلاص مما يلاقونه ، والضمير عائد إلى الأعداء الذين ذكرهم فى البيت ٥٥ ، وقوله «ولكنه الأمر الذى لايجرب» أراد أنه أمر لم تجر به عادة فى حرب ، يصف أنهم أنزلوا بأعدائهم من الهول ما لا عهد لهم بمثله ، فهم لا يعرفون وجها للخلاص منه .

(٢) إسفار الصباح : ظهور نوره ، ويوم عصبصب : شديد ، قالوا « هـذا يوم عصيب » أى شديد ، فإذا أرادوا المبالغة فى شدته قالوا «يوم عصبصب» و «اعصوصب اليوم» وقال العجاج :

مِنْ أنْ رأيْتَ صاحِبَيْكَ أكأبا ... مِنْ عَرَصَاتِ الدَّارِ أمْسَتْ قُوَبا

* وَمَبْرَكِ الْجَامِلِ حَيْثُ اعْصَوْصَبا *

يقول : لقد ظن أعداؤنا أنهم يستطيعون الفرار إذا بدا ضوء النهار ، وما دروا أن الإصباح أشد عليهم من ظلام الليل ، وأننا سنلقاهم فى الصباح بما لاقبل لهم به ، وسيبين بعض مايلاقونه منهم على التفصيل فى الأبيات التالية .

(٣) « كل ثقيل الصدر » معطوف على قوله « يوم عصبصب » فى البيت السابق ، وقوله « والموت عجلان مقرب » الواو فيه واو الحال . وجلب القنا ـ بفتح الجيم واللام جميعا ـ اختلاط أصواتها عند الضرب بها ، وأصل الشوى ـ بفتح الشين والواو جميعا ـ الأطراف من اليدين والرجلين ، يريد أن رماحهم ثقيلة مما يليهم خفيفة الأطراف الموجهة نحو الأعداء ، وذلك أسد لها وأمكن لإصابة الهدف ، وعجلان : وصف من العجلة ، ومقرب ـ بضم الميم وكسر الراء ـ دان قريب منهم ، وأصله قولهم « أقربت الحامل » إذا دنا وقت ولادتها .

٦٠ يَجِمُّ إِذَا مَا اسْتَرْعَفَ الكَرُّ جَهْدُهُ ... كَمَا جَمَّتِ الغُدْرَانُ وَالمَاءُ يَنْضُبُ (١)

٦١ وما الخَيْلُ إِلَّا كَالقِدَاحِ نُجِيلُهَا ... لِغُنْمٍ فَإِمَّا فَائِزٌ أَو مُخَيَّبُ (٢)

٦٢ دَعُوا شَرَفَ الأَحْسَابِ يَا آلَ ظَالِمٍ ... فَمَا المَاءُ مَوْرُودٌ وَلَا التُّرْبُ طَيِّبُ (٣)

٦٣ لَئِنْ كُنْتُمُ فِي آلِ فِهْرٍ كَوَاكِبًا ... إِذَا غَاضَ مِنْهَا كَوْكَبٌ فَاضَ كَوْكَبُ (٤)

---

(١) يجم : يكثر ، قالوا « جم الماء ، وغيره » من بابى ضرب ونصر ـ إذا كثر وتجمع . واسترعف : مأخوذ من قولهم « رعف الفرس الخيل » إذا سبقها وتقدم عليها ، وقالوا « من عرف القرآن رعف الأقران » . وجمت الغدران : امتلأت وكثرت أمواهها ، والغدران : جمع غدير ، وهى القطعة من الماء يغادرها السيل : أى يتركها . وتقول : نضب الماء ـ من باب نصر ـ إذا سال وجرى ، ويقال أيضا : نضب الماء ـ من بابى نصر وضرب ـ إذا غار فى الأرض وسفل. يقول : إن هذه الرماح تكثر عند ما يشتد الأمر وتتطلب الحال جهد أصحابها ، كما تفيض الغدران بالمياه حين تسيل وتجرى ، يريد أنهم يكثرون عند الفزع ، ولا ينكل أحد منهم عن لقاء الأقران.

(٢) القداح : جمع قدح ، وهو سهم الميسر ، ونجيلها : ندبرها ، تقول : أجلت القداح إجالة ، تريد أنك أدرتها وحركتها ليخرج أحدها : رابح ، أو خاسر .

(٣) دعوا شرف الأحساب : اتركوا ذكر أحسابكم ولا تذكروها ، لأن الفخر بالأحساب وحدها لايكفى ، وتقول : ورد القوم الماء ، إذا أقبلوا عليه يستقون منه ، وإنما يستقى القوم من المياه العذبة ، فقوله « فلا الماء مورود » مثل قولك « فلا الماء عذب » وقوله « ولا الترب طيب » ضرب به مثلا لسوء نبتتهم . يقول : لستم كراما فى أنفسكم ، ولا نبتم نباتا طيبا فأى معنى لفخاركم بالأحساب ؟! ووقع فى ب « فلا الماء مورود » .

(٤) فهر ـ بكسر فسكون ـ أبو قبيلة من قريش ، وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وغاض : غار وغاب . وفاض : ظهر وطلع ، وقد لحظ فى عجز هذا البيت معنى قول أوس ابن حجر :

إِذَا مُقْرِمٌ مِنَّا ذَرَا حَدَّ نَابِهِ ... تَخَمَّطَ مِنَّا نَابُ آخَرَ مُقْرِمِ

٦٤ فنَعْتِي كَنَعْتِ البَدْرِ يُنْسَبُ بَيْنَكُم ... جهارًا ، وما كلُّ الكواكبِ تُنْسَبُ (١)

٦٥ صَحِبْتُمْ خِضابَ الزَّاعِبِيَّاتِ ناصِلًا ... وَمِنْ عَلَقِ الأقْرانِ مالا يُخَضَّبُ (٢)

٦٦ أهَذِّبُ فى مَدْحِ اللئام خَواطِرِى ... فأصْدُقُ فى حُسْنِ المعانى، وأكْذِبُ (٣)

٦٧ وَمَا المَدْحُ إلا فى النبىِّ وآلِهِ ... يُرَامُ ، وبَعْضُ القولِ مايُتَجَنَّبُ (٤)

٦٨ وأوْلَىٰ بمَدْحِى مَنْ أعزَّ بفَخْرِهِ ... ولا يَشْكُرُ النعْماءَ إلّا المهذَّبُ (٥)

---

(١) يقول : أنا بينكم كالبدر إذا كنتم أنتم نجوما ، وشتان مابين البدر والنجوم، ألاترون البدر ليس يخفى على أحد ، وأنه ليس كل نجم معروفا للناس باسمه ووصفه ؟!

(٢) الزاعبيات : الرماح ، واحدها زاعبى ، وقال الطرماح بن حكيم :

وأجْوبَةٍ كالزَّاعِبِيَّةِ وَخْزُهَا ... يُبادِهُها شَيْخُ العِراقَيْنِ أمْرَدَا

وتقول « خضب فلان لحيته » إذا صبغها بالحناء ، فإذا صبغها بغير الحناء ، لم تقل خضبها ، وإنما تقول : صبغها ، وتقول « نصل الخضاب نصولا » مثل خرج يخرج خروجا ـ إذا ذهب ولم يبق له إلا أثر ضعيف ، ولون الحناء أحمر كلون الدم الذى يكون على الرماح من أثر الطعان ، يريد أنهم لم يدركوا المجد فى وقت بنائه ، وإنما أدركوه بعد أن بناه أهله . والعلق ـ بفتح العين واللام جميعا ـ الدم الغليظ . والأقران : جمع قرن ، وهو من يكافئك فى شجاعتك . يقول: بعض دماء الشجعان لاتخضب الرماح ، لأنهم لا يمكنون أقرانهم من أن يوقعوها فى أجسامهم .

(٣) يقول : إذا جرت كلمة منى فى مدح من لا يستحق المدح فليس المقصود بها إلا تهذيب خاطرى، فأنا صادق فى ابتداع المعانى وابتكارها والإتيان منها بما لم أسبق إليه،ولكننى أكذب فى نسبة هذه المعانى إلى من تقال فيهم .

(٤) يرام : يقصد ويطلب . ويتجنب: يبتعد عنه . يقول : المدح على الحقيقة ما كان موجها إلى من يستحقه ، وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله .

(٥) أولى : أحق . أعز بمدحه : تصير لى بمدحه العزة والكبرياء.

٦٩ أرَى الشِّعْرَ فيهم باقياً وكأنَّمَا ... تُحَلِّقُ بالأشْعارِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ(١)

٧٠ وَقَالُوا عجيبٌ عُجْبُ مِثْلِي بِنَفْسِهِ ... وَأيْنَ عَلَى الأيامِ مِثْلَ أبي أبُ(٢)

٧١ لعمرك ما أُعْجِبْتُ إلا بِمَدْحِهِم ... ويُحْسَبُ أنى بالقصائد مُعْجَبُ(٣)

٧٢ أُعِدُّ لفَخْرى فى المُقَامِ مُحَمَّدًا ... وَأدْعُو عَلِيًّا للعُلَىٰ حِينَ أرْكَبُ(٤)

***

(١) وقع فى ه « تعلق بالأشعار » محرفا ، وتحلق : مضارع « حلق الطائر فى الجو » إذا ارتفع فيه . و « عنقاء مغرب » على الوصف هنا ، وهو أحد وجهين فى هـذه العبارة ، يقولون « عنقاء مغرب » بإضافة الأول إلى الثانى ، ويقولون « عنقاء مغرب » بوصف الأول بالثانى ، و « عنقاء مغربة » أيضا . والعنقاء : طائر ضخم ليس بالعقاب ، وقيل : العنقاءالمغرب كلمة لاأصل لها ، ثم كثر حتى سموا الداهية عنقاء مغربا ، ومغربة ، وقال الشاعر :

وَلَوْلَا سُلَيْمَانُ الخليفَةُ حَلَّقَتْ ... بِهِ مِنْ يَدِالحجَّاحِ عنْقاءُمُغْرِب

وانظر مع هذا ٣٠/٢٧

(٢) العجب ـ بضم العين وسكون الجيم ـ الزهو والكبر ، أو أن تظن بنفسك ماليس عندك حتى ترى رأيك صوابا ورأى غيرك خطأ ، ولا يحسن إرادة المعنى الأخير هنا ، و « مثل » حال من « أب » فى آخر البيت أو من الضمير المستتر فى خبره ، وأصله صفة له فلما تقدم عليه جعل حالا ، لأن الصفة لا تتقدم على الموصوف . يقول : إن الناس يظهرون العجب من زهوى عليهم ، ولا يدرون أننى إنما أزهى بالانتساب إلى أب ليس فى الآباء أب مثله .

(٣) أعجب ـ بالبناء للمجهول ـ زها واستكبر وكان ذا عجب ، وهو بهذا المعنى ملازم للبناء للمجهول ، والوصف منه معجب ـ بفتح الجيم ـ وقالوا « كل فتاة بأبيها معجبة » من المبنى للمجهول أيضا . يقول : لم يداخلنى الزهو والكبرياء بما أقول من الشعر البديع ، وإنما ملأنى فخاراً وزهواً مديحى إياهم وذكرى صفاتهم ، لأن كل ما يذكرون به من الخير راجع لى ، لأننى من أبنائهم .

(٤) المقام ـ بضم الميم ـ الإقامة ، ومحمد : أراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى : أراد به أبا السبطين أمير المؤمنين على بن طالب ، كرم الله وجهه !

٣٦ — ومن قصيدة قالها وله عشر سنين ثم أسقط أكثرها بعد [من البسيط] :

١ المجدُ يعلم أنّ المجدَ من أربى ... ولو تمادَيْتُ فى غَىٍّ وفى لَعِبِ (١)

٢ إنّى لَمِنْ مَعْشَرٍ إنْ جُمِّعُوا لِعُلًى ... تفرَّقُوا عَنْ نبىٍّ أوْ وَصِىِّ نَبِى (٢)

٣ إذا هَمَمْتُ فَفَتِّشْ عَنْ شَبَا هِمَمِى ... تجدْهُ فى مُهَجَاتِ الأنجُمِ الشهُبِ (٣)

٤ وإنْ عَزَمْتُ فعَزْمِى يَسْتَحيلُ قَذًى ... تَدْمَى مَسَالِكُه فى أعْيُنِ النُّوَبِ (٤)

٥ وَمَعْرَكٍ صَافَحَتْ أيْدِى الحِمَامِ به ... طُلَى الرِّجالِ عَلَى الخُرْصَانِ مِنْ كَثَبِ (٥)

---

(١) الأرب ـ بفتح الهمزة والراء جميعا ـ الطلب ، وتماديت : استرسلت . والغى ـ بفتح الغين ـ ضد الرشد . يقول : مهما يظهر للناس من استرسالى فى الغى واللهو واللعب فليس لى مقصد أسعى إليه إلا المجد .

(٢) معشر : قوم . ومعنى « تفرقوا عن نبى أو وصى نبى » أنهم ينتسبون ويعتزون إلى النبى صلوات الله وسلامه عليه أو وصيه عليه السلام . والوصى : أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، والشيعة يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إلى على رضى الله عنه ليكون القائم بالأمر بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

(٣) الشبا ـ بفتح الشين ـ جمع شباة ، وهى حد كل شىء ، والمهجات : جمع مهجة ، وهى فى الأصل الدم ، وقيل : دم القلب خاصة . يقول : إن همتى لا تقف عند ما تطمح إليه أنظار نظرائى ، فاذا رأيتنى قد هممت فاعلم أن حد همتى فى مسارب النجوم ومسالك الشهب .

(٤) يستحيل : يتحول من حال إلى حال ، والقذى : أصله ما يكون فى العين من عمص ونحوه ، والنوب ـ بضم النون وفتح الواو ـ النوائب ونوازل الدهر . يقول : إذا توجه عزمى إلى شىء فإنه يتحول إلى قذى يقع فى عيون نوازل الدهر فيكفها ويفل من غربها .

(٥) معرك : اسم المكان من العراك ، والعراك كالقتال وزنا ومعنى . والحمام ـ بكسر الحاء ـ الموت ، والطلى ـ بضم الطاء ـ جمع طلية ، وهى العنق ، والخرصان : جمع خرص ـ بكسر فسكون ـ وهو السنان والرمح القصير يتخذ من خشب منحوت ، ووقع فى ه « على الحرمان » محرفا ، ومن كثب : من قريب .

٦ حَلَّتْ حُبَاهَا المنايا فى كَتَائِبِهِ بالضَّرْبِ فاجْتُثَّتِ الأجْسَادُ بالقُضُبِ (١)

٧ تلاقَتِ البِيضُ فى الأحْشَاءِ فاعْتَنَقَتْ وَالسَّمْهَرِىّ مِنَ الماذِىِّ وَالْيَلَبِ (٢)

٨ بَكَتْ على الأَرْضِ دَمْعًا من دمائهمُ فاستغربت من ثُغُورِ النَّوْرِ وَالْعُشُبِ (٣)

* * *

٣٧ – وقال يفتخر ، ويمدح أهل البيت عليهم السلام ، ويذكر قبورهم ، ويتشوقها [من الوافر] :

١ ألا لِلّهِ بادِرَةُ الطِّلَابِ وعَزْمٌ لَا يُرَوَّعُ بالعِتَابِ (٤)

---

(١) الحبا : جمع حبوة – بضم الحاء فيهما – وهى الاسم من قولك « احتبى فلان بثوبه » وذلك إذا جمع بين ظهره وساقيه وشدهما بثوبه أو نحوه ، وهى جلسة العرب فى البادية إذ لم يكن لهم ما يستندون إليه . وحل الحبا : كناية عن القيام والتهيؤ للعمل ، وعقدها : كناية عن الجلوس والتفرغ . والمنايا : جمع منية ، وهى الموت ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الجيش واجتثت الأجساد : استأصلتها ، والقضب – بضمتين – جمع قضيب ، وهو السيف .

(٢) البيض : جمع أبيض ، وهو السيف . والسمهرى : الرمح الصلب ، ويقال : هو منسوب إلى سمهر – بزنة جعفر – وهو زوج امرأة يقال لها ردينة ، وكانا يثقفان الرماح ، فتارة تنسب الرماح إلى الرجل فيقال : رمح سمهرى ، ورماح سمهرية ، وتارة تنسب إلى المرأة فيقال : رمح ردينى ، ورماح ردينية . وقيل : سمهر التى ينسب الرمح إليها بلدة من بلاد الحبشة اشتهر أهلها بصنع الرماح . والماذى : الدرع اللينة السهلة ، أو السلاح كله . واليلب – بفتح الياء واللام جميعا – الدروع إذا كانت من الجلود .

(٣) وقع فى ب «فاستعربت» بالعين مهملة . والنور – بفتح النون وسكون الواو – الزهر أو الأبيض منه خاصة . والعشب – بضم العين والشين هنا ، وأصله بضم العين وسكون الشين – الكلأ الرطب فى أول الربيع . والعرب تتبع عين الكلمة فاءها إذا كانت الفاء مضمومة والعين ساكنة ، فيقولون فى الغصن : غصن ، ويقولون فى القطن والجبن : قطن ، وجبن – بضم الثانى إتباعا لضم الأول فى هذه الألفاظ وأمثالها .

(٤) يقول العرب : لله فلان ، ولله أبوه ، ولله دره ، والمراد فى كل هـذه العبارات التعجب

٢ وَكلُّ مُشَمِّرِ الْبُرْدَيْنِ يَهْوِى هُوِىَّ الْمُصْلَتَاتِ إِلَى الرِّقَابِ(١)

٣ أُعَاتِبُهُ عَلَى بُعْدِ التَّنائى وَيَعْذِلُنى على قُرْبِ الإِيَابِ

٤ رَأَيْتُ الْعَجْزَ يخضَعُ لِلَّيالِى ويَرْضَى عن نَوَائبها الغِضَابِ(٢)

٥ ولَوْلَا صَوْلَةُ الأَيَّامِ دُونِى هَجَمْتُ على الْعُلَىٰ من كلِّ بَابِ(٣)

٦ ومن شِيَمِ الْفَتَى الْعَرَبى فِينَا عِنَاقُ الْبِيضِ وَالْخَيْلِ الْعِرَابِ(٤)

منه لأنه بلغ مبلغا يفوق ماجرت عادة أمثاله ببلوغه، فالمراد من قوله « لله بادرة الطلاب » التعجب على غرار ما ذكرنا من عباراتهم . والبادرة : اسم الفاعل المؤنث وفعله « بدره » من باب نصر ـ إذا عاجله . تقول : بدر فلان فلانا إلى كذا ، وبادره ، وابتدره ، كل ذلك بمعنى عاجله. والبادرة أيضا : الحدة ، أو ما يبدو من المرء عند حدته من خطأ وسقطات ، يقال : أنا أخاف بادرة فلان، والبادرة أيضا : طرف السهم من جهة النصل ، يقال : أصابته بادرة السهم ، وأصل ذلك كله المعنى الذى ذكرناه أولا . والطلاب ـ بكسر الطاء ، بزنة القتال ـ المطالبة ، وكأنه عنى المطالبة بالثؤور أو مطالبة ذوى الحقوق بحقوقهم. ولايروع ـ بالبناء للمجهول ـ لا يهدد ولا يخوف ، وأراد أنه لايثنيه العتاب عما يريد ، ولا يرده التهديد عما يقصده .

(١) يقال « شمر فلان عن ساقه » كناية عن استعداده للأمر من الأمور وتهيئه لأدائه وأخذه الأهبة له . ويهوى : أصله يسقط من الأعلى إلى الأسفل . والمصلتات : السيوف المجردة للقتال . والسيف ـ حين التحام القتال ـ يسقط على الرقاب بشدة وقوة ، وأراد هـذا المعنى من التشبيه .

(٢) أطلق العجز وأراد العاجزين الضعفاء العزائم والقلوب . ويخضع لليالى : معناه يذل لصروف الدهر ولا يحاول التخلص من نوائبها .

(٣) صولة الأيام : سطوتها وشدة ماتأتيه به . يقول : لولا أننى اشتغلت برد عاديات الدهر ولم أتفرغ لطلب المعالى لكنت أهجم على المعالى من كل ناحية ، ولكنى أصطدم فى كل يوم بحادثة من حوادث الدهر فتشغلنى وتحد من نشاطى .

(٤) شيم : جمع شيمة ـ بكسر الشين فيهما ـ وهى الخصلة ، والسجية ، والخلق ، والطبيعة.

٧ له كذبُ الْوَعِيدِ من الأَعادى وَمِنْ عاداته صِدْقُ الضِّرَابِ(١)

٨ سَأَدَّرِعُ الصَّوارِمَ والْعَوَالِى وما عريت من خلع الشَّبَابِ(٢)

٩ وأَشْتَمِلُ الدُّجَى والركْبُ يَمْضِى مَضاءَ السَّيْفِ شَذَّ عَنِ القُرَابِ(٣)

وعناق البيض : أراد به ملازمة السيوف ، أو الإقدام عليها والتقحم إليها ، ووقع فى ب « وصال البيض » ولا يبعد عما أثبتناه موافقا لما فى ه . والبيض : جمع أبيض ، وهو السيف . والخيل العراب ـ بكسر العين ـ الكرائم السالمة عن الهجنة ، ويقال : خيل عراب ، وإبل عراب . ويقابلها البخاتى والبراذين . يريد أن من خلق الفتى العربى ملازمته السيف وظهر فرسه الأصيل وهو بسبب من قول المتنبى :

الخيلُ والليلُ والبَيْداءُ تَعْرِفنى والسَّيْفُ والرُّمْحُ والقِرْطاسُ والْقَلَمُ

(١) له كذب الوعيد : أراد أن الأعداء إذا توعدوه بالإيقاع به والنيل منه لم يستطيعوا الوفاء بهذا الإيعاد . والضراب ـ بكسر الضاد ـ مثل القتال وزنا ومعنى . ويقال : فلان يصدق فى قتال عدوه ، يراد أنه لايقصر فيه ولا ينكل عنه .

(٢) أدرع ـ بتشديد الدال مفتوحة ـ مثل أتدرع ، وأصل المعنى فيهما أجعله كالدرع ، وأراد أنه سيحملها ويتخذ منها لنفسه وقاية تحميه من عدوه ، والصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع . والعوالى : جمع عالية ، وأراد بها الرمح . وقوله «وما عريت من خلع الشباب» أراد به أنه لا يزال فى ميعة الشباب .

(٣) يقال « اشتمل الرجل بثوبه » إذا تلفف به وأداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده ، هذا أصل هذه الكلمة . ويقولون على المجاز : اشتمل فلان بالليل ، والتحف الليل ، وتلفف بالليل ، واتخذ الليل جملا ، يريدون فى كل هذا أنه سار فيه إلى قصده . والركب ـ بفتح الراء وسكون الكاف ـ جمع راكب ، وأصله اسم فاعل من ركب ، وأرادوا به راكب الإبل خاصة وقوله « والركب يمضى مضاء السيف » أراد به أنه جاد فى سيره غير متلبث ، وشذ : أصل معناه انفرد عن رفقته ، وأراد هنا خروج السيف من غمده . والقراب ـ بضم القاف ، بزنة الغراب ـ جراب السيف وغمده .

١٠ وكم لَيْلٍ عَبَأْتُ لَهُ المطايَا وَنَارُ الحَيِّ حَائِرَةُ الشِّهَابِ(١)

١١ لَقِيتُ الأَرضَ شاحِبَةَ المُحَيَّا تلاعَبُ بالضَّرَاغِمِ والذِّئَابِ(٢)

١٢ فَزِعْتُ إلى الشُّحوبِ وكُنْتُ طَلْقاً كَمَا فَزِعَ المَشيبُ إلى الخِضَابِ(٣)

١٣ وَلَمْ نَرَ مِثْلَ مُبْيَضِّ النَّوَاحِي نُعَذِّبُهُ بِمُسْوَدِّ الإِهَابِ(٤)

---

(١) « كم » ههنا خبرية بمعنى كثير ، ولا تقتضى جوابا . وعبأت : معناه هيأت وأعددت . والمطايا : جمع مطية ، وهى الدابة . والشهاب ـ بكسر الشين بزنة الكتاب ـ الشعلة من النار ، وحائرة الشهاب : مضطربته . يريد أنه قاد الفرسان فى كثير من الليالى والحى أيقاظ حول نيرانهم الموقدة .

(٢) المحيا ـ بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الياء ـ الوجه ، ويقال : هو حر الوجه ، ويقولون : فلان طلق المحيا ـ بفتح الطاء وسكون اللام ـ يريدون أنه بشوش الوجه ، ويقولون : فلان شاحب المحيا ، يريدون أنه متغير الوجه من هزال ونحوه . والضراغم : جمع ضرغام ـ بكسر الضاد بزنة قرطاس ـ وهو الأسد ، وكان من حقه أن يجمع على ضراغيم ، لكنه حذف الياء اجتزاء بكسر ما قبلها ، كما قالوا فى جمع مفتاح مفاتح . و « تلاعب » أصله تتلاعب ، فحذف إحدى التاءين ، يقول : إنه وجد الأرض متغيرة عما كان يألفها عليه إذ ألفاها تموج بالآساد والذئاب .

(٣) يقال « فزع فلان إلى فلان » والمعنى أنه استغاث به من فزع وخوف أصاباه ، أو أنه أغاثه منهما . والشحوب : تغير الوجه . و « طلقا » بفتح الطاء وسكون اللام ـ الوصف من الطلاقة وهى بشاشة الوجه . والمشيب : الشيب . والخضاب : ما يغير به الشيب من الحناء ونحوها . يقول : إنه لما وجد الأرض شاحبة المحيا تموج بالآساد والذئاب لجأ إلى الشحوب ليشاكل الأرض ، كما يفزع الشيب إلى الخضاب يستتر به وإن كان لا يفيده .

(٤) مبيض النواحى : هو الشيب . والإهاب ـ بكسر الهمزة ، بزنة الكتاب ـ الجلد ، وأراد بمسود الإهاب الخضاب .

١٤ أَبِيتُ مُضَاجِعًا أَمَلِي، وإِنِّي أَرَى الآمالَ أَشْقَى لِلرِّكَابِ (١)

١٥ إِذَا مَا الْيَأْسُ خَيَّبَنَا رَجَوْنَا فَشَجَّعَنَا الرَّجَاءُ عَلَى الطِّلَابِ (٢)

١٦ أَقُولُ إِذَا اسْتَطَارَ مِنَ السَّوَارِي زَفُونُ الْقَطْرِ رَقَّاصُ الْحَبَابِ (٣)

١٧ كَأَنَّ الْجَوَّ غَصَّ بِهِ فَأَوْمَى لِيَقْذِفَهُ عَلَى قِمَمِ الشِّعَابِ (٤)

---

(١) « مضاجعا أملي » أصل معنى مضاجع مأخوذ من المضجع وهو المكان الذى تنام فيه ، يعنى أنه ينام مع أمله فى مكان واحد ، وهذا كناية عن أنه يلازمه ولا يفارقه لافى يقظة ولافى نوم . والركاب: أراد بها المطايا . يقول : إن آمال الناس مثار لشقاء مطاياهم وعذابها ، لأنهم لايزالون يرتحلونها فى طرق هذه الآمال .

(٢) وقع فى ه « إذا ماالياس جنبنا » ولها معنى يقرب من معنى ماأثبتناه موافقا لما فى ب . واليأس : انقطاع الطماعية فى بلوغ مايريد ، وخيبنا : أصابنا بالخيبة وأباءنا بالفشل فيما نريد . والطلاب ـ بكسر الطاء ـ المطالبة . يقول : كلما انقطع أمل فى بلوغ أمانينا تجدد لنا أمل آخر فبعثنا على السعى والدأب . وهذا تكميل لما ذكره فى البيت السابق من أن الآمال مدعاة لشقاء الركاب . يعنى أنهم فى جد متواصل وسعى لاينقطع .

(٣) استطار : تفرق وانتشر . والسوارى : جمع سارية ، وهى السحابة تأتى ليلا ، ويقولون: سقتك السوارى والغوادى ، وسقتك السارية والغادية . وأصل السارية التى تسير فى الوقت الذى يكون فيه السرى وهو الليل ، وأصل الغادية السائرة فى وقت الغداة . وزفون : صيغة مبالغة من الزفن ـ بفتح الزاى وتسكين الفاء ـ وهو الدفع الشديد والضرب بالرجل ، تقول : قربت من فلان فزفنى ، تريد أنه دفعك دفعا شديدا . والقطر : المطر . وأصل الحباب ـ بفتح الحاء ، بزنة السحاب ـ مايكون على وجه الماء من الفقاقيع ، ولعله أراد به البرد الذى يكون مع المطر ، يقول: إذا تفرق السحاب الذى يدفع المطر دفعا شديدا و يرقص البرد ، وهو حب أبيض من الثلج ـ ومقول القول يأتى فى البيت ٢٠

(٤) الجو : مابين السماء والأرض ، وغص به : امتلأ حتى لكأنه شرق به . وقوله «فأوما» أصله أومأ ـ بالهمز ـ فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ماقبلها، ومعناه أشار . والقمم : جمع قمة ـ بكسر القاف فيهما ـ وهى أعلى الجبل . والشعاب : جمع شعب ـ بكسر فسكون ـ وهو الطريق فى الجبل .

١٨ جَدِيرٌ أَنْ تُصَافِحَهُ الْفَيَافِي ... وَيَسْحَبَ فَوْقَهَا عَذَبَ الرَّبَابِ (١)

١٩ إِذَا هَتَمَ التِّلَاعَ رَأَيْتَ مِنْهُ ... رُضَاباً فِي ثَنِيَّاتِ الْهِضَابِ (٢)

٢٠ سَقَى اللهُ المدينَةَ مِنْ مَحَلّ ... لُبابَ الماءِ والنُّطَفِ الْعِذَابِ (٣)

٢١ وَجَادَ عَلَى البَقِيعِ وَسَاكِنِيهِ ... رَخِيُّ الذَّيْلِ مَلْآنُ الْوِطَابِ (٤)

٢٢ وَأَعْلَامَ الْغَرِيِّ وَمَا اسْتَبَاحَتْ ... مَعَالِمُهَا مِنَ الْحَسَبِ اللُّبَابِ (٥)

---

(١) جدير : خليق وحقيق ، والفيافى : جمع فيفاء أو فيفاة ، وهى الصحراء لاماء فيها ، وقيل : هى المكان المستوى . والعذب : جمع عذبة ـ بفتح العين والذال فيهما ـ وهى فى الأصل خرقة اللواء (العلم). والرباب : هو السحاب الأبيض . وهذا البيت والذى قبله من تتمة وصف السوارى ، ووقع فى ه «جدير أن تصافحه الليالى » .

(٢) أصل الهتم كسر الثنايا من أصلها ، والتلاع : جمع تلعة ، وهى ماعلا من الأرض وارتفع ، وتطلق أيضا على ماسفل من الأرض . والثنيات : جمع ثنية ، وهى طريق العقبة ، والهضاب : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض . يقول : إذا مانزل هذا المطر فحطم التلاع وأتى عليها رأيت أثراً من فعله فى طرق الهضاب ، يعنى أنه يعم أعالى الأرض وأسافلها ، ولا يخص مكانا دون غيره ، والمراد أنه شديد قوى .

(٣) المدينة : أراد بها مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ومحل : مكان يحل فيه الناس ويقيمون . ولباب الشىء ـ بضم اللام بزنة الغراب ـ خالصه . والنطف ـ بضم النون وفتح الطاء ـ جمع نطفة ، وهى الماء الصافى قل أو كثر ، والعذاب : جمع عذبة ، وهى السائغة الحلوة المذاق .

(٤) البقيع : مكان فيه مقابر أهل المدينة . والوطاب : جمع وطب ، وأصله السقاء المعد للبن إذا كان من جلد ، وأراد برخى الذيل مملوء الوطاب المطر .

(٥) الغرى ـ بفتح الغين وكسر الراء وتشديد الياء ـ أحد بناءين مشهورين بالكوفة . ولعله أراد به موطن قبور أهل البيت فى الكوفة كما أراد بالبقيع فى البيت السابق موطن قبورهم فى المدينة المنورة . واستباحت : جعلته مباحا ، ويراد به معنى استأصلته . والحسب اللباب : الخالص

٢٣ وقبراً بالطُّفُوفِ يَضُمُّ شِلْوًا قَضَى ظَمَأً إلى بَرْدِ الشَّرَابِ (١)

٢٤ وَبغْدَادًا وَسَامَرَّا وَطُوسًا هَطُولُ الْوَدْقِ مُنْخَرِقُ الْعُبَابِ (٢)

٢٥ قُبُورٌ تَنْطِفُ الْعَبَرَاتُ فِيها كما نَطَفَ الصَّبِيرُ عَلَى الرَّوَابِى (٣)

٢٦ فَلَوْ بَخِلَ السَّحَابُ عَلَى ثَرَاهَا لَذَابَتْ فَوْقَها قِطَعُ السَّرَابِ (٤)

٢٧ سَقَاكَ فَكَمْ ظَمِئْتُ إِلَيكَ شَوْقًا على عُدْوَاءِ دَارِى وَاقترابى (٥)

٢٨ تَجَافَىْ يا جَنُوبَ الرِّيحِ عَنِّى وَصُونِى فَضْلَ بُرْدِكِ عَنْ جَنَابِى (٦)

---

(١) الطفوف : جمع طف ، وأصل الطف ماأشرف من أرض العجم على ريف العراق ، وهو أيضا شاطىء النهر ، وأراد هنا طف الفرات ، وهو المكان الذى قتل فيه الحسين بن على ابن أبى طالب ، والشلو ـ بكسر الشين وسكون اللام ـ أراد به الجسد . وقضى : مات ، وبرد الشراب : من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والمعروف أن الحسين رضى الله عنه قتل وهو عطشان .

(٢) سامرا : هى « سر من رأى » المدينة التى بناها المعتصم العباسى . يشير إلى أن فى كل بلد من هذه البلاد قضى جماعة من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم . وهطول : صيغة مبالغة من « هطلت السحابة تهطل هطلا وهطلانا وتهطالا » إذا انصب ماؤها وسال . والودق : المطر . والعباب ـ بضم العين ، بزنة الغراب ـ ارتفاع السيل وكثرته .

(٣) تنطف : مضارع نطف الماء ـ من بابى ضرب ونصر ـ إذا سال . والعبرات : جمع عبرة ـ بفتح العين فيهما ـ وهى الدمعة . والصبير ـ بفتح الصاد ـ السحاب المتراكم الذى يصير بعضه فوق بعض ، والروابى : جمع رابية وهى ماارتفع من الأرض . ووقع فى ه «على الرقاب» محرفا .

(٤) الثرى ـ بفتح الثاء ـ التراب . يقول : إن لهذه الأمكنة لحرمة ، حتى إنه لو بخل السحاب بمطره على ترابها لذاب السراب فوقها فغمرها بالماء .

(٥) « عدواء دارى » بعدها ، وأراد أنه شديد الشوق إليها على كل حال ، قرب موطنه منها أو بعد . والخطاب للقبور التى ذكرها وعدد أماكنها .

(٦) تجافى : ابعدى ولا تمرى بى ، وجنوب الريح : الآتية من ناحية الجنوب . وفضل بردك : الزائد منه . وجنابه : موطنه الذى يقيم فيه . يقول : ابتعدى يارياح الجنوب فى هبوبك عنى ولاتمرى

٢٩ وَلَا تَسْرِى إِلَىَّ مَعَ اللَّيَالِى ... وَما اسْتَحْقَبْتِ مِنْ ذَاكَ التُّرَاب (١)

٣٠ قَلِيلٌ أَنْ تُقَادَ لَهُ الْغَوَادِى ... وَتُنْحَرَ فيهِ أَعْنَاقُ السحابِ (٢)

٣١ أما شَرِقَ التُّرابُ بِسَاكِنِيهِ ... فَيَلْفِظَهُمْ إِلَى النِّعَمِ الرِّغَابِ (٣)

٣٢ فكم غَدَتِ الضَّغَائِنُ وَهْىَ سَكْرَى ... تُدِيرُ عليهمُ كَأْسَ المصَابِ (٤)

٣٣ صَلَاةُ اللهِ تَخْفِقُ كلَّ يَوْمٍ ... على تِلْكَ الْمَعَالِمِ وَالْقِبَاب

٣٤ وَإِنى لا أَزَالُ أُكِدُّ عَزْمِى ... وَإِنْ قَلَّتْ مُسَاعَدَةُ الصِّحَاب (٥)

بى ، فإنك حين تمرين بى تثيرين لاعج آلامى وشديد أحزانى .

(١) « لاتسرى » مضارع سرى ، ومعناه سار ليلا . وأصل معنى استحقب ملأ حقيبتـه ، والمراد به ماحملت أو ماادخرت . يطلب من الريح ألا تسرى إليه ليلا حاملة التراب من المواطن التى يرقد فيها قومه لأنه يعرفه برياه فيتذكر الآلام التى مرت بهم فيزداد حزنه ، وقد وقع فى ه « وما استحقبت من ذاك الشراب » محرفا .

(٢) الغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تسير فى وقت الغداة ، وتقابلها السارية ، وانظر شرح البيت ١٦ من هذه القصيدة . يريد أنه لايكافىء شرف هذا القبر ولا يعادل قداسته أن نطلب إلى السحب أن تهطل فوقه .

(٣) شرق : غص وامتلأ ، ووقع فى ه « أما شرف » محرفا . ويلفظهم : يطرحهم . والنعم : جمع نعمة ، والرغاب : جمع رغيبة ، وهى الواسعة الكثيرة . يتحسر على طول مقام قومه بين جنادل القبور ، ويقول : هلا شعر القبر بأنه قد امتلأ بساكنيه فيطرحهم إلى واسع النعيم وكثير البركات .

(٤) الضغائن : جمع ضغينة ، وهى الحقد المنبعث عن العداوة ، وقوله « وهى سكرى » يريد أنها لاتثوب إلى عقل ولا ترجع إلى صواب فكر .

(٥) وقع فى ب « وإنى لاأزال أكر عزمى » وأحسب ماهنا أدق . وأراد من قوله « أكد عزمى » أجهده وأحمله المتاعب والآلام .

٣٥ وَأَخْتَرِقُ الرِّيَاحَ إِلَى نَسِيمٍ تَطَلَّعَ مِنْ تُرَابٍ أَبِي تُرَابِ (١)

٣٦ بِوُدِّي أَنْ تُطَاوِعَنِي اللَّيَالِي وَيَنْشَبَ فِي الْمُنَا ظُفُرِي وَنَابِي (٢)

٣٧ فَأَرْمِي الْعِيسَ نَحْوَكُمُ سِهَامًا تَقَلْقَلُ بَيْنَ أَحْشَاءِ الرِّحَابِ (٣)

٣٨ تُرَامِي بِاللُّغَامِ عَلَى طِلَاهَا كَمَا انْحَدَرَ الْغُثَاءُ عَنِ الْعِقَابِ (٤)

٣٩ وَأَجْنُبُ بَيْنَهَا خَرْقَ الْمَذَاكِي فَأُمْلِي بِاللُّغَامِ عَلَى اللُّغَابِ (٥)

---

(١) أخترق الرياح : أمر فى وسطها . وتطلع : ظهر وبدا . وأبو تراب : كنية أبى الحسنين أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) ينشب : يعلق . والظفر والناب مما تسطو به السباع ، وأراد أنه يتمنى أن لو تتاح له الفرصة التى تمكنه من بلوغ أمانيه .

(٣) العيس : جمع أعيس أو عيساء ، وهى الإبل . وسهاما : حال من العيس على التأويل بمشتق ، وله نظائر فى العربية منها قول هند بنت عتبة :

أَفِي الْحَرْبِ أَعْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً وَفِي السِّلْمِ أَشْبَاهَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ

تريد أتكونون فى الحرب مشبهين الأعيار ، وقد جاء على هذا قول أبى الطيب المتنبى :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غَزَالَا

أراد بدت مشرقة ومالت متثنية وفاحت ذكية الطيب ورنت مليحة ، وكثيرا مايجيئون بالمشبه به حالا من المشبه . وتشبيه الإبل بالسهام كثير فى كلامهم وقد ذكرنا طرفا منه فارجع إلى ٣٢/٣٠ ، وتقلقل : تتحرك وتضطرب ، ووقع فى ب « تغلغل » بالغين فى مكان القاف ، ووقع فيها أيضا « بين أحشاء الروابى » .

(٤) ترامى : أراد ترمى ، واللغام ـ بضم اللام بزنة الغراب ـ زبد أفواه الإبل ، والطلى : الأعناق ، واحدها طلية ، على وزان مدية ومدى . والغثاء ـ بضم الغين ـ البالى من ورق الشجر يخالطه زبد السيل ، والعقاب : جمع عقبة ، وهى مرتقى صعب من الجبل .

(٥) أجنب : مضارع جنب البعير والفرس ـ إذا قادها بجنب ركوبته . والمذاكى : جمع مذك ، وهو من الخيل الذى تم سنه وكملت قوته . وفى المثل « جرى المذكيات غلاب » أى يغلب غيره . واللغام : لعاب الإبل ، وسبق فى البيت قبله ، واللغاب ـ بضم اللام ـ السهم الذى لم يحسن بريه وعمله ، وانظر ٣٢/٣٠ .

٤٠ لَعَلِّى أَنْ أَبُلَّ بِكُمْ غَلِيلًا تَغَلْغَلَ بَيْنَ قَلْبِى وَالْحِجَابِ(١)

٤١ فَمَا لُقْيَاكُمُ إلا دَلِيـــلٌ عَلَى كَنْزِ الْغَنِيمَةِ وَالثَّوَابِ(٢)

٤٢ وَلِى قَبْرَانِ بِالزَّوْرَاءِ أَشْفِى بِقُرْبِهِمَا نِزَاعِى وَاكْتِئَابِى(٣)

٤٣ أَقُودُ إِلَيْهِمَا نَفْسِى وَأُهْدِى سَلَامًا لَا يَحِيدُ عَنِ الْجَوَابِ

٤٤ لِقَاؤُهُمَا يُطَهِّرُ مِنْ جَنَانِى وَيَدْرَأُ عَنْ رِدَائِى كُلَّ عَابِ(٤)

---

(١) الغليل : حرارة الجوف من عطش أو نحوه ، والحجاب ـ بكسر الحاء المهملة ـ لحمة رقيقة بين الجنبين .

(٢) وقع فى ه « فما لقياكم إلا قليلا » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب . وكنز الغنيمة : ادخارها وذخرها .

(٣) الزوراء : اسم لمدينة بغداد ، سميت بذلك لأن أبوابها الداخلة جعلت مزورة عن الخارجة البعيدة من الأراضى ، ونزاع النفس ـ بكسر النون ـ نزوعها إلى الشىء وتطلعها إليه وانجذابها نحوه .

(٤) الضمير فى « لقاؤهما » يعود إلى القبرين المذكورين فى البيت ٤٢ ، والجنان ـ بفتح الجيم ، بزنة السحاب ـ القلب ، وما لا يرى من جوف كل شىء . ويدرأ : يدفع . ويحتمل أن يكون أراد بالرداء الثوب ، وأن يكون أراد به القلب ، نظير ما ذكره العلماء فى قوله تعالى : (وثيابك فطهر) فإن من أهل التفسير من ذهب إلى أن المراد بالثياب فى هذه الآية الكريمة القلب ، ونظير ذلك أيضاً ما قاله بعض أهل اللغة فى قول امرىء القيس بن حجر :

وإن تَكُ قد ساءتْكِ منِّى خليقة فَسُلِّى ثِيابِى من ثِيابِكِ تَنْسُلِ

قالوا : المراد فسلى قلبى من قلبك . قال أبو جعفر النحاس فى شرح المعلقات : « وقوله فسلى ثيابى من ثيابك تنسلى ، يعنى قلبه من قلبها ، فكأنه تمثيل ، قال الله تعالى : (وثيابك فطهر) قيل : معناه والله أعلم وقلبك فطهر ، ومثله قول عنترة :

فشككتُ بالرُّمْحِ الأصَمِّ ثِيابَهُ لَيْسَ الكريمُ على القَنَا بِمُحَرَّمِ اهـ

والعاب فى قول الشريف : العيب ، ونظيره الذام والذيم ، ومعناهما الذم .

٤٥ قَسِيمُ النَّارِ جَدِّى يَوْمَ يُلْقَى ... بِهِ بابُ النجاةِ مِنَ الْعَذَابِ (١)

٤٦ وَسَاقِى الْخَلْقِ وَالْمُهَجَاتُ حَرَّى ... وَفَاتِحَةُ الصِّرَاطِ إِلَى الْحِسَابِ (٢)

٤٧ فمن سَمَحَتْ بِخَاتِمِهِ يَمِينٌ ... تَضَنُّ بِكلِّ عَالِيَةِ الْكعَابِ

٤٨ أَمَا فى بابِ خَيْبَرَ مُعْجِزَاتٌ ... تُصَدِّقُ ، أَوْ مُناجاةِ الْحُبابِ (٣)

---

(١) جده : هو أمير المؤمنين أبو السبطين على بن أبى طالب كرم الله وجهه . ومعنى كونه قسيم النار : أنه وأتباعه يكون قسما وأهل النار يكونون قسما آخر ، وهـذا كناية عن أن من كان من حزبه فهو ناج من العذاب ، وهذا مأخوذ من قوله رضى الله عنه : « أنا قسيم النار » .

(٢) المهجات : جمع مهجـة ـ بضم الميم فيهمـا ـ وهى النفس والروح . وحرى : أراد به صادية عطشى ، يصف ما يكون يوم القيامة من هول ، وأن جده فى هذا اليوم سيكون ذا منزلة عالية عند ربه ، وأنه يشفع فيمن اتبعوه وأحبوه ، وفى ذلك من التعريض بخصومه ماليس يخفى .

(٣) خيبر : مدينة لليهود ، وحولها وقعت غزاة للنبى صلى الله عليه وسلم فى سنة سبع من الهجرة عقيب عودته من الحديبية ، وفى هذه الغزاة ظهر فضل عظيم لأمير المؤمنين على بن أبى طالب ، روى ابن كثير عن البيهقى بإسناد له أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشقيقة (والشقيقة: الصداع يعرض فى مقدم الرأس و إلى أحد جانبيه) فلبث اليوم واليومين لا يخرج ، وأنه لمـا نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس . وأن أبا بكر أخذ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة ، وليس ثم على ، فتطاولت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح ، وجاء على بن أبى طالب على بعير له حتى أناخ قريباً ، وهو أرمد قد عصب عينه بشقة برد قطرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قال : رمدت بعدك ، قال: ادن منى ، فتفل فى عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فنهض بهـا ، وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها ، فأتى مدينة خيبر ، وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانى وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز :

٤٩ أرادَتْ كَيْدَهُ واللهُ يَأْبَى فجاء النَّصْرُ مِنْ قبل الغُرَابِ

٥٠ أهٰذَا البدْرُ يُكْسَفُ بالدَّياجى وهٰذِى الشَّمْسُ تُطْمَسُ بالضَّبابِ (١)

٥١ وكان إذَا اسْتَطالَ عليهِ جانٍ يَرَى تَرْكَ العِقابِ مِنَ العِقابِ (٢)

٥٢ أرَى شَعْبانَ يُذْكِرُنى اشتياقى فَمَنْ لِى أن يُذَكِّرَكُمْ ثَوَابى (٣)

قد عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنى مَرْحَبُ شَاكِ سِلَاحِى بَطَلٌ مُجَرَّبُ

* إذَا اللُّيُوثُ أقبلَتْ تَلَهَّبُ *

فقال على رضى الله عنه :

أنا الَّذِى سَمَّتْنِ أُمِّى حَيْدَرَه كَلَيْثِ غاباتٍ شَدِيدٍ قَسْوَرَه

* أكِيلُكُمْ بالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَه *

قال : فاختلفا ضربتين ، فبدره على بضربة فقد الحجر والمغفر ورأسه ووقع فى الأضراس ، وأخذ المدينة اه .

(١) الدياجى : حنادس الليل ، وكأنه جمع ديجاة . والضباب: سحاب يغشى الأرض كالدخان ، والاستفهام فى هذا البيت بمعنى النفى ، وقد جعل أباه بدراً وشمسا ، وجعل ما يقوله المفترون عنه دياجى وأضبة ، وأراد أنه لا يمكن أن يستر الظلام ضوء البدر ، ولا أن يحجب الضباب ضوء الشمس ، كنى بذلك عن اشتهار فضله وظهور عظيم منزلته واستعلاء ذكره على تقولات المفترين .

(٢) استطال عليه : حاول أن يتطاول عليه، والجانى : اسم الفاعل من « جنى فلان جناية » أى ارتكب إثما واجترح سيئة ، يريد أنه كان من شيمته أن يعفو عن المسىء ويكله إلى نفسه تقرعه وتندمه على ما فعل ، ويعتقد أن هذا من أروع الزواجر للمذنبين ، فيكون ترك العقاب الظاهر عقابا على الحقيقة ، وصدق فإن تقريع النفس وندمها أفعل فى ردع المذنبين من التنكيل بهم .

(٣) وقع فى ه « أرى شعبان يذكرنى اشتياقا » والمعنى أنه يوقع فى نفسه ذكراهم فيحن إليهم ويشتاقهم ، ومعنى قوله « فمن لى أن يذكركم ثوابى » أى شىء يمكن له أن يذكركم بصبره على ما نزل بهم من البلايا واحتسابه عند الله ما أصيبوا به من نوازل .

٥٣ بِكُمْ فِي الشِّعْرِ فَخْرِي، لا بِشِعْرِي وَعَنْكُمْ طالَ باعِي فِي الْخِطابِ (١)

٥٤ أجلّ عَنِ القَبائِحِ غَيْرَ أنّي لكم أرْمِي وَأرْمَى بالسِّبابِ (٢)

٥٥ فأجْهَرُ بِالْوَلاءِ وَلَا أوَرّي وَأنْطِقُ بالْبَراءِ وَلَا أُحابِي (٣)

---

(١) تقول «طال باع فلان» إذا صار ذا قدرة، والخطاب: المخاطبة. يقول: إنه إذا تكلم عنهم وجد مجال القول واسعا، وكانت له على الكلام أعظم القدرة، وماذا ينقصه: لسان ذرب، ومقال فصيح، وخصال كريمة فى الممدوح يتحدث عنها فلا يرد عليه راد!!

(٢) القبائح: جمع قبيحة، وأراد بها هنا الكلمة القبيحة. والسباب - بكسر السين - الشتم. يقول: إن قدرى ليعظم عن فعل القبيح، ولكنى فى سبيلكم أستهين بكل شىء، فأرمى من يتعرض لكم وأحتمل أن يرمينى من شاء بما شاء، ولعله لحظ فى هذا البيت قول الكميت شاعر الهاشميين:

وكنتُ لهُمْ من هؤُلاءِ وهؤُلا مِجَنًّا، عَلَى أنى أُذَمُّ وأُقْصَبُ

وأُرْمَىٰ وأرمى بالْعَدَاوَةِ أَهْلَها وإنى لَأُوذَى فيهِمُ وَأُؤَنَّبُ

وقوله فى القصيدة نفسها:

بَنى هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فإننى بِهِمْ ولَهُمْ أَرْضَى مِرَارًا وأَغْضَبُ

(٣) أجهر: أعلن وأظهر، والولاء - بفتح الواو - الموالاة لهم ومحبتهم، و «أورى» مضارع من التورية، وهى على وجه العموم أن يوجه الكلام غير الوجهة التى يقصدها كأن يجعل الخطاب لواحد والمراد به غيره، وكأن يذكر الكلام بألفاظ تحتمل أكثر من وجه، وكأن يأتى به فى أسلوب كنائى خفى، ووقع فى هـ «ولا أوارى» من المواراة، وهى الإخفاء والمعنى قريب مما أثبتناه موافقا لما فى ب. والبراء - بفتح الباء - أصله مصدر، ويوصف به ويخبر به كما يوصف بعدل ورضا، ويقع بلفظ واحد للمفرد والمثنى والجمع، تقول: «أنا براء من فلان» و «أنا خلاء منه» تريد أنك برىء منه لا تناصره ولا تواليه. وأحابى: مضارع من المحاباة. وهى الميل مع الانحراف عن الحق. يقول: إنه يجاهر بولائه ومحبته لهؤلاء دون تورية ولا إخفاء لأنه لا يخاف أحداً ولا يرهب سلطانا، وإنه ليعلن البراءة من خصومهم لا ينحرف فى ذلك عن الحق محاباة لأحد ولا استجلابا لوده.

٥٦ وَمَنْ أولىٰ بِكُمْ مِنِّى وَلِيًّا وَفِى أيْدِيكُمُ طَرَفُ انْتِسَابى (١)

٥٧ مُحِبُّكُمُ وَلَوْ بَغُضَتْ حَياتى وَزَائِرُكم ولَوْ عُقِرَتْ رِكابى (٢)

٥٨ تُباعِدُ بَيْنَنا غِيَرُ اللَّيالِى وَمَرْجِعُنا إِلَى النَّسَبِ القُرَابِ (٣)

* * *

٣٨ — وقال أيضاً [يفتخر] [من مجزوء الكامل] :

١ إِنَّا نَعِيبُ وَلا نُعَابُ وَنُصِيبُ مِنْكَ وَلا نُصَابُ (٤)

٢ آلُ النبىِّ وَمَنْ تَقَلَّـــــبَ فِى صُدُورِهِمُ الْكِتَابُ (٥)

---

(١) يقول : ليس فى الناس من هو أولى بموالاتكم والانتصار لكم منى ، لأن نسبى يرتفع إليكم وفخرى يقف عندكم .

(٢) بغضت حياتى : صارت بغيضة إلى الناس مكروهة عندهم . وتقول : « بغض فلان » ـ لازما من باب كرم وفرح ـ بغاضة ، إذا صار بغيضا ، وقد يقال « بغض فلان فلانا » متعديا ، إذا كرهه ، وهى لغة رديئة ، والكثير فى هذا المعنى أن يقال « أبغض فلان فلانا » بالهمزة . وعقرت ركابى : ضربت قوائمها لتعجز عن السير . يقول : أنا باق على محبتكم وإن أدى ذلك إلى مقت الناس لى وزائركم وإن حالوا دون ذلك .

(٣) غير الليالى ـ بكسر الغين وفتح الياء ـ أحداثها التى تغير ما تأتى عليه ـ واحدتها غيرة ـ بالكسر أيضا ـ والنسب القراب ـ بضم القاف ـ القريب .

(٤) نعيب : نرمى غيرنا بالعيب ، ونعاب : يرمينا غيرنا بالعيب . يقول : إن لنا من العظمة والعزة ما يخولنا أن نذكر عيوب الناس فلا يجرؤ أحد على أن يرد علينا قولنا ، وإن لنا من البراءة من العيوب ، والخلاص من النقائص ما لا يجد معه أحد مساغا لأن يذكرنا بنقيصة أو يرمينا بعيب .

(٥) وقع فى ب « ومن تقلب فى حجورهم الكتاب » وما أثبتناه موافقا لما فى ه أدق ، وأراد من الكتاب القرآن الكريم .

٣ خُلِقَتْ لَهُمْ سُمْرُ القَنَا وَالبِيضُ وَالْخَيْلُ العِرَابُ(١)

٤ فَاقْنَىْ حَياءَكِ إِنَّمَا الـ أَيامُ غُنْمٌ وَانْتِهَابُ(٢)

٥ مَنْ لَذَّ وِرْدَ الْمَوْتِ لا يَصْفُو لَهُ أَبَدًا شَرَابُ(٣)

٦ وتَطَرَّفِى حَيْثُ السَّمَا حُ الغَمْرُ وَالْحَسَبُ اللُّبَابُ(٤)

٧ فى حَيْثُ لِلرَّاجى الثَّوَا بُ نَدًى وَلِلْجَانى الْعِقَابُ(٥)

٨ قَوْمٌ إذا غَمَزَ الزَّمَا نُ قُنِيَّهم كَرُمُوا وَطابُوا(٦)

---

(١) سمر : جمع أسمر ، وأراد الرماح . والبيض : جمع أبيض ، وأراد السيوف ، والخيل العراب ـ بكسر العين ـ الأصيلة .

(٢) اقنى حياءك : الزميه ولا تفارقيه ، وقال الشاعر :

فاقْنَىْ حَياءَكِ لَا أَبالَكِ واعْلَمِى أَنِّى امرؤ سأموتُ إنْ لَمْ أُقْتَل

وغنم ـ بضم فسكون ـ اغتنام . وانتهاب : مصدر انتهب الشىء إذا أخذه واستولى عليه ، ووقع فى ب « أو نهاب » وهى بكسر النون ـ مصدر « ناهب فلان فلانا الشىء » إذا باراه فى نهبه والاستيلاء عليه . يقول : إن هذه الحياة غنيمة يحصلها من قدر عليها ويمتلكها من غلب .

(٣) لذورد الموت : وجده لذيذا . ويصفو : يخلص من الكدر . يقول : إن المرء إذا استعذب الموت كره كل شىء فى هذه الحياة .

(٤) « تطرفى » من قولهم : « تطرف فلان على القوم » إذا أغار عليهم ، أو من قولهم : « تطرفت الناقة » إذا رعت أطراف المرعى ولم تختلط بالنوق . والسماح ـ بفتح السين ـ البذل والكرم . والغمر ـ بفتح فسكون ـ الكثير الواسع . واللباب ـ بضم اللام ـ الخالص .

(٥) « الثواب » مجرور بإضافة الراجى إليه أو منصوب على أنه مفعول به للراجى ، و « ندى » مبتدأ مؤخر خبره الجار والمجرور وهو قوله « للراجى » وجملة المبتدأ والخبر فى محل جر بإضافة حيث إليها ، ويجوز أن يكون المبتدأ هو « الثواب » ويكون قوله « ندى » مفعولا لأجله . والندى ـ بفتح النون ـ العطاء .

(٦) القنى ـ بضم القاف وكسر النون وتشديد الياء ، ويجوز كسر القاف إتباعا لكسر النون ـ جمع قناة ، وهى الرمح . وكنى بقوله « غمز الزمان قنيهم » عن إرادته تليينهم وإخضاعهم

٩ وإذا دُعُوا وَالْخَيْلُ فِي الـ ... إِجْفَالِ ثَابُوا أَوْ أَجَابُوا[1]

١٠ أَبَنِي عَدِيٍّ إِنَّمَا ... سَالَتْ بِخَيْلِكُمُ الشِّعَابُ

١١ وَشَرُفْتُمُ بِالطَّعْنِ وَالـ ... ـنيا ضِرَامٌ أَوْ ضِرَابُ[2]

١٢ مَا كُنْتُمُ إِلَّا الْبُحُو ... رَ تَوَالَغَتْ فِيهَا الذِّئَابُ

١٣ وَقَرَعْتُمُ بِالْبِيضِ حَتَّى ... ضَاعَ فِي اللِّمَمِ الشَّبَابُ[3]

١٤ وَالْيَوْمَ تُسْتَلُّ السُّيُو ... فُ بِهِ وَتَنْسَلُّ الرِّقَابُ[4]

١٥ كتمتْ دِمَاءَكُمُ الظُّبَا ... كالشَّيْبِ يَكْتُمُهُ الخِضَابُ[5]

١٦ فَتَنَاذَرُوا شمط الظَّلَا ... مِ فَخَلْفَهُ الْأَسَدُ الْغِضَابُ[6]

بما يجره عليهم، وكرموا : كانوا كراما ، وطابوا : كانوا طيبين . والمراد أنه يحمدهم على هذه الحال فلا يذلون ولا يخضعون ولا تلين له قناتهم ، ووقع فى ه « كثروا وطابوا » .

(١) الإجفال : مصدر أجفل ، وتقول « أجفل القوم » إذا أسرعوا الهرب ، وكذلك انجفلوا وتجفلوا . وثابوا : رجعوا إلى ما كانوا عليه . يقول : إذا دعا هؤلاء القوم داع فى الوقت الذى يهرب فيه الناس لم يكونوا لينكلوا عن إجابته .

(٢) ضرام ـ بكسر الضاد ـ أراد نيرانا ملتهبة مشتعلة ، وضراب : مقارعة يضرب بعض الناس بعضا .

(٣) البيض : السيوف . واللمم : جمع لمة ـ بكسر اللام فيهما ـ وهى الشعر الذى يجاور شحمة الأذن ، فإذا بلغ الشعر المنكبين سميت جمة ، بضم الجيم ، يقول : ما زلتم تقرعون بسيوفكم حتى ابيضت لممكم وولى شبابكم .

(٤) تستل السيوف : يخرجها أصحابها من أغمادها . وتنسل الرقاب : أراد تقطع من الجسد . يقول : إن هذا اليوم يوم تهيؤ واستعداد للحرب ، وهو يوم تشيط فيه الدماء وتجز الرقاب .

(٥) كتمت : أخفت وسترت . والظبا : جمع ظبة ـ بضم الظاء فيهما ـ وهى حد السيف .

(٦) وقع فى ب «فتنازعوا شمط الظلام» وأثبتنا ما فى ه «فتناذروا» ومعناه لينذر بعضكم بعضا. وقال النابغة الذبيانى فى اعتذاريته من اعتذارياته إلى النعمان بن المنذر ، والحديث عن حية :

تَنَاذَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا ... تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وطَوْرًا تُرَاجِعُ

١٧ وَتَعَلَّمُوا أَنَّ الصَّبا حَ ضُبَارِمٌ وَاللَّيْلَ غَابُ(١)

١٨ لَا صُلْحَ حَتَّى تَطْمَئِن إِلَى مَنَاسِمِهَا الرِّكَابُ(٢)

١٩ وَيَعُودَ وَجْهُ الشمس لا نَقْعٌ عَلَيْهِ وَلَا ضَبَابُ(٣)

٢٠ حَتَّى تَشَبَّثَ بِالظُّبَا ا أَغْمَادُ والْجُرْدُ الرِّحَابُ(٤)

٢١ وتُمَدَّ أَطْنَابُ الْبُيُو تِ وتُضْمِرَ الْقَوْمَ القِبَابُ(٥)

أى أنذر الراقون بعضهم بعضا شرها المخوف وهى إذا رقاها الراقى تجيب مرة ولا تجيب مرة أخرى من خبثها وشدتها . وشمط الظلام : اختلاط الظلمة ، أو اختلاط الأشياء فيها على الرائى ، وعنى بالظلام هنا الحوادث التى يغيب فيها وجه الرأى ويعز الخلاص منها . يطلب إليهم أن يتنبهوا إلى ماعسى أن يقع من الحوادث المروعة ، لأن خلفها ما لايستطاع دفعه ولا يقدر على رده .

(١) ضبارم ـ بضم الضاد وفتح الباء مخففة ـ هو الأسد إذا كان مجتمع الخلق موثقه ، ويقال له «ضبارمة» أيضا . والغاب : جمع غابة، وهى مسكن السباع والوحوش ، وأغلب الظن أنه يريد أنه يجرى فى الليل أمور لا تحمد مغبتها ، فاذا انبلج وجه النهار ظهرت ، وفى العبارة قصور عن أن تؤدى هذا المعنى .

(٢) المناسم : جمع منسم ، وهو فى الأصل خف البعير . وأراد أنه لا يقع الصلح بينهم حتى يستقر كل أمر من الأمور فى موضعه اللائق به .

(٣) النقع ـ بفتح النون وسكون القاف ـ الغبار . والضباب ـ بفتح الضاد ، بزنة السحاب ـ سحاب يغشى الأرض كالدخان ، وتقدم فى شرح ٣٧/٥٠ ، يريد أنه لا بد لإتمام الصلح من أن تظهر الحقائق وتنكشف عنها أستارها التى تخفيها .

(٤) تشبث : أصله تتشبث ، فحذف إحدى التاءين ، ومعناه تتعلق ، والأغماد : جمع غمد ، وهو قراب السيف . والجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس إذا كان قصير الشعر رقيقه . يريد أنه إذا تم الصلح ردت السيوف إلى أغمادها فبقيت لا تخرج منها وعلقت السيوف على الخيل الجرد ولم يستلها الفرسان للضرب بها ، كنى عن انتهاء مابينهم من الإحن والمغاورات بتمسك الأغماد بسيوفها وتعليق هذه السيوف المغمدة على الخيل .

(٥) الأطناب : جمع طنب ـ بضم الطاء والنون ـ وهو الحبل الذى تشد به الخيمة . وتضمر :

٢٢ وتُرَدَّفَ الأَدْرَاعُ مُشْـــــرَجَةً عَلَيْهِنَّ الْعِيَابُ(١)

٢٣ وتَرَى الرُّبَا وَالرَّوْضَ يَنْـــــشُرُ مِنْ مطَارِفِهَا السَّحَابُ(٢)

٢٤ ما كان فَضَّضَهُ فَضِيـــــضُ الطلِّ أَذْهَبَهُ الذِّهَابُ(٣)

٢٥ كانَتْ نجُومُ اللَّيْـلِ يكـــــتُمُها مِن النَّقْعِ الغِيابُ(٤)

تخفى وتستر . والقباب : جمع قبة ، وهى فى الأصل ما يكون فوق الرؤساء والسادة من الخيام ، وأراد هنا البيوت ، يقول : إذا تم الصلح صرنا إلى حالة الاستقرار فنصبت الخيام للاقامة فيها . ودخل الناس بيوتهم ، ولم يكونوا على أهبة السير للقتال .

(١) مشرجة ـ بالشين المعجمة ـ مخيطة ، تقول : أشرجت الخريطة ، إذا داخلت بين أجزائها وشددتها . ووقع فى ه « مسرجة » بالسين مهملة ـ وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ب . والعياب : جمع عيبة ، وهى مايجعل فيه الثياب ونحوها . والعياب : نائب فاعل مشرجة ، يريد أن الأدراع توضع فى العياب ثم تشد هذه العياب عليها ، وهذا من الكنايات التى قصد بها الدلالة على حالة الهدوء والاستقرار وترك التوثب والإعداد .

(٢) الربا : جمع ربوة ، وهى المكان المرتفع ، والمطارف : جمع مطرف ، وهو فى الأصل رداء من خز مربع ذو أعلام ، وقد شبه به الأزهار والرياحين التى تنبت فى الرياض والربوات ، ووقع فى ه « ينشى » وأصله ينشىء ـ بالهمز ـ فقلبت الهمزة ياء .

(٣) فضضه : نشره وفرقه . والفضيض : الماء العذب ، والطل : الندى ، أو المطر الضعيف ، والذهاب ـ بكسر الذال ـ جمع ذهبة ـ بكسر الذال وسكون الهاء ، وهى المطر الجود ، قال ذو الرمة يصف روضة :

حَوَّاء قَرْحاء أَشراطية وكَفَتْ فيها الذِّهَابُ وَحَفَّتْها البَرَاعِيمُ

وقال البعيث :

وذِى أُشُرٍ كالأُقْحُوَانِ تَشُوفُهُ ذِهَابُ الصَّبا وَالْمُعْصِرَاتُ الدَّوَالِحُ

(٤) النقع : الغبار ، والغياب : أحد مصادر غاب ، وأراد الاختفاء والاستتار ، ووقع فى ه « العباب » بعين مهملة بعدها باء .

٢٦ فالآن أصحرَ فِي السَّما ءِ البَدْرُ وانكشفَ النِّقابُ (١)

٢٧ وعلَتْ إلى أوكارِها الـ ـعِقبانُ وَانْحطَّ العُقابُ (٢)

٢٨ عُودُوا إلى ذاكَ الغَدِيـ ـرِ وقلَّ ما غدرَ الرِّبابُ (٣)

٢٩ وتغنَّمُوا تلك المُنَا زِلَ وهْيَ آمِنَةٌ رَغابُ (٤)

٣٠ وَتَدَارَكُوا ذَوْدَ المَسَا رِح وَهْيَ بَيْنَكُمُ سِقابُ (٥)

---

(١) أصحر : ظهر وانكشف ، ووقع فى ه « أسفر » والمعنى قريب . والنقاب ـ بكسر النون ـ أصله ما تستر به الجارية وجهها .

(٢) علت : ارتفعت ، والأوكار : جمع وكر ، وهو عش الطائر ، والعقبان : جمع عقاب ، وهو من الكواسر ، وانحط : سفل ، والعقاب ـ بضم العين ، بزنة الغراب ـ حجر ناتىء فى جوف البئر يخرق الدلو ، وصخرة ناتئة فى عرض جبل تتخذ كالمرقاة ، ومسيل الماء إلى الحوض ، والحجر يقوم عليه الساقى ، وكل مرتفع لم يطل جدا ، والمراد على كل حال تشبيه من يشمخ من غير فضل عنده يستوجب ذلك بشىء من هذه الأشياء .

(٣) أصل الغدير القطعة من الماء يغادرها السيل ، وأراد منه الحال التى كانت تجمعهم على خير مايجتمع عليه المتحابون ، والرباب : جمع رب ، وهو فى الأصل الطلاء الخاثر ودبس كل ثمرة وثفل الزيت ، وقد سموا قبائل من قبائل العرب الرباب ، وهم ضبة وثور وعكل وتيم وعدى ، قيل : سموا بذلك لأنهم تجمعوا ، مأخوذ من الترب وهو الاجتماع ، وقيل : سموا بذلك لترابهم : أى تعاهدهم وتحالفهم ، وقيل : سموا بذلك لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه وغمسوا أيديهم فيه ، يريد الشريف أن هؤلاء القوم لا يغدرون ولا يخيسون بما عاهدوا عليه ، ضربهم مثلا .

(٤) رغاب ـ بفتح الراء ـ أى واسعة كثيرة الأخذ للماء ، يقال : أرض رغب ـ بزنة عنق ـ وأرض رغاب ـ بزنة سحاب ـ إذا كانت كذلك .

(٥) الذود : مصدر ذاده يذوده ، إذا ساقه ودفعه ، والمسارح : أراد بها الإبل ، والسقاب : جمع سقب ، وهو ـ بفتح فسكون ـ ولد الناقة ساعة يولد ، وفى المثل « أذل من السقبان بين الحلائب » .

٣١ وكأنَّ أيَّامَ الهَوَى فيكم نَشَاوَى أو طِرابُ

٣٢ مُتَمَنْطِقات بِالْحُلِيِّ وَفِي قَلَائِدِهَا الْمَلَابُ(١)

٣٣ إنِّي على لِينِ النَّقِيـ ـبة لا أعابُ ولا أُحَابُ(٢)

٣٤ ما شُدَّ لِي يَوْمًا على ذلٍّ ولا طَبَعٍ حِقابُ(٣)

٣٥ مَنْ لى بغُرَّةِ صَاحِبٍ لا يَسْتَطِيلُ عليه عابُ(٤)

٣٦ مَا حَارَبَ الأيامَ إلّا كانَ لى وَلَهُ الغِلَابُ(٥)

٣٧ ولكلِّ قولٍ سامِعٌ ولكل دَاعِيَةٍ جَوَابُ(٦)

٣٨ هَيْهَاتَ ! أطْلُبُ ما يَطُو لُ بهِ بَعَادٌ واقْتِرابُ

٣٩ قَلَّ الصِّحَابُ فَإنْ ظَفِرْ تُ بِنِعْمَةٍ كَثُرَ الصِّحَابُ(٧)

٤٠ مَنْ لِي بِهِ سَمْحًا إذَا صَفِرَتْ مِنَ القَوْمِ الوِطَابُ(٨)

---

(١) وقع فى ه « وفى قلائدها الحلاب » محرفا . والملاب ـ بفتح الميم ، بزنة السحاب ـ كل عطر مائع ، وأصله فارسى .

(٢) النقيبة : النفس ، والطبيعة ، ويقال « فلان لين النقيبة » إذا كان سمح النفس سهلا كريم الخلق ، ولا أعاب : لا أنسب إلى العيب ولا أرمى به ، ولا أحاب : لا أنسب إلى الحوب ولا أرمى به ، والحوب ـ بضم الحاء المهملة ـ الإثم والذنب والخطيئة .

(٣) الطبع ـ بفتح الطاء والباء جميعا ـ الدنس والشين والعيب ، ووقع فى ب «على طمع» بالميم مكان الباء . والحقاب ـ بكسر الحاء ، بزنة الكتاب ـ خيط يشد فى حقو الصبى لدفع العين عنه ، يريد أنه نشىء نشئة كريمة ، وأن نفسه جبلت على الخير ومكارم الأخلاق .

(٤) العاب : العيب ، وانظر ٣٧/٤٤ .

(٥) الغلاب ـ بكسر الغين ـ الغلبة والقهر والتفوق على الأعداء .

(٦) وقع فى ه « ولكل قوم سامع » محرفا عما أثبتناه عن ب .

(٧) يريد أن خلان هذا الزمان إنما يكثرون حول ذى الجاه والنعمة .

(٨) صفرت : خلت . والوطاب : جمع وطب ، وهو فى الأصل قعب اللبن . ويقولون :

٤١ غيْرَانَ دُونَ الْجَارِ لا يَطْوى عَزَائِمَهُ الْحِجَابُ

٤٢ يَسْتَعْذِبُ الْمَوْمَاةَ مَنْزِ لَةً وَإِن بَعُدَ الإِيابُ[١]

٤٣ رَقَّتْ حَوَاشِى بَيْتِهِ مِمَّا يُلَاطِمُهَا السَّرَابُ[٢]

٤٤ لا يَسْتَقِلُّ بِرَحْلِهِ إِلَّا الذَّوَائِبُ والْهِضَابُ[٣]

٤٥ تَهْفُو بِكَفَّيْهِ الصَّوَا رِمُ أو تَسِيلُ بِهَا الْكِعَابُ[٤]

٤٦ جَذْلَانَ يَلْتَقِطُ النَّسِيـــــمَ إِذا تَسَاقَطَتِ الثِّيَابُ[٥]

« صفرت وطاب فلان » إذا نفد ما عنده من مال أو زاد .

(١) الموماة ـ بفتح الميم وسكون الواو ـ الصحراء الواسعة . والإياب : الرجوع إلى الأوطان يقول : إن من علامة هذا الصديق أنه يرى مشاق الحياة ومصاعبها سهلة عذبة فلا يجزع ولا يخلد إلى الدعة ، ولا يتألم إن طال به العهد .

(٢) رقت حواشى بيته : هذه كناية عن طيب العيش والرضا به ، يقال : « عيش رقيق الحواشى » والسراب ـ بفتح السين ، بزنة السحاب ـ ما تراه فى وسط الفلوات كأنه ماء وليس بماء

(٣) الرحل : أداة المنزل ، والذوائب : جمع ذؤابة ، وهى من كل شىء أعلاه ، والهضاب : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض ، أو هى الجبل خلق من صخرة واحدة ، وقيل : الطويل المنفرد الممتنع ولا يكون إلا فى حمر الجبال . يريد أن منزله الذى يأوى إليه لا يكون إلا فى شوامخ الجبال وأعالى الهضاب . كنى بذلك عن امتناعه على من أراده بسوء ، أو عن طيب نفسه بشظف العيش وخشونة الحياة .

(٤) تهفو : أراد ترتفع إلى أعلى لتسقط على رقاب الأعداء ، وأصله من قولهم «هفت الريشة فى الهواء » إذا ذهبت وارتفعت . والصوارم : السيوف القاطعة ، والكعاب : جمع كعب ، وهى العقدة من عقد الرمح ، وأراد بها الرماح من باب إطلاق اسم الجزء على كله ، ومعنى تسيل بها الكعاب أن رمحه يكون فى يديه يقطر دما مما أسال من دم الأعداء .

(٥) جذلان : وصف من الجذل ـ بفتح الجيم والذال جميعا ـ وهو الفرح أو أشده .

٤٧ يُنْمَى إِلَيْهِ الشِّيحُ والـ حوْذَانُ وَالإِبِلُ الجِرَابُ(١)

٤٨ وكأَنَّ غُرتَهُ وَرَا ءَ لِثامِ لَيْلَتِهِ شِهابُ(٢)

٤٩ مَنْ لِي بِهِ يا دهْرُ وَالـ أَيَّامُ كالِحَةٌ غِضَابُ(٣)

٥٠ إِنَّ الصَّدِيقَ مُشَيَّعٌ إِنْ جَلَّ خَطْبٌ أو خِطابُ(٤)

٥١ ويَجُودُ عَنْكَ بِنَفْسِهِ والحربُ تَقْرَعُها الْحِرَابُ(٥)

٥٢ وَأَخ حُرِمْتُ الودَّ مِنْـ ـهُ وَبَيْنَنا نَسَبٌ قُرَابُ(٦)

---

(١) ينمى إليه : ينسب إليه و يعزى له . والشيح ـ بكسر الشين ـ نبات كثير الأنواع ، والحوذان ـ بفتح الحاء وسكون الواو ـ نبات سهلى حلو طيب الطعم يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء ، وكلاهما من نبات البادية ، وأراد بأن هذين النباتين يعزيان إليه أنه رجل بدوى فيه أخلاق البادية التى لم تدنس بعيوب الحضارة .

(٢) الغرة ـ بضم الغين وتشديد الراء ـ أعلى الجبهة . والشهاب ـ بكسر الشين ـ القطعة من النار ، يريد أنه مضيء الوجه مشرق الجبين ، والعرب تكنى بصباحة الوجه و إشراقه وضوئه عن الكرم وطيب الخلق .

(٣) كالحة : الوصف من الكلوح ـ بضم الكاف ـ وهو عبوس الوجه أو الإفراط فيه ، وقيل : الكلوح بدو الأسنان عندالعبوس، والغضاب : جمع غضبي أوغضبان . يريد أنالحوادث شديدة والأيام قاسية .

(٤) المشيع ـ بتشديد الياء مفتوحة ـ يحتمل معنيين : الأول أن يكون أراد به الشجاع الجرىء المقدم على الأهوال ، وكأنهم سموا الجرىء المقدام مشيعا لأنه شيع قلبه بما يركب به كل هول أو بقوة . والثانى أن يكون أراد به العجول السريع إلى الشىء ، وجل : عظم ، والخطب ـ بفتح فسكون ـ الشأن . والخطاب ـ بكسر الخاء ، بزنة الكتاب ـ المخاطبة والمحاورة . والمعنى أن الصديق الحق هو الذى يكون عضدك وعونك عند جلائل الأمور وفوادح الخطوب .

(٥) يجود عنك بنفسه : يريد أنه يضحى بنفسه فى سبيلك . والحراب ـ بكسر الحاء ـ جمع حربة ، وهى آلة للحرب من الحديد قصيرة محددة الرأس .

(٦) نسب قراب ـ بضم القاف ، بزنة الغراب ـ القريب الدانى .

٥٣ نازَعْتُه ثَدْيَ الرِّضَا ... عِ وَمَا يَلَذُّ لَهُ الشَّرَابُ(١)

٥٤ يا سَعْدُ أعْظَمُ مِحْنَةً ... مَنْ لَا يُرَوِّعُهُ العِتابُ

٥٥ يَجْنِي على جِيرَانِهِ ... حَتَّى يُعَاقِبَهُ السِّبابُ(٢)

٥٦ حَسْبِي منَ الأيَّامِ أنْ ... أبْقَى وَيُسْعِدَنِي الطِّلَابُ

***

٣٩ – وقال أيضاً ، وهى متشعبة الفنون مختلفة الأغراض [من المتقارب] :

١ دَوَامُ الْهَوَى فِي ضَمَانِ الشَّبابِ ... وَمَا الحبُّ إلَّا زَمَانُ التَّصَابِي(٣)

٢ أحِينَ فَشَا الشَّيْبُ فى شَعْرِهِ ... وكَتَّمَ أوْضَاحَهُ بِالخِضابِ(٤)

٣ تَرُوعِينَ أوْقَاتَهُ بِالصُّدُودِ ... وتَرْمِينَ أيَّامَهُ بالسِّبابِ(٥)

٤ تَخطَّى المشيبُ إلى رَأسِهِ ... وقد كان أعْلَى قِبابِ الشباب(٦)

---

(١) فى ب « وما يلذ لنا الشراب » ، وما أثبتناه موافقا لما فى ه أبلغ فى إثبات المعنى الذى يقصد إليه ، يريد أنه ينفر منه ولا يشركه فى أموره مع وثيق الصله بينهما .

(٢) وقع فى ه « حتى يعاقبه الشباب » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب . يريد أنه لايزال يعتدى على جيرانه ولا يردعه عن ذلك شىء من كرم الخلق وشرف النفس ، فإذا عوقب على جناياته بالسب والإقذاع له كف وارتدع ، وهذا كناية عن دناءة خلقه ولؤم نفسه ، لأن الشريف النفس الطاهر الخيم يؤثر فيه الصفح و يكفه الإغضاء .

(٣) الهوى : العشق . يريد أنه لا وسيلة لدوام العشق ودواعيه إلا أن يضمن الإنسان لنفسه بقاء زمان الفتوة والشباب .

(٤) فشا : شاع وانتشر . وكتم : أخفى ، والأوضاح : جمع وضح ، وأراد به بياض الشيب ، والخضاب – بكسر الخاء ، بزنة الكتاب – أراد به ما يخضب به .

(٥) وقع فى ه « تروعنى أوقاته » ووقع فيها « وترمينى أيامه » وكلاهما تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ب ، ولا يستقيم وزن البيت على ما فى ه .

(٦) الضمير المستتر فى « كان » يعود إلى رأسه . شبه رأسه بأعلى قبة ، وجعل للشباب قبابا تكون رأسه أعلاها ، وكل ذلك على سبيل الاستعارة .

٥ كَذَاكَ الرِّياحُ إذا استلأمت تُقَصِّفُ أعْلَى الغُصُونِ الرِّطابِ (١)

٦ مَشِيبٌ كما استلَّ صدر الحُسَا مِ لم يَرْوَ من لُبْثِهِ فى القُرَابِ (٢)

٧ نَضَى فاسْتَباحَ حِمَى المُلْهِيَاتِ وَرَاعَ الغَوَانى بظُفْرٍ وَنابِ (٣)

٨ وَأَلْوَى بِجِدَّةِ أيَّامِهِ فَأَصْبَحَ مَقْذَى لِعَيْنِ الكَعابِ (٤)

٩ تَسَتَّرَ مِنْهُ مَجَالُ السِّوَارِ إذَا مَا بدا وَمَنَاطُ النِّقَابِ (٥)

---

(١) استلأمت : تحتمل معنيين : أحدهما أن يكون معناه إذا كانت لثيمة جارية على خلاف مايرغب الناس ، من قولهم « استلأم فلان الأصهار » إذا اتخذ أصهاراً لؤماء ، وثانيهما : أن يكون معناه اشتدت وقويت ، من قولهم «استلأم فلان» إذا لبس اللأمة وهى أداة الحرب يتقوى بها . وتقصف ـ بتشديد الصاد ـ تكسر ، يقول : إن الرياح إذا قويت واشتدت حطمت أعالى الغصون ولم تنل من صغار الأشجار والنبات .

(٢) الحسام ـ بضم الحاء ، بزنة الغراب ـ السيف ، واستلاله : إخراجه من غمده ، ولبثه : إقامته ، والقراب : غمد السيف ، يقول : أسرع المشيب إلى رأسه ، كما يستل السيف من قرابه ولم يكن قد اطمأن فيه .

(٣) الملهيات : أراد به دواعى الشباب ونوازع الصبوة ، واستباح حماها : كناية عن أنه أتى عليها و بدد شملها . وراع : أخاف وأفزع ، والغوانى : جمع غانية ، وهى الفتاة التى تغنى بجمالها عن الحلى والزينة ، والظفر والناب : وسيلتا الفتك فى كواسر الطير والوحوش .

(٤) ألوى : ذهب ، تقول « ألوت الحوادث بفلان » تريد أنها ذهبت به وأفنته . والجدة ـ بكسر الجيم وتشديد الدال ـ الجديد ، ومقذى ـ بفتح الميم والذال جميعا ـ مصدر ميمى أو اسم مكان من القذى ـ بفتح القاف مقصورا ـ وهو إصابة العين أو ما يكون فيها من عمص ونحوه ، والكعاب : الجارية التى كعب ثديها ونهد ، وهى بفتح الكاف بزنة سحاب ، ويقال لها كاعب أيضا ، وتجمع الكاعب على كواعب .

(٥) تستر : استتر واختفى ، ومجال السوار : المكان الذى يجول فيه وهو الساعد ، وبدا : ظهر ، والضمير المستتر فيه يعود إلى الشيب ، ومناط النقاب : المكان الذى يناط فيه : أى يعلق ،

١٠ وكانَ إذَا شَرَدَتْ نِيَّةٌ يَرُدُّ رِقابَ الخطُوبِ الغِضابِ (١)

١١ وكنتُ أُرَقْرِقُ ماءَ الوِصَالِ وَبَحْرُ الشَّبيبَةِ طَاغِي العُبَابِ (٢)

١٢ وكأمسِ مُعَوَّدَةٌ بالسَّمَا عِ تَرْكُضُ بَيْنَ القلوبِ الطِّرَابِ

١٣ إذَا نُصِفَتْ فَهْيَ فِي مِئْزَرٍ وَتَبْرُزُ إنْ أُتْرِعَتْ فِي نِقَابِ (٣)

١٤ سَمَائِي مُذَهَّبَةٌ بالبُرُوقِ وَأَرْضِي مُفَضَّضَةٌ بالحَبَابِ (٤)

١٥ وَرَوْضِي مَطَارِفُهُ غَضَّةٌ تُطَرَّزُ أَطْرَافُهَا بالذِّهَابِ (٥)

والمراد به الوجه الصبوح . يريد أن الشيب إذا ظهر لم ترض الغانيات أن تظهر لصاحبه سواعدهن ولا وجوههن فزعا منه ونفورا ، ووقع فى ه « ومناط السحاب » محرفا .

(١) شردت : أراد بعدت ، وأصل معناه نفرت . والنية : الوجه يقصد إليه الإنسان ، يريد أن الشباب كان عونا له على تقحم الأهوال ، وإبعاد القصد فى درك الآمال ، وقهر الحوادث على أن تكون كما يريد ، وإخضاع الخطوب على أن تجىء وفق مايشتهى .

(٢) أصل معنى « أرقرق » أصب صبا رقيقا ، وأراد هنا أنه كان ينال الوصال من الغانيات فى يسر وسهولة . والعباب ـ بضم العين ، بزنة الغراب ـ الموج ، جعل للشباب بحرا ، ثم جعله مصطخب الأمواج متلاطمها ، يريد أن ذلك كان حين كان شبابه فى عنفوانه .

(٣) وقع فى ه « إذا نطقت » وفيها « وتبرز إن أنزعت » وكلاهما تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ب . ومعنى « نصفت » ملئت إلى نصفها ، ومعنى « أترعت » ملئت إلى آخرها .

(٤) مذهبة : أراد أنها كلون الذهب ، ومفضضة : كلون الفضة . والحباب ـ بفتح الحاء ـ فقاقيع الماء .

(٥) المطارف : جمع مطرف ـ بزنة مكرم أو منبر ـ وهو فى الأصل رداء من خز مربع ذو أعلام ، وأراد به النبات على التشبيه . والغض : الطرى ، وتطرز ـ بالبناء للمجهول ـ من قولهم « طرزت الثوب بكذا » إذا جعلت له أعلاما . والذهاب ـ بكسر الذال ـ جمع ذهبة ، بالكسر ، وهى المطرة الضعيفة .

١٦ وليلٍ تَرَى الفجر فى عِطْفِه ... كما شَابَ بَعْضُ جَنَاحِ الْغُرَابِ (١)

١٧ يَغَارُ الظَّلامُ عَلَى شَمْسِه ... إلى أنْ يُوَارِيَهَا بِالْحِجَابِ (٢)

١٨ وتَصْقُلُ أنجُمَه العـــاصفاتُ ... إذا صَدِيَتْ من غُمُودِ السَّحَابِ (٣)

١٩ وبَرْقٍ يُنَفِّضُ أطْرافَهُ ... كما رَمَحَتْ بُلْقُ خَيْلٍ عِرابِ (٤)

٢٠ وماءٍ يُضَارِعُ خَيْطَ السَّقَاءِ ... ويُرْمَى به فى وُجُوهِ الشِّعَابِ (٥)

٢١ تُزَعْزِعُ رِيحُ الصَّبَا مَتْنَهُ ... كما لَطَمَ المَزْجُ خَدَّ الشَّرَابِ (٦)

٢٢ وَذَوْدٍ يُغَادِرُ صَدْرَ الصَّعِيـــــدِ منْ حلَّةِ العُشْبِ عارِى الإهَابِ (٧)

---

(١) عطفه ـ بكسر العين وسكون الطاء ـ جانبه ، وأراد ناحية منه ، شبه الليل بالغراب الأسود كله، ثم جعل الفجر حين يبدو كأنه شيب ظهر فى بعض جناح هذا الغراب .

(٢) جعل الظلام كأنه ولى غانية يغار عليها فيسترها ، وهذا معنى بديع ، و إضافة الشمس إلى ضمير الظلام لأدنى ملابسة .

(٣) تصقل : تجلو ، وتذهب عنها الصدأ ، والعاصفات : جمع عاصفة وهى الريح الشديدة ، والغمود : جمع غمد ، وأصله قراب السيف ، يريد أن الرياح الشديدة تثور فينقشع السحاب عن وجه الأفق فتبدو النجوم لامعة مضيئة ، كأنما قد كان السحاب صدأ يعلوها فجلتها الريح .

(٤) بلق ـ بضم فسكون ـ جمع أبلق ، وهو الفرس الذى ارتفع تحجيله إلى أن بلغ فخذيه، والتحجيل : بياض فى قوائم الفرس.

(٥) يضارع : يشابه ، والسقاء ـ بكسر السين بزنة الكتاب ـ القربة ، وخيطها : أراد به الماء الذى ينفر منها كأنه الخيط ، وتشبيه الماء الذى يصفه بخيط السقاء يحتمل أن يكون المراد منه قلته وأن يكون المراد به صفاءه . والشعاب : جمع شعب ـ بكسر فسكون ـ وهو مسيل الماء فى بطن الأرض .

(٦) تزعزع : تحرك بشدة ، ومتنه : ظهره ، وأراد منه سطحه الأعلى ، والمزج : خلط الخمر بالماء ، والشراب : أراد به هنا الخمر .

(٧) الذود : جماعة الإبل من ثلاثة إلى عشرة ، والصعيد : وجه الأرض ، و يغادره : يفارقه

٢٣ فما تَطْلُبُ البِيدُ مِنْ سَاهِمٍ ... يُثِيرُ عليها رِقَابَ الرِّكَابِ (١)

٢٤ يُسَاعِدُهَا فى احْتِمَالِ الصَّدَى ... ويَشْرَكُهَا فى وُرُودِ السَّرَابِ (٢)

٢٥ يُذَكِّرُهُ أَخْذَ أَوْتَارِهِ ... صَهِيلُ السَّوَابِقِ حَوْلَ الْقِبَابِ (٣)

٢٦ دُفِعْنَ بِخَضْخَضَةٍ لِلْمَزَادِ ... نَجَاءً وخَشْخَشَةٍ لِلْعِيَابِ (٤)

٢٧ لَبَلَّ أَنَابِيبَهُ بِالطِّعَانِ ... وأَنْحَلَ أَسْيَافَهُ بِالضِّرَابِ (٥)

٢٨ يَبِيتُ وثَوْبُ الدُّجَى شَاحِبٌ ... طَمُوحَ الْمَعَالِمِ سَامِى الشِّهَابِ

ويتركه . ووقع فى ب « وجه الصعيد » . والإهاب ـ بكسر الهمزة ـ الجلد ، وأراد أنه يفارق الأرض المكسوة بالعشب بغير أداة .

(١) البيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء ، سميت بذلك لأن الغالب أن من يسلكها يبيد فيها : أى يهلك . والساهم : المهزول ، وأراد به شخصه .

(٢) الصدى ـ بفتح الصاد مقصوراً ـ العطش ، والسراب ـ بفتح السين ـ ماتراه فى الصحراء كأنه الماء وليس بماء .

(٣) الأوتار : جمع وتر ، وهو الثأر ، وذلك أن يقتل القتيل ولم يؤخذ له بدمه من قاتله ، والسوابق : الخيل ، واحدها سابق ، وصهيلها : صوتها ، والقباب ـ بكسر القاف ـ جمع قبة ، وقد جرت العادة ألا تكون القبة إلا فوق شريف أو رئيس أو أمير .

(٤) الخضخضة : الحركة ، والمزاد : جمع مزادة ، وهى الراوية : أى القربة يكون فيها الماء ، والنجاء ـ بفتح النون ـ السرعة . والخشخشة : صوت كل شىء يابس إذا احتك بعضه ببعض ، تقول « سمعت خشخشة السلاح » . والعياب : جمع عيبة ، وهى مايجعل المسافر ثيابه ونحوها فيه . يقول : إن هذه الإبل تندفع فى سيرها اندفاعا سريعاً بسبب حركة المزاد التى تحملها ، وبسبب الأصوات التى تحدثها العياب .

(٥) الأنابيب : جمع أنبوب ، وهى مابين الكعبين من الرمح ، وأراد بها الرماح من باب إطلاق اسم الجزء وإرادة كله ، وأنحل : هزل ، يريد أنه سيملأ الرماح من دماء الأقران ، ويصيب سيوفه بالنحول والهزال بمقارعة الأبطال ومنازلة الفرسان .

٢٩ وَمَا كُنْتُ أَجْرِى إلى غايةٍ فأسْأَلَهَا أَيْنَ وَجْهُ الإيَابِ(١)

٣٠ إذَا اسْتَنْهَضَتْ هِمَمِى عَزْمَةٌ عَصَفْتُ بأيْدِى المَطِىِّ الْعِرَابِ(٢)

٣١ تَحَرَّيْتُ أعْجَازَهَا بالسِّيَاطِ فَخَاضَتْ صُدُورَ الأمُورِ الصِّعَابِ(٣)

٣٢ فكم قَائِفٍ قَدْ هَدَتْ لَحْظَه بُدُورُ مَنَاسِمِهَا فى التُّرَابِ(٤)

٣٣ إذا مَاتَ فى وَخْدِهِنَّ الْمَدَى لَطَمْنَ خُدُودَ الرُّبَى وَالرِّحَابِ(٥)

---

(١) الإياب : الرجوع والعودة إلى الأوطان ، يقول : إنه لم يسر فى طريقه ـ حين سار ـ إلى غاية معينة فهو يرجع إلى وطنه عند انقضائها، ولكنه سار يطلب الوصول إلى قمم المجد، وما من مسعاة يصلها ويدركها إلا بعدها للنفس الطموحة مسعاة أخرى فهى تعمل على إدراكها .

(٢) استنهضت : طلبت النهوض ورغبت فيه ، والهمم : جمع همة ، والعزمة ـ بفتح فسكون ـ قصد الشىء مع التصميم على بلوغه ، يريد أنه إذا اعتزم بلوغ أمر من الأمور جد فيه وأخذ أهبته له وركب أعجاز المطى حتى يبلغه .

(٣) تحريت : قصدت وتعمدت ، ووقع فى ه « تحديت » ولها وجه لابأس به . والأعجاز : جمع عجز وهو مؤخر الراحلة هنا . والسياط : جمع سوط ، وهو مايضرب به . وهذا معنى معترض ، فقد كان من حقه أن يجعل رواحله تسير السير الحثيث من غير أن يدفعها عليه بالضرب .

(٤) القائف : اسم الفاعل من « قاف الأثر يقوفه قوفا » بوزن صام يصوم صوما ـ إذا تتبع ذلك الأثر ، والقيافة من علوم العرب، كانوا يرون الآثار فيعرفون أصحابها ، وكانوا يتتبعون الآثار ليعرفوا أين انتهى صاحبها . والمناسم : جمع منسم ـ بزنة مجلس ـ وهو خف البعير ، وقيل : المنسم للناقة بمنزلة الظفر للانسان، أراد أن رواحله كثيرة السير فى الفلوات وأن آثارها معروفة مشهورة للقافة ، وأن القافة قد تعودوا أن يتتبعوا آثار رواحله للاهتداء بها فى مسيرهم إلى مقاصدهم .

(٥) مات المدى : انتهت الغاية وانقضت ، والوخد : ضرب من السير السريع ، والربى : جمع ربوة ، وهى ماارتفع من الأرض ، والرحاب : جمع رحبة ، وهى فى الأصل الأرض الواسعة المنبات المحلال ، يريد أنها دائمة السير لاتمله ولا تقطعه

٣٤ فِدَاؤُكَ نَفْسِيَ يَا مَنْ لَهُ ... مِنَ الْقَلْبِ رَبْعٌ مَنِيعُ الْجَنَابِ (١)

٣٥ فَلَوْلَاكَ مَا عَاقَ قَلْبِي الْهَوَى ... وَعَزَّ عَلَى كل شَوْقٍ طِلَابِي (٢)

٣٦ إِذَا ما صَدَدْتَ دَعَانِي الْجَوَى ... فَمِلْتُ إِلَى خُدُعَاتِ الْعِتَابِ (٣)

٣٧ فَيَا جُنَّتِي إِنْ رَمَانِي الزَّمَانُ ... وَيَا صَاحِبِي إِنْ جَفَانِي صِحَابِي (٤)

٣٨ دَفَعْتُ بِكَفِّي زِمَامِي إِلَيْكَ ... وَقَدْ كُنْتُ أُبْطِي عَلَى مَنْ حَدَانِي (٥)

٣٩ فَلَا تَحْسَبَنِّي ذَلِيلَ الْقِيَادِ ... فَإِنِّي أَبِيٌّ عَلَى كلِّ آبِ (٦)

٤٠ وَسَاعٍ إِلَى الودِّ شَبَّهْتُهُ ... وَيَرْتَعُ مَعْ أَهْلِهِ فِي جَنَابِ (٧)

---

(١) أصل الربع المنزل ، ومنيع الجناب : حصين لايحله أحد ، يريد أن له فى قلبه مكانا لا يرتقى إليه سواه ولا يبلغه غيره .

(٢) عاق : منع . وعز : شق وصعب ، أو قهر وغلب ، يريد لولا اشتغال قلبى بك لما منعه الهوى عن ودادة من يريد .

(٣) فى ه « إذا ماصدرت » محرفا ، وفيها « فملت إلى خدعات الجناب » محرفا . والجوى : حرقة القلب من عشق ونحوه ، وفى ب « دعانى الهوى » وما أثبتناه موافقا لما فى ه أدق . والخدعات : جمع خدعة ـ بضم الخاء وسكون الدال ـ وهى مايخدع به ، والعتاب : اللوم ، يريد أنه إذا جفاه وصد عنه احترق قلبه ولذعه ذلك الصدود فلم يجد مخلصا إلا أن يعاتبه ويلومه .

(٤) الجنة ـ بضم الجيم ـ هى الوقاية والحفظ ، يريد أنه الذى يقف حائلا دون أن يصيبه الزمان ببعض حوادثه وطوارقه .

(٥) وقع فى ه « رفعت بكفى زمانى إليك » محرفا فى موضعين عما أثبتناه موافقا لما فى ب . وأصل الزمام ماتقاد به الدابة ، يريد إنى قد أسلمت مقادتى إليك طوعا . وأبطى : أصله أبطىء بالهمزة ، فقلب الهمزة ياء لانكسار ماقبلها ، وحدا بى : أصل معناه الحرفى غنى لى ليسهل سيرى كما يحدى للابل لتقوى على السير ، يقول : ماكان أحد يستطيع أن يملك زمامى .

(٦) ذليل القياد : هو هنا بمعنى سهل القياد مذلله هينه ، وأبى : ممتنع ، وآب : اسم فاعل من مادته ، وهو بمعناه .

(٧) وقع فى ه « وساع على الود » وما أثبتناه موافقا لما فى ب أدق ، وشبهته : لبست عليه

٤١ يُؤَمِّنُ سَطْوَةَ لَيْثِ العَرِينِ وَمَضْجَعُهُ بَيْنَ غِيلٍ وَغَابِ (١)

٤٢ حَمَتْهُ مَذَلَّتُهُ سَطْوَتِي وَكَيْفَ يَنَالُ ذُبَاباً ذُبَابِي (٢)

٤٣ ومُلْتَثِمٍ قال لي لَثْمُهُ عَذَابُ الْهَوَى فِي الثَّنَايَا العِذَابِ (٣)

الأمر وخلطت عليه وجوهه فلم يتبين له الوجه الذى ينبغى أن يأخذ به، وأصله «شبهت عليه» أو «شبهت له» فحذف حرف الجر ثم أوصل الفعل إلى ما كان مجرور المحل، ونظيره واقع فى كلام العرب الذين يحتج بهم، ويرتع : معناه هنا ينعم، وأصله قولهم «رتعت الماشية فى المكان» من باب قطع، ورتوعا ورتاعا - إذا أكلت وشربت ماشاءت فى خصب وسعة، والجناب : الناحية هنا، وأصله الفناء وما قرب من محلة القوم. وتقول «مر القوم يسيرون فى جنابى فلان» أى يسيرون فى ناحيته من عن يمين وشمال.

(١) السطوة : الصولة والقهر والبطش. والليث : السبع، والعرين - بفتح العين - مأوى الآساد، والغيل - بكسر الغين - الأجمة، والغاب : جمع غابة، وهى بمعنى الأجمة أيضا.

(٢) حمته : وقته، والمذلة : الذل والهوان والضعة، وسطوتى : قهرى إياه وبطشى به، والذباب الأول الحشرة القذرة المعروفة، والذباب الثانى : ذباب السيف، وهو طرفه الذى يضرب به، وقد أخذ هذا المعنى من قول إبراهيم بن العباس الصولى :

نَجَا بِكَ عِرْضُكَ مَنْجَى الذُّبَاب حَمَتْهُ مَقَاذِرُهُ أَنْ يُنَالَا

وقد سبقه إلى هذا المعنى هشام المعروف بالجلو فقال يهجو بشار بن برد :

بِذِلَّةِ وَالِدَيْكَ كَسَبْتَ عِزًّا وباللُّؤْمِ اجْتَرَأْتَ عَلَى الجَوَاب

وتبعهما فى ذلك أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فقال :

أَمَّا الهِجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ والمدحُ فيكَ، كما علمتَ، جَلِيلُ

فاذْهَبْ فأنْتَ طليقُ عرضِكَ إنَّهُ عرضٌ عَزَزْتَ بِهِ وأنتَ ذَلِيلُ

ويقال «فلان بمنجى الذباب» يراد أن عليه واقية من لؤمه وخسته ودناءة أصله وضعة عنصره فلا يتعرض له متعرض احتقارا وامتهانا له.

(٣) وقع فى هـ «ومتثلم» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب، والملتثم : لابس اللثام، وهو

٤٤ نُعَاقِرُ بالضَّمِّ كأسَ العِنَاقِ ... ونَسْفِكُ باللثمِ خَمْرَ الرُّضَابِ (١)

٤٥ عِنَاقٌ كما ارْتَجَّ مَاءُ الغَدِيرِ ... ولَثْمٌ كما استَنَّ ولْغُ الذِّئَابِ (٢)

٤٦ غَدَوْنا عَلَى صَهَوَاتِ الخُطُوبِ ... جَوَادَيْ رِهَانٍ وَسَيْفَيْ قُرَابِ (٣)

٤٧ صَقِيلَيْنِ تَسْتَلُّنا النَّائِباتُ ... فَتَثْلُمُ فِيهِنَّ وَالدَّهْرُ نَابِ (٤)

٤٨ وغُصْنَيْنِ يَلْعَبُ فينا النَّسِيمُ ... وتَنْطِفُ عَنَّا نِطافُ الرَّبَابِ (٥)

٤٩ ونَجْمَيْنِ يَقْصُرُ عَنْ نَيْلِنا ... مِنَ الطَّالِعَاتِ الذُّرَى والرَّوَابِي (٦)

ما كان على الفم من النقاب أو هو ماتغطى به الشفة من ثوب . ولثمه : تقبيله . وعذاب الهوى : شقاؤه وتعذيبه وما فيه من آلام ، والثنايا : جمع ثنية ، وهى أربع أسنان فى مقدم الفم اثنتان من أعلى واثنتان من أسفل ، والعذاب ـ بكسر العين ـ العذبة الريق .

(١) وقع فى ه «نعانق» وهو تحريف ما أثبتناه عن ب ، وتقول « فلان يعاقر الخمر » أى يشربها ويدمن شربها ، وتقول « سفك فلان الدم » إذا أساله وصبه ، والرضاب ـ بضم الراء ، بزنة الغراب ـ ماء الفم .

(٢) تقول « ارتج البحر ، ونحوه » اذا اضطرب واشتدت حركته ، وأراد بقوله « ولثم كما استن ولغ الذئاب » أنه يذهب به كل مذهب .

(٣) الصهوات : جمع صهوة ، وهى مقعد الفارس من الفرس ، ويقال « فلان وفلان فرسا رهان » يراد أنهما متشابهان فى كل شىء لايفضل أحدهما الآخر .

(٤) صقيلين : مصقولين مجلوين ، وتستلنا : تنزعنا من أماكننا كما ينزع البطل سيفه من قرابه ، وتثلم فيهن : من قولهم « ثلم الإناء » إذا كسره من حافته ، وفى ه « والبدر ناب » محرفا.

(٥) تقول « نطف الماء ينطف » من بابى جلس وقعد ـ إذا سال قليلا قليلا ، والنطاف ـ بكسر النون ـ جمع نطفة ، بالضم ـ وهى الماء الصافى قل أو كثر ، والرباب ـ بفتح الراء بزنة السحاب ـ وهو السحاب الأبيض ، شبه نفسه وصديقه بغصنين ناضرين يحركهما النسيم العليل ويسقيهما الندى فتتقاطر عنهما الأمواه ، وأراد أنهما كانا فى متعة من الحياة ونضارة العيش .

(٦) يقصر عن نيلنا : لايصل إلينا ولا يبلغ شأونا . والذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى الشىء ،

٥٠ وَكُنَّا إذا مسَّنَا حادِثٌ نقلِّمُ بالصَّبْرِ ظُفْرَ المُصَابِ(١)

٥١ إليكَ تخطَّتْ فُروجُ القُلُوب بِكَرٍّ مِنَ الآنساتِ العِرَابِ

٥٢ أشَبِّبُ فيها بِذِكْرِ المَشِيبِ وَمَا اسْتَيْأَسَتْ لِمتَّى مِنْ شَبَابِي(٢)

***

٤٠ — وقال أيضاً [يفتخر] [من الوافر] :

١ أغَدْراً يا زَمَانُ ويا شَبَابُ ؟ أُصَابُ بِذَا؟ لَقَدْ عَظُمَ المُصَابُ(٣)

٢ وَمَا جَزَعِي لِأَنْ غَرُبَ التَّصَابِي وَحَلَّقَ عَنْ مَفارِقِيَ الغُرَابُ(٤)

والروابى : جمع رابية ، وهى فى الأصل مارتفع من الأرض ، وقد تطلق على الشريف والسيد العظيم ، وقد قالوا « فلان فى رباوة قومه » أى أنه معدود فى سادتهم وأشرافهم ، وأراد أنه وصديقه كانا من سمو المنزلة ورفعة القدر فى مكان لايبلغه سادة الناس وكبراؤهم ، فضلا عن عامتهم وتابعيهم .

(١) الظفر : وسيلة الفتك فى الوحوش والضوارى ، وتقليمه : كناية عن إضعاف قوة الفتك فى صاحبه ، وانظر إلى قول زهير بن أبى سلمى المزنى يصف بالشجاعة وقوة البطش :

لَدَى أسَدٍ شاكِى السِّلَاحِ مُقَذَّفٍ لَهُ لِبَدٌ أظْفارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ

يريد الشريف أنهما كانا إذا نزل بهما حادث من حوادث الدهر تمكنا من الغلبة عليه ولم يدعا له من القوة والبطش ما ينال منهما به.

(٢) استيأست : قنطت ، واللمة — بكسر اللام وتشديد الميم — الشعر يجاور المنكبين ويقرب منهما .

(٣) الغدر — بفتح فسكون — الخيانة ونقض العهد ، جعل تحول الدهر عنه وذهاب الشباب بمباهجه غدرا ، ووقع فى ه « أصاب يد » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب . استفهم مو بخا ، ثم استفهم منكراً بقوله « أصاب بذا » ، ثم أخبر أن المصاب بغدر الزمان والشباب عظيم جليل .

(٤) الجزع : إظهار الحزن والألم ، وغرب : بعد ، ووقع فى ه « عرب » محرفا ، والمفارق : جمع مفرق — بزنة مجلس أو مقعد — وهو وسط الرأس حيث يفرق الشعر ، والغراب : أراد به

٣ فَقَبْلَ الشيبِ أسْلَفْتُ الْغَوَانى ... قِلًى، وَأمَالنِى عَنْها اجْتِنَابُ(١)

٤ عَفَفْتُ عَنِ الْحِسَانِ فَلَمْ يَرُعْنِى الـ ... ـمَشيبُ وَلَمْ يُنَزِّقْنِى الشَّبَابُ(٢)

٥ تُجَاذِبُنِى يَدُ الأيامِ نَفْسى ... وَيُوشِكُ أنْ يكُونَ لَها الْغَلَابُ(٣)

٦ وَتَغْدِرُ بى الأقارِبُ وَالأدَانى ... فلا عَجَبٌ إذَا غَدَرَ الصِّحَابُ(٤)

٧ نَهَضْتُ وَقَدْ قَعَدْنَ بِىَ اللَّيالِى ... فلا خَيْلٌ أعَنَّ وَلَا رِكَابُ(٥)

الشعر الأسود ، ولما عبر عن شعره الأسود الذاهب بالغراب جعله محلقا : أى طائراً . يقول : إن مأظهره من الحزن والألم ليس ناشئا عن حرمانى التصابى ولا عن حلول الشيب بمفارقى .

(١) أسلفت : أصل معناه أقرضت ، والغوانى : جمع غانية ، وهى المرأة التى غنيت بجمالها عن الحلى والزينة ، والقلى ـ بكسر القاف ـ البغض والكراهية . يقول : قبل أن يحل الشيب برأسى كنت قد عاملت الغوانى معاملة الكاره لهن المزور عنهن .

(٢) تقول « عف الرجل يعف ـ من باب ضرب ـ عفا وعفافا وعفافة ، وعفة » إذا كف عما لايحل له ولا يجمل به من قول أو فعل ، ولم يرعنى : لم يخفنى ولم يزعجنى ، وتقول « نزق الرجل ينزق نزقا » من باب فرح ، وجاء من باب ضرب ـ إذا طاش وخف ، أو هو خاص بما يكون من ذلك عند الغضب ، وتقول « نزقته » بتشديد الزاى ـ إذا صنعت به مايخف منه ويطيش ، يقول : إن حاله فى مشيبه وصباه تجرى بالنظر إلى الغوانى على منهج واحد ، فهو لم يكن فى إبان صباه طائشا ولا استخفه الجمال ، ولهذا لم يجزع حين نزل به الشيب لأنه لايضيع عليه شيئا .

(٣) الغلاب ـ بكسر الغين ـ الغلبة والقهر ، يقول : إن الأيام تغالبه وإنه يظن أنها ستغلبه وتنال منه قريباً .

(٤) وقع فى ه « وتغدرنى » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب ، يقول : إن أقاربى وذوى النسب الدانى يغدرون بى ، فهل يلام الأصحاب إذا غدروا بى مع أن صلتهم أقل من صلة ذوى القربى ؟ .

(٥) وقع فى ه « فلا خيل أعز ولا ركاب » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب ، ومعنى

٨ وَمَا ذَنْبِي إِذَا اتَّفَقَتْ خُطُوبٌ مُغَالِبَةٌ وَأَيَّامٌ غِضَابُ(١)

٩ وآمُلُ أَنْ تَقِيَ الأَيَّامُ نَفْسِي وَفِي جَنْبِي لَهَا ظُفُرٌ وَنَابُ

١٠ فَمَالِي والمَقَامُ عَلَى رِجَالٍ دَعَتْ بِهِمُ المَطَامِعُ فاسْتَجَابُوا(٢)

١١ ولم أَرَ كالرَّجَاءِ اليَوْمَ شَيْئًا تَذِلُّ له الجَمَاجِمُ وَالرِّقَابُ(٣)

« نهضت » قمت بما أردت ، وفى قوله « قعدن بى الليالى » وصل الفعل المسند إلى اسم ظاهر بعلامة الجمع، وهو لغة من لغات العرب غير المشهورة الجارية فى الاستعمال الشائع ، ولذلك نظائر فى كلام العرب المحتج بكلامهم ، وقد سبقت الإشارة إلى مثل ذلك ، فارجع إلى شرح ٢٨/٣٥ ، و « أعن » فعل ماض من الإعانة مسند للنون .

(١) الخطوب : جمع خطب ، وأراد به الرزء الفادح . يقول : إذا أنا قهرت وغلبت فلا ذنب لى، لأننى قد بذلت كل مايمكن أن يبذله مثلى من طالبى المجد ، ولكن الأرزاء الفادحة قد اتفقت مع الأيام الغضب ، ومن غالب مثل هذين الخصمين غلب .

(٢) سقط هذا البيت من ه . يقول : أنا لاأبقى على مودة قوم شانهم الطمع، وأفسد نفوسهم الجشع والرغبة فى المطامع الدنية ، وقادهم ذلك إلى ماتأباه النفوس الكريمة فلم يتلبثوا ، بل كانوا سريعى الاستجابة .

(٣) الجماجم : جمع جمجمة ، وأراد بها الرأس ، والرأس والعنق مظهر العزة أو الخضوع ، ولذا تراهم يقولون « رفع فلان رأسه » و « فلان مرفوع الرأس » إذا أرادوا أن يعبروا عن عزته وكبريائه ، ويقولون « خفض فلان رأسه » و « فلان مخفوض الرأس » إذا أرادوا التعبير عن ذلته وهوانه ، وفى أمثالهم « أذل الحرص أعناق الرجال » يقول : إنه ليس فى الدنيا شىء يذل الرجال ويورثهم الضعة والهوان مثل حرصهم وطمعهم ، وقد أخذ هذا المعنى من قول أبى العتاهية :

تَعَالَى اللهُ يَاسَلْمَ بْنَ عَمْرٍو أَذَلَّ الحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ
هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى الزَّوَالِ
خَبَرْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرَ غَيرَ خَتَّالٍ وَقَالِ
وذُقْتُ مَرَارَةَ الأَشْيَاءِ طُرًّا فَمَا طَعْمٌ أَمَرَّ مِنَ السُّؤَالِ

١٢ وَكانَ الْغَبْنُ لَوْ ذَلُّوا وَنالُوا فَكَيْفَ إِذاً وَقَدْ ذَلُّوا وَخَابُوا(١)

١٣ يُرِيدُونَ الغِنَى وَالْفَقْرُ خَيْرٌ إِذَا ما الذلُّ أَعْقَبَهُ الطِّلَابُ

١٤ وَبَعْضُ الْعُدْمِ مَأْثُرَةٌ وَفَخْرٌ وَبَعْضُ الْمالِ مَنْقَصَةٌ وَعَابُ(٢)

١٥ بَنانى وَالْعِنَانُ إِذَا نَبَتْ بى رُبَى أَرْضٍ وَرَحْلى وَالرِّكابُ(٣)

١٦ وَسَابِغَةٍ كأَنَّ السَّرْدَ فِيها زُلَالُ الْماءِ لَمَّعَهُ الْحَبَابُ(٤)

---

(١) وقع فى ه « وكان الغبن لو زلوا ومالوا » محرفا فى موضعين عما أثبتناه موافقا لما فى ب . والغبن ـ بفتح الغين ، وسكون الباء هنا ، وقد تفتح الباء ـ الخديعة والغلب ، والأصل فيه قولهم « غبن فلان فلانا فى البيع » إذا خدعه وغلبه وشرى منه بأنقص من الثمن أو باعه بأزيد منه ، وذلوا : خضعوا وهانوا ، ونالوا : أخذوا ما يطمعون فيه ، وخابوا : خسرت صفقتهم ولم يأخذوا شيئا مما أملوه . يقول : لو أن هؤلاء الطامعين قد باعوا كرامتهم وأذلوا نفوسهم وامتهنوها ثم أخذوا ما كانوا يؤملون لكانت صفقتهم خاسرة ، وكانوا مخدوعين مغلوبين ؛ لأن العزة وكبرياء النفس لا يساويهما شىء مهما عظم ، فكيف وحالهم أسوأ من ذلك ؛ لأنهم باعوا ما باعوا ولم يأخذوا من الثمن الذى طمعوا فيه شيئا ، إنهم إذا لأشد خسرانا وغبنا .

(٢) العدم ـ بضم فسكون ـ الفقر ، والعاب : العيب . يقول : بعض الفقر مما يفاخر به الإنسان لأنه ليس معه ذل ولا اهتضام ، و بعض الغنى مما يورث الإنسان الذم والعيب ، لأنه لم يصل إليه إلا من طريق الامتهان والمذلة والعار .

(٣) البنان : الإصبع ، وأراد يده ، والعنان ـ بكسر العين ـ ما تقاد به الدابة ، و « نبا بفلان المكان » إذا لم يصلح لإقامته فيه ، والربى : جمع ربوة ، وهى فى الأصل ما ارتفع من الأرض ، والرحل : الأداة التى يركب عليها . ووقع فى ه « ورجلى والركاب » ولها معنى لا بأس به يقول : إذا وجدت أرض قومى لا توافقنى ولا تطيب لى الإقامة فيها لم أتلبث وأسرعت إلى جوادى فأسرجته وتحولت إلى أرض أخرى تطيب الإقامة فيها .

(٤) السابغة : الدرع التامة الضافية الطويلة ، والسرد : نسج الدرع ، وفى التنزيل الكريم (أن اعمل سابغات وقدر فى السرد) والحباب ـ بفتح الحاء المهملة ـ الفقاقيع التى تطفو فوق الماء ووقع فى ه « لامعه الحباب » .

١٧ مِنَ اللاتى يُماطُ الْعَيْبُ عَنْهَا إِذَا نُثِلَتْ لَدَى الرَّوْعِ الْعِيَابُ (١)

١٨ إِذَا ادُّرِعَتْ تَجَنَّبَتِ الْمَوَاضِى مَعَاجِمَهَا وقَهْقَهَتِ الْكِعَابُ (٢)

١٩ وَمُشْرِفَةِ الْقَذَالِ تمر رَهْوًا كما عَسَلَتْ عَلَى القاعِ الذئابُ (٣)

٢٠ مُجَلِّيَةٍ تَشُقُّ لها يَدَاهَا كما جَلَّى لِغَايَتِهِ الْعُقَابُ (٤)

٢١ وَمَرْقَبَةٍ رَبَأْتُ عَلَى ذُرَاهَا وَلِلَّيْلِ انْجِفَالٌ وَانْجِيَابُ (٥)

٢٢ بِقُرْبِ النَّجْمِ عَالِيَةِ الْهَوَادِى يَبِيتُ عَلَى مَنَاكِبِهَا السَّحَابُ (٦)

---

(١) يماط : ينحى ويبعد ، ونثلت : نثرت ، والعياب : جمع عيبة ، وهى ما يجعل المسافر فيها ثيابه ومتاعه ، وهذا البيت من تتمة وصف الدرع . يقول : إن هذه الدرع من الدروع اللاتى لايوجد فيها عيب يوم الفزع والخوف عند ما تنثر العياب لاستخراج ما فيها .

(٢) ادرعت : لبست ، والمواضى : جمع ماض ، وأراد به السيف ، يقول : إذا لبست هذه الدرع لم تستطع السيوف أن تنال منها ولا الرماح أن تخترقها ، ووقع فى ه « مجامعها وقهقرة الكعاب » محرفا فى موضعين .

(٣) المشرفة : المرتفعة العالية ، والقذال ـ بفتح القاف ـ جماع مؤخر الرأس ومعقد العذار خلف الناصية ، وأراد بمشرفة القذال فرسا ، والرهو ـ بفتح الراء وسكون الهاء ـ السير السهل اللين ، وعسل : اضطرب ، شبه سير هذه الفرس بعسلان الذئب فى مشيه .

(٤) المجلى : الفرس الذى يأتى أولا فى حلبة الرهان ، فإذا أتى ثانيا فهو المصلى . والعقاب ـ بضم العين ـ طائر من الجوارح يعده العرب سيد الطيور ، وفى ب « تشق بها يداها » .

(٥) مرقبة ـ بفتح الميم والقاف بينهما راء ساكنة ـ الموضع العالى تشرف منه على الهضاب والمنخفضات ، وربأت : أصله بمعنى ارتفعت وأشرفت ، ويراد منه معنى راقبت ، وذراها ـ بضم الذال ـ جمع ذروة ، وهى أعلى الشىء ، وانجفال : ذهاب ، وانجياب : انكشاف ، يريد أنه صعد فوق هذه المرقبة ليراقب العدو حينما بدأ الليل يتكشف ويذهب ، أى فى وقت ذرور النور ، ووقع فى ه « ذرأت على ذراها » .

(٦) بقرب النجم : أراد أن هذه المرقبة عالية شديدة العلو ، وهذا أيضا هو المراد من قوله

٢٣ إلى أن لَوَّحَ الصُّبْحُ انْفِتاقاً ... كما جَلَّى عَنِ الْعَضْبِ الْقُرَابُ(١)

٢٤ وَقَدْ عَرَفَتْ تَوَقُّلِيَ الْمَعَالِي ... كما عَرَفَتْ تَوَقُّلِيَ الْعِقابُ(٢)

٢٥ وَنَقْبٍ ثَنِيَّةٍ سَدَّدْتُ فِيهَا ... أَصَمَّ كأنَّ لَهْذَمَهُ شِهَابُ(٣)

٢٦ لأَمْنَعَ جانِبًا وأُفِيدَ عِزًّا ... وَعِزُّ المرءِ مَا عَزَّ الْجَنَابُ(٤)

٢٧ إذَا هَوْلٌ دَعَاكَ فَلَا تَهَبْهُ ... فَلَمْ يَبْقَ الَّذِينَ أَبَوْا وَهَابُوا(٥)

« يبيت على مناكبها السحاب » والهوادى : جمع هادية ، وهى العنق ، وجعل للمرقبة أعناقا ومناكب ، مجازا .

(١) لوّح : أشار ، وانفتاق الصبح : انشقاق الظلماء عنه ، والعضب : السيف القاطع ، والقراب : جفن السيف ، شبه انشقاق الظلماء عن نور الصبح بخروج السيف من جرابه .

(٢) التوقل : الصعود ، تقول « وقل فلان فى الجبل يقل ـ مثل وعد يعد ـ وقلا » إذا صعد ، وتقول « توقل فلان فى الجبل توقلا » إذا صعد أيضا . ويقال على المجاز « توقل فلان فى مصاعد الشرف » والعقاب ـ بكسر العين ـ جمع عقبة ، وهى المرتقى الصعب فى الجبل ونحوه، وتجمع على عقبات أيضا . يقول : المجد يعلم أنى أهله، وأنى أنا الذى أركب المخاطر فى سبيله، والعقبات تعلم أنى الذى أرتقيها .

(٣) النقب ـ بفتح النون وسكون القاف ـ الطريق فى الجبل ، ويجمع على نقاب وأنقاب ، والثنية ـ بفتح الثاء ـ طريق العقبة ، وسددت : صوبت . وأراد بالأصم الرمح . واللهذم ـ بوزن جعفر ـ الحاد القاطع من السيوف والأسنة ، ووقع فى ب « كان لهزمه » ووقع فى ه « كأن لهدته » وكلاهما تحريف ما أثبتناه .

(٤) أمنع جانبا : أحميه من الاعتداء عليه ، قالوا « فلان يحمى الذمار » و « يمنع الجانب» وقالوا « فلان منيع الجانب » ، وأفيد عزا : أحصله ، وأصل ذلك قولهم « أفاد فلان مالا » إذا اقتناه ، وذيل ذلك بقوله « وعز المرء ما عز الجناب » يريد أنه ما دام الإنسان يعيش فى جناب منيع ويأوى إلى كنف عزيز فلن يناله الضيم ولن يعروه .

(٥) يريد لا تخف إذا نزل خطب ولا تتهيب إذا ما عرض فزع، فإن الذين يأبون النزول فى ميادين الأهوال ويتخوفون الخطوب لا تكتب لهم الحياة .

٢٨ كُلَيْبٌ عَاقَصَتْهُ يَدٌ، وَأَوْدَى عُتَيْبَةُ يَوْمَ أَعْقَصَهُ ذُؤَابُ(١)

٢٩ سَوَاءٌ مَنْ أَقَلَّ التُّرْبُ مِنَّا وَمَنْ وَارَى مَعَالِمَهُ التُّرَابُ(٢)

٣٠ وَإِنَّ مُزَايِلَ الْعَيْشِ اخْتِصَارًا مُسَاوٍ لِلَّذِينَ بَقُوا فَشَابُوا(٣)

---

(١) كليب : أراد به كليب وائل الذى قتله جساس بن مرة ، وكان كليب من أعز العرب وأحماهم للجار ، وكان قد استذل قومه، و بسبب مقتله قامت حرب البسوس التى دامت سنين طوالا وعاقصته يد ـ بالقاف ـ صارعته فصرعته ، وأراد يد جساس بن مرة ، ووقع فى الأصول كلها « عاقصته يد » بالقاف ، وأحسبه محرفا عما أثبته ، وأودى : هلك ، وعتيبة : أراد به عتيبة ابن الحارث بن شهاب ، وكان فارس بنى تميم ، وكانوا يلقبونه سم الفرسان ، وصياد الفوارس ، وكان العرب يقولون : لو أن القمر سقط من السماء ما التقفه غير عتيبة لثقافته ، وقد قتله ذؤاب ابن ربيعة الأسدى ، وقد قال ذو العلقة العجلى يرثى عتيبة بن الحارث بن شهاب :

عُتَيْبَةُ صَيَّادُ الفَوَارِسِ عُرِّيَتْ ظُهُورُ جِيَادٍ بَعْدَهُ وَرِكَابِ

أَلَا أَيُّهَا الحَيُّ المُؤَمِّلُ عَيْشَهُ أَلَا كُلُّ حَيٍّ بَعْدَهُ لِذَهَابِ

ولما قتل ذؤاب بن ربيعة قال ابنه ربيعة بن ذؤاب يرثيه :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ بِعُتَيْبَةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ شِهَابِ

بِأَحَبِّهِمْ فَقْدًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعَزِّهِمْ فَقْدًا عَلَى الْأَصْحَابِ

وَعِمَادِهِمْ فِيمَا أَلَمَّ بِجُلِّهِمْ وَبِمَالِ كُلِّ ضَرِيكَةٍ مِنْقَابِ

(٢) أراد بمن أقل الترب الذين قتلوا فى معارك الحرب فحملهم الترب ، وأراد بمن واراه التراب الذين ماتوا فدفنوا . يقول : إن من تقحم المعارك وأقدم فى حومات القتال فقتل ومن نكص على عقبيه وأحجم عن لقاء الأقران فمات مستويان فى النهاية ، كل يموت .

(٣) مزايل العيش اختصارا : الذى فارق الحياة فى مقتبل السن وميعة الشباب، والذين بقوا فشابوا : الذين طالت حياتهم وامتدت آجالهم إلى أن أدركوا سن الشيب فشابت رءوسهم ثم ماتوا متى كان المصير إلى الموت ، فكلاهما سواء .

٣١ وَأَوَّلُنا العَناءُ إذَا طَلَعْنا ... إلى الدُّنْيا وَآخِرُنا الذَّهابُ (١)

٣٢ إلى كَمْ ذَا التَّرَدُّدُ فى الأمانى ... وَكَم يُلْوى بِنَاظِرِىَ السَّرَابُ (٢)

٣٣ وَلا نَقْعٌ يُثارُ وَلا قَتامٌ ... وَلا طَعْنٌ يُشَبُّ ولا ضِرَابُ (٣)

٣٤ وَلا خَيْلٌ مُعَقَّدَةُ النَّواصى ... يَمُوجُ على شَكائِمِها اللُّعابُ (٤)

٣٥ عَلَيْها كلُّ مُلْتَهِبِ الْحَواشى ... يُصيبُ مِن العَدُوِّ ولا يُصَابُ (٥)

٣٦ أمامَ مُجَلْجِلٍ كاللَّيْلِ تَهْوى ... أواخِرَهُ الجَمائِلُ والْقِبَابُ (٦)

٣٧ وأيْنَ يَحِيدُ عَنْ مُضَرٍ عَدُوٌّ ... إذَا زَخَرَتْ وَعَبَّ لها العُبَابُ (٧)

---

(١) العناء : التعب والشقاء ، ووقع فى ه « وأولنا العناد » محرفا . وآخرنا الذهاب : يعنى أن نهاية حياتنا الموت والذهاب .

(٢) يلوى : مضارع ألوى ، تقول « ألوى برأسه » إذا أماله ، والسراب : ما تراه فى وسط الصحراء كأنه ماء وليس بماء ، ويضرب مثلا لما يخدع من الأمور ويأتى دائما على غير ما يؤمل منه يقول : كم أميل مع الأمانى الخلابة فلا يكون المآل غير الخديعة .

(٣) النقع ـ بفتح فسكون ـ الغبار ، والقتام ـ بفتح القاف ، بزنة السحاب ـ الغبار الأسود ويقال « ارتفع القتام حتى خفيت الأعلام » .

(٤) الشكائم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس فيها القأس . واللعاب ـ بضم اللام ـ أراد به الزبد التى يخرج من فم الفرس .

(٥) كل ملتهب الحواشى : متقد الجوانب ، وهذه كناية عن اتقاد نيران الحمية فى صدورهم وغليانها بما يستعر فيها من الحرص على النصر .

(٦) مجلجل : مصوت ، وأراد به جيشا ، وتصويته ما يسمع من صلصلة أدوات الحرب ، وتشبيه الجيش بالليل لكثافة عدده وكثرة عدده ، وتهوى : أراد تسير سيرا حثيثا ، والجمائل : جمع جمل ، يريد أن الجمال التى تحمل الميرة والأداة تسير خلف هذا الجيش سيرا سريعا .

(٧) يحيد : يميل ، ومضر : أراد قومه لأن نسبه يرتفع إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان

٣٨ وقد زأرتْ ضَرَاغِمُهَا الضَّوارى ... وَقَدْ هَدَرَتْ مَصاعِبُهَا الصِّعَابُ (١)

٣٩ هُنَا لِكَ لَا قَرِيبَ يَرُدُّ عَنَّا ... وَلا نَسَبٌ يَنُطُّ بِنَا قُرَابُ (٢)

٤٠ سأخْطُبُهَا بحدِّ السَّيْفِ فِعْلًا ... إِذَا لم يُغْنِ قَوْلٌ أَوْ خِطابُ (٣)

٤١ وآخُذُهَا وإِنْ رَغِمَتْ أُنُوفٌ ... مُغالَبَةً وإِنْ ذَلَّتْ رِقَابُ (٤)

٤٢ وإِنَّ مُقَامَ مِثْلِى فى الأعادى ... مُقامُ الْبَدْرِ تنبحُهُ الكِلابُ

٤٣ رَمَوْنى بالعُيُوب ملفقَاتٍ ... وَقَدْ عَلِمُوا بأنى لا أُعابُ

٤٤ وأنِّى لا تُدَنِّسُنى الْمَخَازِى ... وَأَنِّى لَا يُرَوِّعُنى السِّبَابُ

٤٥ وَلَمَّا لَمْ يُلَاقُوا فِىَّ عَيْبًا ... كَسَوْنى مِنْ عُيُوبِهِمُ وَعَابُوا

***

وزخرت : جاشت للحرب ، وعب لها العباب : كناية عن كثرتهم لأن الكثرة تستلزم الاضطراب والاصطخاب .

(١) الزئير : صوت الأسد ، والضراغم : جمع ضرغام ، وهو الأسد ، ووقع فى ب « زأدت » محرفا ، والضوارى : جمع ضار ، وهو الجرىء على فريسته لمعرفته ، وهدر : صوت ، والمصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل الذى ترك فلم يركب ولم يمسسه حبل حتى صار صعبا .

(٢) ينط بنا : أراد يصل بعضنا ببعض ، وأصله قولهم « نط فلان الشىء » من باب نصر إذا مده ، وقراب ـ بضم القاف ، بزنة الغراب ـ القريب .

(٣) نعتقد أن الضمير فى قوله « سأخطبها » راجع إلى الخلافة وإن لم يجر لها ذكر .

(٤) رغمت أنوف : أصل معناه الحرفى وقع فى الرغام وهو التراب ، ويقولون « سأفعل ذلك على رغم أنف فلان » أى أفعله قهرا له ، وذلت رقاب : بمعناه أيضا . ووقع فى ب « وإن زلت رقاب » محرفا عما أثبتناه موافقاً لما فى ه .

٣١ وَأَوَّلُنا الْعَناءُ إِذَا طَلَعْنا ... إلى الدُّنْيا وَآخِرُنا الذَّهَابُ (١)

٣٢ إلى كَمْ ذَا التَّرَدُّدُ فى الأمانى ... وَكَم يُلْوى بِنَاظِرِىَ السَّرَابُ (٢)

٣٣ وَلا نَقْعٌ يُثارُ وَلا قَتامٌ ... وَلا طَعْنٌ يُشَبُّ ولا ضِرَابُ (٣)

٣٤ وَلا خَيْلٌ مُعَقَّدَةُ النَّواصى ... يَمُوجُ على شَكائِمِها اللُّعابُ (٤)

٣٥ عَلَيْها كلُّ مُلْتَهِبِ الْحَواشى ... يُصيبُ مِن العَدُوِّ ولا يُصَابُ (٥)

٣٦ أمامَ مُجَلْجِلٍ كاللَّيْلِ نَهْوى ... أواخِرَهُ الجَمائِلُ والْقِبَابُ (٦)

٣٧ وأَيْنَ يَحِيدُ عَنْ مُضَرٍ عَدُوٌّ ... إِذَا زَخَرَتْ وَعَبَّ لها العُبَابُ (٧)

---

(١) العناء : التعب والشقاء ، ووقع فى ه « وأولنا العناد » محرفا . وآخرنا الذهاب : يعنى أن نهاية حياتنا الموت والذهاب .

(٢) يلوى : مضارع ألوى ، تقول « ألوى برأسه » إذا أماله ، والسراب : ما تراه فى وسط الصحراء كأنه ماء وليس بماء ، ويضرب مثلا لما يخدع من الأمور ويأتى دائما على غير ما يؤمل منه يقول : كم أميل مع الأمانى الخلابة فلا يكون المآل غير الخديعة .

(٣) النقع ـ بفتح فسكون ـ الغبار ، والقتام ـ بفتح القاف ، بزنة السحاب ـ الغبار الأسود ويقال « ارتفع القتام حتى خفيت الأعلام » .

(٤) الشكائم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس فيها القأس . واللعاب ـ بضم اللام ـ أراد به الزبد التى يخرج من فم الفرس .

(٥) كل ملتهب الحواشى : متقد الجوانب ، وهذه كناية عن اتقاد نيران الحمية فى صدورهم وغليانها بما يستعر فيها من الحرص على النصر .

(٦) مجلجل : مصوت ، وأراد به جيشا ، وتصويته ما يسمع من صلصلة أدوات الحرب ، وتشبيه الجيش بالليل لكثافة عدده وكثرة عدده ، ونهوى : أراد تسير سيرا حثيثا ، والجمائل : جمع جمل ، يريد أن الجمال التى تحمل الميرة والأداة تسير خلف هذا الجيش سيرا سريعا .

(٧) يحيد : يميل ، ومضر : أراد قومه لأن نسبه يرتفع إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان

٣٨ وقد زأرتْ ضَرَاغِمُهَا الضَّوارى ... وَقَدْ هَدَرَتْ مَصاعِبُهَا الصِّعَابُ (١)

٣٩ هُنَا لِكَ لَا قَرِيبَ يَرُدُّ عَنَّا ... وَلا نَسَبٌ يَنُطُّ بِنَا قُرَابُ (٢)

٤٠ سأخْطُبُهَا بحدِّ السَّيْفِ فِعْلًا ... إِذَا لم يُغْنِ قَوْلٌ أَوْ خِطابُ (٣)

٤١ وآخُذُهَا وإنْ رَغِمَتْ أُنُوفٌ ... مُغالَبَةً وإنْ ذَلَّتْ رِقَابُ (٤)

٤٢ وإنَّ مُقَامَ مِثْلِى فى الأعادى ... مُقامُ الْبَدْرِ تنبحُهُ الكِلابُ

٤٣ رَمَوْنى بالعُيُوب ملفقاتٍ ... وَقَدْ عَلِمُوا بأنى لا أعابُ

٤٤ وأنِّى لا تُدَنِّسُنى الْمَخَازِى ... وَأَنِّى لَا يُرَوِّعُنى السِّبَابُ

٤٥ وَلَمَّا لَمْ يُلَاقُوا فِىَّ عَيْبًا ... كَسَوْنى مِنْ عُيُوبِهِمُ وَعابُوا

***

وزخرت : جاشت للحرب ، وعب لها العباب : كناية عن كثرتهم لأن الكثرة تستلزم الاضطراب والاصطخاب .

(١) الزئير : صوت الأسد ، والضراغم : جمع ضرغام ، وهو الأسد ، ووقع فى ب « زأدت » محرفا ، والضوارى : جمع ضار ، وهو الجرىء على فريسته لمعرفته ، وهدر : صوت ، والمصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل الذى ترك فلم يركب ولم يمسسه حبل حتى صار صعبا .

(٢) ينط بنا : أراد يصل بعضنا ببعض ، وأصله قولهم « نط فلان الشىء » من باب نصر إذا مده ، وقراب ـ بضم القاف ، بزنة الغراب ـ القريب .

(٣) نعتقد أن الضمير فى قوله « سأخطبها » راجع إلى الخلافة وإن لم يجر لها ذكر .

(٤) رغمت أنوف : أصل معناه الحرفى وقع فى الرغام وهو التراب ، ويقولون « سأفعل ذلك على رغم أنف فلان » أى أفعله قهرا له ، وذلت رقاب : بمعناه أيضا . ووقع فى ب « وإن زلت رقاب » محرفا عما أثبتناه موافقاً لما فى ه .

٤١ — وقال أيضا [من المتقارب] :

١ أَثِرْهَا عَلَى مَا بِهَا مِنْ لَغَبْ ... يُقَلْقِلُ أَغْرَاضَهَا وَالْحُقُبْ (١)

٢ وَلَا تَرْقُبِ الْيَوْمَ مَيْطَ الْأَذَى ... عَنَ اُخْفَافِهَا وَانْدِمَالَ الْجُلَبْ (٢)

٣ إِلَى أَنْ تُعَجْعِجَهَا كَالْحَنِيِّ ... تَجْتَرُّ بِالدَّمِ لَا بِالْعُشُبْ (٣)

٤ عَلَيْهَا أَخَامِصُ مِثْلُ الصُّقُورِ ... طِوَالُ الرَّجَاءِ جِسَامُ الْأَرَبْ (٤)

---

(١) أثرها : أراد حركها وهيجها ، والضمير عائد على الإبل وإن لم يجر لها ذكر لانفهامها من المقام ، واللغب — بفتح اللام والغين جميعا — التعب ، ويقلقل : يحرك ، والأغراض : جمع غرض — بفتح الغين والراء — وهو للبعير كالحزام لسرج الفرس ، والحقب — بضم الحاء والقاف جميعا — جمع حقيبة ، وهى مايحمل من القماش خلف الراكب ، أو الرفادة فى مؤخر القتب .

(٢) لاترقب : أراد لاتنتظر ، وميط الأذى : إبعاده وتنحيته ، ووقع فى ه « ميط الوجى » والاندمال : تماثل الجرح ونحوه للشفاء ، والجلب — بضم الجيم وفتح اللام — جمع جلبة ، بالضم ، وهى القشرة التى تعلو الجرح عند البرء ، ووقع فى ب « واندماء الجلب » محرفا عما أثبتناه .

(٣) يقال « عجعج الرجل بالناقة » إذا زجرها بقوله « عاج ، عاج » وهو اسم من أسماء زجر الإبل ، وإذا عطفها نحو شىء . والحنى — بفتح الحاء وكسر النون وتشديد الياء — جمع حنية وهى القوس ، وتجمع أيضا على حنايا ، وقالوا « خرجوا بالحنايا يبتغون الرمايا » ويقع قوله « كالحنى » حالا من الضمير المتصل فى قوله « يعجعجها » . وتشبيه الإبل بالقسى مما يكثر فى كلام الشعراء ، وقد مضى طرف منه ، فارجع إلى شرح ٣٢/٣٠ ، وتقول « اجتر البعير ، واجترت الناقة » إذا أتى بالجرة ، والجرة — بكسر الجيم — مايخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه ، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم « خطب على ناقته وهى تقصع بجرتها » والعشب — بضم العين والشين هنا ، وأصله بضم فسكون فأتبع ثانيه لأوله — الكلأ الرطب فى أول الربيع .

(٤) الأخامص : جمع أخمص ، ويقال « رجل أخمص البدن » إذا كان متوسطه لا بالجسيم البدين ولا بالناحل الهزيل ، وطوال الرجاء : يريد أن أمانيهم لاتقف عند حد ، والأرب — بفتح الهمزة والراء جميعا — الطلب ، يعنى أن مطالبهم عظام تستدعى السعى المتواصل والدأب الذى لاينقطع ، وكأنه تعليل لما ظهرت عليه رواحلهم من الضعف والوجى .

٥ وكلُّ فتًى حظ أجْفانِه ... مِنَ النَّوْمِ مَضْمَضَةٌ تُسْتَلَبْ (١)

٦ فبَيْنَا يُقَالُ كَرَى جَفْنُهُ ... بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِذْ قِيلَ هَبْ (٢)

٧ إِذَا وَقَعُوا بَعْدَ طُولِ الْكَلَا ... لِ لَمْ يَغْمِزُوا قَدَمًا مِنْ تَعَبْ (٣)

٨ ولَمَّا يَعَافُوا عَلَى عِزِّهِمْ ... تَوَسُّدَ أَعْضَادِها وَالرُّكَبْ (٤)

---

(١) وقع فى ه «وكل فتى خط أجفانه» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب ، ووقع فى ب « حظ أجفانه من الضيم » وليس بشىء ، و يؤيد ما أثبتناه موافقا لما فى ه فى هذه الكلمة ما يأتى فى البيت التالى ، وأصل المضمضة تحريك الماء فى الفم و إدارته ، وقالوا « ما مضمضت عينى بنوم » وهم يريدون ما نمت . وتستلب ـ بالبناء للمجهول ـ تؤخذ قسرا ، يقول : يركب هذه الإبل فتيان لا يذوقون النوم إلا اختلاسا لأنهم فى سفر دائم وجد مستمر .

(٢) كرى جفنه : نعس ، وأصل هذا الفعل بهذا المعنى بكسر الراء على زنة فرح ، فقلب كسرة الراء فتحة فانقلبت الياء ألفا ، وهذه لغة من لغات العرب تنسب إلى الطائيين ، وقد تقدم ذكر شىء عن هذه اللغة والاستدلال لها بما ورد من كلام العرب المحتج بكلامهم ، فانظر شرح ١/٤٧ ، وقطع من الليل ـ بكسر القاف وسكون الطاء ـ يطلق على القطعة من الليل قلت أو كثرت ، وقيل : من أوله إلى ثلثه ، وقيل : ظلمة آخره ، وفى التنزيل الكريم: (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ، وتقول : هب فلان من نومه ، إذا استيقظ ، يقول : لا يطول نوم أحدهم ، فما هو إلا أن يقال نعس حتى يقال قد استيقظ ، بلا مكث .

(٣) الكلال ـ بفتح الكاف ، بزنة السحاب ـ التعب والإعياء ، وغمز الرجل : أن يظهر الإنسان كأنه أعرج ، يصفهم بطول الصبر على معاناة الأسفار واحتمال المشاق من غير أن يظهر عليهم أقل شىء يدل على ما يعانونه من الجهد ويكابدونه من المشقة .

(٤) تقول « عاف فلان الشىء » إذا كرهه ، و « على » ههنا بمعنى مع ، والعز : القوة ، والأعضاد : جمع عضد ـ بفتح العين وضم الضاد ، وقد تكسر الضاد ـ هو الساعد ويبدأ فى الإنسان من المرفق إلى الكتف ، والركب ـ بضم الراء وفتح الكاف ـ جمع ركبة ، ومن عادة العرب

٩ وَعَرِّجْ عَلَى الْغُرِّ مِنْ هَاشِمٍ فَأَهْدِ السَّلَامَ لَهُمْ مِنْ كَثَبْ (١)

١٠ وَقُلْ لِبَنِي عَمِّنَا الوَاجِدِينَ بَنِي عَمِّنَا بَعْضَ هٰذَا الْغَضَبْ (٢)

١١ أما آنَ للرَّاقِدِ المستَمِرِّ فِي ظُلَمِ الْغَيِّ أَنْ يَسْتَهِبْ (٣)

١٢ سَرَحْتُمْ سَفَاهَتَكُم فِي العُقُوقِ وَلَمْ تَحْفِلُوا الحِلْمَ لَمَّا غَرَبْ (٤)

إذا كانوا على سفر أن يجعل أحدهم وسادته ذراع بعيره أو ركبته ، استعدادا للطوارئ ومخافة أن يهجم عليهم من يطرد الإبل ، يقول : إن هؤلاء القوم مع قدرتهم لم يأنفوا من أن يتخذوا أعضاد إبلهم وركبها وسائد ، وقال الراجز :

يا رُبَّ سارٍ بات ما توسَّدَا إلا ذراع العَنْس أو كفَّ اليَدَا

(١) عرج عليهم : مل فى طريقك إليهم . والغر ـ بضم الغين ـ جمع أغر ، وهو ذو الغرة وهى البياض فى الجبهة ، ويقال لكل سيد شريف : أغر ، حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم « أنا قائد الغر المحجلين يوم القيامة » ، وكثب ـ بفتح الكاف والثاء جميعا ـ أى قرب .

(٢) الواجدين : جمع واجد ، وهو الغضبان ، تقول : وجد فلان على فلان يجد ـ مثل وصف يصف ووعد يعد ـ وجدا وموجدة وجدة ـ مثل وعد وموعدة وعدة ـ إذا غضب عليه ، وورد فى الحديث « إنى سائلك فلا تجد على » ومعناه إنى سأوجه إليك أسئلة فلا تغضب من سؤالى . و « بنى عمنا » منادى بحرف نداء مقدر ، و « بعض » مفعول بفعل محذوف ، وتقدير الكلام: يابنى عمنا ، اتركوا بعض هذا الغضب . يستعظم مايقع من أبناء عمومتهم مما يدل على الموجدة والحنق والغضب ، ويطالبهم أن يتركوا بعض موجدتهم عليهم .

(٣) آن : حان ودنا وقته ، والراقد : النائم ، والمستمر : أراد به الذى يدوم على نومه ولا يفيق منه ، وظلم : جمع ظلمة ، ويستهب: يطلب الهبوب واليقظة من نومه ، وتقول : هب فلان من نومه يهب ـ من باب نصر ـ هبوبا ، إذا انتبه وتيقظ . يستبطئ انتباههم من الغفلة ويهيب بهم أن يتدبروا العاقبة .

(٤) سرحتم سفاهتكم : شبه السفاهة بالسائمة التى يرعاها صاحبها . وتقول : سرح فلان ماشيته يسرحها سرحا ـ مثل فتح يفتح فتحا ـ إذا تركها ترعى ، وقالوا « سرح فلان فى أعراض الناس » إذا كان يغتابهم وينال منهم . ولم تحفلوا : أى لم تجمعوا ، والحلم : ضد الجهل والسفاهة

١٣ ولَمَّا أَرِنْتُمْ إِرَانَ الْجَمُوحِ ... وَمَاجَ بِكُمْ حَبْلُكُمْ واضْطَرَبْ(١)

١٤ أَقَمْنَا أَنَابِيبَكُمْ بِالثِّقَافِ ... وَدَاوَى الهِنَاءَ مِطَالَ الْجَرَبْ(٢)

١٥ وَيَا رُبَّمَا عاد سُوءَ الْعِقَابِ ... عَلَى الْمُذْنِبِينَ بِحُسْنِ الأَدَبْ

١٦ وَلَيْسَ يُلَامُ امْرُؤٌ شَفَّهُ ... مَضِيضٌ من الدَّاءِ أَنْ يَسْتَطِبْ(٣)

١٧ أَطَالَ وأَعْرَضَ مَا بَيْنَنَا ... مُبِيرُ الْخَنَا ومُنِيرُ الرِّيَبْ(٤)

والحنق والطيش ، وغرب : بعد وعزب . يقول : إنكم تركتم السفاهة تروح وتغدو فى مواطن العقوق ، ولم تأبهوا بما يجر ذلك عليكم فلم تجمعوا أحلامكم وقد بعدت، ووقع فى ه «ولم تخلفوا العلم» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(١) أرنتم : نشطتم ، وتقول : أرن البعير يأرن ـ من باب علم ـ إذا نشط ، فهو أرن ـ بكسر الراء ـ وأرون ، والإران ـ بكسر الهمزة ـ مصدر أرن ، والجموح ـ بفتح الجيم ـ الفرس الذى يركب رأسه فلا يثنيه شىء ، والحبل : أراد به ههنا العهد ، ووقع فى ه « وماج به حبلكم واضطرب » ومجازها أن يعود الضمير من « به » على الإران .

(٢) أقمنا : أرادبه ههنا عدلنا ، والأنابيب : جمع أنبوبة ، وهى مابين الكعبين من القصب والرمح، والثقاف ـ بكسر الثاء، بزنة الكتاب ـ مايقوم به الرماح ، والهناء ـ بكسر الهاء ، بزنة الكتاب ـ القطران ، وكانوا يداوون به الجربى من الإبل، ويقولون « فلان يضع الهناء مواضع النقب » إذا كان يضع الشىء فى موضعه ويطبق المفصل فى حجته ، يقول : عدلنا اعوجاجكم بإصابتنا المواضع التى تحتاج إلى تقويم ، وضرب ما ذكره مثلا لذلك .

(٣) وقع فى ه «وليس إذا ما امرؤ شفه» محرفا عما أثبتناه عن ب . وشفه : هزله وأضناه ، والمضيض : المؤلم الموجع ، تقول : أمض فلانا داؤه ، إذا آلمه وأوجعه وأتعبه ، ويستطب: يطلب العلاج لدائه ، يقول : لما آلمنا داء فرقتكم طلبنا له العلاج بما صنعنا فلا تثريب علينا .

(٤) أطال وأعرض : جعله طويلا عريضا ، ومبير : مهلك ، تقول : أباره يبيره ـ بوزن أقامه يقيمه ـ إذا أهلكه ، والريب: جمع ريبة ، وأراد به الشك والتهمة ، ووقع فى ب « مبيراء الحيا منير الريب » محرفا عما أثبتناه .

١٨ أفى كلِّ يَوْمٍ لِرِقِّ الْهَوَانِ صَبِيبَةُ أَنْفُسِكم تَنْسَكِبْ(١)
١٩ إذا قَادَكم مثلَ قَوْدِ الذَّلُولِ نَفَرْنَا نُفُورَ الْبَعِيرِ الأَزَبْ(٢)
٢٠ وَفى كلِّ يَوْمٍ إلى دَارِكم مَزَاحِفُ مِنْ فَيْلَقٍ ذِى لَجَبْ(٣)
٢١ بِوَهْوَهَةِ الخيلِ تحتَ الرِّمَا حِ مُكْرَهة وَرُغَاءِ النُّجُبْ(٤)
٢٢ سِيَاطُ الجيادِ بها إن وَنَيْنَ وَزَجْرُ الرِّجَالِ بِهَالِ وهَبْ(٥)

---

(١) وقع فى ه « لدق الهوان » محرفا عما أثبتناه عن ب . وصبيبة أنفسكم : أراد به بقيتها . وتنسكب : تسيل ، شبه ذلك بانصباب الماء وهو سيلانه وتحدره .

(٢) الضمير المستتر فى « قادكم » يعود إلى الهوان فى البيت السابق ، والذلول ـ بفتح الذال بزنة صبور وشكور ـ السهل القياد الذى لايتعب ، وهو ضد النفور ، والأزب : الكثير شعر الوجه والعثنون، يريد أنهم لايرضون عما ينال بنى عمومتهم من المذلة والهوان، وأنهم ينفرون من ذلك غاية النفور .

(٣) مزاحف : جمع مزحف بمعنى الزحف ، والفيلق ـ بفتح فسكون ، بزنة جعفر ـ الجيش . واللجب ـ بفتح اللام والجيم جميعا ـ الجلبة والصياح ، وذلك كناية عن كثرة عدد الجيش وعدده .

(٤) الوهوهة : صوت فى حلق الفرس يكون فى آخر صهيله ، والوهواه والوهوه من الخيل: النشيط الحديد الذى يكاد يفلت عن كل شىء من حرصه ونزقه ، وجعل الخيل تحت الرماح إشارة إلى أن فرسانها محاربون فهم يحملون الرماح . والرغاء ـ بضم الراء ، بزنة الغراب ـ أراد به صوت الإبل ، والنجب ـ بضم النون والجيم جميعا ـ جمع نجيب ، وهو الكريم الحسيب من الإنسان والحيوان، وأراد به ههنا البعير الذى يرجع إلى أصل محمود ، وتقول : بعير نجيب وناقة نجيب، وهو فعيل بمعنى مفعول فيستوى فيه المذكر والمؤنث لأنها منتجبة: أى مختارة من بين سائر الإبل .

(٥) السياط : جمع سوط ، وهو ما يساق به الفرس ونحوه . ونين : تعبن وضعفن وفترن ، وهال وهب : كلاهما اسم زجر تزجر به الإبل ، وفى هذا البيت من المأخذ ما أخذته أم جندب

٢٣ وتَلْقَوْنَهَا كقِدَاحِ السَّرَا ... ءِ قُوداً تجرُّ العَوَالِي وَقُبْ[1]

٢٤ كأنَّ حَوَافِرَهَا والصُّخُورَ ... إذَا ماذَرَعْنَ الدُّجَى فى صَخَبْ[2]

على امرئ القيس بن حجر الكندى حيث تحاكم إليها هو وعلقمة الفحل لتحكم لأيهما أشعر من الآخر ، فقالت : ليقل كل منكما قصيدة يصف فيها فرسه ثم ليعرضها علىّ ، فقال امرؤ القيس قصيدة مطلعها :

خليلىَّ مُرَّا بى على أمِّ جندب ... لنقضىَ حاجاتِ الفؤادِ المعذَّبِ

فإنكما إن تنظرانىَ ساعةً ... منَ الدهرِ تنفَعْنى لدى أم جُنْدَبِ

ويقول فيها فى وصف الفرس :

فَلِلسَّاقِ أُلْهُوبٌ وللسَّوْطِ دِرَّةٌ ... وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرَجَ مِهْذَبِ

وقال علقمة بن عبدة المعروف بعلقمة الفحل قصيدة مطلعها:

ذهَبْتَ من الهجرانِ فى كل مَذْهَبِ ... ولم يَكُ حَقًّا كلُّ هٰذَا التجنُّبِ

يقول فيها فى وصف الفرس و إدراكه طريدته :

فأدْرَكَهُنَّ ثانيًا مِن عِنَانِهِ ... يمرُّ كمرِّ رائحٍ متحلِّبِ

فقالت أم جندب : علقمة أشعر من امرئ القيس؛ لأن امرأ القيس زجر فرسه وحركه بساقه وضربه بسوطه، فأما علقمة فأدرك الصيد ثانيا من عنان فرسه ، ووقع فى ب « كزجر الرحال » محرفا .

(١) القداح : جمع قدح ، وهو السهم قبل أن يراش ويركب له النصل . والسراء : شجر تتخذ منه السهام . والقود : الخيل الذلول المنقادة،وهى أيضا الشديدة العنق لقلة التفاتها،والواحد منها أقود ، والقب : جمع أقب أو قباء ، والأقب : الدقيق الخصر الضامر البطن ، وهذا مما يمدح فى الخيل ، وتشبيه الخيل بالقداح كثير ، وقد مضى قولنا فيه . والعوالى : جمع عالية ، وأراد بها الرمح هنا . ووقف فى قوله « وقب » بالسكون على لغة ربيعة .

(٢) حوافرها : أراد حوافر الخيل ، وذرعن الدجى : أراد قطعن المفاوز والصحارى فى وقت الدجى وهو الليل ، فأوقع الفعل على الظرف . والصخب ـ بفتح الصاد والخاء جميعا ـ شدة الصوت والجلبة .

٢٥ تسدُّ عَلَى البِيدِ خَرْقَ الشَّمالِ ... بما نَسَجَتْ من سَحِيلِ التُّرُبْ (١)

٢٦ وَطِئْنَ النجيعَ بأرساغِهِنَّ ... مِمَّا انْتَعَلْنَ الرُّبَى والذَّأَبْ (٢)

٢٧ وَكَمْ قَرَعَ الدَّوِّ مِنْ حافِرٍ ... يُخَالُ عَلَى الأَرْضِ قَعْباً يُكَبْ (٣)

٢٨ تُهَزُّ السُّيُوفُ لأَعْنَاقِكم ... فتأبَى مَضَارِبُ تلْكَ القُضُبْ (٤)

٢٩ وتَسْفِرُ أَحْسَابُنَا بَيْنَنَا ... فَنُلْقِي طَوائِلَنَا أو نَهَبْ (٥)

---

(١) البيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء ، سميت بذلك لأن سالكها يبيد فيها : أى يهلك، وخرق الشمال : أراد به الفضاء الواسع فى جهة الشمال ، والسحيل : أصله الثوب ينسج من خيط لايبرم حين غزله ، ويقابله المبرم ، والترب : أراد به التراب ، جعل ما تثيره الخيل من التراب بحوافرها بمعونة الصخور التى تقذف بها من سرعة سيرها نسيجا، وجعل غايتها من ذلك أن تغلق فسيح الفضاء على سالكه، ووقع فى ه « تسل على البيد » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(٢) النجيع: الدم إذا كان يضرب لونه إلى سواد ، والأرساغ : جمع رسغ ـ بضم فسكون ـ وهو المفصل بين الساق والقدم ، والربى : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض . والذأب ـ بفتح الذال والهمزة جميعاً ، وأصله بفتح الذال وسكون الهمزة ، ولكن كل اسم ثلاثى ثانيه حرف من حروف الحلق وهى الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء يجوز فيه فتح ثانيه إتباعا لفتح أوله ، كالبحر والشعر ، يجوز فيهما فتح الحاء والعين تبعا لفتح الباء والشين ـ والذأب هنا: السير السريع ، تقول : ذأب فلان ذأبا ـ من باب قطع ـ إذا أسرع فى سيره ، وقد فسرت هذه الكلمة فى هامش ب بالسوق ، وليس كما ينبغى .

(٣) قرع : ضرب فأحدث صوتا ، والدو ـ بفتح الدال وتشديد الواو ـ الصحراء والفلاة، والقعب ـ بفتح فسكون ـ القدح الضخم ، ووقع فى ه «قعبا مكب» وما أثبتناه موافق لما فى ب.

(٤) القضب ـ بضم القاف والضاد جميعا ـ جمع قضيب ، وهو السيف الدقيق الذى يقطع فى ضربته .

(٥) تسفر : مضارع سفر فلان بين القوم ـ من باب ضرب ونصر ـ سفارة ، إذا أصلح بينهم ، والأحساب : جمع حسب ، وهو كل شىء يعده المرء من مفاخر آبائه . والطوائل : جمع طائلة ، وهى الفضل والسعة والغنى والقدرة . ونهب : نعطى .

٣٠ يُنَاشِدُنَا اللهَ فِي حَرْبِكُمْ عُرَيْقٌ لَكُمْ فِي أَبِينَا ضَرَبْ (١)

٣١ وَمَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ مِنْ نَبْوَةٍ وَقَطَّعَ مَا بَيْنَنَا مِنْ سَبَبْ (٢)

٣٢ فَإِنَّ النُّفُوسَ إِلَيْكُمْ تُشَاقُ وَإِنَّ الْقُلُوبَ عَلَيْكُمْ تَجِبْ (٣)

٣٣ وَإِنَّا نَرَى لِجِوَارِ الدِّيَا رِ حَقًّا فَكَيْفَ جِوَارُ النَّسَبْ (٤)

٣٤ تَمَاسُّ أَرْحَامِنَا وَالذِّمَا مُ مِنْ دُونِ ذَاكَ عَلَيْنَا يَجِبْ (٥)

---

(١) عريق : تصغير عرق ، وضرب : أراد أنه تعلق به ، وأصله عرق الشجرة يضرب فى الأرض ويمتد فى جوفها . يقول : إننا كلما أردنا حربكم وقف دون تنفيذ هذه الإرادة ما بيننا وبينكم من صلة القربى وواشج الأرحام فلم نقدم على ما نريد مع أنكم أهل لذلك بأعمالكم .

(٢) نبوة ـ بفتح النون وسكون الباء ـ أراد بها الجفوة وما بينهم من جفاء ، والسبب : أصله الحبل ، ويطلق على كل ما يكون سببا للاتصال .

(٣) تشاق ـ بالشين المعجمة ـ يأخذها الشوق إليكم والحنين لكم ، ووقع فى ه « تساق » بالسين مهملة ـ ولها وجه بعيد ، وتجب : مضارع وجب القلب يجب وجيبا ، إذا خفق واضطرب ، يقول : إن كان الدهر قد أحدث بيننا من الجفاء والتباعد ماقطع به أواصر قرابتنا وأعلاق أنسابنا فإن أنفسنا لا يزال الشوق يبعثها إليكم ، وقلوبنا لاتزال تخفق بمحبتكم وتضطرب بالحنين إليكم ، يريد أن ما بينهم لم ينقطع .

(٤) وقع فى ب « لجوار الديار * حقوقا » وما أثبتناه موافق لما فى ه . يقول : إننا نعتقد أن على الجار لمن يجاوره فى الدار ـ وإن لم تكن بينهما آصرة رحم أو قرابة ـ حقا يوجب رعايته والنظر إليه ، فكيف يكون اعتقادنا فيما يجب على من اتصلت بنا رحمه واشتبك نسبه بنسبنا .

(٥) تماسس : مصدر تماس بمعنى اتصل اتصالا قريبا ، وكان من حقه أن يدغم أحد المثلين فى الآخر ، إلا أنه لما اضطر فك الإدغام ، ولذلك نظائر فى العربية ، وإن كانت جارية مجرى الضرورة ، من ذلك قول قعنب بن أم صاحب :

مَهْلًا ، أعاذِلَ قد جَرَّبْتِ من خُلُقِى أنى أجودُ لأقوام وإن ضَنِنُوا

والذمام ـ بكسر الذال ، بزنة الكتاب ـ الحرمة والعهد تجب رعايته والمحافظة عليه .

٣٥ فإنْ نَرْعَ شركةَ أحسابِنَا جَميعًا فَذَلِكَ دينُ العَرَبْ (١)

٣٦ إذا لَبَسَتْ بقُوَاهَا قُوًى وَإنْ طُنُبٌ مَسَّ مِنْهَا طُنُبْ (٢)

٣٧ أراحَ بَنِى عامرٍ ذُلُّهُمْ وَعَرَّضَنَا عِزُّنَا لِلتَّعَبْ (٣)

٣٨ وَفَرْنا عَلَيْهِمْ طَرِيقَ البَقاء وَخَلَّوْا لَنا عَنْ طريق العَطَبْ (٤)

٣٩ فَقَدْ أصْبَحُوا فى ذِمامِ الْخُمُو لِ لاتَدَّرِيهِمْ مَرَامِى النُّوَبْ (٥)

٤٠ أبَى الناسُ إلّا ذَمِيمَ النِّفاقِ إذَا جُرِّبُوا أو قبيحَ الكَذِبْ (٦)

---

(١) وقع فى ه « فإن ترتعى شرك أحسابنا » محرفا . ونرع : نحفظ ، وشركة ـ بكسر الشين وسكون الراء ، هنا ـ أراد بها اشتراكهم وانتماءهم جميعاً إلى نسب واحد ، ودين العرب : خلقها وطبيعتها التى جبلت عليها .

(٢) لبست ـ بفتح الباء ههنا ـ معناه خلطت ، والقوى : جمع قوة ، وأصلها طاقة الحبل ، والطنب ـ بضم الطاء والنون جميعا ـ حبل الخباء ، يقول : إن من عادات العرب الكريمة أنهم إذا خلطوا بأنفسهم أحدا أن يحفظوا وده ويرعوا عهده ويجعلوا له مالهم .

(٣) أراح بنى عامر : وفر لهم الراحة وجلب لهم الهدوء . يريد أن بنى عامر لما كانوا قوما أذلة لم يسعوا لمجد ولم يجهدوا أنفسهم فى طلب مسعاة من مساعى الفخار ، لكنهم لما كانوا أعزة لم تهدأ نفوسهم ولم يستقروا لأنهم دائماً فى جهد وسعى ليدركوا آمالهم .

(٤) وفرنا طريق البقاء ـ بتخفيف الفاء ـ وسعناه أمامهم ، يقول : إننا قوم ذو وسعى لطلب المجد ، فلا ترانا أبداً قارين ولاهادئين ، لأننا تركنا لبنى عامر طريق الهدوء والاستقرار فلم يجدوا لهم فيه مشاركا ولا منازعا ، وهم أصحاب دعة وطلاب راحة فلهذا تركوا لنا طريق السعى والدأب التى لا تخلو من معاطب .

(٥) الخمول ـ بضم الخاء المعجمة ـ أصله الخفاء ، ويقال : فلان خامل الذكر ، إذا كان لا يعرفه أحد ، ولا تدريهم ـ بتشديد الدال ـ أى لا تختلهم ، وتقول : ادرى الصياد صيده ، إذا ختله وخدعه ليقع فى أحبولته .

(٦) الذميم : المذموم ، والنفاق ـ بكسر النون ـ أن يظهر ما ليس فى نفسه ، ومنه قيل

٤١ كلابٌ تُبَصْبِصُ خَوْفَ الْهَوَانِ وَتَنْبَحُ بَيْنَ يَدَىْ مَنْ غَلَبْ (١)

٤٢ أُذِمُّ لِوَجْهِى عَلَى مَائِهِ وَلَا يَعْدِلُ الذُّلَّ عِنْدِى النَّشَبْ (٢)

٤٣ وَمَنْ وَجَدَ الرِّزْقَ عِنْدَ السُّيُوفِ فَلِمْ يَتَحَمَّلْ ذُلَّ الطَّلَبْ (٣)

٤٤ وَإِنَّ مَنَازِلَ هٰذَا الزَّمَانِ لِأَبْنَائِهِ نُوَبٌ أَو عُقَبْ (٤)

٤٥ لِذٰلِكَ يَرْكَبُ مَنْ قَدْ سَعَى طَوِيلًا وَيَرْحَلُ مَنْ قَدْ رَكِبْ

٤٦ أَنَا ابْنُ الأَنَاجِبِ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَجَبٌ مِنْ نُجُبْ (٥)

لمن يبطن الكفر و يظهر الإيمان : منافق ، ووقع فى ه « أو قبيح الكرب » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(١) تقول « بصبص الكلب » إذا حرك ذنبه يتملق صاحبه ، والهوان : الذلة وضعة النفس ، وتنبح : تصوت . يقول : إن من عادة الناس أن يتملقوا ذوى السلطان وأن يسيروا فى ركابهم من ضعة أنفسهم .

(٢) ماء الوجه : رونقه وصباحته ، ووقع فى ب « على مابه » محرفا عما أثبتناه ، ولا يعدل : لا يساوى ، والنشب : المال أو العقار خاصة ، يقول : إننى لو علمت أننى سأمتلك المال الكثير وأتأثل العقار إذا فعلت مايفعل الناس لم أرض ذلك ، لأن المال الذى سأقتنيه لا يقوم بما أبذل من ماء وجهى .

(٣) لم : استفهام ههنا ، وسكن الميم لأنه قدر الوقف عليها . يقول : لايليق بمن يستطيع أن يحصل رزقه بقوته ومضاء عزيمته مع العز وكرم النفس أن يتحمل ذل طلبه من الناس أعطوه أو حرموه . ووقع فى ب « فلم يتحمل لذل » ولا يستقيم به وزن البيت ، وما أثبتناه موافق لما فى ه .

(٤) المنازل : جمع منزل أو منزلة ، وهى المكان ينزل فيه المسافرون ليستريحوا من متاعب السفر ، والنوب : جمع نوبة ، وهى مسيرة يوم وليلة ، والعقب : جمع عقبة ، وهى قدر فرسخين ، يقول : لقد فسد أهل هذا الزمان حتى صاروا يطلبون الرفعة بغير كد ولا جهد ، فصارت منازلهم التى يقطعونها لإدراك مآربهم متقاربة لا مشقة فيها ولا تعب .

(٥) الأناجب : جمع أنجب ، وهو السخى الكريم ، ووقع فى ه « الأناجيب » بإشباع كسرة

٤٧ تُلاثُ بُرُودُهُم بالرِّماح وَتُلْوَى عَمائِمُهُمْ بِالشُّهُبْ (١)

٤٨ عِتَاق الوُجُوه ، وَعِتْقُ الجيا دِ فِي الضُّمْرِ تَعْرِفُهُ وَالْقَبَبْ (٢)

٤٩ يشفُّ الْوَضَاءَ خِلَالَ الشحو بِ مِنْهَا ، وخَلْفَ الدُّخَانِ اللَّهَبْ (٣)

٥٠ وَقَارٌ يُهَابُ ونادٍ يُنَابُ وحِلْمٌ يُرَاح ورَأْىٌ يُغَبْ (٤)

الجيم حتى تتولد ياء ، و « يكن » ههنا فعل تام ، والنجب : مثل الكرم وزنا ومعنى ، والنجب - بضم النون والجيم - جمع نجيب ، يقول : إذا لم يكن أولاد النجباء نجباء مثل آبائهم فأنا النجيب ابن النجباء .

(١) تلاث : مضارع مبنى للمجهول ماضيه المبنى للمعلوم قولهم : لاث فلان العمامة يلوثها ، إذا لفها وعصبها ، والبرود : جمع برد ، وهو الثوب ، والشهب : جمع شهاب ، وهو الكوكب مطلقا ، أو هو خاص بما كان من الدرارى من الكواكب لشدة ضوئها ولمعانها . وقد فسر مهيار هذا المعنى فى قوله :

عَمَّمُوا بالشَّمْسِ هاماتِهِمُ ومَشَوْا فَوْقَ ظهورِ الحقب

(٢) عتاق الوجوه : أراد أنهم صباح الوجوه فيهم جمال وحسن ، وأصله قولهم « فلان عتيق الوجه » إذا كان جميلا حسن الرواء ، وهذا من ممادح العرب ، والجياد : جمع جواد ، وهو الفرس وعتقه : فراهته ، والضمر - بضم الضاد ، والميم ساكنة هنا ، ويجوز ضمها فى غير هذا البيت - هزال الجسم ولحاق البطن وخفة اللحم ، والقبب : دقة الخصر وضموره . يقول : إن العلامة على عتق الفرس وشدته فى السير أن تراه دقيق الخصر خفيف اللحم .

(٣) تقول : شف هذا الشىء ، إذا كان قد رق حتى لايكاد يحجب ماخلفه ، والوضاء - بفتح الواو - الحسن ، وأصله الوضاءة ، فحذف التاء ، والشحوب : التغير من هزال أو تعب أو نحوهما ، واللهب - بفتح اللام والهاء جميعا - النار ، يقول : إن شحوبهم من آثار الجهد فى طلب المعالى لا يخفى ما وراءه من نضارة وجوههم وحسنها ، كما أن الدخان الذى يظهر فوق النار لا يحجب عن النواظر تلهبها واتقادها .

(٤) الوقار - بفتح الواو - الرزانة ، ويهاب : يخاف وتخشى سطواته . والنادى : المكان

٥١ إذَا اسْتَبَقَ القومُ طُرْقَ النَّجاءِ ... وزَمَّ الجبانُ قَعُودَ الْهَرَبْ (١)

٥٢ رَأَيتَهُمُ فى ظلالِ القَنَا ... وقَدْ ضاقَ لِلكَرْبِ عقْدُ اللَّبَبْ (٢)

٥٣ قَدِ امْتَنَعُوا بحُصُونِ الدرُو ... عِ وَاسْتَعْصَمُوا بقِبَابِ الْيَلَبْ (٣)

٥٤ أولئِكَ قَوْمِى لم يُغْمَزُوا ... بِهُجْنَةِ أمٍّ وَلَا لُؤْمِ أبْ

٥٥ وَمَنْ قَالَ إن جماعَ الفَخَارِ ... لِغَيْرِ ذَوَائِبِ قَوْمِى كَذَبْ (٤)

***

يجتمع فيه الناس للتشاور ونحوه ، ويناب : يؤتى نوبة بعد نوبة ، يريد أن الناس قد اعتادوا أن يجيئوا هذا النادى للاستعانة بمن يجلس فيه ، ويراح : يؤتى إليه فى وقت الرواح ، ويغب : يطلب أحيانا ، يريد أن لهم وقارا يهابه الناس ، وأن لهم ناديا ينتابهم فيه من يلجأ إليهم ويستغيث بهم ، وأن لهم حلما يركن الناس إليه ، وأن لهم رأيا يعتمد عليه من التبست عليه الأمور وخفيت عنه وجوه الصواب فيها .

(١) استبق القوم طرق النجاء : تسابقوا إلى الهرب ، وأراد إذا اشتدت الحوادث فلم يجد الناس مفرا منها غير الهرب فهرعوا إليه . والقعود ـ بفتح القاف ـ هو من الإبل ما يقتعده الراعى فى كل حاجة ، وزمه : وضع فيه الخطام ليقوده منه ، وأراد بزم الجبان قعود الهرب تهيؤ الناس واستعدادهم للهرب من وجوه الحوادث .

(٢) ضاق للكرب عقد اللبب : هذه كناية يكنون بها عن الشدة وضيق المخرج منها . يقول : إن قومى لا يفرون ولا يطلبون النجاء من الشدائد ، ولكنك تراهم عند اشتداد الكرب وفى الوقت الذى يبادر الناس فيه إلى الهرب ثابتين كالرواسى يتلقون الخطوب ويقابلونها بالصدور الرحبة .

(٣) امتنعوا : أراد حموا أنفسهم ، وإضافة حصون إلى الدروع من إضافة المشبه به إلى المشبه واستعصموا : جعلوه عصمة لهم يقيهم البأس والشدة ، واليلب ـ بفتح الياء واللام جميعا ـ الترس أو الدرع اليمانية تتخذ من جلد ، ووقع فى ب « واستعظموا » محرفا عما أثبتناه .

(٤) جماع الفخار : ما يجمع أنواعه كلها ، ووقع فى ب « جميع الفخار » والذوائب : جمع ذؤابة ، وذؤابة كل شىء : أعلاه ، ويعبرون عن أشراف القوم وذوى أقدارهم بالذوائب ، قال

٤٢ – وقال أيضاً [من الطويل] :

١ هَلِ الطَّرْفُ يُعْطَى نَظْرَةً مِنْ حَبِيبِهِ ... أوِ القلبُ يَلْقَى راحَةً من وَجِيبِهِ (١)

٢ وَهَل لِلَّيَالِي عَطْفَةٌ بعد نَفْرَةٍ ... تَعُودُ فَتُلْهِي نَاظِرًا عَنْ غُرُوبِهِ (٢)

٣ ولله أيامٌ عَفَوْنَ كما عَفَى ... ذَوائبُ مَيَّاسِ الْعَرَارِ رَطِيبِهِ (٣)

٤ أَحِنُّ إلى نَوْرِ الرُّبَى فِي بِطَاحِهِ ... وأَظْمَى إلى رَيَّا اللِّوَى فى هُبُوبِهِ (٤)

٥ وَذاكَ الحِمَى يَغْدُو عَلِيلًا نسيمُهُ ... ويُمْسِي صحيحًا ماؤُهُ فى قَلِيبِهِ (٥)

حسان بن ثابت :

إنَّ الذَّوائِبَ من فهر وإخوتهم ... قد بَيَّنُوا سُنَّةً للناسِ تُتَّبَعُ

(١) الطرف: أراد العين ، والوجيب – بفتح الواو – الخفقان والاضطراب ، وهما من أمارات العشق ، وانظر إلى قول ابن الفارض أو البهاء زهير:

لا تنكروا خَفَقانَ قَلْ ... بي والحبيبُ لَدَيَّ حاضِرْ

مَا القَلْبُ إلا دَارُهُ ... دُقَّتْ لَهُ فِيها البَشائِرْ

(٢) النفرة – بفتح النون – المرة من قولهم « نفرت الدابة نفورا » إذا جزعت من شيء وخافته فتباعدت عنه ، وغروب الناظر : بعد مطمحه ،

(٣) عفون : ذهبت آثارهن ولم يبق منها غير الذكريات ، وعفى : درس وذهب ، والعرار – بفتح العين ، بزنة السحاب – نبت طيب الريح ، و إضافة مياس إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وأصل المياس : الشديد التبختر ، وأراد أنه كان يهتز من نضارته ومائه .

(٤) النور – بفتح النون وسكون الواو – الزهر ، والربى : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض ، ووقع فى ه « أحن إلى نور اللوى » واللوى – بكسر اللام مقصورا – ماالتوى من الرمل ، والبطاح : جمع بطحاء ، وهى التراب اللين فى الوادى يكون مما جرته السيول ، والريا : الريح الطيبة .

(٥) يغدو عليلا : يكون عليلا فى وقت الغداة ، والقليب – بفتح القاف – البئر .

٦ حَبِيبٌ لقَلْبِى ظِلُّهُ فى هَجِيرِهِ ... إذَا مَا دَجَى أو شَمْسُه فى ضَرِيبِهِ (١)

٧ وعَهْدِى بذَاكَ الظَّبْىِ أيَّانَ زُرْتَه ... رَعَانِى وَلَمْ يَحْفِلْ بعَيْنَىْ رَقِيبِهِ (٢)

٨ وَحَكَّم ثَغْرِى فى إنَاءِ رُضَابِهِ ... وَأدْنَىْ جَوَادِى مِنْ إنَاءِ حَلِيبِهِ (٣)

٩ هُوَ الشوْقُ مَدْلُولًا على مَقْتَلِ الْفَتَى ... إذا لم يَعِدْ قَلْبًا بُلُقْيَا حَبِيبِهِ (٤)

١٠ تعيِّرُنِى تَلْوِيحَ وَجْهِى ، وَإنما ... غَضَارَتُه مَدْفُونَةٌ فى شُحُوبِهِ (٥)

١١ فَرُبَّ شقاءٍ قد نَعِمْنَا بمُرِّهِ ... ورُبَّ نعيمٍ قد شَقِينَا بِطِيبِهِ (٦)

١٢ ولَوْلَا بَوَاقِى نائباتٍ منَ الرَّدَى ... غَفَرْتُ لهذا الدَّهْرِ ماضى ذُنُوبِهِ

---

(١) وقع فى ب « حببت لقلبى » محرفا عما أثبتناه ، والهجير ـ بفتح الهاء ـ شدة الحر ، والضريب ـ بفتح الضاد ـ الصقيع والبرد والثلج . يقول : إنه يحب أن يجلس فى ظل هـذا الحمى فى الوقت الذى يشتد فيه الحر وتلتهب وقدة الشمس ، كما يطيب إليه أن يجلس فى شمس هذا الحمى فى الوقت الذى يشتد فيه البرد .

(٢) وقع فى ب « إبان زرته » بالباء الموحدة ، محرفا عما أثبتناه ، ووقع فى ه « أيان زرته دعانى » من الدعاء ، وما أثبتناه أحسن ، وأيان زرته : يريد فى أى مكان ، ورعانى : من الرعاية ، ولم يحفل : لم يكترث ولم يلق بالا ، والرقيب : المراقب من ذوى العداوة والشنآن .

(٣) « إناء رضابه » بمعنى فمه ، والرضاب ـ بضم الراء ـ ريق الفم ، وهى عبارة غثة باردة ، وأكثر منها غثاثة قوله « إناء حليبه » .

(٤) يعد : مضارع من الوعد ، واللقيا ـ بضم اللام وسكون القاف ـ اللقاء .

(٥) تلويح وجهى : تغيره ، وأصله قولهم « لوّحه السفر » إذا غيره وسفع وجهه . والغضارة ـ بفتح الغين المعجمة ـ هكذا وقع فى الأصول وهى كثرة المال والخصب بعد إقتار ، وأحسب أن أصل هذه الكلمة « نضارته » بالنون ، وهى الحسن وجمال الرواء ، والشحوب ـ بضم الشين ـ تغير اللون وذهاب رونقه .

(٦) مره ـ بضم الميم وتشديد الراء ـ مرارته ، وطيبه ـ بكسر الطاء ـ حسنه .

١٣ وإنى لِعِرْفَانِ الزمانِ وغَدْرِهِ أبيتُ وَمَالِى فِكْرَةٌ فى خُطُوبِهِ(١)

١٤ وأُصْبِحُ لا مُسْتَعْظِمًا لِعَظِيمِهِ بِقَلْبِى ولا مُسْتَعْجِبًا لِعَجِيبِهِ(٢)

١٥ يغمُّ الفتى ذِكْرُ المَشِيبِ ، وربَّما يُلَقَّى انقضاءَ العمرِ قبلَ مَشِيبِهِ(٣)

١٦ ويُنْسِيهِ بَدْءُ العَيْشِ ما فى عَقِيبِهِ وجَيْئَتُهُ تُبْدِى لنا عَنْ ذُهُوبِهِ(٤)

١٧ إلى كَمْ أُشَقُّ اللَّيلَ عَنْ كُلِّ مَهْمَهٍ وأَرْعَى طلوعَ النجمِ حَتَّى مَغِيبِهِ(٥)

---

(١) عرفان الزمان : معرفته واختبار حاليه ، وخطوبه : جمع خطب ، وأراد به النازلة من نوازله ، يقول : إن تجربتى للزمان وخبرتى به جعلتانى لا أفكر فيما ينزل بى من حوادثه ؛ لأننى أعلم يقينا أنه ما من شدة إلا يعقبها فرج .

(٢) يريد أنه ترك الدهر وأحداثه دبر أذنه فلم يعد يفكر فيه ، ولم يعد يرى شيئا مما يأتى به بالعين التى ترى خطير خطوبه خطيرا أو عجيب أحداثه عجيبا ، يصف أن شأن الدهر قد هان عنده فليأت بما أراد .

(٣) يقول : إن الإنسان عند ما يتذكر الشيب وما يجىء معه من الآلام والمتاعب يأخذه الحزن ويعتريه الهم ، ولو أنه قدر أن نزول المشيب به خير من أن تخترم حياته وينقضى عمره قبل المشيب لصبر على آلام المشيب ولم يعبأ بها .

(٤) بدء العيش : أوله ، وعقيبه : أراد به أواخره التى تعقب أوائله . وجيئته : مجيئه . يقول : إن الإنسان عند ما يكون فى أوائل حياته واقتبال سنه ينسى ما يكون بعد ذلك عند ما تتقدم به السن ، ولو أنه فكر قليلا لأدرك أن مجىء الزمان يدل على ذهابه ، فإنه ما جاء به إلا بعد أن ذهب بآخرين .

(٥) المهمه : المفازة والصحراء البعيدة الأطراف ، وكأنهم سموها بذلك لأنهم قدروا أن سالكها يقول لمن معه : مه مه ، يريد اكفف عن حديثك حتى لا تشغلنى عن النظر فيما يتطلبه السير فى هذا المكان من اليقظة والانتباه ، وأرعى : ألاحظ وأترقب وأنظر ، يريد أنها موحشة فإذا غاب عنه النجم فيها أخذته اللهفة وترقب طلوعه ثانية ليأنس به ، يصف أنه دائم التسيار لا يمل الأسفار .

١٨ أخطُّ بأطْرَافِ القَنَا كلَّ بَلْدَةٍ ... وأملى جَلابيبَ المَلَا مِنْ نُدُوبِهِ(١)

١٩ وكُنْتُ إذَا خَوَّى نَجيبٌ تركْتُهُ ... أسِيرَ عِقَالٍ مُؤْلِمٍ من لُغُوبِهِ(٢)

٢٠ رَجَاءَ لعزٍّ أقْتَنِيهِ وحَالَةٍ ... تَزِيدُ عَدُوِّى مِنْ غَوَاشِى كُرُوبِهِ(٣)

٢١ وَبَزْلَاءَ مِنْ جُنْدِ اللَّيَالِى لَقِيتُهَا ... بقلبٍ بعيدِ العَزْمِ فيها قَرِيبِهِ(٤)

٢٢ نَصَبْتُ لها وَجْهِى ولَيْسَ كعَاجِزٍ ... يُوَقِّيهِ حَرَّ الطَّعْنِ مَنْ يَتَّقِى بِهِ(٥)

٢٣ وخَيْلٍ كأمْثَالِ القَنَا تَحمِلُ القَنَا ... عَلَى كُلِّ عُنْقٍ عاقِدٍ مِنْ سَبِيبِهِ(٦)

٢٤ حَمَلْتُ عليها كلَّ طَعَّانِ سُرْبَةٍ ... كما نَهَزَ السَّاقِى بِجَنْبَىْ قَلِيبِهِ(٧)

---

(١) أملى : أوسع وأطيل ، من قولهم « أملى فلان البعير » و « أملى فلان للبعير » إذا وسع له فى قيده . والجلابيب : جمع جلباب ، وهو الثوب الواسع ، والملا : الصحراء ، والندوب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح .

(٢) تقول « خوى البعير تخوية » إذا جافى بطنه عن الأرض فى بروكه ، قيل له ذلك لأنه حينئذ يصير مابين بطنه والأرض خواء خاليا ، والعقال ـ بكسر العين ، بزنة الكتاب ـ مايربط به البعير ويقاد به ، واللغوب : أشد التعب والإعياء ، يريد أنه لايفتر عن السفر ، وأنه كلما تعب بعير مما يرتحله فى أسفاره يتركه مقيدا ويرتحل غيره .

(٣) أقتنيه : أصل معناه أجعله لى قنية ، وأراد أحصله وأصل إليه ، والغواشى : جمع غاشية وهى الداهية والنائبة ، وسميت القيامة غاشية لأنها تغطى عقول الناس بما يكون معها من فزع وخوف ، والكروب : جمع كرب ، وهو الهم الذى يشق على صاحبه ويشتد عليه احتماله .

(٤) البزلاء ههنا : الداهية العظيمة والشدة .

(٥) يوقيه : يكون له وقاية ، وحر الطعن : أراد الطعن الحار الشديد ، ووقع فى ه « يوقيه حتى الطعن » محرفا .

(٦) تشبيه الخيل بالقنا مشهور متعارف ، وقد قدمنا طرفا منه ، والسبيب للفرس ـ بفتح السين المهملة ـ شعر الذنب والعرف والناصية .

(٧) السربة ـ بضم السين وسكون الراء ـ تحتمل معنيين : أحدهما أن يكون المراد بها الجماعة

٢٥ قضى وَطَرَ العَلْياءِ مَنْ رَكِبَ القَنَا ... وأَوْلَغَ بيضًا مِنْ دَمٍ فى صَبِيبِهِ (١)

٢٦ وكَمْ قعدة مِنِّى أَقَمْتُ بِبَأْسِها ... إِلَى الطَّعْنِ مِيَّادَ القَنَا فِى كُعُوبِهِ (٢)

٢٧ وَلَمَّا رَكِبْتُ الْهَوْلَ لَمْ أَرْضَ دُونَهُ ... وَمَنْ رَكِبَ اللَّيْثَ اعْتَلَى عَنْ نَجِيبِهِ (٣)

٢٨ تُرِيحُ علينا ثُلَّةَ المجدِ شُزَّبٌ ... تُغَالِى، وَأَبْدٍ مِنْ قَنًا فِى صَلِيبِهِ (٤)

من العسكر ، يريد أن الواحد ممن حملهم على هذه الخيل يقوم بحرب جماعة ، وثانيهما أن يكون المراد بها الشعر الذى يكون فى وسط الصدر إلى البطن ، يريد أن الذين حملهم على هذه الخيل لا يختلون ولا يقتلون أعداءهم غيلة وإنما يطعنونهم فى صدورهم ، والمقصود على كل حال وصف أصحابه بالشجاعة الفائقة ، وتقول « نهز الساقى بالدلو فى البئر » إذا ضرب بها فى الماء لتمتلئ ، والقليب ـ بفتح القاف ـ البئر ، شبه طعن هؤلاء الذين حملهم معه بضرب الساقى دلوه فى البئر لتخرج ممتلئة ، أى تؤدى الغرض منها على أكمل وجه ، يريد أنهم إذا طعنوا خصمهم فتكوا به

(١) الوطر فى الأصل الحاجة ، ووطر العلياء ههنا ما تتطلبه من تضحيات وارتكاب مخاطر ، والصبيب ـ بفتح الصاد ـ أراد به الدم المنسكب .

(٢) وقع فى ه « وكم عقدة » وقوله « أقمت ببأسها » أراد به قومت وعدلت بشدتها ، والمياد : مبالغة المائد ، وهو الشديد الاضطراب والحركة ، والكعوب جمع كعب ، وهو ما بين كل عقدتين من القصب والرمح .

(٣) الهول ـ بفتح فسكون ـ هو الأمر المخوف الذى لا تدرى ما يهجم عليك منه ، وأراد بما دونه ما هو أدنى منه وأقل شأنا ، والليث : الأسد ، والنجيب : الأصيل من الإبل ، يقول : إنه تعود ركوب الأهوال والمخاطر حتى صار لا يرضى أن يسلك الطرق السهلة الآمنة ، وضرب لذلك مثلا من تعود ركوب السبع لا يرضى ركوب الإبل .

(٤) تريح علينا ثلة المجد : تردها إلينا وتعيدها لنا ، وأصل الثلة ـ بفتح الثاء ـ الصوف ، وقالوا « كساء جيد الثلة » يريدون أنه جيد الصوف ، والشزب ـ بضم الشين وتشديد الزاى مفتوحة ـ جمع شازب ، وهو من الرجال الضامر اليابس ، وأراد بقوله « تغالى » أنهم يدفعون ثمن المجد الذى يطلبونه غاليا ، والصليب ـ بفتح الصاد ـ الشديد .

٢٩ وأبْيَضَ مِنْ عَلْيَا مَعَدٍّ بَنَانُهُ ... مُقَاوِمُ رَيَّانِ الْغِرَارِ خَصِيبِهِ (١)

٣٠ أَخَفَّ إلى يَوْمِ الْوَغَى مِنْ سِنَانِهِ ... وأَمْضَى عَلَى هَامِ الْعِدَى مِنْ قَضِيبِهِ (٢)

٣١ هَلِ السيفُ إلّا مُنْتَضًى مِنْ لِحَاظِهِ ... أوِ الْبَدْرُ إلا طالِعٌ مِنْ جُيُوبِهِ (٣)

٣٢ إذَا سُئِلَ انْهَالَ النَّدَى مِنْ بَنَانِهِ ... كما انْهَالَ أذْيَالُ النقَا مِنْ كَثِيبِهِ (٤)

٣٣ جَوَادٌ إذَا مَا مَزَّقَ الذَّوْدَ عَضْبُهُ ... أذَاعَ النَّدَى مِنْ جُرْدِهِ بَعْدَ نِيبِهِ (٥)

٣٤ يَسِيرُ أمامَ النَّجْمِ عِنْدَ طُلُوعِهِ ... وَيَهْوِي أمامَ النَّجْمِ عِنْدَ غُرُوبِهِ (٦)

---

(١) البنان : أطراف الأصابع، والريان : المرتوى من الشجر ، وغراره : جانبه ، يريد أنه من أبناء اليسار الناعمة أبدانهم، ومن الذين لم تتعود أيديهم العمل فتجف وتيبس .

(٢) السنان ـ بكسر السين ، بزنة الكتاب ـ نصل الرمح ، والقضيب ـ بفتح القاف، بزنة السرير ـ السيف .

(٣) وقع فى ه « هو السيف إلا منتضى » وهو تحريف ماأثبتناه موافقاً لما فى ب،وتقول: انتضى فلان سيفه ، إذا جرّده من غمده. والجيوب : جمع جيب ، وهوطوق القميص ونحوه،وورد فى الكتاب الكريم « أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء » شبه لحظ المعدى الذى يصفه بالسيف، وشبهه بالبدر فى حسنه وتلألئه.

(٤) الندى : أراد به العطاء ، والنقا : القطعة من الرمل تنقاد محدودبة ، والكثيب : تل الرمل .

(٥) الذود ـ بفتح فسكون ـ من الإبل مابين الثلاثة إلى العشرة ، والعضب ـ بفتح العين وسكون الضاد ـ السيف القاطع ، وأذاع : نشر وفرق . والندى : الجود والكرم، والجرد ـ بضم فسكون ـ جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر الرقيقه . والنيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة. يقول : إن هذا المعدى الموصوف جواد بالغ الغاية فى الجود ، فلو أن سيفه أتى على إبله كلها فلم يبق منها ما يقدمه لأضيافه لأنحى به على خيله يقطعها لهم . والعرب كانت تأكل الخيل عند الحاجة والشريعة الإسلامية الغراء أقرت ذلك .

(٦) وقع فى ه « ويهوى وراء النجم » .

٣٥ رَضِيتُ بِهِ فِي صَدْرِ يَوْمٍ عَجَاجَةٍ ... عَلَى شَمْسِهِ عَارِيَّةً مِنْ سُهُوبِهِ (١)

٣٦ مَضَى يَحْرُسُ الْأَقْرَانَ بِالطَّعْنِ فِي الطُّلَى ... وَقَدْ لَجَّ نَعَّابُ الْفَنَا فِي نَعِيبِهِ (٢)

٣٧ أَنَا ابْنُ نَبِيِّ اللهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ ... فَخَارٌ عَلَا عَنْ نِدِّهِ وَضَرِيبِهِ (٣)

٣٨ تَأَدَّبَ مِنِّي رَائِعُ الْخَطْبِ بَعْدَ مَا ... تَجَلَّى سَفِيهُ الْجِدِّ لِي عَنْ أَدِيبِهِ

٣٩ فَوَاللهِ لَا أُلْقِي الزَّمَانَ بِذِلَّةٍ ... وَلَوْ حَطَّ فِي فَوْدَيَّ أَمْضَى غُرُوبِهِ (٤)

٤٠ قَنِعْتُ فَعِنْدِي كُلُّ مُلْكٍ نُزُولُهُ ... عَنِ الْعِزِّ وَالْعَلْيَاءِ مِثْلُ رُكُوبِهِ (٥)

٤١ وَمَا أَسَفِي إِلَّا عَلَى مَا جَلَوْتُهُ ... عَلَى سَمْعِ مَنْزُورِ النَّوَالِ نَضُوبِهِ (٦)

---

(١) السهوب : جمع سهب ـ بضم السين وسكون الهاء ـ وهو المستوى البعيد من الأرض فى سهولة، ووقع فى ه « شهوبه » بالشين المعجمة .

(٢) الطلى : جمع طلية ، وهى العنق . والفنا : الموت ، ووقع فى ب «القنا» بالقاف، وأعتقد أنه محرف عما أثبتناه . وأصل النعيب صوت الغراب ، وهو عند العرب نذير الفراق .

(٣) علا : زاد وفاق ، ونده ـ بكسر النون ـ الشريك ، والضريب ـ بفتح الضاد ـ الشبيه والمثيل ، يقول : إن فخاره بانتسابه إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه وإلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه لايساميه فى رفعته وعلو قدره فخار آخر ، إذ ليس له شريك فى منزلته العالية ولا شبيه أو مثيل .

(٤) الفودان : تثنية فود ـ بفتح الفاء وسكون الواو ـ وهو الناحية من الرأس ، وأمضى: أفعل تفضيل من المضاء وهو هنا النفاذ فى الضريبة ، والغروب : جمع غرب ـ بفتح فسكون ـ وهو حد السيف . يقول : إنه لايذل للزمان ولا يخضع مهما جرّ عليه من بلاء ومحن .

(٥) قنعت : رضيت بما نلته ، ووقع فى ه « وقفت » يقول : لقد اكتفيت من دهرى بما حصلت عليه، فلست أتزلف أحداً أو أنافقه، وليس عندى فرق بين أن يتولى أحد الملك أو ينزل عنه ، لأنى أعامله فى الحالين معاملة واحدة .

(٦) « ما جلوته » أراد به الكلام الذى زفه إليه كما تزف العروس . ومنزور النوال : قليل العطاء ، والنضوب ـ بفتح النون ـ مبالغة من « نضب الماء » إذا غار فى الأرض ولم يبق على

٤٢ إذا ما رآنى قطَّعَ اللَّحْظَ طَرْفُهُ ... وَعَنْوَنَ لى إطْرَاقُهُ عَنْ قُطُوبِهِ (١)

٤٣ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدِى نَصِيبًا لِبِشْرِهِ ... جَعَلْتُ ضُرُوبَ الذَّمِّ أَدْنَى نَصِيبِهِ (٢)

٤٤ وَلَوْ أَنَّ عَضْبِى مُمْكِنٌ مَاذَمَمْتُهُ ... وَكَانَ مَكَانَ الذَّمِّ رَدْعُ جُيُوبِهِ (٣)

٤٥ وإنَّ عَنَاءَ النَّاظِرَيْنِ كِلَيْهِمَا ... إذَا طَمِعَا مِنْ بَارِقٍ فى خُلُوبِهِ (٤)

٤٦ أُعَابُ بِشِعْرِى وَالَّذى أنا قَائِلٌ ... يُقَلْقِلُ جَنْبَىْ عَائِبٍ عَنْ مَعِيبِهِ

٤٧ وكلُّ فَتًى يَرْنُو إلى عَيْبِ غَيْرِهِ ... سَرِيعًا وَتَعْمَى عَيْنُهُ عَنْ عُيُوبِهِ (٥)

وجهها . يقول : إنه ليس آسفاً على شىء صنعه إلا على أنه مدح من لا يستحق المدح فجلا على سمعه كلاما تبين له فيما بعد أنه ليس أهلا له .

(١) قطوبه : تكشير وجهه، يقول : إن هذا المنزور العطاء يلحظنى شزرا، وكلما رآنى أطرق فيحدثنى إطراقه عن تقطيبه .

(٢) البشر : طلاقة الوجه ، وضروب الذم : أنواعه . وأدنى : أقل ، ووقع فى ه « أدنى قضيبه » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب ، يقول : إن الذى لا يكافئنى على مدحى إياه بطلاقة الوجه أذمه بجميع أنواع الذم ، وذلك عندى أقل ما يستحقه .

(٣) العضب : السيف القاطع . والردع : يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون مصدر قولك « ردع فلان جيبه » إذا فرجه ، ويكون المعنى المراد على هذا فرجت جيبه عن صدره ، والثانى أن يكون مصدر قولك « ردعت الشىء بالشىء » إذا لطخته به ، ويكون المعنى المراد على هذا لطخت جيبه بالدماء التى تسيل من هامته وعنقه ، والمراد على كل حال أنه لو كان استعمال السيف ممكنا مع هذا الذى يتحدث عنه لقتله .

(٤) العناء ـ بفتح العين ـ التعب والجهد والمشقة . والناظرين : العينين . والبارق : أراد به البرق . والخلوب : الخادع الذى تظن وراءه مطرا وليس فيه مطر . يقول : إن أشق الجهد لعينيك أن يرمقا من جملة ظواهره وحسن رواؤه وحينئذ يطمعان فى أن يكون وراء هذا الرواء مطمع ، ثم لا يكون لهما إلا عناء النظر وتعبه .

(٥) يرنو : ينظر ، يريد أنه ما من إنسان إلا وهو يرى ما فى غيره من نقائص وعيوب ، ولكنه يغفل عن عيب نفسه ولا يلتفت إلى ما فيها من هنات ونقص .

٤٨ وَمَا قَوْلِيَ الأَشْعَارَ إِلَّا ذَرِيعَةٌ ... إِلَى أَمَلٍ قَدْ آنَ قَوْدُ جَنِيبِهِ (١)

٤٩ وَإِنِّي إِذَا مَا بَلَّغَ اللهُ مُنْيَتِي ... ضَمِنْتُ لَهُ هَجْرَ الْقَرِيضِ وَحُوبِهِ (٢)

٥٠ فَهَلْ عَابِنِي قَوْلٌ عَقَدْتُ بِفَضْلِهِ ... فَخَارِي وَحَصَّنْتُ الْعُلَى بِضُرُوبِهِ (٣)

٥١ سَأَتْرُكُ هٰذَا الدَّهْرَ يَرْغُو رُغَاؤُهُ ... وَتَصْرِفُ مِنْ غَيْظِي بِوَادِي نُدُوبِهِ (٤)

٥٢ وَأَجْعَلُ عَضْبِي دُونَ وَجْهِي وِقَايَةً ... لِيَأْمَنَ عِنْدِي مَاؤُهُ مِنْ نُضُوبِهِ (٥)

***

---

(١) الذريعة ـ بفتح الذال ـ الوسيلة والوصلة إلى الشيء ، وآن : قرب وحان ، وقود : مصدر قاد الجمل ونحوه يقوده ، والجنيب : الذى تجنبه من الرواحل إلى راحلتك ، وتقوده إلى جوارها من غير أن يركبها أحد .

(٢) المنية ـ بضم الميم وسكون النون ـ الأمنية التى يتمناها الإنسان ، والقريض: الشعر ، والحوب ـ بضم الحاء المهملة ـ الإثم ، ووقع فى ه « هجن القريض » .

(٣) وقع فى ب « فهل عائبى قول » ووقع فى ه « وحصلت العلى » وحصنت : جعلتها حصينة لا تصل إليها الأطماع ، وضروب الشيء : أنواعه ، واحدها ضرب .

(٤) يرغو : يصوت ، وأسند الفعل إلى مصدره كقولهم « جد جده » وحقيقة الإسناد أن تكون إلى ضمير الدهر ، وتصرف : مضارع قولهم «صرف البعير بنابه» و «صرف ناب البعير» إذا ضرب بأحدهما على الآخر فسمعت له صوتا ، والبوادى : جمع باد ، ومعناه هنا ظاهر ، ونيوب : جمع ناب .

(٥) عضبى : سيفى القاطع ، وماء الوجه : رونقه وبهاؤه ، ونضوبه : غؤوره وذهابه، وأصله فى الماء يذهب فى الأرض ، وفى الكتاب العزيز « قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا » أى غائرا. يقول : إنه سيجعل سيفه وقتاله وقاية وحفظا لوجهه أن يبتذل بالطلب من غيره ، يريد أنه سيبلغ آماله بشجاعته وقوة أسره ، لا بأن يتوجه بها إلى فلان وفلان فيجبهوه أو يروا لهم عليه أيادى من بر ومعروف لا يحب أن تكون لهم .

٤٣ — وقال يُعَزِّى بهاء الدولة عن ولده أبى منصور [بُوَيْه] وتوفى فى شهر شعبان من سنة ثمان وتسعين وثلثمائة [من المنسرح] :

١ كانَ قَضاءُ الإلهِ مَكْتُوبَا ... لَوْلَاكَ كانَ العَزَاءُ مَغْلُوبَا

٢ مَا بَقِيَتْ كَفُّكَ الصَّنَاعُ لَنَا ... فَكُلُّ كَسْرٍ يَكُونُ مَرْؤُبَا(١)

٣ مَا احْتَسَبَ المرءُ قَدْ يَهُونُ، وَمَا ... أَوْجَعَ مَا لَا يَكُونُ مَحْسُوبَا!(٢)

٤ نَهْضاً بِها صَابِرًا فأَنْتَ لَهَا ... والثقل لَا يُعْجِزُ المصَاعِيبَا(٣)

٥ فقد أَرَتْكَ الْأُسَى وَإِنْ قَدُمَتْ ... عَنْ يُوسُفٍ كَيْفَ صَبْرُ يَعْقُوبَا(٤)

---

(١) « ما » فى قوله « مابقيت » مصدرية ظرفية ، تفسر بالمدة مضافة إلى مصدر الفعل الذى دخلت عليه ، والصناع ـ بفتح الصادوالنون جميعا ـ الماهرة فى العمل ، ووقع فى ب « كفك الضياع » محرفا عما أثبتناه ، ومرءوب : اسم المفعول من قولهم « رأب فلان الصدع والكسر » إذا جبره وأصلح فاسده ، يقول : كل كسر يمكن جبره وكل فاسد يمكن إصلاحه مدة بقائك ، يريد إذا سلمت أنت لنا من أحداث الدهر فكل الناس قد سلموا ، وإذا بقيت فما علينا بمن ذهب .

(٢) « ما » فى أول البيت موصولة ، واحتسب : معناه نوى به وجه الله ، ويهون : يخف وقعه ، و « ما » فى قوله « ما أوجع » تعجبية . يقول : إن كل بلاء ينزل بالإنسان إذا احتسبه عند ربه وصبر عليه هان وقعه وانجبرت مصيبته ، ثم يقول : ما أشد الفجيعة وما أصعب حملها فيما لا يحتسبه الإنسان عند ربه ولا يترك إليه جزاءه عليه .

(٣) نهضا : مصدر يقع مفعولا مطلقا لفعل محذوف : أى انهض بهذا الخطب نهضا ، يريد احمله ولا تضجر به ، ووقع فى ه « نهضنا » محرفا . والمصاعيب : جمع مصعب ، وهو الفحل من الإبل الكريم على أهله الذى يعفونه من العمل . يقول : احتمل مانزل بك من المكروه فإنك أهل لاحتماله ولا تضجر بحمله .

(٤) الأسى : جمع أسوة ـ بضم الهمزة فيهما ـ وهى القدوة ، وفى التنزيل العزيز « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » ويعقوب : نبى الله ، وهو إسرائيل ، ويوسف : ابنه ، وصبر

٦ طَمِعْتَ يَا دَهْرُ أَنْ تُرَوِّعَهُ ظَنًّا عَلَى الرغْمِ مِنْكَ مَكْذُوبَا(١)

٧ مَا يُؤْمِنُ المرءَ بَعْدَ مَسْمَعِهِ قَرْعَ اللياَلِي له الظَّنَابِيبَا(٢)

٨ تنذِرُ أَحْدَاثُهَا وَيَأْمَنُهَا مَا آنَ أَنْ يَسْتَرِيبَ مَنْ رِيبَا(٣)

٩ شَلَّ بَنَانُ الزَّمانِ ! كَيْفَ رَمَى مُسَوَّمًا للسِّبَاقِ مَجْنُوبَا؟(٤)

يعقوب على فقدان ابنه يوسف مضرب الأمثال فى الجلادة والاحتمال ، يقول : إن لك فى يعقوب أسوة حسنة ولو أن عهدها قد تقادم .

(١) تروعه : تفزعه وتخيفه ، وظنا : مفعول مطلق لفعل محذوف ، أى ظننت ظنا مكذوبا حين ظننت أنك تخيفه بهذا الحادث ، ووقع فى ه « ظنا على الرغم منك منصوبا » محرفا .

(٢) مايؤمن المرء : يريد أى شىء يجعل المرء آمنا بعد أن سمع بهذا الحادث . والظنابيب : جمع ظنبوب ، وهو فى الأصل حرف الساق من قدم ، أو عظمه اليابس من قدم ، وقالوا « قرع فلان لهذا الأمر ظنبوبه » إذا جد فيه ولم يفتر ، وقال الشاعر :

إنا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِع كانَ الصُّرَاخَ لَهُ قرعُ الظَّنَابِيبِ

يقول : أى شىء يؤمن الإنسان الذى سمع بوقع هذا الحادث أن تنزل به الأحداث وأن تجتهد الأيام فى النيل منه .

(٣) تنذر : تخوف ، والأحداث : جمع حدث ـ بفتح الحاء والدال جميعا ـ وهو النازلة من نوازل الدهر ، وآن : حان وقرب ، ويسترب : يأخذه الشك فى أمر الليالى ، وريب : ماضى مبنى للمجهول أصله « رابنى الأمر يريبنى » أى أوقعنى فى الشك والريبة ، وأراد بمن ريب الذى وقع به ريب الدهر .

(٤) شل بنان الزمان ـ بفتح الشين مبنيا للمعلوم ، لأنه فعل لازم ـ دعاء عليه بالشلل ، وهو أن يفقد القدرة على الحركة ، والمسوم : اسم المفعول من سومت الفرس ونحوه ـ بتشديد الواو ـ إذا جعلت له علامة يعرف بها ، وإنما يصنعون ذلك بكرائم الجياد ، والسباق ـ بكسر السين ـ المسابقة ، ومجنوبا : مقودا ، يدعو على الزمان بأن تصاب يده بالعجز عن الحركة لأنه رمى بها من كان موضع الآمال ومن كان يذخر ليوم الحاجة ، ووقع فى ه « مثل ندان الزمان كيف وما » محرفا .

١٠ طِرْفَ رِهَانٍ نَمَاهُ ذُو غُرَرٍ نَالَ طَلُوباً وَفَاتَ مَطْلُوبَا(١)
١١ كَانَ هِلَالَ الكَمَالِ مُنْتَظَرًا وَكَانَ نَوْءَ الْعَلَاءِ مَرْقُوبَا(٢)
١٢ وَأَعْجَمِيّ الْأُصُولِ تَنْصُرُهُ بَدَاهَةٌ تَفْضَحُ الأعارِيبَا
١٣ مَدَّتْ إِلَيْهِ الظُّبا قَوَائِمَهَا تُعْجِلُهُ ضَارِباً ومَضْرُوبَا
١٤ مُرَشَّحًا لِلجِيَادِ يُطْلِعُهَا عَلَى الْعِدَى ضُمَّراً سَرَاحِيبَا(٣)
١٥ وَلِلْمَبَاتِير فِي وَغًى وقِرًى يُولِغُهَا الْهَامَ وَالْعَرَاقِيبَا(٤)

---

(١) الطرف ـ بكسر الطاء وسكون الراء ـ الكريم الأبوين من الناس ، والكريم من الخيل أيضا ، ونماه : عزاه إلى نفسه ، والغرر ـ بضم ففتح ـ جمع غرة ، وهى بياض يكون فى جبهة الفرس ، وذلك مما تمدح به الخيل ، ووقع فى ب « رماه ذو غرر » فتقرأ بفتح الغين والراء جميعا ، وما أثبتناه موافقا لما فى ه أحسن . وطلوبا : أى طالبا لغيره ، يريد أنه إذا كان يطلب غيره أدركه ولم يفلته ، وإذا كان غيره يطلبه يفوته ويعجزه ، وصفه بأنه أسرع من كل من عداه .

(٢) النوء ـ بفتح النون وسكون الواو ـ فى الأصل النجم حين يميل إلى الغروب ، والعرب تنسب الحوادث إلى الأنواء ، فتقول : مطرنا بنوء كذا ، وقد لمح فى هذا البيت قول أبى تمام :

مجد تأوَّبَ طارِقًا حتى إذا قُلْنَا أقام الدهْرَ أصبح راحلا
نَجْمَانِ شاء الله ألاَّ يَطْلُعَا إلا ارتدَادَ الطَّرْفِ حتى يأفلا
لَهْفِى على تلك الشَّوَاهِدِ فيهما لو أُمْهِلَتْ حتى تكون شمائلا
إن الهلال إذا رأيْتَ نموَّهُ أيْقَنْتَ أن سَيصيرُ بَدْراً كاملا

(٣) الضمر ـ بضم الضاد وتشديد الميم مفتوحة ـ جمع ضامر ، وهو الهضيم الذى لحق بطنه بظهره ، والسراحيب : جمع سرحوب ، وهو العتيق الخفيف اللحم ، وهذان الوصفان من ممادح الخيل عند العرب .

(٤) المباتير: جمع مبتار ، وهو السيف القاطع ، والوغى: الحرب ، والقرى ـ بكسر القاف ـ مايقدم للضيف من الألطاف ، والهام : جمع هامة ، وهى هنا الرأس . والعراقيب : جمع عرقوب

١٦ ذَوَى كما يَذْبُلُ القضيبُ، وَكَمْ مَأمولِ قَوْمٍ يَصِيرُ مَنْدُوبَا(١)

١٧ صَبْرًا فَرَاعِي البِهَامِ إِنْ كَثُرَتْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُحَاذِرَ الذِّيبَا(٢)

١٨ وَإِنَّ دُنْيَا الفَتَى إِذَا نُظِرَتْ خَمِيلَةٌ تُنْبِتُ الأَعَاجِيبَا(٣)

١٩ نُسِيغُ أَحْدَاثَهَا عَلَى مَضَضٍ مَا جَدَحَ الدهْرُ كَانَ مَشْرُوبَا(٤)

٢٠ إِذَا السِّنَانُ الطَّرِيرُ دَامَ لَنَا فَدَعْهُ يَسْتَبْدِلُ الأَنَابِيبَا(٥)

وأراد به القوائم (الأرجل) . والهام يرجع إلى الوغى ، والعراقيب يرجع إلى القرى ، يريد أنه يعمل سيفه وقت الحرب فى رقاب الأعداء ، و يعمله حين يريد أن يقرى ضيفانه فى عراقيب الإبل وكان من عادة العرب أن يعرقبوا إبلهم حين يريدون نحرها لئلا تهرب ، قال :

وإن تَعْتَذِرْ بالمحل مِن ذى ضُروعِها إلى الضَّيف يَجْرَحْ فى عراقيبها نَصْلِى

(١) ذوى : ذبل وجف . والقضيب ههنا : الغصن ، ومندوبا : اسم المفعول من « ندب الميت » إذا بكاه وذكر محاسنه .

(٢) البهام ـ بكسر الباء ـ جمع بهمة ـ بفتح فسكون ـ وهى الواحدة من ولد الضأن والمعز يقول : اصبر على ما نزل بك ، وضرب له مثلا أن من يرعى الغنم لابد من أن يقدر عند كثرتها أن الذئب سيعيث فيها ويأخذ بعضها .

(٣) الخميلة ـ بفتح الخاء ـ المنهبط من الأرض ، وهى أجود ما يكون للانبات ، شبه الدنيا بالخميلة، وجعل نباتها الذى يجود فيها الأعاجيب وهى ما يتعجب منه الإنسان ، وفى ب «و إن نظرت».

(٤) نسيغ : مضارع « ساغ فلان الشراب » إذا أمره فى حلقه من غير كراهة ولا تقزز ، والمضض ـ بفتح الميم والضاد جميعا ـ الألم والوجع من مصيبة ونحوها ، وجدح : أى خلط ، تقول : جدح فلان السويق ، إذا خلطه بماء ولته ، يقول : إنه لا يد لنا مع الدهر وما يرمينا به من أحداث، وإننا لنحتمل أحداثه ونصبر عليها كارهين، وضرب مثلا لهذا الاحتمال بأن ما يخلطه الدهر من دواء ونحوه فإنا نشربه مذعنين لمشيئته، إذ لا نستطيع دفعه عن أنفسنا .

(٥) السنان ـ بكسر السين ، بزنة الكتاب ـ طرف الرمح ، ويقال : سنان طرير، وسنان

٢١ وَهَلْ يَخونُ الطِّعانُ يَوْمَ وَغًى إنْ نَقَصَ السَّمْهَرِيُّ أنْبُوبا(١)

٢٢ مَاهَيْبَةُ السَّيْفِ بِالْغُمُودِ وَلَا أهْيَبَ مِنْ أنْ تَرَاهُ مَسْلُوبا(٢)

٢٣ وَالْبَدْرُ مَا ضَرَّهُ تَفَرُّدُهُ وَلَا خَبا نُورُهُ وَلا عِيبَا(٣)

٢٤ وما افْتِرَاقُ الشُّبُولِ عَنْ أسَدٍ بمانعٍ أن يَكُونَ مَرْهُوبا(٤)

٢٥ وَالْفَحْلُ إنْ وَافَقَتْ طَرُوقَتُه أبْدِلَ مِنْ مُنْجِبٍ مَناجِيبَا(٥)

مطرور ، ويراد أنه محدد ، والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو مابين كل عقدتين من الرمح، يقول: إذا بقيت أنت فإن من الهين أن تستبدل ولدا بولد ، وضرب السنان المحدد وأنابيبه مثلا لذلك.

(١) الطعان : الضرب فى الأعداء ، ويوم الوغى : يوم الحرب ، والسمهرى:الرمح، منسوب إلى سمهر ، يقول : لا يضر الفارس البطل فى يوم الحرب أن يكون رمحه قد نقص أنبوبا منه ، لأنه يطيله بإقدامه على عدوه وسرعة خطوه إليه ، وضرب هـذا مثلا لمثل ما فى البيت السابق ، ووقع فى ه « وهل يجوز الطعان يوم وغى » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب ، وعليه يفسد المعنى المقصود و ينقلب إلى ضده .

(٢) الغمود : جمع غمد ، وهو جراب السيف ، وأراد بقوله « مسلوبا » مسلولا من غمده مجردا منه . يقول : إن السيف لا يوقع الرعب فى قلوب الأعداء إذا كان فى غمده مهما يكن منظر الغمد ، وإنما يهابه الأعداء ويخافون سطوته إذا رأوه مجردا من غمده ، وضرب هـذا مثلا أيضا .

(٣) خبا : نقص ، يقول : إن بقاءك وحدك لاينقص من هيبتك ولا يضرك ، كما أن البدر لم ينقص من قدره أنه واحد، ولا كان انفراده سببا فى نقصان نوره، ولا عابه الناس بذلك.

(٤) الشبول : جمع شبل ـ بكسر فسكون ـ وهو ولد السبع ، ومرهوب : مخوف .

(٥) الفحل : الذكر من الإبل ومن كل حيوان ، والطروقة ـ بفتح الطاء ـ أراد به ههنا الأنثى ، والمنجب : الكريم ، وجمعه مناجب ومناجيب بإشباع الكسرة حتى تتولد عنها ياء، ووقع فى ه « أبدل من منجب أناجيبا » وضرب هذا الكلام مثلا ، يريد أن الله سيخلف عليه من الابن أبناء .

٢٦ وَالْعَنْبَرُ الْوَرْدُ إِنْ عَبِثْتَ بِهِ مُثَلَّمًا زَادَ عَرْفُهُ طِيبَا(١)

٢٧ يَطِيحُ مُسْتَصْغَرُ الشَّرَارِ عَنِ الـ ـزَّنْدِ وَيَبْقَى الضِّرَامُ مَشْبُوبَا(٢)

٢٨ مَحَّصَتِ النَّارُ كلَّ شائِبَةٍ وَزَادَ لَوْنُ النضارِ تَهْذِيبَا(٣)

٢٩ إِنْ زَالَ ظُفْرٌ فأنْتَ تُخْلَفُهُ واللَّيْثُ لَا يُخْلَفُ الْمَخَالِبَا(٤)

٣٠ بِقَدْرِ عِزِّ الْفَتَى رَزِيَّتُهُ مَنْ وَتَرَ الدَّهْرَ باتَ مَرْعُوبَا(٥)

---

(١) عبثت به : لعبت به ، ومثلما : اسم المفعول من « ثلمت الشيء » بتشديد اللام ـ أى كسرته ، والعرف ـ بفتح فسكون ـ طيب الرائحة ، يقول : إن العنبر إنما يطيب عرفه وتذكو رائحته عند ماتعبث به وهو مكسر محطم ، يريد أن الرجل العظيم لا تظهر عظمته إلا عند ماتنزل به الأحداث ، لأن العظيم يحتمل العظائم .

(٢) يطيح : يذهب ، ومستصغر الشرار : صغير الشرر الذى لايخاف ضرره ، والضرام ـ بكسر الضاد ، بزنة الكتاب ـ الاتقاد والاشتعال ، وتقول « شب فلان ناره » إذا أوقدها وألهبها .

(٣) محصت النار ـ بتشديد الحاء ـ يريد أنها صفت مايلقى فيها مما علق به . والنضار ـ بضم النون ـ الذهب . يقول : إن البلايا والمحن هى التى تبين أقدار الرجال ، كما أن النار هى التى تميز الخبيث من الطيب ممـا يلقى فيها ، وإن الذهب ـ حين يلقى فى النار ـ تذهب عنه الشوائب التى علقت به ويخرج هو منها خالصا نقيا .

(٤) المخاليب : جمع مخلب ـ بزنة منبر ـ وهو ما يفترس به السبع ، يقول : إن زال ظفر من أظفارك فإنه يعود إلى الظهور مرة أخرى ، فأما السبع فإنه إذا كسرت مخالبه لم تعد إليـه مرة ثانية .

(٥) وتر الدهر : قهره وغلبه ، يقول : إن عز الإنسان لاينال إلا بمغالبة الدهر واقتساره ، وعلى مقدار ما ينال المرء من عز ورفعة تكون غلبته للدهر ، فكلما كان أعز كان للدهر عنـده ترات وذحول ، ومن كان للدهر عنده ترات فإنه يبيت على وجل وخوف ، رهبة أن يأخذ بثأره منه ، ووقع فى ه « من وتر الدهر كان مرعوبا » وليس بذاك .

٣١ وَاللُّؤْلُؤُ الرَّطْبُ فى قلائِدِهِ مَا كانَ لَوْلَا الجَلَالُ مَثْقُوبا(١)

٣٢ إن كُنْتَ مُسْتَسْقِيًا لمضجَعِهِ مُجَلْجِلًا بالْقِطارِ أسْكُوبا(٢)

٣٣ فاسْتَسْقِ مُسْتَغْنِيًا بِهِ أبَدًا مِنْ قَطْرِ جَدْوَى أبيهِ شُؤْبُوبا(٣)

٣٤ وَمَا انْتِفاعُ النباتِ صَوَّحَهُ هيف الردَى أنْ يكونَ مَهْضوبا(٤)

٣٥ فاسْلَمْ مَلِيكَ المُلوكِ مَا بَقِيَ الـ ـدَّهْرُ مُبَقًّى لَنا وَمَوْهُوبا

٣٦ لَا خافَ أبناؤُكَ الَّذِينَ بَقُوا حَدًّا مِنَ النائباتِ مَذْرُوبا(٥)

---

(١) يريد أنه لولا الرغبة فى الأبهة والجلال لما ثقب اللؤلؤ واتخذ قلائد ، وقد وردت هذه العبارة فى ه « لولا الجلاء » وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(٢) مستسقيا : طالبا السقيا . ومضجعه : أراد قبره ، ووقع فى ب « لمنجعة » ، والمنجعة ـ بفتح الميم والجيم بينهما نون ساكنة ـ ومثله المنجع : الموضع يذهب إليه الناس فى طلب الماء والكلأ ، والمجلجل ـ بزنة اسم الفاعل ـ السحاب الذى يسمع له صوت، والقطار ـ بكسر القاف ـ جمع قطر ، وهو المطر ، والأسكوب ـ بضم الهمزة ـ المنسكب المنهمر .

(٣) الضمير فى « به » يعود إلى شؤبوب فى آخر البيت . والجدوى فى الأصل : المطر العظيم، ويراد به العطية ذات النفع ، والشؤبوب ـ بزنة عصفور ـ الدفعة من المطر ، يقول : إذا كنت ستطلب للمكان الذى يضطجع فيه هذا الميت ـ كما جرت العادة ـ السقيا بماء سحاب ذى صوت متتابع من أثر المطر المنهمر منه فلا تفعل ذلك، واطلب له شؤبوبا من جدوى أبيه، واستغن بذلك أبدا عن الذى جرت العادة بطلبه .

(٤) صوحه : أذبله وجففه ، تقول «صوح النبت» إذا يبس وجف من أعلاه . والهيف : أصله شدة العطش، والردى : الهلاك . والمهضوب : الممطور ، تقول «هضبت السماء» إذا أمطرت، وتقول « هضبت السماء القوم » إذا بلتهم بلا شديدا . يقول : إذا يبس النبات وجف فما يفيده أن ينزل المطر عليه .

(٥) مذروبا : محددا أو مسموما ، و « لا » فى أول البيت حرف دعاء .

٣٧ وَلَا تَرَى السُّوءَ فِيهِمُ أَبَداً حَتَّى يَكونُوا الدَّوَالِفَ الشِّيبَا(١)

٣٨ لا رَوَّعَتْ مَرْحَكَ المنونُ وَلا أَصْبَحَ سِرْبٌ حَمَيْتَ مَنْهُوبا(٢)

٣٩ لَا يَجِدِ الدَّهْرُ مَسْلَكاً أَبَداً وَلَا طَرِيقًا إِلَيْكَ مَلْحُوبا(٣)

٤٠ وَلَا رَأَيْنا الخطوبَ دَاخِلَةً رِوَاقَ مَجْدٍ عَلَيْكَ مَضْرُوبا(٤)

***

(١) الدوالف : جمع دالف ، وهو اسم الفاعل من «دلف الشيخ» إذا تقاصر خطوه ومشى مشى المقيد ، والشيب : جمع أشيب ، يدعو لأبنائه بأن تطول أعمارهم وينسأ لهم فى آجالهم حتى يبلغوا سن الكبر والشيخوخة .

(٢) روعت : أخافت وأفزعت . والسرح ـ بفتح السين وسكون الراء ـ المال السائم الذى يرعى من الإبل والغنم . والسرب ـ بكسر السين وسكون الراء ـ القطيع من الظباء ونحوها .

(٣) ملحوب : واضح يسهل السير فيه .

(٤) الرواق ـ بكسر الراء ـ بيت كالفسطاط (الخيمة) أو سقف فى مقدم البيت ، وكان من عادة الرؤساء والمقدمين أن تضرب عليهم الخيام والقبب والسرادقات والأروقة ، وهم يقولون « المجد فى رواق فلان » و « الكرم فى القبة المضروبة على فلان » و « الشجاعة بين بردى فلان » يريدون فى كل هذه العبارات نسبة ما يذكرون من الصفات إلى فلان الذى يذكرونه ، فاذا دعا ألا تدخل خطوب الزمان فسطاطه فهذه كناية عن أنه لا يناله خطب منها .

٤٤ – وقال يرثى الصاحب عميد[١] الجيوش أبا على [أستاذ هرمز[٢]] وتوفى ليلة الجمعة التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعمائة ، من شكية لحقته ، وتولّى هو الصلاة عليه ، وبلغ عمره تسعًا وأربعين سنة[٣] ، ودفن بمقابر قريش [من المتقارب] :

١ كَذَا يَهْجُمُ القَدَرُ الغالِبُ وَلَا يَمْنَعُ البابُ والحاجِبُ

٢ تَغَلْغَلَ يَصْدَعُ شَمْلَ العُلَى كما ذَعْذَعَ الإبِلَ الخارِبُ[٤]

---

(١) هو الصاحب عميد الجيوش أبو على الحسن بن جعفر، قيل: إنه ولد سنة خمسين وثلثمائة ، وكان أبوه جعفر من حجاب عضد الدولة ، وقد خدم أبو على عميد الجيوش صمصام الدولة بن عضد الدولة وخدم بهاء الدولة ، وولاه بهاء الدولة تدبير العراق فى سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ، والفتن يومئذ فى العراق كثيرة ، والدعار قد انتشروا ، فقدم العراق ، وفتك وقتل وأغرق خلقا كثيرا ، حتى أعاد هيبة الحكم ، وكان من صنيعه أن منع أهل الكرخ من النياحة يوم عاشوراء وتعليق المسوح ، ومنع أهل البصرة من زيارة قبر مصعب . وبلغ من هيبته فى نفوس الناس وخوفهم منه أنه أعطى بعض غلمانه صينية من الفضة عليها دنانير ، وقال له : خذها على رأسك وسر مع النجمى إلى المناصر الأعلى فان اعترضك معترض فأعطه إياها واعرف الموضع الذى أخذت منك فيه ، فجاءه الغلام وقد انتصف الليل وقال : قد مشيت البلد جميعه فلم يلقنى أحد . وكان – مع هذا – عدلا صالحا . وفيه يقول أبو الفرج الببغاء من قصيدة :

سَأَلْتُ زمانى بِمَنْ أَسْتَغِيثُ ؟ فقال اسْتَغِثْ بِعَمِيدِ الجُيُوش

وبقى عميد الجيوش واليا على العراق ثمانى سنين وسبعة أشهر وأحد عشر يوما ، وتوفى فى سنة إحدى وأربعمائة عن إحدى وخمسين سنة (وانظر – مع ذلك – المنتظم لابن الجوزى ٢٥٢/٧)

(٢) زيادة فى ه وحدها ، وقد ذكرها أيضا أبو الفرج بن الجوزى فى ترجمة عميد الجيوش (٢٥٢/٧) كما ذكر ما يؤيد أكثر العبارة المذكورة.

(٣) هكذا فى أصول الديوان مخالفا ماذكرناه فى ترجمته

(٤) تغلغل : دخل على تعب وشدة ، أو أسرع . ويصدع ، ههنا : يفرق ويشتت ، وشمل العلا : المجتمع منها ، وذعذع : بدد وفرق وشتت . والخارب: اللص ، أو سارق الإبل خاصة، ووقع فى ه « كما دغدغ الإبل الجادب » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب .

٣ وَقَدْ كانَ سَدَّ ثَنَايَا العَدُوِّ فَمِنْ أَيْنَ أَوْضَعَ ذَا الرَّاكِبُ ؟(١)

٤ وَهَابَتْ جَوَانِبَهُ النَّائِبَاتُ زَمَانًا وَقَدْ يُقْدِمُ الْهَائِبُ(٢)

٥ طَوَاكَ إِلَى غَيْرِكَ الْمُعْتَفِي وَجَاوَزَ أَبْوَابَكَ الرَّاغِبُ(٣)

٦ وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا مَرَامِي السِّهَا مِ يَحْفِزُهَا نَابِلٌ دَائِبُ(٤)

٧ نُسَرُّ إِذَا جَازَنَا طَائِشٌ وَنَجْزَعُ إِنْ مَسَّنَا صَائِبُ(٥)

٨ فَفِي يَوْمِنَا قَدَرٌ لَابِدٌ وَعِنْدَ غَدٍ قَدَرٌ وَاثِبُ(٦)

---

(١) الثنايا : جمع ثنية ، وهى الطريق ، وأوضع : سار مسرعا ، وأراد بالراكب هنا الموت يقول : لقد كان هذا المندوب أغلق الطرق التى يأتى منها الأعداء ، وحمى الديار أن يطرقها عدو ، فمن أين أقبل علينا هذا العدو الذى فجعنا فيه ؟

(٢) هابت : خافت . والنائبات : جمع نائبة ، وهى النازلة من نوازل الدهر ، ويقدم : مضارع أقدم بمعنى شجع واجترأ .

(٣) المعتفى : اسم الفاعل فعله اعتفى ، وتقول « اعتفى فلان فلانا » إذا طلب معروفه واستماح الرزق منه والفضل ، ووقع فى ه « وجاوز بوابك الراغب » يقول : إن طلاب المعروف والراغبين فى الفضل والرزق لم يعودوا يجيئونك كما كانوا يفعلون فى حياتك .

(٤) يحفزها : يسوقها ويدفعها نحونا ، والنابل : صاحب النبل ، والدائب : المجد الذى لا يفتر ولا يضعف ، ووقع فى ه « يحقرها » .

(٥) جازنا : تعدانا ولم يقع عندنا ، والطائش من السهام : الذى لا يصيب مرماه ، ونجزع : نخاف ، والصائب من السهام : ضد الطائش .

(٦) قدر لابد : أراد قدر مقيم ملازم لا يبرح ، أو محيط عام ، وقد قالوا « لبد فلان بالمكان » من باب نصر ـ إذا أقام به ، وقالوا « لبد القوم بالرجل » إذا لزموه وأحاطوا به ، ووقع فى ه « قدر لائذ » محرفا . وواثب : اسم الفاعل من « وثب يثب » مثل وعد يعد ـ إذا طفر وقفز ونهض ، أراد به القدر الذى لم يكن متوقعا .

٩ طَرَائِدُ تَطْلُبُهَا النَّائِبَاتُ وَلَا بُدَّ أَنْ يُدْرِكَ الطَّالِبُ(١)

١٠ أَرَى المرءَ يَفْعَلُ فِعْلَ الْحَدِيـ ـدِ وَهْوَ غَدًا حَمَأٌ لَازِبُ(٢)

١١ عَوَارِيُّ مِنْ سَلَبِ الْهَالِكِينَ يَمُدُّ يَدًا نَحْوَهَا السَّالِبُ(٣)

١٢ لَنَا بالرَّدَى مَوْعِدٌ صَادِقٌ وَنَيْلُ المُنى مَوْعِدٌ كَاذِبُ(٤)

١٣ نُصَبَّحُ بالكَأْسِ مَجْدُوحَةً وَلَا عِلْمَ لِي أَيُّنَا الشَّارِبُ(٥)

---

(١) طرائد : جمع طريدة ، وهى كل ما تطرده أمامك من صيد ونحوه ، أو ما يسرق من الإبل ونحوها .

(٢) الحمأ ـ بفتح الحاء والميم جميعا ـ الطين الأسود المنتن ، واللازب : الصلب اللازق بعضه ببعض ، يريد أن الإنسان فى هـذه الحياة الدنيا يغتر بقوته و بطشه فيعمل عمل من لايقدر أنه بعد قليل يصير ترابا .

(٣) عوارى : جمع عارية ، وهى كل ما أخذته من غيرك على أن تنتفع به ثم ترده ، والسلب ـ بفتح السين واللام جميعا ـ أصله ماتغنمه من قرنك فى القتال من أداته وسلاحه وثيابه ونحوها وقد لحظ فى هذا البيت قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفتْ له عن عَدُوٍّ فى ثياب صَدِيقِ

وَمَا الناسُ إلّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ وذو نَسَبٍ فى الهالِكِين عَرِيقِ

(٤) الردى : الهلاك ، يريد أن الموت لابد نازل بكل أحد ، فقد جرت به سنة الله فى خلقه وقد قال سبحانه لرسوله « إنك ميت و إنهم ميتون » وأما نيل الإنسان لأمانيه و إدراكه آماله فلم يجئنا به وعد ممن يصدق وعده فهو من الأمانى الخداعة والوعود الكاذبة التى يعد بها المرء نفسه ، ووقع فى ه « ونيل المنى واعد كاذب » وما أثبتناه موافق لما فى ه .

(٥) نصبح ـ بالبناء للمجهول ـ نؤتى بها فى وقت الصبح ، ومجدوحة : مخلوطة ، وعنى بالكأس الموت كما قال أمية بن أبى الصلت :

من لم يَمُتْ عَبْطَةً يمت هَرَمًا الموتُ كأسٌ والمرء ذائقها

١٤ حَبَائِلُ للدَّهْرِ مَبْثُوثَةٌ يُرَدُّ إلى جَذْبِهَا الْهَارِبُ(١)

١٥ وَكَيْفَ نُجَاوِزُ غَايَاتِنَا وَقَدْ بَلَغَ الْمَوْرِدَ القَارِبُ(٢)

١٦ لَقَدْ كَانَ رَأْيُكَ حَلَّ العِقَالِ إِذَا طَلَعَ المعضلُ الكَارِبُ(٣)

١٧ وَقَدْ كَانَ عِنْدَكَ فَرْجُ المضيقِ إِذَا عَضَّ بالْقُتَبِ الْغَارِبُ(٤)

---

(١) حبائل : جمع حبالة ، وهو ماينصبه الصياد ليصطاد به ، ومبثوثة : منتشرة ، يريد أنها كثيرة متعددة ، وقد أخذ هذه العبارة من قول لبيد :

ألا تسألان المرء ماذا يُحَاوِلُ أنحبٌ فيُقْضَى أم ضلال وباطلُ

حَبَائِلُهُ مبثوثة بِسَبِيلِهِ وَيَقْنَى إذا ما أخطأَتْهُ الحبائِلُ

(٢) نجاوز غاياتنا : نفوت ونتعدى مارسم لنا فى هـذه الحياة ، والاستفهام إنكارى ، يعنى أنه لا ينبغى لنا أن نجاوزها . والمورد ـ بفتح الميم وكسر الراء ـ مكان ورود الماء ، والقارب : الذى يطلب الماء ليلا . يقول : لاينبغى لنا أن نتجاوز حدودنا وهذه أعمارنا قد آن انقضاؤها .

(٣) المعضل : اسم الفاعل من « أعضل الأمر » إذا أعجز الناظر فيه وعز عليه المخلص منه ، والكارب : الذى يبعث الكرب والهم إلى النفس ، وقد وقع فى ه « المعضل الكاذب » محرفا. يقول: لقد كان المندوب حلالا للمشكلات عند نزول مالا مخلص لأحد منه ولا سبيل إلى النجاة من براثنه

(٤) القتب ـ بفتح القاف والتاء جميعا ـ : إكاف صغير على قدر سنام البعير ، والغارب : أعلى السنام ، وقد كان من حق العبارة أن يقول : إذا عض القتب بالغارب ، ولكنه قلب العبارة ، والقلب من البلاغة بمكان عند كثير من أعيان البيان ، وقد جاء منه قول الجعدى :

كانت فَرِيضة ما تقول ، كما كان الزناء فَرِيضةَ الرجم

أراد كما كان الرجم فريضة الزناء ، وورد منه قول أبى تمام حبيب بن أوس الطائى :

لُعابُ الأفاعى القاتلاتِ لُعابه وأَرْيُ الْجَنَا اشتارَتْهُ أيدٍ عواسِلُ

أراد لعابه لعاب الأفاعى القاتلات ، وجاء منه قول رؤبة :

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُه كأنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُه

أراد كأن لون سمائه أرضه ، فقلب العبارة ، وجاء منه قول الآخر :

* فديتُ بنَفْسِهِ نَفْسى ومَالِى *

أراد فديته بنفسى ومالى ، فقلب .

١٨ يَفِيءُ إِلَيْكَ مِنَ الْقاصِياتِ مَرَاحُ الْمَنَاقِبِ وَالْعازِبُ(١)

١٩ فَيَوْمُ النُّهَى مُشْرِقٌ شَامِسٌ وَيَوْمُ النَّدَى مَاطِرٌ سَاكِبُ(٢)

٢٠ فَأَبْنَ الْفَيَالِقُ مَجْرُورَةً وَقَد أعضل اللقمُ اللّاحِبُ(٣)

٢١ وَأَبْنَ الْقَنَا كَبَنَانِ الْهُلُوكِ بِماءِ الطُّلَى أَبداً خَاضِبُ(٤)

٢٢ كَأَنَّ السَّوابِقَ مِنْ تَحْتِهَا دَبًى طائِرٌ أَوْ قَطًا سَارِبُ(٥)

٢٣ لَهَا قَسْطَلٌ كَنَسِيجِ السَّدُوسِ بِهَامِ الرُّبَى أَبداً عاصِبُ(٦)

---

(١) يفيء : يرجع ، والقاصيات : جمع قاصية ، وهى البعيدة . والمراح ـ بفتح الميم والراء جميعا ـ أراد به المأوى ، والعازب : البعيد ، يريد أن الآراء البعيدة عن أذهان أولى الفكر ترد عليه فى يسر وسهولة .

(٢) يوم النهى : اليوم الذى يحتاج فيه إلى عقلك ، ويوم الندى : اليوم الذى تحتاج فيه إلى جودك ، ووقع فى ه « فيوم النهى شارق مشمس » .

(٣) الفيالق : جمع فيلق ـ بزنة جعفر ـ وهو الجيش ، أو الفرقة منه ، وأعضل : اشتد واستغلق ، واللقم ـ بفتح اللام والقاف ـ معظم الطريق ، واللاحب : الواضح .

(٤) البنان : أطراف الأصابع . والهلوك ـ بفتح الهاء ـ المرأة الفاجرة . والطلى : جمع طلية ، وهى العنق ، وخاضب ههنا بمعنى مخضوب ، وله نظائر ، منها قولهم « عيشة راضية » بمعنى مرضية ، وقد وردت فى التنزيل الكريم .

(٥) السوابق : جمع سابق ، وأراد بها الخيل ، والدبى ـ بفتح الدال ـ الجراد الصغير ، وسارب : أى ذاهب على وجهه ، قالوا « سرب فلان فى الأرض » إذا كان قد ذهب على وجهه فيها ومضى .

(٦) الضمير فى «لها» يعود إلى الخيل التى عبر عنها بالسوابق فى البيت السابق ، والقسطل : الغبار ، والسدوس ـ بفتح السين وضمها ـ الطيلسان الأخضر ، والهام : جمع هامة ، وهى الرأس ، وهام الربى : أعاليها ، يريد أن سير هذه الخيل الشديد قد أثار الغبار الكثير حتى ارتفع إلى أعالى الربى فغطاها .

٢٤ وَمَلْبونَةَ فى بُيُوتِ الْغَزِىِّ ... يُقَدِّمُ إِغْباقَهَا الْحَالِبُ(١)

٢٥ نَزَائِعُ لا شَوْطُها فى الْمُغارِ ... قَرِيبٌ ، ولا غَزْوُهَا خَائِبُ(٢)

٢٦ فَسَرْجُ وَغًى مَالَهُ وَاضِعٌ ... وَجَيْشُ عُلًى مَالَهُ غَالِبُ

٢٧ وَكُنْتَ الْعَمِيدَ لَهَا وَالْعِمَادَ ... فَضَاعَ الْحِمَى وَوَهَى الْجَانِبُ(٣)

٢٨ فَمَاذَا يَشِيدُ هُتَافُ النَّعِىِّ ... فِيكَ وَمَا يَنْدُبُ النَّادِبُ(٤)

٢٩ أَمدَّتْ عَلَيْكَ الْقُلُوبُ الْعُيُونَ ... فَلَيْسَ يُرَى مَدْمَعٌ نَاضِبُ(٥)

٣٠ أَرَى النَّاسَ بَعْدَكَ فى حَيْرَةٍ ... فَذُو لُبِّهِمْ حَاضِرٌ غَائِبُ

٣١ كَمَا اخْتَبَطَ الرَّكْبُ جُنْحَ الظَّلَامِ ... وَقَدْ غَوَّرَ الْقَمَرُ الْغَارِبُ(٦)

---

(١) أراد بالملبونة الفرس التى تغذى باللبن ، والغزى ـ بفتح الغين وكسر الزاى وتشديد الياء ـ اسم جمع واحده غاز ، و إغباقها : أن يسقيها اللبن عشيا ، يريد أنها عزيزة على أصحابها فهم يقدمون تغذيتها على عشائهم ، ووقع فى ه « ومكنونة فى بيوت القرى » محرفا عما أثبتناه .

(٢) النزائع : التى تجلب إلى غير بلادها ، والشوط : الجرى إلى الغاية مرة ، والمغار ـ بضم الميم ـ مكان الإغارة على العدو ، يريد أنها سريعة السير تمكن راكبها من عدوه ولا تمكن عدوه منه .

(٣) العميد : السيد ، والعماد ـ بكسر العين ـ ما يكون به قوام الشىء وهو أسه ، ووهى : ضعف ، يريد أن موته جعلها تفقد عميدها .

(٤) الهتاف : الصوت ، والنعى : الذى يخبر بالموت ، يقول : لقد كنت جامعا لكل خصال الخير ، فإذا نعاك الناعى أو ندبك النادب فأى شىء يقوله من صفاتك وأى شىء يتركه؟؟ .

(٥) أمدت عليك القلوب العيون : يريد أنها أسعفتها بماء حياتها فجعلته مددا لمدمعها . والناضب : أصله الماء الذى يغور فى الأرض ، يريد أن الدموع عليه لن تجف ، لأن العيون إذا أفرغت ماء شؤونها أمدتها القلوب بذوب حياتها .

(٦) اختبط الركب : ساروا ليلا ، و ينتصب « جنح الظلام » على الظرفية ، وغور القمر : غاب ، يريد أنك صيرتهم فى حيرة تشبه حيرة قوم ساروا فى جنح الظلام وقد غاب القمر الذى يهتدون بنوره .

٣٢ وَلَمَّا سَبَقْتَ عُيُوبَ الرِّجَالِ تَعَلَّلَ مِنْ بَعْدِكَ الْعَائِبُ(١)

٣٣ وَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَيَوْمٍ بِهِ خَبَا مِثْقَبٌ وَهَوَى ثَاقِبُ(٢)

٣٤ يَلُومُ الضَّوَاحِكَ فِيكَ الْبُكَاةُ وَيُعْجَبُ لِلْبَاسِمِ الْقَاطِبُ(٣)

٣٥ سَقَاكَ وَإِنْ كُنْتَ فِي شَاغِلٍ عَنِ الرَّيِّ دَانِي النَّدَى صَائِبُ(٤)

٣٦ مُرِبٌّ إِذَا مَخَضَتْهُ الْجَنُوبُ أَبَسَّتْ بِهِ شَمْأَلٌ لَاغِبُ(٥)

٣٧ يَجُرُّ ثَقَائِلَ أَرْدَافِهِ كَمَا بَادَرَ الْقُرَّةَ الْحَاطِبُ(٦)

٣٨ كَسَوْقِ الْبَطِيءِ بِسَوْقِ السَّرِيعِ يَنُوءُ وَيُعْجِلُهُ الضَّارِبُ(٧)

---

(١) وقع فى ه « سبقت عيون الرجال » محرفا عما أثبتناه .

(٢) تقول « ثقبت النار ثقوبا » إذا التهبت واتقدت ، وعندى أن المثقب المتقد الملتهب ، مأخوذ من هذا ، وخبا : انطفأ ، وهوى : سقط ، والثاقب : النجم المرتفع بضوئه على سائر النجوم .

(٣) الضواحك : جمع ضاحكة ، والبكاة : جمع باك ، ولا يكون الضواحك جمع ضاحك ، لأن فواعل خاص بجمع فاعل المؤنث إذا كان وصفاً لعاقل ، والقاطب : الذى يزوى مابين عينيه ، ومثله المقطب ـ بتشديد الطاء مكسورة ـ .

(٤) صائب : اسم الفاعل من « صاب المطر يصوب » إذا انصب ونزل وهطل.

(٥) مرب : اسم فاعل من « أربت السحابة » إذا دام مطرها ، ومخضته : حركته حركة شديدة ، والجنوب : أراد ريح الجنوب ، وأبست به : ساقته ، والشمأل ـ بزنة جعفر وبالهمزة هنا ـ ريح الشمال ، واللاغب : الذى أصابه اللغوب ، وهو الضعف والإعياء والتعب .

(٦) ثقائل أردافه : أراد بها ماخلفه من مطر ، يعنى أن كل شؤبوب يجر شؤبوبا آخر ثقيلا والقرة : البرد الشديد ، والحاطب : صاحب الحطب ، يريد أنه يجر ماوراءه متسرعا كما يفعل من يصيبه البرد الشديد وعنده الحطب فإنه يبادر إليه يوقد النار فيه يستدفىء به ويذهب عن نفسه أذى البرد ، وقد كرر هذا المعنى فى قصيدة له أخرى دالية ، وذلك قوله :

تَرَامَوْا بِهَا حَمْرَاءَ تَحْسَبُ شَرْبَهَا ذَوِي قُرَّةٍ خَفُّوا جَوَانِبَ مَوْقِدِ

(٧) وقع فى ب « كسوق البطىء بسوط السريع » وينوء : ينهض مع المشقة والجهد ، ويعجله : يسرع إليه .

٣٩ يُصِيبُكَ بِالْقَطْرِ شَفَّانُه كَمَا قَرَعَ الجمرةَ الحاصِبُ(١)

٤٠ وَلَوْلَا قِوَامُ الْوَرَى أَصْبَحَتْ بِرَنٌّ عَلَى صَدْعِها الشَّاعِبُ(٢)

٤١ وَبَاتَتْ وَقَدْ ضَلَّ عَنْهَا الرِّعَاءُ مُحَفَّلَةً مَالَهَا حَالِبُ(٣)

٤٢ وَسَاقَ العدوُّ أَضَامِيمَهَا وَمَا آبَ مِنْ طَرْدِهَا آئِبُ(٤)

٤٣ وَمَا بَقِيَ الْجَبَلُ المشمَخِرُّ فَمَا ضَرَّنَا الجبلُ الْوَاجِبُ(٥)

---

(١) القطر ـ بفتح فسكون ـ المطر ، والشفان ـ بفتح الشين وتشديد الفاء ـ البرد والريح ، وقيل : برد وريح فى غدوة ، وقالوا « غداة ذات شفان » أى ذات برد وريح ، وقالوا « فى هبوب الشفان ، تقلص الشفتان » . والجمرة : الحصاة ، والحاصب : الرامى بالحصباء ، وهى صغار الحصى.

(٢) القوام ـ بكسر القاف ، بزنة الكتاب ـ نظام الأمر وعماده ، ورن : يصيح ، والصدع ـ بفتح الصاد وسكون الدال ـ الكسر وتفرق ماتلاءم من الأجزاء ، والشاعب : اسم الفاعل من « شعب الإناء » إذا جبر كسره ورأب صدعه . ووقع فى ه « يردن على صدغها الشاغب » محرفا عما أثبتناه موافقاً لما فى ب ، يقول : لولا وجود ما يكون به اعتدال الأمور وتقويمها لفسد النظام وأصبحت الأمور معتلة مختلة يبكى المصلحون على ما أصابها مما لا علاج له .

(٣) الرعاء ـ بكسر الراء ـ جمع راع ، والمحفلة : المليئة الضروع باللبن ، وضرب هذا مثلا لفساد الأمور وعدم إمكان صلاحها .

(٤) الأضاميم : جمع إضمامة ، وهى الجماعة ، وآب : رجع ، وطردها : ما استاقه العدو منها ، والآئب : الراجع ، وكان من عادة العرب فى جاهليتهم أن يغير الأقوياء من قبيلة على قبيلة أخرى ضعيفة أو غاب شجعانها فيستاقوا نعمهم ونساءهم ، فإذا رجع فرسان المغار عليهم اتبعوهم واستخلصوا منهم النهاب والسبايا فردوها ، يقول : لولا قوام الأمر لكان الأعداء يهجمون على الناس فيستاقون جماعات الأنعام ويأخذون أموالهم ثم لايكون لهم من يستخلص ذلك منهم فلا يرجع لهم مما انتهب شىء . ووقع فى ه « وضاق العدو » محرفا .

(٥) « ما » فى قوله « وما بقى الجبل المشمخر » ظرفية مصدرية . والمشمخر : العالى الشامخ الذرى ، والواجب : الساقط ، اسم فاعل من « وجب يجب » إذا سقط ، يقول : ما دام الجبل المشمخر العالى قد بقى لنا فإنه لا يضرنا ذهاب الجبل المنقض .

٤٤ وَمَا يَنْقُصُ الثَّلْمُ فِي المَضْرَبَيْنِ إِذَا اهْتَزَّ فِي القَائِمِ القَاضِبُ[١]

٤٥ بِمِثْلِ بَقَائِكَ غَيْثَ الأَنَا مِ يَرْضَى عَنِ الزَّمَنِ العَاتِبُ[٢]

٤٦ لَهَانَ عَلَيْنَا ذَهَابُ الرَّدِيـ ـفِ مَا بَقِيَ الظَّهْرُ وَالرَّاكِبُ[٣]

***

٤٥ – وقال يرثى الشريفَ أبا القاسم عليَّ بن الحسنِ[٤] أبي تمّامٍ[٥] الزَّيْنَبِيِّ نقيبِ[٦] العباسيين، وتوفي في ذي القعدة[٧] سنة ٣٨٤ [وكان بينهما صداقة وكيدة] [من الطويل] :

(١) الثلم – بفتح فسكون – يكون في السيف بتكسير حرفه ، والمضرب – بفتح الميم وكسر الراء – مكان الضرب ، والقاضب : السيف القاطع ، يقول : إذا أصيب السيف بثلم في المكان الذي يضرب به منه فإن ذلك لا يضر متى بقي السيف القاطع وكان بحيث يهتز في يد الضارب به .

(٢) غيث الأنام : جملة نداء معترضة بين أجزاء الكلام .

(٣) الرديف – بفتح الراء – الذي يركب خلف راكب آخر ، والظهر : الدابة التي يركب عليها ، والراكب : أراد به الذي يكون أمام الرديف. يقول : متى بقي الراكب والظهر الذي يركبه فإنه يهون علينا أن يذهب الرديف .

(٤) وقع في ب ، هـ جميعا « بن الحسين » وهو خطأ ، تصويبه عن تاريخ بغداد والمنتظم لابن الجوزي .

(٥) وقع في ب « أبا تمام » وهو خطأ سببه أن الكاتب أو الناشر حسب «أبا تمام» كنية الشريف المرثي ، وإنما هي كنية أبيه .

(٦) وقع في هـ « الزينبي بقية العباسيين » وهو تحريف شنيع .

(٧) المرثي : هو الشريف أبو القاسم علي بن القاضي أبي تمام الحسن بن محمد بن عبدالوهاب ابن سليمان بن محمد بن القاسم الزينبي، وكان نقيب العباسيين وصاحب الصلاة ، وهو أول من جمع بين الصلاة والنقابة في سنة ثمانين وثلثمائة ، وكان أبوه القاضي أبو تمام نقيب العباسيين ثم حدث في سنة ثلاث وستين وثلثمائة أن تقلد أبو محمد عبد الواحد بن الفضل بن عبدالملك نقابة العباسيين وصرف القاضي أبو تمام الزينبي عنها . قال الخطيب البغدادي « علي بن القاضي أبي تمام الزينبي –

١ مِنَ أَيِّ الثَّنَايَا طالَعَتْنَا النَّوَائِبُ ... وَأَيُّ حِمًى مِنَّا رَعَتْهُ الْمَصَائِبُ (١)

٢ خَطَوْنَ إِلَيْنَا الخَيْلُ والبِيضُ والْقَنَا ... فَمَا مَنَعَتْ عَنَّا الْقَنَا وَالْقَوَاضِبُ (٢)

٣ وَضَلَّ بِنَا قَصْدُ الطَّرِيقِ كَأَنَّمَا ... تَؤُمُّ الْمَنَايَا لَا النَّجَاءُ الرَّكَائِبُ (٣)

٤ نَرُوغُ كَمَا رَاغَ الطَّرَائِدُ دُونَهَا ... وَتَجْلُبُنَا عَوْدًا إِلَيْهَا الْجَوَالِبُ (٤)

واسمه الحسن بن محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو القاسم ، الهاشمى ، ولى نقابة العباسيين ، وحدث عن أبى بكر محمد بن بكر بن داسة البصرى ، حدثنى عنه القاضى أبو القاسم التنوخى ... قال لى التنوخى : مولد النقيب أبى القاسم بن أبى تمام فى سنة سبع وعشرين وثلثمائة ومات فى ذى القعدة من سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، ولد هو وأبى فى سنة واحدة وماتا فى سنة واحدة » اه (وانظر مع هذا تاريخ بغداد ٣٨٧/١١ والمنتظم لابن الجوزى ١٧٦/٧ و٦٦) .

(١) الثنايا : جمع ثنية ، بوزان قضية وقضايا ، والثنية : العقبة ، قال الشاعر :

أنا ابنُ جَلاَ وطَلَّاعُ الثَّنايا ... مَتى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونى

والحمى ـ بكسر الحاء المهملة ـ المكان الذى تحميه وتمنع غيرك أن يرعى فيه .

(٢) البيض : جمع أبيض ، وأراد به السيف ، والقنا : جمع قناة ، وأراد بها الرماح ، والقواضب : جمع قاضب ، وهو السيف القاطع ، يقول : لقد هاجمتنا المصائب ونحن فرسان ذو و حرب فلم تكن قوتنا وعدتنا لتمنع عنا حلولها بساحتنا ، وقد ألحق علامة جمع النسوة فى قوله «خطون إلينا الخيل والبيض والقنا» بالفعل المسند إلى فاعل ظاهر على ماهى لغة جماعة من العرب وقد تقدم لهذا نظائر فى كلامه واستشهدنا لوروده ، وضرب الخيل والبيض والقنا مثلا للنوائب.

(٣) النجاء ـ بفتح النون ـ أراد به السراع ، وأصله مصدر نجا ينجو إذا أسرع ، والركائب : جمع ركوبة ، وهى ما يرتحله المسافر ونحوه .

(٤) نروغ : يريد نفر من المنايا كما تفر الطرائد ـ وهى الإبل التى يطردها العدو ويستاقها ـ وعودا : رجوعا إلى حالنا الأولى التى كنا عليها ، أراد أنه لا مفر من المنايا ولا مهرب لأحد عنها .

٥ طِوَالُ رِمَاحٍ لا تَقِى، وَعَقَائِلٌ ... مِنَ الْجُرْدِ لا يَنْجُو عَلَيْهِنَّ هَارِبُ (١)

٦ فأيْنَ النفوسُ الآبِيَاتُ مُليحَةً ... مِنَ الضَّيْمِ والأيْدِى الطِّوَالُ الغَوَالِبُ (٢)

٧ وأيْنَ الطِّعَانُ الشَّزْرُ يُثْنَى بِمِثْلِهِ ... رِقَابُ الأعادِى دُونَنَا وَالْكَتَائِبُ (٣)

٨ إِذَا لم يُعِنْكَ اللهُ يَوْمًا بِنَصْرِهِ ... فأكْثَرُ أعْوَانٍ عَلَيْكَ الأقَارِبُ

٩ وَإِنْ هُوَ لم يَعْصِمْكَ مِنْهُ بِجُنَّةٍ ... فَقَدْ أكْثَبَتْ لِلضَّارِبِينَ الْمَضَارِبُ (٤)

١٠ تَنَاهَى بِنَا الآجالُ عن كل مُدَّةٍ ... وما تَنْتَهِى بالطالبين المطالِبُ (٥)

١١ نُغَرُّ بِإيعَادِ الرَّدَى وَهْوَ صَادِقٌ ... ونَطْمَعُ فى وَعْدِ المُنَى وَهْوَ كاذِبُ (٦)

---

(١) لا تقى : لا تحفظ ولا ترد عادية ، والعقائل : جمع عقيلة ، وهى من كل شىء أكرمه ، وأراد بها ههنا كرام الخيل ، والجرد : جمع أجرد ، وهو قصير الشعر .

(٢) مليحة : تحتمل معنيين ، أحدهما أن يكون اسم فاعل من « ألاح النجم » إذا تلألأ وظهر نوره ، يريد النفوس المشرقة المضيئة العارفة بعواقب الأمور ، وثانيهما أن يكون اسم فاعل من « ألاح فلان من كذا » إذا خافه وحذره وأشفق منه ، والأصل فيه أن يكون خوفا من شىء له بريق ولمعان، ثم كثر حتى استعمل فى كل مخوف ، يريد أين النفوس التى تقدر عواقب الأمور وتعرف المخلص من الشدائد بما تحذرها وتشفق منها وتأخذ لها أهبتها .

(٣) الطعان الشزر : ما كان عن يمين وشمال ، ويثنى بمثله : أى يكون سببا فى أن تعدل عنا وتميل إلى جهة غير جهتنا محاذرة لنا ومخافة منا ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهى هنا الجيش .

(٤) يعصمك : يحفظك ، والجنة ـ بضم الجيم وتشديد النون ـ الوقاية ، وأكثبت ـ بالثاء المثلثة ـ قربت ودنت ، والمضارب : جمع مضرب ، وهو المكان يضرب فيه ، يريد إذا لم يكن لك من الله وقاية تقيك نزول الأحداث فهى قريبة النزول بك ، ووقع فى ب ، هـ « أكتبت » بالتاء المثناة ، وهو تحريف ما أثبتناه .

(٥) تناهى : أصله تتناهى ، فحذف إحدى التاءين ، وله نظائر كثيرة فى العربية .

(٦) الإيعاد : ما كان بشر ، والوعد: ما كان بخير ، ونغر : نخدع ، والردى: الموت والهلاك يقول : إننا نخدع ونغر بإيعاد الموت مع أنه حق لا شبهة فى وقوعه ، ويأخذنا الطمع فى وعود الأمانى مع أنها ليست صادقة .

١٢ أفِي كلِّ يومٍ لِي صديقٌ مُصادِقٌ ... يُجِيبُ المَنَايا أو قَرِيبٌ مُقارِبُ

١٣ لَعَمْرِي لَقَدْ أبْقَى عَلِيٌّ بِيَوْمِهِ ... لَوَاعِجَ تُمْلِيهَا عَلَيَّ العَوَاقِبُ (١)

١٤ رَماه الرَّدَى عَنْ قَوْسِهِ فأصابَهُ ... وَلَمْ يُغْنِنَا أنْ دَرَّعَتْهُ التَّجَارِبُ (٢)

١٥ هُوَ الرَّائِحُ الغَادِي الَّذِي لا يَرُوعُهُ ... مِنَ البابِ بَوَّابٌ عليه وحَاجِبُ (٣)

١٦ وَلا ناصِرٌ سِيَّانِ مَنْ هُوَ حَاضِرٌ ... إذَا مَا دَعَا مِنَّا وَمَنْ هَوَ غائِبُ

١٧ نَسِيرُ وللآجَالِ فَوْقَ رُؤُسِنَا ... تَهَزُّمُ نَوْءٍ بالمَقَادِيرِ صَائِبُ (٤)

١٨ وَمَا يَعْلَمُ الإنْسَانُ فِي أيِّ جانِبٍ ... مِنَ الأرْضِ يَأوِي مِنْهُ فِي التُّرْبِ جَانِبُ

١٩ مُصَابٌ رَمَى مِنْ هَاشِمٍ فِي صَمِيمِها ... فأمْسَتْ ذُرَاهَا خُشَّعًا وَالغَوَارِبُ (٥)

---

(١) اللواعج : جمع لاعج ، وهو هنا الحزن الذى يحرق حبة القلب ويؤلم النفس .

(٢) وقع فى ب «ولم يغننا أن درعتنا التجارب» ووقع فى د «ولم يغننا أن درعته النجائب» وما أثبتناه أتم معنى . ويغننا : يقع منا موقع الإغناء ، ودرعته : كانت درعا له يتقى بها العاديات، والتجارب : جمع تجربة ، وهى اختبار الأمر .

(٣) الرائح : السائر فى وقت الرواح وهو وقت العشى ، والغادى : السائر فى وقت الغداة ، ويراد بهما معا عموم الأوقات ، ووقع فى ب « هو الوالج العادى » ولهـا وجه وجيه ، ويروعه : يفزعه ويخيفه ويثنيه عن مراده .

(٤) تهزم : مصدر « تهزمت السحاب » إذا صوتت ، و « تهزمت بالماء » إذا تشققت عنه، ولا يكون ذلك إلا مع صوت ، والنوء ـ بفتح النون وسكون الواو ـ النجم إذا مال للغروب ، وكانت العرب تضيف أحداثها إلى الأنواء فتراهم ينسبون إليهـا الحر والبرد والمطر وغير ذلك . يقول : إننا نسير فى حياتنا غافلين عما يرتقبنا من الأحداث مع أن منادى الموت يصيح فوق رءوسنا .

(٥) أصل الصميم العظم الذى عليه قوام العضو، وأصل الشىء، وخالصه . وأراد به هنا اللباب والخالص النسب إليهم ، والذرى : جمع ذروة وهى أعلى الشىء ، والغوارب : جمع غارب ، وهو

٢٠ وأطْلَقَ مِنْ وَجْدٍ حُباها ولم يكن لِهاشِمَ أَوْلاهُ العُقُولُ العَوازِبُ(١)

٢١ وَزَالَتْ لهُ الأقْدَامُ عن مُسْتَقَرِّهَا كما مال للبَرْكِ المَطِيُّ اللَّواغِبُ(٢)

٢٢ أطالَ به الشُّبَّانُ لَطْمَ خُدُودِهِمْ وَصَكَّ له غُرُّ الوجُوهِ الأشائِبُ(٣)

٢٣ يَعَضُّونَ منه بالأكُفِّ، وإنَّما تُعَضُّ بأطْرَافِ البَنَانِ العَجَائِبُ(٤)

٢٤ مَضَى أمْلَسَ الأثْوابِ لم يُخْزَ مَادِحٌ بإطْنَابِهِ فِيهِ، ولم يُزْرِ عَائِبُ(٥)

مابين سنام البعير وعنقه، وهو المكان الذى يلقى عليه خطام البعير إذا أرسل ليرعى ، يقول : إن المصاب الذى نزل بالمرثى قد أصاب آل هاشم فى لبابها وخالص الانتساب إليها ، ولقد كان له أليم الوقع فى نفوس سادتهم وكبرائهم .

(١) الحبا ـ بضم الحاء ـ جمع حبوة، وهى أن يجلس الرجل ناصبا ركبتيه وقد شدهما بثوبه أو نحوه ، وهذه جلسة العرب عند سمرهم وفى أماكن ندوتهم ، وإنما يحلون الحبا إذا دهمهم الخطب أو أصابهم مكروه أو سمعوا الصريخ ونحو ذلك ، فهذه العبارة كناية عن أنهم قد هالهم الذعر لمصابه ، والعوازب: جمع عازب ، وهو البعيد ، يريد أن عقولهم ورويتهم وأناتهم قد بعدت عنهم فأظهروا لموته علائم الهلع .

(٢) مستقرها : المكان الذى تستقر فيه وتثبت ، والبرك : البروك والإناخة ، واللواغب : جمع لاغب ، وهو الذى أعياه التعب أشد الإعياء ، ووقع فى ه « كما مال للبزل المطى اللواعب ».

(٣) غر : جمع أغر ، وهو الأبيض ، وأصل الغرة البياض فى جبهة الفرس ، وهو مما يتمدح به العرب ، والأشايب : جمع أشيب ، ووقع فى ه « الأصائب » محرفا عما أثبتناه .

(٤) تقول « عض فلان أنامله » و « عض بنانه » ونحو ذلك ، تريد أنه ندم أو حزن أو نحو ذلك ، و « تعض » بضم تاء المضارعة وكسر العين بعدها ـ أى تكون حاملا على أن يعض الإنسان أطراف بنانه ، و « العجائب » فاعل تعض .

(٥) « أملس الأثواب » أراد نظيفها ناصع بياضها ، وهذه كناية عن طهارة الذيل ونقاء العرض عن كل مايشين ، ولم يخز مادح : لم يصبه الخزى والخجل ، لأن أحدا من الناس لم يجبه ولم يرد عليه كلامه ، وهذا كناية عن أن جميع الناس يتشاركون فى الإقرار له بصفات المدح، والإطناب : أراد به الإكثار من القول فى مدحه ، وتقول : أزريت بفلان ، إذا عبته .

٢٥ وخلّى فِجاجًا لا تُسَدُّ بِمِثْلِهِ ... وَتلْكَ صُدُوعٌ أعْوَزَتْها الشَّواعِبُ (١)

٢٦ لَقَدْ هَزَّ أحْشَاءَ البَعِيدِ مُصَابُهُ ... فَكَيْفَ المُدَانِي وَالقَرِيبُ المُصَاقِبُ (٢)

٢٧ وَلَم أنْسَهُ غادٍ، وَقَدْ أحْدَقَتْ بِهِ ... أدانٍ تَرَوَّى نَعْشَهُ وَأقَارِبُ (٣)

٢٨ يُحِسُّونَ مِنْ أعْوَادِهِ ثِقْلَ وَطْأةٍ ... وَمَا أثْقَلَ الأعْنَاقَ إلّا المَنَاقِبُ (٤)

---

(١) خلى : ترك ، والفجاج : جمع فج ، وهو الطريق بين جبلين ، والصدوع : جمع صدع وهو الشق والكسر ، والشواعب : جمع شاعب ، وهو اسم الفاعل من قولك « شعب فلان الصدع » إذا جبره وأصلحه . يقول : إنه بموته قد ترك أمكنة من أماكن المجد لا يسد فراغه فيها أحد .

(٢) المدانى : اسم الفاعل من « دانيته » إذا قربت منه ، والمصاقب : اسم الفاعل من « صاقبته » إذا كنت فى مواجهته ، يقول : إن البعيدين عنه قد تألموا أشد الألم لهذا المصاب الذى نالنا بموته ، و إذا كان البعيدون قد تأثروا أشد التأثر فكيف يكون حال الأقربين إليه الدانين منه؟ .

(٣) كان من حق العربية عليه أن يقول « ولم أنسه غاديا » لكنه عامل الاسم المنقوص فى حال النصب كمعاملته فى حالى الرفع والجر ، وقد تكلم بمثل ذلك جماعة من العرب الذين يحتج بكلامهم ، ومن شواهده قول الشاعر :

* وَلَوْ أن وَاشٍ باليمامة دَارُه *

وقوله « وقد أحدقت به » أراد وقد أحاطت به ، والأدانى : جمع أدنى ، وهو الأشد قرابة ، و « تروى نعشه » أى يسكبون عليه دمع أعينهم و يبكونه أحر البكاء ، ووقع فى ه « تردى نعشه » محرفا .

(٤) المناقب : جمع منقبة ، وهى كل مايتمدح به من خصال المجد ، يقول : إنهم حين حملوا نعشه وجدوه ثقيلا ، و إنما ثقل عليهم حمله لكثرة مناقب الميت ، فكما أنه كان يثقل الأعناق فى حياته بما يسدى إلى الناس من معروف تراه يثقل الأعناق حمله بعد موته ، لأن صفات الحمد التى كان يثقل بها أعناق الناس هى التى يحملونها .

٢٩ كأنَّا عَرَضْنا زَاعِبِيًّا مُثَقَّفًا عَلَى نَعْشِهِ قد جَرَّبَتْهُ المَقانِبُ(١)

٣٠ تَعَلَّقْتُ مِنْ وَجْدِى بفَضْلِ رِدَائِهِ وَهَلْ ذَاكَ مُغْنٍ وَالمَنَايا الجَوَاذِبُ(٢)

٣١ وَقارَعَنِى دَهْرِى عَلَيْهِ فحَازَهُ ألا إنَّ أقْرَانَ اللَّيالِى غَوَالِبُ(٣)

٣٢ وَكُنْتُ بِهِ أَلْقَى الحُرُوبَ وأتَّقى فجاءَ مِنَ الأقْدَارِ مَالَا أُحَارِبُ

٣٣ تَفَاقَدَ حَاثُو تُرْبِهِ ، أىُّ نَجْدَةٍ تَلاقَتْ عَلَيْهَا بالتُّرابِ الرَّوَاجِبُ(٤)

٣٤ كأنَّهُمُ دَلَّوْا إلَى القَبْرِ ضَيْغَمًا يَنُوءُ وتَثْنِيهِ الأكُفُّ الحَوَاصِبُ(٥)

٣٥ وَأىَّ حُسَامٍ أغْمَدُوا فى ضَرِيحِهِ كَهَمِّكَ لا يُعْصَى بِهِ اليَوْمَ ضَارِبُ(٦)

---

(١) الزاعبى : الرمح ، والمثقف : المقوم المعدل المهيأ للقتال به ، والمقانب : جمع مقنب ، الجماعة من الأبطال ومن الخيل .

(٢) مغن : مفيد كاف ، والمنايا : جمع منية وهى الموت ، والجواذب : جمع جاذبة . يقول : إنى تعلقت بثوبه أمنعه عن السير ، ولكن هذا لم يفد ولم يغن شيئا لأن التى تجذبه هى المنية التى لا راد لها ولا دافع ، ووقع فى ه « وهل ذاك وجد » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(٣) قارعنى : أصله غالبنى فى القرعة ، وحازه : كان من نصيبه ، يريد أنه خرج من نصيبه فى القرعة ، ووقع فى ه « وقارعنى دهرى عليك فحازه » وليس بشىء .

(٤) تفاقد : أى فقد بعضهم بعضا ، وهذا دعاء عليهم ، وحاثو : جمع حاث ، وهو اسم الفاعل من « حثا التراب يحثوه » إذا أهاله ، والنجدة : إغاثة الملهوف ، وأراد بها الشجاعة ، والرواجب : الأصابع . يدعو على الذين أهالوا التراب عليه استعظاما لأن يكون مثله فى شجاعته النادرة ونجدته الفائقة ممن يهال عليه التراب ، ووقع فى ب « تعاقد حاثوا تربه » محرفا .

(٥) الضيغم فى الأصل : السبع ، شبهه به . وينوء : يريد ينهض بما يكلفه مع الجهد والمشقة ، وتثنيه : ترجعه وتصده عما يريد ، والحواصب : جمع حاصب ، وهو اسم الفاعل من « حصبه يحصبه » من باب ضرب ـ إذا رماه بالحصباء وهى صغار الحصى ، ووقع فى ب « كأنهم أدلوا » .

(٦) الحسام ـ بضم الحاء ، بزنة الغراب ـ السيف الذى يحسم مواد النزاع والخلاف ، أى يقطعها . والضريح : أراد به القبر ، وقوله « كهمك » أصله من قولهم « رأيت رجلا همك من رجل » أى حسبك به ، لأنه يكفيك فى كل ما تطلبه منه .

٣٦ فآثارُهُ مُحْمَرَّةٌ فى عَدُوِّهِ ... وَمِنْهُ وَرَاءَ التُّرْبِ أَبْيَضُ قَاضِبُ (١)

٣٧ وَمَا كَانَ إِلَّا بُرْهَةً ثم أَسْفَرَتْ ... نُزُوعًا عَنِ الْوَجْدِ الْوُجُوهُ الشَّوَاحِبُ (٢)

٣٨ وَجَفَّتْ عُيُونُ الْبَاكِيَاتِ وَأُنْسِيَتْ ... من الْغَدِ مَا كانَتْ تَقُولُ النَّوَادِبُ (٣)

٣٩ تَسَلَّوْا ولَوْلَا الْيأسُ ما كُنْتُ سَالِيًا ... وَقَدْ يَصْبِرُ الْعَطْشَانُ وَالْوِرْدُ نَاضِبُ (٤)

٤٠ أَلَسْنَا بنى الأَعْمَامِ دِنْيًا تَمَازَجَتْ ... بأَخْلَاقِهِمْ أَخْلَاقُنَا وَالضَّرَائِبُ (٥)

٤١ جَمِيعًا نَمَانَا فى رُبَى المجدِ هاشِمٌ ... وأَنْجَبَ عِرْقَيْنَا لُؤَىٌّ وَغَالِبُ (٦)

٤٢ إِذَا عَمَّمُوا بالمجدِ لاثَتْ بهَامِنَا ... عمائمُهُمْ أَعْرَاقُنَا وَالْمَنَاسِبُ (٧)

---

(١) آثاره محمرة فى عدوه : يريد أنه أسال دماء أعدائه ، وقاضب : قاطع .

(٢) أسفرت : أصله من قولهم « أسفرت المرأة » إذا وضعت النقاب عن وجهها فكشفت عن محاسنها ، والوجد : الحزن ، والشواحب : جمع شاحب ، وهو المتغير من هزال أو جوع أو تعب أو نحو ذلك .

(٣) وقع فى ه « من العز ما كانت تقول النوادب » محرفا عما أثبتناه ، والنوادب : جمع نادبة ، وهى التى تعدد آثار الميت وتذكر محامده .

(٤) اليأس : أراد به قطع الطماعية فى عوده ، والورد ـ بكسر الواو وسكون الراء ـ الماء الذى يرده العطشان ليشرب منه ، وناضب : غائر فى الأرض ، وأصل معنى هذا البيت من قولهم « إن من العفة ألا تجد » .

(٥) تقول « فلان ابن عمى دنيا » أى عمومة قريبة ، والضرائب : جمع ضريبة ، وهى هنا الطبيعة والسجية ، يقول : نحن أبناء عمومة قريبة وأخلاقنا متشابهة متمازجة .

(٦) نمانا : رفعنا بالانتساب إليه ، وهاشم : جد النبى صلى الله عليه وسلم الثانى ، ولؤى وغالب : جدان من أجداده أيضا ، وغالب : أبو لؤى ، وأنجب : أى ولد الأولاد النجباء .

(٧) لاث العمامة يلوثها لوثا ، والتاثها أيضا : أى عصبها على رأسه وكورها وأدارها ، ومنه قول عروة بن حزام العذرى :

٤٣ تَرَى الشُّمَّ مِنْ آنافِنا فِي وُجُوهِهِمْ وأعْنَاقُنا طالَتْ بِهِنَّ المَناصِبُ (١)

٤٤ وَكَمْ دَاخِلٍ مَابَيْنَنَا بِنَمِيمَةٍ تَقَطَّرَ لَمَّا زَاحَمَتْهُ المَصَاعِبُ (٢)

٤٥ سِوَى هَبَوَاتٍ شَابَتِ الودَّ بَيْنَنَا وَأَيُّ وِدَادٍ لم تَشُبْهُ الشَّوَائِبُ (٣)

٤٦ لَنَا الدَّوْحَةُ العُلْيَا التى نَزَعَتْ بِها إلى المَجْدِ أغصانُ الجدودِ الأطايِبُ (٤)

فَرُحْتُ مَعَ العَرَّافِ تَسْقُطُ عِمَّتى عَنِ الرأسِ ما ألْتَاثُها بِبَنَانِ

يقول : إن مجدنا هو مجدهم، وإن مايكون لهم من مفخرة أو محمدة فإنا نفخر به.

(١) الشم - بضم الشين - جمع أشم ، وهو وصف من الشمم - بفتح الشين والميم - وهو ارتفاع فى قصبة الأنف ، وذلك عند العرب من علامات الشرف ورفعة القدر ، وتقول : « طال عنقى بما فعلت » تريد أنك كنت فخورا بما فعله ، وذلك لأن تنكيس الرأس علامة الخزى والخجل ، ورفع الرأس إلى أعلى علامة العزة ، وذلك مما يظهر فيه طول العنق .

(٢) تقطر : سقط من أعلى ، وتقول « قطرت الفارس فتقطر » تريد أنك كبيته من فوق حصانه فوقع ، وقال الشاعر :

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَجَارَاتُها مَا قَطَّرَ الفارسَ إلّا أنا

وقال الآخر :

أقُولُ لِحَرْزٍ لَمَّا التَقَيْنَا تَنَكَّبْ لا يُقَطِّرْكَ الزِّحَامُ

والمصاعب : جمع مصعب - بضم الميم وسكون الصاد وفتح العين - وهو فى الأصل الجمل يتركه صاحبه فلا يركبه ولا يمسه حبلا فيصعب ركوبه بعد ذلك ، وهذه العبارة تلحظ معنى قول الشاعر:

وابنُ اللَّبُونِ إذا مَا لُزَّ فى قَرَنٍ لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَنَاعِيسِ

(٣) الهبوات : جمع هباءة ، وكان من حقه أن يجمعها على هباوات ، ولكنه قصرها أولا ثم جمع المقصور ، وقصر الممدود مما يجوز فى الشعر ، والهباءة : القطعة من الهباء ، وهو فى الأصل الغبار أو ما يشبه الدخان وهو مما ينبث فى ضوء الشمس ، وشبهوا به القليلى العقول من الناس . وورد فى حديث الحسن « ثم اتبعه هباء رعاع » ووقع فى ه « سوى هفوات شابت الود بيننا » وشابت الود : خلطته بما يكدره .

(٤) نزعت بها إلى المجد : جذبتها ، والأصل فى هذا الفعل قولهم « نزع الدلو » إذا جذبها

٤٧ إِذَا كان فى جَوِّ السماءِ عُرُوقُها فأيْنَ أعاليها وأيْنَ الذَّوَائِبُ(١)

٤٨ عَلَوْنا إلى أثْباجِها وَلَغَيْرُنا عَنِ المَنْكِبِ العالِى إِذَا رَامَ نَاكِبُ(٢)

٤٩ فَما حَمَلَ الآباءُ منَّا وساقَطَتْ إلى الأَرْضِ منَّا المُنْجِبَاتُ النجائبُ(٣)

٥٠ سُيُوفٌ على الأَعْداءِ تَمْضِى نفوسُها ولم تَتَبَدَّلْهُنَّ أيْدٍ ضَوَارِبُ

٥١ فإنْ تَرَ فِينَا صَوْلَةً عَجْرَفِيَّةً فَقَدْ عَرَّفَتْ فِينَا الجُدُودُ الأَعَارِبُ(٤)

من البئر ، وقالوا « نزع فلانا عرق » أى جذبه نحوه ، ووقع فى ه « نزعت بها لها المجد ـ الخ » محرفا عما أثبتناه ، والأطايب : جمع طيب ، وأراد به الكريم الأصل .

(١) عروق الأشجار : يراد بها جذورها المشتبكة فى الأرض . يقول : إذا كانت جذورنا صاعدة فى جو السماء فإن أعالى أشجارنا وذوائبها فوق ذلك .

(٢) الأثباج : جمع ثبج ـ بفتح الثاء المثلثة والباء الموحدة ـ وهو ما بين الكاهل إلى الظهر ، ووقع فى ه « علونا إلى إنتاجها » محرفا عما أثبتناه ، واللام فى «ولغيرنا» هى لام الابتداء التى تدخل على المبتدأ ، وناكب : مائل . يقول : إن سوانا إذا أراد أن يصل إلى المجد لم يبلغه ولم يستطع إدراكه ، وإنه ليميل وينحرف عنه ، أما نحن فقد استطعنا أن نبلغ أعلى ما يطمح فى بلوغه من المجد ورفعة القدر .

(٣) حمل : رفع إلى أعلى ، والمنجبات : جمع منجبة ، وهى المرأة التى تلد الأولاد النجباء ، والنجائب : جمع نجيبة ، وهى مثل المنجبة ، وقالت قتيلة بنت النضر تخاطب النبى صلى الله عليه وسلم :

أمحمدٌ ، وَلَدَتْكَ خَيْرُ نَجِيبَةٍ فى قَوْمِها ، والْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِق

يقول : إن آباءنا لمنجبون وإن أمهاتنا لمنجبات ، فلم يأتنا نقص من جهة أحد الأصلين ، فلم يكن آباؤنا ليسموا بنا وتسفل أمهاتنا بأقدارنا ، بل تضافر الطرفان على إعزاز قدرنا ورفعته .

(٤) الصولة ـ بفتح الصاد وسكون الواو ـ السطوة والاستطالة على القرن والقهر له حتى يذل ، والعجرفية : المنسوبة إلى العجرفة ـ بفتح العين والراء وسكون الجيم بينهما ـ وهى الجفوة فى الكلام والخرق فى العمل وركوب الأمر لا تتروى فيه ولا تبالى عواقبه ، والعرب تتمدح فى

٥٢ فصَبْراً جميلاً إنَّما هِيَ نَوْمَةٌ ... وتُلْحِقُنَا بِالأَوَّلِينَ النَّوَائِبُ

٥٣ ولَيْسَ لمن لم يَمْنَعِ اللهُ مَانِعٌ ... وَلَا لِقضاءِ اللهِ فى الأَرضِ غالِبُ

٥٤ وَلَوْ رَدَّ ميتاً وَجْدُ ذِى المَيْتِ بَعْدَهُ ... لَرَدَّكَ وَجْدِى والدُّموعُ السَّوَارِبُ(١)

٥٥ سَيُعْطَى رجالٌ مامُنِعْتَ وَيَشْتَفِى ... مِنَ الأَقرباءِ الأَبْعَدُونَ الأَجانِبُ

٥٦ لَنا فِيكَ عِنْدَ الدَّهْرِ ثأرٌ نُرِيغُهُ ... وَإِنِّى لِثارَاتِ المَقادِيرِ طَالِبُ(٢)

٥٧ أَدَرَّتْ عَلَيْكَ السَّارِياتُ وَرَفْرَفَتْ ... عَلَى ذلِكَ القبرِ الرياحُ الغَرَائِبُ(٣)

شجاعتها بأنها تقدم على الأمور غير هيابة عواقبها ولا مقدرة لنتائجها ، واستمع إلى قول شاعر الحماسة :

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ... ونَكَّبَ عن ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبَا

ووقع فى ا ، ب « فقد عرفت » بالفاء ، وأنا أحسب ذلك محرفا عما أثبتناه ، و « عرقت فينا » بالقاف ـ ضربت فينا بعرق ، يريد إذا رأيت إقدامنا على طعان الأقران غير مبالين ولا هيابين فلا تعجب لشىء من ذلك فإنما ورثنا هذه الشجاعة الفائقة عن جدودنا العرب الذين ضربوا بعرق فى تنشئتنا .

(١) الوجد ـ بفتح الواو وسكون الجيم ـ الحزن الشديد ، ووقع فى ب « ولو رد ميتا وجد ذى الوجد بعده » والسوارب : جمع سارية ، وهى الجارية . يقول : لو كان الحزن على الميت والبكاء لفقده يرده لكنت أنت خليقا بأن تعود إلى الحياة لكثرة ما أذرف من الدمع عليك ولشدة ما ألقى من الحزن لك .

(٢) نريغه : نطلبه بالحيلة والخديعة لأن الدهر لايكاشف بالقتال ، وأصل هذه الكلمة قولهم « راغ فلان » إذا حاد عن الجادة خديعة ومكرا ، وقولهم « راغ إلى كذا » إذا مال إليه سرا ، ووقع فى ب « نزيعه » بالزاى والعين المهملة ، ووقع فى ه « نزيغه » بالزاى والغين المعجمتين ، ولم يتجه لى فيهما معنى مستقيم .

(٣) أدرت : هطلت الأمطار ، والساريات : جمع سارية ، وأراد بها السحائب التى تسوق الأمطار ، وأصلها السحب التى تسير ليلا ، و « رفرفت » بفاءين ، ووقع فى ب « ورقرقت » بقافين .

٥٨ وَلا زَالَ عَنْ ذَاكَ الضَّرِيحِ مُنَوِّرٌ ... مِنَ الرَّوْضِ تَغْلِيهِ الصَّبَا وَالجَنَائِبُ (١)

٥٩ ولا بَلْ سَقَيْنَاكَ الدُّمُوعَ فَإِنَّمَا ... لَنَأْنَفُ إِنْ قُلْنَا سَقَتْكَ السَّحَائِبُ (٢)

* * *

٤٦ — وقال يرثى خاله أبا الحسين أحمد بن الحسين الناصر (٣)، وتوفى فى شهر رجب سنة إحدى وتسعين وثلثمائة [من الطويل] :

١ لنا كلَّ يومٍ رَنَّةٌ خَلْفَ ذَاهِبٍ ... وَمستهلك بَيْنَ النَّوَى وَالنَّوَائِبِ (٤)

---

(١) لازال : لم يتحول ، والمنور ـ بتشديد الواو مكسورة ـ الذى ظهر نواره ، وتغليه : تتخلله ، والصبا : ريح الشمال ، والجنائب : جمع جنوب ، وهى الريح التى تهب من ناحية تقابل الناحية التى تهب منها ريح الشمال .

(٢) أضرب عن الدعاءله بأن يسقى قبره هتان من المطر إلى أن تكون سقياه من دموعهم، ونأنف كذا : نكرهه ونستنكف منه ونراه عيبا .

(٣) خال الرضى : هو أبو الحسين أحمد ـ كما ذكر فى ديباجة هذه القصيدة وقصيدةالمديح والتهنئة بمولودة ، وهى الكلمة رقم ٣١ ـ بن الحسين بن الحسن الناصر الأصم ، صاحب الديلم ، بن على بن الحسن بن على بن عمر بن الحسين بن على بن أبى طالب ، والناصر هذا شيخ الطالبيين وعالمهم وزاهدهم وأديبهم وشاعرهم ، ملك بلاد الديلم والجيل ، وكان يلقب بالناصرللحق ، وجرت له حروب عظيمة مع السامانية ، وتوفى بطبرستان سنة أربع وثلثمائة ، وسنه تسع وسبعون سنة (انظر شرح نهج البلاغة ١ / ١١) وقال ابن الأثير فى الكامل (٨ / ٣٦) فى حوادث سنة ٣٠٤ « وفيها توفى الناصر العلوى صاحب طبرستان فى شعبان ، وعمره تسع وسبعون سنة ، وبقيت طبرستان فى أيدى العلوية إلى أن قتل الداعى ـ وهو الحسن بن القاسم سنة ٣١٦ » اه . وذكر ظهور الناصر وعدد أولاده فى حوادث سنة ٣٠١ (٨ / ٢٨ بولاق)

(٤) الرنة ـ بفتح الراء وتشديد النون ـ الصوت ، ومستهلك : هالك، أو ميت ، والنوى: البعد ، والنوائب : جمع نائبة ، وهى المصيبة التى تنزل بالإنسان ، ووقع فى ه « ومستهلل بين النوى » محرفا عما أثبتناه ، ووقع فى ب « بين النوى والنوادب » والنوادب : جمع نادبة ، وهى التى تذكر ممادح الميت ، وما أثبتناه أحسن .

٢ وَقُلْعَةِ إِخْوَانٍ كَأَنَّا وَرَاءَهُمْ نُرَامِقُ أَعْجَازَ النُّجُومِ الْغَوَارِبِ (١)

٣ نُوَادِعُ أَحْدَاثَ اللَّيَالِي عَلَى شَفَا مِنَ الْحَرْبِ لَوْ سَالَمْنَ مَنْ لَمْ يُحَارِبِ (٢)

٤ ونَأْمُلُ مِنْ وَعْدِ الْمُنَى غَيْرَ صَادِقٍ ونَأْمَنُ مِنْ وَعْدِ الرَّدَى غَيْرَ كَاذِبِ (٣)

٥ وَمَا النَّاسُ إِلا دَارِعٌ مِثْلُ حَاسِرٍ يُصَابُ وَإِلا دَاجِنٌ مِثْلُ سَارِبِ (٤)

٦ إِلَى كَمْ نُمَنَّى بِالْغُرُورِ ونَنْثَنِي بِأَعْنَاقِنَا لِلْمُطْمِعَاتِ الْكَوَاذِبِ

٧ وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَغْرُورَ قُرْبٌ لِلنَّوَى تَلَوُّمُ مَغْرُورٍ بِأَرْجَاءِ جَاذِبِ (٥)

---

(١) أصل القلعة ـ بضم القاف وسكون اللام ـ المال الذى يؤخذ عارية، ومالا دوام له من المال ، وإضافته إلى الإخوان من إضافة المشبه به إلى المشبه ، ونرامق : أراد به نرمق : أى ننظر ، وأعجاز : جمع عجز ـ بفتح العين وضم الجيم ـ وهو مؤخر الشىء ، والغوارب : جمع غارب وهو الذى مال إلى الغروب .

(٢) نوادع : نسالم ونهادن ، والأحداث : جمع حدث ـ بفتح الحاء والدال ـ وهو ما يستجد من الحوادث ويطرأ ، وشفا كل شىء : حرفه . يقول : إننا من أجل إخواننا نسالم الأيام رجاء أن تسالمنا ، ولكنها لا تقابل سلمنا بسلم ، وإنما هى مستمرة على حربها .

(٣) كرر فى هذا البيت معنى البيت ١١ / ٤٥ يقول : إن المطامع لتجعلنا نأمل الوصول إلى مانريد مع أن ذلك غير موثوق به ، ونتخدع عن الموت مع أنه آت من غير ريب .

(٤) الدارع : لابس الدرع يتقى به صولة الأعداء ، والحاسر : الذى لادرع له ، والداجن : المقيم فى مكانه لايبرحه ، تقول : دجن بالمكان ـ من باب قعد ـ إذا أقام به ، والسارب : الذاهب السائر ، وأراد به الذى يسير فى الأرض ساعيا وراء المجد طالبا بلوغ آماله . يقول : استوى أمام أحداث الدهر المتهيء لاستقبالها والمغضى عنها ، كما استوى من يلازم عقر داره ومن لا ينفك عن السير .

(٥) التلوم : التلبث والمكث . والأرجاء : النواحى ، واحدها رجا ، وقد يكون الإرجاء بكسر الهمزة بمعنى التأخير .

٨ لُزِزْنَا مِنَ الدَّهْرِ الْخَؤُونِ بِمَصْدِمٍ يُحَطِّمُ أَشْلَاءَ الْقَرِينِ الْمُحَارِبِ (١)

٩ هُوَ الْقَدَرُ الْمَجْلُوبُ مِنْ حَيْثُ لَا يُرَى وَأَعْيَا عَلَيْنَا رَدُّ تِلْكَ الْجَوَالِبِ (٢)

١٠ نُرَاعُ إِذَا مَا شِيكَ أَخْمَصُ بَعْضِنَا وَأَقْدَامُنَا مَا بَيْنَ شَوْكِ الْعَقَارِبِ (٣)

١١ وَنُمْسِي بِآمَالٍ طِوَالٍ كَأَنَّنَا أَمِنَّا بَيَاتَ الْخَطْبِ دُونَ الْمَطَالِبِ (٤)

١٢ نَعَمْ إِنَّهَا الدُّنْيَا سِمَامٌ لِطَاعِمٍ وَفَوْتٌ لِمَطْلُوبٍ وَهَمٌّ لِطَالِبِ (٥)

---

(١) لززنا به ـ بالبناء للمجهول ـ شددنا إليه وجعلنا معه فى قرن واحد ، ويحطم : يكسر ، والأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو ، ووقع فى ه « من الدهر الحرون » ووقع فى ب « القرين المجاذب » وما أثبتناه فى الموضعين أحسن .

(٢) وقع فى ه « القدر المجلوب من حيث لا ترى »

(٣) نراع ـ بالبناء للمجهول ـ يأخذنا الروع والخوف ، وشيك : أصيب بشوكة ، والأخمص ـ بفتح الهمزة والميم بينهما خاء ساكنة ـ مالا يصيب الأرض من باطن القدم ، وربما أطلق على القدم كلها ، وورد فى الحديث « كان خمصان الأخمصين » والمعنى أن أخمصيه صلى الله عليه وسلم كانا شديدى التجافى عن الأرض ، ووقع فى ه « وأقدامنا ما بين شك العقارب » ولها وجه ، وشوكة العقرب : إبرتها . يقول : إن أحدنا إذا أصابته فى قدمه شوكة خاف من عواقبها وأخذه الروع والفزع ، مع أننا سائرون فى أرض مليئة بالعقارب لا نأمن أن تلدغنا فى كل وقت ، وضرب هذا الكلام مثلا .

(٤) الخطب : أراد به المكروه يجىء به الدهر ، وبياته دون المطالب : كناية عن أنه لا يصيبنا فى طريق الوصول إلى الآمال ، ووقع فى ه « أمنا بباب الخطب » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(٥) سمام : جمع سم ، والطاعم : الآكل ، وفوت لمطلوب : يعنى أن ما تطلبه لا تصل إليه ولا تدركه ، ووقع فى ب ، ه « وخوف لمطلوب » ونعتقد أنه محرف عما أثبتناه . يقول : ليس لهذه الدنيا أمان ولا فيها هناءة ، فالذى يأكل كأنما يأكل السم ، والآمال لا يدركها المؤملون ، والمؤملون دائما فى هم و بلاء وعناء .

١٣ تَصَدَّى لَنَا قُرْبَ المُوَامِقِ ذِي الْهَوَى وَتَخْتِلُنَا كَيْدَ الْعَدُوِّ الْمُجَانِبِ (١)

١٤ وَإِنَّا لَنَهْوَاهَا عَلَى الْغَدْرِ وَالْقِلَى وَنَمْدَحُهَا مَعْ عِلْمِنَا بِالْمَعَايِبِ (٢)

١٥ وَحَسْبِيَ مِنْ ضَرَّاءِ دَهْرِيَ أَنَّنِي أُقِيمُ الأَعَادِي لِي مُقَامَ الْحَبَائِبِ

١٦ أَلَمْ يَأْنِ يَا لِلنَّاسِ هَبَّةُ نَائِمٍ رَأَى سِيرَةَ الأَيَّامِ أَوْ جِدُّ لاعِبِ (٣)

١٧ حَدَتْ بِعَصَاهَا آلَ سَاسَانَ وَالْتَوَتْ يَدَاهَا بِآلِ الْمُنْذِرِينَ الأَشَاهِبِ (٤)

---

(١) تصدى لنا : تتعرض لنا ، وكأنها تعرض علينا نفسها ، وأصله « تتصدى » فحذف إحدى التاءين ، و « قرب الموامق » مفعول مطلق يجوز أن يكون عامله محذوفا وتقدير الكلام: تتعرض لنا تقرب منا قرب الموامق، ويجوز أن يكون العامل فيه هو قوله تصدى لنا ، والموامق: المحب الشديد المحبة ، من المقة ـ بكسر الميم ـ وهى المحبة . وتختلنا : تخدعنا وتغرنا ، و« كيد العدو » مفعول مطلق على نحو ماذكرناه أولا ، ووقع فى ه ، ب « ويختلنا كيد العدو المجانب » ونعتقد أنه محرف عما أثبتناه .

(٢) نهواها : نحبها ونميل إليها، والقلى ـ بكسر القاف ـ البغض والكراهية ، والمعايب : جمع معابة ، وهى العيب .

(٣) يأن : يحن ويأتى إناه وهو وقته ، وقوله « يالناس » استغاثة اعترض بها بين الفعل وفاعله ، وهبة نائم : هبوبه من نومه وانتباهه من غفلته ، وسيرة الأيام : طريقتها التى تسير عليها ، والجد ـ بكسر الجيم ـ ضد الهزل واللعب ، وهو معطوف بأو على قوله « هبة نائم » يقول : ألم يحن الوقت الذى يتنبه فيه اللاهى بعد أن رأى بعينه هذه الطريق المنكرة التى تسير عليها الدنيا مع عشاقها والمتكالبين عليها ، ثم ألم يحن الوقت الذى يأخذ فيه اللاعبون بأسباب الجد ؟ يستنكر ماعليه الناس من الغفلة .

(٤) حدت : ساقت وزجرت ، ووقع فى ه « حدت بعطاها » ووجهها بعيد . وآل ساسان : هم فى الجاهلية ملوك الفرس الثانية، وأولهم ـ على ماقال علماء التاريخ ـ أردشير بن بابك شاه بن ساسان ، والمنذرين : أراد بهم المناذرة ملوك الحيرة ، وكانوا خاضعين لدولة الأكاسرة ، والأشاهب : جمع أشهب ، وهو الذى لونه الشهبة ـ بضم الشين وسكون الهاء ـ وهى فى الأصل بياض يخالطه سواد أو بياض يغلب على سواد ، والمراد هنا البياض ، والعرب تتمدح ببياض الوجه

١٨ وَحَلَّتْ عَلَى أَطْلالِ عادٍ وحِمْيَرٍ ... سَنَابِكُها حَلَّ الجِيادِ اللَّوَاغِبِ (١)

١٩ نَزَلْنَ قِبابَ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَرِّقٍ ... وأَنْدِيَةَ الشُّمِّ الطِّوَالِ بِمَأْرِبِ (٢)

٢٠ نَبَا بِبَنِي الْعَنْقَاءِ نَابٌ وقَعْقَعَتْ ... عِمَادَ بَنِي الرَّيَّانِ إِحْدَى الشَّوَاغِبِ (٣)

وتجعله سيمياء الكرم ، وقد يطلق الأشهب ويراد منه الذى لا طاقة لأحد به ، وأخلق بهذا المعنى أن يكون مرادا هنا .

(١) الأطلال : جمع طلل - بفتح الطاء وأولى اللامين - وهو ما بقى شاخصا ظاهرا من آثار الديار ، وأماما بقى منها لاصقا بالأرض غير بارز فهو رسم ، وعاد : أمة من العرب البائدة أرسل إليهم هود عليه السلام ، وحمير - بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء المثناة - أحد شعبين عظيمين نسلهما قحطان أبو عرب اليمن ، والشعب الثانى كهلان ، ومن شعب حمير قبائل قضاعة وتنوخ وكلب وجهينة ، والسنابك : جمع سنبك ، وهو طرف الحافر من الخيل ، واللواغب : جمع لاغب ، وهو الذى أصابه اللغوب والإعياء والتعب .

(٢) القباب : جمع قبة ، وكانت العادة جارية ألا يجلس تحت القبة غير الملوك والأمراء ، والمنذر : جد المناذرة ، ومحرق أبوه هو عمرو بن هند ، سمى بذلك لأنه حرق مائة من بنى تميم ، ولقب بالمحرق غيره أيضا ، فممن لقب به الحارث بن عمرو ملك الشام لأنه حرق العرب فى ديارهم ، وهو أول من فعل ذلك ، وللنعمان بن المنذر ولد أسماه محرقا ، والأندية : جمع ناد ، وهو مكان سمر القوم واجتماعهم ، والشم - بضم الشين - جمع أشم ، وهو وصف من الشمم - بفتح الشين والميم - وهو ارتفاع قصبة الأنف ، ومارب : أصله مأرب - بالهمز - فسهل الهمزة بقلبها حرفا من جنس حركة ماقبلها ، ومأرب : مدينة باليمن كانت قاعدة ملك التبابعة ، وقد اعتاد الشعراء حين يريدون تهوين شأن الموت أن يذكروا الملوك وذوى الأقدار العالية الذين نزل بهم الموت ، ومن أمثلة ذلك قول الأسود بن يعفر :

مَاذا أُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ ... تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيادِ

أَهْلِ الْخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ ... والْقَصْرِ ذِي الشُّرُفاتِ مِنْ سِنْدَادِ

جَرَتِ الرِّياحُ على عِرَاصِ دِيارِهِمْ ... فَكَأَنَّما كانُوا عَلَى مِيعَادِ

(٣) وقع فى ه « بنى بيتى العنقاء باب » محرفا فى عدة مواقع كما ترى . وبنو العنقاء : هم

٢١ فَقَادَتْهُمُ قَوْدَ الأيانِقِ فى البُرَا ... وزَمَّتْهُمُ زَمَّ القُرُومِ المصاعِبِ (١)

٢٢ أهَبَّتْ عَلَيْهِمْ قاصِفًا مِنْ رِياحِها ... فَطارُوا كَما وَلَّى جُفاءُ المَذانِبِ (٢)

٢٣ مَسِيرٌ مَعَ الأقْدارِ ما فِيهِ وَنْيَةٌ ... وَلا وقْفَةٌ بَعْدَ اللُّغُوبِ لِراكِبِ (٣)

سكان يثرب من الأوس والخزرج ، والعنقاء: هو ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء أحد التبابعة ، وفى بنى العنقاء يقول حسان بن ثابت :

وَلَدْنا بَنى العَنْقاءِ وابْنَىْ مُحَرِّقٍ ... فأكْرِمْ بِنَا خَالًا وأكْرِمْ بِنَا ابْنَما

وفيهم أيضا يقول الربيع بن أبى الحقيق ، وهو شاعر من شعراء اليهود من بنى قريظة :

رأيْتُ بَنى العَنْقاءِ زَالُوا ومُلْكُهُمْ ... وَآبُوا بِأنْفٍ فى العَشِيرَةِ مُرْغَمِ

فإنْ يُقْتَلُوا نَنْدَمْ لِذَاكَ، وإنْ بَقُوا ... فلا بُدَّ يَوْمًا مِنْ عُقُوقٍ ومَأْثَمِ

وقعقعت عماد بنى فلان : هدمت عمدهم ، أراد أنهم فارقوا منازلهم ، و بنو الريان : هم بنو يزيد ابن قطن بن زياد بن الحارث بن ربيعة ، وهم قوم السموأل بن عادياء الذى يضرب به المثل فى الوفاء ، وفيهم يقول من قصيدته اللامية الجارية على كل لسان :

سَلِى إنْ جَهِلْتِ الناسَ عَنَّا وعَنْهُمُ ... فَلَيْسَ سَوَاءً عالِمٌ وجَهُولُ

فإنَّ بنى الرَّيَّانِ قُطْبٌ لقَوْمِهِمْ ... تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وتَحُولُ

ووقع فى ه « ببنى الديان » بالدال، وهم بنو الحارث بن كعب، وكانوا سادة نجران .

(١) الأيانق : جمع أينق الذى هو جمع ناقة ، والبرا : جمع برة ـ بضم الباء وفتح الراء فى المفرد والجمع ـ وهى حلقة توضع فى أنف البعير أو فى لحمة أنفه، يقاد منها ، وفسر هذا فى هامش ب بما لا يقضى العجب منه ، وزمتهم : شدتهم ، والقروم : جمع قرم ، وهو الفحل ، والمصاعب : جمع مصعب، وهو الجمل ترك ركوبه حتى أصبح صعب الركوب .

(٢) القاصف : أراد به الريح الشديد الذى يقصف الشجر ونحوه ، والجفاء ـ بضم الجيم ـ الزبد ، والمذانب : جمع مذنب ـ بوزن منبر ـ وهو الجدول يسير عن الروضة بمائها إلى غيرها .

(٣) ونية ـ بفتح فسكون ـ هى المرة من الونى ، وهو الفتور والتوانى ، ووقع فى ه « ولا رفعت بعد اللغوب لراكب » محرفا ، ووقع فى ب « ولاوقعة » بالعين المهملة ـ محرفا أيضا .

٢٤ وَمَنْ كانَتِ الأيَّامُ ظَهْرًا لِرَحْلِهِ ... فَيَا قُرْبَ ما بَيْنَ المَدَى وَالرَّكائِبِ

٢٥ وَمَنْ أصْبَحَ المِقْدارُ حادِي مَطِيِّهِ ... أجَدَّ بلا رُزْءٍ وَلا سَوْطِ ضارِبِ (١)

٢٦ عَلَى مِثْلِها يُدْمِي الحَلِيمُ بَنانَهُ ... عضاضًا عَلَى أيْدِي المَنايا السَّوالِبِ

٢٧ عَلَى أيِّ خَلْقٍ آمَنُ الدَّهْرَ بَعْدَ ما ... تَباعَدَ ما بَيْنِي وبَيْنَ الأقارِبِ

٢٨ سِنانُ عُلًى عَزِّي قَنَاتِي ومَضْرِبٌ ... مِنَ المَجْدِ مُسْتَثْنًى بِهِ مِنْ مَضارِبِي

٢٩ ولما طَوَى طَيٌّ البُرُودَ وأقْبَلُوا ... يُهادُونَهُ بَيْنَ الطُّلَى وَالمَناكِبِ (٢)

٣٠ صَبَرْتُ عَلَيْهِ أطْلُبُ النَّصْرَ بُرْهَةً ... مِنَ الدَّهْرِ ثُمَّ انْقَدْتُ طَوْعَ الجَوَاذِبِ (٣)

٣١ تَقَطَّعَتِ الأسْبابُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إلا عُلْقَةٌ لِلْمَناسِبِ (٤)

٣٢ لَئِنْ لم نُطِلْ لَدْمَ التَّرائِبِ لَوْعَةً ... فإنَّ لَنَا لَدْمًا وَرَاءَ التَّرائِبِ (٥)

٣٣ يَتِمُّ تَمامَ الرُّمْحِ زَادَتْ كُعُوبُهُ ... وَيَهْتَزُّ لِلْحَمْدِ اهْتِزازَ القَواضِبِ (٦)

---

(١) المقدار : القدر والمقدور ، والحادى : السائق ، والمطى: جمع مطية ، وهى الراحلة تركبها إلى مقاصدك ، ووقع فى ب « ولا صوط راكب » ووقع فى ه « ولا صوت ضارب » وكلاهما تحريف ما أثبتناه .

(٢) يهادونه : أراد يسيرون به ، والطلى : جمع طلية ، وهى هنا العنق ، أراد أنهم حملوه على أكتافهم وساروا يتهادون به .

(٣) البرهة ـ بضم الباء وسكون الراء ـ القطعة اليسيرة من الزمن ، يريد أنه لبث قليلا يتصبر ثم تجاذبته الهموم فانقاد لها .

(٤) المناسب : أراد بها الأنساب التى تربطهما ، يقول : كل ما كان بينى وبينه من علائق المودة قد انجذمت حباله ، فلم يبق بينهما غير النسب الذى لا يمكن أن يأتى عليه الموت .

(٥) وقع فى ب ، ه « لأن » خطأ فى الرسم . واللدم : اللطم ، والترائب : جمع تريبة ، وهى عظم الصدر .

(٦) وقع فى ه « ويهتز للمجد » وما أثبتناه موافقا لما فى ب أحسن .

٣٤ فلا الحِلْمُ فى عَرْكِ الخُطُوبِ بعازِبٍ ... ولا الرِّيقُ فى كَرِّ الرَّزَايا بِناضِبِ (١)

٣٥ يُداهِى ضِبابَ القَاعِ وَهْوَ كأنه ... مِنَ اللِّينِ غمرٌ غيرُ جَمِّ المَذاهِبِ (٢)

٣٦ إذا طَبَعَ الآراءَ ماطَلَ غَرْبَها ... فلَمْ يُمْضِها إلا بإذْنِ العَواقِبِ (٣)

٣٧ مِنَ القَوْمِ حَلُّوا فى المكارِمِ والعُلَى ... بمُلْتَفِّ أعْياصِ الفُرُوعِ الأطايِبِ (٤)

٣٨ أقامُوا بمُسْتَنٍّ البِطاحِ ومَجْدُهُمْ ... مَكانَ النَّواصى مِنْ لُؤَىِّ بنِ غالِبِ (٥)

---

(١) الحلم : الأناة والتعقل ، وعازب : اسم الفاعل من « عزب يعزب » مثل قعد يقعد ـ إذا بعد ، والريق : ماء الفم ، والناضب : أصله الماء يغور فى الأرض فلا يبقى على وجهها ، وأراد أن ريقه لايجف ، وإنما يجف ريق الإنسان عند اشتداد الخوف ونحوه ، فهذه كناية عن أنه لايخاف الرزايا .

(٢) يداهى : يغالب فى الدهاء ، والضباب : جمع ضب ، وهو حيوان معروف ، يضرب به المثل فى الخداع ، وقالوا « فلان أخدع من ضب » ومن دهائه أنه يتوود إلى العقارب ويؤويها فى جحره لتلسع المتحرش به إذا أدخل يده لأخذه ، وفيه يقول الشاعر :

وأخْدَعُ مِنْ ضَبٍّ إذا جَاءَ حَارِشٌ ... أعَدَّ لَهُ عِنْدَ الذُّبابَةِ عَقْرَبا

والقاع : الأرض السهلة المطمئنة التى انفرجت عنها الجبال والآكام . والغمر : الذى لم يجرب الأمور ، والجم : الكثير ، ووقع فى ه « غير جمر المذاهب » محرفا .

(٣) طبع الآراء : أراد إذا أعمل الرأى ودبره ، وماطل : مد ، وغرب كل شىء ـ بفتح الغين وسكون الراء ـ حده ، يريد أنه رجل بصير عالم بعواقب الأمور ، فإذا دبر رأيا أو أعمل فكرا لم ينفذه حتى يعلم عواقبه ونتائجه .

(٤) تقول « شجر ملتف » إذا كان كثير الأغصان مشتبك الفروع ، والأعياص : جمع عيص ، وهو الشجر الكثير الملتف ، وهو أيضا منبت خيار الشجر ، ضرب هذا مثلا لطيب أرومة المندوب .

(٥) المستن : هو الموضع الذى يجرى فيه السراب ، والبطاح : جمع بطحاء ، وهى مسيل واسع فيه دقاق الحصى ، والنواصى : جمع ناصية ، ويراد بها أعلى الشىء ، يريد أنهم سكنوا فى السهول وبطون الأودية ، ولكن مجدهم فى الذرى وأعلى القنن .

٣٩ بَهالِيلُ أزْوَال تُعاجُ إلَيْهِمُ صُدورُ القَوافِي أو صُدُورُ النجائِبِ (١)

٤٠ عِظامُ المقارِي يُمْطِرُونَ نَوالَهُم بأيْدِي مَسامِيح سِباطِ الرَّواجِبِ (٢)

٤١ إذا طَلَبُوا الأعْداءَ كانُوا نَفِيضَةً لِيَوْمِ الْوَغَى مِنْ قَبْلِ جَرِّ الكَتائِبِ (٣)

٤٢ وَباتُوا مَبِيتَ الأسْدِ تَلْتَمِسُ القِرَى بِمَطْرُورَةِ الأنْيابِ عُوجِ الْمَخالِبِ (٤)

٤٣ وَباتُوا عَلَى الأعْوادِ تَسْمُو لِحاظُهُمْ كَلَمْحِ الْقَطامِيَّاتِ فَوْقَ الْمَراقِبِ (٥)

---

(١) البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد الجامع لكل خصال الحمد ، والأزوال : جمع زول ، وهو الشجاع والجواد والفطن والظريف ، وتعاج إليهم : تمال نحوهم ، وأراد بصدور القوافى : الشعر الذى يقال فى مدحهم ، وأراد بصدور النجائب ركابها الذين يقصدونهم استمناحا لبرهم ، يعنى أنهم قوم شجعان مغاوير ممدحون مقصودون للبر والعطاء .

(٢) المقارى : جمع مقراة ـ بكسر الميم وسكون القاف ـ وهى الحوض ، وكل ما اجتمع فيه الماء ، والنوال : العطاء ، والمساميح : جمع مسماح ، وهو كثير السماح والعطاء ، والرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، وصفهم بالمبالغة فى الكرم والجود .

(٣) « نفيضة » النفيضة : الجماعة من الناس يخرجون فى مقدمة أصحابهم يتعرفون لهم الطريق أفيه من عدوهم أحد أم هو خال من المخاوف ، وأراد أنهم يتقدمون للمخاطر غير مبالين ، وتقول « نفض فلان إلى عدوه » إذا نهض له ، والوغى : الحرب ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجيش ، يريد أنهم إذا طلبوا عدوهم للقتال أعدوا لذلك عدته وأخذوا له أهبته ثم حملوا عليه واثقين بالفوز وتقدموا إخوانهم ، ووقع فى ه « من قبل مر الكتائب » .

(٤) تقول : سنان مطرور وطرير : أى محدد قاطع ، والأنياب : جمع ناب ، وهى السن التى خلف الرباعية ، والمخالب : جمع مخلب ، وهو ظفر السبع ، والسباع إنما تفترس بالمخالب والأنياب ، وإضافة مطرورة إلى الأنياب من إضافة الصفة إلى الموصوف ، لما شبههم بالأسد ذكر ما هو من ملائم المشبه به .

(٥) فى ب « وأضحوا على الأعواد » . وتسمو لحاظهم : ينظرون إلى أعلى ، والقطاميات : جمع قطامى ، والقطامى : الصقر ، وهو من أحد الطيور بصرا ، ولهذا يشبهون به الحديد البصر ، والمراقب : جمع مرقب ، وهو المكان العالى تنظر منه .

٤٤ فَما شِئْتَ مِنْ داعٍ إلى الله مُسْمِعٍ ... وَمِنْ ناصِرٍ للحقِّ مَاضِى الضَّرَائِبِ

٤٥ هُمُ اسْتَخْدَمُوا الأَمْلاكَ عِزًّا وأَرْهَفوا ... بَصَائِرَهُمْ بَعْدَ الرَّدَى وَالْمَعاطِبِ (١)

٤٦ وَهُمْ أَنْزَلُوهُمْ بَعْدَما امْتَدَّ غَيُّهُمْ ... جِماحًا عَلَى حُكْمٍ مِنَ الدِّينِ واجِبِ (٢)

٤٧ تَسَامَوْا إلى العِزِّ الممنَّعِ ، وَارْتَقَوْا ... مِنَ الْمَجْدِ أَنْشَازَ الذُّرَى وَالْغَوَارِبِ (٣)

٤٨ عَلَى إِرْثِ مجدِ الأَوَّلِينَ تَعَلَّقُوا ... ذَوَائِبَ أَعْناقِ العُلَى والمناصِبِ (٤)

---

(١) الأملاك : جمع ملك ، واستخدموهم : اتخذوهم خدما ، وهذه كناية عن كونهم من أهل الحروب المغاوير ، فهم يغيرون على الأعداء ويقهرونهم و يأسرون ملوكهم ويتخذونهم خولا لهم ، وأرهفوا : رققوا وحددوا ، وأصله قولهم « أرهفت السيف » إذا رققت حده وحددته ليكون أشد فتكا ، والردى : الهلاك ، والمعاطب : جمع معطب بمعنى العطب .

(٢) الضمير البارز فى « أنزلوهم » راجع إلى الأملاك فى البيت السابق ، وامتد غيهم : طال ، والغى : خلاف الرشد ، والانهماك فى الجهالات ، و« جماحا » بكسر الجيم ـ الشرود والنفور ، وهو مفعول مطلق عامله « امتد غيهم » ووقع فى ب « جاما » بالميم بدل الحاء ، وأظنه تحريفا عما أثبتناه ، وأصل الجماح : أن تكيل الشيء حتى تبلغ به رأس المكيال ، وقوله « على حكم من الدين واجب » يتعلق بقوله « أنزلوهم » .

(٣) تساموا : ارتفعوا ، والعز الممنع : الذى لايوصل إلى منزلته ، أو الذى حماه أصحابه بقوتهم وعزهم ، والأنشاز : جمع نشز ـ بفتح النون والشين جميعا ـ وهو الرابية والمكان المرتفع ، والذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى كل شيء ، والغوارب : جمع غارب ، وأصله ما بين السنام والعنق من البعير ، ويراد به أعلى الشيء مكانة وأسماه منزلة . يريد أنهم قد وصلوا من المجد وعز الجانب ورفعة القدر مالم يبلغه أحد سواهم ولا يستطيعه .

(٤) الذوائب : جمع ذؤابة ، وذؤابة الشيء : أعلى مكان فيه ، والمناصب : جمع منصب ، وأصله موضع النصب وهو التعب ، ويراد به المركز يبلغه الإنسان بدأبه وكده و إفراغ وسعه ، من باب تسمية الشيء باسم السبب الذى يوصل به إليه .

٤٩ بحَيْثُ ابْتَنَتْ أمُّ النجومِ مَنارَهَا وَأَوْفَتْ رَبايا الطَّالِعَاتِ الثَّوَاقِبِ (١)

٥٠ لهم وَرَقٌ مِنْ عَهْدِ عادٍ وتُبَّعٍ حَدِيدُ الظُّبا إلا انْثِلامَ المضاربِ (٢)

٥١ فُضَالاتُ مَاأبْقَى الكُلابُ وَطِخْفَةٌ وَمَا أسْأرَ الأبْطالُ يَوْمَ الذَّنائِبِ (٣)

---

(١) أم النجوم : هى السماء ، والمنار ـ بفتح الميم ـ الموضع يكون فيه النور ، وقد لحظ فى هذا البيت معنى قول النابغة الجعدى :

بلغْنا السماءَ مَجْدُنا وسَنَاؤُنا وإنَّا لنَبْغِى بعدَ ذٰلِكَ مَظهَرَا

(٢) لهم ورق : يحتمل وجوها من المعانى ، وذلك أن الورق يطلق على الحى من كل حيوان لأنهم يشبهون الحى من الإنسان والحيوان بورق الشجر ، حتى إنهم ليقولون : يموت كما يموت الورق ويبيس كما ييبس الورق ، وقالوا « رأيته ورقا » يريدون رأيته حيا ، فإذا أخذت العبارة من هذا المعنى كان المقصود أن لهؤلاء المذكورين أصلا قديم العهد ضاربا فى القدم بجذر ، ويطلق الورق أيضا على المال من إبل ودراهم وغيرهما ، وقد قالوا من هذا المعنى « ثمر الله ورقه » كما يقولون « ثمر الله ماله » فإذا أخذت العبارة من هذا المعنى فالمراد أنهم ليسوا حديثى النعمة والجاه ، بل إن جاههم ونعمتهم ليتوغلان فى القدم إلى عهد عاد وتبع ، ويطلق الورق أيضا على جمال الدنيا وبهجتها وحسن الهيئة واللبسة ، وقد قال العرب على ماحكاه الزمخشرى فى أساس البلاغة « ما أحسن أوراق فلان » إذا كان حسن الهيئة واللبسة . وعاد : اسم جماعة من العرب البائدة الذين أرسل الله إليهم هودا ، وتبع : اسم كل من كان يملك اليمن فى القديم . والظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ، والمضارب : جمع مضرب ، وهو موضع الضرب ، وانثلامه : تشققه من آثار الطعن فى الأعداء ، يقول : لاعيب فى حد سيوفهم إلا أنها قد تثلمت من الطعن ، وهذا زيادة فى المدح ، ويسمى عند البلغاء تأكيد المدح بما يشبه الذم ، ونظيره قول النابغة الذبيانى يمدح :

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِراعِ الكتائبِ

ووقع فى ه إلا استلام المضارب » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(٣) فضالات : جمع فضالة ـ بضم الفاء ـ وهى بقية الشىء ، والكلاب ـ بضم الكاف ـ وهو يوم من أيام العرب فى الجاهلية وقع على ماء فيما بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة ، واسم الماء قدة ، بكسر القاف وفتح الدال مخففة أو مشددة ، وللعرب يومان كل منهما اسمه

الكلاب ، ويقال لأحدهما الكلاب الأول وللآخر الكلاب الثانى ، وفى الكلاب الأول يقول امرؤ القيس بن حجر الكندى:

أرجّى منْ صُرُوف الدهْرِ لينًا ... ولم تغفُلْ عن الصُّمِّ الهضابِ
وأعْلَمُ أننى عمَّا قليلٍ ... سأنْشَبُ فى شَبَا ظفُرٍ ونَابِ
كمَالاقَى أبى حُجْرٌ ، وجدِّى ، ... وَلا أنْسَى قتيلاً بالكلاب

ويريد بقتيل الكلاب شرحبيل بن الحارث بن عمرو المقصور، وكان قد قتل يوم الكلاب الأول، وفيه يقول جابر بن حنى التغلبى :

وقد زَعَمَتْ بَهْرَاء أن رماحَنَا ... رماحُ نَصارى لاتخوضُ إلى الدَّمِ
فيومَ الكُلاب قد أزَالَتْ رِمَاحُنَا ... شَرَحْبِيلَ إذ آلَى أليَّةَ مُقْسِمِ

وأما الكلاب الثانى فكان بين بنى سعد والرباب وقد أسر فيه عبد يغوث بن وقاص الحارثى ، وفى أسره يقول قصيدته المشهورة التى ورد فيها :

أيا راكبًا إمَّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ ... نَدَامَاىَ مِن نَجْرَانَ أن لاتلاقيا
أبا كربٍ والأيْهَمَيْنِ كلاهُمَا ... وقَيْسًا بأعْلى حَضْرَمَوْتَ اليَمَانِيا

وطخفة ـ بكسر الطاء أو فتحها ، وسكون الخاء المعجمة ـ جبل أحمر طويل حذاءه بئار ومنهل، وفيه وقع يوم من أيام العرب فى جاهليتها بين بنى يربوع وقابوس بن المنذر بن ماء السماء ، وفيه يقول جرير :

وقَدْ جَعَلَتْ يَوْمًا بِطخْفَةَ خَيْلُنَا ... لآلِ أبى قابُوسَ يومًا مكدَّرَا

وفيه يقول زيد بن عمرو بن قيس بن عتاب :

وكُنْتُ إذا ما ماتَ مَلْكٌ قَرَعْتُهُ ... قَرَعْتُ بآباء أولِى شَرَفٍ ضَخْمِ
بأبْنَاءِ يَرْبُوع ، وكانَ أبُوهُمُ ... إلى الشَّرَفِ الأعْلى بآبائِهِ يَنْمِى
هُمُ ملكُوا أمْلاكَ آلِ مُحرِّقٍ ... وزَادُوا أبا قابُوسَ رَغْمًا عَلَى رغْمِ
وقَادُوا بكُرْهٍ من شِهَابٍ وحاجبٍ ... رُءوسَ مَعَدٍّ بالأسِنَّةِ والخَطْمِ
عَلا جدُّهُمْ جَدَّ الملوكِ فأطْلَقُوا ... بِطخْفَةَ أبناءَ الملوكِ عَلَى الحكْمِ

٥٢ بِهِنَّ فُلُولٌ من وَرِيدَىْ عُتَيْبَةٍ وَنَضْحُ نجيعٍ مِنْ ذُؤَابِ بنِ قارِبِ (١)

٥٣ تَقَلْقَلُ فى الأَعْمادِ هُزْلًا وخَطْبُها جَسِيمٌ إذا جُرِّبْنَ بَعْضَ التجارِبِ (٢)

والذنائب : قرية دون زبيد من أرض اليمن بها قبر كليب وائل ، أعظم العرب عزا ، وأشهرهم عظمة ومجدا ، وفى الذنائب يقول مهلهل بن ربيعة أخو كليب يرثى كليبا :

أليلتَنَا بِذِى حُسُمٍ أنيرى إذا أنْتِ انقَضَيْتِ فلا تحورِى

فإنْ يَكُ بالذنائِبِ طالَ لَيْلِى فقَدْ أبكى من الليلِ القَصِيرِ

(١) عتيبة : أراد به عتيبة بن الحارث بن شهاب فارس بنى تميم ، وقد سبق ذكره وقلنا عنه كلمة فى شرح ٢٨–٤٠ وذؤاب بن قارب : أراد به ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب فارس فزارة وكان قد أسره مرة بن عوف الجشمى فى يوم من أيام اللوى ، وقتله دريد بن الصمة بأخيه عبد الله ، وفيه يقول دريد بن الصمة من قصيدة يرثى فيها أخاه عبد الله :

قتلْنَا بعَبْدِ اللهِ خَيْرَ لِداتِه ذؤابَ بْنَ أسماءَ بن زَيْدِ بن قَارِب

وقد تقدم فى شرح ٢٨–٤٠ ذكر ذؤاب بن ربيعة الأسدى قاتل عبيدة بن الحارث بن شهاب التميمى ، وهو غير ذؤاب بن قارب المذكور هنا فلا تغتر بما ذكره فى هوامش ب فالخلط فى هذه الهوامش كثير . والوريد : عرق فى العنق يقال له: حبل العنق ، ولكل إنسان وريدان ، والنجيع : الدم ، وقيل : ماكان إلى السواد منه ، وقيل : هو دم الجوف خاصة ، ونضحه – بالحاء المهملة كما وقع فى ه وبالخاء المعجمة كما وقع فى ب ، وكلاهما بمعنى واحد – هو رشه ، يقول : إن بأسيافهم آثارا من معارك قديمة ومن دماء أبطالها .

(٢) تقلقل : أصله تتقلقل ، فحذف إحدى التاءين ، ومعناه تتحرك ، والأعماد : جمع عمد ، وهو قراب السيف وجفنه ، والهزل ، ومثله الهزال – بضم الهاء – النحافة وضعف الجسم ، وخطبها جسيم : أى أمرها وشأنها عظيم بالغ الخطر ، وقد لحظ فى هذا البيت وما قبله قول النابغة الذبيانى :

تُوُورِثْنَ مِنْ أزْمَانَ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إلى اليَوْمِ قد جُرِّبْنَ كلَّ التجارب

وقول أبى تمام فى وصف القلم :

رأيْتُ عظيماً خَطْبُهُ وَهْوَ مُرْهَفٌ ضَنًى وجَلِيلاً أمْرُهُ وَهْوَ ناحِلُ

٥٤ غُدُوًّا إلى هَدْمِ الْكَواهِلِ والطُّلَى ... وَعَوْدًا إلى حَذْفِ الذُّرَا والْعَرَاقِبِ (١)

٥٥ لِتَبْكِ قُبُورٌ أَفْرَغَ الْمَوْتُ تَحْتَهَا ... سِجَالَ الْعَطَايا بَعْدَهُمْ وَالرَّغائِبِ (٢)

٥٦ وَطابَ ثَرَاهَا وَالثَّرَى غَيْرُ طَيِّبٍ ... وَذَابَ نَدَاهَا والنَّدَى غَيْرُ ذائِبِ (٣)

٥٧ كأَنَّ الْيَمانِي ذَا الْعِيابِ بأَرْضِها ... يُقَلِّبُ مِنْ دَارِينَ مَا فى الْحَقائِبِ (٤)

٥٨ إذا اجْتازَ رَكْبٌ كانَ أَجْوَدَ عِنْدَهَا ... بِعَقْرِ المطايا مِنْ سُحَيْمٍ وغالِبِ (٥)

---

(١) غدوا : مصدر غدا يغدو ، إذا خرج فى وقت الغداة ، والكواهل : جمع كاهل ، والطلى : جمع طلية وهى العنق ، يريد أن هذه السيوف يخرج بها أصحابها لقتل الفوارس ، والذرا : جمع ذروة، وهى أعلى الشىء ، والعراقب : جمع عرقوب ، وأراد بها قوائم النوق والجمال، يريد أن هذه السيوف يستعملها أصحابها بعد عودهم من مقارعة الأبطال فى قطع قوائم الجمال ليتمكنوا من ذبحها ليقدموها قرى لضيوفهم ، وقد تكرر هذا المعنى فى كلام الشريف . ووقع فى ه « والعواقب » محرفا .

(٢) السجال : جمع سجل، وهى الدلو ، والعطايا : جمع عطية، وهى المنحة يعطيها الإنسان غيره ، والرغائب : جمع رغيبة ، وهى ما يرغب فيه من المال ونحوه ، وقوله « لتبك قبور » ليس بشىء ، لأن القبر الذى يضم الكريم الجواد المعطاء من حقه أن يسر و يفرح ، فأما الذى يبكى فهو الذى فارقه هذا الكريم .

(٣) طاب : صارت ريحه كريح الطيب ، والثرى : التراب ، والندى : الماء ينزل خفيفا أول النهار قبل طلوع الشمس .

(٤) اليمانى : المنسوب إلى اليمن ، والعياب : جمع عيبة ، وهى الحقيبة يحمل فيها المتاع ، ودارين : بلدة مشهورة بأنها سوق للمسك ، يريد أن هذه القبور لطيب ريحها كأنما جاء أرضها رجل من أهل اليمن وقد امتلأت عيابه من مسك دارين فأخرجه من عيابه يقلبه حول القبر ، وقد لحظ فى هذا البيت قول الآخر :

* فطيبُ تُرَاب الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ *

(٥) عقر المطايا : أراد نحرها لتكون قرى ، وسحيم : أراد به سحيم بن وثيل الرياحى -

٥٩ أفِي كلِّ يَوْمٍ يَعْرُقُ الدَّهْرُ أعْظُمِي ... وَيَنْهَشُ لَحْمِي جَانِبًا بَعْدَ جَانِبِ (١)

٦٠ فَيَوْمًا رَزَايَا فِي صَدِيقٍ مُصَادِقٍ ... وَيَوْمًا رزايا فِي قَرِيبٍ مُقَارِبِ

٦١ فَكَمْ فَلَّ مِنِّي سَاعِدًا بَعْدَ سَاعِدٍ ... وَكَمْ جَبَّ مِنِّي غَارِبًا بعدَ غَارِبِ (٢)

٦٢ وَفَادِحَةٍ يُسْتَهْزَمُ الصَّبْرُ بِاسْمِهَا ... وتَظْمَا إلى مَاءِ الدمُوعِ السَّوَاكِبِ (٣)

وهو شاعر معروف فى الجاهلية وأول الإسلام جيد الموضع فى قومه رياح وهى قبيلة من يربوع . وغالب : أراد به غالب بن صعصعة أحد بنى مالك بن حنظلة ، وهو أبو الفرزدق الشاعر المشهور ، وقد وفد غالب على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعمر حتى أدرك على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولحق به فى البصرة ، ومات فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وكان من حديث سحيم وغالب أن بلاد بنى تميم أجدبت ، وأصابت بنى حنظلة سنة مجهدة ، و بلغهم خصب بلاد كلب بن وبرة ، فانتجعوها ، فنزلوا ماء لكلب فوق الكوفة مما يلى الشام اسمه صوءر ، وكان بنو يربوع قدام الناس ، فنزلوا أقصى الوادى ، وتسرع غالب بن صعصعة فيهم وحده ، فلما نزلوا وردت إبل غالب فحبس منها ناقة كوماء فنحرها وأطعمها ، فقال أناس : ليس فينا من بنى مالك غير رجل واحد وقد نحر ولم ننحر ، فقالوا لسحيم بن وثيل : انحر ، فلما وردت إبل سحيم حبس منها ناقة فنحرها من الغد فأطعمها ، فقيل لغالب : إنما نحر سحيم مباهاة لك ، فضحك غالب وقال : كلا ، ولكنه امرؤ كريم وسوف أنظر ، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين ، فنحرهما وأطعمهما ، فلما وردت إبل سحيم نحر ناقتين وأطعمهما ، فقال غالب : الآن علمت أنه يباهينى ، فلما وردت إبل غالب حبس منها عشرا فعقلها ثم أخذ الحربة فجعل ينحرها ، فانفلتت ناقة منها فدخلت فى بنى يربوع ، فركب غالب فأدركها فعقرها ، ورجع غالب فنصب قدوره ، وغاظ ذلك بنى يربوع ، ثم تفاقم الأمر حتى نحر غالب إبله كلها وهى عدد كثير ، ولهذا حديث طويل اجتزأنا منه بما يدل على ما أراد الشريف فى بيته.

(١) يعرق أعظمى — من باب نصر — معناه يأكل ما على العظم من اللحم و يستأصله ، وينهش لحمى : يأخذه بمقدم أسنانه بنتفه ، ووقع فى ب بالسين المهملة وفى ه بالشين المعجمة ، وهما بمعنى واحد.

(٢) فل : كسر ، وأصله فلول السيف ، ومعناه ثلمه ، وجب : قطع ، وهاتان العبارتان كنايتان عن أنه يضعف قوته و يهلك أنصاره وحماته .

(٣) فادحة : أراد بها نازلة من نوازل الدهر يثقل حملها ، و يشق احتمالها ، و يستهزم الصبر =

٦٣ صَبَرْنا لَها صَبْرَ المناكب حِسْبَةً ... إذا اضْطَرَبَ الناسُ اضطِرابَ الذوائبِ (١)

٦٤ تعاصَى أنابيبُ الْحُلُومِ جَلادَةً ... وَتَهْفُو يَرَاعَاتُ العُقُولِ الْعَوَازِبِ (٢)

٦٥ كظُومًا عَلَى مِثْلِ الْجَوَائِفِ أتْعَبَتْ ... نِطاسِيَّهَا مِنْ قارِفٍ بَعْدَ جَالِبِ (٣)

٦٦ تَحُلُّ الرَّزَايَا بِالرِّجَالِ وَتَنْجَلِى ... وَرُبَّ مُصَابٍ يَنْجَلِى عن مَصَائِبِ

٦٧ مِنَ الْيَوْمِ تَسْتَدْعِى مَنَازِلُكَ الْبُكَى ... إذَا مَا طَوَى الْأَبْوَابَ مَرُّ الْمَوَاكِبِ

٦٨ وَتَضْحَكُ عَنْكَ الأَرْضُ أُنْسًا وَغِبْطَةً ... وَتَبْكِيكَ أَخْدَانُ الْعُلَى وَالْمَنَاقِبِ

ـ بالبناء للمجهول ـ تطلب هزيمته ، وهذه كناية عن أن هذه الفادحة لا يمكن الصبر عليها ، وتظلما أصله تظمأ ـ بالهمز ـ فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ماقبلها ، والسواكب : جمع ساكبة ، وهى المنصبة ، يصف هذه النازلة بأنها مما يصعب الاصطبار عليها و بأنها عطشى إلى الدموع المنهمرة ، يعنى أنها تستوجب استمرار البكاء .

(١) المناكب : جمع منكب ، وهو مجتمع رأسى الكتف والعضد ، والذوائب : جمع ذؤابة ، وهى أعلى الشىء ومن الإنسان رأسه ، ولا شك أن المناكب مستقرة فى مكانها لاتتحرك ، فأما الذوائب فإنها تتحرك كثيرا ، ووقع فى ه «اضطراب الرواتب» ولم أجد لها معنى يليق ههنا .

(٢) تعاصى : أراد تتأبى وتستعصى على من يحاولها ، والأنابيب فى الأصل : جمع أنبوب ، وهو مابين كل عقدتين من الرمح والقصب ، والحلوم : جمع حلم ، وأراد به ههنا العقل الرزين الثابت ، والجلادة ـ بفتح الجيم ـ التجلد والاحتمال . وتهفو : تخفق وتضطرب ، واليراعات : جمع يراعة وهى القصبة ، والعوازب : جمع عازب ، وهو البعيد ، يقول : إن العقول الرزينة لاتضطرب للأهوال ولا تلين مع زعازع الأحداث ، أما العقول التى تبعد عن أصحابها فهى التى تنال منها الأحداث فتراها خفاقة مضطربة

(٣) الكظم : امتلاك الإنسان نفسه عند حدوث مايثير الغضب ، والجوائف : جمع جائفة ، وهى الطعنة التى تبلغ الجوف ، والنطاسى ـ بكسر النون ـ الطبيب ، والقارف : ماانقشر من جلد الجرح ، والجالب : الذى عليه الجلبة ، وهى القشرة التى تكون فوق الجرح . يقول : إنى لأمتلك نفسى وأصبرها على احتمال الخطوب التى تشبه الطعنات البليغة التى تصل إلى الجوف وتعيى مهرة الأطباء .

٦٩ سَقَاكَ الْحَيَا إِنْ كَانَ يُرْضَى لَكَ الْحَيَا بِغُرِّ الْأَعَالِي مُظْلِمَاتِ الْجَوَانِبِ (١)

٧٠ تُمِدُّ بِأَرْدَافٍ ثِقَالٍ وَتَرْتَمِي عَلَى عَجْرَفِيَّاتِ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ (٢)

٧١ كَأَنَّ لِوَاءً يَزْدَحِمْنَ وَرَاءَهُ إِذَا اخْتَلَجَ الْبَرْقُ ازْدِحَامَ الْمَقَانِبِ (٣)

٧٢ بِوَدْقٍ كَأَخْلَافِ الْعِشَارِ اسْتَفَاضَهَا تَدَاعِي رُغَاءٍ مِنْ مُبِسٍّ وَحَالِبِ (٤)

٧٣ يَقَرُّ لِعَيْنِي أَنْ تُطِيلَ مَوَاقِفًا عَلَيْكَ مَجَرُّ الْمُدْجِنَاتِ الْهَوَاضِبِ (٥)

---

(١) الحيا ـ بفتح الحاء ـ المطر ، والغر : جمع غراء ، وهى السوداء فيها بياض ، وأراد السحاب الغر ، ومظلمات الجوانب : كناية عن امتلائها بالأمطار ، ووصف السحائب بالغر كثير فى كلام الشعراء ، ومنه قوله :

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرْقَى لَهُنَّ دُمُوعُ

ووقع فى ه « بعز » محرفا .

(٢) الأرداف : جمع ردف ، وأصله العجيزة ، وأراد أن هذه السحائب لاتزال تتبعها سحائب أخرى تأتى ردفها ووراءها ، والعجرفيات : السراع ، والصبا : ريح الشمال ، والجنائب : جمع جنوب .

(٣) اللواء ـ بكسر اللام أوله ـ الراية والعلم يكون للجيش ، واختلج : اضطرب ، والمقانب : جمع مقنب ، وهو الجماعة من الجيش .

(٤) الودق ـ بفتح الواو وسكون الدال ـ المطر ، وفى التنزيل الكريم (فترى الودق يخرج من خلاله) والأخلاف : جمع خلف ، وهو ضرع الناقة ، أو حلمة الضرع ، ووقع فى ب « كأخلاق العشار » محرفا ، والعشار ـ بكسر العين ـ جمع عشراء ، وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر أو ثمانية أشهر ، أو هى كالنفساء من النساء ، واستفاضها : طلب فيضها وكثرة لبنها ، والرغاء ـ بضم الراء ـ الصوت ، وتداعيه : أراد به ههنا تتابعه ، والمبس : اسم الفاعل من قولهم « أبس الرجل الناقة » إذا دعاها للحلب . والحالب : الذى يستخرج اللبن من الضرع

(٥) يقر بعينى : يطيب لها ويكون لها قرة : أى بردا ، والمدجنات : جمع مدجنة ، وهى اسم الفاعل المؤنث من قولهم « أدجنت السحابة » و « أدجنت السماء » إذا دام مطرها ، والهواضب : جمع هاضبة ، وهى اسم الفاعل من قولهم « هضبت السماء القوم » إذا بلتهم بلا شديدا ، يقول : إنه يطيب عنده أن تطيل السحائب الدائمة المطر الشديدته الوقوف على قبره ، ووقع فى ه « المدجيات » محرفا عما أثبتناه .

٧٤ وأنْ ترقُمَ الأنْواءُ تُرْبَكَ بَعْدَهَا ... بكلِّ جديدِ النَّوْرِ رَقْمَ الكَوَاكِبِ (١)

٧٥ ذكَرْتُكُمُ والْعَيْنُ غَيْرُ محيلَةٍ ... فأنْبَطْتُ غُدْرَانَ الدمُوعِ السَّوَارِبِ (٢)

٧٦ وَمَا جالَتِ الألْحَاظُ إلا بِقاطِرٍ ... وَلا امْتَدَّتِ الأنفاسُ إلا بِحَاصِبِ (٣)

٧٧ وَهَلْ نَافِعِي ذِكْرُ الأخِلاَّءِ بَعْدَمَا ... جَرَى بَيْنَنَا مورُ النَّقَا والسَّبَاسِبِ (٤)

***

(١) تقول « رقم فلان » أى كتب ، والأنواء : جمع نوء ، وهو النجم حين يهبط للغروب والعرب تنسب فعل الأشياء إلى الأنواء ، والنور ـ بفتح النون وسكون الواو ـ الزهر ، يقول : إنه يجب أن ينبت على قبره جديد الزهر كأنه الكواكب فى صفحة السماء .

(٢) عين محيلة : أى حولاء ، وأنبطت : أنبعت واستخرجت ، والغدران : جمع غدير ، وأصله القطعة من الماء يغادرها السيل ، أى يتركها ، والسوارب : جمع سارب ، وهو السائر ، ووقع فى ب « السواكب » وهو جمع ساكب ، وهو المنهمر المنصب فيكون من أوصاف الدموع ، وهو أحسن .

(٣) جالت : تحركت ، والألحاظ : جمع لحظ ، وأراد العيون ، والقاطر : أراد به الدمع ، والأنفاس : جمع نفس ـ بفتح النون والفاء جميعا ـ وهو ما تخرجه من صدرك من الهواء ، والحاصب : أصله الريح الشديدة الهبوب التى تثير من شدتها الحصباء ، يقول : إن أعين أصدقاء المندوب لم تتحرك إلا بالدموع منذ مات ، وإن أنفاسهم لم تخرج من صدورهم إلا شديدة حارة من التهاب صدورهم بالحزن على فقده ، ووقع فى ه « إلا لحاطب » محرفا .

(٤) وقع فى ه « وهل نافع ذكر الأخلاء » وهى جيدة ، وأثبتنا ما فى ب ، والمور : التراب الذى تثيره الريح ، والنقا : الرمل ، والسباسب : جمع سبسب ـ بزنة جعفر ـ وهى الأرض المستوية البعيدة ، ووقع فى ب « بعده ✲ جرى بيننا » محرفا .

٤٧ — وقال يرثى أبا منصور[١] بن المَرْزُبَان الشِّيرَازِى ، الكاتب، وكانت بينهما صداقة وكيدة ، ومكاتبات [كثيرة عديدة][٢] بالنظم والنثر ، وتوفى [صبيحة يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من] شهر المحرم سنة ٣٨٣ [وقد بلغ من السن ٨٦ سنة ، وكان من أماثل كتاب الرسائل ومذكوريهم][٣] [من المنسرح] :

١ أىُّ دُمُوعٍ عَلَيْكَ لَمْ تَصِبِ وأىُّ قَلْبٍ عَلَيْكَ لم يَجِبِ[٤]

٢ خَبَّتْ إِلَيْكَ الْخُطُوبُ مُعْجِلَةً ضُرُوبَ شَدِّ الجيادِ وَالنُّجُبِ[٥]

٣ وَا عَجَبِى لِلزَّمَانِ كَيْفَ نَبَا وَعَجَبٌ أنْ أقُولَ وَا عَجَبِى

٤ مالى وما للخطوب تَسْلُبُنى فِى كل يَوْمٍ غَرَائِبَ السَّلَبِ

٥ أمَا فَتًى نَاضِرُ الصِّبَى كأخى عِنْدِىَ أو زائِدُ الْمَدَى كأبى

٦ وإنَّنى لِلشَّقَاءِ أحْسَبُنى أَلْعَبُ بِالدَّهْرِ وَهْوَ يَلْعَبُ بى

٧ مَا نِمْتُ عَنْهُ إلا وأيْقَظَنى مِنَ الرزايا بفَيْلَقٍ لَجِبِ[٦]

---

(١) فى ب « أبا منصور المرزبان » وسيسميه فى البيت ١٢ أحمد .

(٢) هذه الكلمة لاتوجد فى ب .

(٣) هذه الزيادة ساقطة من ه فى الموضعين .

(٤) تصب : مضارع ماضيه « وصب الشىء » من باب وعد ووصف ، وصوبا ، إذا دام وثبت ويجب : مضارع ماضيه وجب ، وبابه وصف ، وجيبا ، ومعناه : خفق واضطرب . يقول : إن دموع إخوانك ومعارفك لدائمة الانهمار جزعا عليك وإن قلوبهم جميعا لخافقة مضطربة .

(٥) خبت ـ بتشديد الباء ـ من الخبب ، وهو ضرب من السير السريع ، والخطوب : جمع خطب ، وأراد به الحادثة من حوادث الدهر ، والضروب : جمع ضرب وأراد به النوع ، وشد الجياد : سيرها ، والنجب : جمع نجيب ، وهو من الإبل الكريم، ووقع فى ب « شد الجياد والخبب » ولا يستقيم إعرابه ، وهو تحريف ما أثبتناه موافقاً لما فى ه .

(٦) الفيلق ـ بفتح الفاء وسكون الياء ـ الفرقة من فرق الجيش ، ولجب ـ بفتح اللام

٨ وَلَمْ أَزَعْهُ إلا وَأَعْقَبَنى سَطْوًا كَوَقع الظُّبَا عَلَى الْيَلَبِ (١)

٩ فى كلِّ دَارٍ تَعْدُو الْمَنُونُ وَمِنْ كلِّ الثَّنَايَا مَطَالِعُ النُّوَبِ (٢)

١٠ يفُوزُ بِالرَّاحَةِ الْفَقِيدُ وللـ ـفَاقِدِ طُولُ الْعَنَاءِ والتَّعَبِ

١١ يطِيبُ نَفْسًا عَنَّا وَوَاحِدُنَا إنْ طُيِّبَ الْقَلْبُ عَنْهُ لَمْ يَطِبِ

١٢ أحمَدُ، كَمْ لِى عَلَيْكَ مِنْ كَمَدٍ بَاقٍ وَمِنْ جَوْدِ أَدْمُعٍ سَرَبِ (٣)

١٣ وَلَوْعَةٍ تَحْطِمُ الضُّلُوعَ إذا ذَكَرْتُ قُرْبَ اللِّقَاءِ عَنْ كَثَبِ (٤)

١٤ إنْ قَطَعَ الموتُ بَيْنَنَا فَلَقَدْ عِشْنَا وَمَا حَبْلُنَا بِمُنْقَضِبِ (٥)

وكسر الجيم ـ فى الأصل الذى له صوت وجلبة وصياح، وإنما يكون ذلك إذا كثر عدده وتضاعفت عدده، وهم يكنون بذلك عن الكثرة أو عن تمام الاستعداد.

(١) أزعه: أكفه وأثنيه وأحاول حبسه عن السطو على، وتقول «وزعه يزعه» مثل وضع يضع، إذا منعه، وتقول «وزع فلان الجيش يزعه» إذا حبس أوله على آخره. والظبا: جمع ظبة ـ بضم الظاء ـ وهى حد السيف، واليلب ـ بفتح الياء واللام جميعا ـ وهو الدرع اليمانية من الجلود، وقيل: هى جلود يخرز بعضها إلى بعض وتلبس على الرءوس خاصة، واحدتها يلبة، وقيل: هى جنن من لبود تحشى رملا وعسلا.

(٢) تعدو ـ بالعين المهملة ـ تسطو، والمنون: الموت، والثنايا: جمع ثنية، وهى العقبة، والمطالع: جمع مطلع وهو مكان الطلوع، والنوب: جمع نائبة، وهى كل ما ينزل بالإنسان من أحداث الدهر.

(٣) الكمد: الحزن، والجود ـ بفتح الجيم وسكون الواو ـ المطر الكثير، والسرب: السائل المنصب.

(٤) اللوعة: الحرقة والألم الشديد، وتحطم الضلوع: تكسرها، وكثب ـ بفتح الكاف والثاء جميعا ـ القرب.

(٥) منقضب: منقطع، واتصال الحبل معناه دوام الألفة واستمرار المودة، وانقضابه معناه أن الألفة التى كانت بينهما قد انجذمت وتقطعت ولم يبق لها أثر.

١٥ كم مَجْلِسٍ صَبَّحَتْهُ ٱلسُّنُنَا تَفُضُّ فيهِ لَطَائِمَ الأَدَبِ (١)

١٦ مِنْ أَثَرٍ يُونِقُ الْفَتَى حَسَنٍ أَوْ خَبَرٍ يَبْسُطُ الْمُنَى عَجَبِ (٢)

١٧ أَوْ غَرَضٍ أَصْبَحَتْ خَوَاطِرُنَا تُسَاقِطُ الدُّرَّ مِنْهُ فى الكُتُبِ

١٨ كَالْبَارِدِ الْعَذْبِ رَوَّقَتْهُ صَبَا الـ ـفَجْرِ أَوِ الظَّلْمِ زِينَ بِالشَّنَبِ (٣)

١٩ غَاضَ غَدِيرُ الْكَلَامِ مَا بَقِيَ الـ ـدَّهْرُ وَقَرَّتْ شَقَاشِقُ الْخُطَبِ (٤)

٢٠ يَا عَلَمَ الْمَجْدِ لِمْ هَوَيْتَ وَقَدْ كُنْتَ أَمِينَ الْعِمَادِ وَالطُّنُبِ (٥)

---

(١) تفض : مضارع فض فلان غلاف كذا ، إذا حطم ما يخفيه وكشف عما بداخله ، واللطائم : جمع لطيمة ، وأصلها وعاء المسك ، شبه به الأدب ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو اللطائم ، ثم أضاف هذا اللازم إلى المشبه على جهة التخييل ، وهذه تسمى الاستعارة بالكناية .

(٢) يونق الفتى : يحسن عنده حتى يعجب به ، وعجب : أى عجيب ، وهو من الوصف بالمصدر .

(٣) البارد العذب : الماء ، وروقته : أذهبت كدره وما يتصل به مما خالطه فى مجراه ، وصبا الفجر : ريح الشمال التى تهب فى هذا الوقت ، والظلم ـ بفتح الظاء وسكون اللام ـ ماء الأسنان وبريقها ، والشنب ـ بفتح الشين والنون جميعا ـ ماء ورقة وبرد وعذوبة فى الأسنان .

(٤) غاض : أراد ذهب ، وأصله غيض الماء وهو ذهابه فى الأرض وغؤوره ، والغدير فى الأصل : القطعة من الماء يغادرها السيل ، وإضافته إلى الكلام من إضافة المشبه به إلى المشبه ، و « ما » فى قوله « ما بقى الدهر » مصدرية ظرفية ، وقرت : سكنت وهدأت ، والشقاشق : جمع شقشقة ـ بكسر الشينين بينهما قاف ساكنة ـ وهى فى الأصل شىء كالرئة يخرجه البعير من فمه إذا هاج ، وقد قالوا « هدرت شقاشق فلان » إذا أرسل الكلام طلقا لا تلعثم معه ولا توقف يريد أن المندوب كان بحر الكلام وفحل الخطابة وأن بموته قد غاض هذا البحر وهدأت شقاشق هذا الفحل لأنه لا متكلم سواه ولا خطيب غيره .

(٥) العلم ـ بفتح العين واللام جميعا ـ يطلق على الراية وعلى الجبل ، والأحسن هنا المعنى

٢١ يا مِقْوَلَ الدَّهْرِ لِمْ صَمَتَّ وَقَدْ كُنْتَ زَمَانًا أَمْضَى مِنَ الْقُضُبِ (١)

٢٢ يا نَاظِرَ الْفَضْلِ لِمْ غَضَضْتَ وَمَا كُنْتَ قَدِيمًا تُغْضِي مِنَ الرِّيَبِ (٢)

٢٣ كُنْتَ قَرِينِي وَلَسْتَ مِنْ لِدَتِي كُنْتَ نَسِيبِي وَلَسْتَ مِنْ نَسَبِي (٣)

٢٤ مِمَّا يُقَوِّي الْعَزَاءَ عَنْكَ وَإِنْ شَرَّدَ قَلْبِي الْعَزَاءَ بِالْكَرَبِ

٢٥ أَنَّكَ أَحْرَزْتَهَا وَإِنْ رَغِمَ الـ ـدَّهْرُ ثَمَانِينَ طَلْقَةَ الْحِقَبِ (٤)

الأول ، و « هويت » سقطت من أعلى ، وهو بفتح الواو ، فأما هوى بمعنى عشق فبكسر الواو ، ووقع فى ه «لم هربت» محرفا ، والعماد ـ بكسر العين ، بزنة كتاب ـ أراد به العمود والسارية التى ينصب العلم فى رأسها ، ووقع فى ه « العهاد » محرفا ، والطنب ـ بضم الطاء والنون ـ الحبل الذى يربط به العلم ، يقول : أى شىء كان سببا فى هويك وسقوطك مع أن السارية التى كنت فوقها كانت مأمونة الجانب والحبل الذى كان يشدك إلى هذه السارية كان مأمونا أيضا ، شبهه بالعلم ، وجعل العماد والطنب ترشيحا لتقوية هذا التشبيه لكونهما مما يلائم المشبه به ويناسبه ، وإنما يريد بهما الأسباب الموجبة لامتداد حياة الإنسان كطيب العيش واكتمال الصحة وموفور العافية ، وكأنه يريد أنه مات فى وقت لم يكن من المرتقب موته فيه .

(١) مقول الدهر ـ بكسر الميم وسكون القاف ـ لسانه ، وصمت : سكت عن الكلام ، والقضب ـ بضم القاف والضاد جميعا ـ جمع قضيب ، وهو السيف القاطع ، وتشبيه اللسان بالسيف وادعاء أن اللسان أمضى وأنفذ من السيف مشهور متعالم عند الشعراء ، ويقول حسان ابن ثابت الأنصارى :

لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلاهُمَا وَيَبْلُغُ مَالا يَبْلُغُ السَّيْفُ مِقْوَلِي

(٢) غضضت : مأخوذ من قولهم « غض فلان بصره » إذا زواه ولفته ، ووقع فى ه « ياناصر الفضل » ومع صحته لايتناسب مع قوله « غضضت » بعده ولا مع قوله « تغضى » .

(٣) قرينى : الذى أقارن به ، يريد أنهما كانا متشابهين ، ولدة الإنساة ـ بكسر اللام وفتح الدال مخففة ـ هو الذى يساويه فى الميلاد ، ويقال له « ترب » ـ بكسر التاء وسكون الراء .

(٤) المصدر المنسبك من « أنك أحرزتها » هو فاعل يقوى فى البيت السابق ، والحقب :

٢٦ فإنْ دُمُوعِى جَرَيْنَ نَهْنهَهَا ... عِلْمِىَ أنْ قَدْ ظَفِرْتَ بالأَرَبِ (١)

٢٧ فَلَيْتَ عِشْرِينَ بتَّ أحْسُبُهَا ... بأَعْدَنَ بَيْنَ الْوُرُودِ وَالْقَرَبِ (٢)

٢٨ إنِّىَ أظْمَى إلى المَشِيبِ ، وَمَنْ ... يَنْجُو قَلِيلًا مِنَ الرَّدَى يَشِبِ (٣)

٢٩ وإنْ يَزُرْ طالِعُ الْبَيَاضِ أقُلْ ... يَالَيْتَ لَيْلَ الشَّبابِ لم يَغِبِ (٤)

٣٠ مَرَّ عَلَى ذٰلِكَ التُّرابِ مِنَ الـ ... ـمُزن خُفُوقَ الأَعْلامِ والْعُذُبِ (٥)

٣١ كالْعِيرِ ذَاتِ الأَوْسَاقِ صَاحَ بها ... مُعْتَسِفٌ بالأَيانِقِ النجُبِ (٦)

جمع حقبة ، وهى المدة من الدهر ، وأراد ههنا السنة ، وقد رأيت أنه عاش ٨٦ سنة .

(١) نهنهها : كفكفها وخفف جريانها أومنعه ، والأرب ـ بفتح الهمزة والراء جميعا ـ الحاجة ومايبتغيه الإنسان ، ووقع فى ه « ضفرت بالأدب » محرفا .

(٢) أحسبها : أعدها ، والقرب ـ بفتح القاف والراء جميعا ـ أن تسير ليلك لترد الماء من غدك .

(٣) الردى : الموت والهلاك ، يريد أن من عاش قليلا لم يأمن عوادى الزمن التى يشيب منها و بسببها .

(٤) أراد بطالع البياض الشيب ، وتمنى بقاء الشباب مما كثر فى ألسن الشعراء والناس أجمعين لأن الشيب أمارة ذهاب القوة والجلد على احتمال عوادى الزمان ، ثم هو نذير بما يكون وراءه من الموت .

(٥) خفوق : اضطراب ، وهو مصدر « خفقت الراية ونحوها » إذا تحركت فى الجو واضطربت من فعل الرياح بها ، و « خفوق » ينتصب على المصدرية ، والغرض منه التشبيه ، والأعلام : جمع علم ـ بفتح العين المهملة واللام جميعا ـ وهو الراية ، والعذب : جمع عذبة ـ بفتحات ـ وهى خرقة اللواء التى تجعل أمارة للدولة أو الجيش ونحوهما .

(٦) العير ـ بكسر العين المهملة ـ جماعة الإبل التى ترتحلها القافلة ، والأوساق : جمع وسق ـ بفتح الواو وسكون السين المهملة ـ وهو الحمل ، والمعتسف : الذى يخبط ويسير فى الطريق على

٣٢ إذا خَبَا بَرْقُهُ اسْتَعَانَ عَلَى إيقادِهِ بالمُجَلجِلِ اللَّجِبِ (١)

٣٣ لِتَرْتَوِى ثَمَّ أعْظُمٌ نَزَلَتْ دَاجِى الدَّيَامِيمِ مُوحِشِ الحَدَبِ (٢)

٣٤ بِحَيْثُ تَزْوِى عَنِ النَّسِيمِ وتَسْـ ـتَدْرِجُ عَنا مَطالِعَ الشُّهُبِ (٣)

٣٥ فَثَمَّ بِشْرٌ أصْفَى مِنَ الغَدَقِ الـ ـعَذْبِ وَجُودٌ أنْدَى مِنَ السُّحُبِ (٤)

٣٦ وَجَبَلٌ كانَ يُسْتَدَمُّ بِهِ مِنَ اللَّيالِى فَسَاخَ فِى التُّرُبِ (٥)

غير هداية ، والأيانق : جمع أينق الذى هو جمع ناقة ، والنجب ـ بضم النون والجيم جميعا ـ جمع نجيبة ، وهى من النوق الأصيلة .

(١) خبا : سكن وهدأ وضعف نوره ، والمجلجل : اسم فاعل من « جلجل الرعد » ونحوه إذا صوت ، واللجب ـ بفتح اللام وكسر الجيم ـ الذى له حركة واضطراب وصوت ، يريد إذا خفت ضوء البرق فإن الرعد ذا الصوت والجلبة يعيده إلى التوقد والاشتعال .

(٢) ثم ـ بفتح الثاء ـ إشارة إلى المكان بمعنى هناك ، والداجى : الساكن أو المظلم ، والديامين : جمع ديمومة ، وهى الصحراء ذات الطول والعرض ، والموحش : المقفر الذى تسكنه الوحش ، والحدب ـ بفتح الحاء والدال جميعا ـ أصله الحدور فى صبب ، وأراد منه الجهات كلها ، يريد أن المراد بنزول الأمطار وتتابعها أن ترتوى منها عظام المرثى الذى سكن فى صحراء واسعة الأرجاء موحشة النواحى والجهات ، ووقع فى ه « موحش الجذب » بالجيم والذال المعجمة محرفا .

(٣) تزوى : تتنحى وتبعد ، وتستدرج : تدنى على الولاء شيئا بعد شىء ، والشهب ـ بضمتين ـ جمع شهاب ، وأراد به النجم المضىء اللامع .

(٤) البشر ـ بكسر فسكون ـ طلاقة الوجه ، ووقع فى ه « نشر » بالنون ، والغدق ـ بفتح الغين والدال جميعا ـ الماء الكثير ، وفى التنزيل (لأسقيناكم ماء غدقا) والعذب : السائغ فى الحلق ، وأندى : أفعل تفضيل من الندى وهو البلل .

(٥) وقع فى ب « وأجبل كان يستدم به » ولا يتناسب بعض الكلام مع بعض ، وما أثبتناه موافقا لما فى ه هو الصواب ، ويستدم به ـ بالبناء للمجهول ـ يستمسك منه بذمام وحرمة ، وساخ :

٣٧ لَا تَحْسَبَنَّ الْخُلُودَ بَعْدَكَ لِي إن المنايا أعْدَى مِنَ الْجَرَبِ(١)

٣٨ إنْ أنْجُ مِنْهَا وَقَدْ شَرِبْتَ بِهَا فإنَّ خَيْلَ المَنُونِ فِي الطَّلَبِ(٢)

* * *

٤٨ - وقال يُعَزِّى أخاه عن بنت له توفيت [من الرجز] :

١ لَا لَوْمَ لِلدَّهْرِ وَلَا عِتَابَا تَغَابَ إنَّ الْجَلْدَ مَنْ تَغَابَى(٣)

٢ صَبْرًا عَلَى الضَّرَّاءِ وَاحْتِسَابَا أصْبَرُنَا أعْظَمُنَا ثَوَابَا(٤)

غاص ، يقول : إن تحت هذا التراب فى هذه الفلاة الموحشة رجلا كان فى حياته مثل الجبل فى العظمة ومنعة الجانب ، و إنه كان لمن يلوذ به و يلجأ إليه عياذا يلوذون به فيحميهم نوازل الدهر و يرد عنهم مشاق الحياة .

(١) وقع فى ه « لا تحسبن الخلود يعذر لى » وأثبتنا مافى ب . والجرب ـ بفتح الجيم والراء جميعا ـ الحكة تعترى الجلد فلا يفتأ من نزلت به يحكها،وهو مما تنفر منه الطباع، وقد ضربت العرب به المثل فى سرعة العدوى حتى قيل « وقد تعدى الصحاح مرابض الجرب » .

(٢) المنون ـ بفتح الميم ـ الموت ، وهو فعول بمعنى مفعول من « منا الله تعالى هذا الشىء يمنيه » ـ بوزن قضاه يقضيه ـ إذا قدره وأتاح له أسبابه ، وقيل لها ذلك لكونها مقدرة على كل أحد من الناس ، ووقع فى ب « فإن خيل المنون فى طلبى » .

(٣) تغاب : فعل أمر معناه أظهر للناس وللدهر الغباء وإن لم تكن غبيا ، وإن لم تكن تحب أن تكون غبيا ، والجلد ـ بفتح الجيم وسكون اللام ـ الشديد الاحتمال القوى الصبر والجلادة على النوازل .

(٤) صبراً : مفعول مطلق نائب عن فعل الأمر ، وكأنه قد قال « اصبر » ومثله قوله « واحتسابا » الآتى ، وعاملهما محذوف وجوبا ، ونظيره قول الشاعر :

فصَبْرًا فى مَجالِ الموتِ صَبْرًا فَما نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطاع

والاحتساب : أن تترك جزاء الصبر على المصيبة إلى الله تعالى .

٣ مَا الدَّمْعُ مِمَّا يَزَعُ الْمُصَابَا وَلَا يُرُدُّ الْقَدَرَ الْغَلَّابَا(١)

٤ أَمْضَى الزَّمَانُ حُكْمَهُ غِلَابَا أَصَابَنَا وَطَالَمَا أَصَابَا(٢)

٥ يُولِغُ ظُفْرًا لِلرَّدَى وَنَابَا لَا يَبْكِيَنْ حَاضِرُنَا مَنْ غَابَا(٣)

٦ مَاغَابَ مِنَّا غَائِبٌ فَآبَا وَرُبَّ حَيٍّ دَعَمُوا القِبَابَا(٤)

٧ وَاسْتَفْسَحُوا الأَعْطَانَ وَالرِّحَابَا وَطَبَّقُوا السُّهُولَ وَالعِقَابَا(٥)

---

(١) يزع : مضارع ماضيه « وزع » مثل وضع يضع ، ومعناه يكف ويردع ، والقدر : تقدير الله تعالى الأشياء قبل وقوعها . يقول : إن البكاء لا يكف عنك نوازل الدهر ولا يبعدها، وإنه لا يدفع شيئاً قدر الله وقوعه .

(٢) غلابا ـ بكسر الغين ـ مصدر غالبنى يغالبنى ، إذا بارانى ليعرف أينا يغلب صاحبه ، وأراد هنا أن الدهر أنفذ حكمه قهراً وغلبة لنا ، وينتصب « غلابا » إما على أنه مفعول مطلق عامله « أمضى » وتقدير الكلام على هذا : أمضى الزمان حكمه إمضاء غلبة وقهر ، فالمصدر مبين للنوع ، وإما على الحال بتقدير المشتق ، والتقدير عليه : أمضى الزمان حكمه قاهراً لنا ومغالباً إيانا.

(٣) الظفر والناب من الوسائل التى تغتال بهـا كواسر الوحوش ، شبه الدهر بسبع ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الظفر والناب ، والردى : الموت والهلاك ، ونظيره فى ذلك قول الشاعر أبى ذؤيب الهذلى :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَاتَنْفَعُ

(٤) آب : رجع ، يريد أن من اخترمته المنيـة منا فغاب عن أعيننا لا يعود إلينا ثانية . والحى ههنا : القوم المستوطنون ، ودعموا : أراد مكنوا وجعلوا لها دعائم تستند إليها ، والقباب : جمع قبة ، وهى الخيمة ، وأصلها أن تكون على رئيس القوم .

(٥) واستفسحوا : أراد وسعوا ، وأصل معناه الحرفى طلبوا لها المكان الفسيح أى الواسع . والأعطان : جمع عطن ـ بفتح العين والطاء جميعا ـ وأصله مربض الإبل ومبركها حول حوض الماء ، والرحاب : جمع رحبة ، وهى الفضاء أمام البيوت ، والسهول : جمع سهل ـ بفتح فسكون ـ وهو المكان المنبسط الممهد ، والعقاب : جمع عقبة ، وهى هنا ما يقابل السهل .

٨ لَا يَرْهَبُونَ لِلْعِدى ذُبابا أمْسَوْا لقاحًا وَغَدَوْا نِهَابا(١)

٩ جَرَّ عَلَى دَارِهِمُ ذنابا وأتْبَعَ القَوَادِمَ الذنابى(٢)

١٠ بِمُعجلٍ يَنْتَزِعُ الأطْنَابا يُوطى الْحِمَى وَيَهْتِكُ الْحِجَابا(٣)

١١ كالْبَاتِرَاتِ تُنْدِرُ الرِّقابا نَسْعًى وَيَطْوِينَا الرَّدَى وثابا(٤)

---

(١) ذبابا ـ بضم الذال ، بزنة الغراب ـ طرف السيف . واللقاح ـ بفتح اللام والقاف جميعا ـ القوم لايدينون لملك لعزهم ومنعتهم ، ونهابا : أى انتهبهم غيرهم ، يريد أنا رأينا كثيراً من الناس كانوا فى عز ومنعة جانب ، وكانوا لا يخضعون لرئيس ولا يرهبون عدوا ، ثم عدا عليهم الدهر وأصابهم بنوازله فأصبحوا نهبا وتقسمهم أعداؤهم فتغيرت حالهم إلى ذل وضراعة .

(٢) ذناب ـ بكسر الذال ـ جمع ذنوب ، وهى الدلو ، وأراد أن الدهر أصابهم ببعض الشر مما يصيب به الناس ، وفى التنزيل العزيز (فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم) والقوادم: جمع قادمة ، وهى ريشات فى جناح الطائر بها قوته على الطيران ، ويشبه بها رئيس القوم وعظيمهم ، والذنابى : الذيل ، ويشبه به التبع والخول من الناس ، يقول : إن صدمات الدهر حين جرت على هؤلاء الناس لم تبق منهم سيدا ولا مسودا ، ولم ترع عظيما لعظمته ولا عزيزا لعزه وجاهه ، بل أخذت أكابرهم وسادتهم كما أخذت الأتباع والرذال منهم .

(٣) معجل : اسم فاعل من « أعجل فلان فلانا » إذا أخذه فى سرعة ولم يمكنه من التهيؤ للمقاومة . والحمى ـ بكسر الحاء ـ كل ما يجب عليك أن تحميه من عرض أو مال أو نحوهما ، ويوطيه : يمكن من وطئه بالأقدام ، وهذه كناية عن الإذلال والإخضاع ، ويهتك : يمزق ، والحجاب ـ بكسر الحاء ـ مايجعل للسادة والرؤساء من ساتر يحجبهم عن الناس .

(٤) الباترات: القاطعات، وأراد بها السيوف، ووقع فى ب «تبذر الرقابا» ووقع فى ه «تبدر الرقابا» وأحسبهما جميعا تحريف ما أثبته، وتقول «أندرت الشىء» تريد أنك أسقطته، وتقول «ضرب فلان يد فلان بالسيف فأندرها» تريد قطعها وأسقطها ، ولما فى ب وجه ليس بمنزلة ماذكرنا . ويطوينا الردى : أراد يذهب أثرنا ويعفى على ذكرنا ، والوثاب ـ بكسر الواو ـ المواثبة ، وأصلها الأصيل الوثبة ، وهى القفزة والطفرة .

١٢ كَمْ قَطَّعَ الأَقْرَانَ والأَسْبَابا وَفَرَّقَ الجيرَانَ وَالأَحْبَابا(١)

١٣ وَاسْتَدْرَجَ العَبِيدَ وَالأَرْبَابا سَيْلُ رَدًى قَدْ مَلأَ الشِّعَابا(٢)

١٤ وجُنَّ مَوْجًا وَطَغَى عُبَابا قارَعَنا وانْتَزَعَ اللُّبَابا(٣)

١٥ أَعْجِبْ وأَخْلِقْ أَنْ تَرَى عُجَابا يُبَلِّدُ الأَفْهَامَ وَالأَلْبَابا(٤)

---

(١) الأقران : جمع قرن ـ بفتح القاف والراء جميعا ـ وهو الحبل يربط اثنان فيقرن أحدهما إلى الآخر به ، وانظر إلى قول الشاعر :

وابنُ اللَّبُون إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَناعِيسِ

والأسباب : جمع سبب ، وهو الحبل أيضا ، وفى الكتاب الكريم (فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ) وتقطيع الأسباب كناية عن ذهاب الألفة وفقدان وسائل الوداد ، وفى القرآن العظيم (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب)

(٢) « سيل ردى » هو فاعل « قطع » فى البيت السابق ، والردى : الهلاك ، وإضافة السيل إلى الردى من إضافة المشبه به إلى المشبه ، والشعاب ـ بكسر الشين ، بزنة الرجال ـ جمع شعبة ـ بضم الشين وسكون العين ـ وهى المسيل فى الرمل ، أو المسيل الصغير خاصة ، وهى أيضا ماعظم من سواقى الأودية ، وقد يكون الشعاب جمع شعب ـ بكسر الشين ـ وهو مسيل الماء فى بطن الأرض ، والطريق فى الجبل ، ومهما يكن من شىء فإن قوله « قد ملأ الشعابا » كناية عن أنه قد عم كل ناحية ، ولم يخص فريقا من الناس دون فريق .

(٣) « جن موجا » لما شبه الموت بالسيل تمادى فى توابع هذا التشبيه ، فجعل له موجا وجعل هذا الموج مجنونا : أى أنه يضطرب ويتدافع ويقفو بعضه أثر بعض من غير اهتداء إلى طريق يتخذها مسلكا . والعباب ـ بضم العين ـ ارتفاع السيل وكثرته ، وقارعنا : ضاربنا ، أو غالبنا فى القرعة ، واللباب ـ بضم اللام ، بزنة الغراب ـ خالص الشىء ومصاصه وخياره .

(٤) أعجب : صيغة تعجب جاءت على صورة فعل الأمر ، والأصل أن فاعل هذا الفعل يذكر بعده مجرورا بالباء الزائدة ، فتقول « أحسن بعلى » تريد ما أحسنه ، والفاعل هنا هو المصدر

١٦ إنَّ الرَّدَى وَإنْ رَمَى فَصَابَا وَجَاذَبَتْنَا يَدُهُ جِذَابَا(١)

١٧ يَعْجَمُ مِنْ عِيدَانِنَا صِلَابَا صَعْبًا يُلَاقِي أَنْفُسًا صِعَابَا(٢)

١٨ لَا تُنْكِرُ المَوْتَ لَهَا شَرَابَا وَلَا تَعَافُ الصَّبِرَ المُذَابَا(٣)

١٩ سَوَالِبًا وَمَرَّةً أَسْلَابَا إذا أنا انْقَدْتُ ولَمَّا آبَى(٤)

المنسبك من أن المصدرية ومعمولها فى قوله « أن ترى عجابا » وحذف الباء التى تجر فاعل هذا الفعل لأن حذف حرف الجر يكثر إذا كان المجرور به « أن » المصدرية أو « أن » التى تنصب الاسم وترفع الخبر . والعجاب ـ بضم العين ، بزنة الغراب ـ العجيب ، وهو أبلغ فى الدلالة على المعنى من العجيب ، وفى التنزيل : (إن هذا إلا شيء عجاب) والألباب : جمع لب ـ بضم اللام وتشديد الباء ـ وهو العقل .

(١) وقع فى ه « إن الردى و إن رمى أصابا » وليس بشيء لأن جواب « إن » الشرطية الواقعة بعد الواو يكون محذوفا ، ولو جعلت « أصابا » خبر إن لم يستقم الكلام ولم يكن لقوله « يعجم من عيداننا » فى البيت الآتى موقع ، وجاذبتنا : غالبتنا فى الجذب ، والجذاب ـ بكسر الجيم ـ مصدره . يريد أن الموت يقتسرنا على أخذ من تكون لنا إليه حاجة فنحن أشد استمساكا به ممن سواه ، شبه رغبتهم فى بقائه لحاجتهم إليه بجذبه من يد الدهر ، وشبه أخذ الدهر إياه من بينهم بجذبه له ، وجعل هذه الحال مجاذبة بينهم و بين الدهر يكون الغالب فيها دائما هو الدهر

(٢) عجم العود : وضعه فى فمه وجسه بأسنانه ليعرف مقدار صلابته ، والمراد بهذه العبارة أنه يبلوهم ويختبرهم . يريد أن الدهر بما ينزله بهم من كوارث ومحن يبلوهم ، وأنه يجدهم صلاب العود لا يضعفون ولا يهنون .

(٣) فى « تنكر » ضمير مستتر يعود إلى الأنفس الصعاب المذكورة فى البيت السابق . وتعاف : تكره وتنصرف عنه . والصبر ـ بفتح الصاد وكسر الباء ـ ثمر مر الطعم كريه المذاق

(٤) سوالب : جمع سالبة ، وهى التى تسلب غيرها ، والأسلاب : جمع سلب ـ بفتح السين واللام جميعا ـ وهو ما تأخذه من غيرك ، وأراد أنها تكون أحيانا سالبة وتكون أحيانا أخرى سلبا لغيرها ، وانقدت : خضعت وأسلمت قياد نفسى ، وآبى : أمتنع .

٢٠ مُنْجَفِلًا مَعَ الرَّدَى مُنْجَابَا فَلَمْ سَنَنْتُ الصَّارِمَ القِرْضَابَا(١)

٢١ وَلَمْ رَبَطْتُ الشُّزَّبَ العِرَابَا يَمْرِينَ بِالشَّكَائِمِ اللُّعَابَا(٢)

٢٢ خَمَائِصًا تُحَاضِرُ الذِّئَابَا يَحْمِلْنَ أُسْدًا فِي الْوَغَى غِضَابَا(٣)

٢٣ قَدْ سَلَبُوا السَّوَابِغَ العِيَابَا رَكْبًا ، وطَوْرًا لِلْقَنَا رِكَابَا(٤)

---

(١) تقول « انجفل القوم » تريد أنهم انقلعوا كلهم فمضوا وهربوا مسرعين ، وتقول أيضا « جفل القوم » من بابى ضرب ونصر ـ إذا أسرعوا الهرب . والردى : الهلاك والموت . ومنجاب : مأخوذ من قولهم « انجابت السحابة » إذا انكشفت وانقطعت . وسننت : حددت وشحذت وصقلت ، تقول « سن الرجل السكين ونحوه » من باب نصر ـ إذا أحده . والصارم : السيف القاطع . والقرضاب ـ بكسر فسكون ـ هو السيف الذى يقطع العظام ، يقول : إذا كنت سأذل لحوادث الدهر وسأولى منهزما مسرعا فى الهزيمة غير صامد لما ينزل بى فلأى شىء إذن قد أعددت العدة وأخذت الأهبة فشحذت سيفى وأرهفته ؟ . ينكر أن يكون الهرب والهزيمة من شأنه

(٢) الشزب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس ، وأراد بها الخيل ، والعراب ـ بكسر العين ـ أراد الكرائم السالمة من الهجنة . ويمرين : يمسحن ، تقول « مرى فلان ضرع ناقته يمريه مريا » إذا مسحه لتدر عند الحلب ، والشكائم : جمع شكيمة ـ بفتح الشين ـ وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام ، واللعاب ـ بضم اللام ـ فاء الفم ، يريد أنها تعلك اللجم ، وهذه كناية عن نشاط الخيل وأنها على تمام الأهبة .

(٣) الخمائص : جمع خميص ، وهو الضامر البطن ، وهذا من صفات الخيل أيضا ، وضمور البطن مما يتمدح به فيها . وتحاضر : تغالب فى الحضر ـ بضم الحاء وسكون الضاد ـ وهو السرعة فى السير ، ووقع فى ه « تحاصر » بالصاد المهملة ، ولها وجه ، والذئاب : جمع ذئب ، وهو من الحيوان المعروف بالسير السريع ، والأسد ـ بضم الهمزة وسكون السين ـ جمع أسد ، وأراد بالأسد ركاب الخيل التى وصفها ، ووصف الأسد بالغضب لأن ذلك أدعى لهيبتها والخوف منها .

(٤) العياب ـ بكسر العين ـ جمع عيبة ، وهى الوعاء يضع فيه المسافر متاعه ، والسوابغ : جمع سابغة وأراد بها الدرع الضافية ، و « سلبوا » فعل يحتاج إلى مفعولين : فمفعوله الأول ههنا هو قوله « العيابا » ومفعوله الثانى هو قوله « السوابغ » وقدم ثانى المفعولين على أولهما ، يريد

٢٤ يَحْمِي الْحِمَى وَيَمْنَعُ الجَنَابَا حَتَّى إذا دَاعِي الرَّدَى أَهَابَا[1]

٢٥ أَسْقَطَ مِنْ أَيْمَانِنَا الكِعَابَا وَبَزَّنَا أَرْوَاحَنَا اغْتِصَابَا[2]

٢٦ لَا طَعْنَ نَسْطِيعُ وَلَا ضِرَابَا مُقْتَحِمٌ عَلَى الأُسُودِ الْغَابَا[3]

٢٧ لَا يَحْفِلُ الْحُجَّابَ وَالْأَبْوَابَا وَرُبَّ إِخْوَانٍ مَضَوْا شَبَابَا[4]

أنهم غلبوا العياب على ماحفظ فيها من الدروع فاستخرجوها منها ، وهـذا يحتمل أن يكون كناية عن أنهم مستعدون متهيئون للوثبة على أعدائهم فهم لايتركون دروعهم فى عيابها وإنما يلبسونها ليكونوا مستجيبين لأول دعوة ، ويحتمل أنه كناية عن أنهم قهروا عدوهم وأخذوا منه عدته وسلاحه ، والأول عندنا أحسن .

(١) الحمى ـ بكسر الحاء مقصورا ـ مامنعت غيرك أن يقربه ، وقال الشاعر :

ونَرْعَى حِمَى الأَقْوَامِ غَيْرَ مُحَرَّمٍ عَلَيْنَا وَلا يُرْعَى حِمانا الذى نَحمِى

والجناب ـ بفتح الجيم بزنة السحاب ـ الناحية والجانب ، وأهاب الداعى : نادى ، ووقع فى ه «حتى إذا داعى الردى أجابا» محرفا .

(٢) الأيمان ـ بفتح الهمزة ـ جمع يمين ، وهى ضد اليسار ، والكعاب : جمع كعب ـ بفتح فسكون ـ وأصله العقدة من عقد الرمح ، وأراد هنا بالكعاب الرماح من باب تسمية الشىء باسم أحد أجزائه . وبزنا : سلبنا وأخذ منا مع غلبة وقهر منه لنا . تقول : «بز فلان فلانا على كذا» إذا غلبه عليه . و « اغتصابا » مفعول مطلق مؤكد لما فهم من معنى « بزنا » ووقع فى ب « اغصابا » ووقع فى ه « اغتصابا » وكلاهما تحريف .

(٣) نسطيع : لغة فى نستطيع ، وفى التنزيل الكريم : (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) وفيه (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) والغاب : جمع غابة ، وهى مأوى السباع . يقول : إنه لادفع لنا أمام الموت ، فنحن شجعان بواسل نقهر من نغالبه ولا يقهرنا أحد ، ولكن الموت إذا جاء لم نقدر على رده ؛ لأنه يسقط من أيماننا عدة الحرب ويقهرنا على أرواحنا فيغتصبها منا اغتصابا ، ولا عجب فى ذلك ، لأن الموت لايدفعه أحد ، فهو يتوجل الغاب ويدخلها على الأسود غير هياب لها .

(٤) وقع فى ب قوله « لايحفل الحجاب والأبوابا » بعد قوله « ولا تعد لهم الأحقابا » وما

٢٨ تَلَاحَقُوا إلى الرَّدَى صِحَابَا وَلَبِسُوا الجَنْدَلَ والظِّرَابَا(١)

٢٩ لِقَدْرِ مَا عَمَّرُوا الخَرَابَا إذا دُعُوا لم يَرْجِعُوا جَوَابَا(٢)

٣٠ لَا نَتَرَجَّى مِنْهُمُ إيَابَا وَلَا نَعُدُّ لَهُمُ الأَحْقَابَا(٣)

٣١ يَا غُصْنَا طَالَ وَغَرْسًا طَابَا لَمَّا ذَوَى أَوْدَعْتُهُ التُّرَابَا(٤)

أثبتناه عن ه أوفق لأن « لايحفل - إلخ » من تتمة أوصاف الموت ، ويقال « فلان مايحفل فلانا » و « مايحفل به » ومعناه أنه لايبالى به ولا يهمه شأنه ، وقال لبيد بن ربيعة :

* وَمَتَى أَهْلِكْ فلا أُحْفِلُهُ *

والحجاب : جمع حاجب ، وهو من يكون دون السلطان لايدخل إليه إلا من أذن له ، يريد أن الموت لايحتاج إلى الاستئذان ولا يرهب ذوى السلطان .

(١) تلاحقوا : لحق بعضهم بعضا وسار بعضهم فى إثر بعض ، وصحابا : أى مصطحبين . والجندل : الحجارة ، والظراب - بكسر الظاء - جمع ظرب - بزنة كتف - وهو مانتأمن الحجارة وحد طرفه ، أو هو الجبل المنبسط ، أو هو الربية الصغيرة ، يريد أنهم ماتوا فصارت مساكنهم الحجارة والتلال ، وعبر عن ذلك باللبس لأن القبور تسترهم عن أعين الناس كما أن الثياب تستر لابسها .

(٢) « ما » فى قوله « لقدر ماعمروا » يجوز أن تكون نكرة تقع صفة لقدر ، وكأنهم قال لقدر عظيم عمروا الخرابا ، ويحتمل أن تكون مصدرية تسبك مابعدها وكأنه قال لقدر تعميرهم الخرابا ، وعلى الأول يكون « لقدر » متعلقا بقوله عمروا ، وعلى الثانى يكون متعلقا بمحذوف يقع خبرا مقدما مبتدؤه المصدر المنسبك من « ما » وما بعدها ، و « لم يرجعوا جوابا » لايردون على من يدعوهم لأنهم فقدوا النطق والحركة بسبب موتهم .

(٣) إيابا : عودة ورجوعا إلى هذه الحياة . والأحقاب : جمع حقبة ، وهى المدة من الزمن . يريد أنه لا أمل لنا فى عودتهم إلينا ، ولسنا نحصى لهم مدة معلومة نقدر عودتهم بعدها كما نفعل ذلك فى شأن المسافرين .

(٤) وقع فى ب « ياغصنا طال وفرعا طابا » وذوى : ذبل وجف ويبس .

٣٢ أَرَابَ مِنْ يَوْمِكَ ما أَرَابا لا زِلْتُ أَسْتَسْقِى لَكَ السَّحَابا(١)

٣٣ كلَّ أَغَرَّ يَدِقُ الذِّهَابا مُجَرَّرًا عَلَى الرُّبَا أَهْدَابا(٢)

٣٤ يُبْقِى بأجواز الثَّرَى أَنْدَابا وَيَنْثَنِى مُجَوِّلًا جَوَّابا(٣)

٣٥ وَإِنْ لَبِسْتَ لِلْبِلَى جِلْبَابا أَرَى الْبُكَاءَ سَفَهًا وَعَابا(٤)

٣٦ لا تَجْعَلَنَّهُ دَيْدَنًا ودَابا وَافَقَ مِنَّا أَجَلٌ كِتَابا(٥)

* * *

(١) أراب : أحدث الشك ، وأبهم الفاعل كما فى قوله تعالى : (فغشيهم من اليم ماغشيهم) إشارة إلى أنه لايمكن أن يقدر قدره ولا يعرف تحديده ، وأستسق : أطلب لك السقيا .

(٢) « كل » مفعول ثان لأستسقى فى البيت السابق ، ويدق : مضارع ، ودق يدق ـ مثل وعد يعد ـ أى يمطر ، والودق ـ بفتح الواو وسكون الدال ـ المطر ، وفى التنزيل العظيم (فترى الودق يخرج من خلاله) والذهاب ـ بكسر الذال ـ جمع ذهبة ـ بكسر فسكون ـ وهى من المطر ما كان جودا كثيرا ، وتطلق الذهبة على المطر الضعيف أيضا ، فهو من الأضداد ، وقال الشاعر:

* ترشَّفْنَ دِرَّات الذهَاب الركائبِ *

والأهداب : جمع هـدب ـ بضم الهاء وسكون الدال ـ وهو فى الأصـل خمل الثوب وطرته ، ويطلق على السحاب المتدلى على الأرض ، ويقال للسحاب هيدب أيضا ، تقول « تدلى هيدب السحاب » وهو ماتراه كأنه خيوط عند انسكاب المطر ، ووقع فى ه « مجررا على الربى هدابا » والهداب ـ بضم الهاء وتشديد الدال مفتوحة ـ مثل الهدب ، ووقع فى معلقة امرىء بن حجر الـكندى فى صفة ناقته :

فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ الْمُفَتَّلِ

(٣) الأجواز : جمع جوز ـ بفتح الجيم وسكون الواو ، وجوز كل شىء : وسطه . والأنداب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح الذى يبقى على الجلد بعد اندمال الجرح . وينثنى : يعود ويرجع .

(٤) الجلباب ـ بكسر الجيم وسكون اللام ـ الثوب . والسفه ـ بفتح السين والفاء جميعا ـ الخرق والحمق والطيش . والعاب : العيب ، ونظيره الذام والذيم .

(٥) الديدن ـ بفتح الدالين بينهما ياء ساكنة ـ العادة ، وتقول « اتخذ فلان ذلك ديدنا

٤٩ — وقال يعزيه أيضاً عن مولودة توفيت :

١ لأظْمَا مَعَالِينَا وَأَرْوَى الْمَصَائِبَا وأسْخَطَ آمَالاً وأرْضَى نَوَائِبَا(١)

٢ مُصَابٌ نُجُومُ الْمَجْدِ فيهِ نَوَاجِمٌ تَرَكْنَ نُجُومَ الصَّبْرِ عَنْهُ غَوَارِبَا(٢)

٣ أَصَابَتْ سِهَامُ الْحَادِثَاتِ قُلُوبَهَا فكَمْ أعْقَبَتْ رَوْعَاتِ رَوْعٌ الْعَوَاقِبَا(٣)

له » تريد أنه جرى على فعله وصار عادة له ، والداب : أصله الدأب ـ بالهمزة ساكنة ـ فقلبها ألفا لانفتاح ماقبلها ، والدأب والداب : العادة أيضا ، وقوله « وافق منا أجل كتابا » بسبيل من قوله تعالى : (لكل أجل كتاب) .

(١) اللام فى قوله « لأظما » لام جواب القسم ، وأظما : فعل ماض ، وأصله أظمأ فسهل الهمزة بقلبها ألفا ، وكان من حق الاستعمال الفصيح أن يقول « لقد أظمأ إلخ » لأن جواب القسم إذا كان فعلا ماضيا اقترن بقد ، وإذا كان فعلا مضارعا مثبتا مستقبلا غير مفصول من لام الجواب أكد بنون التوكيد نحو قوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل : (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) ووقع فى ب « لأظمأ معلينا » وهو تحريف ، والمعالى : جمع معلاة ـ بفتح الميم وسكون العين ـ وهى الرفعة والشرف ، وأظمأها : أصابها بالظمأ وهو العطش . وأروى : ضد أظمأ ، ومعناه أشبعها ريا .

(٢) « مصاب » أى رزء عظيم ، وهو فاعل أظمأ فى البيت السابق . ونواجم : جمع ناجمة ، ومعناه ظاهرة وطوالع ، وبين « أروى » و « أظمأ » و « أرضى » و « أسخط » و « نواجم » و « غوارب » نوع من البديع يسمى المقابلة ، ونظيره قول الشريف أيضا :

ومنظرٍ كان بالسَّرَّاءِ يُضْحِكنى يَا قُرْبَ ما عاد بالضَّرَّاءِ يُبْكِينى

(٣) الضمير فى « قلوبها » يعود إلى نجوم المجد فى البيت السابق . وأعقبت : جاءت بشىء عقب شىء ، ووقع فى هـ « فكم عقبت » وهو بتشديد القاف مفتوحة مثل أعقبت ، والروع : الخوف والفزع ، ويروع : مضارع منه ، تقول « راعنى يروعنى روعا » بمعنى أفزعنى وأخافنى ، وتقول « راع فلان يروع روعا » بمعنى فزع وخاف ، يأتى متعديا ولازما .

٤ لَقَدْ وَعَدَتْنَا إِذْ رَغِبْنَا رَغَائِبًا فلما أَصَبْنَا الظَّنَّ أَعْطَتْ مَصَائِبَا(١)

٥ وَأَرْضَعْنَ أَفْوَاهَ المطامعِ فُجْعَةً فَطَمْنَ بِهَا عِنْدَ النجاح المَطَالِبَا(٢)

٦ بِمَفْقُودَةٍ يَنْهَلُّ مَاءُ مُصَابِهَا دُمُوعًا عَلَى خَدِّ الزَّمَانِ سَوَاكِبَا(٣)

٧ إِذَا قَعَدَتْ أَحْزَانُهَا فى قُلُوبِنَا أَقَمْنَا عَلَى الصَّبْرِ الشفاه نَوَادِبَا(٤)

٨ صَبَرْنَا فَغَصَّصْنَا الزمَانَ بِرِيقِهِ عَلَى أَنَّ للأَيَّام فينَا مَضَارِبَا(٥)

٩ وَلَمْ نَطْرَحِ الأَسْبَابَ يَوْمًا لِنَكْبَةٍ وَإِنْ جَذَبَ المَقْدَارُ مِنَّا الْجَوَاذِبَا(٦)

---

(١) الضمير المستتر فى «وعدتنا» يعود إلى سهام الحادثات ، والرغائب : جمع رغيبة ، وهى الأمر الذى يرغب فيه ، وأصبنا الظن : أى اعتقدنا ظننا بها صوابا ، ووقع فى ب ، ه « فلما أصبن الظن» وظنى أنه تحريف ما أثبته .

(٢) شبه الحادثات بالأم التى من شأنها أن ترأم ولدها وتعطف عليه وترضعه ، وشبه الآمال التى يؤملها الإنسان بذلك الابن الذى يترقب عطف أمه ، وجعل لهذه الآمال فما يرضع ، ويتناول به الثدى ، ثم جعل هذه الحادثات تأتى بغير ما كان يرتقب منها ، لأنها عند مارأت الآمال وشيكة التحقق غدرت ففطمت ، ووقع فى ه « فطمن بها غر النجاح المطالبا » وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(٣) ينهل : ينهمر و يهطل و يتدفق ، وسواكب : جمع ساكب ، وتقول «سكب المطر وشبهه» إذا نزل وتدفق

(٤) نوادب : جمع نادبة ، وهى التى تبكى الميت وتذكر محاسنه . يقول : إذا كان حزننا على هذه المفقودة ساكنا فى قلوبنا لاترى له مظهرا من بكاء وصراخ ونحوهما فإنا نقيم شفاهنا نادبات لتحدث عما كان عليه فقيدنا من صفات جليلة تستوجب البكاء .

(٥) فغصصنا الزمان بريقه : أى جعلناه يغص و يشرق بلعاب فمه ، ووقع فى ه « صبرنا فضعضعنا الزمان بريقه» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ب ، والمضارب : جمع مضرب ، وهو مصدر بمعنى الضرب ، أو اسم لمكان الضرب .

(٦) الأسباب : أراد بها أسباب الظفر و بلوغ الآمال ، ومعنى نطرح نلقى ونهمل ، ووقع

١٠ أَلَا إِنَّ هٰذَا الثَّاكِلَ الْحَسَبِ الَّذِي ... بِهِ ثَكِلَ الْمَجْدُ التَّلِيدُ الْمَنَاقِبَا[١]

١١ رَمَى فِي يَمِينِ الدَّهْرِ دُرَّةَ سُؤْدَدٍ ... فَأَحْجِ بِهَا يَحْنُو عَلَيْهَا الرَّوَاجِبَا[٢]

١٢ وَقَدْ شَنَّ فِينَا حَادِثُ الدَّهْرِ غَارَةً ... ثَنَتْنَا وَلَمْ تُطْلِعْ إِلَيْنَا كَتَائِبَا[٣]

١٣ فَلَا تَحْسَبَا رُزْءَ الصَّغَائِرِ هَيِّنًا ... فَإِنَّ وَجَى الْأَخْفَافِ يُنْضِي الْغَوَارِبَا[٤]

فى ب « ولم نطرح الأسلاب يوما لنكبة » وأعتقد أنه تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ه . يريد أنهم لعظم شأنهم و بعدهممهم لم يتركوا الأخذ بالأسباب لنزول نازلة بهم ، يعنى أنهم لايضعفون ولا تخور عزائمهم إذا نزلت بهم ملمة ، بل تبقى نفوسهم طامحة وهمتهم متوثبة لاتضعضعها الحوادث ، والمقدار : القدر .

(١) الثاكل : الفاقد ولده ، ويقال : رجل ثاكل ، وامرأة ثاكل ، أيضا ، وأكثر مايطلق على المرأة ، ويجب ههنا أن يكون قد عنى رجلا لقوله « هـذا الثاكل » وثكل : فقد ولده ، والتليد ـ بفتح التاء بزنة القديم ـ وهو ماورثته عن أبائك ، ومثله التالدوالمتلد ، والمناقب : جمع منقبة ، وهى ـ بفتح الميم والقاف بينهما نون ساكنة ـ المأثرة والمحمدة.

(٢) أحج بها : فعل تعجب مثل أخلق به وأجدر به وأقمن به ، ومثل ما أحجاه وما أخلقه وما أجدره وما أقمنه ، كل ذلك بمعنى أنه حقيق بما يذكر معه ، ويحنو : يعطف ، والرواجب : جمع راجبة ، والرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، يقول : إنها خليقة بأن يطبق عليها أصابعه مخافة أن تفلت منه ، وهذا كناية عن عظم قدرها ونفاستها .

(٣) شن : أصل معناه فرق ، تقول « شننت على بنى فلان غارة » تريد أنك فرقتها عليهم وجعلتها تأتيهممن جميع نواحيهم ، وذلك لكى لاتمكنهم من الإفلات ، وثنتنا : ردتنا ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الفصيلة من الجيش ، يقول : إنها أثرث فينا أثرهامن غيرأن تقود إلينا جيوشا .

(٤) الرزء ـ بضم فسكون ـ المصيبة والخطب . والصغائر : جمع صغيرة ، وأراد بها ههنا الوليدة المتوفاة ، ووقع فى ه «رزء الضغائن» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لمافى ب . والوجى ـ بفتح الواووالجيم مقصورا ـ الحفا أوأشد منه ، والأخفاف : جمع خف ، ويقال «أخفاف البعير» كما يقال « أرجل الإنسان » أو « أقدام الإنسان » . وينضى : يهزل ويتعب . والغوارب : جمع

١٤ سَقَى اللهُ حَصْبَاءَ الثَّرَى كلَّ لَيْلَةٍ ... سَحَائِبَ يَنْزِعْنَ الرِّيَاحَ الْحَوَاصِبَا (١)

١٥ جَنَادِلَ مِنْ قَبْرٍ جَعَلْنَ صُدُورَهَا ... جِبَاهُ الْحَيَا دُونَ الْقُبُورِ مَحَارِبَا (٢)

١٦ أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى لَوَدَّتْ عُيُونُنَا ... ولم تُبْقِ دَمْعًا أَنْ يَكُنَّ سَحَائِبَا (٣)

١٧ تُرَابٌ تَرَى أَنَّ النُّجُومَ تُرَابُهُ ... وَتَحْسَبُ أَحْجَارَ الصَّفِيحِ الكَوَاكِبَا (٤)

غارب ، وهو مابين عنق البعير وسنامه . يقول : لاتظن أن مصيبة الإنسان بفقد صغير من أولاده سهلة الاحتمال ، ثم ضرب لذلك مثلا ملخصه أن مايصيب البعير من حفا أخفافه يؤثر فى أعلى مكان منه وهو غاربه .

(١) الحصباء: صغار الحصى، و ينزعن : يجذبن ، مأخوذ من قولهم « نزع فلان الدلو من البئر » إذا جذبه ، والحواصب : جمع حاصب ، وهى الشديدة الهبوب من الرياح .

(٢) الجنادل : جمع جندل ، وهو الحجر الضخم ، والجباه ـ بكسر الجيم ـ جمع جبهة ، وهى فى الأصل من الإنسان موضع المواجهة والمجابهة ، والحيا : المطر ، والمحارب : جمع محراب ، وهو فى الأصل موضع الإمام من الصلاة فى المسجد . وقوله « جباه الحيا » فاعل جعل فى قوله « جعلن صدورها جباه الحيا » وقد ألحق بالفعل علامة جمع النسوة مع أنه مسند إلى فاعل ظاهر ، وذلك على لغة من لغات العرب قد ذكرناها فى غير موضع من هذا الشرح واستشهدنا لها ، وقد وقع هذا البيت فى ب هكذا :

جَنَادِلَ من قبر كأن صُدورَهَا ... حباه الْحَيَا دون القبورِ مَحَارِبَا

وهو تحريف وتغيير يدلان على عدم انسياق المعنى المقصود إلى الذهن . يقول : إن الأمطار قد جعلت صدور الأحجار المركبة على هذا القبر محارب فهى دائمة الهطول والنزول عليها .

(٣) وقع فى ب ، هـ « أن يكون سحائبا » والضمير فى « يكن » يعود إلى العيون . يريد أن عيونهم ـ مع أنها قد أنفدت دمعها على هذه الفقيدة ـ تتمنى أن تكون سحائب ينهمر دمعها كما ينهمر المطر من السحاب لتسقى هذا القبر .

(٤) الصفيح : الحجارة العراض توضع على القبر ، وقال الشاعر :

ولَوْ أَنَّ لَيْلَى الأَخيليةَ سَلَّمَتْ ... عَلَيَّ ودُونِي جَنْدَلٌ وصَفَائِحُ

لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقَا ... إِلَيْهَا صَدًى من جانبِ الْقَبْرِ صَائِحُ

١٨ وَسَيْفٌ نُضَى مِنْ جَفْنِهِ غَيْرَ أَنَّهُ ... رَضَى حَدَّهُ عَنْ غِمْدِهِ الدَّهْرَ صَاحِبَا(١)

١٩ يُغَطِّى الثَّرَى عَنَّا وُجُوهًا مُضِيئَةً ... كَمَا كَفَرَ الغَيمُ النجومَ الثَّوَاقِبَا(٢)

٢٠ وَرُزْءٍ رَمَى صَدْرَ الأَمَانِى بِيَأْسِهَا ... وَكُنَّ إِلَى وِرْدِ الْمَعَالِى قَوَارِبَا(٣)

٢١ أَلَا رُبَّ لَيْلٍ قَلْقَلَتْهُ عَزَائِمِى ... إِلَى أَنْ نَضَا عَنْ مَنْكِبَيْهِ الْغَيَاهِبَا(٤)

٢٢ جَذَبْتُ بِضَبْعِ الْعَزْمِ مِنْ بَيْنِ أَضْلُعِى ... وَزَاحَمْتُ بِالْهَمِّ الدُّجَى وَالسَّبَاسِبَا(٥)

---

(١) نضى : فعل ماض مبنى للمجهول ، ، وكان من حق العربية الفصيحة أن يأتى به مكسور الضاد مفتوح الياء كما تقول « ضرب » ولكنه فتح الضاد فانقلبت الياء ألفا ، وهذه لغة من لغات العرب يستعملها الشريف كثيرا ، وقد ذكرناها فيما سبق واستشهدنا لها ، وكذلك قوله فى هذا البيت « رضى » فإنه فعل ماض مبنى للمعلوم وأصله مكسور الضاد فقلب كسرة الضاد فتحة والياء ألفا ، ومعنى « نضى » أخرج من غمده ، والجفن - بفتح الجيم وسكون الفاء - قراب السيف ، والغمد - بكسر فسكون - بمعناه .

(٢) كفر : ستر ، ومنه سمى الزراع كافرا لأنه يستر الحب بوضعه فى جوف الأرض ، وكما سمى الليل كافرا لأنه يستر بظلامه كل شىء ، وقد قال ابن الفارض أو بهاء الدين زهير :

يَا لَيْلُ طُلْ أو لا تَطُلْ ... إِنِّى على الحالَيْنِ صَابِرْ

لِى فِيكَ أَجْرُ مُجَاهِدٍ ... إِنْ صَحَّ أَنَّ اللَّيْلَ كَافِرْ

(٣) وقع فى ه « ولكن إلى ورد المعالى قواربا » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب . والقوارب : جمع قارب أو قاربة ، والقارب : الذى يطلب الماء ليلا ، ولا يقال لمن يطلب الماء نهارا قارب ، والمراد ههنا أنهن كن دوانى من بلوغ المجد ، فشبههن بطالب الماء .

(٤) قلقلته : حركته وأثارته وأزعجته . والغياهب : جمع غيهب ، وهو الظلام الشديد ، ونضاه عن منكبيه : خلعه .

(٥) الضبع - بفتح الضاد وسكون الباء هنا - العضد كلها ، وهو ما بين المرفق والكتف من يد الإنسان ، والعزم : اعتزام الأمر والتصميم على إنفاذه ، وقد جعل له ضبعا على التشبيه ، والهم هنا : إرادة الأمر والعزم عليه وقصده . والسباسب : جمع سبسب - بفتح السينين بينهما باء ساكنة - وهو الصحراء والأرض المستوية البعيدة الأطراف .

٢٣ وَجُرْدًا ضَرَبْنَ اللَّيْلَ فِى أُمِّ رَأْسِهِ ... وَجُزْنَ بِنَا أَعْجَازَهُ وَالْمَنَاكِبَا(١)

٢٤ وَمَرَّتْ حَوَامِيهَا عَلَى لِمَّةِ الدُّجَى ... تُجَاذِبُ بِالإِدْلَاجِ مِنْهَا الذَّوَائِبَا(٢)

٢٥ وَإِنِّى لَمِنْ قَوْمٍ إِذَا رَكِبُوا النَّدَى ... إِلَى الْحَمْدِ بَاتُوا يَعْسِفُونَ الرَّكَائِبَا(٣)

٢٦ إِذَا فَاضَ رَقْرَاقُ الْمَحَامِدِ صَيَّرُوا ... لَهُ جُودَهُمْ دُونَ اللَّيَالِى نَصَائِبَا(٤)

٢٧ وَإِنْ ضَاقَ صَدْرُ الْخَطْبِ وَسَّعَ بَأْسُهُمْ ... لِسُمْرِ الْقَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ مَذَاهِبَا(٥)

---

(١) الجرد : جمع أجرد ، وهو من الخيل القصير الشعر ، وضربن الليل فى أم رأسه : أراد أنها سارت بهم فى الليل غير مبالية بظلامه ، ووقع فى ب « ضربن الدهر فى أم رأسه » وما هنا أظرف . وقد جعل لليل أعجازا ومناكب على التشبيه ، كما جعل له امرؤ القيس فى قوله :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ ... عَلَىَّ بِأَنْوَاعِ الظَّلَامِ لِيَبْتَلِى

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ ... وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِى ... بِصُبْحٍ ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

(٢) الحوامى : جمع حامية ، وهى التى يوكل إليها حماية الذمار ، والدجى : جمع دجية ، وهو هنا الظلام الحالك ، وأصل اللمة ـ بكسر اللام وتشديد الميم ـ الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن من الإنسان ، والإدلاج : ضرب من السير ، أو هو سير أول الليل خاصة . والذوائب : جمع ذؤابة ، وهى شعر فى أعلى ناصية الفرس .

(٣) ركبوا الندى : أراد سلكوه طريقا يبلغون به حمد الناس إياهم ، وأصل الندى الجود والكرم . ويعسفون الركائب : أراد يجهدونها ويسيرون بها عن غير قصد ، والمعنى : أنهم إذا سلكوا سبيل الكرم لم يبالوا بما يبذلونه من المال ولا يخافون أن تنفد أموالهم كلها .

(٤) أصل الرقراق كل شىء له تلألؤ وبصيص ، وقالوا « ماء رقراق » و « سراب رقراق » و « سحاب رقراق » و « دمع رقراق » يريدون أنه يتحرك حركة يسيرة وأن له مع ذلك تلألؤا . والنصائب : حجارة تنصب حول حوض الماء تمنعه من الانسياح على الأرض ، واحدتها نصيبة ووقع فى ب « دون اللئام » مكان « دون الليالى » .

(٥) الخطب ـ بفتح الخاء وسكون الطاء ـ الشأن العظيم ، وكنى بضيق صدره عن شدته

٢٨ بطَعْنٍ كَدُفَّاعِ الْغَمَامِ تحثُّهُ ذَوَابِلُ يُمْطِرْنَ الدِّمَاءَ صَوَائِبَا(١)

٢٩ لَهُ شَرَرٌ يَرْمِي الرِّمَاحَ بِلَفْحِهِ يَكَادُ يُرِي مَاءَ الأَسِنَّةِ ذَائِبَا(٢)

٣٠ إذا أَنْكَرُوا فِي النَّقْعِ أَلْوَانَ خَيْلِهِمْ أَضَاءَ لَهُمْ حَتَّى يَشِيمُوا السَّبَائِبَا(٣)

٣١ أَبَا قَاسِمٍ، جاءت إليك قَلَائِدٌ تُقَلِّدُ أَعْنَاقَ الْكِرَامِ مَنَاقِبَا(٤)

وعظم خطره وصعوبة المخلص منه . والبأس : الشدة والقوة . والسمر ـ بضم فسكون ـ جمع أسمر أوسمراء ، والقنا : جمع قناة ، وأراد بها ههنا الرمح . يقول : إذا اشتد على الناس الخطب وعز الخلاص منه فإن قومى بجلادتهم وقوتهم يفرجون الكرب .

(١) الدفاع ـ بضم الدال وتشديد الفاء ـ طحمة الموج والسيل ، وهو أيضا الشيء العظيم يدفع به مثله ، وتحثه : تحركه وتحضه . وأراد بالذوابل ههنا الرماح ، وصوائب : اسم فاعل من « صاب المطر يصوب صوبا » إذا انهمر وانسكب .

(٢) الشرر ـ بفتح الشين والراء جميعا ـ مايتطاير من النار ، ولفحه : شدة حرارته ، والأسنة : جمع سنان ـ بكسر السين بزنة الكتاب ـ وهو نصل الرمح ، وماؤها : رونقها ، وهذا البيت متصل بسبب من بيت المعرى :

يُذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الغِمْدُ يُمْسِكُهُ لَسَالَا

(٣) النقع ـ بفتح النون وسكون القاف ـ ما انعقد من الغبار فوق رءوس المحاربين ، والشعراء يشبهونه بالليل . والبيت المختار فى هذا المعنى قول بشار :

كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فوقَ رُءوسِنا وأسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كواكبه

ويشيموا : ينظروا ، والسبائب : جمع سبيب ، وهو شعر الذنب والعرف والناصية ، يريد أن الشرار الذى يتطاير من طعنهم الأعداء يضيء فى حوالك الظلمات حتى يتبينوا كل شيء ، وكنى بهذا كله عن شدة الطعن ، ثم عن بسالتهم وقهرهم أعداءهم ،

(٤) أبو قاسم : كنية أخيه الشريف المرتضى ، واسمه على بن الطاهر ذى المناقب أبى أحمد الحسين بن موسى ، والقلائد : جمع قلادة ـ بكسر القاف ـ وهى فى الأصل حلية تلبس فى العنق ، وأراد بها قصائد من شعره .

٣٢ قَلَائِدُ مِنْ نَظْمِى تَوَدُّ لِحُسْنِهَا قُلُوبُ الأَعَادِى أَن تَكُونَ تَرَائِبَا(١)

٣٣ إِذَا هَذَّهَا رَاوِى القَرِيضِ حَسِبْتَهُ يَقُومُ بِهَا فِى نَدْوَةِ الحَىِّ خَاطِبَا(٢)

٣٤ فَلَوْ كُنَّ غُدْرَانًا لَكُنَّ مَشَارِبًا وَلَوْ كُنَّ أَحْدَاثًا لَكُنَّ تَجَارِبَا(٣)

* * *

٥٠ — وقال يرثى بعض أخواته ، ودُفنت فى مشهد الحسين عليه السلام [من المجتث] .

١ يَا دَيْنَ قَلْبِكَ مِنْ بَا رِقٍ يُنِيرُ وَيَخْبُو(٤)

٢ عَلَى شُرَيْقِىِّ نَجْدٍ مَرْعًى لِعَيْنَيْكَ جَدْبُ(٥)

---

(١) التراثب: جمع تريبة ، وهى عظام الصدر ، وهو المكان الذى تقع عليه القلادة.

(٢) هذها — بالذال المعجمة — أراد أنشدها وتلاها وقرأها . وتقول « هذ فلان القرآن » من باب نصر — إذا أسرع فى قراءته ، وتقول « هذ الحديث » إذا سرده ، وتقول « اهتذه » أيضا ، ووقع فى ب ، هـ « إذا هدها » بالدال مهملة ، ومعناه صوت بها ، وليس بشىء ، والمترجح عندنا أنه محرف عما أثبتناه . والقريض : الشعر ، وندوة الحى — بفتح النون وسكون الدال — المكان يجتمع فيه القوم كالنادى ، والخاطب : الذى يخطب الناس ، يريد أن هذه القصائد لاتكلف فيها ولا تعقيد ، فلو أنك سمعتها لحسبتها خطبة .

(٣) الغدران : جمع غدير ، وهى القطعة من الماء يغادرها السيل : أى يتركها ، والمشارب : جمع مشرب ، وهو المكان الذى يشرب منه . يقول : لو كانت هذه القصائد غدرانا لكانت صافية الماء نقيته لايعاف أحد شربه ، والتجارب : جمع تجربة ، وهى الاختبار والابتلاء .

(٤) الدين — بفتح الدال — الموت ، وقالوا « قضى فلان دينه » إذا مات ، و « الدين » بكسر الدال — الداء والمرض ، ووقع فى هـ « يارين قلبك » بالراء ، والرين : كل ماغطى على القلب وركبه ، ويقال « أعوذ بالله من الرين » و « من الران » والبارق : المضىء ، ويخبو : أراد يظلم ، وأصله قولهم « خبت النار تخبو » إذا سكنت وخمدت وطفئت .

(٥) شريق : تصغير شرق المنسوب إلى الشرق ، والمرعى فى الأصل: مكان الرعى ، والجدب ، ومثله الجديب : الذى لانبات فيه ، وضده الخصب والخصيب ، وهو يريد أن ثمة مكانا يستوجب أن تذرى عليه الدموع .

٣ كما تُليحُ ذِرَاع فيها مِنَ النَّضْرِ قُلْبُ[١]

٤ كأنَّهُ نارُ عَلْيَا ءَ لِلضُّيُوفِ تُشَبُّ[٢]

٥ أوْ سَاطِعَاتٌ أرَاهَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ أزَبُّ[٣]

٦ مُرَاوِحٌ بِيَدَيْهِ عَلَى الزِّنَادِ مُكِبُّ[٤]

---

(١) تليح : تبدو وتظهر ، وتقول « ألاح البرق » إذا أومض ، و « ألاح سهيل » إذا تلألأ . والنضر ـ بفتح النون وسكون الضاد ـ الذهب، ويقال : هو الفضة . والقلب ـ بضم القاف وسكون اللام ـ السوار إذا كان غير ملوىّ .

(٢) تشب ـ بالبناء للمجهول ـ توقد و « ونار العلياء » يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون أراد نارا فى أرض عالية ، والثانى أن يكون قد أراد نارا توقد لطلب المنزلة العلياء ، وهى نار القرى التى يوقدها كرام العرب ليراها السائرون فيعلموا أن عندها قوما يطعمون فيقبلوا عليها ، قال الأعشى :

تُشَبُّ لمقرورَيْنِ يَصْطَلِيَانِها وباتَ عَلَى النارِ النَّدَى والمحلَّقُ

(٣) داج : مظلم ساكن لاصوت فيه ، وأزب : أصله اسم من أسماء الشياطين ، وصفة من الزبب ـ بفتح الزاء والباء جميعا ـ وهو كثرة شعر الوجه والعثنون ، فإذا أخذت هذه الكلمة من الأول واستعملتها وصفا كان المراد أنه كثير الهول مخيف ، وإذا أخذتها من الثانى كان المراد أنه شديد الظلمة حالك السواد .

(٤) مراوح بيديه : يفعل بهذه مرة وبهذه مرة أخرى ، تقول «راوح فلان بين العملين» تريد أنه داول بينهما ففعل هذا مرة وفعل هذا مرة ، وتقول « راوح بين رجليه » إذا قام على إحداهما مرة ثم قام على الثانية مرة أخرى ، وتقول « راوح بين جنبيه » إذا انقلب من أحدهما إلى الآخر ، ومكب : اسم فاعل فعله «أكب فلان على الأمر» إذا أقبل عليه ولزمه . والزناد ـ بكسر الزاء بزنة الكتاب ـ جمع زند ـ بفتح فسكون ـ وهو الذى تقتدح به النار ، وهما قطعتان يقال للعليا منهما زند ، وللسفلى زندة ، فإذا ثنيت قلت زندان ، ولم تقل زندتان ، وهذا البيت يلحظ

٧ أَوْ أُمُّ مَثْوَى يَلَنْجُو جُهَا عَلَى النَّارِ رَطْبُ(١)

٨ الْغَوْرُ مِنْهَا مَغَانٍ وَعَاقِلٌ وَالْهَضْبُ(٢)

٩ لَهُ حَفِيفُ رُعُودٍ يُرَاعُ مِنْهُ السِّرْبُ(٣)

من بعيد قول عنترة بن شداد العبسى فى وصف ذباب الروض

وَتَرَى الذُّبابَ بِها يُغَنِّى وَحْدَهُ هَزِجاً كَفِعْلِ الشَّارِبِ المترنِّم

غَرِدًا يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدْحَ المكِبِّ عَلَى الزنادِ الأَجْذَمِ

(١) أم المثوى : المرأة صاحبة الدار ، وأصل المثوى مكان الإقامة ، واليلنجوج - بفتح الياء واللام وسكون النون - عود يتبخر به ، ورطب : غض طرى .

(٢) أصل الغور - بفتح الغين وسكون الواو - المطمئن المنخفض من الأرض ، أو ماتداخل منها وهبط ، وقد سموا بلاد تهامة وما يلى اليمن غورا ، وقال الشاعر :

أرانِى سَاكِناً مِنْ بَعْدِ نجدٍ بِلَادَ الْغَوْرِ والْبَلَدَ التِّهامَا

فربَّتَما مَشَيْتُ بحرِّ نجدٍ وربَّتَما ضَرَبْتُ بِهِ الخيامَا

والمغانى : جمع مغنى وهو اسم المكان من قولهم « غنى فلان بمكان كذا يغنى » من باب علم يعلم - إذا أقام ، فكأنه قال : الغور منها أماكن إقامة ومنازل لها . و « عاقل » أصله من قولهم « عقل الصيد » إذا تحصن عن الصياد فى مكان حصين ، وقالوا للجبل عاقل لأن فيه يتحصن ، وسموا مكانا بعينه عاقلا ، وهو يناوح منعجا ، أى يحاذيه ، من قدامه وعن يمينه ، وفيه يقول جرير ابن عطية :

لعمرُكَ لا أنْسَى ليالى منعج ولا عاقِلًا ، إذ منزِلُ الحىِّ عاقِلُ

وأصل الهضب كل جبل خلق من صخرة واحدة ، وسموا مكانا بعينه هضبا ، غير مضاف إلى شىء وسموا عدة أماكن بالإضافة منها هضب الصفا وهضب القليب وهضب لبنى ، وفى المجرد من الإضافة يقول زهير بن أبى سلمى المزنى :

فَهَضْبٌ فَرَفْدٌ فالطوىُّ فَثَادِقٌ فَوَادِى الْقُنانِ حَزْمُه فَمَدَاخِلُه

(٣) الحفيف - بفتح الحاء المهملة - الصوت ، والرعود : جمع رعد ، ويراع منه : يخاف .

١٠ وَبَارِقَاتٌ كَمَا شَقَّـــــتِ الْعَجَاجَ الْقُضُبُ(١)

١١ أَمَا تَرَى الْبَرْقَ يَبْدُو إِلَّا لِعَيْنَيْكَ غَرْبُ(٢)

١٢ وَلِلزَّفِيرِ هِبَابٌ بَيْنَ الضُّلُوعِ وَهَبُّ(٣)

١٣ يَضِيُّ بِالطَّفِّ قَبْراً فِيهِ الْأَغَرُّ الْأَحَبُّ(٤)

والسرب ـ بكسر السين وسكون الراء ـ يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون أراد به القلب ، وثانيهما أن يكون أراد به جماعة الظباء ونحوها ، وعلى كل حال أراد أن الرعد لا يزال يصوت فيه أصواتا تبعث الرعب والخوف .

(١) بارقات : جمع بارقة ، وهى السحابة ذات البرق ، والعجاج ـ بفتح العين ، بزنة السحاب ـ وهو الغبار الذى ينعقد فوق رءوس الأبطال عنـد اشتداد المعركة ، والقضب : جمع قضيب وهو السيف ، وأصل الجمع بضم القاف والضاد جميعا ، ولـكنه سكن ثانيه هنا للتخفيف ، كما يخففون عنقا وكتبا ونحوهما .

(٢) يبدو : يظهر ، والغرب ـ بفتح الغين وسكون الراء ـ أصله الدلو العظيمة الممتلئة ماء ، وأطلقوا الغرب على الدمع الـكثير تشبيهاً له بذلك ، قالوا « سالت غروب فلان » يريدون سالت دموعه ، وسموا العروق التى تسيل منها الدموع غربا أيضاً ، وقوله « لعينيك غرب » جملة من مبتدأ وخبر فى موضع الحال ، يقول : ألست ترى البرق يلمع من ناحية أحبائك إلا وتنسكب دموعك شوقا إليهم ورغبة فى استجلاء طلعتهم .

(٣) الزفير ـ بفتح الزاى ـ النفس الصاعد من الجوف ، والهباب ـ بكسر الهاء ـ أحد مصادر « هب السائر من الإنسان وغيره » إذا نشط وأسرع ، والهب ـ بفتح الهاء وتشديد الباء ـ أحد مصادر « هبت الريح ونحوها » إذا ثارت وهاجت . يقول : كلما لمحت البرق تصعدت زفراتك وأسرع بعضها فى إثر بعض وثارت ، وهذا من أمارات الحب عندهم .

(٤) الطف ـ بفتح الطاء وتشديد الفاء ـ أرض من ضاحية الـكوفة فى طريق البرية ، كان فيها مقتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، وقد كثر ذكره فى شعر الذين رثوا السبط

١٤ فيهِ مِنَ الْعَيْنِ مَاءٌ لَا، بَلْ مِنَ الْقَلْبِ خِلْبُ(١)

١٥ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ يَوْمًا وَالدهْرُ ضَرْبٌ وَضَرْبُ(٢)

١٦ أَنِّى أُبِيتُ وَبَيْنِى وَبَيْنَ لُقْيَاكَ سُهْبُ(٣)

الشهيد ، من ذلك قول سليمان بن قتة :

فإنَّ قتيلَ الطَّفِّ من آل هاشمٍ أذلّ رقابا من قريش فذلَّتِ

ألَمْ تر أن الأرضَ أضْحَتْ مَرِيضَةً لقتلِ حُسَيْنٍ والبلاد اقْشَعَرَّت

فلا يُبْعِدِ اللهُ الديارَ وأهلها وإن أصبحت منهم برغمى تَخَلَّت

(١) « فيه من العين ماء » يريد أن الدفين فى هذا القبر ينزل منه منزلة ماء العين ، أو أن البكاة على القبر الطاهر لا يزالون يسفحون فوقه دموعهم ، والخلب ـ بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام ـ حجاب الكبد ، وهو لحيمة رقيقة تصل بين الأضلاع والكبد ، أو هو غلاف البطن ، يقول : إن فى هذا القبر شخصا عزيزا علينا ، فهو منا بمنزلة العين التى لا بصر إلا بها و بمثابة الكبد ، أو يكون المعنى: إننا مهما يطل العهد بساكن هذا القبر لا نزال نسكب الدموع عليه ونقطع الأكباد حزنا على المصاب به .

(٢) « ضرب وضرب » يريد أن الدهر لا يجرى على حالة واحدة ، فهو تارة يجرى بالخير ، وتارة يجرى بالشر :

وَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرْ

(٣) سهب : يجوز أن يكون بفتح السين وسكون الهاء ، ومعناه الفلاة والصحراء ، ويجوز أن يكون بضم السين وسكون الهاء ، ومعناه المستوى البعيد من الأرض فى سهولة ، وجمعه سهوب و يقال « قطعنا إليك سهبا من الأرض » والمراد قطعنا مسافة طويلة ، يقول : مع ثقتى بأن الدهر لا يدوم على حال ، وأنه يتقلب بالناس من رخاء إلى ضيق وعسر ـ لم أكن أظن أن يحول بينى و بين لقائك بعيد المسافات لأننى كنت أقطع أجواز الفلا لمرآك .

١٧ وَأَنْ تُطَارِدَ مَا بَيْـــــنَنَا زَعَازِعُ نُكْبُ(١)

١٨ بِحَيْثُ تَرْتَعُ أُدْمٌ مِنَ الْجَوَازِى وَحُقْبُ(٢)

١٩ وَحَيْثُ يَكْرَعُ مستو رَدُ الْقَطَا وَيَعُبُّ(٣)

---

(١) الزعازع : جمع زعزع ـ بزنة جعفر ـ وهى فى الأصل الريح الشديدة الهبوب التى تزعزع الرواسى وتقلقلها من أماكنها ، وتطلق على الشدة من شدائد الدهر والنازلة المؤلمة من نوازله ، والنكب ـ بضم فسكون ـ جمع نكباء ، وهى الريح التى انحرفت عن مهاب الرياح القوم ، وكل ريح وقعت فيما بين مهب ريحين فهى نكباء ، أخذت من قولهم « تنكب فلان » إذا ترك الجادة .

(٢) الأدم ـ بضم الهمزة وسكون الدال ـ جمع آدم أو أدماء ، والأدماء : السمراء ، والجوازى : أصله الجوازئ ـ بالهمز ـ فسهل الهمزة فقلبها ياء لانكسار ما قبلها ، ثم عامل هذه الياء معاملة الياء الأصلية ، والجوازئ : الوحش بأسرها ، سميت بذلك لاستغنائها بالكلأ ، وقال الشماخ ابن ضرار :

إذا الأرْطى تَوَسَّدَ أبْرَدَيه خُدُودَ جَوَازِئ بالرَّمْلِ عِينِ

والحقب ـ بضم الحاء وسكون القاف ـ جمع أحقب أو حقباء ، والأحقب : حمار الوحش ، سمى بذلك لبياض فى حقويه ، وقال الراجز :

* كأنها حَقْبَاء بَلْقَاء الزَّلَقْ *

(٣) تقول « كرع فى الماء يكرع » من باب قطع ـ إذا مد عنقه نحوه وتناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه أو بإناء ، والقطا ـ بفتح القاف مقصورا ـ جمع قطاة ، وهو طائر شبه الحمام فى حجمه ، وقد يطلق على الحمام للمشابهة ، وتقول « عب فلان الماء » من باب مدوشد ـ إذا شربه ، وقيل : إذا شربه بلا تنفس ، وقيل : إذا تابعه ، وقالوا « مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا » وقالوا « الحمام يشرب عبا كما تشرب الدواب » ووقع فى ب « وكيف يكرع » وما هنا أحسن .

٢٠ يَا دَارَ قَوْمِيَ أَيْنَ الْـ ـأُولَى بِرَبْعِكِ لَبُّوا(١)

٢١ مَصَاعِبٌ حَطَمَتْهُمْ أَيْدِي المَنُونِ فَخَبُّوا(٢)

٢٢ يَسُوقُهُمْ لِلْمَقَادِيـ ـرِ سَائِقٌ مُتْلِبٌ(٣)

٢٣ مُقَحِّمٌ لِلْجَرَائِيـ ـمِ إِنْ وَنَوْا أَوْ أَغَبُّوا(٤)

---

(١) تقول « لب فلان بالمكان » من باب نصر ـ إذا أقام به ولزمه ، وتقول أيضا « ألب بالمكان » بمعناه ، والأخير أشهر فى هذا المعنى وأعرف .

(٢) مصاعب : جمع مصعب ، وهو فى الأصل الفحل من الإبل يتركه صاحبه فلا يمسه حتى يصير صعب المقادة ، ويطلق على الرجل الكريم العظيم ، وسموا بعض الناس مصعبا منهم مصعب ابن الزبير بن العوام الذى يقول فيه الشاعر :

إنما مُصْعَبٌ شهاب من اللـ ـه تجلتْ لنوره الظلماء

وحطمتهم : أراد أتت عليهم وأبادتهم وأهلكتهم ، والمنون : الموت ، وخبوا : من الخبب ، وهو ضرب من السير ، يريد أنهم ساروا إلى نهايتهم .

(٣) تقول « اتلأب الأمر » بوزن اقشعر واطمأن ـ إذا استقام ، وقالوا « مروا فاتلأب بهم الطريق » أى اطرد وكان على جادته ، وقالوا « اتلأب الحمار » إذا أقام صدره ورأسه ، ومنه قول لبيد :

فأَوْرَدَهَا مَسْجُورَةً تحت غاية من القُرْنَتَيْنِ وَاتْلأَبَّ يحُومُ

وأراد الشريف بالسائق المتلئب الذى يسوقهم نحو غاية معروفة مسلوكة لجميع الناس، وهى الموت وفسره فى هامش ب بالعطش البعيد عن الماء ، و بعده عن موارد الاستعمال اللغوى لهذا اللفظ كبعد الأرض من السماء .

(٤) مقحم : اسم الفاعل من « قحمه فى الأمر » بتشديد الحاء ـ إذا أدخله فيه من غير روية ، والجرائم : جمع جرثومة أو جرثوم ، وأصل معنى الجرثومة أصل الشىء ، وقالوا للسادة من الناس الكرام الأصل « هم جرثومة العرب » مثلا . ونونوا : فعل ماض مسند لواو الجماعة

٢٤ كانُوا السُّيُوفَ إذَا عَا يَنُوا المقاتِلَ هَبُّوا[1]

٢٥ وَالزَّاعِبِيَّاتِ إنْ أُشْـ ـرِعُوا عَنِ الدَّارِ ذَبُّوا[2]

٢٦ مَنَازِلٌ كانَ فِيها لِلْقَوْمِ أَمْنٌ وَرُعْبُ

٢٧ تُكَدُّ فِيهَا الأَنَابِيـ ـبُ وَالرِّيَاطُ القُبُّ[3]

٢٨ يَهْمِى السِّنَانُ وَيُسْتَضْـ ـمَرُ الْجَوَادُ الأَقَبُّ

٢٩ رَأْىٌ يُغِبُّ لِحَزْمٍ وَنَائِلٌ لَا يُغِبُّ[4]

من الونى، وهو الفتور والضعف ، وتقول « غب فلان » و « أغب » إذا فعل يوما وترك يوما ، يريد أن السائق الذى يسوق النـاس إلى مقاديرهم يدفعهم ويحملهم على السير إليها إن ضعفوا أو حاولوا ترك السير .

(١) المقاتل : جمع مقتل ، وهو المكان الذى يكون فيـه القتل ، وهبوا : ثاروا واندفعوا ، شبه المصاعب بالسيوف الوثابة إلى القتل .

(٢) الزاعبيات : جمع زاعبى ، وهو الرمح ، وأشرعوا ـ بالبناء للمجهول ـ سددوا نحو الخصوم ، تقول « أشرعت الرمح إلى صدر فلان » تريد أنك أقبلته إياه وسددته نحوه ، وذبوا: دافعوا وحاموا ، ولما كان المراد تشبيه القوم الذين يبكيهم بالرماح وبالسيوف تراه يجعل الأفعـال مسندة إلى واو الجماعة فى « عاينوا » و « هبوا » و « أشرعوا » و « ذبوا » ، وإنما قلنا ذلك لأن واو الجماعة خاصة فى اللغة العربية بجماعة الذكور من الإنسان .

(٣) تكد ـ بالبناء للمجهول ـ تجهد ويورثها أصحابها النصب والتعب لكثرة ما يعملون بها، والأنابيب : جمع أنبوبة ، وهى العقدة بين كل كعبين من الرمح ، وأراد الرماح من باب تسمية الشىء باسم جزئه ، والرباط ـ بكسر الراء ، بزنة الكتاب ـ الخيل ، قالوا « لفلان رباط من الخيل » والقب ـ بضم القاف ـ جمع أقب أوقباء ، والأقب: الفرس الضامر ، يقول : كان أصحاب هـذه المنازل يجهدون رماحهم وخيلهم بكثرة مايجشمونها من العمل ، وهذه كناية عن أنهم مساعر حرب .

(٤) الحزم : ضبط الأمور ، والنائل : العطاء ، يقول: إن لهم رأيا وحزما، وإن رأيهم ليجىء

٣٠ يَنْقَادُ فى كلِّ يَوْم مِنَّا الأبىُّ الصَّعْبُ

٣١ يُجَذُّ أصْلٌ وَرِيقُ الـ ـذُّرَى وَيَدْرُجُ عَقْبُ(١)

٣٢ لامُبْغِضُ الْقَوْمِ يَبْقَى وَلَا الْمُجِلُّ الْمُحِبُّ(٢)

٣٣ سَوَاءٌ الْمُلْسُ فى غا رَةِ الرَّدَى وَالْجُرْبُ(٣)

٣٤ يجْرِى الْقَضَاءُ وَيَمضِى الـ ـطَّبِيبُ وَالْمُسْتَطِبُّ(٤)

٣٥ كَمْ ذَا الأمَانُ وَلِلنَّا ئِبَاتِ سَلْبٌ وَجَذْبُ(٥)

بعد حزمهم ، وإن لهم عطاء وكرما ، وإن هـذا العطاء وهذا الكرم دائم مستمر ، لايتخلف فيجيء يوما بعد يوم.

(١) يجذ : يقطع ، والذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى الشيء ، وورِيق الذرى : مورق يانع ، ويدرج : يسير ، وأصله قولهم « درج الصبى » إذا مشى ، والعقب : الذى يأتى بعد آخر ، وأصله بكسر القاف ، فسكنها هنا للتخفيف ، وهى لغة بنى تميم ، يسكنون ثانى الكلمة إذا كان مضموما أو مكسورا بقصد تخفيفها ، يقول : يذهب من هؤلاء السادة سيد فيخلفه سيد ، وهو من قول الشاعر :

إذا مقرمٌ منَّا ذَرَا حَدَّ نابِه تَخَمَّطَ مِنَّا نابُ آخَرَ مُقرِمِ

(٢) يقول : إن الناس جميعا أمام الموت سواء ، فلا الذى يكره هؤلاء السادة ويبغضهم سيبقى بعدهم ، ولا الذين يجلونهم ويكبرونهم ويحبونهم .

(٣) سواء : بمعنى مستو ، وفى التنزيل العزيز (ليسوا سواء) أى ليسوا متساوين . والملس : جمع أملس أو ملساء ، وأراد به ههنا السليم الصحيح الذى لا جرب فيه ، والجرب : جمع أجرب أو جرباء ، والأجرب : الذى أصابه الجرب .

(٤) المستطب : الذى يطلب العلاج ، أى المريض ، وهو من معنى البيت السابق .

(٥) الاستفهام فى قوله « كم ذا الأمان » إنكارى بمعنى النفى ، يريد أنه لا يجوز لمن يتدبر فى هذا الكون أن يأمن الدهر وهو يرى مصائب الدنيا كل يوم تنزل بالناس فتسلبهم أعزاءهم وأحبابهم وتجذبهم منهم .

٣٦ وَبالزِّيَالِ لِغِرْبَا نِهَا شَحِيجٌ وَنَعْبُ(١)

٣٧ يَغُرُّ سَلْمُ اللَّيَالِي وَالسِّلْمُ مِنْهُنَّ حَرْبُ(٢)

٣٨ لَنَا مِنَ الدَّهْرِ رَبْضٌ عَلَى وَعِيدٍ وَوَثْبُ(٣)

٣٩ يَوْمًا غُرُورٌ ، وَيَوْمًا عَدْوٌ عَلَيْنَا وَشَغْبُ(٤)

---

(١) الزيال : الفراق ، تقول «زايل فلان فلانا» تريد فارقه ، والشحيج ـ بفتح الشين ـ صوت الغراب ، والنعب ـ بفتح النون وسكون العين ـ أحد مصادر « نعب الغراب » من باب منع ـ إذا صوت وصاح . والعرب كانت تسمى الغراب « غراب البين » وتجعل صوته نذيراً بالفراق ، وأخذوا الاغتراب والغربة من اسمه ، وقال النابغة الذبيانى فى قصيدته التى يصف فيها المتجردة :

زَعَمَ البوارِحُ أنَّ رِحْلَتَنا غَدًا وبِذَاكَ تَنْعابُ الغرابِ الأسْوَدِ

(٢) وقع فى ه « يعز سلم الليالى » .

(٣) تقول « ربض الأسد على فريسته » وتقول « ربض القرن على قرنه » تريد أنه تغلب عليه وألقى بنفسه فوقه ، والأصل فى هذه المادة قولهم « ربضت الدابة تربض ربضا » ـ بوزان ضرب يضرب ضربا ـ إذا بركت وجثمت على الأرض . وتقول « وثب فلان يثب وثبا » مثل وعد يعد وعدا ، إذا طفر وقفز ونهض وقام ، وقالوا « وثب فلان إلى المجد » يريدون أنه وصل إليه دفعة واحدة . يقول : إننا لانزال نجد من دهرنا العنت والجهد ، فهو تارة رابض فوق صدورنا بنوائبه ، وتارة متوثب علينا .

(٤) الغرور : أراد به الخداع ، ووقع فى ه « يوما غرورا » بالنصب ، وقد يكون لها وجه ، لكنها لاتلائم قوله فيما بعد «ويوماعدو علينا وشغب» والعدو : مصدر « عدا فلان يعدو » إذا سار سيرا سريعا وإذا جاوز الحد فيما يصنع ، والشغب ـ بفتح فسكون ، وقد يجىء بفتح الشين والغين جميعا ، وقيل : لايجوز فيه ذلك ـ تهييج الشر وإثارته ، ووقع فى ه « وشعب » بالعين المهملة ، وهو صدع الزجاج ونحوه ، يقول : لايزال الدهر يأتى بالأنواع من نوازله والضروب من كوارثه ، فتارة يغرنا ويختلنا يخدعنا عن أنفسنا حتى نقع فى حبائله ، وتارة يواجهنا بالعدوان .

٤٠ يَنْحُو الْمَضِيقَ وَقَدْ أَعْـ ـرَضَ الطَّرِيقُ اللَّحْبُ(١)

٤١ أَآخِرُ اللَّعْبِ جِدٌّ أَمْ آخِرُ الْجِدِّ لَعْبُ(٢)

٤٢ شَقِيقَتِي ، إِنَّ خَطْباً عَدَا عَلَيْكِ لَخَطْبُ(٣)

٤٣ وَإِنَّ رُزْءًا رَمَانِي بِالْبُعْدِ عَنْكِ لَصَعْبُ

٤٤ سَهْمٌ أَصَابَكِ مِنْهُ لِلْقَدْرِ فُوقٌ وَغَرْبُ(٤)

---

(١) ينحو : يقصد ، والمضيق : المكان الضيق الذى لايتسع للمرور فيه ، واللحب ـ بفتح فسكون، هنا ـ الطريق الواضح البين الظاهر .

(٢) يقال «لعب فلان يلعب» مثل فرح يفرح « لعبا » بفتح فكسر ، و « لعبا » بفتح فسكون ، و « لعبا » بكسر فسكون ، والأصل فى مصدر هذا الفعل هو الأول ، وقد تحذف حركة العين فيسكن ثانيه مع بقاء أوله على حاله ، وقد تنقل حركة العين إلى فاء الكلمة بعد حذف فتحة الفاء ، ومعناه مزح أو فعل فعلا بقصد اللذة والتنزه أو فعل مالم يقصد به مقصدا صحيحا أو مالا يجدى عليه نفعا ، ووقع فى ه « وآخر اللعب . . . أم آخر » والمعنى ألبتة على الاستفهام .

(٣) يريد إن خطبا عدا عليك لخطب عظيم جدا ، أو لايقدر على احتماله ، فحذف الصفة للعلم بها ، ولولم تقدر هذه الصفة لم يبق للكلام معنى ، ونظيره قوله تعالى فى سورة الكهف (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) فإن المعنى على وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة ، أو سليمة ، أو نحو ذلك ، لأنه لو كان يأخذ كل سفينة سواء أكانت صالحة أم غير صالحة لم يكن معنى لان يخرق السفينة و يعرض ركابها للخطر ، فدل خرقه إياها للتخلص من استلابها على أنه لم يكن يأخذ إلا السليمة ، ووقع فى ه « غدا عليك »

(٤) القدر ـ بسكون الدال هنا ـ المقدار ، وأصله فتح الدال ، وتسكين عين الكلمة إذا كانت فى الأصل مفتوحة لايسوغ فى الكثير المستعمل من كلام العرب ، فإن كان أصلها مكسورا أو مضموما فالإسكان كثير سائغ ، والاسم والفعل فى ذلك سواء ، تقول « ضجر فلان » بكسر الجيم ـ و إن شئت قلت « ضجر » بإسكان الجيم ، وعلى ذلك جاء قول الأخطل التغلبى :

فَإِنْ أَهْجُهُ يَضْجَرْ كَمَا ضَجِرَ بَازِلٌ مِنَ الْأَدْمِ دَبَرَتْ صَفْحَتَاهُ وَغَارِبُهْ

٤٥ لَا النَّصْلُ مِنْهُ بِنَابٍ يَوْمًا، وَلَا الرِّيشُ لَغْبُ(١)

٤٦ يَبِيتُ بَعْدَكَ فِي مَضْـ ـجَعِي الْجَوَى وَالْكَرْبُ(٢)

٤٧ كَمَا يَبِيتُ رَمِيضًا بَعْدَ السَّنَامِ الْأَجَبُّ(٣)

٤٨ أَنَّى عَلَى قَضَضِ الْهَـ ـمِّ يَطْمَئِنُّ الْجَنْبُ(٤)

٤٩ لَوْ رَدَّ عَنْكَ الْمَنَايَا الـ ـعِجَالَ طَعْنٌ وَضَرْبُ(٥)

٥٠ لَخَاضَ فِيهَا سِنَانٌ مَاضٍ، وَطَبَّقَ عَضْبُ(٦)

فقد سكن جيم « ضجر » وباء « دبرت » وأصلهما جميعا الكسر ، وأشباه ذلك كثير ، والفوق ـ بضم الفاء ـ مشق رأس السهم حيث يقع الوتر ، والغرب ـ بفتح فسكون ـ الحدة والنشاط .

(١) النصل ـ بفتح فسكون ـ أراد حد السيف ، وناب : اسم فاعل من قولهم « نبا السيف ونحوه عن ضريبته » إذا لم يعمل فيها . واللغب من الريش : الفاسد الذى لا يقوى به الرمح . يقول : إصابة الدهر مسددة ، وإن ضربه نافذ .

(٢) المضجع : المكان تضطجع فيه : أى تنام ، والجوى ـ بالفتح مقصورا ـ الحزن ، والكرب : الهم يأخذ بالنفس ، يقول : إن الحزن والآلام لا يفارقانه فى نومه

(٣) رميضا : فعيل بمعنى مفعول ، وأصله قولهم « رمض فلان الشاة » إذا شقها وعليها جلدها وطرحها على الرضفة وجعل فوقها الملة لتنضج ، ووقع فى ب « كما يبيت رميض » وليس بشىء ، والأجب : الذى قطع أو شق ظهره . يقول : إنه يبيت متململا يحرقه الأسى كأنما وضع فى النار .

(٤) أنى : معناه هنا كيف ، والقضض ـ بفتح القاف والضاد الأولى جميعا ـ الحصى المتكسر ، ويقولون « أقض الهم مضجع فلان » يريدون أنه لم يمكنه من النوم ، فكأنه ملأ فراشه بالقضض . يقول : كيف يستريح الإنسان فى نومه والهموم تساوره؟ .

(٥) المنايا : جمع منية ، وهى الموت ، والعجال : جمع عجلى ، وهى التى تأتى فى غير وقتها وقبل إبانها .

(٦) السنان ـ بكسر السين ـ أراد به الرمح ، والعضب ـ بفتح العين وسكون الضاد ـ السيف القاطع النافذ فى ضريبته ، يقول : لو كانت المنايا مما يستطاع دفعه لكنت قد دفعتها عنك بقتالها .

٥١ وَقَامَ دُونَ الرَّدَى غُلَّـــــظُ السَّوَاعِدِ غُلْبُ(١)

٥٢ وَنَاقَلَتْ بِالْعَوَالِي ذُؤْبَانُ لَيْـلٍ تَخُبُّ(٢)

٥٣ قَضَيْتُ نَحْباً قضى بَعْـــــده مِنَ الْمَجْدِ نَحْبُ(٣)

٥٤ وَلَمْ يَكُنْ لَكِ إِلاَّ مِنَ الْمَقَادِيرِ خَطْبُ

٥٥ وَدُونَ كُلِّ حِجَابٍ مِنَ الْعَفَافَةِ حُجْبُ(٤)

٥٦ وَقَبْرُكِ الصَّوْنُ مِنْ قَبْـــــلِ أَنْ يَضُمَّكِ تُرْبُ(٥)

٥٧ كَأَنَّنِي كُلَّ يَوْمٍ قَلْبِي إِلَيْكِ أَصُبُّ(٦)

---

(١) غلظ السواعد: أراد رجالا مفتولى السواعد ضخام الأجسام ، ولم أعثر على الجمع بهذه الزنة فيما بين يدى من أمهات اللغة . والغلب ـ بضم الغين وسكون اللام ـ جمع أغلب ، وهو الرجل الشجاع الجرىء ، وأصله الأسد .

(٢) العوالى : جمع عالية ، وهى هنا الرمح ، من باب تسمية الشىء باسم أحد أجزائه ، والذؤبان : جمع ذئب ، ويطلق الذئب على الفاتك الجرىء من الناس ، وتخب : تسرع السير .

(٣) وقع هذا البيت فى ه هكذا :

قضيت نحبا بعـده قضى من المجد نحب

وهو غير مستقيم الوزن على هذا الوجه .

(٤) وقع فى ه هذا البيت هكذا :

ودون كل حجاب من العصافير حجب

وليس بشىء أصلا ، وقوله « من العفافة » متعلق بمحذوف يقع حالا من قوله « حجب » المتأخر عنه . يعنى أن لها حجبا من العفافة تسترها وتقع منها موقعا أدنى لها وأقرب من كل حجاب

(٥) الصون : مصدر « صان فلان الشىء يصونه » إذا حفظه ولم يبتذله ، يريد أن أهلها كانوا يحافظون عليها ويصونونها ، فكأنما كانوا قد قبروها من قبل أن تنتقل إلى الآخرة ، وهذا البيت بسبيل من قوله عليه الصلاة والسلام « نعم الصهر القبر »

(٦) أصب : هو مضارع « صب فلان الماء ونحوه يصبه صبا » إذا سكبه ، و « قلبى » على

٥٨ وَكُلَّمَا انْدَمَلَ الْقَرْ حُ عادَ قَلْبِيَ نَدْبُ(١)

٥٩ يَكِلُّ وَاقِعُ طَرْفِي عَمَّنْ سِوَاكِ وَيَنْبُو(٢)

٦٠ أُجِلُّ قَبْرَكِ عَنْ أَنْ أَقولَ حَيَّاهُ رَكْبُ(٣)

٦١ أَوْ أَنْ أَقولَ سَقَاهُ صَوْبُ الْغَمَامِ الْمُرِبُّ(٤)

٦٢ إِلاَّ لِحاجَةِ نَفْسٍ تَهْفُو إِلَيْكِ وَتَصْبُو(٥)

٦٣ أَوْ أَنْ يُبِلَّ غَلِيلٌ إِنْ بَلَّ قَبْرَكِ شِرْبُ(٦)

٦٤ وَكَيْفَ يظمأ قَبْرٌ فيهِ الزُّلَالُ الْعَذْبُ(٧)

هذا مفعول مقدم لأصب . يقول : إنه لايزال يسكب قلبه حزنا عليها ، والمراد أنه شديد الجوى وأنه دائم الحرقة واللوعة .

(١) اندمل: تماثل للبرء والشفاء، والقرح : الجرح ، ومثله الندب، يقول : كلما تماثل جرحه عليها للشفاء انبثق جرح آخر ، والمراد أن الصبر عليها ليس فى استطاعته .

(٢) يكل: مضارع كل كلا لا ، إذا أعياوتعب ، وينبو : مضارع نبانبوا ، إذابعد ، يقول : إن عينى إذا رأت غيرك تعبت ولم تستطع النظر إليه

(٣) أجل : مضارع أجللت فلانا إجلالا ، إذا عظمته ، يقول : إنى لأرى قبرك أعظم وأجل من أن أدعو له بأن يحييه الجماعة الراكبون .

(٤) صوب الغمام ـ بفتح الصاد وسكون الواو ـ أراد به منهمر المطر ، وتقول « صاب المطر يصوب» إذا انهمر وهما ، والمرب : اسم الفاعل من « أرب المطر إربابا » إذا دام وتتابع .

(٥) تهفو : مضارع « هفا الطائر بجناحه » إذا خفق به ، وتصبو : مضارع « صبا الرجل يصبو » إذا مال .

(٦) الغليل ـ بفتح الغين ـ أصله حرقة الجوف من العطش ونحوه . يقول : أنا لا أجد مساغا للدعاء لقبرك بالسقيا ، إلاأننى أطمع فى أن ينالنى من ذلك مايطفىء لواعجى ويسكن أوامى.

(٧) يظمأ : يعطش ، وقد شبه أخته بالماء العذب الذى ينقع الغليل ، يقول : إن قبرك ليس فى حاجة إلى السقيا لأن فى جوفه الماء الصافى النمير .

٦٥ أمْ كَيْفَ تُظْلِمُ أرْضٌ أُجِنَّ فِيهَا الشُّهْبُ(١)

٦٦ نُوَّارُهَا المَجْدُ لَا حَنْـ ـوَةُ الرُّبَى والعُرْبُ(٢)

٦٧ جَاوَرْتِ جَارًا تَلَقَّا كِ مِنْهُ بِرٌّ وَرُحْبُ(٣)

٦٨ شَعْبٌ غَدَا وَهْوَ لَـ ـهُ وَالمَلَائِكِ شَعْبُ

٦٩ يَا نَوْمَةً ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الجِنَانِ المَهَبُّ(٤)

٧٠ إِنْ كَانَ لِلشَّخْصِ بُعْدٌ فَلِلعَلَائِقِ قُرْبُ(٥)

---

(١) أجن فيها: مضارع مبنى للمجهول ومعناه أخفى فيها وستر ، والشهب : جمع شهاب،وأراد به النجم اللامع ، وأصل الشهب بضم الهاء فسكنها .

(٢) النوار ـ بضم النون وتشديد الواو ـ نور الزهر ، والحنوة ـ بفتح الحاء وسكون النون ـ نبت سهلى طيب الريح ، قال الشاعر :

وكأنَّ أنْمَاطَ المدينـ ـةِ حَوْلَها مِنْ نَوْرِ حَنْوَتِها وَمِنْ جَرْجَارِها

والعرب ـ بكسر العين وسكون الراء ـ اليابس من البهمى ، وهو نبت ، ووقع فى ه «والغرب» بالغين المعجمة ، ويقرأ على هذا بفتح الغين وسكون الراء ، وهى شجرة حجازية شاكة ، وأهل الحجاز يقال لهم « أهل الغرب » لوجود هذا الشجر فى بلادهم . يقول : إن نوار هذه الأرض التى دفنت فيها هو المجد ، وليس هو هذا الضرب من الشجر .

(٣) أراد بالجار الذى تلقاها بالبر والترحيب الله سبحانه وتعالى ، ونظيره قول الآخر :

جَاوَرْتُ أعْدَائِى وَجَاوَرَ رَبَّهُ شَتَّانَ بَيْنَ جواره وجِوَارِى

(٤) الجنان : جمع جنة ، وهى دار الخلد التى وعد الله بها عباده المتقين ، والمهب : مصدر ميمى بمعنى الهبوب ، وتقول « هب فلان من نومه يهب هبو با » إذا قام وانبعث . يقول : إن هذه نومة قليلة الزمان مثل نومة النائم، ثم تهبين من هذه النومة إلى جنان الخلد التى أعدت لأهل التقوى والصلاح .

(٥) أراد بالشخص الجسم ، والعلائق : الروابط من القرابة والمحبة .

٧١ أُغِبُّـــهُ وَبِرَغْمِي أَنَّ الزِّيَارَةَ غِبُّ(١)

٧٢ لَئِنْ خَلَا مِنْكِ طَرْفٌ لَقَدْ مُلِي مِنْكِ قَلْبُ(٢)

٧٣ وَإِنْ غَرَبْتِ فَلِلطَّا لِعَاتِ شَرْقٌ وَغَرْبُ(٣)

٧٤ خَلَاكِ ذَمٌّ ، وذَمٌّ لِلدَّهْرِ فِيكِ وقَصْبُ(٤)

٧٥ وَلَمْ يَزَلْ بعـد يومى مِنِّى عَلَى الدَّهْرِ عَتْبُ(٥)

٧٦ فَكَمْ أَبِيتُ وَعِنْدِى لِذِى الْمَقَادِيرِ ذَنْبُ(٦)

* * *

(١) أغبه : أزوره يوما بعد يوم ، ولا أزوره كل يوم ، وذلك على الرغم منى .

(٢) طرف : عين ، وأراد إن كنت لاأراك بعينى فإنك ملء قلبى ، وملى : ماض مبنى للمجهول وأصله ملىء ، فقلب الهمزة ياء لانكسار ماقبلها ، ولم يظهر الفتحة عليها ، وكان حقه أن يظهرها .

(٣) أصل الطالعات جمع طالعة ، وأكثر ماتستعمل فى الكواكب ، يريد أن مثلك مثل الكواكب السيارة ، وقد غربت بعد الشروق كما تغرب .

(٤) خلاك ذم : لم يقربك ولم يدن منك ، وهى كلمة من كلمات التحية ، ومنه قول المهلهل ابن ربيعة يرثى أخاه كليبا من كلمة :

أَجِبْنِى يا كُلَيْبُ خَلَاكَ ذَمٌّ لَقَدْ فُجِعَتْ بفارِسِها نِزَارُ

وذم للدهر فيك : يريد له الذم بسببك ، و« فى » تأتى للدلالة على أن مابعدها سبب ، ومنه الحديث « دخلت امرأة النار فى هرة » أى بسبب هرة ، وقصب ـ بفتح القاف وسكون الصاد ـ العيب والشتم ، تقول « قصب فلان فلانا يقصبه » من باب ضرب ـ إذا عابه وأزرى به وشتمه .

(٥) يريد أنه سيقضى حياته عاتبا على الدهر غاضبا منه من بعد هذا اليوم

(٦) يريد أنه كثيرا مايبيت شاكيا دهره الذى أذنب إليه .

٥١ — وقال فى قوم من أهل بيته وأصدقائه انقرضوا ، يرثيهم ويتوجّع لفقدهم ، وذلك فى شهر رمضان سنة ٣٨٧ [من المتقارب] :

١ أُوَدِّعُ فِى كُلِّ يَوْمٍ حَبِيبَا ... وَأُهْدِى إلى الأَرْضِ شَخْصاً غَرِيبَا
٢ وأَرْجِعُ عَنْهُ جَمِيلَ الْعَزَاءِ ... أُمَسِّحُ عَنْ نَاظِرَىَّ الْغُرُوبَا(١)
٣ كأَنِّىَ لم أَدْرِ أَنَّ السَّبِيلَ ... سَبِيلِى ، وَأَنِّى مُلَاقٍ شَعُوبَا(٢)
٤ وَأَنَّ وَرَائِىَ سَوْقاً عَنِيفاً ... وَأَنَّ أَمامِىَ يَوْماً عَصِيبَا(٣)
٥ وَلَا أَنَّنِى بَعْدَ طُولِ الْبَقَاءِ ... أُصَابُ كَمَا أَنَّ غَيْرِى أُصِيبَا
٦ أَمَانِىَّ أُوضِعُ فِى غَيِّهَا ... لِرِيحِ الْغُرُورِ بِهَا مُسْتَطِيبَا(٤)
٧ تَذَكَّرْ عَوَاقِبَ مُوبِى النَّبَاتِ ... وَلَا تُتْبِعِ الْعَيْنَ مَرْعًى خَصِيبَا(٥)

---

(١) جميل العزاء : أراد الصبر الجميل والسلوان مع التسليم للأقدار ، والغروب : جمع غرب ، وأصله الدلو الممتلئة ماء ، ثم شبه بها عرق لايزال يقطر ماء ، ثم استعمل فى الدمع الذى هو ماء هذا العرق .

(٢) السبيل : الطريق ، وشعوب ـ بفتح الشين ـ المنية والموت ، وإنما قيل لها ذلك لأنها تشعب الأهل والأصدقاء : أى تفرقهم ، وانظر إلى قول سهم الغنوى :

حتى تُصَادِفَ مالًا أو يقال فتًى ... لاقى التى تَشْعَبُ الفتيانَ فانشعَبَا

(٣) سوقا عنيفا : يريد أنه لابد له من يوم يساق فيه إلى هذا الطريق الذى سلكوه سوقا لاشفقة فيه ولا رحمة ، ويوم عصيب : شديد بهوله وفظائعه

(٤) الأمانى : جمع أمنية ، وهى أفعولة من التمنى ، ويسمى بها مايتمناه المرء ، وأوضع : مضارع « أوضع فلان فى سيره » إذا سار سيرا سريعا ، وقوله « لريح » يتعلق بقوله فى آخر البيت « مستطيبا » الذى يقع حالا من الضمير المستتر فى « أوضع » .

(٥) وقع فى ه « تذكرت عواقب ـ إلخ » ولايتم معه الوزن . موبى النبات : أراد به النبات الوبىء ، وهو الذى يكون أكله سببا فى الوباء ، وأصله « موبىء » بالهمز فسهل الهمزة بقلبها

٨ قَعَدْتُ بِمَدْرَجَةِ النَّائِبَاتِ يُمِرُّ الزمانُ عَلَيَّ الْخُطُوبا(١)

٩ عَلَى الْهَمِّ أنْفِقُ شَرْخَ الشَّبَاب وَأُعْطِى الْمَنَايَا حَبِيباً حَبِيبَا(٢)

١٠ تَصَامَمْتُ عَنْ هَتَفَاتِ الْمَنُونِ بِغَيْرِى وَلَا بُدَّ مِنْ أنْ أُجِيبَا(٣)

١١ وَأعْلَمُ أنِّى مُلَاقِى الَّتى شَعَبْنَ قَبَائِلَنَا وَالشُّعُوبا(٤)

١٢ أَلَا إنَّ قَوْمِى لِوِرْدِ الحِمام مَضَوْا أُمَماً وَأَجَابُوا الْمُهِيبَا(٥)

١٣ بِمَنْ أتَسَلَّى وَأيْدِى الْمَنُونِ تُخَالِسُ فَرْعِى قَضِيباً قَضِيبَا(٦)

ألفا لانكسار ما قبلها ، وتقول « أتبع فلان الشيء الفلانى عينه » إذا كان يديم النظر فيه ولا يكف عنه ، والمرعى الخصيب : المكان الكثير العشب والنبات . يقول : لاتغتر بما يبدو على النبات من الخصب والنضارة ، واعلم أن من النبات مايقتل إذا ماطعمته . شبه الدنيا ولذاتها بالمرعى الخصيب ، وشبه مايجر إليه الانهماك فى ملاذها والغفلة عن الآخرة بالنبات الوبىء .

(١) المدرجة : المكان الذى يكون فيه الدروج ، وهو السلوك والسير ، يقول : إنى جلست فى المكان الذى تسلكه النائبات وتسير فيه ، و إن الزمان أخذ يجىء بالخطوب والأحداث فيمرها أمامى واحدا بعد واحد .

(٢) شرخ الشباب ـ بفتح الشين وسكون الراء ـ قوته وميعته وفتاؤه ، أراد أنه ينفق ميعة السن وفتاءه فى الهموم والأحزان ، وأنه لايزال يقدم للموت أحبابه واحدا بعد واحد .

(٣) تصامت : تصنعت الصمم وتكلفته ، و إن لم يكن بى صمم ، وهتفات المنون : نداءاتها ، وهى جمع هتفة ، وهى المرة من الهتاف ، وهو الدعاء والنداء

(٤) قال « شعبن » مع أن الاسم الموصول وهو التى للمفرد المؤنث ، وشعبن : فرقن ، وانظر شرح البيت الثالث من هذه القصيدة .

(٥) الورد ـ بكسر الواو ، وسكون الراء ـ هو الورود ، وأصله إتيان الماء ، والحمام ـ بكسر الحاء ـ الموت ، والمهيب : اسم الفاعل فعله « أهاب فلان بفلان » إذا دعاه .

(٦) جعل للموت يدا فى قوله «وأيدى المنون» كما جعل له أبو ذؤيب مخالب وأظفارا فى قوله :

وإذا المنيَّةُ أنْشَبَتْ أظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تنفَعُ

وتخالس : أراد به تختلس ، ومعناه تأخذه خلسة من غير أن يتفطن لها أحد ، والقضيب : الغصن .

١٤ نَزَعْنَ قَوَادِمَ رِيشِ الْجَنَاحِ وأَثْبَتْنَ فِي كُلِّ عُضْوٍ نُدُوبا(١)

١٥ نُجُومٌ إِذَا شَهِدُوا الأَنْدِيَاتِ رُجُومٌ إِذَا مَا أَقَامُوا الْحُرُوبَا(٢)

١٦ إِذَا عَقَدُوا لِلْعَطَاءِ الْحُبَا وإِن زَعْزَعُوا لِلطِّعَانِ الْكُعُوبَا(٣)

١٧ عَرَاعِرُ لَا يَنْطِقُونَ الْخَنَا وَلَا يَحْفَظُونَ الْكَلَامَ المَعِيبَا(٤)

---

(١) نزعن : أراد خلعن ، ونون الإناث تعود إلى المنايا ، والقوادم : أربع ريشات فى مقدم جناح الطائر ، ولاشك أن قوة الطائر فى جناحه ، وقوة جناحه فى قوادمه ، فإذا نزعت قوادمه ذهبت قوته ، فهذه العبارة كناية عن أن المنايا أضعفته وأضاعت منته ، والندوب : جمع ندب ، وهو الجرح .

(٢) نجوم: جمع نجم ، وأرادماهو من خصائصه ولوازمه ، وهو الإضاءة والإشراق ، والأنديات: جمع أندية الذى هوجمع نديّ ، وهو المكان الذى يجتمع فيه القوم للسمر وتبادل الرأى ، ويقال «فلان ضوء هذا النادى» و « فلان نجم هذا الندىّ » ونحو ذلك ، يراد أنه الذى يستضاء برأيه ، ويرجع إليه عند الملمات وفى حنادس الخطوب، والرجوم : الذين ترجم بهم شياطين أعدائهم ، وأصله النجم يسقط من السماء على من يسترق السمع من الشياطين ، وأثبتت ذلك الشريعة الإسلامية .

(٣) الحبا : جمع حبوة ـ بضم الحاء فيهما ـ وهى جلسة للأعراب ، يجلس أحدهم على أليتيه وينصب ركبتيه ويشدهما بثوبه أو بحمالة سيفه أو نحو ذلك ، وهم يجلسون هـذه الجلسة فى نواديهم وحيث يسمرون ، ووقع فى ه «وإن نزعوا للطعان الكعوبا» وزعزعوا : حركوا ، وأراد بالكعوب هنا القنا والرماح ، يريد أن قومه مشرقون تضىء أو جههم وتنبسط أسرتهم حينما يجلسون للهبات والعطايا وحين يحاربون أعداءهم لأنهم لايخشونهم ولا يرهبونهم .

(٤) عراعر ـ بفتح العين الأولى ـ جمع عراعر ـ بضمها ، ويقال «رجل عراعر »و «رجال عراعر » والعراعر : السيد العظيم من الرجال ، وقد وردت كلمات فى العربية على هذا الوجه ، المفرد فيها بضم الأول ، والجمع بفتحه ، فمن ذلك قولهم « رجل حلاحل » فى نحو قول امرىء القيس :

واللهِ لا يَذْهَبُ شيخى باطلَا حَتى أُبيرَ مالكا وكاهِلَا

القاتلينَ الملكَ الحُلَاحِلا خَيْرَ مَعَدٍّ حَسَباً ونائلا

١٨ يُرِمُّ الفُتَى مِنْهُمُ جَهْدَهُ فَإِنْ قَالَ قَالَ بَلِيغاً خَطِيبَا(١)

١٩ جَلَابِيبُ لَا تُضْمِرُ الْفَاحِشَاتِ وَأَرْدِيَةٌ لَا تَضُمُّ الْعُيُوبَا(٢)

٢٠ وَبِشْرٌ يُهَابُ عَلَى حُسْنِهِ فَتَحْسَبُهُ غَضَباً أَوْ قُطُوبَا(٣)

٢١ لَقَدْ أَرْزَمَتْ إِبِلِي بَعْدَكُمْ وَأَبْدَى لَهَا كُلُّ مَرْعًى جُدُوبَا(٤)

وقالوا « رجال حلاحل » بالفتح ، ومن ذلك قولهم « شجرة عدامل » إذا كانت قديمة ، وقالوا « شجر عدامل » وقالوا « هـذا رجل علا كد » إذا كان شديدا ، وقالوا « رجال علا كد » بالفتح ، والخنا ـ بفتح الخاء مقصورا ـ هو الفحش والهجر ، وتقول « خنا الرجل يخنو خنوا » من باب نصر ـ إذا أفحش فى منطقه ، يريد أن قومه لايجرى على ألسنتهم غير ما كان جميلا من القول ، فليس أحدهم بفاحش ولا عياب ، وهم مع ذلك لايحفظون الـكلام المعيب ، وهذا مبالغة فى تنزيههم عن التلفظ به .

(١) تقول « أرم القـوم » تريد أنهم سكتوا عن الكلام ، ومن هذا قول حميد الأرقط :

يَرِدْنَ واللَّيـلُ مُرِمٌّ طائِرُهْ مُرْخًى رِوَاقَاهُ هَجُودٌ سَامِرُهْ

يريد أن الطير لاتصوت فيه ولا تصيح فـكأنها سكتت عن الكلام ، وأن السمار قد ناموا ، يصف سكون الليل وهجوع كل شىء فيه ، يقول : إن الرجل من قومه ليسكت ويبالغ فى السكوت مااستطاع ، وليس سكوت أحدهم عن عى وعجز ، بل إن أحدهم إذا تكلم طبق المفصل وأصاب المحز

(٢) الجلابيب : جمع جلباب ، وهو اللباس ، والأردية : جمع رداء ، وهذا كناية عن طهارة أعراضهم ونقائها وسلامتها من العيوب ، ونظيره قولهم « المجد بين بردى فلان » وقولهم « فلان نقى الإزار » وأشباه ذلك كثيرة

(٣) البشر ـ بكسر الباء وسكون الشين ـ طلاقة الوجه وإشراقه ، ويهاب ـ بالبناء للمجهول ـ يخاف ويخشى ، والقطوب : أن يزوى الرجل مابين عينيه ويعبس وجهه ، يقول : إن لهم طلاقة وجه ، وإنهم مع حسن هذه الطلاقة ليهابهم الناس ويخشون بأسهم .

(٤) أرزمت : أصل معناه صوتت وحنت على ولدها ، وقد يراد منه أنها بركت فهى لاتقوم من الهزال ، وأبدى : أظهر ، والمرعى : المـكان الذى ترعى فيه ، والجدوب : جمع جدب ، وهو ضد الخصب . يريد أنه لم يعد يرتحل لأن إبله لاتقوى على الرحيل .

٢٢ نَزَعْتُ أَزِمَّتَهَا لِلْمُقَامِ وَأَعْفَيْتُ مِنْهَا الذُّرَى وَالْجُنُوبَا(١)

٢٣ لِمَنْ أَطْلُبُ الْمَالَ مِنْ بَعْدِكُمْ وَأُحْفِي الْحِصَانَ وَأُنْضِي الْجَنِيبَا(٢)

٢٤ حَوَامٍ جِبَالٌ رَمَاهَا الْحِمَامُ فَسَوَّى بِهِنَّ الثَّرَى وَالْجَنُوبَا(٣)

٢٥ وَكَمْ وَاضِحٍ مِنْكُمُ كَالْهِلَا لِ هَالَتْ يَدَايَ عَلَيْهِ الْكَثِيبَا(٤)

٢٦ وَنَازَعَنِي الْمَوْتُ مِنْ شَخْصِهِ سِنَانًا طَوِيلًا وَعَضْبًا مَهِيبَا(٥)

٢٧ وَحِلْمًا رَزِينًا وَأَنْفًا حَمِيًّا وَعَزْمًا جَرِيًّا وَرَأْيًا مُصِيبَا

---

(١) نزعت : خلعت ، والأزمة : جمع زمام ، وهو كل ما تقاد به الدابة ، والمقام - بضم الميم - الإقامة ، والذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى الشىء ، وأراد أسنمة الإبل ، والجنوب - بضم الجيم - جمع جنب ، وإعفاء أسنمتها معناه أنه لم يعد يركبها ، وإعفاء جنوبها أنه لم يعد يضربها بسوط ونحوه لتجد السير ، ووقع فى ه « وأغضيت منها الذرى » محرفا .

(٢) وأحفى الحصان : أصيبه بالحفا ، وهو رقة فى رجله من شدة السير وتتابعه ، وأنضى : أتعب ، والجنيبا - بفتح الجيم - الدابة تجعلها إلى جنب دابتك عسى أن تحتاج إليها ، ووقع فى ه « وأخفى الحصان وأنضى الحبيبا » محرفا . يقول : إنه لم يبق لى بعدكم من أحرص على راحته وأدأب فى السعى عليه ، وأكلف دوابى الجهد والإعياء فى الارتحال لتحصيل حاجاتهم .

(٣) وقع فى ب ، ه صدر هذا البيت «حوامى جبال» بإثبات الياء على ظن إضافة «حوامى» إلى «جبال» والذى أثبتناه خير من ذلك ، والحوامى : جمع حام ، وهو الأسد لأنه يحمى فريسته ويحمى عرينه أن يلجه والج ، وهو أيضا الرجل الشجاع الجرىء يحمى ما احتازه وما وليه ، والجبال : جمع جبل ، وتشبيه الرجل الرزين الذى لا تستخفه ولا تستطيره الأحداث بالجبل كثير شائع فى كلامهم ؛ فكأنه قد قال « هم أسود وهم جبال » ورماها الحمام : أصابها الموت ، ووقع فى ب « رعاها الحمام » ولها وجه وجيه .

(٤) واضح كالهلال : أراد أنه مشرق مضىء كالبدر ، والكثيب : تل الرمل .

(٥) نازعنى : غالبنى ليعرف أينا ينزعه من يد صاحبه ، ووقع فى ب « سنانا طريرا » وهو المحدد ، والعضب : السيف القاطع .

٢٨ صَوَارِمُ أغْمَدْتُهَا فِي الصَّعِيدِ وَفَلَّتْ مِنْهَا الظُّبَا وَالْغُرُوبَا(١)

٢٩ أقُولُ لِرَكْبٍ خِفَافِ الْمَزَا دِ قَدْ بُدِّلُوا بِالْوَضَاءِ الشُّحُوبَا(٢)

٣٠ أَلِمُّوا بِأجْوَازِ تِلْكَ الْقُبُورِ فَعَرُّوا الْجِيَادَ وَجُزُّوا السَّبِيبَا(٣)

٣١ قِفُوا فَامْطُرُوا كُلَّ عَيْنٍ دَمًا بِهَا وَامْلَأُوا كُلَّ قَلْبٍ وَجِيبَا(٤)

٣٢ وَلَا تَعْقِرُوا غَيْرَ حَبِّ الْقُلُوبِ إذَا عَقَرَ النَّاسُ بُزْلًا وَنِيبَا(٥)

---

(١) صوارم : جمع صارم ، وهو السيف ، وأغمدتها : أدخلتها فى غمدها وقرابها ، وقد شبه الذين يرثيهم بالسيوف ، وجعل غمدهم القبور ، والصعيد : هو التراب ، وفلت : كسرت وثلمت ، والظبا: جمع ظبة ، وهى حد السيف ، والغروب : جمع غرب ، وهو الحد أيضا .

(٢) المزاد : جمع مزادة ، وهى ما يجعل فيه الراكب متاعه ، ويكنى بخفة مزادهم عن أنهم لم يحملوا معهم شيئا، والوضاء: صباحة الوجه، والكثير وضاءة، بالتاء، والشحوب ـ بضم الشين ـ تغير الوجه.

(٣) ألموا : أمر من الإلمام ، وهو الزيارة ، والأجواز : جمع جوز ، وهو الناحية ، ووقع فى ه « بإخوان تلك القبور » . وعروا الجياد : اخلعوا عن الخيول ما عليها من أداة الركوب ، والسبيب ـ بفتح السين ـ شعر الذنب والعرف والناصية من الفرس ، وجزوه : أى اقطعوه . ووقع فى ه « وجزوا السليبا » ووقع فى ب « وجروا السبيبا » وكلاهما تحريف .

(٤) الوجيب ـ بفتح الواو ـ خفقان القلب واضطرابه .

(٥) لاتعقروا : أصل العقر ضرب قوائم البعير والناقة كى يعجز عن السير ليتمكن عاقره من ذبحه ، وقد يراد به الذبح ، وحب القلوب : سويداواتها . والبزل ـ بضم الباء وسكون الزاى ـ جمع بازل ، وهو من الإبل الذى فطر نابه أى انشق لدخوله فى السنة التاسعة من عمره ، ويقال للذكر وللأنثى « بازل » من غير فرق ، والنيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة ، ومن عادة العرب أن ينحروا عند قبور السادة والرؤساء كرائم الإبل وكبارها ، وجاء على ذلك قول زياد الأعجم فى رثاء المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة :

وَإذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ لَهُ كُومَ الْهِجَانِ وَكُلَّ طِرْفٍ سَابِحِ

وانْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا فَلَقَدْ يَكُونُ أخَا دَمٍ وَذَبَائِحِ

٢٣ وَإِنِّى عَلَى أَنْ رَمَانِى الزَّمَانُ ... وَأَعْقَبَ بِالْقَلْبِ جَرْحًا رَغِيبَا(١)

٣٤ لَتَعْجُمُ مِنِّى ضُرُوسُ الْخُطُو ... بِ قَلْبًا جَلِيدًا وَعُودًا صَلِيبَا(٢)

٣٥ وَأَبْقَى الْعَوَاجِمُ مِنْ صَعْدَتِى ... عَشَوْزَنَةً تَسْتَقِلُّ النُّيُوبَا(٣)

٣٦ أَخِلَّاىَ لَا زَالَ جَمُّ الْبُرُوقِ ... أَجَشُّ الرُّعُودِ يُطِيعُ الْجَنُوبَا(٤)

٣٧ إِذَا مَا مَطَايَاهُ جُبْنَ الْفَلَا ... أَمِنَّا عَلَيْهَا الْوَجَى وَاللُّغُوبَا(٥)

يقول الشريف : إذا كان الناس قد اعتادوا أن ينحروا عند قبور السادة والرؤساء البوازل والأنياب من الإبل فإن هؤلاء الذين أرثيهم خليقون بأن تذاب حبات القلوب عند قبورهم .

(١) جرحا رغيبا ـ بفتح الراء المهملة ـ واسعا نافذا ، وأراد أنه يستعصى علاجه على المعالجين ، ووقع فى ه « جرحا زغيبا » بالزاى المعجمة ـ محرفا .

(٢) تقول « عجم فلان العود » تريد أنه جسه بأسنانه ليعرف صلابته ، ويكنون عن اختبار الأشخاص وابتلاء ماعندها من الصبر على المكاره والقوة على اقتحام الخطوب بعجم عودهم ، والضروس : جمع ضرس ، والخطوب : جمع خطب ، وهو النازلة الفادحة ، وقلب جليد : قوى كثير التجلد والاحتمال ، والعود الصليب : الصعب الكسر ، يقول : إن الأحداث اختبرتنى فوجدتنى من أصلب الناس عودا وأجرئهم قلبا .

(٣) العواجم : جمع عاجم ، وهو اسم الفاعل من « عجم العود » وقد مر معناه فى شرح البيت السابق ، وأراد بالعواجم ههنا الخطوب والأحداث . والصعدة ـ بفتح الصاد وسكون العين ـ القناة التى تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف ، وأراد هنا القناة مطلقا ، والعشوزنة : العسر الالتواء من كل شىء ، والشديد الخلق ، والصلب . ووقع فى ه « عثورية تستقل النيوبا » محرفا .

(٤) جم البروق : كثيرها ، وأراد به السحاب ، وأجش الرعود : ذو الصوت العالى منها ، ويطيع الجنوب : ينقاد لرياح الجنوب ، وكل هذه صفات لجم البروق ، وخبر « لازال » يأتى فى أول البيت ٣٨ فى قوله « يشق المزاد على تربكم » .

(٥) جبن : قطعن ، والفلا ـ بفتح الفاء ـ جمع فلاة ، وهى الصحراء . والوجى : الحفاء ، واللغوب : الإعياء والتعب .

٣٨ يَشُقُّ الْمَزَادَ عَلَى تُرْبِكُمْ وَيَمْرِى عَلَى كُلِّ قَبْرٍ ذَنُوبَا(١)

٣٩ وأَسْأَلُ أَيْنَ مَصَابُ الْغَمَامِ شُرُوقًا إِذَا مَا غَدَا أَوْ غُرُوبَا(٢)

٤٠ أَضِنُّ عَلَى الْقَطْرِ أَنْ يَسْتَهِلَّ عَلَى غَيْرِ أَجْدَاثِكُمْ أَوْ يَصُوبَا(٣)

٤١ غُبِنْتُ عَلَيْكُمْ فَيَا صَفْقَةً غُبِنْتُ بِهَا الْعَيْشَ غَضًّا رَطِيبَا(٤)

٤٢ فَلَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَطَّ الْقُلُوبَ عَلَيْكُمْ عَصَائِبُ عَطُّوا الْجُيُوبَا(٥)

٤٣ وَلَمْ يَكُ قَدْرُ الرَّزَايَا بِكُمْ جَنَانًا مَرُوعًا وَدَمْعًا سَكُوبَا(٦)

---

(١) المزاد : جمع مزادة ، وأرادبها الوعاء ، وأراد من شقه المزاد على تربهم أن يمطرها ويشبعها ماء ، ويمرى : مضارع ، وأصله من قولهم «مرى فلان ضرع الناقة» إذا مسح عليه ليدر باللبن ، وأراد هنادر ، والذنوب ـ بفتح الذال ـ الدلو الممتلئة ماء .

(٢) مصاب ـ بفتح الميم ـ اسم مكان من قولهم « صاب المطر يصوب » إذا نزل.

(٣) أضن : أبخل ، والقطر : المطر ، ويستهل : أراد به هنا ينسكب ، والأجداث : جمع جدث ـ بفتح الجيم والدال جميعا ـ وهو القبر . يقول : إنه يسأل عن المكان الذى ينزل فيه المطر؛ لأنه يبخل بهذا المطر أن ينزل على غير قبورهم

(٤) وقع فى ب « غلبت عليكم » ومعناها أننى لم أكن مختارا فى الذى وقع بكم ، ولكن القدر الذى لايغالب قد قهرنى ، ومعنى ماأثبتناه عن ه : لقد غبننى الدهر ، والغبن : الغلب فى المبادلات المالية كالبيع . والصفقة ـ بفتح الصاد وسكون الفاء ـ البيعة . والغض : الطرى . ووقع فى ب « غبنت بها العيش غصنا رطيبا » وما أثبتناه عن ه أحسن .

(٥) عط القلوب: شقها ، ووقع فى ه «لعطوا القلوب عليكم عصائب » بإثبات واو مع كون فاعله اسما ظاهرا ، ومع أن هذا كثير فى شعر الرضى ونبهنا عليه مرارا فإن ما فى ه أحسن ، والجيوب : جمع جيب ، وهو طوق الثوب ، يقول : لولا الحياء من أن يقول الناس : لقد خرج هؤلاء عن موجبات الشرع واستسلموا للجزع لكان هؤلاء القوم الذين شقوا عليكم جيوبهم قد شقوا قلوبهم . يريد أن الجزع عليهم شديد ، ولكن الحياء يحول دون إظهاره للناس .

(٦) مروع ـ بفتح الميم ـ اسم المفعول من « راعنى الأمر يروعنى » بمعنى أخافنى يخيفنى ،

٤٤ وَإِنَّ ضَرَائِحَكُمْ فِي الصَّعِيدِ لَتَكْسُو الْخَبِيثَ مِنَ الْأَرْضِ طِيبَا(١)

٤٥ وَهَبْنَا لِفَيْضِ الدُّمُوعِ الْخُدُودَ عَلَيْكُمْ وَحَرَّ الْغَرَامِ الْقُلُوبَا(٢)

٤٦ لَقَدْ شَغَلَتْنَا الْمَرَاثِي لَكُمْ بِوَجْدِي عَنْ أَنْ أَقُولَ النَّسِيبَا(٣)

٤٧ وَكُنْتُ أَعُدُّ ذُنُوبَ الزَّمَانِ فَبَعْدَكُمُ لَا أَعُدُّ الذُّنُوبَا(٤)

٤٨ أَرَابَ الرَّدَى فِيكُمُ جَاهِدًا وَزَادَ فَجَازَ مَدَى أَنْ يُرِيبَا(٥)

٤٩ أَأَنْشُدُ مَنْ قَدْ أَضَلَّ الْحِمَامُ ؟ عَنَاءٌ لَعَمْرُكَ أَعْيَا الطَّبِيبَا(٦)

* * *

والسكوب ـ بفتح السين ـ الكثير الانصباب ، يقول : ليس قدر مايجب نحو الرزء بكم أن يكون القلب خائفا والدمع كثير الانهمار ، إنه فوق ذلك بكثير .

(١) الضرائح : جمع ضريح ، وهو الشق ، وأراد به القبر ، والصعيد : التراب .

(٢) وقع فى ه « وحر المرام » محرفا .

(٣) النسيب : هو القول فى وصف النساء والتشبيب بهن ووصف مافعل بقائله غرامهن . يقول : قد اشتغلت برثائكم وذكر أوصافكم عن القول فيما اعتاد مثلى من ذوى الصبابة أن يقول فيه.

(٣) يقول : كانت ذنوب الزمان التى يأتيها قبل فرقتكم قليلة، فكنت لذلك أعدها ، فأما الآن بعد أن سلبكم الزمان منى فقد أصبحت ذنوبه لاتعد لكثرتها ، وهذا البيت متصل بسبب بقول الآخر :

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

(٥) أراب : فعل مايبعث الريبة ، والردى : الموت والهلاك ، والجاهد : المجتهد فيما يعمل ، وجاز ـ بالجيم والزاى ـ تعدى الحد وجاوزه ، ووقع فى ه « وحار » بالحاء والراء المهملتين ـ محرفا .

(٦) أنشد : مضارع « نشد فلان ضالته » أى سأل عنها وطلبها . والاستفهام هنا إنكارى بمعنى النفى ، يقول : لاينبغى لى أن أطلب عودة الذين كان الموت سببا فى ضياعهم وغيبتهم . والعناء ـ بفتح العين المهملة ـ المشقة والتعب .

٥٢ — وقال يعزى صديقاً له [عن ولده][1] [من مجزوء الكامل] :

١ لَوْ كانَ يُعْتِبُنى الْحِمَا ... مُ لَطَالَ بَعْدَ الْيَوْمِ عَتْبى[2]

٢ أنَّى وَمَا عاتَبْتُهُ ... إلاَّ وَأَعْتَبَنى بِذَنْبِ[3]

٣ صَبْراً أُخَىَّ فإنَّهَا ... تَمْضِى وَلَوْ وَقعَتْ بِهَضْبِ[4]

٤ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَقَدْ يَكُو ... نُ الصَّعْبُ عِنْدَكَ غَيْرَ صَعْبِ[5]

---

(١) هذه الكلمة لاتوجد فى ب

(٢) تقول « عتب فلان على فلان يعتب عتبا » من باب ضرب ـ إذا شكاه إلى نفسه ولامه على فعله وعاب صنيعه معه ، وتقول «أعتب فلان فلانا يعتبه» بوزان أكرمه يكرمه ـ إذا أزال شكايته وترضاه . يقول : لوكان الزمان ـ إذا عتبت عليه وشكوته ـ يعمل على إرضائى و يزيل أسباب شكايتى لكنت أطيل عتابه ولومه .

(٣) أنى ـ بفتح الهمزة وتشديد النون ـ معناها كيف ، والواو فى قوله «وما عاتبته» هى واو الحال ، وأعتبنى بذنب : أى أزال شكواى منه بإحداث ذنب آخر يقتضى شكاية جديدة ، وهو قريب من تأكيد الذم بما يشبه المدح ، يقول : كيف يكون ذلك ـ أى عتبى على الزمان ـ والحال أنى ماعاتبته على ذنب اجترحه إلا فى حال أن يقابل هـذه الشكاية بإحداث ذنب جديد يستدعى أن أشكوه شكوى جديدة ، ووقع فى ب ، ه « إلا وأعتبنى بذنبى » وليس بشىء ، ووقوع واو الحال مع الفعل الماضى الواقع بعد إلا فى قوله « إلا وأعتبنى بذنب » قليل جدا فى العربية ، وورد منه قول الشاعر :

نِعْمَ امرأً هَرِمٌ لم تَعْرُ نائبةٌ ... إلاَّ وَكانَ لِمُرْتَاعٍ بِها وَزَرَا

(٤) الضمير فى قوله « فإنها » يعود إلى الحادثة المفهومة من المقام وإن لم يكن قد جرى لها ذكر ، ونظيره الضمير فى قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) فإنه يعود إلى الشمس وإن لم يسبق ذكرها

(٥) هون عليك : خفف على نفسك وقع هذا المصاب .

٥ وَانْهَضْ فَمَا حَمَلَتْ على قصفِ الْفِقَارِ ولا أجَبّ[1]

٦ كُنْتَ الطَّبِيبَ لِمِثْلِهَا لَوْ يُتَّقَى قَدَرٌ بِطِبّ

٧ وَلَئِنْ رَمَى رَامِي الرَّدَى غَرَضًا فَزَعْزَعَ غَيْرَ سِرْبِي[2]

٨ فَلَقَدْ أَصَابَ بِسَهْمِهِ الْـ ـغَرَضَيْنِ مِنْ عَيْنِي وَقَلْبِي[3]

***

٥٣ - وقال يرثى بعض الرؤساء [من المنسرح] :

١ اذْهَبْ وَلَا تَبْعَدَنَّ مِنْ رَجُلٍ إنَّ كِرَامَ الرِّجَالِ قَدْ ذَهَبُوا[4]

٢ أَدْرَكْتَ فَوْقَ الَّذِي طَلَبْتَ نَدًى غَمْرًا ، وَفَاتَ اللِّئَامَ مَا طَلَبُوا[5]

٣ لَا تُخْلِفُ الدَّهْرَ مَا تَجُودُ بِهِ وَلَا يُعِيرُ الرِّجَالُ مَا تَهَبُ[6]

---

(١) انهض : يريد به قم واعمل ، وفى « حملت » ضمير مستتر يعود إلى الحادثة أيضا ، والفقار : جمع فقرة ، وهو العقدة من عمود الظهر ، والأجب : أصله الجمل المقطوع السنام. يقول : لا تضعف ولا تفتر همتك فإن هذه الحادثة إنما نزلت بالجلد القوى الشديد الاحتمال ولم تنزل بالضعيف الخائر.

(٢) الغرض : ما يجعله الرماة هدفا يوجهون إليه سهامهم ، وزعزع : أثار وحرك ، والسرب - بكسر السين وسكون الراء - النفس .

(٣) يقول : إنه ليجد على هذا الفقيد من الحرقة والحزن مثل ما يجده والده ، وإن كان المصاب غيره .

(٤) لا تبعدن : دعاء له بأن يبقى ذكره وتدوم مآثره ، يقول : لا عجب فى أن تذهب ، لأن جميع الكرام قد ذهبوا وخلفوا هذه الحياة الدنية .

(٥) الندى - بفتح النون مقصورا - الكرم ، والغمر - بفتح الغين وسكون الميم - الكثير . يقول : إنك حصلت فوق ما أردت تحصيله من مكارم ، ولم يدرك اللئام ما أرادوه ، فلم يبق لك ما نرجو لك الحياة لأجل تحصيله.

(٦) أصل العارية : ما تعطيه غيرك ينتفع به مع بقاء عينه ثم يرده إليك بعد قضاء حاجته منه ،

٤ عِرْضٌ نَقِيٌّ مِنَ الْوُصُومِ إِذَا ... مَاحَكَّ عِرْضَ المذمَّمِ الْجَرِبُ(١)

٥ مَضَى التَّلِيدُ الأَعْلَى لِطِيَّتِهِ ... وَاسْتَأْخَرَ الْمَنْسِمَانِ والذَّنَبُ(٢)

٦ تَرْعِيَّةٌ طَاعَتِ الصِّعَابُ لَهُ ... وَاسْتَوْسَقَتْ فِي زِمَامِهِ الْعَرَبُ(٣)

٧ يَا دَهْرُ رَشْقًا بِكُلِّ نَائِبَةٍ ... قَدِ انْتَهَى الْعَتْبُ وَانْقَضَى الْعَجَبُ(٤)

٨ رُدَّ يَدِي مَا اسْتَطَعْتَ عَنْ أَرَبِي ... لَمْ يَبْقَ لِي بَعْدَ يَوْمِهِمْ أَرَبُ(٥)

***

وأصل الهبة : أن تعطى الشيء غيرك وتملكه له فلا يرده إليك . يقول : إنك كنت تهب مالم يكن أحد يستطيع أن يعيره .

(١) الوصوم: جمع وصم - بفتح الواو وسكون الصاد المهملة - وهو العيب والعار وكل ما يتلطخ به .

(٢) الطية - بكسر الطاء وتشديد الياء - النية والوجه ، ويقال «مضى فلان لطيته» يراد به أنه مضى إلى مقصده ، ووقع فى ب « لطيبه » محرفا . والمنسم - بزنة مجلس - خف البعير ، ويقال : هو للناقة بمنزلة الظفر للإنسان ، والذنب : الذيل . يقول : إن كرام الناس الذين يشبهون السنام يذهبون ، وإن لئامهم ورذالهم الذين يشبهون المناسم والأذناب يبقون ، وهذا البيت نظير قول الخنساء:

إِنَّ الزَّمَانَ وَمَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ ... أَبْقَى لَنَا ذَنَبًا وَاسْتُؤْصِلَ الرَّاسُ

(٣) يقال «رجل ترعية» بفتح التاء وسكون الراء وكسر العين بعدها ياء مشددة أو مخففة - وأصله الذى يجيد الرعاية ، ويراد به الذى يتقحم الأمور ويقدم على الشدائد غير مبال . وطاعت : معناه انقادت وذلت وخضعت ، ووقع فى ه « ترعبه طاعة الصعاب له » محرفا . ومعنى «استوسقت فى زمامه العرب » قوى أمرها واشتد به ساعدها ، ووقع فى ه « واستوسقت فى زمانه العرب » ولها معنى لا بأس به.

(٤) رشقا : مصدر يراد به الأمر ، يقول : هات يادهر ماعندك وارمنا بكل حادثة ، فقد هانت علينا الحوادث بعد موته ، وهذا المعنى قريب من معنى البيت ٤٧ / ٥١ الذى مضى قريبا

(٥) « ما » فى قوله « ما استطعت » هى المصدرية الظرفية ، وتفسيرها مع مابعدها : مدة

٥٤ — وقال يرثى امرأة تخصّه[1] [من الطويل] :

١ عَلَى أيِّ غَرْسٍ آمَنُ الدَّهْرَ بَعْدَ مَا ... رَمَى فَادِحُ الأيَّامِ فِي الْغُصُنِ الرَّطْبِ[2]

٢ ذَوَى قَبْلَ أنْ تَذْوِي الْغُصُونُ وَعَهْدُهُ ... قَرِيبٌ بِأيَّامِ الرَّبِيلَةِ وَالْخِصْبِ[3]

٣ كَفَى أسَفاً لِلْقَلْبِ مَاعِشْتُ أنَّنِي ... بِكَفَّيَّ عَلَى عَيْنِي حَثَوْتُ مِنَ التُّرْبِ[4]

٤ جَرَتْ خَطْرَةٌ مِنْهَا وَفِي الْقَلْبِ عَطْشَةٌ ... رَفَعْتُ لَهَا رَأْسِي عَنِ الْبَارِدِ الْعَذْبِ[5]

استطاعتك ، والأرب: المأرب وما يقصده الإنسان، يقول : ادفعنى ولا تمكنى من تحصيل ماأريد مدة قدرتك على دفعى ، لأنه لم يبق لى ما أحب أن أحصله بعد موت هؤلاء الكرام ، ووقع فى ه « ردى ما استطعت » ووقع فى ب « لم يبق لى بعد يومهم أرب » .

(١) فى ب « يرثى أمرا يخصه » ووقع فى ه « يرثى امرئة تخصه » والأبيات فى رثاء امرأة كما هو ظاهر .

(٢) أراد من الغرس المغروس ، وأراد بفادح الأيام الخطوب التى يثقل حملها ، والغصن ههنا بضم الصاد إتباعا لضمة الغين ، وله نظائر فى العربية ، والرطب : الطرى العود الذى لم يجف ولم ييبس .

(٣) ذوى : ذبل وجف ، و « أن تذوى » بسكون الياء ، وحق العربية أن يفتح الياء ، لكنه لما لم يستقم له الوزن عامل المنصوب معاملة المرفوع فنصبه بفتحة مقدرة على الياء كما يرفعه بضمة مقدرة . والربيلة ـ بفتح الراء ـ النعمة . والخصب ـ بكسر الخاء وسكون الصاد ـ ضد الجدب والقحط .

(٤) الأسف : الحزن ، و « ماعشت » أى مدة حياتى، وحثوت التراب أحثوه : أى أهلته، وشبه الدفين بعينه . يقول : يكفينى أننى سأقضى حياتى كلها آسفا حزينا لأننى أهلت بيدى التراب على تلك التى أراها مثل عينى فى وجوب المحافظة عليها من الغبار وما يشبهه .

(٥) وقع فى ه « جرت ذكرت منها » محرفا ، والخطرة ـ بفتح الخاء وسكون الطاء ـ المرة من قولهم « خطر ببالى يخطر خطورا » مثل جلس جلوسا ـ إذا مر به ، والعطشة : الظمأ .

٥ وقُلْتُ لِجَفْنِى رُدَّ دَمْعاً عَلَى دَمٍ ... وَلِلْقَلْبِ عالِجْ قَرْحَ نَدْبٍ عَلَى نَدْبِ (١)

٦ وَمِمَّا يُطيبُ النَّفْسَ بَعْدَكِ أَنَّنى ... عَلَى قَرَبٍ مِنْ مَاءِ وِرْدِكِ أَوْ قُرْبِ (٢)

٧ أَلَا لَا جَوًى مَسَّ الْفُؤَادَ كَذَا الْجَوَى ... وَلَا ذَنْبَ عِنْدِى لِلزَّمَانِ كَذَا الذَّنْبِ (٣)

٨ خَلَا مِنْكِ طَرْفِى وَامْتَلَا بِكِ خَاطِرِى ... كَأَنَّكِ مِنْ عَيْنِى نُقِلْتِ إِلَى قَلْبِى (٤)

***

---

(١) القرح ـ بفتح القاف وسكون الراء ـ مصدر « قرحه يقرحه » من باب فتح ـ إذا شقه وجرحه . والندب ـ بفتح فسكون ـ الجرح أيضا . يقول: لقد أمرت عينى بأن تطيل البكاء، فكلما غاض منها دمع استبدلت دمعا ، وأمرت قلبى بأن يبقى على الحزن عليها، فكلما اندمل جرح نكأ جرحا آخر .

(٢) يطيب النفس : يجعلها طيبة راضية بما نزل ، والقرب ـ بفتح القاف والراء جميعا ـ أن يكون بينك و بين ورود الماء ليلة واحدة . يقول: إن مما يسهل على نفسى احتمال هذا الخطب اعتقادى أنى لاحق بها، وأن ذلك قريب دان .

(٣) الجوى ـ بفتح الجيم مقصورا ـ الحزن ، و« كذا الجوى » أى مثل هذا الجوى ، و« كذا الذنب » أى مثل هذا الذنب . يقول : إن حزن الفؤاد عليها أعظم الحزن وأشقه احتمالا، و إن ذنب الزمان باجترائه عليها أعظم الذنوب .

(٤) امتلا : أصله امتلأ ، فخفف الهمزة بقلبها ألفا لانفتاح ماقبلها ، وهذه لغة قريش ، والشريف يستعمل ذلك كثيرا فى شعره . يقول : إذا كنت لاأراك بعينى فإنك ماثلة أمام خاطرى فأراك بقلبى، و إنك لاتبرحين عن خاطرى ، فكأنما نقلوك من عينى إلى قلبى .

٥٥ – وقال بديهاً يرثى أبا الحسن[١] أحمدَ بنَ عليٍّ البتى ، وكان من أصدقائه القُدَماء ، وتوفى فى شهر شعبان سنة خمس وأربعمائة[٢] ، وبعده بشهور مات الرضى رحمه الله[٣] [من مجزوء الكامل] :

١ ما للهُمُومِ كأنَّهَا نَارٌ عَلَى قَلْبى تُشَبُّ[٤]

---

(١) وقع فى ه « يرثى أبا الحسين » وأثبتنا مافى ب وفى المنتظم لابن الجوزى (٧ / ٢٦٣) وكامل ابن الأثير (٩ / ٩٣) .

(٢) هكذا وقع فى ب ، ه جميعا ، ويوافقه مافى كامل ابن الأثير (٩ / ٩٣) وأورده ابن الجوزى فى المنتظم فيمن ماتوافى سنة ٤٠٣ وكذلك ابن كثير فى البداية والنهاية (١١ / ٣٤٩) .

(٣) قال ابن الجوزى عنه « كان يكتب للقادر عند مقامه بالبطيحة ، ولما وصلته البيعة كتب عنه إلى بهاء الدولة . وكان البتى حافظا للقرآن تاليا مليح المذاكرة بالأخبار والآداب ، عجيب النادرة ، ظريف التماجن ، انحدر مع الرضى والمرتضى وابن أبى الريان وجماعة من الأكابر لاستقبال بعض الملوك فخرج عليهم اللصوص ورموهم بالحذافات ، وجعلوا يقولون : ادخلوا يازواج القحاب ، فقال البتى : ماخرج هؤلاء علينا إلا بعين (يريد بجاسوس) قالوا : ومن أين علمت؟ قال : إن لم يكن ذلك فمن أين علموا أنا أزواج قحاب ؟ ! وكان البتى صاحب الخبر والبريد فى الديوان القادرى ، وتوفى فى شعبان من هذه السنة » يريد سنة ٤٠٣ وقد علمت أنه يخالف فى ذلك غيره . وقال ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٠٥ « فى هذه السنة فى شعبان توفى أبو الحسن أحمد بن على البتى ، الكاتب ، الشاعر ، ومن شعره فى تكة :

لِمَ لا أتِيهُ وَمَضْجَعِى بيْنَ الرَّوَادِفِ والْخُصُور
وإذا نُسِجْتُ فإننى بيْنَ التَّرائِبِ والنحورِ
ولَقَدْ نَشَأْتُ صَغيرةً بأكُفِّ رَبَّاتِ الْخُدورِ

وله نوادر كثيرة : منها أنه شرب فقاعا (والفقاع – بضم الفاء وتشديد القاف – شراب يتخذ من الشعير) فى دار فخر الملك ، فلم يستطبه ، فجلس مفكرا ، فقال له الفقاعى : فى أى شىء تفكر؟ فقال : فى دقة صنعتك ، كيف أمكنك الخراء فى هذه الكيزان الضيقة كلها؟! »

(٤) الهموم : جمع هم ، وهو هنا الحزن ، وتشب – بالبناء للمجهول – توقد .

٢ وَالدَّمْعِ لَا يَرْقَى لَهُ غَرْبٌ كأنَّ الْعَيْنَ غَرْبُ(١)

٣ لوداع إخْوَانِ الشَّبَا بِ مَضَتْ مَطَايَاهُمْ تَخُبُّ(٢)

٤ فارقتهُمْ وَالْعَيْنُ عَيْـــنٌ بَعْدَهُمْ والقَلْبُ قَلْبُ(٣)

٥ مَا كُنْتُ أحْسبُ أنَّنى جَلْدٌ عَلَى الأرْزَاءِ صَعْبُ(٤)

٦ أو أنَّنى أبْقَى وَظَهْـــرِى بَعْدَ أقْرَانِى أجَبُّ(٥)

---

(١) لايرق : أصله لايرقأ ـ بالهمز ـ فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ماقبلها ، وتقول : رقأ دمع فلان يرقأ ـ من باب قطع ـ إذا سكن وانقطع ، وتقول : رقأ فلان دمعه يرقؤه ، إذا قطعه ، والغرب الأول : واحد غربى العين ، وهما جانباها المقدم والمؤخر ، أو الغرب الأول عرق فى العين يفيض بالدمع ولا ينقطع ، والغرب الثانى : الدلو العظيمة ، ويقول العرب « كأن غربى عينيه فى غربى دالح » يريدون كأن مقدمهاومؤخرها فى دلوى ساق ، والتشبيه الذى فى بيت الشريف من هذا .

(٢) وقع فى ه « لوداع إخوانى الشباب » ولا معنى لياء المتكلم هنا ، والمطايا : جمع مطية ، وهى الدابة التى تركبها ، وتخب : تسرع سيرها ، وتقول « خبت بفلان مطيته » تريد أنه ذهب عنك سريعا .

(٣) العين الأولى : عين الإنسان التى بها يبصر المرئيات ، والعين الثانية : السحاب يكون من ناحية القبلة ، أو مصب ماء القناة ، أو مطر أيام لايقلع ، أو مفجر ماءالركية . والقلب الأول : معروف ، والقلب الثانى : مصدر « قلبه يقلبه قلبا » من باب ضرب ـ إذا حوله عن وجهه ، وأخبر بالمصدر مبالغة ، يريد أن عينه بعدهم لايجف لها دمع ، وأن قلبه من بعدهم لايستقيم له التفكير .

(٤) جلد ـ بفتح فسكون ـ صفة من الجلادة ، وهى قوة الاحتمال والصبر على المكاره ، والأرزاء : جمع رزء ـ بضم فسكون ـ وهو البلية ، ووقع فى ه «جلد على الأرزاء صب» محرفا .

(٥) أجب : منقطع ، وأصله فى الإبل أن يكون البعير مشقوق السنام .

٧ لَا الْوَجْدُ مُنْقَطِعُ الْوَقُو دِ وَلَا مَزَارُ الدَّمْعِ غِبُّ (١)

٨ مَا أَخْطَأَتْكَ النَّائِبَا تُ إِذَا أَصَابَتْ مَنْ تُحِبُّ (٢)

***

النسيب

٥٦ — قال [من الطويل] :

١ أقول وَقَدْ أَرْسَلْتُ بِاللَّيْلِ نَظْرَةً فَلَمْ أَرَ مَنْ أَهْوَى قَرِيباً إِلَى جَنْبِي (٣)

٢ لَئِنْ كُنْتَ أَخْلَيْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَى فَهَيْهَاتَ أَنْ يَخْلُو مَكَانُكَ مِنْ قَلْبِي (٤)

٣ وَكُنْتُ أَظُنُّ الشَّوْقَ لِلْبُعْدِ وَحْدَهُ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الشَّوْقَ لِلْبُعْدِ وَالْقُرْبِ (٥)

***

(١) الوجد : الحزن، والوقود — بفتح الواو — مصدر بمعنى الاتقاد والاشتعال ، ومزار الدمع: مصدر ميمى بمعنى الزيارة ، وغب : يأتى يوما ويغيب يوما ، ومن الكلام المأثور « زرغبا تزدد حبا » ووقع فى ه « ولا مزار الدمع غرب » محرفا ، يريد أن حزنه دائم الاشتعال مستمر الالتهاب، وأن دمعه دائم التسكاب لا ينقطع عن الهملان .

(٢) النائبات : جمع نائبة ، وهى فى الأصل اسم الفاعل من « ناب ينوب » إذا نزل أو أصاب ، ثم سمى به المصيبة التى تنزل بالإنسان ، يقول : إذا كانت المصيبة قد نزلت بأحد أحبائك فكأنها نزلت بك ولم تتجنبك .

(٣) وقع فى ب « وقد أرسلت أول نظرة »

(٤) أخليت المكان : صيرته خاليا لأنك فارقته ، ويخلو : مضارع كان من حقه أن ينصبه بالفتحة الظاهرة لكنه عامل المنصوب معاملة المرفوع فجعل نصبه بفتحة مقدرة ، أو أنه أهمل أن المصدرية كما يهملون « ما » المصدرية ، ولكل واحد من هذين الوجهين نظائر فى العربية : فمن الأول قول الشاعر :

فما سَوَّدَتْنى عامِرٌ عن وِرَاثَةٍ أبى اللهُ أن أسْمُو بأمٍّ وَلَا أَبِ

ومن الثانى قول الله تعالى : (لمن أراد أن يتم الرضاعة) عند من قرأ برفع « يتم » وقول الشاعر :

أنْ تقرآنِ عَلَى أسماءَ وَيْحَكُما مِنِّى السَّلامَ وألاَّ تُشْعِرَا أحَدا

(٥) يقول : إنه كان من قبل يظن أن العاشق إنما يشتاق حبيبه إذا كان بعيدا عنه ، ولكنه

٥٧ - وقال [من الطويل] :

١ أيا شاكياً مني لذنبٍ جنيتُه ... فديتُك من شاكٍ إليَّ حبيبِ

٢ لئن راب مني ما يريبُ فإنني ... على عُدواء الدهرِ غيرُ مريبِ (١)

٣ وإني لأرعى منكَ والغيبُ بيننا ... هوًى قلما يُرعى بظهرِ مغيبِ (٢)

٤ فهب لي ذنباً واحداً كنتُ قلتُه ... فما زلَّ من حازمٍ بعجيبِ

٥ فيا حُسنَ حالِ الودِّ ما دمتُ مُذنباً ... أتوبُ ، وما دامتْ تعدُّ ذنوبي (٣)

* * *

علم الآن أن الشوق ينبعث فى قلب المحب قرب منه حبيبه، أو بعد عنه، ونظير هذا قول الحماسى :

إذا كُنتَ لا يُسْليكَ عمَّنْ تودُّهُ ... تنائى ، ولا يَشْفيكَ طولُ تلاقِ

فهلْ أنتَ إلاَّ مُستعيرٌ حُشاشةً ... لِمُهْجةِ نفسٍ آذنتْ بفراقِ

ونظيره قول الآخر :

وما فى الأرضِ أشقى من مُحبٍّ ... وإن وجدَ الهوى حلوَ المذاقِ

تراهُ باكياً فى كل حالٍ ... مخافةَ فُرقةٍ أو لاشتياقِ

فيبكى إن نأوْا شوقاً إليهمْ ... ويبكى إنْ دنَوْا خوفَ الفراقِ

ونظير هذا قول عبدالله بن الدمينة :

وقدْ زعمُوا أنَّ المحبَّ إذا دنا ... يملُّ ، وأنَّ البُعْدَ يشفى من الوجدِ

بكلٍّ تداوَيْنا فلمْ يُشفَ ما بنا ... على أنَّ قُربَ الدارِ خيرٌ من البُعْدِ

على أنَّ قُربَ الدارِ ليسَ بنافعٍ ... إذا كانَ من تهواهُ ليسَ بذى وُدِّ

(١) عدواء الدهر - بضم العين وفتح الدال والواو - موانعه وصوارفه عما نريد ، ووقع فى ه « عدواء الدار » يقول : إن كان قد ظهر من أمرى مايبعث على الريبة فى محبتى فإن حقيقة الأمر أنه لامجال للريبة فى وجدى بكم، على مايعترينى من الصوارف والمشاغل التى من شأنها أن تصرف غيرى من المحبين عن أحبائهم .

(٢) وقع فى ه « هوى قلما يرضى بظهر مغيب » وهو تحريف ماأثبتناه عن ب .

(٣) يقول : إذا كنت أذنب ثم أتوب من ذنبى ، وإذا كنت لست كثير الذنوب ولكن

٥٨ – وقال [من الكامل] :

١ لَا وَالَّذِى قَصَدَ الْحَجِيجُ لِبَيْتِهِ مِنْ بَيْنِ نَاءٍ طَارِقٍ وَقَرِيبِ (١)

٢ والْحِجْرِ وَالْحَجَرِ الْمُقَبَّلِ تَلْتَقِى فِيهِ الشِّفَاهُ وَرُكْنِهِ الْمَحْجُوبِ (٢)

٣ لَا كَانَ مَوْضِعُكَ الَّذِى مُلِّكْتَهُ بَيْنَ الْأَضَالِعِ بَعْدَ ذَا لِحَبِيبِ

٤ إِنِّى وَجَدْتُ لَذَاذَةً لَكَ فِى الْحَشَا لَيْسَتْ لِمَأْكُولٍ وَلَا مَشْرُوبِ (٣)

٥ لِىَ أَنَّةُ الشَّاكِى إِذَا بَعُدَ الْمَدَى مَابَيْنَنَا ، وَتَنَفُّسُ الْمَكْرُوبِ

* * *

ذنوبى قليلة تدخل تحت العد ، فإن حالى فى المودة حال حسنة بل إنه ليتعجب من حسنها، وقد أخذ هذا من قولهم المأثور « الأريب من تعد هفواته » .

(١) الحجيج : جمع حاج ، ونظيره الغزىّ فى جمع غاز ، ووقع فى ب « مابين ناء نازح » والنائى : البعيد ، اسم الفاعل من « نائى ينأى » بمعنى بعد يبعد ، والطارق : أصله الذى يأتى أهله ليلا ، والنازح فى الرواية الأخرى بمعنى النائى ، فكأنه قال « البعيد الشديد البعد » وفى البيت المقابلة ، وأراد من جميع الناس سواء منهم القريب والبعيد .

(٢) الحجر – بكسر الحاء وسكون الجيم – أصله كل ماجعلته حراما على غيرك ، وفى البيت الحرام مكان يسمى «حجر إسماعيل» والحجر المقبل – بفتح الحاء والجيم جميعا – هو الحجر الأسود، ومن سنن الحج تقبيل هذا الحجر تأسيا بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، والركن : مكان معين فى البيت ، والمحجوب : الممنوع .

(٣) يقرب من معنى هذا البيت قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وهو من شعراء الحماسة :

شَقَقْتِ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتِ فِيهِ هَوَاكِ فَلِيمَ فَالْتَامَ الْفُطُورُ

تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِى فُؤَادِى فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِى يَسِيرُ

تَغَلْغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

٥٩ – وقال [فى وصف الطيف] [من الخفيف] :

١ إنَّ طَيْفَ الْخَيَالِ زَارَ طُرُوقاً وَالْمَطَايَا بَيْنَ الْقَنَانِ وَشِعْبِ (١)

٢ فَوْقَ أَكْوَارِهِنَّ أَنْضَاءُ شَوْقٍ طُرِقُوا بِالْغَرَامِ دُونَ الرَّكْبِ (٢)

٣ كُلَّمَا أَنَّتِ الْمَطِيُّ مِنَ الإِعْـ ـيَاءِ أَنُّوا مِنَ الْجَوَى وَالْكَرْبِ (٣)

٤ زَارَنِى وَاصِلًا عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ وَانْثَنَى هَاجِراً عَلَى غَيْرِ ذَنْبِ (٤)

٥ كَانَ قَلْبِى إِلَيْهِ رَائِدَ عَيْنِى فَعَلَى الْعَيْنِ مِنَّةٌ لِلْقَلْبِ (٥)

---

(١) زار طروقا : يريد زار ليلا بعد ماهجع السمار ، وأصل الطارق الذى يأتى أهله ليلا ، والمطايا : المراكب ، واحدتها مطية ، والقنان – بفتح القاف ، بزنة السحاب – جبل فيه ماء يدعى العسيلة ، وهو لبنى أسد ، وقال الأزهرى : القنان جبل بأعلى نجد ، وفيه يقول زهير بن أبى سلمى المزنى :

جَعَلْنَ الْقَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَهُ وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

والشعب – بكسر فسكون – ماء بين العقبة والقاع فى طريق مكة على ثلاثة أميال من العقبة .

(٢) الأكوار : جمع كور ، وهو أداة يركب عليها ، تكون للابل ، والأنضاء : جمع نضو – بكسر النون وسكون الضاد – وهو المهزول ، وطرقوا بالغرام – بالبناء للمجهول – معناه نزل بهم الغرام ، والركب : جمع راكب ، والأصل أنه لايقال راكب إلا لمن كان يركب الإبل . يقول : إن الذين يركبون هذه الإبل قد شفهم الهيام وأنحلهم وأضعف أبدانهم ، وإنهم هم الذين نزل بهم الغرام دون الذين معهم من ركاب الإبل .

(٣) أنت المطى : أظهرت الأنين ، والإعياء : التعب من أثر السفر ، والجوى : حرقة الجوف من حرارة العشق ، والكرب : هم يأخذ بالنفس .

(٤) انثنى : رجع .

(٥) أصل الرائد الذى يسبق القوم يتعرف لهم مواقع الكلأ والعشب والماء ، ومن الكلام المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم « الرائد لا يكذب أهله » ويراد منه الدليل والسائق ، يقول : لقد دل قلبى عينى على محاسن هذا المحبوب واستحقاقه للتتيم به ، فقد أصبحت العين مدينة للقلب بما نعمت به من استجلاء محاسنه ، وعكس هذا المعنى قول شاعر الحماسة :

٦ بِتُّ أَلْهُو بِنَاعِمِ الْجِيدِ غَضٍّ ... وَفَمٍ بَارِدِ الْمُجَاجَةِ عَذْبِ (١)

٧ بَلْ وَجْدِي، وَمَنْ رَأَى الْيَوْمَ قَبْلِي ... نَاقِعاً لِلْغَلِيلِ مِنْ غَيْرِ شُرْبِ (٢)

٨ سَامِحاً لِي عَلَى الْبِعَادِ بِنَيْلٍ ... كَانَ يَلْوِيهِ فِي لَيَالِي الْقُرْبِ (٣)

٩ كَانَ عِنْدِي أَنَّ الْغُرُورَ لِطَرْفِي ... فَإِذَا ذَلِكَ الْغُرُورُ لِقَلْبِي

* * *

وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً ... لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ الْمَنَاظِرُ

رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ، وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

(١) الجيد ـ بكسر الجيم ـ العنق، والمجاجة ـ بضم الميم ـ الريق ترميه من فمك، ويقال للعسل « مجاج النحل » ومن عادة الشعراء أن يصفوا ريق فم المحبوب بالعذوبة والبرد، انظر إلى قول شاعر الحماسة:

فَمَا نُطْفَةٌ مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَاذَفَتْ ... بِهِ جَنْبَتَا الْجُودِيِّ وَاللَّيْلُ دَامِسُ

فَلَمَّا أَقَرَّتْهُ اللِّصَابُ تَنَفَّسَتْ ... شَمَالٌ لِأَعْلَى مَائِهِ فَهْوَ قَارِسُ

بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا، وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ؛ ... وَلَكِنَّنِي، فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ، فَارِسُ

وانظر إلى قول الآخر:

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيقاً غَيْرَ مُخْتَبِرٍ ... إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ

(٢) الغليل ـ بفتح الغين المعجمة ـ حرارة الجوف من عطش ونحوه، وتقول « نقع فلان غليله » إذا أبرده وشفاه.

(٣) يلويه: يمطل بأدائه، وتقول « لوى المدين دائنه يلويه ليا وليانا » إذا مطله وسوف فى أداء ماعليه من الدين، ووقع فى ب « كان يلويه فى زمان القرب ».

٦٠ — وقال ، وكتب [بها] إلى صديق[له] جوابا عن أبيات أتته منه [من الطويل] :

١ حَلَفْتُ بِأَعْلامِ الْمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ... وَمَا ضَمَّ ذَاكَ الْقَاعُ وَالْمَنْزِلُ الرَّحْبُ

٢ وَكُلِّ بَجَاوِيٍّ يَجُرُّ زِمَامَهُ ... إِذَا مَا تَرَاخَتْ فِى أَزِمَّتِهَا النُّجْبُ(١)

٣ وَتَرْجِيعِ أَصْوَاتِ الْحَجِيجِ وَقَدْ بَدَا ... وُفُودُ النَّوَاحِى تَسْتَبِدُّ بِهِ الْحُجْبُ(٢)

٤ وَرَوْعَةِ يَوْمِ النَّحْرِ وَالْهَدْىُ حَائِرٌ ... وَكُلِّ دَمٍ أُودى بِجمته الرَّكْبُ(٣)

٥ لَقَدْ جَلَّ مَا بَيْنِى وَبَيْنَكَ عَنْ قِلًى ... سَوَاءٌ تَدَانَى الْبُعْدُ أَوْ بَعُدَ الْقُرْبُ(٤)

٦ وَلِى دَمْعُ عَيْنٍ لا يُرَنِّقُ سَاعَةً ... وَنَارُ غَرَامٍ بَيْنَ جَنْبِىَ لا تَخْبُو(٥)

٧ وَقَلْبٌ يَمُورُ الطَّرْفُ إِنْ قَرَّ فِى الْحَشَا ... وَطَرْفٌ إِذَا سَكَّنْتُهُ نَفَرَ الْقَلْبُ(٦)

٨ وَجِسْمٌ إِذَا جَرَّدْتُهُ مِنْ ثِيَابِهِ ... على النَّاسِ قَالُوا هَكَذَا يَفْعَلُ الْحُبُّ(٧)

---

(١) البجاوى : نوع من الإبل ، منسوب إلى بجاوة ، وهى أرض النوبة ، وبهذه الأرض إبل فرهة ، والزمام : ماتقاد به الدابة ، وكنى بجر زمامها عن أنها لاتحتاج إلى قيادة ، والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم من الإبل ، وأصله بضم النون والجيم ، فسكن الجيم ههنا تخفيفا ، ووقع فى ه « يحاوى بين حوز زمامه » محرفا أشنع التحريف .

(٢) ترجيع الأصوات : ترديدها ، ووقع فى ب « وقد بدا وقور النواحى » وما أثبتناه خير منه ، والوفود : جمع وفد ، وهم القوم الوافدون إلى الأرض المقدسة .

(٣) وقع فى ه « وكل دم أوحى بجمته الركب » وأودى : ذهب .

(٤) جل : عظم ، والقلى ـ بكسر القاف مقصورا ـ البغض ، يقول : إن مابينى و بينك من المودة يعظم عن أن يعتريه البغض ، ووقع فى ه « سواء تدانى القرب أو بعد القرب » .

(٥) لايرنق : لايكدر ، وأراد أنه لايحبس ، ولا تخبو : لاتخمد ولا تنطفى .

(٦) يمور : يضطرب و يشتد تحركه ، وقر : سكن وهدأ ، يقول : أنا دائم الشوق إليك فإذا قر قلبى اضطرب ناظرى ، و إذا أنا سكنت طرفى قلق قلبى .

(٧) وقع فى ب « جردته من قميصه » يقول : إن جسمه ناحل هزيل من أثر الشوق ، فلو أبداه للناس لأقروا بأنه محب .

٩ فَمَالِي على مَابِي أُعَنِّفُ فى الهوَى ... وَيُرْمِضُنِى العَذْلُ المؤَنِّبُ وَالْعَتْبُ(١)

١٠ على حِينِ أعْطيكَ الْوَفاء مُصَرَّحًا ... وَأُصْفيكَ مَحْضَ الْوُدِّ مَاعَظُمَ الْخَطْبُ(٢)

١١ وَكُنْتُ إذا فَارَقْتَ دارَكَ سَاعَةً ... صَمَتُّ فلا جِدٌّ لَدَىَّ وَلَا لِعْبُ(٣)

١٢ ألا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِمَيْثَاءَ يَلْطَى فى أباطِحِهَا التربُ(٤)

١٣ تَطَرَّقَهَا ماءُ الْغَمَامِ وَدَرَّجَتْ ... بِهَا الرِّيحُ مُخْضَرًّا كما نُشِرَ الْعَصْبُ(٥)

١٤ وَهَلْ أذْعَرَنْ قَلْبَ الظَّلام بِفِتْيَةٍ ... تَهَاوَى بِهِمْ قُودُ السَّوَالِفِ أوْ قُبُّ(٦)

---

(١) يرمضنى : أصل معناه الحرقى يجلسنى على الرمضاء ، وهى شدة حرارة الرمل ونحوه ، وأراد ههنا يحرقنى ، ووقع فى ب « العذل المؤرق » وهو الذى يصيب بالأرق ويبعد النوم عن أجفان من أصابه .

(٢) أصل الصريح اللبن الذى لا رغوة فيه ، والمصرح ههنا : الخالص من الشوائب ، ونظيره « محض الود » والخطب : الأمر الجلل . يقول : إذا نزل أمر عظيم وجدتنى أصفى الناس ودا وأصرحهم محبة .

(٣) وقع فى ه « إذا فارقت دهرك ساعة » وليس بشىء ، ووقع فيها أيضا « فلا هزل لديك ولا لعب » ولا يتسق معناه ، يقول : إنى لأهابك وأجلك ، حتى إنك لو خرجت من دارك فوقع نظرى عليك انقطعت عن الكلام وعن كل شىء فلا تجدنى أفعل شيئا جدا كان أو هزلا .

(٤) الميثاء : الأرض السهلة ، ويلطى : يلزق ، وأصله يلطأ ـ بالهمز ـ فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ماقبلها ، ووقع فى ه « يلظى » بالظاء المعجمة ـ ولعله فهم أن المعنى يتقد ترابها ، ولا يتمنى ذلك أحد .

(٥) تطرقها : نزل بها ، وماء الغمام : المطر ، ووقع فى ه « تطوفها » ومعناه طاف بها ، والعصب : شجر اللبلاب .

(٦) أذعر : مضارع « ذعره ذعرا » ومعناه أفزعه وأخافه ، وتهاوى : أصله تتهاوى ـ بتاءين ـ فحذف إحدى التاءين للتخفيف ، ومعنى تتهاوى تسرع ، والقود : جمع قوداء ، وهى فى الأصل الفرس إذا كانت طويلة الظهر ، وأراد هنا الطويلة ، والسوالف : جمع سالفة ، وهى

١٥ وَهَلْ أَرِدَنْ ماءَ وَرَدْنَا بِمِثْلِهِ جَمِيعاً وَفِى غُصْنِ الْهَوَى ورقٌ رطْبُ[1]

١٦ وَهَلْ لِى بِدارٍ أَنْتَ فِيهَا إِقَامَةٌ فأَنْشُرَ مَا تَطْوِى الرَّسَائِلُ والكُتْبُ

١٧ سَلَوْتُ الْمَعالى إِنْ سَلَوْتُكَ سَاعَةً وما أنا إِلاَّ مُغْرَمٌ بِالْعُلَا صَبُّ

* * *

٦١ - وقال [من الطويل] :

١ يَقَرُّ بِعَيْنِى أَنْ أَرَى لكَ مَنْزِلًا بِنَعْمانَ يَزْكُو تُرْبُهُ وَيَطِيبُ

٢ وأَرْضاً بِنَوَّارِ الأَقاحِ صَقِيلَةً تَرَدَّدُ فِيها شَمْأَلٌ وجَنُوبُ[2]

٣ وأَىُّ حَبِيبٍ غَيَّبَ النأْىُ شَخْصَهُ وَحَالَ زَمَانٌ دُونَهُ وَخُطُوبُ

٤ تَطاوَلَتِ الأَعْلامُ بَيْنِى وبَيْنَهُ وأَصْبَحَ نائِى الدَّارِ وَهْوَ قَرِيبُ[3]

من الفرس مقدم العنق ، ووقع فى ه « قود النوالف » محرفا ، والقب : جمع قباء أوأقب ، وهى ضامرة البطن ، وهو مما يمدح فى الخيل .

(١) يتمنى أن يقضى وقتا عند ماء معهودله قبل أن يتطاول العهد بهواه ، وقد شبه الهوى بشجرة ذات أغصان وأوراق ، وجعل وجود الورق الرطب الطرى الذى لم يجف فى هذه الشجرة دليلا على بقاء الهوى واقتباله .

(٢) وقع فى ه « وأرضى بنوار الأقاح » محرفا ، و « أرضا » معطوف على « منزلا » فى البيت السابق ، والنوار - بزنة رمان - نور الزهر ، والأقاحى : جمع أقحوانة ، وهى نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء وأوراق زهره مفلجة ، ومن أجل ذلك يشبهون بها الأسنان فتراهم يقولون « افترت فلانة عن نور الأقحوان » مثلا ، وتردد : أصله تتردد ، وقد حذف إحدى التاءين ، والشمأل - بهمزة بعد الميم وبزنة جعفر - ريح الشمال ، ووقع مهموزا أيضا فى قول امرىء القيس :

فَتُوضِحَ فَالْمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِما نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوب وشَمْأَلِ

(٣) نائى الدار : بعيدها ، وكان عليه أن يجىء به مفتوح الياء ، إلا أنه كثيرا مايعامل المنصوب معاملة المرفوع ، وله نظائر كثيرة فى العربية ، وقد ذكرنا بعضها فى أكثر من مناسبة .

٥ لَكَ اللهِ مِنْ مَطْلُولَةِ القَلْبِ بِالْهَوَى ... قَتِيلَةِ شَوْقٍ ، وَالْحَبِيبُ غَرِيبُ (١)

٦ أُقِلُّ سَلَامِى إِنْ رَأَيْتُكِ خِيفَةً ... وَأُعْرِضُ كَيْمَا لَا يُقَالَ مُرِيبُ (٢)

٧ وَأَطْرِقُ وَالْعَيْنَانِ يُومِضُ لَحْظُهَا ... إِلَيْكِ وَمَا بَيْنَ الضُّلُوعِ وَجِيبُ (٣)

٨ يَقُولُونَ مَشْغُوفُ الْفُؤَادِ مُرَوَّعٌ ... وَمَشْغُوفَةٌ تَدْعُو بِهِ فَيُجِيبُ (٤)

٩ وَمَا عَلِمُوا أَنَّا إِلَى غَيْرِ رِيبَةٍ ... بَقَاءَ اللَّيَالِى نَغْتَدِى وَنَئُوبُ (٥)

---

(١) مطلولة القلب بالهوى : أصل هذه العبارة قولهم « طلت السماء الأرض تطلها » من باب نصر ـ إذا أصابتها بالطل، وهو المطر الخفيف، شبه قلبها بالأرض، وشبه الهوى بالمطر الخفيف، لأن بالهوى حياة القلوب كما أن بالمطر حياة الأرضين .

(٢) أقل سلامى : أجعله قليلا ، وخيفة : مفعول لأجله ، أى أفعل ذلك خوفا من الوشاة ، وأعرض : يريد أنه يوجه بصره نحو جهة أخرى ، ومريب : ذو ريبة. وهذا البيت متصل المعنى بقول ابن أبى ربيعة :

إِذَا جِئْتَ فَامْنَحْ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرَنَا ... لِكَىْ يَحْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ

وبقول الآخر :

إِذَا جَنَّ جُنْحُ اللَّيْلِ فَلْتَأْتِ وَلْتَكُنْ ... خُطَاكَ خِفَافًا إِنَّ حُرَّاسَنَا أُسْدَا

وبقول عبد الله بن الدمينة :

أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ وَارِدًا ... وَلَا صَادِرًا إِلَّا عَلَىَّ رَقِيبُ

وَلَا سَائِرًا وَحْدِى وَلَا فِى جَمَاعَةٍ ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا قِيلَ أَنْتَ مُرِيبُ

وَهَلْ رِيبَةٌ فِى أَنْ تَحِنَّ نَجِيبَةٌ ... إِلَى إِلْفِهَا أَوْ أَنْ يَحِنَّ نَجِيبُ

(٣) أطرق : أراد أغض بصرى، والوجيب : الخفقان والاضطراب .

(٤) مشغوف الفؤاد : عاشق قد بلغ الحب شغاف قلبه ، ومروع ـ على زنة المفعول ـ قد روعه الحب وخوف الفراق ، وأزعجه وأخافه .

(٥) بقاء الليالى : منصوب على الظرفية ، وجملة « نغتدى » خبر أنا ، ونؤوب : نرجع ، ووقع فى ه « أنى إلى غير ريبة » و « تؤوب » محرفا .

١٠ عَفَافِيَ مِنْ دُونِ التَّقِيَّةِ زَاجِرٌ وَصَوْنُكِ مِنْ دُونِ الرَّقِيبِ رَقِيبُ(١)

١١ عَشِقْتُ وَمَا لِي، يَعْلَمِ اللهُ، حاجَةٌ سِوَى نَظَرِي، وَالْعَاشِقُونَ ضُرُوبُ(٢)

١٢ وَمَا لِيَ يَا لَمْيَاءَ فِي الشِّعْرِ طائِلٌ سِوَى أن أشْعَارِي إلَيْكِ نَسِيبُ(٣)

١٣ أُحِبُّكِ حُبًّا لَوْ جَزَيْتِ بِبَعْضِهِ أطاعَكِ مِنِّي قَائِدٌ وَجَنِيبُ(٤)

١٤ وَفِي الْقَلْبِ دَاءٍ فِي يَدَيْكِ دَوَاؤُهُ ألا رُبَّ داءٍ لا يَرَاهُ طبيبُ

---

(١) التقية ـ بفتح التاء وكسر القاف وتشديد الياء مفتوحة ـ التوقى وأخذ الحذر من الوشاة ونحوهم، وزاجر : رادع لى عن الريبة ، وصونك : أرادبه ماعتادته من التصون والمحافظة، ووقع فى ه « من دون النقيبة » محرفا . يريد أن له من عفاف نفسه وطهارتها زاجرا يردعه عن كل ريبة ، وأن لها من تصونها ومحافظتها رقيبا يزعها ، فلا يحتاج أحدهما إلى رادع .

(٢) العاشقون ضروب : أشكال متخالفة .

(٣) لمياء : الوصف من اللمى ـ بفتح اللام مقصورا ـ وهو سمرة فى باطن الشفة ، والرجل ألمى ، والمرأة لمياء ، وذلك مما يستحسنه الذوق العربى غاية الاستحسان ، قال ذو الرمة :

لَمْيَاءُ فى شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسٌ وَفى اللِّثَاتِ وَفى أنْيَابِهَا شَنَبُ

وفى ب « بالشعر طائل » و « سوى أن أشعارى عليك »

(٤) يقول : إنى لأحبك أشد الحب وأقواه ، ولو أنك جازيتنى ببعض ماعندى لك لوجدت منى طاعة فوق ماتقدرين ، يريد أنها بخيلة عليه ليست تكافئه عما يكنه لها ولا عن بعضه ، ووصف النساء بالبخل مما يجعله الشعراء مدحا لهن لأنه يدل على التصون والحفاظ ، وهو كثير فى كلامهم، انظر إلى قول الحماسى :

أُحِبُّا على حُبٍّ وأنتِ بخيلة وَقَدْ زَعموا ألاَّ يُحَبَّ بخيلُ

بَلَى، والَّذِي حَجَّ اللبُّونَ بَيْتَهُ ويَشْفى الهوى بالنَّيْلِ وَهْوَ قليلُ

وإنَّ بنا لَوْ تَعْلَمِينَ لَغُلَّةً إلَيْكِ ، كما بالْحَائِمَاتِ غَلِيلُ

وانظر إلى قول الآخر :

١٥ سَرَى لَكِ مِنْ أَوْطانِهِ كلُّ عارِضٍ تَضاحَكَ فِيهِ الْبَرْقُ وَهْوَ قَطُوبُ(١)

١٦ ولا زَالَ خَفَّاقُ النَّسِيمِ مُرَقْرِقاً عَلَيْكِ وَأَنْوَاءُ الْغَمَامِ تَصُوبُ(٢)

* * *

٦٢ — وقال [من الطويل] :

١ أغيبُ فأنْسَى كلَّ شَيْءٍ سِوَى الْهَوَى وَإِنْ فَجَعَتْنِي بِالْحَبِيبِ النَّوَائِبُ(٣)

٢ وَلَا زَادَ يَوْمَ الْبَيْنِ إِلَّا صُبابَةً فَلَا الشَّوْقُ مَنْسِيٌّ وَلَا الدَّمْعُ ناضِبُ(٤)

ما أنْصَفَتْ زَلْفاءُ : أمَّا دُنُوُّهَا فهَجْرٌ ، وأمَّا نأيُها فَيَشُوقُ

تَبَاعَدُ مِمَّنْ وَاصَلَتْ ، وكأنَّها لآخَرَ مِمَّنْ لا تَوَدُّ صَدِيقُ

وإلى قول بعض بنى أسد :

وإنِّى لأَرْجُو الوصْلَ مِنْكِ كما رَجا صَدِى الجَوْفِ مُرْتَادًا كُداهُ صَلُودُ

وكيف طِلَابِى وَصْلَ مَنْ لَوْ سألْتُهُ قَذَى الْعَيْنِ لم يُطْلِبْ ، وذَاكَ زَهِيدُ

ومَنْ لو رأى نَفْسِى تَسِيلُ لَقَالَ لِى: أَراكَ صَحِيحاً والْفُؤَادُ جَلِيدُ

(١) سرى : أراد سار ، وأصله خاص بالسير ليلا ، وأراد بالعارض السحاب الذى يعترض فى الأفق ، وأراد بقوله « تضاحك فيه البرق » أنه ذو صوت ، والقطوب ـ بفتح القاف ـ الوصف من قولهم «قطب فلان وجهه» من باب نصر ، و يأتى بتشديد الطاء ـ إذا زوى ما بين عينيه وكلح ، و بين « تضاحك » و « قطوب » مقابلة .

(٢) خفق النسيم : تحرك واضطرب ، والأنواء : جمع نوء ، وأراد به ههنا المطر ، وتصوب : تنزل .

(٣) فجعتنى : أصابتنى بالفاجعة التى يثقل حملها ويصعب الاصطبار عليها ويشق التخلص منها ، والنوائب : جمع نائبة ، وهى فى الأصل اسم الفاعل المؤنث من « نابه ينوبه » إذا نزل به ، ثم سمى بها النازلة من نوازل الدهر .

(٤) الصبابة ـ بضم الصاد ـ البقية القليلة ، وناضب : اسم الفاعل من « نضب الدمع والماء ونحوهما » إذا غار من العين وجف

٣ أَحِنُّ إِذَا حَنَّتْ رِكَابِى ، وَفِى الْحَشَا بَلَابِلُ لَا تَعْبَا بِهِنَّ النجَائِبُ(١)
٤ فَعِنْدِى اشْتِيَاقٌ مَا يَحِنُّ أَخُو الْهَوَى وَعِنْدِى لُغُوبٌ مَا تَحِنُّ الرَّكَائِبُ(٢)
٥ وَإِنِّى لَأَرْعَى مِنْ وِدَادِ أَحِبَّتِى عَلَى بُعْدِ مَالَا تُرَاعِى الأَقَارِبُ(٣)

***

٦٣ - وقال [من السريع] :

١ هَلْ نَاشِدٌ لِى بِعَقِيقِ الْحِمَى غُزَيِّلًا مَرَّ عَلَى الرَّكْبِ ؟(٤)

---

(١) أحن : أظهر الحنين والشوق ، والركاب : جمع ركوبة ، وأراد بها ما يرتحله من ناقة ونحوها ، والبلابل : أراد بها الأشجان ، و « لا تعبا » بالباء الموحدة - أصله لاتعبأ - بالهمزة - فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ماقبلها ، وقد وقع ذلك فى شعر الرضى كثيرا ، ومعنى لاتعبا لاتهتم ولاتبالى ولا تكترث ، ووقع فى ب « لاتعيا » بالياء المثناة - ووقع فى ه « لاتعبأ » بالهمز - وكلاهما تحريف عما أثبتناه ، والنجائب : جمع نجيبة ، وهى الأصيلة من النوق .

(٢) « ما » فى قوله « ما يحن أخو الهوى » هى الظرفية المصدرية ، يريد أن شوقه دائم لاينقطع ، وأنه حاصل مدة حنين أخى الهوى ، وأخو الهوى : الذى لزمه الهوى وحالفه ، كما يقال : أخو العرب ، وأخو الكرم ، واللغوب - بضم اللام وفتحها - مصدر « لغب الرجل » من باب نصر - لغبا ولغوبا - إذا تعب وأعيا أشد الإعياء ، و « ما » فى « ماتحن الركائب » مثلها فى « مايحن أخو الهوى » .

(٣) بعد : هو هنا بضم العين إتباعا لضم الباء ، وأصل العين ساكنة ، ولكنهم قد يقولون فى « عضن » و « قفل » ساكنى الوسط : عضن وقفل ، بضم ثانيهما إتباعا لضم أولهما ، كما قد يقولون فى « عنق » مضموم الوسط : عنق ، بسكون النون تخفيفا .

(٤) تقول : نشد فلان الضالة ينشدها - من باب نصر - إذا طلبها وبحث عنها ، وغزيلا : تصغير غزال ، وأراد به فتاة جميلة ، ووقع فى ه « غزيل » بلا ألف ، وهو خطأ ، والركب - بفتح فسكون - أصله ركاب الإبل خاصة ، ثم قد يقال على الجماعة المسافرة ولوكانت تركب الخيل .

٢ أَفْلَتَ مِنْ قَانِصِهِ غِرَّةً وَعَادَ بِالْقَلْبِ إِلَى السِّرْبِ(١)

٣ وَاظِمَأً الْقَلْبِ إِلَى مَالِكٍ لا يُحْسِنُ الْعَدْلَ عَلَى الْقَلْبِ(٢)

٤ يُعْجَبُ مِنْ عُجْبِي بِهِ فِي الْهَوَى وَاعَجَبِي مِنْهُ وَمِنْ عُجْبِي(٣)

٥ أَقْرُبُ بِالْوُدِّ وَيَنْأَى بِهِ وَيْلِي عَلَى بُعْدِكَ مِنْ قُرْبِي(٤)

٦ مُنَعَّمٌ يَعْطِفُ مِنْهُ الصِّبَا لَعْبَ الصَّبَا بِالْغُصُنِ الرَّطْبِ(٥)

٧ بَلَادَةُ النِّعْمَةِ فِي طَبْعِهِ وَرُبَّمَا نَاقَشَ فِي الْحُبِّ(٦)

٨ أَمَا اتَّقَى اللهَ عَلَى ضَعْفِهِ مُعَذِّبُ الْقَلْبِ بِلَا ذَنْبِ

---

(١) القانص : الصياد ، والغرة ـ بكسر الغين وتشديد الراء ـ الغفلة ، يريد أنه اهتبل من الصياد غفلته فأفلت من حبالته ، والسرب ـ بكسر السين وسكون الراء ـ جماعة الظباء ، لما شبه الفتاة التى يتغزل فيها بالظبى استتبع ذلك التشبيه ذكر الصياد القانص والإفلات منه والسرب.

(٢) وقع فى ه « لايحسن العذل » بالذال معجمة ـ وهو تحريف ، والعدل ـ بالدال المهملة ـ هو المناسب لقوله « مالك » .

(٣) يعجب ـ بالبناء للمجهول ـ أراد تأخذه الغرابة والدهشة ، والعجب ـ بالضم ـ أراد به التيه و إظهار العظمة ، يريد أنه يتيه على أقرانه بحبه لهذا المالك ، فإذا رأى الحبيب هذا التيه أخذته الدهشة ، ثم تعجب من هذين الأمرين جميعا .

(٤) ينأى : يبعد ، والويل : العذاب، يقول : إنه كلما تقرب من حبيبه بعد حبيبه عنه .

(٥) يعطف : يميل ، والصبا ـ بكسر الصاد فى النصف الأول من البيت ـ زمن الحداثة والصبوة وفتاء السن ، والصبا ـ بفتح الصاد فى النصف الثانى ـ الريح التى تهب من ناحية الشمال، والغصن ـ بضم الصاد ههنا إتباعا لضم الغين ، كما بيناه فى شرح البيت ٥ من القطعة السابقة ، والرطب : اللدن الغض الطرى .

(٦) من عادة الشعراء أن يصفوا أحباءهم بالغرارة والبلادة والكسل وعدم العمل ، لأن ذلك عندهم أثر من آثار النعيم الذى يعيشون فيه ، وكأنهم يرون أن هذا النعيم يكسبهم لدونة فى الجسم وغضاضة وطراءة ، لأن العمل تيبس منه الأعضاء .

٩ يَا مَاطِلًا لِي بِدُيُونِ الْهَوَى مَنْ دَلَّ عَيْنَيْكَ عَلَى قَلْبِي؟!

***

٦٤ — وقال [من الوافر] :

١ رَمَانِي كالْعَدُوِّ يُرِيدُ قَتْلِي فَغَالَطَنِي ، وَقَالَ : أَنَا الْحَبِيبُ

٢ وَأَنْكَرَنِي فَعَرَّفَنِي إِلَيْهِ لَظَى الأَنْفَاسِ وَالنَّظَرُ الْمُرِيبُ(١)

٣ وَقَالُوا: لِمْ أَطَعْتَ؟ وَكَيْفَ أَعْصِي أَمِيراً مِنْ رَعِيَّتِهِ الْقُلُوبُ؟(٢)

***

---

(١) وقع في هـ « وعرفني إليه » والفاء هنا أدق من الواو ، واللظى — بفتح اللام مقصورا — التوقد والاضطرام ، والأنفاس : جمع نفس — بفتح النون والفاء جميعا — وهو مايصعده من جوفه ، وقد اعتاد الشعراء أن يذكروا التهاب صدورهم ، واحتراق أجوافهم مما تكن من العشق ، وانظر إلى قول الحماسى :

هَلِ الْعِشْقُ إلا أنَّ قلْبيَ لَوْ دَنَا مِنَ الجمرِ قِيدَ الرمْحِ لاحْتَرَقَ الجمرُ

كما اعتادوا أن يجعلوا تصعد الزفرات واضطراب اللحظات وشحوب الألوان وهزال الأبدان ، من علامات العشق وأماراته ، وانظر إلى قول الشاعر :

وما الحبُّ حتى يَلْصِقَ الجِلْدُ بالحَشَى وتخرسَ حتى لاتجيبَ المناديا

وتضعُفَ حتى لايُبَقِّيَ لَكَ الهوَى سِوَى مُقْلَةٍ تبكي بها وتُناجِيَا

ثم انظر إلى قول الآخر :

وللحُبِّ آياتٌ تَبَيَّنُ بالْفَتَى شحوبٌ وتَعْرَى من يَدَيْهِ الأَشاجعُ

(٢) مفعول « أطعت » محذوف يدل عليه الكلام ، والتقدير : لم أطعت الهوى ، أو لم أطعت المحبوب ، أو نحو ذلك ، أو أنه استعمل الفعل المتعدى استعمال الفعل اللازم ، يريد — على هذا — لم كانت منك الطاعة والانقياد والاستسلام ؟ .

٦٥ - وقال [من الكامل] :

١ وَشَمِمْتُ فى طَفَلِ العَشِيَّةِ نَفْحَةً ... حَبَسَتْ بِرَامَةَ صُحْبَتِى وَرِكَابِى (١)

٢ مُتَمَلْمِلِينَ عَلَى الرِّحالِ، كأنَّمَا ... مَرُّوا بِبَعْضِ مَنَازِلِ الأَحْبَابِ

٣ ذَكَرَتْ لى الأَرَبَ القديمَ مِنَ الْهَوَى ... عَهْدَ الصِّبَا وَلَيَالِىَ الأَطْرَابِ (٢)

٤ فَبَعَثْتُ دَمْعِى ثم قُلْتُ لِصَاحِبِى: ... إيهاً دُمُوعَكَ يَا أَبَا الْغَلَّابِ (٣)

٥ فى سَاعَةٍ لما الْتَفَتُّ إلى الصِّبَا ... بَعُدَتْ مَسَافَتُهُ عَلَى الطُّلَّابِ

٦ وَتأَرَّجَتْ مِنْهَا ذَلَاذِلُ رَيْطَتى ... حَتَّى تَعَارَفَ طِيبَهَا أَصْحَابِى (٤)

---

(١) طفل العشى - بفتح الطاء والفاء جميعا - الوقت قبيل غروب الشمس ، وفى لامية الطغرائى:

مَجْدِى أَخِيرًا ومَجْدِى أَوَّلاً شَرَعٌ ... والشَّمْسُ رأْدَ الضحى كالشَّمسِ فى الطفلِ

وقالوا أيضا «طفل الفداة» وهو بعيد طلوع الشمس ، ويطلق الطفل أيضا على الظلمة . والنفحة - بفتح النون وسكون الفاء - الرائحة ، وأراد الريح المنبعثه من جهة أحبابه.

(٢) الأرب - بفتح الهمزة والراء جميعا - الغرض والبقية والمقصد ، و «عهد الصبا» يجوز أن يكون منصوبا على أنه ظرف زمان ، أى فى عهد الصبا ، وهو زمانه ووقته ، ويجوز أن يكون انتصابه على أنه بدل من قوله « الأرب القديم » أى ذكرت لى الأرب القديم الذى هو ماتعاهدنا عليه فى وقت الصبا . والاطراب: يجوز قراءته بفتح الهمزة فيكون جمع طرب ، وهو الخفة التى تعترى الإنسان ، و يجوز أن يكون بكسر الهمزة على أنه مصدر « أطرب فلان فلانا » أى بعث الطرب إلى نفسه .

(٣) بعثت دمعى : أثرته من مواطنه ، وأراد أنه سفحه وسكبه ، وإيها : اسم فعل معناه زدنى من حديثك ،ووقع فى ب «إينه» بكسر الهاء منونة أيضا ، وكلاهما صحيح ، و «دموعك» منصوب على أنه مفعول بفعل محذوف ، وكأنه قال : اسكب دموعك .

(٤) تأرجت : تعطرت وصار لها أريج ، وهو الريح الطيبة ، والذلاذل : جمع ذلذل - بضم الذالين بينهما لام ساكنة - وهو أسفل القميص ونحوه ، والريطة - بفتح الراء وسكون الياء - الملاءة إذا كانت من قطعة واحدة وكلها نسيج واحد ، ووقع فى ب « زلازل ريطتى » بزاءين ،

٧ فكأنّما استعبقتُ فأرةَ تاجرٍ وبعثتُ فضلتَها إلى أثوابى[1]

٨ أشكو إليكِ، ومن هواكِ شكايتى ويهونُ عندكِ أن أبيتَ بما بى[2]

٩ يا ماطلى بالدَّيْنِ وهوَ محبَّبٌ مَنْ لى بدائمِ وعدِكِ الكذّابِ

* * *

٦٦ – وقال [من الخفيف] :

١ أىُّ عيدٍ منَ الهوى عادَ قلبى بعدَ ما جعجعَ الدُّجَى بالركبِ[3]

وهو تحريف ، ووقع فى ه «ر بطق» بالباء الموحدة – وهو تحريف أيضا ، والضمير فى « منها » يعود إلى النفحة التى ذكرها فى أول الأبيات ، والمعنى أن هذه الريح العبقة قد علقت بثيابه .

والشعراء يذكرون أنهم سفحوا دموعهم حتى بللت نحورهم والمحامل التى يتقلدونها وأطراف ثيابهم ، ونحو ذلك ، انظر إلى قول امرئ القيس بن حجر :

ففاضتْ دموعُ العينِ منى صبابة على النحرِ حتى بَلَّ دَمْعِى مِحْمَلى

وقول الآخر :

* وارْفَضَّ دَمْعُكَ فوْقَ ظهرِ المِحْمَلِ *

وإلى قول جميل بن معمر :

فكدت ولم أملِك سوابقَ عَبْرَةٍ أهيمُ ، وفاض الدمْعُ منى على النحر

(١) استعبقت : تطلبت عبقها ، وهو طيب ريحها ، وفأرة تاجر : هى وعاء المسك .

(٢) وقع فى ه « أن أبيت لمابى » ووقع فى ب « أن أبيت كما بى » وما أثبتناه خير منهما جميعا ، يريد أنك ترينه هينا أن أبيت باللوعة التى تلازمنى والشوق الذى يحرق كبدى .

(٣) العيد – بكسر العين – كل ما اعتادك من هم أو مرض أو حزن ونحو ذلك ، وقال الشاعر :

* فالقلبُ يعتادُهُ من حُبِّها عيدُ *

والأصل فى « جعجع » أن يقال : جعجع فلان ناقته ، إذا أبركها ، ويقال : جعجع بفلان ، إذا حبسه أو ضيق عليه أو ألزمه الجعجاع ، والجعجاع هو الأرض ، والدجى : شدة ظلام الليل ،

٢ لَوْ دَعانِي مِنْ غَيْرِ أَرْضِكِ دَاعٍ لِغَرَامٍ لَكُنتُ غَيْرَ مُلَبِّ(١)

٣ أَيْنَ ظَبْيٌ بِذِي النَّقَا يُوقِدُ النَّا رَ عِشَاءً بِالْمَنْدَلِيِّ الرَّطْبِ(٢)

٤ كُلَّما أُخْمِدَتْ زَهَاهَا بِضَوْءِ الْـ ـحُسْنِ مِنْ جِيدِهِ وَضَوْءِ الْقُلْبِ(٣)

٥ سَكَنَ الْهَضْبَ مِنْ مِنًى فَوَجَدْنَا أَثَرًا لِلْهَوَى بِذَاكَ الْهَضْبِ(٤)

٦ لَيْتَ أَحْبَابَنَا وَقَدْ أَشْرَقُونَا سَوَّغُونَا بَرْدَ الزُّلَالِ الْعَذْبِ(٥)

٧ يَالَهَا نَظْرَةً عَلَى الشِّعْبِ دَلَّتْـ ـنِي غُرُورًا عَلَى غَزَالِ الشِّعْبِ

٨ اقْسِمُوا السُّوءَ بَيْنَ قَلْبِي وَعَيْنِي لِمْ جَنَى نَاظِرِي فَعُذِّبَ قَلْبِي(٦)

***

والركب : الجماعة يركبون الإبل ، يقول : لقد عاودنى الشوق إليها وساورتنى الأحزان عند مااضطر ظلام الليل الركبان إلى النزول والإناخة ، وهذا البيت ينظر إلى قول الشاعر :

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حتى إذا بَدَا لِيَ اللَّيْلُ هَزَّتنى إليْكِ المضاجعُ

(١) غير ملب : غير مجيب لدعائه .

(٢) المندل ـ بفتح الميم والدال بينهما نون ساكنة ـ العود الذى يتبخر به ، وقيل : هو أجود أنواع العود ، وقال كثير :

وما رَوضَةٌ بالْحَزْنِ طيبَةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدَى جَثْجَاثُهَا وعَرَارُهَا

بأطْيبَ من أرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنًا إذا أُوقِدَتْ بالمندل الرطب نارُهَا

(٣) أخمدت : سكنت وخبت ، وزهاها : أوقدها وأضرمها ، تقول « زها فلان السراج » تريد أنه أضاءه

(٤) وقع فى ب « سكن الهضب من قبا » يريد أن حسن هذا الغزال يدعو إلى الصبابة به ، فكلما سكن ناحية هاج قلوب أهلها وأثارها ودعاها إلى الكلف به .

(٥) أشرقونا : أغصونا بريقنا أو بدموعنا ، وسوغونا : أباحوا لنا أو مكنونا من إزالة الغصص ، وأراد ببرد الزلال العذب مجاجة ريقهم .

(٦) يقول : لاتجعلوا قلبى وحده هو المعذب بحبكم ، فإن عينى هى سبب هذا التعلق ، والعدل يقتضى أن يقسم عقاب الجناية على من اقترفوها ، فاجعلوا بعض العذاب لعينى و بعضه لقلبى .

٦٧ — وقال [من الطويل] :

١ ألا أيُّهَا الرَّكْبُ اليَمَانُونَ عَهْدُكُمْ ... عَلَى مَا أَرَى بالأَبْرَقَيْنِ قَرِيبُ (١)

٢ وَإِنَّ غَزَالًا جُزْتُمُ بِكِنَاسِهِ ... عَلَى النَّأْيِ عِنْدِي وَالْمِطَالِ، حَبِيبُ (٢)

٣ ولما الْتَقَيْنَا دَلَّ قَلْبِي عَلَى الْجَوَى ... دَلِيلَانِ حُسْنٌ فِي العُيُونِ وَطِيبُ (٣)

٤ وَلِي نَظْرَةٌ لَا تَمْلِكُ العَيْنُ أُخْتَهَا ... مَخَافَةَ يَنْثُوهَا عَلَيَّ رَقِيبُ (٤)

---

(١) الأبرق فى الأصل المكان الغليظ فيه حجارة ورمل وطين ، وسمت العرب أمكنة بأعيانها برقة — بضم الباء وسكون الراء — وأبرق ، و برق ديار العرب تربى على المائة ، منها برقة ثهمد التى يقول فيها طرفة بن العبد البكرى فى مطلع معلقته :

لخولةَ أطلالٌ ببُرْقَةِ ثَهْمَدِ ... تلوحُ كباقى الوشمِ فى ظاهِرِ اليَدِ

(٢) جزتم بكناسه : مررتم به ، والكناس — بكسر الكاف ، بزنة الكتاب — المكان الذى تتخذه الظباء مأوى لها ، ووقع فى ه « جزتم فى كناسه » وما أثبتناه موافق لما فى ب . والنأى : البعد ، والمطال — بكسر الميم — التسويف فى قضاء الدين ، و« حبيب » خبر إن فى أول البيت .

(٣) الجوى : حرقة الحب ، ودل قلبه عليه : أراد قاده لذلك وأوقعه فيه ، والطيب : أراد به عبق الريح ، والشعراء يذكرون أن أردان المحبوب لاتزال تعبق بطيب الريح ، انظر إلى قول امرىء القيس :

ألَمْ تَرَ أنِّى كلما جئتُ زائرًا ... وَجَدْتُ بها طيبًا وإن لم تَطَيَّبِ

وانظر إلى قول جميل بن معمر العذرى :

وكأنَّ طارِقها على عللِ الكَرَى ... والنَّجْمُ وَهْنًا قَدْ دَنَا لِتَغَوُّرِ

نَشْوَانُ ريحِ مُدَامَةٍ مَعْلُولَةٍ ... بِذَكِيِّ مِسْكٍ أَوْ سَحِيقِ الْعَنْبَرِ

(٤) ينثوها : مضارع « نثا فلان الحديث ينثوه نثوا » من باب نصر — إذا حدث به وأذاعه وأشاعه ، ووقع فى ب ، ه « يثنوها » بتقديم الثاء على النون — وهو تحريف . يقول : إنى إذا زرتها لا أنظر إليها أو إلى مكانها غير نظرة واحدة ، ثم لا أعود إلى النظر إليها ، مخافة أن يدرك

٥ وَهَلْ يَنْفَعَنِّى الْيَوْمَ دَعْوَى بَرَاءَةٍ ... لِقَلْبِى ، وَلَحْظِى يَا أُمَيْمَ مُرِيبُ[١]

٦ وَأَنْهَلَنِى فِى الْقَعْبِ فَضْلَ غَبُوقِهِ ... خَلِيطَانِ رِيقٌ بَارِدٌ وَضَرِيبُ[٢]

٧ وَلَوْ نَفَضَتْ تِلْكَ الثَّنِيَّاتُ بَرْدَهَا ... عَلَى الصَّبِرِ الْمَمْرُورِ كَادَ يَطِيبُ[٣]

الرقيب ذلك منى فيحدث به ويذيعه ، وانظر إلى قول جميل :

وَيَحْسَبُ نِسْوَانٌ من الجهلِ أننى ... إذا جِئْتُ ، إيَاهُنَّ كنْتُ أريدُ

فأقْسِمُ طَرْفِى بَيْنَهُنَّ فيَسْتَوى ... وفى الصَّدْرِ بَوْنٌ بينهنَّ بعيدُ

ثم انظر إلى قول كثير عزة

إذا جئتُها وَسْطَ النِّسَاءِ منحتها ... صُدُوداً ، كأنَّ النفسَ لَيْسَ تريدها

ولى نظْرَةٌ بَعْدَ الصُّدود من الجوى ... كنظرة ثكلى قد أُصيبَ وَحِيدُهَا

(١) يقول : إذا كان لحظى ونظرى يبعثان على الريبة والشك فى أمرى و يثبتان على العشق، فهل تفيدنى دعوى أن قلبى خال لاأثر للحب فيه .

(٢) أنهلنى : سقانى النهل ، وهو الشرب أول مرة ، والعلل : الشرب ثانى مرة ، والقعب : القدح ، والغبوق ـ بفتح الغين ـ الشرب وقت العشى ، والريق ـ بكسر الراء ـ ماء الفم ، والضريب ـ بفتح الضاد ـ اللبن يحلب من عدة لقاح فى إناء واحد ، وقد وقع هذا البيت فى ه محرفا فى عدة كلمات على الوجه الآتى :

وأنهلنى فى القلب فضلا عرفته ... خليطا ريق بارد وضريب

(٣) الثنيات : جمع ثنية ، وهى إحدى أربع أسنان فى مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل ، وأراد ببردها ماء الفم البارد ، فهومن إطلاق المصدر وإرادة الوصف ، والصبر ـ بفتح الصاد وكسر الباء ـ عصارة شجر مر المذاق ، ووقع فى ه « كان يطيب » محرفا ، يقول : لو أن هذه المحبوبة مجت من ريقها على الصبر المعروف بشدة المرارة لطاب طعمه ولذ مذاقه ، والحديث عن الرضاب وأنه أشهى من العسل، وأكثر مساغا من عذب الماء ، وأنه لو وضع على المرار لساغ ارتشافه ـ مستفيض فى كلام الشعراء ، وانظر إلى ذلك البيت الذى ينسب إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعى :

ولَوْ تَفَلَتْ فى البَحْرِ والبَحْرُ مالحٌ ... لأصْبَحَ ماء البَحْرِ من رِيقِها عَذْبَا

٨ فَيَا بَرْدَ مَاء ذَابَ مَاذِيقَ بَرْدُهُ بَلَى إِنَّ لِي قَلْباً عَلَيْهِ يَذُوبُ(١)

* * *

٦٨ – وقال [من السريع] :

١ يَا رِيمَ ذَا الأَجْرَعِ يَرْعَى بِهِ ثِمَارَ قَلْبِي بَدَلَ الرَّطْبِ(٢)

٢ هُنَاكَ شُرْبُ الدَّمْعِ مِنْ نَاظِرِي يَا مُشْرِقِي بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ

٣ أَنْتَ عَلَى الْبُعْدِ هُمُومِي إِذَا غِبْتَ ، وَأَشْجَانِي عَلَى الْقُرْبِ(٣)

٤ لا أَتبعُ الْقَلْبَ إِلَى غَيْرِكُمْ عَيْنِي لَكُمْ عَيْنٌ عَلَى قَلْبِي(٤)

* * *

وإلى قول شاعر الحماسة :

فَمَا نُطْفَة من حَبِّ مُزْنٍ تَقَاذَفَتْ بِهِ جَنْبَتَا الجُودِيِّ واللَّيْلُ دَامِسُ

فلَمَّا أقرتْهُ اللِّصَابُ تنفستْ شمالٌ لأُعْلَى مائِهِ فهْوَ قارِسُ

بأطْيَبَ مِنْ فِيهَا ، وما ذقتُ طَعْمَهُ ولكنني ، فيها ترى العينُ ، فارِسُ

وانظر إلى قول الحماسى الآخر :

لَئِنْ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْيَابِهَا الْعُلا لأَفقرَ منى إِنَّنى لفقيرُ

(١) وقع صدر هذا البيت فى ه « فيابرد ماء ذيب من ذاق برده » وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ب

(٢) الريم – بكسر الراء – ولد الظبية أول مايولد ، والأجرع : مؤنث الجرعاء ، وهى أرض ذات حجارة وحصى دقاق ، وأراد فتاة أو فتى شبيه الريم ، ولكنه لما استعار الريم له ذكر ماهو من ملائمات المشبه به ، وهو الأجرع ، و « يرعى به » . والرطب – بفتح فسكون – أرادالحشائش التى ترعاها الظباء ونحوها . يقول : إن الريم الذى يناديه لايرعى الرطب ، ولكنه يرعى حبات القلوب وثمارها.

(٣) « على » فى الموضعين بمعنى مع ، والأشجان : جمع شجن – بفتح الشين والجيم جميعا – وهو الهم والحزن .

(٤) عين على القلب : أراد بالعين ههنا الجاسوس ، ويبعد أن يكون قد أراد أنها تعين على

٦٩ — وقال وقد حلق شعره بمنى فى سنة ٣٩٢ فرأى فيه شَعَرَاتٍ(١) بيضاً [من الكامل] :

١ لايُبْعِدَنَّ اللهُ بُرْدَ شَبِيبَةٍ ... أَلْقَيْتُهُ بِمِنًى ورُحْتُ سَلِيبَا(٢)

٢ شَعْرٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّبَابَ غُرَانِقاً ... وَالْعَيْشَ مُخْضَرَّ الْجَنَابِ رَطِيبَا(٣)

٣ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ انْقِرَاضُ شَبِيبَةٍ ... عَجَباً أُمَيْمَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ عَجِيبَا(٤)

٤ قَدْ كَانَ لِي قَطَطاً يُزَيِّنُ لِمَّتِي ... شَرْوَى السِّنَانِ يُزَيِّنُ الأَنْبُوبَا(٥)

القلب وتكثر من بلابله وأحزانه ، فلو أنه أراد ذلك لقال « عون على القلب » .

(١) عبارة ب « وقال وقد حلق وفرته بمنى ، وسنه يومئذ فوق الثلاثين بقليل ، وقد رأى فيها بياضا ، وكان ذلك سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة » اه

(٢) أصل البرد — بضم الباء وسكون الراء — الثوب ، والسليب — بفتح السين — المسلوب .

(٣) الغرانق — بضم الغين وفتح الراء — الشاب الأبيض الجميل ، وجمعه غرانق — بفتح الغين — وقد مضى لذلك نظائر فى شرح البيت ١٧ / ٥١ وقد يقال غرانقة — بزيادة الهاء — قال الشاعر :

فَكَيْفَ وفى أبنَاءِ قَوْمِيَ مَنْكَحٌ ... وَفِتيَانُ هَزَّانَ الطوالُ الغَرَانِقَهْ

ومخضر الجناب : أراد أن كل ناحية من نواحيه كانت سهلة موطأة ، وكل جانب من جوانبه كان لينا ممهدا . يقول : إن الشعر الذى تبدل هو الذى كنت أصحب به زمن الشباب ، وهو الذى طاب لى العيش معه ، وتمهدت لى إبانه أسباب الرفاغة والسرور .

(٤) أميم : منادى مرخم بحرف نداء محذوف ، أراد يا أميمة .

(٥) القطط — بفتح القاف والطاء جميعا — الجعد القصير ، واللمة — بكسر اللام وتشديد الميم — شعر الرأس إذا جاوز شحمة الأذن ، فإن طال حتى جاوز المنكبين فهو جمة — بضم الجيم وتشديد الميم — والشروى — بفتح الشين وسكون الراء مقصورا — المثل ، يقال « فلان لا يملك شروى نقير » يراد أنه لايملك مايساوى نقيرا ، والسنان — بكسر السين — نصل الرمح ، والأنبوب — بضم الهمزة أوله — ما بين العقدتين من القصبة ، يقول : قد كان هذا الشعر قصيرا وكنت أزدان به كما تزدان قصبة الرمح بالسنان .

٥ فَالْيَوْمَ أَطْلُبُ الْهَوَى مُتَكَلِّفاً حَصِرًا ، وَأَلْقَى الْغَانِيَاتِ مُرِيبَا[1]

٦ إِما بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ عَهْدِى بِالشَّبَابِ قَرِيبَا

٧ لَوْ كَانَ يُرْجَعُ ذَاهِبٌ بِتَفَجُّعٍ وجَوًى شَقَقْتُ عَلَى الشَّبَابِ جُيُوبَا[2]

٨ وَلَئِنْ حَنَنْتُ إِلَى مِنًى مِنْ بَعْدِهَا فَلَقَدْ دَفَنْتُ بِهَا الْغَدَاةَ حَبِيبَا[3]

* * *

٧٠ — وقال [من الكامل] :

١ وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمُ وَطُلُولُهَا بِيَدِ الْبِلَى نَهْبُ[4]

---

(١) أطلب ، بتشديد الطاء ـ أصله أطتلب مضارع على مثال أفتعل ، فقلب التاء طاء ثم أدغم الطاء فى الطاء ، وهذه الصيغة تدل على التكلف ، يعنى أنه يتكلف طلب الشباب و يتجشم له ، والحصر ـ بفتح الحاء وكسر الصاد ـ يطلق على الضيق الصدر وعلى المكتوم للسر ، وقال جرير ابن عطية :

ولقَدْ تَسَقَّطَنى الوُشاةُ فصادَفوا حَصِرًا بِسِرِّكِ يا أُمَيْمَ ضَنِينَا

وكلا المعنيين يصح أن يراد هنا ، والمريب ـ بضم الميم ـ الذى يفعل مايبعث على الريبة والشك.

(٢) وقع فى ب « لو كان يرجع ميت بتفجع » وما أثبتناه موافقا لما فى ب أظرف ، والتفجع: إظهار الألم من فاجعة نزلت ، والجوى ـ بفتح الجيم مقصورا ـ الحزن . يقول : لو كان إظهار الحزن و إبداء الألم يرد على الإنسان ما فات منه لكنت أظهر أشد الألم وأبدى غاية الحزن على مامضى من شبابى .

(٣) يقول : إذا كنت أظهر الحنين إلى منى فإنى خليق بذلك، لأننى دفنت فى هذا المكان أحب الأشياء إلى نفسى وهو الشباب .

(٤) وقع فى ه « ولقد وقفت على دارهم » و « طلولها ليد البلا » محرفا ، والأبيات أشهر من قفانبك ، والطلول : جمع طلل ، وهو كل مابقى من آثا الديار غير لاطىء بالأرض ، ونهب: أراد منهوبة تتقسمها العوادى ، فأخبر بالمصدر وهو يريد الصفة .

٢ فَوَقَفْتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِى ، وَلَجَّ بِعَذْلِىَ الرَّكْبُ[١]

٣ وَتَلَفَّتَتْ عَيْنِى ، فَمُذْ خَفِيَتْ عَنِّى الطُّلُولُ تَلَفَّتَ الْقَلْبُ[٢]

* * *

٧١ — وقال ، وهى قطعة عجيبة تشتمل على نسيب وذم للمشيب [ومراثى][٣] فألحقت بهذا الباب تغليبا [لحكم الأول ، لأن السبق له] [من الكامل] :

١ وَلَقَدْ أَكُونُ مِنَ الْغَوَانِى مَرَّةً بِأَعَزَّ مَنْزِلَةِ الْحَبِيبِ الأَقْرَبِ[٤]

٢ أَقْتَادُهُنَّ بِفَاحِمٍ مُتَخَائِلٍ فَيَزِينُنِى وَيَزِينُ لِى وَيَزِينُ بِى[٥]

---

(١) وقع فى ه «حتى لج من لهب» محرفا . وضج : سمع له ضجيج ، واللغب — بفتح اللام والغين جميعا — التعب والإعياء ، والنضو — بكسر النون وسكون الضاد — البعير الذى اشتد هزاله ، والعذل : اللوم فى تسخط ، والركب : جمع راكب ، مثل سفر وشرب ، وأصل الركب جماعة ركاب الإبل خاصة ، يقول : إنه حينما مر على ديار أحبابه وجد أطلالها قد تقسمتها العوادى وجرت عليها الأحداث ، فوقف يسأل هذه الديار عن أحبابه الذين كانوا يسكنونها ، وأطال الوقوف حتى أعيا وتعب بعيره وسمع له ضجيج من الإعياء ، وحتى أخذ رفقته المسافرون معه فى لومه وتعنيفه على ماقطعهم عن السير هذه المدة .

(٢) يقول : إنه سار مع رفقته بعد أن أطالوا لومه وصار يتلفت بوجهه نحو هذه الديار ليديم التمتع بالنظر إليها ، حتى إذا بعدت عنه ولم تعد له قدرة على رؤيتها أتبعها قلبه ، وفى ب «خفيت عنها الطلول» .

(٣) زيادة فى ب ، وليست فى ه .

(٤) يقول : لقد كنت فى فتاء السن وميعة الشباب أنزل من قلوب الحسان أحسن منزلة وأنال من وصلهن ما أرجوه .

(٥) أقتادهن : أقودهن إلى حيث أريد فيكن طوع مقادتى ، والفاحم : الشعر الأسود ، ويزينى : يكون زينة لى أتزين به ، ويزين لى : أى يحبب إلى الصبابة واللهو واتباع الغوانى ، ويزين بى : أى يحبب الحسان فى ويجعل ميلهن إلى ، وكل ذلك بالزاى من الزين ، تقول «زانه يزينه زينا» ضد شانه يشينه شينا ، ووقع فى ب «فيرينى ويرين لى ويزين بى» بالراء المهملة

٣ وَإِذَا دَعَوْتُ أَجَبْنَ غَيْرَ شَوَامِسٍ زَفَّ النِّيَاقِ إِلَى رُغَاءِ الْمُصْعَبِ (١)

٤ فَالْيَوْمَ يَلْوِينَ الْوُجُوهَ صَوَادِفًا صَدَّ الصِّحَاحِ عَنِ الطَّلَى الْأَجْرَبِ (٢)

٥ فَإِذَا لَطَفْتُ لَهُنَّ قَالَ عَوَاذِلِي ذِيبُ الْغَضَاةِ يَرُومُ وُدَّ الرَّبْرَبِ (٣)

٦ فَلَئِنْ فُجِعْتُ بِلِمَّةٍ فَيْنَانَةٍ مَاتَ الشَّبَابُ بِهَا وَلَمَّا يُعْقِبِ (٤)

فى الكلمتين الأوليين وبالزاء فى الثالثة وحدها ، وليس بشىء ، واختلاف حرف الجر كاف كل الكفاية ، وقد بينا معانى الكلمات الثلاثة فظهر أنه مختلف باختلاف حرف الجر .

(١) وقع فى ه « و إذا دعيت » محرفا ، وأثبتنا ما فى ب ، والزف : مصدر « زف الظليم وغيره » إذا أسرع ، ويقال : الزف أول عدو النعام ، و يقال أيضا « زف القوم » إذا أسرعوا ، وفى الكتاب الكريم (فأقبلوا إليه يزفون) أى يسرعون ، والنياق : جميع ناقة ، والرغاء - بضم الراء - صوت البعير ، هنا ، والمصعب : الجمل الذى كرم على أهله حتى تركوه من غير ركوب فصار صعبا ، يقول : كنت وأنا فتى إذا دعوت الحسان لبين دعانى واستجبن لندائى كما تستجيب النياق لدعاء البعير الكريم .

(٢) يلوين الوجوه : يريد يلفتنها و يجعلنها تنظر إلى غير جهتى ، والصوادف : جمع صادفة ، وهى فى الأصل اسم الفاعل المؤنث من «صدف فلان عن فلان» إذا انصرف عنه ، والصحاح : جمع صحيح ، وأراد به السليم ، والطلى : المطلى بالفطران ، فعيل بمعنى مفعول ، والأجرب : الوصف من الجرب ، يقول : لقد تبدلت الحال ، فصرت الآن - بعد ظهور الشيب - إذا دعوت الحسان أعرضن عنى ولفتن وجوههن إلى غير جهتى وهربن منى كما يهرب السليم من الأجرب مخافة العدوى .

(٣) وقع فى ه « فإذا لفظت لهن » ومعناه تكلمت معهن ، ومعنى لطفت لهن : كنت لطيفا فى معاملتهن ، والعواذل : جمع عاذلة ، وهى اللائمة ، والغضى : شجر يشتهر بشدة اشتعاله والتهابه ، وأضاف الذئب إليه لأنه مسكنه ، ويروم : يطلب ، ووقع فى ب «يريغ وصل الربرب» محرفا ، والربرب : أصله القطيع من بقر الوحش ، والنساء تشبه بالبقر فى سعة عيونهن .

(٤) فجعت - بالبناء للمجهول هنا - أراد به أصبت ، واللمة - بكسر اللام - الشعر الذى بلغ شحمة الأذنين ، والفينانة - بفتح الفاء وسكون الياء - أراد الطويلة الحسناء ، ولما يعقب : أراد لم يترك لى خلفا أستعيض به منه ، ووقع فى ه « ولم يعقب » ولا يستقيم الوزن عليه .

٧ فَلَقَدْ فُجِعْتُ بِكُلِّ فَرْعٍ باذِخٍ ... مِنْ عِيصِ مُدْرِكَةَ الأَعَزِّ الأَطْيَبِ (١)

٨ قَوْمِى تَقَارَعَتِ السِّنُونَ عَلَيهِمُ ... فَثَلَمْنَ كُلَّ فَتًى كَحَدِّ المِقْضَبِ (٢)

٩ شُعَباً مُفَرَّقَةً يَطِيرُ فُضَاضُهَا ... كالقَعْبِ مُنْصَدِعاً ولَمَّا يُرْأَبِ (٣)

١٠ هَتَفَ الرَّدَى بِجَمِيعِهِمْ فَتَتَابَعُوا ... طَلَقَ العُطَاسِ بَنِى أَبٍ وَبَنِى أَبِ (٤)

١١ وَرَدُوا وَإِنِّى بَعْدَهُمْ كَظَمِيَّةٍ ... تَسَلُ القَوَارِبَ عَنْ بُلُوغِ المَشْرَبِ (٥)

---

(١) فرع باذخ : أراد فرعا ساميا سامقا ، والعيص ـ بكسر العين ـ الأصل ، ومدركة : هو ابن الياس بن مضر ، والأعز الأغلب : أى العزيز الذى يغلب الأشياء وينال أبعدها منالا ، يقول : إذا كنت أصبت بذلك الشباب فلا عجب فإننى كثير الابتلاء شديد المصاب وكم قد أصبت بفروع هذه الدوحة التى اشتهر فى المجد مغرسها ونالت من العز والجاه فوق مايطمع فيه الطامعون .

(٢) تقارعت : أراد قرع بعضها بعضا ، والسنون : يراد بها الشدائد والأزمات ، وثلمن : كسرن وفللن ، والمقضب : أراد به السيف . يقول : لقد تتابعت الأزمات والشدائد على قومى فنلن منهم نيلا عظيما ، وثلمن حدهم ، وفللن غربهم ، وشبه كل واحد من قومه الذين درجوا بالسيف .

(٣) الشعب : جمع شعبة ـ بضم الشين فيهما ـ وهى الفرقة ، والفضاض ـ بضم الفاء ـ ماتفرق وتناثر من الشىء إذا انكسر ، والقعب ـ بفتح فسكون ـ القدح الضخم الغليظ الجافى ، وقيل : هو القدح الذى يروى الرجل ، والمنصدع : المنكسر ، ويرأب : يصلح ، وتقول « رأبت صدع الإناء » تريد أصلحته .

(٤) هتف الردى بجميعهم : ناداهم الموت ، وتتابعوا : تبع بعضهم بعضا ، وقوله « طلق العطاس بنى أب و بنى أب » لعله أراد به التثاؤب ، فقد اشتهر أنه إذا تثاءب واحد بين جماعة تبعوه كلهم بالتثاؤب واحدا إثر واحد ، فوضع العطاس موضع الثؤباء ، وانظر إلى قول أبى العلاء المعرى :

تَثَاءَبَ عَمْرٌو إِذْ تَثَاءَبَ خَالِدٌ ... بِعَدْوَى وَمَا أَعْدَتْنِىَ الثؤباء

(٥) وردوا : يريد أنهم جميعا ذهبوا ، وأصل الورود إتيان الماء ، وظمية ـ بفتح الظاء وكسر

١٢ طَرَقَ الزمانُ بكلِّ خَطْبٍ بَعْدَهُمْ فإذا رَأَيْتُ عَجِيبَةً لَمْ أَعْجَبِ (١)

***

٧٢ – وقال [من الوافر] :

١ غَدَا فِي الْجِيرَةِ الْغَادِينَ لُبِّي جَمِيعاً ثُمَّ رَاجَعَنِي وَثَابَا (٢)

٢ لَئِنْ فَارَقْتُهُمْ وَبَقِيتُ حَيًّا لَقَدْ فَارَقْتُ قَبْلَهُمُ الشَّبَابَا (٣)

***

٧٣ – وقال [من الوافر] :

١ تَمَلَّ مِنَ التَّصَابِي قَبْلَ تُمْسِي وَلَا أَمَمٌ صِبَاكَ وَلَا قَرِيبُ (٤)

الميم ثم ياء مشددة – فعيلة من الظمأ وهو العطش ، وأصله ظميئة – بالهمز – فقلب الهمزة ياء ثم أدغم الياء فى الياء ، كما قالوا «خطية» فى خطيئة ، و «درية» فى دريئة ، ونحوهما ، و«تسل» أسلهاتسأل ، فألقى حركة الهمزة وهى الفتحة على السين قبلها ثم حذف الهمزة، وشجعه على ذلك أنه يقال فى فعل الأمر « سل » والكثير فى الاستعمال أن يؤتى بالمضارع على أصله فيقال «تسأل» والقوارب: جمع قارب ، وهو الذى يطلب الماء ليلا ، والمشرب : مكان الشرب .

(١) أصل الطروق الإتيان ليلا ، وأراد هنا مطلق النزول بهم ، والخطب : الحادث العظيم ، يقول: . لقدنزل الزمان بكل نوع من أنواع الأحداث ،فلم يبق عنده نوع إلا ابتلاهم به ، فأصبحت لورأيت شيئا من الحوادث التى يعجب الناس منها لم يأخذنى العجب ، لأننى لاأجده جديدا غريبا فأعجب منه .

(٢) الغادين : الذاهبين ، واللب – بضم اللام – العقل ، .ووقع فى ه « ثم أرجعنى » محرفا ، وثاب : رجع، يقول : إن فؤاده سارفى إثر جيرته الذين ارتحلوا وفارقوه .

(٣) يقول : إن كنت قد فارقت هؤلاء الأحباب فلم تفارقنى الحياة من أجلهم فذلك لأننى جلد قد تعودت فراق الأوداء ، ألست قد فارقت شبابى فلم أجزع ولم أقض أسى عليه .

(٤) تمل : استمتع ، تقول « ملاه الله حبيبه » بتشديد اللام – تريد متعه به وأطال حياته

٢ سَوَادُ الرأسِ سِلْمٌ لِلتَّصَابِى وَبَيْنَ الْبِيضِ وَالْبِيضِ الْحُرُوبُ(١)

معه، وفسره الزمخشرى بقوله « طول له الإمتاع به » والتصابى : الميل إلى الصبوة وما يستدعيه الشباب ، ووقع فى ب « حين تمسى » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ه ، ويؤيده البيت الثالث من هذه الأبيات ، والأمم ـ بفتح الهمزة والميم الأولى ـ هو القصد والوسط . يقول : استمتع بما يدعوك إليه الشباب من الصبوة، وأطل الحبل لنفسك فيه، فإنك مقبل على عهد لا تستطيع فيه شيئا من ذلك .

(١) كنى بسواد الرأس عن زمن الشباب ، وسلم : أراد أنه موافق له ، والبيض الأولى أراد بها الشعرات البيض التى تنم عن الشيخوخة ، والبيض الثانية أراد بها الحسان من النساء ، واحدتهن بيضاء . يقول : بين الشباب والصبوة موافقة لا ينفر أحدهما من الآخر ، و بين الشيخوخة والغوانى تنافر أى تنافر ، وهذا معنى مطروق كثير الورود على ألسنة الشعراء ، انظر إلى قول جميل بن معمر العذرى :

تَقُولُ بُثَيْنَةُ لَمَّا رَأَتْ فُنُونًا مِنَ الشَّعَرِ الْأَحْمَرِ
كَبِرْتَ جميلُ وَأَوْدَى الشَّبَابُ فَقُلْتُ بُثَيْنُ أَلَا فَاقْصِرِى
أَتَنْسَيْنَ أَيَّامَنَا بِاللِّوَى وَأَيَّامَنَا بِذَوِى الْأَجْفَرِ
وَإِذْ لِمَّتِى كَجَنَاحِ الغُرَا بِ تُطْلَى بِمِسْكٍ وَبِالْعَنْبَرِ
قَرِيبَانِ مَرْبَعُنَا وَاحِدٌ فَكَيْفَ كَبِرْتُ وَلَمْ تَكْبَرِى

ثم انظر إلى قول البحترى:

عَيَّرَتْنِى بِالشَّيْبِ وَهْىَ بَدَتْهُ فِى عِذَارِى بِالصَّدِّ وَالاجْتِنَابِ
لَا تَرَيْهِ عاراً فَمَا هُوَ بِالشَّيْـ ـبِ ، وَلَكِنَّهُ جَلَاءُ الشَّبَابِ
وَبَيَاضُ الْبَازِىِّ أَصْدَقُ حُسْنًا إِنْ تَأَمَّلْتِ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ

ثم انظر إلى قول محمد بن أبى حازم :

نَظَرَتْ إِلَىَّ بِعَيْنِ مَنْ لَمْ يَعْدِلِ لَمَّا تَمَكَّنَ طَرْفُهَا مِنْ مَقْتَلِى
لَمَّا أَضَاءَتْ بِالْمَشِيبِ مَفَارِقِى صَدَّتْ صُدُودَ مُفَارِقٍ مُتَجَمِّلِ
فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ وَصْلَهَا بِتَذَلُّلٍ وَالشَّيْبُ يَغْمِزُهَا بِأَلَّا تَفْعَلِى

٣ وَوَلاَّكَ الشَّبَابُ عَلَى الغَوَانِى فَبَادِرْ قَبْلَ يَعْزِلُكَ المَشِيبُ(١)

* * *

٧٤ — وقال [من الكامل] :

١ الدَّمْعُ مُذْ بَعُدَ الخَلِيطُ قَرِيبُ وَالشَّوْقُ يَدْعُو وَالزَّفِيرُ يُجِيبُ(٢)

٢ مَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ يَوْمَ فِرَاقِكُمْ تبقى عَلَىَّ نَوَاظِرٌ وَقُلُوبُ

٣ إِنْ لَمْ تَكُنْ كَبِدِى غَدَاةَ وَدَاعِكُمْ ذَابَتْ فَأَعْلَمَ أَنَّهَا سَتَذُوبُ

٤ دَاءٌ طَلَبْتُ لَهُ الأُسَاةَ فَلَمْ يَكُنْ إِلاَّ التَّمَلُّلَ بالدُّمُوعِ طَبِيبُ(٣)

---

(١) ولاك الشباب على الغوانى : جعل لك عليهن الولاية، فأنت قادر على استلاب ألبابهن واستلانة قلوبهن .

(٢) الخليط : أصله الذى يخالطك ويعاشرك ، وأراد أحبابه الذين كانوا معه ، والزفير : النفس الصاعد من الجوف ، ولم يزل الشعراء يصفون مواقف الوداع ، وما يفعل الفراق بقلوبهم وأكبادهم ، انظر إلى قول الشاعر :

إذا رِيعَ قلْبى بالفِرَاقِ تحدَّرَتْ دُمُوعِى مِنْ وَجْدٍ عَلَيْكِ دَخِيلِ

لَعَمْرِى لَمَوْتٌ يَعْتَرِينى فُجَاءَةً أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ فِرَاقِ خَلِيلِ

وانظر إلى قول الآخر :

أيا كَبِدى حُمَّ الفِرَاقُ وَلَمْ أَجِدْ لنفسِىَ مِمَّا حاذَرَتْ مَنْ يجيرُهَا

كأنَّ فؤادِى عظمُ ساقٍ مهيضَةٍ عَنِيفٌ مُدَاوِيهَا بَطِىءٌ جُبُورُهَا

فإنْ عَصَبُوهَا بالجُبَارِ توَجَّعَتْ وَإِنْ تَرَكُوهَا زَادَ صَدْعًا نُفُورُهَا

وانظر إلى قول توبة بن الحمير :

لوْ مَاتَ شَىْءٌ مِنْ مَخَافَةِ فرقةٍ لأَمَاتَنى للبَيْنِ طولُ تخوُّفِى

(٣) الأساة : جمع آس ، مثل غزاة ودعاة وقضاة فى جمع غاز وداع وقاض ، والآسى : هو الطبيب .

٥ إمَّا أقَمْتُ فَإنَّ دَمْعِيَ غالِبٌ لِعَوَاذِلِي وَتَجَلُّدِي مَغْلوبُ(١)

٦ أبقَوْا عَلِيلًا بَعْدَهُمْ لَا بُرْؤُهُ يُرْجَى وَلا الآمالُ فيه تَخيبُ(٢)

٧ كَطَرِيدِ يَوْمِ الْوِرْدِ طَالَ هُيامُهُ فَغَدَا يَحُومُ عَلَى الرَّوَى ويَلوبُ(٣)

٨ بِفُؤادِهِ وَبِصَفْحَتَيْهِ مِنَ الصَّدَى وَمِنَ الرِّمَاءِ عَنِ الْحِياضِ نُدُوبُ(٤)

٩ أسْوَانُ يُفْتِقُ صَبْرُهُ إفْتَاقَةً أمَماً وَيُغْمَرُ بِالْجَوَى فَيَغِيبُ(٥)

***

(١) التجلد : تكلف الصبر وإظهار الاحتمال . يقول : إن أقمت بعد رحيل أحبابى خاننى الصبر وفضحنى البكاء .

(٢) هذا البيت مثل قولهم « فلان لاحى فيرجى ولا ميت فيبكى » يقول : إنهم رحلوا وخلفوا مريضا بحبهم ، فلا شفاؤه مرجو ، ولا الآمال فى إبلاله تنقطع .

(٣) يوم الورد : اليوم الذى ترد فيه الإبل لتشرب ، والهيام ـ بضم الهاء ـ هنا : العطش الشديد ، ويحوم على الروى : يدور حوله ويقرب منه ، والروى ـ بكسر الراء وفتح الواو ـ الشرب ، وهو أحد مصادر « روى » بوزان فرح ـ ووقع فى ب « يحوم على الردى » وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ه ، ويلوب : مضارع « لاب الرجل والبعير أيضا يلوب لوبا » مثل نصر ينصر نصرا ـ ولوابا ولوبانا ، إذا حام ، قال الزمخشرى : « الإبل تلوب حول الماء أى تحوم عطشا » اه . يقول : أنا مثل البعير الذى طال ظمؤه ، حتى إذا جاء يرد الماء مع الوراد ذادوه ومنعوه ، وهو لطول هيامه وشدة عطشه مايزال يدور حول الماء رغبة فى الورود

(٤) الصفحتان : الجانبان ، والرماء ـ بكسر الراء ـ الرمى ، والندوب : جمع ندب ، وهو الجرح . يقول : بفؤاد هذا البعير وبجانبى سنامه جروح مأتاها من العطش ومما يطرده الواقفون على حياض الماء ، والظاهر أن الصدى الذى هو العطش راجع إلى فؤاده ، والرماء عن الحياض راجع إلى الصفحتين .

(٥) أسوان : الوصف من الأسى وهو الحزن ، ويفتق صبره : أراد يظهر ، والأصل فيه قولهم « أفتق قرن الشمس » إذا وجد فتقا من السحاب فبدا منه ، والأمم : القريب ،

٧٥ — وقال [من الطويل] :

١ سَأَصْبِرُ إِنَّ الصَّبْرَ مُرٌّ صُدُورُهُ ... أَلَا رُبَّمَا لَذَّتْ لِقَلْبِي عَوَاقِبُهْ

٢ وَلَا بُدَّ أَنْ نُعْطَى عَلَى الْبُعْدِ دُولَةً ... فَنَأْمَنَ بَيْنًا أَوْ رَقِيبًا نُرَاقِبُهْ(١)

٣ فَلَا قَلْبَ لِي إِلَّا وَأَنْتِ حِجَابُهُ ... وَلَا سِرَّ لِي إِلَّا وَذِكْرُكِ حَاجِبُهْ

* * *

٧٦ — وقال ، وكتب بها إلى بعض أصدقائه [وقد استزاره] [من المتقارب] :

١ وَأَبْيَضَ كَالنَّصْلِ مِنْ هَمِّهِ ... قِرَاعُ الْمَطَالِبِ لِلطَّالِبِ(٢)

٢ أَنِيسُ الْيَدَيْنِ بِبَذْلِ النَّوَالِ ... إِذَا احْتَشَمَتْ رَاحَةُ الْوَاهِبِ(٣)

٣ فَتًى كَمَّلَ الْمَجْدُ أَخْلَاقَهُ ... فَسَدَّ الْفِجَاجَ عَلَى الْعَائِبِ(٤)

ويغمز — بالراء المهملة ، مبنى للمجهول — أى يعمه الحزن ، ووقع فى ب «ويغمز» بالزاى ، وهو تحريف.

(١) أصل الدولة أن يتعاقب الناس الشىء يأخذه هذا مرة وهذا مرة ، وأراد أنه لابد لهم من أن يكون لهم يوما من الأيام انتصار وغلبة على البعد بلقاء دائم، ووصل لا هجر فيه .

(٢) أبيض : أراد به رجلا كريم الخيم طيب الأرومة ، وشبهه بالنصل — وهو السيف أو نصل الرمح — تتميما وكشفا لوصفه بالبياض ، أو لأنه يقطع الخطوب ويفريها ، وقراع المطالب: مقارعتها والغلبة عليها حتى يحرزها ويعطيها لطالبها .

(٣) يريد أن يديه قد تعودتا البذل والعطاء ، وأنهما تأنسان بذلك وتستريحان إليه، فى الوقت الذى تنقبض فيه أيدى الواهبين فلا تجود .

(٤) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق فى الجبل ، وفى القرآن الكريم (يأتين من كل فج عميق) والعائب : الذى يذكر العيوب ويعددها . يقول : ليس فيه موطن يستطيع المتنقص أن يأتيه منه ، لأن المجد وشرف الآباء وكرم النفس قد كملوه من كل جهاته ، فلا مطعن فيه ولا مغمز .

٤ دَعَا فأطَعْتُ وَكانَ الدُّعَاءُ إلَى الْفَخْرِ وَالشَّرَفِ الرَّاتِبِ (١)

٥ وَكُنْتُ إلَى مِثْلِهَا فِي النُّهُو ضِ أثْقَلَ مِنْ كاهِلِ الْحَاطِبِ (٢)

* * *

٧٧ — وقال فى معنى آخر [من البسيط] :

١ أبْرَا إلى الْمَجْدِ مِنْ حِرْصِي عَلَى الطَّلَبِ وَمِنْ قِرَاعِي عَلَى الأرْزَاقِ وَالرُّتَبِ (٣)

٢ لَوْ أنْصَفَ الدَّهْرُ دَلَّتْنِي غَيَاهِبُهُ عَلَى الْمُنَى بِضِيَاءِ الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ (٤)

٣ مَا يَنْفَعُ الْمَرْءَ أحْسَابٌ بِلَا جِدَةٍ أليْسَ ذَا مُنْتَهَى حَظِّي وَذَاكَ أبِي (٥)

---

(١) أطعت : أراد به أجبت ، والشرف الراتب : الثابت المجتمع .

(٢) النهوض : القيام بالأمر والاستقلال به ، والكاهل : مابين السنام والعنق ، والحاطب : الذى يجمع الحطب ، ومن عادة الحاطب أن يحزم مايجمعه ثم يحمله على كاهله فيثقل ذلك عليه ، فضرب به مثلا لثقل ماحمله ونهوضه به .

(٣) أبرا : أصله أبرأ ـ بالهمز آخره ـ فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ماقبلها ، وأبرأ : مضارع برىء فلان من كذا براءة ، إذا تنصل منه ، وقراع الأقران ونحوها : منازلتها ومضاربتها ، والرتب : جمع رتبة ، وهى المنزلة ، يقول : أنا غير حريص على السعى لإحراز مطالبى ، ولكنها تجيئنى من غير سعى ولا دأب لأنها تعرف أكفاءها من الناس والمستحقين لها

(٤) دلتنى : أرشدتنى وعرفتنى ، والغياهب : جمع غيهب ، وهى الظلمة الشديدة ، يقول : لو كانت الأمور تسير وفق النصفة والعدل لكان مثلى خليقا بأن يبلغ أقصى منازل العلا ، لما فطرت عليه من ثاقب الفكر ، ولما أنتمى إليه من شريف الحسب .

(٥) الجدة ـ بكسر الجيم ـ الغنى والسعة . يقول : قد فسد الزمان حتى أصبح الناس لايصلون إلى مايستحقون ، وما عاد أحد ينتفع بكرم أحسابه وشرف آبائه ، وإنما ينتفعون بقدر ماعندهم من السعة ، ثم قال : أليس هذا الذى أنا فيه من الضيق هو مقدار ما أصبت من حظوظ الدنيا مع أن شرفى لايدفع وحسبى معروف مشهور لا ينازع ؟!

٤ الآنَ أطْلُبُ ثَارَاتِي بِمُقْرَبَةٍ ... خَدَعْتُهَا عَنْ غَمِيرِ النَّوْرِ وَالْعُشُبِ (١)

٥ يَجُولُ صَدْرُ الضُّحَى فِى أُفْقِ قَسْطَلِهَا ... وَالْيَوْمُ بَيْنَ الْعَوَالِى ضَيِّقُ اللَّبَبِ (٢)

٦ أَنْضَيْتُ سِتًّا وعِشْرًا ما قَضَيْتُ بِهَا ... عَلَى الْمُنَى وَطَرًا إلاَّ مِنَ الأَدَبِ (٣)

***

٧٨ — وقال [فى غرض له] [من الوافر]:

١ لَعَلَّ الدَّهْرَ أَمْضَى مِنْكَ غَرْبًا ... وأَقْوَى فى الأُمُورِ يَدًا وقَلْبَا (٤)

---

(١) المقربة — بضم الميم وسكون القاف وفتح الراء — وهى الفرس التى يقرب صاحبها مربطها ومعلفها لكرامتها عليه، وهى أيضا الناقة التى أعدت للركوب، والنور — بفتح النون وسكون الواو — زهر النبت، وغميره: مايغمر وجه الأرض منه، والعشب: الكلأ، وأصله بضم العين وسكون الشين، وقد ضم الشين هنا إتباعا لضم العين قبلها، ويشبه هذا البيت قول المتنبى:

إذا شِئْتُ حَفَّتْ بى على كلِّ سابِحٍ ... رِجَالٌ كأنَّ الْمَوْتَ فى فَمِهَا شُهْدُ

وقوله أيضا من قصيدة البيت السابق:

سَأَطْلُبُ حَقِّى بِالْقَنَا ومَشَايِخٍ ... كأنَّهُمُ من طولِ ما التثموا مُرْدُ

ثِقالٌ إذا لاقَوْا خِفافٌ إذا دُعُوا ... كثيرٌ إذَا شَدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

(٢) القسطل — بزنة جعفر — الغبار مطلقا، ويقال: هو خاص بغبار الحرب، والعوالى: جمع عالية، وأراد بها هنا الرماح من إطلاق اسم الجزء وإرادة كله، واللبب — بفتح اللام والباء الأولى جميعا — أصله مايشد من سيور السرج فى اللبة من صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل، ويضربون ضيق اللبب مثلا لضيق الحال والكرب، كما يضربون سعته مثلا للسعة والرخاء فيقولون «فلان فى لبب رخى»

(٣) وقع فى ه «سوى المنى وطرا إلا من الأدب» وليس بشىء، والمنى: جمع منية، بوزن مدية ومدى، وهى مايتمناه الإنسان.

(٤) الغرب — بفتح الغين وسكون الراء — حد السيف.

٢ وَمُقْلَتُهُ إِذَا لَحَظَتْ حُسَامِى تغض مَهَابَةً وَتَفِيضُ رُعْبَا(١)

٣ فَكَيْفَ وأَنْتَ أَعْمَى عَنْ مَقَالِى وَلَوْ عَايَنْتَهُ لَرَأَيْتَ شُهْبَا(٢)

٤ عَذَرْتُكَ أَنْتَ أَرْدَى النَّاسِ أَصْلًا وأَخْبَثُ مَنْصِبًا وأَذَلُّ جَنْبَا(٣)

٥ وَأَنْتَ أَقَلُّ فِى عَيْنَىَّ مِنْ أَنْ أُرُوعَكَ أَوْ أَشُنَّ عَلَيْكَ حَرْبَا(٤)

٦ أَأَعْجَبُ مِنْ خِصَامِكَ لِى وَجَدِّى رَسُولُ اللهِ يُوسِعُ مِنْكَ سَبَّا(٥)

٧ وَمَنْ رَجَمَ السَّمَاءَ فَلَا عَجِيبٌ يُقَالُ حَثَا بِوَجْهِ الْبَدْرِ تُرْبَا(٦)

---

(١) المقلة ـ بضم الميم وسكون القاف ـ العين ، ولحظت : نظرت ، وتغض : تطرق وتجعل نظرها إلى أسفل أو تغمض ، وذلك يعترى الإنسان عند الاستحياء والخجل ونحوهما ، و «مهابة» مفعول لأجله ، والرعب ـ بالضم ـ أعظم الخوف

(٢) الشهب : جمع شهاب ، وهو كوكب الرجم ، وأصله القطعة من النار ، وأصل الشهب بضم الشين والهاء جميعا ، ولكنه سكن الهاء هنا تخفيفا .

(٣) ذكر لعذره إياه ثلاثة أسباب ، أولها خساسة أصله ، والثانى خبث منصبه ، والثالث ذل جانبه ، و«أردى» يحتمل وجهين : أولهما أنه أفعل تفضيل من الردى وهو الهلاك ، يعنى أنه لا أصل له ينتمى إليه فيشرف به ، والثانى أنه أفعل تفضيل من الرداءة ، وعليه يكون أصل « أردى » أردأ ـ بالهمز ـ فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ماقبلها .

(٤) أروعك : أخيفك وأبعث الروع إلى قلبك ، وأشن حربا : أثيرها عليك وأفرقها

(٥) يقول : يكفينى إذا أردت أن أسبك أبلغ السب أن أذكر نسبى إلى رسول الله ، فإنك حينئذ تعلم أنك تسامى من لايساميه أحد ، وذلك وحده كاف فى الدلالة على أن رأيك فائل ، وأن قراعك باطل ، وأن جهدك فاشل .

(٦) رجم السماء : رماها بالحجارة ، وحثا التراب فى وجه فلان : معناه أنه قبض بيده حفنة ثم رماها فى وجهه . يقول : أنا لاأعجب لاجترائك على ، لأن من يلقى السماء بالحجر لاينكر منه أن يحثو التراب فى وجه البدر .

٨ فإنَّكَ إنْ هَجَوْتَ هَجَوْتَ لَيْثًا وَإنِّى إنْ هَجَوْتُ هَجَوْتُ كَلْبَا(١)

***

٧٩ – وقال [فى غرض آخر] [من الطويل] :

١ خَلِيلَىَّ مَا بَيْنِى وَبَيْنَ مُحَرِّقٍ سِوَى وَقْعِ أطْرَافِ القَنَا وَالقَوَاضِبِ(٢)

٢ أتَانِى بِهَا بَزْلَاءُ تُلْقِى جِرَانَهَا عَلَى خَيْرِ بَيْتٍ فِى لُؤَىِّ بْنِ غَالِبِ(٣)

٣ وَفَازَ بِكُومٍ ذِى رِقَابٍ مُنِيفَةٍ وَأسْنِمَةٍ مَلْوِيَّةٍ بِالغَوَارِبِ(٤)

٤ أرَى إبِلِى مَطْرُودَةً عَنْ مَرَاحِهَا يَصِيحُ بِهَا الأعْدَاءُ من كلِّ جانِبِ(٥)

---

(١) الليث : الأسد ، والكلب من أخس أنواع الحيوان . يقول : إن أنت هجوتنى فإنما تهجو أعظم الناس ، وإن أنا هجوتك فإنما أهجو أخس الناس .

(٢) محرق – بضم الميم وفتح القاف وراء مشددة – اسم رجل ، والقنا : أراد بها الرماح ، والقواضب : جمع قاضب ، وهو السيف القاطع ، يقول : ليس بينى وبين هذا الرجل سوى الحرب التى تستعمل فيها الرماح والسيوف .

(٣) البزلاء : الداهية العظيمة ، والجران – بكسر الجيم ، بزنة الكتاب – أصله مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره ، ويقال « ألقى البعير بجرانه » أى أنه برك ، ولؤى بن غالب : أبو قريش .

(٤) كوم – بضم الكاف – جمع كوماء ، وهى الناقة المرتفعة السنام ، والبعير أكوم . ومنيفة : عاليه شامخة ، والأسنمة : جمع سنام ، والغوارب : جمع غارب ، وهو ما بين سنام البعير وعنقه وهو الموضع الذى يلقى عليه الزمام ، ووقع فى ه فى صدر هذا البيت « وفان بها » وفى عجزه « وآشمة » وكله تحريف .

(٥) مطرودة : مذودة مبعدة ، ووقع فى ب «مطروحة» وما أثبتناه عن ب أحسن ، والمراح : المكان الذى تروح إليه ، أى تعود إليه بعد المسرح ، وضرب الإبل مثلا ، يريد أنه أقصى عما كان له من منزلة يستحقها .

٥ إِذَا هُنَّ طَالَعْنَ المِيَاهَ عَشِيَّةً نَشَجْنَ وَرَاءَ الذَّوْدِ نَشْجَ الغَرَائِبِ (١)

٦ وَكُنَّا إِذَا مَا أَبْعَدَ المجدُ غايةً دَفَعْنَا إِلَيْهَا مِنْ صُدُور النَّجَائِبِ (٢)

٧ نَسِيرُ أَمَامَ العَاصِفَاتِ كَأَنَّهَا طَلَائِعُ أَعْنَاقِ الصَّبَا وَالجَنَائِبِ (٣)

٨ خَوَارِجُ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بَيَاضُ الحَصَى فِي الأَمْعَزِ المُتَرَاكِبِ (٤)

* * *

٨٠ — وكتب إلى صديق له وقد وعده وعداً فأخَّره [من مجزوء الكامل] :

١ إِيَّاكَ أَنْ تَسْخُو بِوَعْـ ـدٍ لَيْسَ عَزْمُكَ أَنْ تَفِي بِهِ (٥)

٢ فالصِّدْقُ يَحْسُنُ بِالفَتَى وَالكِذْبُ يُحْسَبُ مِنْ عُيُوبِهْ

٣ وَإِذَا قَدَرْتَ عَلَى الوَفَا ءِ فَعُدَّ عَنْ غَدْرٍ وَذِيبِهْ (٦)

---

(١) نشجن : يكين بكاء يغصهن بالدمع ويشرقهن ، والغرائب : جمع غريبة ، وهى المبعدة عن وطنها ، والإبل أكثر الحيوان حنينا إلى مواطنها حتى ضربتها العرب مثلا فى ذلك ، وقالوا: الكريم يحن إلى وطنه حنين الناب إلى عطنه ، ووقع فى ه « نسجن » و « نسج الغرائب » بالسين المهملة ، وهو تحريف ، ووقع فى ب « الزود » بالزاى وإنما هو بالذال .

(٢) النجائب : جمع نجيبة ، وهى الناقة الكريمة على أصحابها ، ودفعنا إليها من صدور النجائب : يريد أثرناها وحركناها للسير ، ووقع فى ه «رفعنا إليها» محرفا ، يريد إذا بعدت غايات المجد لم نيأس من بلوغها ولم نتوقف عن العمل لها .

(٣) الصبا ـ بفتح الصاد ـ الرياح التى تهب من الشمال ، والجنائب : جمع جنوب، وهى ريح تقابل الصبا .

(٤) الأمعز : المكان الصلب ، ووقع فى ب « بالأمعز » ، وفى ه « فى الأمعن» محرفا .

(٥) تسخو : تجود ، وكان من حقه أن ينصب « تسخو » « وتفى » بالفتحة الظاهرة لخفة الفتحة على الواو والياء ، ولكنه عامل المنصوب معاملة المرفوع، وكثيرا مايصنع الشريف ذلك .

(٦) عد عن كذا : تجاوزه ولا تقربه ، وقال الشاعر :

إذا ما تميمىٌّ أتاكَ مُفاخراً فقُلْ عُدَّ عن ذا، كيفَ أكلكَ للضَّبِّ؟!

والذئب : أغدر الحيوان وأشدها خيانة وختلا .

٤ أشْكوكَ أمْ أشْكُو الزَّمَا نَ لأنَّ مَطْلَكَ مِنْ ذُنُوبِهْ

٥ بَلْ أشْتَكِيهِ فَكَمْ دُفِعْـ ـت إلى الْغَرَائِبَ مِنْ خُطُوبِهْ(١)

* * *

٨١ — وقال يصف السحابَ ، ويذكر أغراضا كثيرة [من الطويل] :

١ سَمَا كَبُطُونِ الأتْنِ رَيْعَانُ عَارِضٍ تُزَجِّيهِ لَوْثَاءُ النَّسِيمِ جَنُوبُ(٢)

٢ رَغَا بَيْنَ دَوْحِ الْوَادِيَيْنِ بِرَعْدِهِ رُغَاءُ مَطَايَا مَسَّهُنَّ لُغُوبُ(٣)

٣ بَصِيرٌ بِرَمْيِ القَطْرِ حتى كأنَّه عَلَى الرَّمْلِ قَارِيُّ السِّهَامِ نَجِيبُ(٤)

---

(١) الغرائب: جمع غريب ، ويقال « هذا كلام غريب » إذا كان بعيدا عن الفهم ، ويقال « هـذا عمل غريب » إذا كان بعيدا عن مألوف العادة ، والخطوب : جمع خطب ، وهو هنا النازلة من نوازل الدهر ، وفى ه « فكم رفعت لى الغرائب » .

(٢) سما : علا وارتفع ، ووقع فى ه « كبطون الأين » محرفا ، والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ، وريعانه : أوله ، وريعان كل شىء : أوله وأفضله ، ويقولون : ذهب ريعان السراب وجاء ريعان المطر ، وتزجيه : تسوقه وتدفعه ، وأراد بلوثاء النسيم الريح ، وأصل اللوثاء مؤنث الألوث وهو الوصف من « لوث فى الأمر » بوزن فرح — إذا أبطأ فيه ، وبطء السحاب دليل على امتلائها بالمطر ، ولذلك قالوا : أثقل السحائب مشيا أحفلها ، وأبطأ الدلاء فيضا أملأها .

(٣) رغا : صوت ، وأصل الرغاء صوت الإبل ، وأرادمنه هنا مطلق الصوت ، والدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة الملتفة الأغصان ، واللغوب : النصب والتعب والإعياء .

(٤) القطر: المطر ، و « بصير برمى القطر » يريد أنه خبير بالمواطن التى يحسن نزول المطر فيها وقارى السهام : الأمين على قداح الميسر الحافظ لها ، وأصل القارى — بتخفيف الياء ، وبتشديدها — طائر قصير الرجلين طويل المنقار أخضر الظهر تحبه الأعراب وتتيمن به وإذا رأوه استبشروا بالمطر ، كأنه رسول الغيث ، ويشبهون به الرجل السخى ، وقالوا « هم قوارى الله فى الأرض » يريدون أنهم أمناؤه وشهداؤه ، شبهوهم بالقوارى من الطير .

٤ تَدَافَعَ أما بَرْقُهُ فَصَوَارِمٌ جلاءٌ وأما عرضه فَكَثِيبُ(١)

٥ إذا ما أَرَاقَ الماءَ أسْفَرَ وَجْهُهُ وَيَغْدُو يَصُبُّ الماءَ وَهْوَ قَطُوبُ(٢)

٦ سَهِرْتُ لَهُ نَابِي الْوِسَادِ وَبَرْقُهُ يَحُومُ عَلَى أعْنَاقِهِ وَيَلُوبُ(٣)

٧ فُؤَادِي بِنَجْدٍ ، وَالْفَتَى حَيْثُ قَلْبُهُ أَسِيرٌ ، وَمَا نَجْدٌ إِلَيَّ حَبِيبُ(٤)

---

(١) تدافع : يريد أن بعضه قد دفع بعضا ، وذلك أمارة شدته وكثرته ، والصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع ، شبه البرق بالسيوف فى البريق واللمعان ، والكثيب : المجتمع من الرمل ، شبه به ماترا كم من السحاب .

(٢) أراق الماء : سكبه ، وأسفر وجهه : أشرق وأضاء ، ووقع فى ه « ويغدو يعب الماء » ووقع فى ب « و يغدو بعبء الماء » وأعتقد أن كليهما تحريف عما أثبته ، وقد أكثر الشعراء من وصف السحاب بأنه ضاحك البرق باكى القطر ، فمن ذلك قول أعرابية :

فَبَيْنَا نُرَمِّقُ أَحْشَاءَنا أضاءَ لنا عارضٌ فاسْتَنَارَا

فأقبلَ يَزْحَفُ زَحْفَ الكسيرِ سِيَاقَ الرُّغاءِ البِطاءِ العِشارا

تُغَنِّي وتضحَكُ حافاتُه أمامَ الجنوبِ وتبكي مِرَارا

ومن ذلك قول ابن مطير :

مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ مُسْتَعْبِرٌ بِدَوَامِعٍ لم تَمْرِهَا الأقْذَاءُ

فَلَهُ بِلَا حُزْنٍ ولا بِمَسَرَّةٍ ضَحِكٌ يُؤَلِّفُ بينهُ وبُكاءُ

(٣) نابى الوساد ـ بالباء ـ أى بعيدها ، وهو اسم الفاعل من « نبا ينبو » إذا بعد ، يريد أنه لايضع جنبه على الفراش فوساده بعيد عنه ، ووقع فى ه « نائى الوساد » بالهمز ـ والمعنى متقارب ، و يحوم على أعناقه : يدور حولها ، و يلوب : بمعنى يحوم ، وتقول : لاب الرجل والبعير حول الماء ، إذا دار حوله .

(٤) وقع عجز هذا البيت فى ه « أسير ، وما يجدى على حبيب » محرفا عما أثبتناه عن ب ، وهذه العبارة تشير إلى قول الشاعر :

وما حُبُّ الديارِ شَغَفْنَ قلبى ولكِنْ حُبُّ مَنْ سكن الدِّيَارَا

٨ وَمَا لِيَ فيهِ صَبْوَةٌ غَيْرَ أنَّنى خَلَعْتُ شَبَابى فيهِ وَهْوَ رَطيبُ(١)
٩ بَلَى إنَّ قَلْباً رُبَّما التَاحَ لَوْحَةً فهلْ مَاؤه لِلْوَارِدِين قَرِيبُ(٢)
١٠ ألا هَلْ تَرُدُّ الرِّيحُ يَا جَوَّ ضَارِجٍ نَسِيمَكَ يَحْلُو لِى لَنَا وَيَطيبُ(٣)

---

(١) صبوة : ميل وعشق وصبابة ، وهو رطيب : غض طرى لايزال فى اقتباله وريعانه . يقول : ليست لى إلى نجد من دواعى الشوق والصبابة غير أننى أتذكر به شبابى الذى أمضيته فيه . وهذا نظير قول الشاعر :

أحَبُّ بِلَادِ اللهِ مَا بَيْنَ مُنعَجٍ إلَىَّ وسَلْمَى أنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
بِلادٌ بِها حَلَّ الشَبَابُ تَمائِمى وأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِى تُرَابُهَا

وقول الآخر :

أحِنُّ إذا خَلَوْت إلى زمانٍ تَقَضَّى لى بأفْنِيَةِ الربوع
وأذكُرُ طِيبَ أيامٍ تَوَلَّتْ لنا فتفِيضُ منْ أسَفٍ دُمُوعِى

وقول الآخر :

بَلَدٌ طابَ لى بِهِ الأنسُ حِينًا وصفَا العَوْدُ فيه والإبداء
فسَقَتْ عَهْدَهُ العِهَادُ ورَوَّتْ مِنْهُ تلْكَ النوادِىَ الأنْدَاء

وقول الآخر :

بِه كانَ الشبابُ اللَّدْنُ غَضًّا ودَهْرِى كله زمَنَ الربيع
ففرَّقَ بيننا زمَنٌ خؤونٌ لَهُ شَغَفٌ بتفْرِيقِ الجميع

(٢) التاح : أصل معناه عطش ، تقول : « التاح الرجل التياحا » تريد أنه عطش ، وأراد ظمأ قلبه إلى أحبائه وعطشه إلى ورد موارد الصبابة ، ولما ذكر الالتياح ناسب أن يذكر الماء والواردين ويسأل عن قربه .

(٣) ضارج : حيزبين اليمن والمدينة فى قول امرئ القيس بن حجر الكندى :

ولما رأتْ أنَّ الشَّريعَةَ هَمُّهَا وأنَّ البَيَاضَ منْ فرائِصِهَا دَامى

١١ وَهَلْ تَنْظُرُ الْعَيْنُ الطَّلِيحَةُ نَظْرَةً ... إِلَيْكَ وَمَا فِى الْمَاقِيَيْنِ غُرُوبُ(١)

١٢ وَمَا وَجْدُ أَدْمَاءِ الإِهَابِ مَرُوعَةٍ ... لأَحْشَائِهَا تَحْتَ الظَّلامِ وَجِيبُ(٢)

١٣ تَرُودُ طَلاً أَوْدَتْ بِهِ غَفَلاتُهَا ... وَفِى كُلِّ حَىٍّ لِلْمَنُونِ نَصِيبُ(٣)

١٤ بَغُومٌ عَلَى آثَارِهِ وَقَدِ اكْتَسَى ... ظَلامَ الدَّيَاجِى غَائِطٌ وَسُهُوبُ(٤)

١٥ فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ لاحَ لِعَيْنِهَا ... دَمٌ بَيْنَ أَيْدِى الضَّارِيَاتِ صَبِيبُ(٥)

١٦ كَوَجْدِى وَقَدْ عَرَّى الشَّبَابُ جَوَادَهُ ... وَغَيَّرَ لَوْنَ الْعَارِضَيْنِ مَشِيبُ(٦)

تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّذِى عِنْدَ ضَارِجٍ ... يَفِىءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِى

ويحلولى: تشتد حلاوته.

(١) الطليحة : التى تعبت من السهر والأرق والتلفت إليك ، والمأق : طرف العين مما يلى الأنف ، وهو مجرى الدمع من العين ، ومثله المؤق والمؤق ، ويترك الهمز فى جميع هذه الألفاظ ، والغروب : جمع غرب ، وأراد به ههنا الدموع .

(٢) الوجد : الحزن والحسرة واللوعة ، والأدماء : التى لونها الأدمة ـ بضم الهمزة وسكون الدال المهملة ـ وهى البياض يشوب لون الظباء ، والإهاب : الجلد ، ومروعة : اسم المفعول من « راعه يروعه » إذا افزعه وأخافه ، والوجيب : الاضطراب والخفقان .

(٣) ترود : تطلب ، والطلا : ولد الظبية ، يريد أنها تبحث عنه ، وأودت به : أهلكته ، والمنون : الموت .

(٤) الغائط : المطمئن من الأرض فى سعة ، ووقع فى ه «غائظ» بالمعجمة ـ محرفا ، والسهوب: جمع سهب، وهو كل ماستوى من الأرض فى سهولة .

(٥) أضاء الصبح : ظهر الضوء بطلوع النهار ، ولاح: ظهر ، والضاريات : أراد بها الوحش، وهو فى الأصل جمع ضارية ، وهى التى تعودت الافتراس ، ودم صبيب : سائل .

(٦) « كوجدى » هو خبر « ما » فى البيت ١٢ فى قوله « وما وجد أدماء الإهاب » وقوله « وقد عرى الشباب جواده » يريد أن الشباب قد ولى وذهبت نضارته وفتاؤه ، وبطلت آلات الصبوة ، فكنى عن ذلك بتعرية الجواد وخلع أداة الركوب عنه ، والأصل فى هذه العبارة قول

١٧ وَلَـكِنَّهَا الأَيَّامُ ، أَمَّا قَلِيبُهَا فَمُـكْدٍ ، وَأَمَّا بَرْقُهَا فَخَلُوبُ(١)

١٨ إِذَا مَا بَدَأْنَ الأَمْرَ أَفْسَدْنَ عَقْبَهُ وَعَفَّى عَلَى إِحْسَانِهِنَّ ذُنُوبُ(٢)

١٩ فَلِلَّهِ دَرِّى يَوْمَ أَبْعَثُ قَوْلَةً لَهَا فِى رُؤُسِ السَّامِعِينَ دَبِيبُ(٣)

زهير بن أبى سلمى المزنى فى مطلع قصيدة :

صحَا القَلْبُ عَنْ سَلْمَى وأَقْصَرَ بَاطِلُهْ وَعُرِّىَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ

والعارضان : جانبا الوجه من يمين ويسار ، والمشيب : الشيب . يقول : لقد حزنت على فوات الشباب حزنا أبلغ من حزن ظبية يشوب لونها بياض نزل بها الروع والخوف ولأحشائها خفقان واضطراب قد افتقدت طلاها فهى تبحث عنه وتتتبع آثاره معولة باكية حتى إذا انبلج ضوء النهار رأت دمه بين أيدى الوحوش ، وقد اعتاد الشعراء أن يوازنوا بين جزعهم على فراق أحبائهم وجزع الظبية فارقت طلاها أو الناقة مات حوارها ، ومن ذلك قول الخنساء :

فَمَا عَجولٌ عَلَى بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ لَها حَنِينانِ إِصْغارٌ وإِكبارُ

تَرْتَعُ مَا رتَعَتْ حتى إِذا ادَّكَرَتْ فإِنما هِىَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

لاتَسْمَنُ الدَّهْرَ فِى أَرْضٍ وَإِنْ رُبِعَتْ فإِنما هِىَ تَحْنَانٌ وتَسْجَارُ

يَوْمًا بِأَوْجَدَ مِنِّى يَوْمَ فارقنى صَخْرٌ ، وللدَّهرِ إِحْلاءٌ وإِمْرَارُ

(١) القليب : البئر ، والمكدى : أصله الذى يحفر ليستنبط الماء فيجد فى طريقه إليه صخرا ، ويقال « حفر فأكدى » يريدون أنه لم يجد الماء ، وإنما وجد الكدية ، ويضرب ذلك مثلا لمن يخيب سعيه ولا يحصل من وراء جده على طائل ، والخلوب : البرق الذى لا يستتبع مطرا ، يقول : إن من أمل الأيام ورجا إسعافها إياه بمراده خاب أمله فيها ولم ينل منها مايرتجيه.

(٢) أفسدن عقبه : أراد أنهن يسئن نهايته ويفسدن خاتمته ، وعفى : أصل معناه الحرفى أثرن الغبار عليه فأذهبن معالمه وطمسن آثاره ، ووقع فى ه « وعف على إحسانهن » يقول : لو أن الأيام بدأن بداية حسنة لم تستمر هذه البداية فى طريقها إلى التمام ، ولكن سرعان ماينقلب أمرها فتسوء نهاية هذه البداية .

(٣) وقع فى ب « يوم أنعت قولة » وما أثبتناه موافقا لما فى ه أدق ، وأراد بقوله « أبعث

٢٠ وَلِلّٰهِ دَرِّى يَوْمَ أَرْكَبُ هِمَّةً إلى كلِّ أَرْضٍ أغْتَدِى وَأَؤُوبُ(١)

٢١ وكم مَهْمَهٍ جَاذَبْتُ بالسير عَرْضَهُ وغالَبْتُهُ بالْعَزْمِ وَهْوَ غَلُوبُ(٢)

٢٢ وَلَيْلٍ رَأَيْتُ الصُّبْحَ فى أُخْرَياتِهِ كما انْسَلَّ مِنْ سُرِّ النجادِ قَضِيبُ(٣)

٢٣ سَرَيْتُ بِهِ أُوفِى عَلَى كُلِّ رَبْوَةٍ وَلَيْسَ سِوَى نَجْمٍ عَلَىَّ رَقِيبُ(٤)

قولة » أنه يثيرها ويدعو الناس إلى اتباعه ، وقوله « لها فى رؤس السامعين دبيب » وصف لهذه المقالة بعظيم التأثير على عقول من يسمعونها حتى إنها لتؤثر فيهم كما تؤثر الخمر فى شاربها .

(١) وقع فى ه « ولله درى يوم أبعث همة » وما أثبتناه موافقا لما فى ب أدق ، وأغتدى : أصله السير فى وقت الغداة ، وأراد منه هنا الذهاب الذى هو مقابل العودة ، وأؤوب : أرجع وأعود .

(٢) المهمه : الصحراء والمفازة التى يخاف سالكها ، سموها بذلك على توهم أن السالكين فيها يأخذهم الخوف والرعب لهولها وعظيم مخاطرها فيقول أحدهم لمن معه : مه ، مه ، أى انته عن الكلام واكفف ، و « جاذبت بالسير عرضه » يعنى أنه نازع سعة هذه الفلاة وغالبها بالسير فيها ، ووقع فى ب « جازبت » محرفا ، والعزم : الإرادة النافذة والقصد الغالب والتصميم على إنجاز مايريد .

(٣) وقع فى ه « كما انسل من سر النجاء قضيب » والنجاد ـ بكسر النون ، بزنة الكتاب ـ حمالة السيف ، وسره : وسطه ، والقضيب : أراد به السيف الذى يقضب ضريبته : أى يقطعها .

(٤) تقول « أوفى فلان على كذا » تريد أنه أشرف عليه ، وتقول « أوفى فلان القوم » تريد أنه أتاهم ولقيهم ، وتقول « أوفى فلان فى الجبل » تريد أنه صعد عليه وتوقل فيه ، والربوة ـ بفتح الراء وسكون الباء ـ المكان المرتفع العالى ، ويقولون « طلاع الثنايا » و « طلاع الربوات » لايريدون أنه يصعد فوقها ، ولكن يكنون بذلك عن أنه يتجشم صعاب الأمور ويتقحم المهالك غير مبال بما يلقاه فى سبيل ذلك ولا متهيب لما يصيبه ، وقال سحيم بن وثيل الرياحى فى ذلك :

أَنَا ابْنُ جَلَا وطلَّاعُ الثنايا متى أَضَعِ الْعِمَامَة تعرفونى

أَخو خمسين مُجْتَمِعٌ أَشُدِّى ونجَّذَنِى مُدَاوَرَةُ الشُّؤُونِ

٢٤ وَأَزْرَقِ مَاءٍ قَدْ سَلَبْتُ جِمَامَهُ ... يَعُومُ الشَّوَى فِي غَمْرِهِ وَيَغِيبُ (١)

٢٥ وَهَاجِرَةٍ فَلَلْتُ بِالسَّيْرِ حَدَّهَا ... وَلَا ظِلَّ إِلَّا ذَابِلٌ وَنَجِيبُ (٢)

٢٦ وَيَوْمٍ بِلَا ضَوْءٍ يُتَرْجِمُ نَقْعُهُ ... عَنِ الرَّوْعِ، وَالْإِصْبَاحُ فِيهِ مُرِيبُ (٣)

٢٧ حَبَسْتُ بِهِ قَلْبًا جَرِيًّا عَلَى الرَّدَى ... وَقَدْ رَجَفَتْ تَحْتَ الصُّدُورِ قُلُوبُ (٤)

---

(١) أزرق ماء : أراد ماء صافى المورد سائغا لا رنق فيه ولا تكدير، وهو مما يحرص عليه ويحافظ على حمايته والذود عنه ، والجمام : جمع جمة ، بضم الجيم فى الواحد ، والجمة : معظم الماء ، وانظر مع هذا شرح البيت ٣٩ / ٢٨، والشوى ـ بفتح الشين مقصورا ـ اليدان والرجلان والأطراف، ويقال « ضرب فلان فأشوى » يريدون أن ضربته وقعت فى الأطراف ومالا يقتل ، وأراد هنا من قوله « يعوم الشوى فى غمره ويغيب » أنه كثير وليس ضحلا ، وهذا أيضا من أسباب الحرص عليه؛ لأن العرب فى بلاد قليلة الماء، يقول : رب ماء صاف نمير غمر كثير قد سلبته من أهله الحريصين عليه الذائدين عنه .

(٢) الهاجرة : أراد وقت الحر الشديد الذى لا يقوى أحد على السير فيه ، وفللت : كسرت ، ويقولون « فلان يفل حد السيوف » يريدون أنه يكسرها ، والذابل : الرمح . والنجيب : الفرس الكريم أو الجمل الكريم على صاحبه ، يصف نفسه بقوة العزم وصلابة الإرادة وأنه لا يمنعه شىء من تقحم الأهوال وارتكاب الشدائد فى طريقه إلى غرضه .

(٣) النقع ـ بفتح النون وسكون القاف ـ الغبار الذى تثيره سنابك الخيل فى المعركة ، والروع : الخوف والفزع ، يصف اليوم بشدة الهول .

(٤) جريا ـ بتشديد الياء فى جميع النسخ ـ أصله « جريئا » بالهمز ، فقلب الهمزة ياء ثم أدغم الياء فى الياء، كما قالوا « خطية » و « درية » وأصلهما خطيئة ودريئة ، والجرىء : الوصف من الجراءة ، وهى قوة القلب والإقدام على المكاره من غير مبالاة بالعواقب، والردى: الهلاك والموت، ورجفت : اضطربت واشتد خفقانها . يقول : إنه فى هذا اليوم الذى اشتد فيه الفزع وكثر فيه الخوف واضطربت قلوب من شهده لم يهن ولم يخفق قلبه ، وصف نفسه بالجلادة والصبر على ركوب متن الأهوال .

٢٨ وَطَعْنَةِ رُمْحٍ قَدْ خَرَطْتُ نَجِيعَهَا ... كَمَا مَاجَ فَرْغٌ فِي الْإِنَاءِ ذَنُوبُ (١)

٢٩ وَضَرْبَةِ سَيْفٍ قَدْ تَرَكْتُ مُبِينَةً ... وَحَامِلُهَا عُمْرَ الزَّمَانِ مَعِيبُ (٢)

٣٠ وَالْأَمِ مَصْحُوبٍ قَذَفْتُ إِخَاءَهُ ... كَمَا قَذَفَ الْمَاءَ الْمَرِيضُ شَرُوبُ (٣)

٣١ وَمَنْ كَانَ مَافَوْقَ النُّجُومِ طِلَابَهُ ... أَمَلٌّ عَنَاءً قَلْبَهُ وَدُؤُوبُ (٤)

٣٢ نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ ... وَمَالِيَ مِنْ دَاءِ الرِّجَالِ طَبِيبُ (٥)

٣٣ وَمَنْ كَانَ فِي شُغْلِ الْمُنَى فَفَرَاغُهُ ... مَنَالُ الْأَمَانِي أَوْ رَدًى وَشَعُوبُ (٦)

---

(١) النجيع ـ بفتح النون ـ الدم ، وقيل : هو دم الجوف خاصة ، والفرغ ـ بفتح الفاء وسكون الراء ـ مخرج الماء من الدلو بين العراقى ، وقالوا «أصابت فلانا طعنة ذات فرغ» يريدون أنها واسعة يسيل دمها ، شبهت سعتها بفرغ الدلو ، ووقع فى ه « فرع » بالعين مهملة ـ وهو تحريف ، والذنوب : الدلو ، وأحسن مايحمل عليه قوله « ذنوب » فى آخر البيت أن يكون بدلا من فرغ بدل كل من كل ـ بتأويل فرغ بالدلو .

(٢) مبينة : اسم الفاعل المؤنث من « أبان العضو يبينه إبانة » إذا فصله عن سائر الأعضاء ، ووقع فى ه « مبيتة » كما وقع فى آخر البيت عندها «مغيب» وكلاهما تحريف ، و «عمر الزمان» منصوب على الظرفية ، كما يقال « طول الدهر » .

(٣) ألأم مصحوب : أراد به صاحبا مذق المودة لاتطيب عشرته ، وقذفت إخاءه : طرحته ورميته ، والشروب ـ بفتح الشين ـ السائغ السهل المرور فى الحلق .

(٤) أمل : بعث الملل والسآمة ، والعناء : معاناة المشاق واحتمالها ، والدؤوب : مصدر « دأب على العمل يدأب » إذا ثابر عليه ولم ينقطع عنه .

(٥) داء الرجال : أراد به الآمال الواسعة والرغائب التى لاتنقضى ، ووقع فى ب «داء الرجاء» ولها وجه وجيه ، لكن ماأثبتناه موافقا لما فى ه أظرف .

(٦) منال الأمانى : نيلها والحصول عليها ، والردى : الموت ، وشعوب ـ بفتح الشين ـ الموت أيضا ، يقول : إذا كان الإنسان مشتغلا بالمنى فإنه لافراغ له من هذا الاشتغال إلا بإحدى اثنتين : فإما أن يدرك مأموله ، وإما أن يلاقى الموت فى سبيل أمانيه ، ونظير هذا البيت قول أبى فراس الحمدانى:

٣٤ فَمَالِيَ طُولَ الدَّهْرِ أَمْشِي كَأَنَّنِي ... لِفَضْلِيَ فِي هٰذَا الزَّمَانِ غَرِيبُ
٣٥ إِذَا قُلْتُ قَدْ عَلَّقْتُ قَلْبِي بِصَاحِبٍ ... تَعُودُ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ
٣٦ وَمَا فِيهِ شَيْءٌ خَالِدٌ لِمَكَادِحٍ ... وَكُلٌّ لِغَايَاتِ الْأُمُورِ طَلُوبُ

* * *

٨٢ – وقال [فى صباه] [من البسيط] :

١ يَاسَعْدُ كُلُّ فُؤَادٍ فِي بُيُوتِكُمُ ... مِثْلِي تَحَكَّمَ فِيهِ الظَّلْمُ وَالشَّنَبُ(١)
٢ إِنِّي لَأَكْرِمُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ جَنَى ... عَلَى الْفَتَى الْعَرَبِيِّ الْخُرَّدُ الْعُرُبُ(٢)
٣ إِنِّي عَلَى شَغَفِي بِالْحُبِّ مُعْتَذِرٌ ... مِنْ أَنْ يُقَالَ شُجَاعٌ فَلَّهُ الْوَصَبُ(٣)

وَإِنَّا أُنَاسٌ لَا تَوَسُّطَ بَيْنَنَا ... لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوِ الْقَبْرُ

(١) وقع فى ه « كل فؤادى فى بيوتكم » ولا معنى لياء المتكلم فى هذا الموضع ، فإن غرضه أن يقول : كل القلوب تواقة إليكم متعلقة ببيوتكم ، والظلم – بفتح الظاء وسكون اللام – ماء الأسنان وبريقها ، والشنب – بفتح الشين والنون جميعا – ماء ورقة وبرد وعذوبة فى الأسنان ، وقيل : نقط بيض فيها ، وقيل : هو حدة الأنياب ، وذلك مما يمتدح عند العرب ، وانظر إلى قول ذى الرمة الذى أنشدناه فى شرح البيت ١٢ / ٦١ فى ص ٤١٧ .

(٢) الخرد – بضم الخاء وفتح الراء مشددة – جمع خريدة ، وهى فى الأصل اللؤلؤة التى لم تثقب ، ثم أطلق على كل فتاة عذراء ، والعرب – بضم العين والراء جميعا – جمع عروب أو عروبة – بفتح العين فيهما – وهى المرأة المتحببة إلى زوجها ، وقيل : هى العاصية له ، وقيل : هى الضاحكة ، ومن قولهم « خير النساء اللعوب العروب » .

(٣) « على » فى هذا البيت بمعنى مع ، وفله – بالفاء ، ووقع فى ه « قله » بالقاف محرفا – أضعفه وكسر من حدة احتماله وصبره ، والوصب – بفتح الواو والصاد جميعا – الوجع ، وأراد به آلام العشق وبرحاءه وما يجده العاشق من لذع النوى وألم الصد ونحو ذلك .

٤ إِنَّا مَعَاشِرُ لَا تَبْلَى مَطَارِفُنَا ... إِلَّا وَهُنَّ لِطُلَّابِ النَّدَى سَلَبُ (١)

٥ مُوَقَّرُونَ وَأَيْدِي الْحِلْمِ طَائِشَةٌ ... وَالْجِدُّ يَنْقُصُ مِنْ أَطْرَافِهِ اللَّعِبُ (٢)

٦ فَالْآنَ تَغْصِبُنَا الدُّنْيَا غَضَارَتَهَا ... ظُلْمًا وَتَأْخُذُ مِن أَيَّامِنَا النُّوَبُ (٣)

* * *

٨٣ – وقال [من الوافر] :

١ إِلَى كَمْ لَا تَلِينُ إِلَى الْعِتَابِ ... وَأَنْتَ أَصَمُّ عَنْ رَجْعِ الْجَوَابِ (٤)

٢ حَذَارَكَ أَنْ تُغَالِبَنِي غِلَابًا ... فَإِنِّي لَا أُدِرُّ عَلَى الْعِصَابِ (٥)

---

(١) لا تبلى : لا تخلق ولا ترث ، بل تبقى على جدتها ، والمطارف : جمع مطرف ، والمطرف – بضم الميم أو كسرها وفتح الراء بينهما طاء ساكنة – وهو رداء من خز مربع ذو أعلام ، والندى – بفتح النون مقصورا – الجود والكرم والعطاء ، والسلب – بفتح السين واللام جميعا – أصله ما يأخذه المحارب من ثياب قرنه وأداة حربه . يقول : ليس من عادتنا أن نلبس مطارفنا حتى ترث وتخلق ، ولكنا نعطيها لمن يطلب عطاءنا ويسترفدنا وهى جدد .

(٢) موقرون : أراد أنهم ذوو وقار وأناة وتريث ، ووقع فى ه « مؤقرون » بهمزة فوق الواو – محرفا ، و « ينقص من أطرافه » يأخذ عليه بعض النواحى ، ويقتطع من سعة سلطانه ، وأراد أنه يتغلب عليه ، وفى التنزيل : (نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) ووقع فى ه « يقبض من أطرافه » محرفا .

(٣) وقع فى ه « تغضبنا » بالضاد معجمة – محرفا ، والغضارة بفتح الغين – النعمة والسعة والخصب وطيب العيش ، والنوب – بضم النون وفتح الواو – جمع نوبة – بفتح النون وسكون الواو – وهى الفرصة ، والدولة ، والجماعة من الناس ، وقد تكون النوب جمع نوبة – بضم النون – وهى النازلة من نوازل الدهر والمصيبة .

(٤) وقع فى ب « إلى كم لا تلين على العتاب » ورجع الجواب : رده .

(٥) أدر : مضارع در ، ومعناه الأصلى حلب ، تقول « درت الناقة والشاة » إذا سمحت بلبنها وحلبت ، والعصاب – بكسر العين المهملة ، بزنة الكتاب – الحبل الذى تعصب به أخلاف

٣ وَإِنَّكَ إِنْ أَقَمْتَ عَلَى أَذَاتِى فَتَحْتَ إِلَى انْتِصَارِى كُلَّ بَابِ (١)

٤ وَأَحْلُمُ ثُمَّ يُدْرِكُنِى إِبَائِى وَكَمْ يَبْقَى الْقَرِينُ عَلَى الْجِذَابِ (٢)

٥ إِذَا وَلَّيْتَنِى ظُفُرًا وَنَابًا فَدُونَكَ فَاخْشَ مِنْ ظُفُرِى وَنَابِى

٦ فَإِنَّ حَمِيَّةَ القُرَنَاءِ تَطْغَى فَتَتْلِمِ جَانِبَ النَّسَبِ القُرَابِ (٣)

٧ نَفِرُّ إِلَى الشَّرَابِ إِذَا غَصِصْنَا فَكَيْفَ إِذَا غَصِصْنَا بِالشَّرَابِ (٤)

الناقة لئلا يرضعها ولدها ، هذا أصل معناه ، وقالوا « فلان لايدر بالعصاب » وهم يريدون أنه لايعطى مايطلب منه بالقهر والغلبة ، ووقع فى ب « فإنى لاأدر على الغضاب » وهو تحريف .

(١) الأذاة ـ بفتح الهمزة والذال مخففة ـ بمعنى الأذية ، ومثله الشكاة بمعنى الشكية . يقول : إذا تماديت فى أذيتى واستمرأت طعم الكيدلى فإنك بذلك تجنى على نفسك وتوبقها .

(٢) الإباء ـ بكسر الهمزة ـ الامتناع من قبول الضيم ، والقرين ههنا: الحبل ، يقول : إننى أطيل الحلم فلا أبدأ بالإساءة ولا أعاقب من أساء إلى أول مرة ، ولكنى لا أدوم على هذه الحال ، وإن الحبل الذى يتجاذبه اثنان لايلبث أن ينقطع ، ضرب ذلك مثلا .

(٣) القرناء : جمع قرين ، وقرين المرء : من يساويه فى نسبه وصفاته ، ووقع فى ه «القرباء» وهو جمع قريب ، ولعله أنسب بعجز البيت ، وتثلم : أصله فى السيف ونحوه أن يصاب حده بالفلول ، والقراب ـ بضم القاف ـ الشديد القرابة وهو أبلغ فى المعنى من القريب ، كما أن العجاب أبلغ فى معناه من العجيب .

(٤) غصصنا : شرقنا . يقول : إن العادة جارية بأنا إذا شرقنا حاولنا إساغة هذا الشرق بالماء ، لكن كيف تكون حالنا إذا كان شرقنا حاصلا من الماء الذى نفزع إليه ؟ ضرب هذا مثلا ، وغرضه أن الأصل أن يفزع الإنسان إلى ذووى قرباه لاستصراخهم على من يعاديه ويناوئه ، فإذا كان الذى يناصبه العداء هو قريبه الدانى فإلى من يفزع ؟ ونظير هذا البيت قول عدى ابن زيد :

لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلْقِى شَرِقٌ كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارْ

ونظيره أيضا قول الآخر :

إِلَى الماء يَسْعَى مَنْ يَغَصُّ بِرِيقِهِ فَقُلْ أَيْنَ يَسْعَى مَنْ يَغَصُّ بماء

٨ فَلَا تَنْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ عَجْزٍ ... فَرُبَّ مُهَنَّدٍ لَكَ فِي ثِيَابِي (١)

٩ وَمَا صَبْرِي وَقَدْ جَاشَتْ هُمُومِي ... إِلَى أَمْرٍ وَعَبَّ لَهُ عَبَابِي (٢)

١٠ وَمَنْ لَكَ بِي يَرُدُّ عَلَيْكَ شَخْصِي ... إِذَا أَثْبَتُّ رِجْلِي فِي الرِّكَابِ (٣)

١١ سَيَرْمِي عَنْكَ بِي مَرْمَى بَعِيدٌ ... وَتَغْدُو غَيْرَ مُنْتَظِرٍ إِيَابِي (٤)

١٢ إِذَا الْإِشْفَاقُ هَزَّكَ عُدْتَ مِنْهُ ... بِعَضِّ أَنَامِلٍ أَوْ قَرْعِ نَابِ (٥)

١٣ وَتَسْمَعُ بِي وَقَدْ أَعْلَنْتُ أَمْرِي ... فَتَعْلَمَ أَنَّ دَأْبَكَ غَيْرُ دَأْبِي (٦)

١٤ وَرُبَّ رَكَائِبٍ مِنْ نَحْوِ أَرْضِي ... تَخُبُّ إِلَيْكَ بِالْعَجَبِ الْعُجَابِ (٧)

---

(١) أراد بالمهند الذى فى ثيابه نفسه ، وشبه نفسه بالمهند ـ وهو السيف ـ فى المضاء والنفاذ فى الضريبة .

(٢) جاشت همومى : ثارت وتحركت ، وعب عبابى : اضطرب موجى وارتفع سيلى ، والعباب ـ بضم العين ، بزنة الغراب ـ معظم السيل وارتفاعه وكثرته ، ويقولون لمن أخذ فى كلامه فأكثر « عب عبابه » ووقع فى ه « وعب له عباب » بغير ياء المتكلم ـ محرفا . يقول : كيف أصبر على هذه الحال وقد تهيأت لى أسباب الخلاص منها .

(٣) كنى بقوله « أثبت رجلى فى الركاب » عن ابتدائه العمل للخلاص من حاله التى لا يرى الصبر عليها ، ووقع هذا البيت فى ب قبل البيت السابق عليه هنا .

(٤) المرمى هنا : اسم مكان من « رمى يرمى » وأصل معناه قذف وطرح ، والإياب : الرجوع والعود .

(٥) عض الأنامل كناية عن الغيظ ، وفى التنزيل الكريم : (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) وقرع الناب : كناية عن الندم . يقول : إذا أنا شرعت فيما أعتزم ثم عاودك الخوف والحذر من العواقب لم تستطع ردى إلى ما كنت عليه ، ولم تجد غير الغيظ والندم .

(٦) أعلنت أمرى : أظهرته ، ودابك : طبعك وسجيتك وخيمك .

(٧) تقول « خب فى سيره يخب خببا » تريد أنه أسرع ، والعجب العجاب : البالغ النهاية فيما يبعث العجب ، ومن سنن العرب فى كلامهم إذا أرادوا وصف الشىء بأنه قد جاوز الحد اشتقوا

١٥ وَتُظْهِرُ أُسْرَةً مِنْ سِرِّ قَوْمِى تَمُدُّ إِلَى انْتِظَارِى بِالرِّقَابِ (١)

١٦ وَتُصْبِحُ لَاتَنِى عَجَبًا وَقَوْلاً أَهٰذَا الحَدُّ أَطْلَقُ مِنْ ذُبَابِ (٢)

١٧ فَكَيْفَ إِذَا رَأَيْتَ الْخَيْلَ شُعْثًا طَلَعْنَ مِنَ الْمَخَارِمِ وَالْعِقَابِ (٣)

١٨ تُعَاظِلُ كَالْجَرَادِ زَفَتْهُ رِيحٌ فَمَرَّ يُطِيعُهَا يَوْمَ الضَّبَابِ (٤)

١٩ أَمَضَّتْهَا الشَّكَائِمُ فَهْىَ خُرْسٌ يَسِيلُ لَهَا دَمٌ بَدَلَ اللُّعَابِ (٥)

٢٠ تُذَكِّرُكُمْ بِذِى قَارٍ طِعَانًا وَمَا جَرَّ الْقَنَا يَوْمَ الْكُلَابِ (٦)

له من لفظه وصفا ، فقالوا : عجب عاجب ، وعجب عجاب ، ويصنعون ذلك فى أسماء الأجناس التى ليست مصادر كما قالوا : ليل أليل ، ويوم أيوم ، وليلة ليلاء ، وشعر شاعر ، ودهر داهر ، وما أشبه ذلك ، كأنهم ـ حين رأوه قد فاق جنسه ونظراءه ـ لم يجدوا مايصفونه به إلا ماهو من لفظه .

(١) تقول « فلان من سرقومه » تريد أنه من أفضلهم نسبا وأعرقهم حسبا وأخلصهم مجدا وأنه من خيارهم ولبابهم .

(٢) لاتنى : لاتفتر ، وذباب السيف ـ بضم الذال المعجمة ، بزنة الغراب ـ حده .

(٣) شعث : جمع أشعث ، وأصله المغبر الشعر ، ويقال « خيل شعث » يراد أنها لم تفرجن ، وكأنها أعجلت للغارة فلم يتمكن أصحابها من فرجنتها ، والمخارم : جمع مخرم ، وهو أنف الجبل ، والعقاب : جمع عقبة ، مثل هضبة وهضاب ، والعقبة : مرقى صعب فى الجبل .

(٤) وقع فى ه « تعاطل كالجواد رقته ريح » محرفا فى عدة مواضع ، وما أثبتناه موافق لما فى ب ، وتعاظل ـ بالظاء المعجمة ـ معناه هنا يتبع بعضها بعضا ، ويقال « تعاظلت الجراد » إذا ترادفت وتتابعت ، وهذه العبارة كناية عن كثرتها ، وزفته ـ بالزاى والفاء ـ طردته وساقته ، وتقول « زفت الريح السحاب » تعنى أنها طردته واستخفته واستحثته ، وإذا ساقت الريح الجراد كان ذلك أبعث على سرعته ، وصف خيلهم بالكثرة والسرعة .

(٥) أمضتها : آلمتها ، والشكائم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة التى توضع فى فم الفرس ونحوه ، وخرس : جمع أخرس ، وأراد أن هذه الخيل لاتصهل .

(٦) ذوقار : اسم ماء كانت تنزل حوله بكر ، وهو قريب من الكوفه ، وعنده حدثت

٢١ عَلَيْهَا كُلُّ أَبْلَجَ مِنْ قُرَيْشٍ لَبِيقٍ بِالطِّعَانِ وَبِالضِّرَابِ

٢٢ يَسِيرُ وَأَرْضُهُ جُرْدُ الْمَذَاكِي وَجَوُّ سَمَائِهِ ظِلُّ الْعُقَابِ (١)

موقعة عظيمة بين العرب والعجم ، وقد انتصر العرب فيها انتصارا باهرا ، وقد حدثت هذه الموقعة العظيمة بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنها لم تكن من جهته صلوات الله وسلامه عليه ، ولا من جهة أحد من أصحابه ، وإنما كانت بين العرب المتاخمين لبلاد العجم وبين العجم ، وقد حدث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بها وأخبرهم خبرها وسره انتصار العرب على الفرس ، وقال « هذا أول يوم انتصفت العرب فيه من العجم ، وبي نصروا » وقد ذكر حديث هذا اليوم كثير من أهل الأدب والتاريخ (انظر على سبيل المثال كتاب الأغانى ٢ / ٩٧ دار الكتب ، والعقد الفريد لابن عبد ربه فى كتاب الدرة الثانية فى أيام العرب ٥ / ٢٦٢ اللجنة) والكلاب ـ بضم الكاف وفتح اللام مخففة ، بزنة الغراب ـ اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، ويقال : اسم ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة ، وقد حدثت معركتان عظيمتان بين بعض العرب وبعض ، وتسمى إحدى المعركتين : يوم الكلاب الأول ، وتسمى الأخرى : يوم الكلاب الثانى ، فأما الكلاب الأول فكان بين تميم ومذحج ، وكان لتميم على مذحج ، وأما الكلاب الثانى فكان بين بنى سعد والرباب والرياسة من بنى سعد لمقاعس ومن الرباب لتيم ، وقد ذكر اليومين كثير من الأدباء والمؤرخين (انظر على سبيل المثال معجم البلدان لياقوت برسم الكلاب ، والعقد الفريد ٥ / ٢٢٢) .

(١) جرد ـ بضم الجيم وسكون الراء ـ جمع أجرد ، وهو من الخيل القصير الشعر ، والمذاكى : جمع مذك ، وهو من الخيل الذى تم سنه وكملت قوته ، وفى أمثالهم « جرى المذكيات غلاب » أى أنه يغلب كل جرى ، ويروى « جرى المذكيات غلاء » بالهمز ـ جمع غلوة ، يريدون أن جريها يتجاوز المدى ، وأراد بقوله « أرضه جرد المذاكى » أنه لا يزال يقتعد صهوة فرسه لا يفارقها ، فكأن صهوة الفرس هى الأرض ، وهذا كقولهم « هم أحلاس خيل » يريدون أنهم يلازمونها ، والعقاب : من كواسر الطير ، وقد جرت عادة الشعراء أن يصفوا الجيش بأن العقبان تحلق فوق رأسه ثقة بأنها ستجد طعامها من جثث من يقتلونه من أعدائهم ، ومن ذلك قول النابغة الذبيانى :

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بِعَصَائِبِ

٢٣ وَعِنْدِى لِلْعِدَى لَا بُدَّ يَوْمٌ يُذِيقُهُمُ المسمَّمَ مِنْ عِقَابِى (١)

٢٤ فأنْصِبُ فَوْقَ هَامَتِهِمْ قُدُورِى وَأَمْزِجُ مِنْ دِمَائِهِمُ شَرَابِى (٢)

٢٥ وأَرْكُزُ فِى قُلُوبِهِمُ رِمَاحِى وَأَضْرِبُ فِى دِيَارِهِمُ قِبَابِى (٣)

٢٦ فَإِنْ أَهْلِكْ فَعَنْ قَدَرٍ جَرِىءٍ وَإِنْ أَمْلِكْ فَقَدْ أَغْنَى طِلَابِى (٤)

***

٨٤ — وقال [من المنسرح] :

١ لَمْ يَبْقَ عِنْدِى مِنَ الْإِبَاءِ سوى الـ ـنَّظْرَةِ مُحْمَرَّةً مِنَ الْغَضَبِ (٥)

٢ وَعَضُّ كَفِّى عَلَى الزَّمَانِ مِنَ الـ ـغَيْظِ وَشَكْوَى وَقَائِعِ النُّوَبِ (٦)

وقد ذكر الشريف هذا المعنى وبالغ فيه حتى جعل الطير تسد الأفق عليهم وجعلها سماءهم ، وذلك كناية عن كثرتها .

(١) وقع فى ه « يذقهم المشمم من عقابى » وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(٢) الهامة : الرأس ، ووقع فى ب « هامهم » والهام : جمع الهامة ، يريد أنه يتخذ رءوس أعدائه أثافى لقدوره ، ويروى أن خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة اليربوعى فى حروب الردة جعل رأسه أثفية لقدر، وكان مالك من أكثر الناس شعرا ، فبقيت القدر على رأسه حتى نضج ما فيها من الطعام وما خلصت النار إلى شواه من كثرة شعره (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٥ / ٦٦ بتحقيقنا) .

(٣) القباب جمع قبة ، وهى الخيمة تجعل للرئيس ، وقوله « وأضرب فى ديارهم قبابى » كناية عن كونه يتملك بلادهم ويصير صاحب السلطان فيها .

(٤) الطلاب ـ بكسر الطاء ـ الطلب ، و « أغنى طلابى » أفاد وأتى بالثمرة التى تقصدمنه .

(٥) الإباء ـ بكسر الهمزة ـ الامتناع عن قبول الضيم .

(٦) عض الأنامل : كناية عن إظهار الغيظ ، وفى التنزيل (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وهو من باب التعبير بلفظ الكل وإرادة البعض ، ونظيره من التنزيل قول الله تعالى (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) فإنهم إنما يضعون أنملة من الأصبع .

٣ أَوْ زَفْرَةٍ تَحْسَبُ الضُّلُوعَ لَهَا أَطْرَ قِسِيٍّ يَرْمِينَ بِاللَّهَبِ (١)
٤ مَضَى الرِّجَالُ الْأُولَى مُذَافَتَرَقُوا عَنِّى صَارَ الزَّمَانُ يَلْعَبُ بِى
٥ أَقُولُ لَمَّا عَدِمْتُ نَصْرَهُمُ وَالْهَفَ أُمِّى عَلَيْكُمُ وَأَبِى

* * *

٨٥ — وكتب إلى أبى الْحَسَنِ الْبَتِّى (٢) يتشوقه [من الوافر] :

١ أَبَا حَسَنٍ أَتَحْسِبُ أَنَّ شَوْقِى يَقِلُّ عَلَى مُعَارَضَةِ الْخُطُوبِ (٣)
٢ وَأَنَّكَ فِى اللِّقَاءِ تَهِيجُ وَجْدِى وَأَمْنَحُكَ السُّلُوَّ عَلَى الْمَغِيبِ (٤)
٣ وَكَيْفَ وَأَنْتَ مُجْتَمَعُ الْأَمَانِى وَمَجْنَى الْعَيْشِ ذِى الْوَرَقِ الرَّطِيبِ (٥)

---

(١) الزفرة — بفتح الزاى وسكون الفاء — النفس الصاعد من الجوف ، وهى إنما يرددها المغيظ المحنق أو العاشق المسهد ، والقسى : جمع قوس ، وأطرها : المنحنى منها ، واللهب : شواظ النار ، يصف زفرته بشدة الحرارة ، حتى إن من شاهده وهو يصعدها يظن أضلاعه التى تخرج الزفرة من بينها أقواسا تقذف بالنار .

(٢) وقع فى ه « أبى الحسن البستى » محرفا ، وأثبتنا ما فى ب ، وهو أبو الحسن أحمد ابن على البتى ، وتقدمت ترجمته فى صدر القطعة رقم ٥٥ فى ص ٤٠٦ من هذا الجزء .

(٣) الخطوب : جمع خطب ، وأراد به ههنا نوازل الدهر وأحداثه التى من شأنها أن تذهل الخليل عن خليله ، يقول : أتظن الحوادث الجسام تشغلنى عنك ، وتقل من شوقى إليك ؟ يريد ماينبغى لك أن تحسب ذلك .

(٤) تهيج وجدى : تثيره وتحركه ، يقول : أتظن أننى إنما يظهر كامن شوقى إليك حين ألقاك ، وأننى عندما تغيب عن ناظرى أسلو عنك ؟

(٥) المجتمع : اسم مكان الاجتماع ، والأمانى : جمع أمنية ، وهى اسم لما يتمناه الإنسان ، ومجنى : اسم مكان من « جنى الزرع ونحوه يجنيه » إذا قطعه وأخذ ثمره ، يقول : كيف تظن أنك منى بمنزلة من ينسى إذا غاب وأنت الذى تجتمع أمانى عنده ، وبك يطيب لى العيش وتهنأ لى الحياة؟.

٤ يَهَشُّ لَكُمْ عَلَى الْعِرْفَانِ قَلْبِى هَشَاشَتَهُ إِلَى الزَّوْرِ الغَرِيبِ (١)

٥ وَأَلْفِظُ غَيْرَكُمْ وَيَسُوغُ عِنْدِى وِدَادُكُمُ مَعَ الْمَاءِ الشَّرُوبِ (٢)

٦ وَيَسْلَسُ فِى أَكُفِّكُمُ زِمَامِى وَيَعْسُو عِنْدَ غَيْرِكُمُ قَضِيبِى (٣)

٧ وَبِى شَوْقٌ إِلَيْكَ أَعَلَّ قَلْبِى وَمَالِى غَيْرَ قُرْبِكَ مِنْ طَبِيبِ (٤)

٨ أُغَارُ عَلَيْكَ مِنْ خَلَوَاتِ غَيْرِى كَمَا غَارَ الْمُحِبُّ عَلَى الْحَبِيبِ

٩ وَمَا أَحْظَى إِذَا مَا غِبْتَ عَنِّى بِحُسْنٍ لِلزَّمَانِ وَلَا بِطِيبِ

---

(١) يهش : يطرب ويبتهج ، والعرفان ـ بكسر العين وسكون الراء ـ المعرفة ، والزور ـ بفتح الزاى وسكون الواو ـ الزائر ، يقول : إنى لأطرب لمرآك وأسر بحضورك كما أسر بمرأى زائر لم أره من قبل ، لما وصف نفسه بالمحافظة على المودة استتبع ذلك بوصف نفسه بالكرم والمسرة بالضيف الغريب .

(٢) ألفظ : أرمى وأطرح وأقذف ، ويسوغ : أصله من قولهم « ساغ الشراب والطعام » إذا سهل مروره فى الحلق ، وقال الشاعر :

فَسَاغَ لِىَ الشَّرَابُ وَكُنتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغَصُّ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ

والوداد ـ بكسر الواو ـ المودة والمحبة ، والماء الشروب ـ بفتح الشين ، بزنة صبور ـ السائغ الهنى . يقول : إننى لأطرح غيركم فلا أعبأ به ولا أكترث له ، ولكن مودتك تنزل من نفسى منزلة الشراب السائغ الهنى .

(٣) يسلس : مضارع « سلس الرجل » من باب فرح ـ وسلاسة أيضا ، إذا لان وسهل وانقاد ، والزمام ـ بكسر الزاى ، بزنة الكتاب ـ ماتقاد به الدابة ، ووقع فى ه « ويسلس فى أكفكم زمانى » والمراد أنه لايشتد عليهم ، بل هو سهل المقادة لهم لين العريكة . ويعسو : مضارع « عسا النبات يعسو عساء وعسوا » إذا غلظ وصلب وأصبح بحيث لايلين ، والقضيب : الغصن ، ههنا . يريد أنه شديد المراس صعب القياد مع غيرهم .

(٤) أعل قلبى : أورثه العلة والداء ، ووقع فى ه « أعز قلبى » ومعناه غلبه وقهره ، ونظيره قول الشاعر :

١٠ أُشَاقَ إِذَا ذَكَرْتُكَ مِنْ بَعِيدٍ وَأَطْرَبُ إِنْ رَأَيْتُكَ مِنْ قَرِيبِ (١)

١١ كَأَنَّكَ قَدْمَةُ الْأَمَلِ الْمُرَجَّى عَلَيَّ وَطَلْعَةُ الْفَرَجِ الْقَرِيبِ (٢)

١٢ إِذَا بُشِّرْتُ عَنْكَ بِقُرْبِ دَارٍ نَزَا قَلْبِي إِلَيْكَ مِنَ الْوَجِيبِ (٣)

١٣ مَرَاحَ الرَّكْبِ بُشِّرَ بَعْدَ خَمْسٍ بِبَارِقَةٍ تَصُوبُ عَلَى قَلِيبِ (٤)

١٤ أُسَالِمُ حِينَ أُبْصِرُكَ اللَّيَالِي وَأَصْفَحُ لِلزَّمَانِ عَنِ الذُّنُوبِ

١٥ وَأَنْسَى كُلَّ مَا جَنَتِ الرَّزَايَا عَلَيَّ مِنَ الْفَوَادِحِ وَالنُّدُوبِ (٥)

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ

قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فَأَضْحَتْ تُجَاذِبُهُ، وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

وما أثبتناه موافقا لما فى ب ـ مع صحة هذا المعنى ـ أنسب بقوله فيما بعد « ومالى غير قربك من طبيب » وقد وقع فى ب « طبيبى » ولا معنى للياء ههنا .

(١) أشاق : مضارع مبنى للمجهول ـ وماضيه المبنى للمعلوم « شاقه الحب إليه يشوقه شوقا » إذا هاجه ، وأطرب : مضارع من الطرب ، وهو خفة تأخذ الإنسان من فرح أو حزن .

(٢) قدمة : المرة من القدوم ، وفسره فى هوامش ب بالسابقة فى الأمر ، وما ذكرناه أنسب بقوله فيما بعد « وطلعة الفرج القريب » يقول : إننى حين أراك أمتلىء سرورا وغبطة كأنما قدم على أملى الذى أرتجيه أو طلع الفرج .

(٣) نزا : ثار ووثب وهاج ، والوجيب : خفقان القلب ، ووقع فى ه « ترى قلبى إليك من الوجيب » محرفا .

(٤) مراح : مصدر ميمى بمعنى الرواح ، والركب : أصله جماعة ركاب الإبل ، وأراد بهم القوم المسافرين ، أى شىء يركبون . والبارقة : أصلها اسم الفاعل المؤنث فعله برق بمعنى لمع ، وتطلق على السحابة ذات البرق ، ويقال « ظهرت لفلان بارقة أمل » وتصوب : تنزل ، والقليب : البئر ، يقول : كان فرحى بقرب دارك كفرح قوم مسافرين انقطع عنهم الماء خمسة أيام بسحابة ذات برق ومطر ينزل مطرها على بئر ، لئلا يضيع الماء فى الفلاة .

(٥) جنت : أراد جرت ، والرزايا : جمع رزية ، وأصلها رزيئة ـ بالهمز ـ من الرزء

١٦ تَمِيلُ بِيَ الشُّكُوكُ إِلَيْكَ حَتَّى ... أَمِيلَ عَلَى الْمُقَارِبِ وَالنَّسِيبِ (١)

١٧ وَتَقْرُبُ فِي قَبِيلِ الْفَضْلِ مِنِّي ... عَلَى بُعْدِ الْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ

١٨ أَكَادُ أُرِيبُ فِيكَ إِذَا الْتَقَيْنَا ... مِنَ الْأَنْفَاسِ وَالنَّظَرِ الْمُرِيبِ (٢)

١٩ وَأَيْنَ وَجَدْتَ مِنْ قِبَلِي شَبَابًا ... يَحِنُّ مِنَ الْغَرَامِ إِلَى الْمَشِيبِ

٢٠ إِذَا قَرُبَ الْمَزَارُ فَأَنْتَ مِنِّي ... مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ عِقْدِ الْكُرُوبِ

٢١ وَإِنْ بَعُدَ اللِّقَاءُ عَلَى اشْتِيَاقٍ ... تَرَامَقْنَا بِأَلْحَاظِ الْقُلُوبِ (٣)

***

٨٦ – وقال [من الرَّجز] :

١ جَاءَتْ بِهِ مِنْ مُضَرٍ مُهَذَّبَا ... مِثْلَ السِّنَانِ ذَلِقًا مُذَرَّبَا (٤)

الذى هو المصاب ، فسهلت الهمزة بقلبها ياء فى المفرد، ثم أدغمت الياء فى الياء ، والفوادح : جمع فادح ، وتقول « هذا رزء فادح » تريد أنه مما يثقل حمله ، والندوب : جمع ندب، وهو الجرح . يقول : إننى حين أراك أنسى لهذه النعمة كل ما كانت الأيام صنعته معى من الخطوب التى يثقل حملها والجراح التى يصعب اندمالها .

(١) فى ه « أميل إلى المقارب » وكلاهما صحيح ، يقال « مال إليه » إذا كان منه انعطاف وحب ورغبة فيه ، ويقال « مال فلان على فلان » إذا أقبل عليه ودنا نحوه ، والأكثر أن يقال « مال عليهم الدهر » إذا اجتاحهم وأصابهم بنوازله .

(٢) أريب : أبعث على الريبة والشك ، والأنفاس : جمع نفس – بفتح النون والفاء جميعا – وهو ما يصعده الإنسان من صدره . يقول : إذا تلاقينا ظهرت أمارات الحب على، فتصعدت زفراتى ووقف نظرى عليك ، وذلك مما يبعث الريبة فى نفوس العاذلين .

(٣) ترامقنا : رمق بعضنا بعضا ، أى نظر .

(٤) مضر : أبو العرب العدنانية ، وهو مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، والسنان – بكسر السين ، بزنة الكتاب – نصل الرمح ، والذلق – بفتح الذال وكسر اللام – الحديد ، والمذرب –

٢ يَضُمُّ بُرْدَاه الْجُرَازَ المِقْضَبَا تخير الأحْسَاب أمًّا وَأبَا(١)

٣ أبْلَجَ لاَ يُشْتَمُ إلاَّ كَذِبَا(٢)

***

٨٧ — وقال [من المجتث] :

١ لاَ تُنْكِرِى حُسْنَ صَبْرِى إنْ أوْجَعَ الدَّهْرُ ضَرْبَا

٢ فَالْعَبْدُ أصْبَرُ جِسْماً وَالْحُرُّ أصْبَرُ قَلْبَا

***

٨٨ — وقال [من الطويل] :

١ نَزَوْتَ نِزَاءَ الْجُنْدُبِ الْجَوْنِ ضَلَّةً إلَى بَاسِلٍ عَبْلِ الذِّرَاعَيْنِ أغْلَبِ(٣)

بزنة المعظم ـ المسموم والمحدد أيضا ، وقد اعتاد العرب أن يصفوا الرجل بأنه مثل نصل الرمح ومثل حد السيف وما أشبه ذلك ، يريدون أنه قوى الهمة حديد ، وانظر إلى قول سحيم بن وثيل الرياحى :

أنَا ابنُ جَلَا وطلاَّعُ الثنايَا مَتى أضَعِ العمامَةَ تعرفونى

صَلِيبُ الْعُودِ من سَلَفَىْ نِزَارٍ كَنَصْلِ السَّيْفِ وَضَّاحُ الْجَبِين

أخو خَمْسِينَ مُجتَمِعٌ أشُدِّى ونَجَّذَنِى مُدَاوَرَةُ الشُّؤُونِ

(١) البردان ـ بضم الباء ـ مثنى برد ، وأصله الثوب ، والجراز ـ بضم الجيم، بزنة الغراب ـ السيف القاطع ، والمقضب ـ بزنة المنبر ـ أصله السيف القطاع ، وأراد منه هنا الوصف أى الشديد القطع .

(٢) الأبلج : أراد به الواضح الذى لا يشوب نسبه شائبة ، ووقع فى ه « أبلح » بالحاء المهملة ـ محرفا ، ومعنى قوله « لا يشتم إلا كذبا » أنه لا عيب فيه أصلا ، فإذا أراد عائب أن يعيبه لم يستطع أن يجد شيئا يتحدث عنه فيه ، فإذا تحدث عن عيب لم يكن صادقا فيما ينسبه إليه .

(٣) نزوت : وثبت وثرت ، والنزاء ـ بكسر النون أو ضمها ، بزنة الدعاء والرماء ـ الاسم

٢ وَمَا كُنْتَ فِي الْأَحْيَاءِ إِلاَّ ضَمِيمَةً ... تُنَاطُ بِهِمْ نَوْطَ الْإِبَاءِ الْمُذَبْذَبِ (١)

٣ تُجَاوِرُ ذُلاً أَوْ تُعَاقِدُ قِلَّةً ... مِنَ الْهُونِ لَا تُدْلِي بِأُمٍّ وَلَا أَبِ (٢)

٤ فُحُولُ مَعَدٍّ مُنْجِبُونَ وَأَنْتُمُ ... نِزَالَةُ فَحْلٍ مِنْهُمُ غَيْرُ مُنْجِبِ (٣)

٥ تَقَنَّصَهُ صَرْفُ الْمَقَادِيرِ غِرَّةً ... وَكَمْ فَاتَ مِنْ نَابٍ عَلُوقٍ وَمِخْلَبِ

٦ وَلَوْ هِيجَ لِلْهَيْجَاءِ طَارَ بِسَرْجِهِ ... جَوَادٌ كَذِئْبِ الرَّدْهَةِ الْمُتَأَوِّبِ (٤)

٧ وَكُلُّ سِنَانٍ طَالِعٍ فَوْقَ ضَامِرٍ ... كَمَا حَامَ زُنْبُورٌ عَلَى ظَهْرِ عَقْرَبِ (٥)

من النزوان الذى هو الوثوب ، والجندب ـ بضم الجيم مع فتح الدال أو ضمها ، وبكسر الجيم مع فتح الدال بزنة الدرهم ـ الصغير من الجراد ، والجون : الأسود ، والجون أيضا : الأبيض ، والباسل : الشجاع ، وعبل الذراعين : أى ضخمهما ، وذلك أمارة القوة ، كما يقال « فلان مفتول الساعد » والأغلب : الجرىء الشجاع ، وأصله الأسد .

(١) تناط بهم : تعلق بهم ، ووقع فى ه « بفرط الإناء المذبذب » محرفا .

(٢) تجاور : هو بالراء المهملة ، ووقع فى ه « تجاوز » بالزاى ـ محرفا ، والذل : المذلة والهوان ، وهو بالذال ، ووقع فى ب « زلا » بالزاى ، محرفا . وتعاقد : من المعاقدة وهى المعاهدة ، والقلة : أراد بها القليل ، ولا تدلى : أى لا تمت ولا يتصل حبلها ، والتنوين فى «أم» و «أب» للتعظيم . أى أن هؤلاء الذين تجاورهم أو تعقد معهم الحلف أذلاء قليلون ليس لهم فى المجد أب كريم ولا أم كريمة .

(٣) الفحول : جمع فحل ، وأراد بهم الآباء ، ومنجبون : يأتون بالأبناء النجباء ، و « نزالة فحل ـ إلخ » هو بكسر النون وفتح الزاى مخففة ، بزنة الكتابة ـ من قولهم « فلان من نزالة سوء » إذا كان لئيم الأب .

(٤) هيج : ماض مبنى للمجهول معناه أثير ، والهيجاء : الحرب ، والردهة ـ بفتح فسكون ـ شبه أكمة خشنة ، والمتأوب : الراجع العائد ، يريد أنه لا يخاف فهو يعود إلى الاقتناص والغدر .

(٥) أراد بالسنان رجلا قويا جلدا ، وانظر شرح البيت ١ / ٨٦ ، والضامر : الفرس الذى ضمر جانباه ، والزنبور ـ بضم الزاى بزنة العصفور ـ ضرب من الذباب أليم اللسع ، ويقال : هو الدبر (النحل) .

٨ وَفِتْيَانٍ غَارَاتٍ كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ ... بِجَانِبِ ذِي القَلَّامِ عِيدَانُ أُثْأَبِ (١)

٩ بِأَيْمَانِهِمْ بِيضٌ تُضِيءُ وُجُوهَهُمْ ... قَوَاضِبُ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ مُجَرَّبِ (٢)

١٠ غَرَانِقُ أَزْوَالٌ رَعَوْا عَازِبَ الْحِمَى ... بِصُمِّ الْعَوَالِي وَالصَّفِيحِ الْمُقَلَّبِ (٣)

١١ فَلَا تَحْسَبُوهَا قَطْرَةً مِنْ دِمَائِنَا ... تَضِيعُ، وَلَوْ فِي طَامِحِ النَّجْمِ مَطْلَبِي (٤)

---

(١) الغارات : جمع غارة ، وهى الاسم من الإغارة على العدو ، والأثأب : شجر ينبت فى البادية فى بطون الأودية ، واحدته أثأبة ، وقال الشاعر وهو امرؤ القيس بن حجر الكندى يصف فرسا :

إذا ما جَرَى شأوَيْنِ وابتلَّ عِطْفُهُ ... تقول هزيزَ الريح مَرَّت بأثأبِ

(٢) بيض : جمع أبيض ، وأراد به السيف ، والقواضب : جمع قاضب ، وهو القاطع ، والمجرب ـ بضم الميم وتشديد الراء مفتوحة ـ مصدر ميمى بمعنى التجريب ، وأخذ هذه العبارة من قول النابغة الذبيانى :

تُخَيَّرْنَ مِنْ أَزْمَانِ يوم حليمةٍ ... إلى اليَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التجارِبِ

(٣) وقع فى ه « غوارب أزال دعوا غارب الحمى » محرفا فى كل كلمة كما ترى ، والغرانق : جمع غرانق وهو الشاب الأبيض الجميل ، وانظر شرح البيت ٢ / ٦٩ والأزوال : جمع زول ، بفتح الزاى وسكون الواو ، وهو الشجاع ، والجواد ، والظريف الفطن ، والعازب : البعيد ، ورعيهم البعيد أمارة شجاعتهم وأنهم لايحتاجون إلى استصراخ غيرهم لإغاثتهم إن ناوأهم مناوىء ، وقد يكون المراد من « عازب الحمى » المكان الذى لم يرعه أحد قبلهم ولا وطئته قدم ، وذلك لتهيب غيرهم عن رعيه وخوفهم من الإقدام عليه ، وهو أيضا دليل على شجاعتهم وأنهم يقدمون على مالا يجسر أحد عليه . والعوالى : جمع عالية ، وأراد بها الرماح ، وأراد بالصفيح السيوف .

(٤) طامح النجم : أراد النجم العالى ، ووقع فى ب « طافح النجم » بالفاء ، ووقع فى ب ، ه « مطلب » بدون ياء المتكلم ، يريد ولو كان ما أطلبه فى الثريا .

١٢ إذا أَعْشَبَ الشِّقُّ الْيَمَانِى فأبْشِروا ... بِيَوْمٍ عُقَامٍ يَنْضَحُ الشَّرَّ أَجْرَبِ (١)

١٣ فإنْ تَرْحَمُونَا الْيَوْمَ نَرْحَمْكُمُ غَدًا ... بِعَوْدٍ مِنَ الْجِذْمِ النِّزَارِىِّ مُصْعَبِ (٢)

***

٨٩ – وقال [من المتقارب] :

١ لَكُمْ لِقْحَةُ الأَرْضِ تَحْمُونَهَا ... وَفِى يَدِكُمْ صَرُّهَا وَالْحَلَبْ (٣)

٢ فَمِنْ أَيْنَ نَبْلُغُ مَا نَشْتَهِى ... وَمِنْ أَيْنَ نَطْمَعُ فِيمَا نُحِبّْ (٤)

٣ إِذَا الْمَالُ أَصْبَحَ فِى الْبَاخِلِينَ ... فَإِنَّ مُرَجَّى الْغِنَى فِى تَعَبْ

***

(١) وقع فى ه « إذا أعشب الشوق اليمانى » والشق اليمانى : الجانب الذى من جهة اليمن ، واليوم العقام – بضم العين، بزنة الشجاع – الشديد المكروه ، ولعله يهدد بظهور العلويين فى اليمن فقد كان دعاتهم منبثين هناك .

(٢) تزحمونا – بالزاى – تضايقونا ، ووقع فى ب « ترحمونا » بالراء المهملة ، وما هنا وفقا لما فى ه أحسن ، والعود – بفتح فسكون – أصله المسن من الإبل ، والجذم – بكسر الجيم وسكون الذال – الأصل ، ووقع فى ب « من الجزم النزارى » وما هنا أدق ، والمصعب – بزنة مكرم – الفحل ، يقول : إن ضايقتمونا اليوم ولم تعاملونا معاملة النصفة عاملناكم بجنس هذه المعاملة غدا يوم يتولى أمورنا رجل من أكرم بيوتات النزاريين ، وهذا مما يؤيد ما ذكرناه فى شرح البيت السابق من أنه يهددهم بظهور العلويين عليهم .

(٣) أصل اللقحة الناقة التى تعد للقاح، وهو الحمل ، وأراد هنا الفىء والخراج ، وصرها : ربط أخلافها ، والحلب : استنزال لبنها ، يريد أن فى يدكم أن تستنزلوا درها وأن تحجبوه ، ولما كنى عن حال الخراج والفىء باللقحة استتبع ذلك ذكر الصر والحلب ، لأنه من توابع الناقة .

(٤) وقع فى ه « تبلغ » و « تشتهى » و « تطمع » و « تحب » – بالتاء فى جميعها ، محرفا . يقول : إذا كان كل شىء بيدكم وأنتم تمنعوننا منه فكيف نبلغ مانريد .

٩٠ – وقال فى قوم سرقوا شعره [من الرجز] :

١ انْظُرْ أَبَا قِرَّانَ مَا تَعِيبُ ... مُلْسَ الذُّرَى قَوَّمَهَا لَبِيبُ(١)

٢ تُصْغِى لَهَا الْأَسْمَاعُ وَالْقُلُوبُ ... مِثْلُ السِّهَامِ كُلُّهَا مُصِيبُ

٣ لَطِيمَةٌ نَمَّ عَلَيْهَا الطِّيبُ ... تُودَعُهَا الْأَرْدَانُ وَالْجُيُوبُ(٢)

٤ يَتْعَبُ ذُو الْبَرَاعَةِ الْأَدِيبُ ... وَيَغْنَمُ الْهِلْبَاجَةُ الْمَعِيبُ(٣)

٥ يَخْرُجُ عَنِّى الْعَاسِلُ الْمَذْرُوبُ ... قَدْ قُوِّمَ الْأَنْبُوبُ وَالْأَنْبُوبُ(٤)

٦ فَلَا يَزَالُ الْعَضُّ وَالتَّنْيِيبُ ... حَتَّى يَعُودَ الذَّابِلُ الصَّلِيبُ(٥)

٧ وَهْوَ بِأَيْدِى مَعْشَرٍ كُعُوبُ ... إِنَّ رَزَايَاتِ الْفَتَى ضُرُوبُ(٦)

---

(١) وقع فى ه « أنظر يافران » محرفا ولا يستقيم عليه الوزن ، والملس : جمع أملس أو ملساء ، والذرى : الأعالى ، واحدها ذروة ، وقومها : عدلها .

(٢) اللطيمة : فى الأصل وعاء المسك ، ونم عليها : وشى بها وحدث عنها ، والأردان : جمع ردن – بضم الراء وسكون الدال – وهو أصل الكم ، وكانت العرب تودع أرادانها دراهمها ودنانيرها ، والجيوب : جمع جيب ، وهو طوق الثوب .

(٣) وقع صدر هذا البيت فى ب عجزا ، وما أثبتناه موافقا لما فى ه أحسن ، والكلام على الاستفهام ، والأصل : أيتعب ذو البراعة و يغنم الهلباجة؟! . والهلباجة : الأحمق الذى يجمع أنواع الشر .

(٤) العاسل فى الأصل : المهتز المضطرب ، وأراد به الرمح لأن من صفاته أن يهتز فى يد صاحبه ، والمذروب : المحدد أو المسموم ، وقوم – بالبناء للمجهول – ثقف وعدل ، والأنبوب : ما بين العقدتين من الرمح .

(٥) العض : أراد به عجم الرمح ليعرف صلابته ، ووقع فى ه « الغض » بالغين محرفا ، والتنييب : الجس بالأنياب ، وخص العض بما كان بأطراف الإنسان .

(٦) الكعوب : جمع كعب ، وهو ما بين كل أنبوبتين من عقد الرمح ، يريد أن الرمح إنما يعمل فى يد الشجاع ، وهو فى يد غيره لا يعدو أن يكون عصا ، ورزايات : جمع رزايا الذى هو

٨ فِي كُلِّ يَوْمٍ هَجْمَةٌ طَلُوبُ هَاجَ عَلَيْهَا الْكَلَأُ الرَّطِيبُ(١)

٩ يَطْلُبْنَ أَرْضِي وَالْهَوَى طَلُوبُ لَا أَمَمٌ مِنِّي وَلَا قَرِيبُ(٢)

١٠ عِنْدَ الْأَعَادِي وَسْمُهَا غَرِيبُ يَرْصُدُهُنَّ الْحَارِبُ الْمُرِيبُ(٣)

١١ لَهُ عَلَى مَطْلَعِهَا رَقِيبُ إِذَا طَلَعْنَ اعْتَرَضَ الْقَلِيبُ(٤)

١٢ تَهْوِي بِهِ الْأَظْفَارُ وَالنُّيُوبُ كَمَا هَوَتْ خَائِبَةً طَلُوبُ

١٣ يَأْلَمُ قَلْبِي وَبِهَا النُّدُوبُ يَشْكُو الْمَطَامَا أَلَمَ الْعُرْقُوبُ(٥)

١٤ أَطْبَعُهَا وَهْوَ بِهَا كَسُوبُ لِيَ اللَّآلِي وَلَهُ الثُّقُوبُ(٦)

جمع رزية كما قالوا رجالات وجمالات ، وضروب : أى أشكال وأنواع ، يقول : إن الرزايا التى تنزل بالإنسان ليست على نوع واحد، بل هى مختلفة متعددة .

(١) الهجمة ـ بفتح الهاء وسكون الجيم ـ من الإبل مابلغ أربعين فما زاد ، ويقال : هى مابين سبعين إلى مادون المائة ، فإذا بلغت المائة فهى هنيدة .

(٢) طلوب : فعول بمعنى فاعل ، والأمم ـ بفتح الهمزة والميم جميعا ـ القريب .

(٣) الوسم : العلامة ، ومن عادة العرب أن تسم إبلها وخيلها بالسكى ، ولكل قبيلة وسم معين ، يقصدون بذلك أن يعرفها من يراها فلا يصدها عن الرعى والورود ، ويردها إلى أصحابها إن وجدها ضالة ، ونحو ذلك ، ويرصدهن : يراقبهن ، والحارب : اسم الفاعل من مصدر « حربه يحربه » من باب نصر ـ إذا أخذ ماله وتركه بغير شىء .

(٤) مطلعها : أراد مكان طلوعها .

(٥) الندوب : جمع ندب ، وهو الجرح ، ووقع فى ه « يألم قلبى وبه الندوب » وما أثبتناه موافقا لما فى ب أدق ، والمطا : الظهر ، والعرقوب : عصب غليظ موترفوق عقب الإنسان ، يقول: إن قلبى ليتألم مع أن الجروح ليست به، ولكنها بهذه الهجمة ، وليس ذلك عجيبا ، فإن الظهر ليتألم وموضع الألم فى العرقوب ، و « ما » فى قوله « ما ألم » مصدرية ظرفية ، والمراد يشكو الظهر مدة ألم العرقوب .

(٦) أطبعها : أراد أصوغها ، والكلام هنا فى قوافيه التى يسرقها المتشاعرون ، وفى ب « وهو بها الكسوب » .

١٥ دَاءٌ عَلَى إِعْضَالِهِ عَجِيبُ يَضْحَكُ مِنْ أَوْصَافِهِ الطَّبِيبُ (١)

١٦ هَلْ تَأْمَنُ الْيَوْمَ وَأَنْتَ ذِيبُ بَهْمٌ بِأَكْنَافِ الْحِمَى، غَرِيبُ (٢)

١٧ * إِنْ لَمْ يَدُمَّ اللهُ وَالْخُطُوبُ * (٣)

* * *

٩١ — وقال، وقد بلغه أن بعض العرب أخذ منه السُّكْرُ أخذا شديداً [من الرمل]:

١ كَيْفَ صَبَّحْتَ أَبَا الغَمْرِ بِهَا صَعْبَةً تَنْزُو نِزَاءَ الْجُنْدُبِ (٤)

٢ مَرَحَ الشَّقْرَاءُ فِي مِضْمَارِهَا تَتَّقِي السَّوْطَ بِمَرٍّ عَجَبِ (٥)

٣ تُرْكِبُ الرَّاكِبَ إِنْ جَشَّمَهَا دَلَجَ اللَّيْلِ وَتَسْبِي الْمُسْتَبِي (٦)

---

(١) يقال « أعضل الداء » إذا لم ينجع فيه العلاج .

(٢) غريب : وصف للذيب الواقع فى آخر النصف الأول ، وقد فصل بين الصفة وموصوفها بأجنبي ، والبهم — بفتح الباء وسكون الهاء — أولاد الضأن والمعز والبقر، وهو فاعل تأمن فى أول البيت، وقال قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى :

تَعَشَّقْتُ لَيْلَى وَهْيَ ذَاتُ ذُؤَابَةٍ ولم يَبْدُ للأترابِ مِنْ ثديها حَجْمُ

صَغِيرَيْنِ نَرْعَى البَهْمَ يالَيْتَ أننا إلى اليَوْمِ لم نَكبَرْ ولم تَكبَرِ البَهْمُ

وأكناف الحمى : نواحيه وجوانبه ، واحدها كنف .

(٣) يدم : مضارع ماضيه « دم فلانا » من باب نصر — إذا عذبه عذابا تاما ، وتقول أيضا « دم القوم » إذا طحنهم فأهلكهم .

(٤) صبحت بها: سقيتها صباحا ، وأراد شربتها من غير تقييد بزمان ، ونزاء الجندب : وثبه، وانظر شرح البيت ١ / ٨٨ .

(٥) المرح : النشاط ، والشقراء : أراد الفرس ، والمضمار : أراد به مكانها ، وتتقى السوط : تحاذره وتتجنبه ، والمر العجب : أراد به السير السريع ، وفيه الوصف بالمصدر .

(٦) جشمها : كلفها ، ودلج الليل : السير فيه ، وفى ب « يركب الراكب — إلخ ».

٤ بِنْتَ كَرْمٍ ظِئْرُهَا الشمْسُ وَمَا دَرَجَتْ فِي حِجْرِ أُمٍّ وَأَبِ (١)
٥ عَصَبَتْ ما أثَّرَتْ فِي جِسْمِهَا قَدَمُ العِلْجِ برأسِ العَرَبِ (٢)

* * *

٩٢ – وقال [من المتقارب] :

١ يُعَاقِبُنِي وَهُوَ الْمُذْنِبُ لَقَدْ زَلَّ جَارُكَ يَاجُنْدَبُ
٢ وَيَعْجَبُ مِنْ غَضَبِي جَهْلَةً وَمَنْ ذَا يُضَامُ فَلَا يَغْضَبُ (٣)
٣ نُذَادُ مِنَ اللُّؤْمِ عَنْ وِرْدِكُمْ فَعَمَّ نُذَادُ ولا مَشْرَبُ (٤)
٤ نَعَمْ أَعْوَزَ الطَّوْلُ رَاجِيكُمُ فَلِمْ أَعْوَزَ الأَهْلُ وَالْمَرْحَبُ (٥)

---

(١) أصل الظئر المرأة ترضع غير ولدها ، وأراد بقوله « ظئرها الشمس » الكناية عن قدم عهدها ، وهذا كقولهم « معتقة » وقولهم « عادية » ونحو ذلك .

(٢) العلج – بكسر العين وسكون اللام – الرجل من كفار العجم ، و « قدم العلج » فاعل قوله « أثرت » وذلك أن من عادتهم أن يعصروا العنب بوطئه بالأقدام ، وقوله « برأس العرب » متعلق بقوله « عصبت » فى أول البيت ، وهو بالعين المهملة كما فى ه ، ووقع فى ب « غصبت » بالغين معجمة ، تحريف ، يريد أنها انتقمت لنفسها من رءوس شار بيها من العرب مقابل ماأثرت فيها أقدام العلوج وقت عصرها .

(٣) يضام – بالبناء للمجهول – أى يظلم و يقهر و ينتقص حقه .

(٤) نذاد : ندفع ونمنع ، ووقع فى ب « نزاد » بالزاى – وهو تحريف ، واللؤم : خسة الأصل ودناءة الفعل ، والورد أصله إتيان موضع الماء ، ووقع فى ه « نعم نذاد ولا نشرب » وما أثبتناه موافقا لما فى ب أحسن

(٥) الطول – بفتح الطاء وسكون الواو – الفضل ، والأهل والمرحب : أى قولكم « أهلا ومرحبا » يقول : إذا كان يصعب عليكم أن ينال راجيكم شيئا من فضلكم ، فلماذا صعب عليكم أيضا أن تقابلوه باليشر والترحيب ، وهما مما لا كلفة عليكم فيه ؟!

٥ إذَا إبِلِى مُطِلَتْ رَعْيَهَا فَهَلْ يَنْفَعُ الْبَلَدُ الْمُعْشِبُ ؟(١)

٦ وَهَلْ نَافِعِى ظَاهِرٌ بَاسِمٌ وَمِنْ خَلْفِهِ بَاطِنٌ يَقْطُبُ(٢)

٧ لَقَدْ وَقَفَ الرَّكْبُ مِنْ بَابِكُمْ عَلَى مَطْلَبٍ مَاؤُهُ مُطْلِبُ(٣)

٨ وَمَا كُنْتُ فِى النَّفَرِ الشَّائِمِينَ بِأَوَّلِ مَنْ غَرَّهُ الْخُلَّبُ(٤)

٩ ذَنَابَى مَصَعْنَ بِأَبْعَارِهِنَّ وَقَدْ يَمْصَعُ الذَّنَبُ الْأَهْلَبُ(٥)

١٠ لَقَدْ سَاءَنِى أَنْ يَمُوتَ السَّمَاحُ بِمَوْتِ الْكِرَامِ وَلَا يُعْقِبُ(٦)

١١ أَلَا تَعْجَبُونَ لِذِى سَوْءَةٍ تَحَكَّ فِى عِرْضِهِ الْأَجْرَبُ

١٢ وَجَمْجَعَ لِى ظَهْرَ عَارِى الصِّفَاحِ عَقِيرًا وَقَالَ أَلَا تَرْكَبُ(٧)

---

(١) مطلت رعيها : سوف لها فيه ولم تنله ، والبلد المعشب : الكثير العشب والنبات ، وضرب إبله ورعيها مثلا ، يقول : إذا كنت لا أنال ما أناحقيق به فما فائدة المال الكثير فى أيدى الناس .

(٢) باسم : ضاحك ، ويقطب - بوزان - ينصر - يزوى ما بين عينه .

(٣) المطلب - بفتح الميم واللام ، بزنة مقعد - المقصد ، وماء مطلب - بضم الميم وكسر اللام ، بزنة مكرم - بعيد عن الكلأ ، وقيل : خاص بما إذا كان بينهما ميلان ، وقيل : يوم ، وقيل : يومان ، وضربه مثلا .

(٤) شام البرق يشيمه فهو شائم وهم شائمون : أى نظر إليه ليعرف أين يمطر ، والخلب - بزنة السكر - السحاب الذى لامطر معه ، فهو يخلف ظن ناظره .

(٥) الذنابى : الأذناب ، وتقول « مصعت الدابة » بالصاد والعين المهملتين - إذا حركت ذنبها ، ووقع فى ه « مضغن » بضاد وغين معجمتين - وهو تحريف ، والذنب الأهلب : الكثير الشعر .

(٦) لايعقب : لايكون له عقب يخلفونه .

(٧) جمجع البعير : حركه لينيخه ، أو حبسه للنهوض ، أو بركه ، والصفاح ههنا : الجوانب ، والعقير : المعقور ، أى المجروح ، يريد أن فيه عيبين : أحدهما أنه عار لامركب عليه ، وثانيهما أنه عقير ، وضرب ذلك مثلا .

١٣ وَسَوْفَ أُغْنِى بِأَعْرَاضِكُمْ غِنَاءً مِنَ الشَّرِّ لَا يُطْرِبُ(١)
١٤ قَوَافٍ مُطِلْنَ لِحَزِّ الْجُنُو بِ مَطْلَ الْمُدَى جَدْعُهَا مُوعِبُ(٢)
١٥ وَحَسْبُكَ مِنْ سَفَهٍ أَنَّنِى أُجِدُّ وَتَحْسَبُنِى أَلْعَبُ
١٦ وَقَالُوا احْتَلِبْ دَرَّهُمْ بِالسُّوَا لِ إِنَّ الْغَوَارِزَ لَا تُحْلَبُ(٣)
١٧ فَكَيْفَ وَلَمْ يُرْغِبُوا فِى الثَّنَاءِ إِلَى الْمَادِحِينَ وَلَمْ يَرْغَبُوا
١٨ لَقَدْ وَسَّعَ اللهُ مَا ضَيَّقُوا وَقَدْ عَوَّضَ اللهَ مَا خَيَّبُوا

***

٩٣ – وقال [من الكامل] :

١ نَزَلَ الْمَسِيلُ وَبَاتَ يَشْكُو سَيْلَهُ أَلَّا عَلَوْتَ فَبِتَّ غَيْرَ مُرَاقِبِ
٢ جَمَعَ الْمَثَالِبَ ثُمَّ جَاءَ تَعَرُّضًا بِالْمُخْزِيَاتِ يَدُقُّ بَابَ الثَّالِبِ
٣ فَإِذَا اشْتَمَلْتَ عَلَى مَعَايِبَ جَمَّةٍ فَتَنَحَّ جَهْدَكَ عَنْ طَرِيقِ الْعَائِبِ(٤)

***

(١) أغنى بأعراضكم : أراد أقول فيها مايتسامعه الناس وتتناشده الركبان ، ووقع فى ه «غناء من الشر لايطلب » وما أثبتناه موافقا لما فى ب أظرف .

(٢) مطلن : مددن ، وأراد صنعن ، ووقع فى ه « لحن الجنوب » محرفا ، والمدى : جمع مدية ، وهى السكين ، وجدعها : قطعها ، وتقول « أوعب الجدع » تريد أنه استأصل ، وقالوا « أوعب فلان أنف فلان » وهم يريدون استأصله بالقطع ، ووقع فى ب « جرعها موعب » محرفا .

(٣) فى ه « وقال احتلب – إلخ » والدر: اللبن ، واحتلابه : استخراجه بالحلب ، والغوارز: جمع غارز ، وهى الناقة التى قل لبنها ، وضرب الدر واحتلابه مثلا .

(٤) فى ب « و إذا اجتمعت على معايب جمة » والمعايب : جمع معاب أو معابة ، وهى مايعاب به، وجمة : كثيرة ، وتنح : ابتعد ، وهذا البيت نظير قولهم « من كان بيته من زجاج فلايقذف الناس بالحجارة » .

٩٤ – وقال [من الطويل] :

١ وَرَكْبٍ تَفَرَّى بَيْنَهُمْ قِطَعُ الدُّجَى ... يَسِيرُ عَلَى الْبَيْدَاءِ يَنْهَبُ التُّرْبَا(١)

٢ يُصَدُّونَ عَنْ وِرْدِ الْكَرَى وَعُيُونُهُمْ ... خَوَامِسُ حَتَى تَشْرَبَ الْمَنْظَرَ الْعَذْبَا(٢)

٣ إِذَا ذَعَرَتْهُمْ نَبْأَةٌ غَادَرَتْهُمُ ... وَقَدْ أَيْقَظُوا مِنْ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْقُضْبَا(٣)

٤ سَرَوْا وَخُيُولُ اللَّيْلِ دُهْمٌ وَعَرَّسُوا ... وَقَدْ غَادَرُوهَا فِي طِرَادِ الضُّحَى شُهْبَا(٤)

٥ يَضُوعُ هَجِيرُ السَّيْرِ بَيْنَ رِحَالِهِمْ ... إِذَا مَا نَسِيمُ اللَّيْلِ فِي ثَوْبِهِ هَبَّا(٥)

* * *

(١) الركب : أصله خاص بركاب الإبل ، وأراد هنا الركاب مطلقا ، وتفرى : أصله تتفرى – بتاءين – فحذف إحداهما ، ومعناه تتقطع وتتمزق ، وأراد أنهم يسيرون الليل كله ، وجعلهم يمزقون قطع الدجى كناية عن سيرهم السريع طول الليل ، والبيداء : الصحراء ، سميت بذلك لأن سالكها يبيد فيها : أى يهلك .

(٢) الكرى : النوم ، ويصدون عن ورده : كناية عن أنهم لا يذوقونه ، وخوامس : ظمأى إلى النوم ، وأصل الخوامس الإبل التى لا ترد الماء حتى يمضى عليها ثلاثة أيام ثم ترده اليوم الرابع ، وضرب كل ذلك مثلا ، وهو يريد أنهم يبيتون والأرق حليفهم والسير المتواصل أليفهم حتى يبلغوا مقصودهم ، وهنالك يلقون عصا التسيار وتستريح جنوبهم وتقر أعينهم .

(٣) ذعرتهم : أخافتهم وأفزعتهم ، وهو بالذال المعجمة ، ووقع فى ب « زعرتهم » بالزاى – محرفا ، ونبأة – بفتح النون وسكون الباء – الصوت الخفى ، وقيل : هو صوت الكلاب خاصة ، وغادرتهم : تركتهم ، والقضب : جمع قضيب ، وهو هنا السيف .

(٤) سروا : ساروا ليلا ، والدهم : جمع أدهم وهو الذى لونه الدهمة ، والدهمة – بضم الدال وسكون الهاء – هى السواد ، وعرسوا : نزلوا ليلا ، والشهب : جمع أشهب ، وهو الذى يخالط بياضه سواد .

(٥) يضوع : يفوح وتنتشر ريحه .

٩٥ — وقال [1] [من الطويل] :

١ أَسِنَّةُ هٰذَا الْمَجْدِ آلُ الْمُهَلَّبِ ... وَفُرَّاطُهُ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ [2]

٢ سَلُونِي عَنِ الْمَجْدِ المفعل وَاسْأَلُوا ... أَبِي عَنْ أَبِيهِ ذِي الْجَلَالِ الْمُهَذَّبِ [3]

٣ يَقُلْ إِنَّ ذَاكَ اللَّيْثُ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ ... وَهٰذَا الْحُسَامُ الْعَضْبُ فِي كُلِّ مَضْرِبِ [4]

٤ وَهٰذَا الرَّبِيعُ الطَّلْقُ رَفَّتْ فُرُوعُهُ ... نَتِيجَةُ ذَاكَ الْعَارِضِ الْمُتَصَبِّبِ [5]

---

(١) وقع فى ه « وكتب إلى أبى الخطاب المنجم » وفى ب « وقال أيضا » ولم يذكر أنه كتب بها ، ولا أن المكتوب إليه « أبو الخطاب المنجم » والذى فى ه انتقال من ناسخ أصله ، فإن هذه العبارة كتبت للقطعة الآتية رقم ٩٦ كما ستعرف ، ثم إن الكلمة تشير إلى مديح « آل المهلب » وهم آل المهلب بن أبى صفرة الذى تولى حرب الأزارقة فى عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى والذين كان منهم الوزير المهلبى أبو محمد الحسن بن محمد أحد ولد قبيصة بن المهلب وهو والرضى أحد رجالات « يتيمة الدهر » للثعالبى وله ترجمة فى ابن خلكان (الترجمة رقم ١٧٠ فى الجزء الأول ص ٣٩٢ بتحقيقنا) وكانت وفاته فى سنة ٣٥٢ ودفن ببغداد .

(٢) الأسنة : جمع سنان ، وهو مضرب الرمح ، والفراط : جمع فارط ، وهو اسم الفاعل من « فرط فلان » إذا سبق وتقدم ، يريد أنهم الذين لم يتقدمهم أحد فى بلوغ ذروة المجد ، وأنهم عدة المجد ، وإليهم يرجع .

(٣) هكذا وقع فى فى كل أصول الديوان « المجد المفعل » ولعله محرف عن « المجد المؤثل » أراد أنه بلغ من المجد غنته ، وأنه لم يكن بدعا فى ذلك ، ولم يرثه عن كلالة ، ولكنه احتذى حذو أبيه وسار على نهجه .

(٤) المعرك : مكان العراك ، وأصله الازدحام ، ويراد منه الحرب ، والحسام : السيف والعضب : القاطع .

(٥) الربيع : أصله الزمن الذى يعقب الشتاء ، ويراد به الأزاهير ، كما يطلق على الرجل الذى ينيل ويعطى حتى يغنى ، ورفت — بالفاء — اهتزت ، وفروعه : أغصانه ، ووقع فى ب ، ه « رقت » بالقاف — وليس بشىء . والعارض : السحاب ، والمتصبب : الممطر .

٥ أخِلاَّىَ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ وَإِخْوَتِى ... وأَحْلَى بِقَلْبِى مِنْ بَعِيدٍ وَأَقْرَبِ (١)
٦ هُمُ قَوْمِىَ الأَدْنَوْنَ مِنْ دُونِ أُسْرَتِى ... وَإِنْ كَانَ شَعْبُ الْقَوْمِ مِنْ غَيْرِ مَشْعَبِ (٢)
٧ فَهٰذَا ثَنَائِى لاَ أُرِيدُ بِهِ الْغِنَى ... أَبَى الْمَجْدُ لِى أَنْ أَجْعَلَ الْمَدْحَ مَكْسَبِى (٣)
٨ وَلٰكِنْ رَجَاءً أَنْ تَكُونَ لِهِمَّتِى ... طَرِيقًا تُؤَدِّينِى إِلَى كُلِّ مَطْلَبِ (٤)
٩ فَأَزْحَمَ مِنْكَ الْحَادِثَاتِ بِمَنْكِبٍ ... وَأَقْطَعَ مِنْكَ النَّائِبَاتِ بِمِقْضَبِ (٥)
١٠ وَأَرْمِى إِلَى أَمْرٍ أَظُنُّكَ بَابَهُ ... أَلاَ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ غَيْرُ مُكَذَّبِ

***

٩٦ — [وكتب إلى أبى الخطاب المنجم (٦)] [من الكامل] :

١ قُلْ لِلْخُطُوبِ ضَعِى سِلاَحَكِ قَدْ حَمَى ... سِرْبِى وَآمَنَنِى أَبُو الْخَطَّابِ (٧)

---

(١) أخلاى : أصله « أخلائى » جمع خليل ، وقد قصره ثم أضافه لياء المتكلم ، ونظيره قول الشاعر :

أَخِلاَّىَ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ ... عَتَبْتُ ، وَلٰكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ

وأراد الشريف « هم أخلاى » فحذف المبتدأ للعلم به . وقع فى ب « وأحلى بقلبى من بعيدى وأقربى » ولا معنى لياء المتكلم ههنا .

(٢) الأدنون : جمع أدنى ، وهو أفعل تفضيل من الدنو بمعنى القرب ، وأسرة الرجل : أهل بيته ، ووقع فى ه « وإن كان شعب القوم من غير أشعب » .

(٣) وقع فى ه « أبى المجد ألا أجعل المدح مكسبى » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ب ، ومافى ه فاسد المعنى ، لأنه يريد أن كرم أصله منعه اتخاذ مدح الناس طريقا لليسار .

(٤) وقع فى ه « ولكن رجائى أن تكون لهمتى » وأثبتنا ما فى ب .

(٥) أزحم منك الحادثات بمنكب : هذه كناية عن اتخاذه عونا على شدائد الدهر وكوارثه ، والمقضب — بكسر الميم ، بزنة المنبر — أراد به السيف ، وأصله أداة القضب : أى القطع .

(٦) هذه العبارة ثابتة هنا فى ب ، وهى التى نقلها ناسخ ه إلى القطعة السابقة رقم ٩٥ ومحلها هنا كما يدل عليه البيت رقم ١ من هذه القطعة ، ولكن وقع فى ب « أبى الخطاد المنجم » محرفا .

(٧) الخطوب : جمع خطب ، وأصله الشأن الذى له خطر ، ويراد به الحادث من أحداث الدهر

٢ وَلَقَدْ حَطَطْتُ بِكَ الرَّجَاءَ وَلَمْ يَكُنْ إِلاَّ إِلَيْكَ تَسَبُّبِى وَطِلَابِى
٣ يَامُلْبِسِى النِّعَمَ الْقَدِيمَ لِبَاسُهَا جَدِّدْ عَلَىَّ نَضَارَةَ الْأَثْوَابِ
٤ دَارُ الْمَعَالِى أَنْتَ بَابُ دُخُولِهَا فَأْذَنْ فَإِنِّى وَاقِفٌ بِالْبَابِ

* * *

٩٧ — قال [من الطويل] :

١ دَعَوْا لِى أَطِبَّاءَ الْعِرَاقِ لِيَنْظُرُوا سَقَامِى، وَمَا يُغْنِى الأَطِبَّاءُ فِى الْحُبِّ؟ (١)

والنازلة من نوازله ، وضعى سلاحك : هذه كناية عن التسليم للخصم فى الحرب ، وسرب الرجل — بكسر السين وسكون الراء — نفسه ، أو حرمه وعياله . يقول : إنه ينبغى لكوارث الدهر وأرزائه أن تنهزم أمامى، وتلقى بمقاليدها إلى، لأننى لجأت إلى من حمانى منها، وآمننى الخوف من نزولها بى.

(١) الأطباء : جمع طبيب ، وقد كثر ذكر التطبيب والعلاج فى شعر الغزل ، يريدون به أنه لا ينجع فى الحب العلاج ، وانظر إلى قول عروة بن حزام العذرى :

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَّافِ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفَيَانِى
فَقَالَا نَعَمْ نَشْفِى مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ وَقَامَا مَعَ الْغُوَّادِ يَبْتَدِرَانِ
فَمَا تَرَكَا مِنْ رُقْيَةٍ يَعْلَمَانِهَا وَلَا سَلْوَةٍ إِلَّا وَقَدْ سَقَيَانِى
وَمَا شَفَيَا الدَّاءَ الَّذِى بِىَ كُلَّهُ وَلَا ادَّخَرَا نُصْحًا وَلَا أَلَوَانِى
فَقَالَا شَفَاكَ اللهُ وَاللهِ مَا لَنَا بِمَا ضُمِّنَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ

وانظر إلى قوله أيضا :

وَإِنِّى لَتَعْرُونِى لِذِكْرَاكِ رِعْدَةٌ لَهَا بَيْنَ جِسْمِى وَالْعِظَامِ دَبِيبُ
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأُبْهَتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ
فَقُلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ دَاوِنِى فَإِنَّكَ إِنْ أَبْرَأْتَنِى لَطَبِيبُ
فَمَا بِىَ مِنْ حُمَّى وَلَا مَسِّ جِنَّةٍ وَلَكِنَّ عَمًّى الْحِمْيَرِىَّ كَذُوبُ

٢ أَشَارُوا بِرِيحِ الْمَنْدَلِ اللَّدْنِ وَالشَّذَا ... وَرَدِّ ذَمَاءِ النفس بالْبَارِدِ الْعَذْبِ(١)

٣ يُطِيلُونَ جَسَّ النَّابِضَيْنِ ضَلَالَةً ... وَلَوْ عَلِمُوا جَسُّوا النوابِضَ مِنْ قَلْبِي

***

٩٨ – وقال [من المديد]

١ صَاحِبٌ كَالْغِرِّ لَسْتُ أَرَى ... جِدَّهُ مِنِّي وَلَا لَعِبَهْ(٢)

٢ يَتَّقِينِي بِالْخِلَابِ ، وَإِنْ ... جَدَحُوا عِرْضِي لَهُ شَرِبَهْ(٣)

٣ دَاعِيًا لِي بِالْخُلُودِ ، وَلَوْ ... طَلَبُوا مِنْهُ دَمِي وَهَبَهْ(٤)

٤ قَسَمًا بِالْبَيْتِ طُفْتُ بِهِ ... وَبِرَمْيِي جَمْرَةَ الْعَقَبَهْ(٥)

***

(١) المندل – بزنة جعفر – العود الذى يتبخر به ، وقد اعتاد الشعراء أن يصفوا أحباءهم بأنهم يوقدون نيرانهم بالمندل ، وانظر من قول الشريف فى ذلك البيت رقم ٣ / ٦٦ وانظر ما ذكرناه فى شرحه ، واللدن – بفتح اللام وسكون الدال – الرطب ، وذماء النفس – بفتح الذال – بقيتها ، والبارد العذب : أصله الماء ، ولكنه يشير إلى رضاب المحبوب الذى كثر تشبيه المحبين إياه بالبارد العذب ، وانظر البيتين ٧ و ٨ / ٦٧ وما ذكرناه فى شرح أولهما .

(٢) الغر – بكسر الغين – الجاهل الذى لا تجربة له ولا يعرف عواقب الأمور ، ووقع فى ه « كالقر » بالقاف – محرفا ، ووقع فى ب « ليس أرى » وليس بشىء .

(٣) يتقينى : يحذرنى ويتجنبنى ، والخلاب – بكسر الخاء – الخديعة والمكر ، ووقع فى ه « بالحلاب » بالحاء المهملة – محرفا ، وجدحوا : أصله قولهم « جدح فلان السويق » من باب قطع – إذا لته ، وذلك أن يخلطه بالماء ، وقالوا « جدح السويق فى اللبن ونحوه » إذا خاضه بالمجدح حتى يختلط ، والمجدح – بزنة المنبر – عود فى رأسه عودان معترضان يجدح به السويق ، ووقع فى ه « جرحوا » .

(٤) يريد أنه يتظاهر لى بالمودة وحب البقاء ، ولكنه ألب على مع من يعادينى ، ولو أنهم أغروه بسفك دمى لفعل إن استطاع .

(٥) البيت : أراد به الكعبة ، و « طفت به » جملة فى محل نصب حال ، ووقع فى ب ، ه

٩٩ – وقال من الخفيف [من الخيف] :

١ بَيْنَ عَزْمِي وَبَيْنَهُنَّ حُرُوبُ إِنْ أَقْوَاهُمَا هُوَ الْمَغْلُوبُ[1]

٢ عَرَضَتْ رِحْلَةٌ فعرَّضَ بالدَّمْـ ـع فَهَانَ الْمَأْمولُ وَالْمَطْلُوبُ

* * *

١٠٠ – وقال [من المتقارب] :

١ إِسَاءَتُهُ شَهْوَةٌ ثَرَّةٌ وَإِحْسَانُهُ دَرَّةُ الْأَرْنَبِ[2]

٢ فَقَدْ زِيدَ شَرًّا إِلَى شَرِّهِ كَمَا اسْتُنْفِرَ الضَّبُّ بِالْعَقْرَبِ[3]

* * *

« وبرمى » ولا يستقيم وزنه على ذلك ، وجمرة العقبة : إحدى الجمرات التى يعتبر رميها من مناسك الحج .

(١) الضمير فى « وبينهن » عائد إلى الغوانى ، وإن لم يجر لهن ذكر ، لأنه ينساق إلى ذهن السامع . يقول : عزيمتى تدعونى إلى الابتعاد عنهن ، وهن بجمالهن يدعونى إلى التقرب منهن والصبابة بهن ، ولا بد أن أحد هذين سيتغلب على الآخر ، وستكون الغلبة والفوز للغوانى ، وستخضع لهن همتى ، ويذل لهن عزمى ، مع أنه الأقوى والأشد ، لأن سلطان الهوى فوق كل سلطان ، وعز الغرام دونه كل عز .

(٢) ثرة : غزيرة كثيرة ، وقال الشاعر :

* جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عينٍ ثَرَّةٍ *

والدرة : الحلبة ، والأرنب أقل الحيوان درا ، يريد أن إساءة هذا المحبوب إلى حبيبه لا تقف عند حد ، فإذا أحسن جاء إحسانه قليلا ضعيفا .

(٣) استنفر – بالبناء للمجهول – طلبت نفرته وخروجه من الجحر ، والعقرب أشد إيذاء من الضب ، وهذا كقول الشاعر :

المستجيرُ بعمرٍو عند كربتِهِ كالمستجير من الرمضاءِ بالنار

١٠١ – وقال [من الطويل] :

١ أخَافُكَ ، إنْ الْخَوْفَ مِنْكَ مَحَبَّةٌ ... وَمَا كُلُّ مَخْشِيِّ الْعِقَابِ مُحَبَّبَا(١)

٢ لَئِنْ كَانَ خَوْفِي مِنْ سِطَاكَ مُبَعِّدًا ... فَيَارُبَّمَا كَانَ الرَّجَاءُ مُقَرِّبَا(٢)

***

١٠٢ – وقال [من الكامل] :

١ ضُمُّوا قَوَاصِيَ كُلِّ سَرْحٍ سَارِبٍ ... وَقِفُوا السَّوَائِمَ بِالْمَدَى الْمُتَقَارِبِ(٣)

٢ فَلَقَدْ مَضَى حَامِي السُّرُوحِ مِنَ الْعِدَى ... وَمُبِيحُ أَسْوُقِهَا غِرَارَ الْقَاضِبِ(٤)

***

---

(١) هذا كقول الشاعر ، وينسب لنصيب بن رباح مولى عبدالعزيز بن مروان ، وينسب إلى قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى :

أهَابُكِ إجْلَالًا ، وَمَا بِكِ قدرة ... عَلَيَّ ، ولَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

وَمَا هَجَرَتْكِ النفسُ بالَيْلَ أنَّهَا ... قَلَتْكِ ، وَلَا أنْ قَلَّ مِنكِ نَصِيبُهَا

ولَكنهم – يا أمْلَحَ الناسِ – أولِعُوا ... بِقَوْلٍ إذا مَا جِئْتُ هذا حبيبُهَا

(٢) سطاك – بكسر السين – مصدر « ساطى فلان فلانا سطاء » إذا شدد عليه ، ويريد به قهره وغلبه ، وأصله ممدود فقصره حين اضطر لإقامة الوزن .

(٣) القواصى : جمع قاص أو قاصية ، وهى البعيدة ، والسرح – بفتح السين وسكون الراء – السوائم التى ترعى . يقول : لاتبعدوا فى إسامة سرحكم عن المكان الذى تغاثون فيه إذا استصرختم ، ووقع فى ه « نواصى » بالنون – محرفا .

(٤) فى ه «فلقد مضى راعى السروح» ووقع فيها «وهيبج أشواقها» محرفا أشنع تحريف. وغرار السيف – بكسر الغين – حده ، والقاضب : السيف القاطع ، يقول : كنا نعتمد فى بعد الإسامة على هذا الذى كان يحميها من العدى ، وكان إذا جاءه ضيف أعمل أسيافه فى سوقها يعرقبها ، فأما الآن فلا حامى لها .

١٠٣ – وقال [من الطويل] :

١ كأنَّ نِزَارًا وَالْخُمُولَ رِدَاؤُهُ غَدَاةَ بَغَى جَهْلاً عَلَيَّ وَأَجْلَبَا(١)

٢ مشبجة من خُذَّلِ الْعِينِ وَاقِعَتْ عَلَى الْمَاءِ مَفْتُولَ الذِّرَاعَيْنِ أَغْلَبَا(٢)

* * *

١٠٤ – وقال [من الوافر] :

١ تَرَفَّقْ أَيُّهَا الرَّامِي الْمُصِيبُ فَمِنْ أَغْرَاضِ أَسْهُمِكَ الْقُلُوبُ(٣)

٢ تَسُوءُ قَطِيعَةً وَتَشُوقُ حُبًّا فَمَا أَدْرِي عَدُوٌّ أَمْ حَبِيبُ

١٠٥ – وقال [من الرمل] :

١ آهِ من دَاءَيْنِ عُدْمٍ وَمَشِيبْ رُبَّ سُقْمٍ لَا يُدَاوَى بِطَبِيبْ(٤)

* * *

وقد تم – بحمد الله تعالى وتوفيقه – الجزء الأول من « شرح ديوان الشريف الرضى » ويليه ، إن شاء الله ، الجزء الثانى مفتتحا بقافية التاء ، نسأل الله أن يعين على إتمامه .

---

(١) وقع فى ه « والخمول وراءه » ووجهها بعيد ، وأجلب : أى جمع على من يناصره .

(٢) « مشبجة » هكذا وقعت هذه الكلمة فى أصول الديوان ، ولعلها محرفة عن « مشنجة » من قولهم « فرس شنج النسا » وهى صفة محمودة ، لأن الفرس إذا شنج نساه لم تسترخ رجلاه ، أو محرفة عن « مشنخة » من قولهم فى وصف الجمل « بكر شناخ » بفتح الشين – إذا كان جسيما طويلا ، والخذل : جمع خاذل ، وهى الظبية وغيرها من الدواب تتخلف عن صواحبها وتبقى منفردة ، والعين : جمع عيناء ، وهى البقرة الوحشية ، هنا . وأراد بمفتول الذراعين أغلب الأسد ، وهذا البيت متصل بسبب من قول الشاعر :

كَأَنَّ الْعُقَيْلِيِّينَ يَوْمَ لَقِيتُهُمْ فِرَاخُ الْقَطَا لَاقَيْنَ أَجْدَلَ بَازِيَا

(٣) الأغراض : جمع غرض – بفتح الغين والراء جميعا ، وهو الهدف .

(٤) وقع هذا البيت فى ب بين القطعتين ١٠٢ و ١٠٣ .

والحمد لله أولا وآخرا ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه

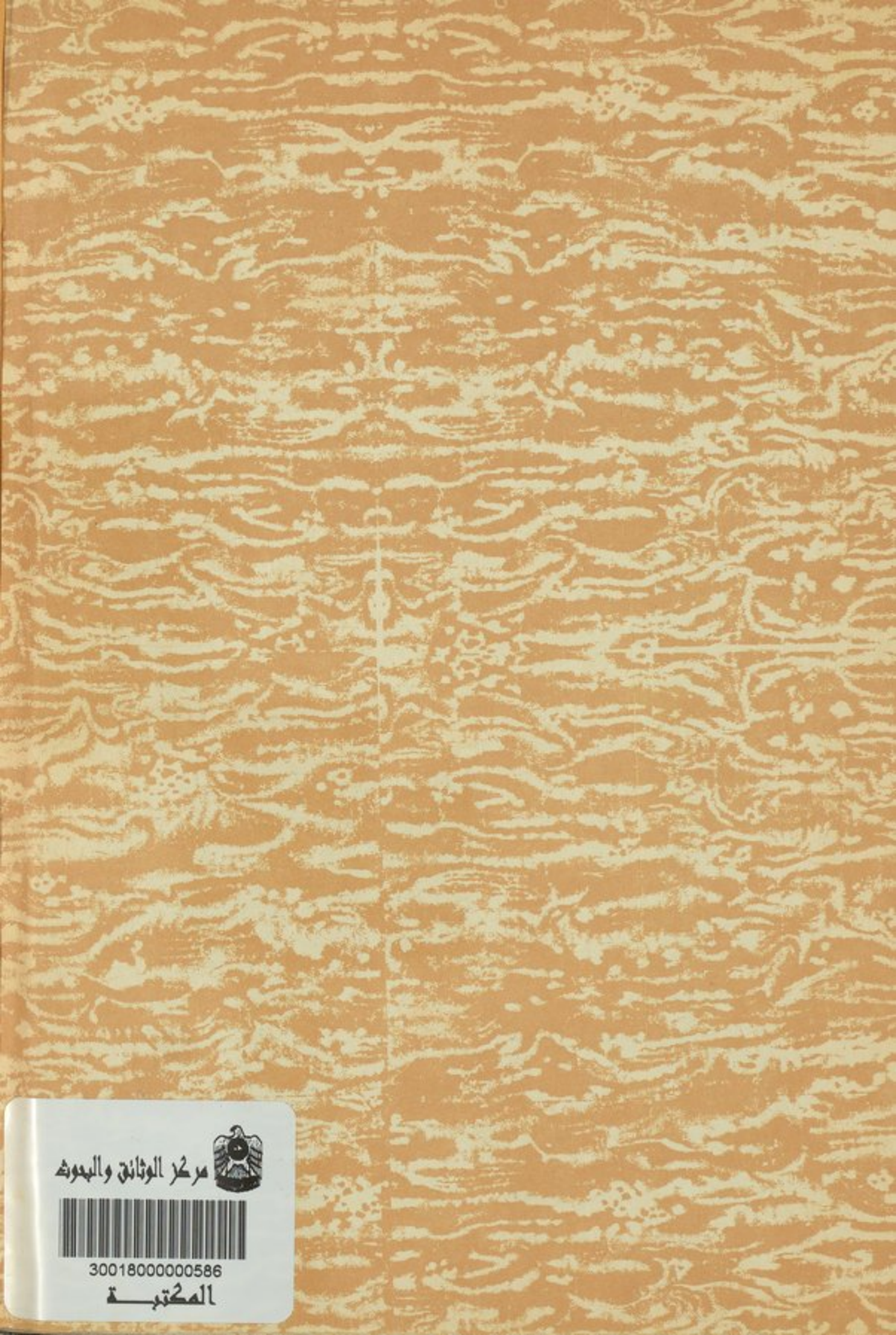
مركز الوثائق والبحوث
30018000000586
المكتبة